حاشية

محيي الدين شيخ زاده

محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي
المتوفى سنة ٩٥١ هـ

على

تفسير القاضي البيضاوي

المتوفى سنة ٦٨٥ هـ

ضبطه وصححه وخرج آياته
محمد عبد القادر شاهين

الجزء السادس

المحتوى:
من أول سورة الأنبياء - حتى آخر سورة سبأ

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت

تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠

صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

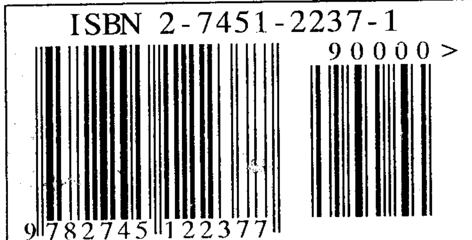
DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon



ISBN 2-7451-2237-1

http://www.al-ilmiyah.com.lb/

e-mail : baydoun@dm.net.lb

سورة الأنبياء

مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ بالإضافة إلى ما مضى أو عند الله لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦ - ٧] وقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] أو لأن كل ما هو آت قريب، وإنما البعيد ما انقرض ومضى. واللام صلة «لاقترب» أو تأكيد للإضافة وأصله:

سورة الأنبياء

مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (بالإضافة إلى ما مضى) جواب عما يقال: كيف وصف وقت الحساب بالاقتراب مع أنه قد عد من بعد نزول هذا القول أكثر من تسعمائة سنة؟ يقال: قرب الشيء واقترب إذا دنا. والحساب بمعنى المحاسبة وهو إظهار ما للعبد وما عليه ليجازى على ذلك. قيل: المراد به وقت حسابهم وهو يوم القيامة كما قال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١] فسمي يوم القيامة بيوم الحساب تسمية للزمان بأعظم ما وقع فيه وأشده وقعًا في القلوب، فإن الحساب هو الكاشف عن حال المرء ففي تسميته به تخويف عظيم للمكلفين. **قوله:** (واللام صلة لاقترب) الفرق بين كونها صلة وكونها تأكيدًا للإضافة أن اللام الجارة إذا كانت صلة «لاقترب» كان المقترب له أي المدنو منه مذكورًا وكان المعنى: دنا من الناس حسابهم. وإذا

اقترب حساب الناس، ثم اقترب للناس الحساب، ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١)﴾ أي في غفلة من الحساب معرضون عن التفكّر فيه. وهما خبران للضمير. ويجوز أن يكون الظرف حالاً من المستكن في «معرضون» ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ ينبّههم من سنة الغفلة والجهالة ﴿مِّن رَّبِّهِم﴾ صفة «لذكر» أو صلة «ليأتيهم» ﴿مُّحْدَثٍ﴾ تنزيله ليكرر على أسماعهم التنبيه كي يتعظوا. وقرىء بالرفع حملاً على المحل. ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢)﴾ يستهزئون به ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور والتفكر في العواقب. و«هم يلعبون» حال من الواو وكذلك.

كانت تأكيدًا للإضافة لم يكن المقترب له أي المدنو منه مذكورًا للعلم به فيصير المعنى كما قيل: اقترب حساب الناس أي الحساب الذي للناس، فلما كانت اللام لتأكيد الاختصاص المستفاد من الإضافة كان أصل المعنى اقترب حساب الناس لأن المقصود بيان دنو وقت حسابهم وهو يحصل من هذا التركيب. ثم قدم المضاف إليه وأدخل عليه اللام الجارة المفيدة لاختصاص الحساب بهم المدلول عليه بالإضافة، وعرف الحساب تعريف الجنس فصار اقترب للناس الحساب على أن «للناس» ظرف مستقر قدم على الحساب لكون العناية مصروفة إل ذكر المقترب له وبيان أن الحساب لهم لا لغيرهم. وفي التقديم والتصريح باللام وتعريف الحساب مبالغات ليست في قولك: اقترب حساب الناس، ثم حذف لام التعريف من الحساب وأضيف إلى ضمير الناس تأكيدًا لاختصاص الحساب بهم المدلول عليه بلام الاختصاص، فإن قيل: إذا كان اقترب للناس مقدمًا في الاعتبار على أن يقال: اقترب للناس حسابهم لم يكن اللام تأكيدًا للإضافة، بل يكون الأمر بالعكس؟ فالجواب أنه إذا كان أحدهما تأكيدًا للآخر كان كل واحد منهما مؤكدًا بالآخر فصح جعل اللام تأكيدًا للإضافة. ومعنى التأكيد أن كل واحدة من اللام الجارة والإضافة مغنية عن الأخرى فإذا جمع بينهما كانت إحداهما تأكيدًا للأخرى. **قوله:** (معرضون عن التفكّر فيه) فإن العقول السليمة حاكمة بأنه لا بد من الحساب والجزاء وإلا لزم التسوية بين المطيع والعاصي والمتقين والفجار، وهي بعيدة عن مقتضى الحكمة والعدالة.

قوله: (محدث تنزيله) يعني أن المراد بالذكر كلام الله تعالى الذي يذكرهم ما لهم وما عليهم وهو صفة أزلية قديمة، إلا أنه تعالى أنزله بالتفاريق وأحدث تنزيله في كل وقت على حسب المصالح وقدر الحاجة. فذات المنزل أزلي قديم والمحدث إنما هو تنزيله، فظهر الجواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على أن القرآن محدث قائلين: إن القرآن ذكر لقوله تعالى في صفة القرآن ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف: ١٠٤] والذكر محدث بهذه الآية

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ أي استمعوه جامعين بين الاستهزاء به والتلهي والذهول عن التفكر فيه. ويجوز أن يكون من واو «يلعبون» وقرئت بالرفع على أنه خبر آخر للضمير. ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ بالغوا في إخفائها أو جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها. ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بدل من واو «وأسرّوا» للإيماء بأنهم ظالمون فيما أسرّوا به أو فاعل له. والواو لعلامة الجمع أو مبتدأ والجملة المتقدمة خبره وأصله: وهؤلاء أسرّوا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلاً على فعلهم بأنه ظلم، أو منصوب على الذم. ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٣)﴾ بأسره في موضع النصب بدلاً من «النجوى» أو مفعولاً لقول مقدر كأنهم استدلوا بكونه بشرًا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم أن الرسول لا يكون إلا ملكًا، واستلزموا منه أن ما جاء به من

فالقرآن محدث. وأجيب عنه أيضًا بأن الموصوف بالإتيان وبأنه ذكر هو المركب من الحروف والأصوات وحدوثه مما لا نزاع فيه، وإنما النزاع في قدم كلام الله تعالى عز وجل بمعنى آخر فقوله تعالى: ﴿ما يأتيهم من ذكر﴾ الآية بيان لكونهم معرضين، وذلك لأن الله تعالى يجدد لهم الذكر كل وقت ويظهر لهم الآية والسورة بعد السورة ليكرر على أسماعهم الموعظة ليتعظوا فما يزيدهم ذلك إلا استسخارًا. قرأ العامة «محدث» بالجر على أنه صفة «لذكر» محمول على لفظه وقرىء مرفوعًا حملاً على محله لأن «من» مزيدة فيه كما في: ما جاءني من أحد. **قوله: (لاهية قلوبهم)** أي متشاغلة عن التأمل فيه من: لهيت عن الشيء الهي لهيًا ولهيانًا بالضم من باب علم إذا غفلت عنه. قدم ذكر اللعب على اللهو كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: ٣٦] تنبيهًا على أن اشتغالهم باللعب الذي معناه السخرية والاستهزاء معلل باللهو الذي معناه الذهول والغفلة، فإنهم إنما أقدموا على اللعب لذهولهم عن الحق. **قوله: (أي استمعوه جامعين)** على تقدير أن يكونا حالين مترادفين من واو استمعوه، وإن كان «لاهية» حالاً من واو يلعبون يكون من قبيل الأحوال المتداخلة لكون الحال الأولى عاملة في الثانية. **قوله: (بالغوا في إخفائها)** جواب عما يقال من أن النجوى اسم من التناجي فلا تكون إلا خفية، فما معنى قوله تعالى: ﴿وأسروا النجوى﴾ أجاب عنه أولاً بأن معناه بالغوا في إخفائها، وثانيًا بأن المعنى جعلوها بحيث لا يفطن أحد لتناجيهم ولا يعلم أنهم متناجون. **قوله: (بدل من واو أسرّوا)** فيكون واو أسروا ضميرًا عائدًا إلى ما عاد إليه سائر ضمائر المذكورة ويكون المقصود من إبدال قوله الذين ظلموا من الواو الإعلام بأنهم المبالغون في الظلم، وذلك لأنه جعل الذين ظلموا مفسرًا لهم بهذا الإبدال وإن كان الذين ظلموا فاعلاً يكون واو أسروا حرفًا جيء به للدلالة على أن الفاعل جمع كما يؤتى بالتاء للدلالة على أن الفاعل

الخوارق كالقرآن سحر فأنكروا حضوره، وإنما أسرّوا به تشاورًا في استنباط ما يهدم أمره ويظهر فساده للناس عامة. ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ جهرًا كان أو سرًا فضلاً عما أسرّوا به وهو آكد من قوله: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفرقان: ٦] ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله: «وأسروا النجوى» في المبالغة. وقرأ حمزة والكسائي وحفص «قال» بالإخبار عن الرسول. ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾ فلا يخفى عليه ما تسرون ولا ما تضمرون.

﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ إضراب لهم عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط الأحلام، ثم إلى أنه كلام افتراه، ثم إلى أنه قول شاعر. والظاهر أن «بل» الأولى لتمام الحكاية والابتداء بأخرى أو للإضراب عن تحاورهم في شأن الرسول ﷺ وما ظهر عليه من الآيات، إلى تقاولهم في أمر القرآن. والثانية والثالثة لإضرابهم عن كونه أباطيل خيلت إليه وخلطت عليه إلى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه، ثم إلى أنه كلام شعري يخيل إلى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها. ويجوز أن يكون الكل من الله تنزيلاً لأقوالهم في درج الفساد لأن كونه شعرًا أبعد من كونه

مؤنث. **قوله**: (وإنما أسرّوا به تشاورًا) لما كان هذا الحديث منهم على طريق التشاور فيما بينهم. والتحاور في طلب الطريق إلى هدم أمره لا جرم أسروا به لأن عادة المتشاورين أن يجتهدوا في كتمان سرهم عن أعدائهم. **قوله**: (جهرًا كان أو سرًا) إشارة إلى جواب ما يقال: هلا قيل: يعلم السر حتى يطابق قوله: ﴿وأسروا النجوى﴾؟ وتقريره: إن القول عام يشمل السر والجهر فكان العلم بالقول العلم بالسر وزيادة، فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول: يعلم السر الواقع كما أن قوله: يعلم السر آكد من قوله: يعلم سرهم مع أنه مطابق لقوله: ﴿وأسروا النجوى﴾ لأن النجوى هو القول الواقع بطريق المسارة والمطلق مطابق لكل واحد مما تحته. **قوله**: (ولا ما تضمرون) إشارة إلى أن متعلق قوله: ﴿العليم﴾ هو ما أضمروه في نفوسهم من غير أن يتكلموا به لا سرًا ولا جهرًا لقوله تعالى: ﴿يعلم السر وأخفى﴾ قال الإمام: قدم السمع على العلم لأنه لا بد من سماع الكلام أولاً ثم حصول العلم بمعناه ولا يخفى أن هذا التوجيه لا يصح فيما أسند إليه تعالى من السماع. **قوله**: (إضراب لهم) يعني أن الإضرابات المذكورة في هذه الآية واقعة في كلام الذين ظلموا حكاها الله تعالى عنهم كما وقعت في كلامهم للدلالة على كونهم متحيرين خابطين خبط عشواء لا يميزون بين مضرب عنه ومضرب منه لا يدرون ما يقولون ولا يجدون متمسكًا ينفعهم في هدم أمره وإظهار فساد ما ادعاه من الرسالة. ولما كان هذا التوجيه مشكلاً من حيث إن الإضرابات المذكورة لو كانت واقعة في كلام الكفرة وأنه تعالى حكاها عنهم كما

مفترى لأنه مشحون بالحقائق والحكم، وليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه أحلامًا لأنه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع، والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الأحلام. ولأنهم جربوا رسول الله ﷺ نيفًا وأربعين سنة وما سمعوا منه كذبًا قطّ وهو من

وقعت لوجب أن يكون ﴿قالوا﴾ مقدمًا على «بل» بأن يقال: قالوا بل أضغاث أحلام ليفيد الكلام حكاية إضرابهم، وتقديم «بل» على «قالوا» لا يفيد ذلك. قال المصنف: والأظهر أن تكون «بل» الأولى إضرابًا منه تعالى عن حكاية قولهم: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣] إلى حكاية قولهم في حق القرآن أنه أضغاث أحلام. أو يكون إضرابًا عن محكي أي عن التحاور في شأنه عليه الصلاة والسلام وفي شأن ما جاء به من الخوارق إلى التقاول في أمر القرآن، وأن تكون «بل» الثانية والثالثة من كلام الكفرة أضربوا بهما عن قولهم في أمر القرآن أنه أضغاث أحلام إلى أنه مفترى إلى أنه كلام شعري. ثم جوّز أن تكون كلمة «بل» من كلام الله تعالى لا محكية عن الكفرة لأن الكلام المحكي ما يقع بعد القول فيفيد الكلام أن قولهم الثاني أفسد من الأول، والثالث من الثاني، والرابع من الثالث. ووجه إفادة «بل» هذا المعنى أن الإضراب قد يكون لإبطال الكلام الأول وقد يكون للانتقال منه إلى خبر آخر أهم من الأول، والإضراب الواقع في كلام الله تعالى لا يحمل على الأول لأنه يستلزم أن يكون الأول باطلاً في نفسه أو غلطًا، والله تعالى منزه عن ذلك، فلا بد أن يكون الإضراب الواقع فيه للانتقال إلى الأهم والأهم في مقام بطلان مقالة القوم بيان ما هو أفسد بالنسبة إلى الأول فيكون ما بعد «بل» في مثل هذا المقام أفسد بالنسبة إلى ما قبلها.

قوله: (وليس فيه ما يناسب قول الشعراء) لأن الشعر تخيلات ملفقة وتمويهات مزخرفة يدعو إلى الهوى والشيطان. والقرآن يدعو إلى الهدى وطاعة الرحمن وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين وقولهم: إنه كلام مفترى من عند نفسه مع كونه باطلاً في نفسه لأن القوة البشرية وإن استفرغت طوقها لا تطيق إتيان مثله فهو أبعد من قولهم إنه أضغاث أحلام مع كونه فاسدًا في نفسه، من حيث إن الكتاب الذي أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير كيف يتصور كونه من تخاليط الأحلام؟ فهو أشد فسادًا بالنسبة إلى قولهم إنه سحر لأن تشبيه النظم المعجز الفائق بالسحر أقرب من جعله من تخاليط الأحلام لقوله عليه الصلاة والسلام: «إن من البيان لسحرًا». والأضغاث الحزم من النبات وغيره فاستعير للتخاليط والأباطيل، شبهت تخاليط الأحلام وأباطيلها بحزم من أخلاط النبات في كونها مخلوطة من أشياء غير متناسبة، ثم استعملت في الأباطيل بقرينة إضافتها إلى الأخلاط. والحلم بضم الحاء وسكون اللام هو الرؤيا وضم

كونه سحرًا لأنه يجانسه من حيث إنهما من الخوارق ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾ أي كما أرسل به الأولون مثل: اليد البيضاء والعصا وإبراء الأكمه وإحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث إن الإرسال يتضمن الإتيان بالآية ﴿ما آمنت قبلهم من قرية﴾ من أهل قرية ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ باقتراح الآيات لما جاءتهم ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ لو جئتهم بها وهم أعتى منهم. وفيه تنبيه على أن عدم الإتيان بالمقترح للإبقاء عليهم إذ لو أتى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾ جواب لقولهم: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾؟ يأمرهم أن يسألوا أهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والإحالة إليهم إما للإلزام فإن المشركين كانوا يشاورونهم في

اللام أيضًا لغة فيه فالأحلام بمعنى المنامات سواء كانت باطلة أو حقة. وأضيف الأضغاث بمعنى الأباطيل إليها على طريق إضافة الخاص إلى العام إضافة بمعنى «من» وقد تخص الرؤيا بالمنام الحق والحلم بالمنام الباطل كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «الرؤيا من الله تعالى والحلم من الشيطان». **قوله:** (وصحة التشبيه) جواب عما يقال: محل الكاف في قوله: ﴿كما أرسل الأولون﴾ إما جر على أنه صفة آية أو نصب على أنه صفة مصدر محذوف، فالتقدير على الأول بآية مثل إرسال الأولين وعلى الثاني إتيانًا مثل إرسال الأولين. و «ما» مصدرية على الوجهين ولا وجه لتشبيه الآية ولا لتشبيه إتيانها بإرسال الأولين. وتقرير الجواب: أن الإرسال يتضمن إتيان الآية ويستلزمه فذكر الإرسال الذي هو ملزوم لإتيان الآية وأريد لازمه مجازًا. فكأنه قيل: بآية مثل آية الأولين أو إتيانًا مثل إتيان الأولين. وأشار المصنف بقوله: «كما أرسل الأولون» إلى جواب آخر وهو أن كلمة «ما» في قوله تعالى: ﴿كما أرسل الأولون﴾ موصولة وعائدها محذوف. والمعنى بآية مثل الآية التي أرسل بها الأولون وتشبيه الآية بالآية تشبيه واضح لإخفاء فيه. ثم إن مشركي مكة لما اقترحوا آية شبيهة بآية الأولية في أنها لا يتطرق إليها احتمال أنها أضغاث أحلام أو كلام مفترى أو قول شاعر، أجابهم الله تعالى بأن الأمم التي أهلكناهم بإصرارهم على التكذيب بعدما أتتهم الآيات التي اقترحوها لم يؤمنوا بإتيانها، فلو أتاهم ما اقترحوه لما آمنوا أيضًا لكونهم أعتى منهم فاستوجبوا عذاب الاستئصال مثلهم لأن الحكمة الإلهية قد اقتضت أن من كذبوا بعد الإجابة إلى ما اقترحوه لا بد أن ينزل بهم عذاب الاستئصال وقد سبق وعده في حق هذه الأمة أن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة، فلذلك لم يجابوا إلى ما اقترحوه للإبقاء عليهم أي للترحم بهم يقال: أبقى على فلان إذا رحمه. **قوله:** (والإحالة إليهم) أي إحالة المشركين إلى اليهود والنصارى في استعلام أن البشرية لا تنافي الرسالة إما للإلزام والإسكات لا لإثبات الحكم

أمر النبي عليه السلام ويثقون لقولهم، أو لأن إخبار الجم الغفير يوجب العلم وإن كانوا كفارًا. وقرأ حفص «نوحي» بالنون. ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾﴾ نفي لما اعتقدوا أنها من خواص الملك عن الرسل تحقيقًا لأنهم كانوا أبشارًا مثلهم. وقيل: جواب لقولهم: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ «وما كانوا خالدين» تأكيد وتقرير له فإن التعيش بالطعام من تُوابع التحليل

المتعلق بالاعتقادات بما تقول الكفرة. فإن اليهود والنصارى وإن أنكروا نبوة رسول الله ﷺ عليه الصلاة والسلام إلا أنهم لا ينكرون أن الرسل كانوا بشرًا. ثم إنهم لما كانوا يوافقون المشركين في معاداته عليه الصلاة والسلام كان المشركون لا يكذبونهم فيما قالوا في حق الرسل. وإما لأنه لا فرق بين المؤمنين والكفار في حصول العلم بخبرهم إذا بلغ حد التواتر.

قوله: (وقرأ حفص نوحي بالنون) أي بنون العظمة مبنيًا للفاعل أي نوحي نحن. والباقون بالياء وفتح الحاء مبنيًا للمفعول، وهذه الجملة في محل النصب على أنها صفة «لرجالا»

قوله: (نفي لما اعتقدوا أنها) أنث العائد إلى ما لكونها عبارة عن الخاصة فإن عدم الاحتياج إلى الطعام. والخلود بمعنى عدم طريان الموت من خواص الملائكة نفاها عن الرسل تحقيقًا لكونهم أبشارًا جمع بشر مثلهم وإبطالاً لزعم أن البشرية تنافي الرسالة، فإن نفي الخاصة اللازمة للملكية يستلزم نفي الملزوم فتحقق كونهم أبشارًا مثلهم.

قوله: (وقيل جواب) عطف على قوله: «نفي لما اعتقدوا». وتوضيح هذا القول أن الكفرة كانوا يطعنون في الرسالة بأشياء منها قولهم: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤] وقولهم: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣] فألزمهم الله تعالى بأن الرسل الذين صدقهم آباؤهم وآمنوا بهم كانوا من البشر، وأن رسالتهم صحت بما أظهر الله تعالى على أيديهم من الخوارق والمعجزات فلما صحت رسالتهم بذلك فقد صحت رسالة سيد المرسلين بما يظهره الله تعالى على يديه من الآيات الباهرة فلا يعاب عليه بكونه بشرًا. ومنها قولهم: إن الذي يدّعي الرسالة يأكل الطعام ويشرب وينكح ويمشي في الأسواق كغيره من الناس كما أخبر الله تعالى عنهم ذلك بقوله: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] ونحوه فألزمهم وأخبرهم أن الرسل الذين كانوا من قبل كانوا يأكلون الطعام ويشربون ويمشون في الأسواق ويقضون حوائجهم فقال: ﴿وما جعلناهم جسدًا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين﴾ أي في الدنيا. وقال في آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨] فعلى ذلك هذا الرسول المبعوث إليكم كسائر الرسل الذين كانوا من قبل ممن كان يأكل ويشرب وينكح، وأنه بشر وهو رسول كسائر الرسل. ولم يرض المصنف بهذا التأويل لأن جعل الكلام أجنبيًا عما سيق له الكلام مع إمكان ربطه

المؤدي إلى الفناء، وتوحيد الجسد لإرادة الجنس. أو لأنه مصدر في الأصل، أو على حذف المضاف، أو تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لا يطلق على الماء والهواء، ومنه الجساد للزعفران. وقيل: جسم ذو تركيب لأن أصله لجمع الشيء واشتداده.

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ أي في الوعد ﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ﴾ يعني المؤمنين بهم ومن في إبقائه حكمة كمن سيؤمن هو أو أحد من ذريته ولذلك حميت العرب من عذاب الاستئصال. ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾﴾ في الكفر والمعاصي ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ يا قريش ﴿كِتَابًا﴾ يعني القرآن ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ صيتكم. لقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] أو موعظتكم أو ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الأخلاق ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ فتؤمنون به ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ واردة من

بالمقام لا يخلو عن بعد. **قوله:** (وتوحيد الجسد) جواب عما يرد من أن جعل في الآية الظاهر أنه بمعنى صير فيتعدى إلى مفعولين ثانيهما «جسدا» ومفعوله الأول وهو «هم» جمع فكيف يصح أن يخبر عن الجمع بالمفرد؟ وأيضًا الظاهر أن قوله: ﴿لا يأكلون﴾ في محل النصب على أنه صفة «لجسد» فكيف يصح أن يرجع إليه ضمير الجمع وإن جعل تقدير الكلام: وما جعلناهم ذوي جسد غير طامعين أو وما جعلنا كل واحد منهم جسدًا كقوله: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥] أي نخرج كل واحد منكم طفلاً سقط الإيراد. وفي الصحاح: الجسد البدن والجسم، والجسد أيضًا الزعفران أو نحوه من الصبغ وهو الدم أيضًا، والجسد أيضًا مصدر قولك: جسد به يجسد إذا لصق فهو جاسد وجسيد، ويقال: الجسد لما أشبع صبغه من الثياب ويقال: للزعفران الجساد. **قوله:** (أي في الوعد) يعني أن صدق يتعدى إلى مفعولين إلى ثانيهما بحرف الجر وقد يحذف. ويقال: صدقتك الحديث أي في الحديث كما في قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ [الأعراف: ١٥٥] أي من قومه. وضمير «صدقناهم» «للرسل» وقد وعدهم الله تعالى بإنجائهم وإنجاء من صدقهم وآمن بهم، وإهلاك من كذبهم. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين﴾ أي بعذاب الاستئصال وليس المراد عذاب الآخرة لأنه إخبار بما مضى. والصيت الذكر الجميل الذي ينشر في الناس دون القبيح، يقال: له ذكر في الناس أي صيت وشرف. وفي القرآن صيت لقريش لأنه بلسانهم ولغتهم منزل على نبي منهم يشتهرون بشهرته ويشرفون بشرفه لأنهم حملته والمرجوع إليهم في حل معاقده. وقد يكون الذكر بمعنى التذكرة والموعظة بالوعد والوعيد فيكون من قبيل قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [عبس: ١١] وقوله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] ويجوز أن يراد بالذكر ما يكون سببًا للذكر الجميل

غضب عظيم، لأن القصم كسر يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف الفصم. ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ صفة لأهلها وصفت بها لما أقيمت مقامه ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا﴾ بعد إهلاك أهلها ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾﴾ مكانهم ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾ فلما أدركوا شدة عذابنا إدراك المشاهد المحسوس. والضمير للأهل المحذوف. ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾﴾ يهربون مسرعين راكضين دوابهم أو مشبهين بهم من فرط إسراعهم ﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾ على إرادة القول أي قيل لهم استهزاء: لا تركضوا إما بلسان الحال أو المقال. والقائل ملك أو من ثمة من المؤمنين. ﴿وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ من التنعم والتلذذ أو الإتراف إبطار النعمة ﴿وَمَسَٰكِنِكُمْ﴾ التي كانت لكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾﴾ غدًا عن أعمالكم أو تعذبون. فإن السؤال من مقدمات العذاب، أو تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل. ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾﴾ لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم.

من مكارم الأخلاق التي من تخلق بها ينتشر صيته في الناس وقوله تعالى: ﴿فيه ذكركم﴾ معناه في علمه والعمل بما فيه جميع ما تحتاجون إليه في أمر دينكم ودنياكم من حسن الجوار وصلة الرحم وتعظيم أمر الله والشفقة على عباده وصدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وغير ذلك. فذكر الذكر وأريد به مكارم الأخلاق الموجبة للثناء الحسن فيكون من باب ذكر المسبب وإرادة السبب. واعلم أن قوله تعالى: ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ عطف على قوله: ﴿وما أرسلنا قبلك﴾ أي قد أرسلنا قبلك رسلاً يوحى إليهم إبشارًا مثلك ثم صدقناهم الوعد، فمحمد عليه الصلاة والسلام نبي كسائر الأنبياء بشر مثلهم ولا بد أن يصدقه الله تعالى في وعده، فاحذروا يا قريش سوء العاقبة ونزول البلاء على تكذيبه. ثم قال تعالى: ﴿لقد أنزلنا﴾ وأجاب عن قولهم: ﴿فليأتنا بآية﴾ بقوله: ﴿مآ آمنت﴾ ثم أجاب عن قولهم: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ بقوله: ﴿وما أرسلنا﴾ وأدرج فيه التهديد أيضًا بقوله: ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ ثم بين أنه قد أتاكم ما يكفيكم ويغنيكم عن اقتراح الآيات ويوجب إيمانكم به وهو الكتاب الذي فيه ذكركم أفلا تعقلون فتؤمنون به وترتدعون عن اقتراح الآيات وعن القدح فيه بما لا يليق به وتقضي بداهة العقول ببطلانه. **قوله**: (فلما أدركوا الخ) لما لم يجب أن يكون ما أصاب المهلكين من الناس محسوسًا بإحدى الحواس الظاهرة جعل قوله تعالى: ﴿أحسوا﴾ استعارة تبعية بأن شبه إدراكهم البأس بإدراك المحسوس فأطلق عليه اسم الإحساس واشتق منه قوله: ﴿أحسوا﴾. **قوله**: (راكضين دوابهم أو مشبهين بهم) يعني أن الركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [صَ: ٤٢] ويجوز أن يكونوا ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب. ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم. **قوله تعالى**: (إلى ما أترفتم فيه) أي إلى نعمكم

وقيل: إن أهل حضور من قرى اليمن بعث إليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم، فنادى منادي من السماء: يا لثارات الأنبياء. فندموا وقالوا ذلك.

﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ فما زالوا يرددون ذلك. وإنما سماه دعوى لأن المولول كأنه يدعو الويل ويقول: يا ويل تعال فهذا أوانك. وكل من «تلك» و«دعواهم» يحتمل الاسمية والخبرية. ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا﴾ مثل الحصيد. وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع. ﴿خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ ميتين من خمدت النار. وهو مع «حصيدًا» بمنزلة المفعول الثاني كقولك: جعلته حلوًا حامضًا. إذ المعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود، أو صفة له أو حال من ضميره. ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

التي خولتموها وتوسعتم فيها حتى بطرتم بها فكفرتم وأعرضتم عن من جعلها لكم أي عن حمده وشكره. قال الخليل: المترف الموسع عليه عيشه القليل فيه همه، والمعنى: ارجعوا إلى نعمكم وإلى مساكنكم التي تسكنونها لعلكم تسألون غدًا عن أعمالكم أو ارجعوا إليها واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم، ومن ينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون؟ وبماذا ترسمون كعادة المخدومين أو لعل الناس تسألكم مما في أيديكم ويستشيرونكم في المهمات والنوازل، أو ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدًا عما جرى عليكم وعلى أموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة.

قوله: (يا لثارات الأنبياء) اللام فيه للاستغاثة والثأر الانتقام من القاتل بقتله مكان المقتول يقال: ثأر القتيل بالقتل أي قتل قاتله وبابه قطع. والمقصود من نداء الثارات الإخبار عن موجب دعائهم على أنفسهم بالويل حيث قالوا: ﴿يا ويلنا﴾ وبينوا وجه استحقاقهم به بأن قالوا: ﴿إنا كنا ظالمين﴾ على أنفسنا بتكذيب الرسل. قال تعالى: ﴿فما زالت تلك﴾ الكلمة وهي يا ويلنا ﴿دعواهم﴾ أي دعاءهم «فتلك» مرفوع على أنه اسم ما زالت إن جعلت الدعوى منصوبة المحل على الخبرية أو منصوب على أنه خبر وأن الدعوى اسم وكل واحد من الوجهين جيد لأنهما معرفتان. و﴿حصيدا﴾ من باب التشبيه البليغ أي مثل ذلك الزرع المحصود والفعيل بمعنى المفعول يستوي فيه المفرد والجمع والمذكر والمؤنث. **قوله:** (**وهو مع حصيدًا بمنزلة المفعول الثاني**) وليس كل واحد منهما مفعولاً على حدة، لأن جعل لا يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل فإنه قد تعدى إلى مفعوله الأول وهو ضمير الجمع، فلا يتعدى به إلى مفعولين آخرين، فلذلك جعل ﴿حصيدًا خامدين﴾ بمنزلة مفعول واحد كما إذا قلت: جعلته حلوًا حامضًا فإنه في معنى جعلته جامعًا للطعمين. وكذلك ما نحن فيه فإن معناه جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود. **قوله:** (**أو صفة له**) عطف على قوله: «بمنزلة»

لَعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ وإنما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتسبيبًا لما ينتظم به أمور العباد في المعاش والمعاد، فينبغي أن يتسلقوا بها إلى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فإنها سريعة الزوال. ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ ما يتلهى به ويلعب ﴿لَّاتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ من جهة قدرتنا أو من عندنا مما يليق لحضرتنا من المجردات لا من الأجسام المرفوعة والأجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها. وقيل: اللهو الولد بلغة اليمن. وقيل: الزوجة والمراد

المفعول الثاني أي يجوز أن يكون «خامدين» صفة «لحصيدا» فإنه مفرد في معنى الجمع وأن يكون حالاً من الضمير المستكن في «حصيدا» وقوله: «خامدين» استعارة تبعية. شبّه الموت بخمود النار وانطفائها فأطلق عليه اسم الخمود ثم اشتق منه «خامدين». **قوله**: (فينبغي أن يتسلقوا بها) أي أن يلقوا ويقعوا بسببها فإن تسلق مطاوع لقولك: سلقته سلقًا إذا ألقيته على ظهره وربما يقال: سلقيته سلقاء بزيادة الياء. وأشار المصنف به إلى وجه تعلق هذه الآية بما قبلها وهو أنه تعالى لما بيّن إهلاك القرى لأجل تكذيبهم اتبعه بما يدل على أنه فعل ذلك عدلاً منه ومجازاة على ما فعلوه، وهو أنهم ضيعوا ما خلقه الله تعالى لفوائد دينية ودنيوية. أما الدينية فهي أن يتفكر المكلفون فيها ويستدلوا بها على عظمة الله وكبريائه وكمال قدرته وحكمته. وأما الدنيوية فهي ما يتعلق بها من المنافع التي لا تعد ولا تحصى فمن اغتر بزخارفها ولم يتسلق بها إلى الاستكمال بالكمالات العلمية والعملية فجدير بأن يهلك ويجعل نكالاً وعبرة لغيره. ثم إنه تعالى لما ذكر أنه لم يخلق هذا السقف المرفوع والمهاد المبسوط وما بينهما من بدائع الموجودات وغرائب المصنوعات لأن يتلهى به ويلعب. بيّن أنه لم يتخذ ما يتلهى به ويلعب من حيث إن الحكمة صارفة عنه لا من جهة عدم القدرة على اتخاذه فقال: ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوًا﴾ أي ما يتلهى به على أنه مصدر بمعنى المفعول يقال: لهوت بالشيء بالفتح ألهو لهوًا إذا لعبت به ﴿لاتخذناه﴾ من جهة قدرتنا عليه لكنا لم نتخذه لعدم إرادتنا اتخاذه. ومن فسر اللهو بالولد والمرأة فقد أخرج الكلام عن الالتئام بما قبله. قال الإمام الواحدي: اللهو طلب التروح للنفس ثم المرأة تسمى لهوًا وكذا الولد لأنه يتروح بكل واحد منهما، ولهذا يقال لامرأة الرجل وولده ريحانتاه. والمعنى لو أردنا أن نتخذ امرأة ذات لهو وولدًا ذا لهو ﴿لاتخذناه من لدنا﴾ أي مما نصطفيه ونختاره مما نشاء من خلقنا كقوله: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [الزمر: ٤] وقال المفسرون: أي من الحور العين وهذا رد لقول اليهود في عزير وقول النصارى في المسيح وأمه من كونهما ولدًا وصاحبة، ومعنى ﴿من لدنا﴾ من عندنا أي بحيث لا يجري لأحد فيه تصرف لأن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره. انتهى.

به الرد على النصارى. ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٧﴾ ذلك. ويدل على جوابه الجواب المتقدم. وقيل: «إن» نافية والجملة كالنتيجة للشرطية.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾ إضراب من اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته عن اللعب أي بل من شأننا أن نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من عداده اللهو. ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾ فيمحقه. وإنما استعار لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمى. والدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي إلى زهوق الروح تصويرًا لإبطاله به ومبالغة فيه. وقرىء «فيدمغه» بالنصب كقوله:

سأترك منزلي لبني تميم وألحق بالحجاز فأستريحا

قوله: (ويدل على جوابه) يعني أن كلمة «أن» في الآية شرطية وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب «لو» عليه. والتقدير: إن كنا فاعلين اتخذناه ولكنا لم نفعله لأنه لا يليق بالربوبية وفائدة تكرير كلمة الشرط «أن» الأولى لتعلق الاتخاذ بالإرادة والثانية لتعلق الاتخاذ المرتب على الإرادة بكونه ممن يفعل ذلك وتقتضيه حكمته. **قوله:** (والجملة كالنتيجة للشرطية) كأنه قيل: لو أردنا لفعلناه ولكن لم نرده فكنا فاعلين. ثم إنه تعالى اضرب عن حديث تعليق اتخاذ ما يتلهى به على تعلق إرادته بذلك وعلى كونه ممن يجوز له أن يفعل ذلك، وجعله كالمسكوت عنه إلى بيان ما هو أهم بالنسبة إلى ما قبله وهو أن شأنه تعالى أن يسلط الحق ويورده على الباطل حتى يذهبه فيهلكه.

قوله: (وإنما استعار لذلك) أي استعار القذف للتغليب والتسليط واستعار الدمغ للمحق والمحو بأن شبه الحق بالجرم الصلب الثقيل، وشبّه الباطل بالجرم الرخو الأجوف فقذف بذلك الجرم الثقيل عليه فدمغه على طريق تشبيه المعقول بالمحسوس، فإن كل واحد من الحق والباطل من قبيل المعقول والجرم الصلب والرخو من قبيل المحسوس، وعبّر عن هذه الصورة المعقولة بما يدل على الهيئة المحسوسة لتتمكن تلك الهيئة المعقولة في ذهن السامع فضل تمكن. قال صاحب المفتاح: أصل استعمال القذف والدمغ في الأجسام، ثم استعير القذف لإيراد الحق على الباطل والدمغ لإذهاب الباطل ومحوه، فالمستعار منه حسي والمستعار له عقلي. وقراءة «فيدمغه» بالنصب ضعيفة لما تقرر في النحو من أن ما بعد الفاء إنما ينصب بإضمار «أن» في جواب الأشياء الستة: الأمر والنهي والنفي والاستفهام والتمني والعرض. وقوله: «فيدمغه» لم يقع بعد أحد هذه الأشياء، ولعل من نصبه نظر إلى أن المضارع فيه شبه النفي ولهذا قيل: إنه في الآية أضعف مما في البيت لأن المضارع فيها للاستمرار. وقيل في توجيه النصب: إن المضارع كالتمني والترجي في كونهما مترقبين وإنما

ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على «الحق». ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ هالك. والزهوق ذهاب الروح. وذكره لترشيح المجاز. ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ۝١٨﴾ مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو في موضع الحال، و«ما» مصدرية أو موصولة أو موصوفة. ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خلقًا وملكًا ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾

شرطوا في نصب ما بعد الفاء السببية كون ما قبلها أحد الأشياء المذكورة لأن الفاء السببية تقتضي أن يكون ما قبلها سببًا لما بعدها، والسببية لا تتحقق إلا عند تحقق أحد هذه الأمور ولذا لم يجز النصب في الموجب إلا في ضرورة الشعر كما في البيت المذكور. وذلك لأن الأشياء الستة مؤولة بالمصادر فيكون ما قبل الفاء كالشرط المحقق الوقوع ويكون ما بعد الفاء كجزائه المسبب عنه، ولما كان المضارع المنصوب «بأن» مفردًا، وما قبل الفاء المذكورة جملة ولا يجوز عطف المفرد على الجملة جعلوا ما بعد الفاء بتقدير مصدر معطوف على مصدر الفعل المقدم فتقدير: زرني فأكرمك ليكن منك زيارة فإكرام مني. وكذا المنصوب بعد الواو فإنه أيضًا معطوف على المصدر المقدر من الفعل قبله فتقدير قولك: زرني وأزورك ليكن منك زيارة وزيارة مني، فإذا تقرر هذا ظهر أن مراد المصنف بقوله: «ووجهه مع بعده» أن وجه انتصاب «فيدمغه» مع كون النصف بعيدًا لعدم وقوع الفاء بعد أحد الأشياء المذكورة أن تجعل الجملة التي قبل الفاء في تأويل المفرد كالتي بعدها، فإنها في تأويل المفرد بأن المضمرة فإذا أوّل ما قبل الفاء أيضًا بالمفرد تطابق المعطوفان في الإفراد. فتأويل الكلام: بل نريد قذف الحق على الباطل فدمغه بعطف قوله: «فدمغه» على القذف المتحصل من الجملة قبله. وجعله أبو البقاء معطوفًا على «الحق» أي بل نقذف بالحق فالدمغ وكذا تأويل البيت: وأريد اللحوق بالحجاز فالاستراحة. **قوله**: (**وذكره لترشيح المجاز**) فإن قوله: «فيدمغه» استعير من الشجة التي بلغت الدماغ للمحو والبطلان، وقرنت الاستعارة بما يلائم المستعار منه فإن ذهاب الروح إنما يلائم المعنى الأصلي للدمغ، فإن الدماغ مجمع الحواس فإذا بلغت الشجة إليه يموت الحيوان. **قوله**: (**وهو في موضع الحال**) أي قوله: ﴿مما تصفون﴾ حال من الويل والعامل الاستقرار الذي تعلق به الخبر أي استقر لكم الويل واقعًا مما تصفون أي مما تصفون الله تعالى به مما لا يليق به من الصاحبة والولد وتصفون كلامه بأنه سحر وأضغاث أحلام ونحو ذلك من الأباطيل. ثم إنه تعالى لما حكى كلام الطاعنين في النبوات وتعنتهم باقتراح الآيات وأجاب عن شبههم بأنواع التهديدات، بيّن أنه منزه عن طاعتهم لأنه هو المالك لجميع المحدثات والمخلوقات والملائكة المقربون مع كرامتهم وعلو قدرهم عند الله إذا كانوا خاضعين له تعالى خائفين منه تعالى، فالبشر مع ضعفه أولى أن يطيعوه فقال: ﴿وله من في السمٰوات والأرض﴾.

يعني الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك. وهو معطوف على «من في السمٰوات» وإفراده للتعظيم أو لأنه أعمّ منه من وجه. أو المراد به نوع من الملائكة متعال على التبوء في السماء والأرض أو مبتدأ خبره ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾ لا يتعظمون عنها. ﴿وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩﴾ ولا يعيون منها. وإنما جيء بالاستحسار الذي هو أبلغ من الحسور تنبيهًا على أن عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بأن يستحسر منها ولا يستحسرون.

قوله: (يعني الملائكة المنزلين منه لكرامتهم الخ) يعني أن المراد من العندية عندية الشرف لا عندية المكان والجهة، و «عند» وإن كان من الظروف المكانية إلا أنه شبه قرب الشرف والمنزلة بقرب المكان والمسافة فعبّر عن المشبه بلفظ المشبه به. **قوله:** (وإفراده للتعظيم) يعني أن قوله: ﴿ومن عنده﴾ معطوف على ﴿من في السمٰوات﴾ والمراد به الملائكة بإجماع المفسرين فيكون عطفه على «من في السمٰوات» من قبيل عطف الخاص على العام تنبيهًا على شرفه لأن «من في السمٰوات» يتناول من عنده لا محالة وقوله: ﴿لا يستكبرون﴾ حال من قوله: «من في السمٰوات» وما عطف عليه إن جعل مرفوعًا على أنه فاعل الظرف على رأي الأخفش، وإن جعل مرفوعًا على الابتداء و «له» خبره فحينئذ لا ينتصب الحال إلا على رأي من يجوّز مجيء الحال من المبتدأ لا عند غيره فيكون إما من الضمير المستكن في عنده الواقع صلة أو من الضمير المستكن في «له» الواقع خبرًا ويحتمل أن يكون «من عنده» مبتدأ «ولا يستكبرون» خبره وتكون هذه الجملة معطوفة على الجملة التي قبلها. **قوله:** (أو لأنه أعمّ منه من وجه) فإن قوله: ﴿من عنده﴾ بمعنى المكرم عنده وفي منزلة منه كما يتناول ملائكة السمٰوات والأرض يتناول الملائكة الذين لا يتبوأون في المكان، فإن ملائكة السمٰوات عنصريون مخلوقون مما خلق منه السمٰوات ومن الملائكة نوع متعال عن التبوء في السماء والأرض لتجردهم من المواد العنصرية فلا يكون من عنده أخص مطلقًا بالنسبة إلى من في السمٰوات والأرض، بل يكون أخص منه من وجه. ويجوز أن يكون مباينًا له بأن يراد به النوع المتعالي عن التبوء.

قوله: (وإنما جيء بالاستحسار) جواب عما يقال: المناسب لمقام توصيف الملائكة بالاجتهاد في العبادة ومواظبتهم عليها أن يقال: لا يحسرون بمعنى أنهم لا يطرأ عليهم شيء من الإعياء والفتور ولا يستحسرون، لا يفيد هذا المعنى لأنه يدل على أنه لا يطرأ عليهم غاية الحسور وأقصاه وهذا المعنى لا يلائم المقام، يقال: حسر البعير يحسر حسورًا إذا أعيى وأحسر مثله، واستحسر أبلغ منهما، وقد يكون استفعل بمعنى فعل نحو: قر واستقر فلا سؤال ولا جواب. والتسبيح بالنسبة إلى الملائكة كالتنفس بالنسبة إلينا فكما أن قيامنا وقعودنا

﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ ينزعونه ويعظمونه دائمًا ﴿لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ حال من الواو في «يسبحون» أو هو استئناف أو حال من ضمير قبله. ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً﴾ بل اتخذوا. والهمزة لإنكار اتخاذهم وقوله: ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ صفة لآلهة أو متعلق بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص. ﴿هُمْ يُنشِرُونَ ۝٢١﴾ الموتى. وهم وإن لم يصرحوا به لكن لزم من ادعائهم لها الإلـٰهية فإن من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات. والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم

وتكلمنا وغير ذلك من أفعالنا لا يشغلنا عن التنفس، فكذلك الملائكة لا يشغلهم عن التسبيح شيء من أفعالهم ولا تلحقهم فترة الفراغ منه. **قوله:** (بل اتخذوا) إشارة إلى أن «أم» هذه منقطعة مقدرة بـ «بل» والهمزة. حكى الله تعالى عنهم أولاً قولهم: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ وثانيًا قولهم: ﴿بل قالوا أضغاث أحلام﴾ إلى قوله: ﴿كما أرسل الأولون﴾ ثم أجاب عن كل واحد منهما بضرب من التهديد والوعيد وساق الكلام إلى هنا. ثم أضرب عن الحكاية المذكورة وجوابها إلى إنكار فعلهم الذي هو أشنع من قولهم فقال: ﴿أم اتخذوا آلهة﴾ وقوله: ﴿من الأرض﴾ يجوز أن يتعلق بمحذوف هو صفة الآلهة أي عملوا وصنعوا آلهة كائنة من الأرض ومنسوبة إليها كما يقال: فلان من مكة بمعنى أنه منسوب إليها ومعنى نسبتها إلى الأرض كونها مستقرة عليها ومعبودة وهي عليها. ويجوز أن يتعلق «باتخذوا» بمعنى ابتدأوا اتخاذها من الأرض بأن صنعوها ونحتوها من بعض الحجارة أو من بعض جواهرها كالفضة والصفر، والمقصود منه على التقديرين تحقير المتخذ دون تخصيصه لأن المنكر حينئذ يكون عدم اتخاذهم الآلهة السماوية أي المستقرة عليها والمعمولة من إجرائها ولا وجه له. وقوله: ﴿هم ينشرون﴾ جملة منصوبة المحل على أنها صفة آلهة أي آلهة لا يقدر على إحياء الموتى إلا هم وحدهم. قرأ العامة «ينشرون» بضم الياء وكسر الشين، وقرىء بفتح الياء وضم الشين ونشر يكون لازمًا ومتعديًا يقال: أنشر الله الميت أي أحياه فنشر نشورًا ونشره نشرًا بمعنى أنشره إنشارًا. والإنكار عليهم باتخاذهم الآلهة التي تنفرد بإحياء الموتى يدل على أنهم يعتقدون أن آلهتهم تحيي الموتى بل تستقل في ذلك وهم لا يعتقدون ذلك، كيف وأنهم ينكرون البعث رأسًا فضلاً عن أن تكون الأصنام قادرة عليه مستقلة عليه إلا أن ادعاءهم الإلهية في حقها لما استلزم اعتقادهم بذلك صح أن ينكر عليهم بذلك اللازم على طريق التجهيل والتهكم. ثم إنه تعالى لما أنكر عليهم اتخاذهم الآلهة استدل على بطلانه بقوله: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ أي لو فرض ذلك وقدر كما قدر المستحيلات لفسد ما خلقناه بالحق كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦] قال أهل النحو في قوله تعالى: ﴿إلا الله لفسدتا﴾: «إلا» ههنا بمعنى غير

لاختصاص الإنشار بهم. ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ غير الله وصفت بـ «إلا» لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها، ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه، والمراد ملازمته لكونها مطلقًا أو معه حملاً لها على غير كما استثنى بغير

صفة للنكرة قبلها إلا أنه لما تعذر الإعراب فيها جعل ما استحقته من الرفع على ما بعدها. والمعنى: لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة شتى غير الواحد الذي فطرهما لفسدتا. ولا يجوز أن تكون «إلا» للاستثناء لأنا لو حملناها على الاستثناء لكان المعنى: لو كان فيهما آلهة مستثنى منهم الله لفسدتا. وهذا يوجب بطريق المفهوم أنه لو كان فيهما آلهة معهم الله لا يحصل الفساد وذلك باطل لأنه لو كان فيهما آلهة سواء كان الله معهم أو لم يكن معهم فالفساد لازم ولما بطل حملها على الاستئناف ثبت ما ذكرنا، وهو أن المعنى: لو كان في السماء والأض آلهة غير الله لخربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع من الآلهة فإن كل أمر صدر عن اثنين فصاعدًا لا يبقى على نظام واحد. وانتفاء الفساد اللازم للتعدد دليل على انتفاء الملزوم وهو التعدد، لكن في هذه الملازمة وفي انتفاء الثاني نوع خفاء لأنه إن أريد بالفساد الفساد بالفعل أي خروجهما بالفعل عن هذا النمط المشاهد فهذا لا يلزم من مجرد التعدد بل يلزم من تحقق التخالف والتمانع، ومجرد التعدد لا يقتضي التمانع لجواز التوافق. وإن أريد إمكان الفساد فالملازم مسلمة ضرورة أن اجتماع القادرين على معلول واحد يستلزم إمكان تمانعهما المستلزم لإمكان فساد المعلول، لكن لا نسلم بطلان التالي إذ لا دليل على امتناع الفساد بل النصوص شاهدة على وقوعه كقوله تعالى: ﴿إذا السماء انشقت وإذا النجوم انكدرت ويوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ فظهر أن حجة الآية إقناعية والملازمة عادية على ما هو اللائق بالخطابيات. فإن العادة جارية بتحقق التغالب والتمانع عند تعدد الحكام والملوك على ما أشير إليه بقوله: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] وأشار المصنف إلى أن المراد بالفساد الفساد بالفعل وجعل الملازمة مبنية على امتناع التوافق بناء على أنه يستلزم اجتماع قدرتين مستقلتين على مقدور واحد، وقد بيّن استحالته في الكلام.

قوله: (لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها) فإن ما قبلها جمع منكر والجمع إذا كان نكرة لا يستثنى منه عند جماعة من المحققين إذ لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء. ثم استدل على تعذر الاستثناء بأنه يدل على خلاف المراد، وبيانه أن الاستثناء قيد للحكم المتعلق بالمستثنى منه فيكون الشرط فيهما كون آلهة بقيد أن لا تكون معه تعالى فيكون الفساد لازمًا لكون الآلهة فيهما دونه تعالى. **قوله:** (حملاً لها) علة لقوله وصف بألا يعني أن الأصل في «إلا» الاستثناء وفي غير الصفة. وقد يحمل كل واحد

حملاً عليها. ولا يجوز الرفع على البدل لأنه متفرع على الاستثناء ومشروط بأن يكون في كلام غير موجب. ﴿لَفَسَدَتَا﴾ لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع، فإنها إن توافقت في المراد تطاردت عليه القدر، وإن تخالفت فيه تعاوقت عنه. ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾ المحيط بجميع الأجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ التقادير. ﴿عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد. ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالألوهية والسلطنة الذاتية. ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ لأنهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة أو للعباد.

منهما على الآخر. **قوله**: (لأنه متفرع على الاستثناء) أي لأن البدل فيما بعد إلا مشروط بصحة الاستثناء وقد ثبت تعذر الاستثناء. ولأنه قد تقرر أن الواقع بعد «إلا» غير الصفة إذا وقع في كلام موجب يجب نصبه وأن البدل إنما يجوز في كلام غير موجب. وكلمة «لو» إذا دخلت في الكلام الموجب لا تجعله منفيًا كما لا تجعله كلمة «أن» منفيًا من حيث إن كل واحدة منهما لمجرد الملازمة، فلما لم يكن الكلام غير منفي بدخول «لو» عليه لم يجز البدل فيما بعد إلا الواقع فيه. والسر فيه أن ما بعد «إلا» لو جعل بدلاً في الكلام لكان الاستثناء من أعم العام في طرف الإثبات، وهو ممتنع فيه ولا يمتنع في طرف النفي فإنه يصح أن يقال: ما في الدار إلا زيد ولا يصح أن يقال: كان في الدار إلا زيد، لأنه يستلزم أن يكون في الدار جميع الأشياء إلا زيد وهو ممتنع. فلو حمل ما بعد «إلا» في هذه الآية على البدل لرجع المعنى إلى قولنا ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ لأن المبدل منه في الحكم المطروح فيقع الاستثناء من أعم العام في طرف الإثبات. ثم إنه تعالى لما أقام الدليل الدال على وحدانيته فرع عليه كونه منزهًا عما يصفه المشركون فقال: ﴿فسبحان الله﴾ وأدرج تقريعهم في زعم كون الجماد الذي لا يعقل ولا يحس شريكًا في الإلٰهية لرب العرش العظيم ولمن هو القاهر فوق عباده. **قوله**: (لا يسأل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه) وكون أفعاله مبنية على القدرة الكاملة والحكمة البالغة فلا مساغ لسائل أن يقول له: لم فعلت هذا: على طريق طلب حكمة فعله وذلك لأنه تعالى حكيم بذاته لا يخرج فعله عن الحكمة وإنما يسأل عن حكمة فعله من يحتمل فعله السفه، وأما من لا يحتمل فعله إلا الحكمة فإنه لا يمكن أن يسأل لم فعلت؟ وقيل: معناه لا يسأل عما يفعل على وجه الاحتجاج عليه وإن جاز أن يسأل على وجه استكشاف الحكمة كقوله تعالى: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٥] واستدل أهل السنة على أنه تعالى لا يسأل عما يفعل بأنه تعالى فاعل كل شيء ولا علة لفعله، لأنه لو فعل لغرض لا يخلو إما أن يكون وجود ذلك الغرض وعدمه بالنسبة إليه على السواء أو لا يكون فإن كان على السواء استحال أن يكون غرض ولمّا لم يكن على

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ كرره استعظامًا لكفرهم واستفظاعًا لأمرهم وتبكيتًا وإظهارًا لجهلهم. أو ضمًّا لإنكار ما يكون لهم سندًا من النقل إلى إنكار ما يكون لهم دليلاً من العقل على معنى: أوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الألوهية. أو وجدوا في الكتب الإلهية الأمر بإشراكهم فاتخذوهم متابعة للأمر. ويعضد ذلك أنه رتب على الأول ما يدل على فساده عقلاً وعلى الثاني ما يدل على فساده نقلاً. ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ على ذلك إما من العقل أو من النقل، فإنه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلاً ونقلاً؟ ﴿هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها إلا الأمر بالتوحيد والنهي عن الإشراك والتوحيد؟ لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وإنزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معي أمته ومن قبلي الأمم المتقدمة. وإضافة الذكر إليهم لأنه عظتهم. وقرىء بالتنوين والإعمال وبه وبـ «من» الجارة على أن «مع» اسم هو ظرف كقبل وبعد وشبههما وبعدمها ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ ولا يميزون بينه

السواء لزم كونه تعالى ناقصًا في ذاته وكاملاً بغيره وذلك محال، فإن قلت: وجود ذلك الغرض وعدمه وإن كان بالنسبة إليه على السواء إلا أن وجوده أولى من عدمه بالنسبة إلا العباد. فالجواب: أن تحصيل ما هو الأولى في حق العباد إن كان مساويًا لعدم تحصيله بالنسبة إليه لا يكون غرضًا له وإن كان تحصيله أولى يكون مستكملاً بالغير وهو محال. **قوله:** (من الكتب السماوية) حال من قوله تعالى: ﴿ذكر من معي وذكر من قبلي﴾ والعامل فيه معنى التنبيه أو الإشارة المدلول عليهما بقوله: ﴿هذا﴾ وأراد به الإشارة إلى الموجود بين أظهرهم من الكتب الثلاثة: القرآن والتوراة والإنجيل والقرآن، ذكر وعظة لمن اتبعه عليه الصلاة والسلام إلى يوم القيامة والتوراة والإنجيل ذكر للأمم المتقدمة استدل بهذه الكتب على صحة التوحيد وهي إنما تتوقف على وجود الإله فلا دور. **قوله:** (وقرىء بالتنوين والإعمال) العامة على إضافة «ذكر» إلى «من» الموصولة إضافة المصدر إلى مفعوله كقوله: بسؤال نعجتك. وقرىء ذكر بالتنوين فيهما و «من» بفتح الميم وسكون النون منصوب بأنه مفعول له بالمصدر كقوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا﴾ [البلد: ١٤، ١٥] وقرىء «ذكر» بالتنوين فيهما و«من» بكسر الميم وهو قول المصنف وبه وبـ «من» الجارة على أن «معي» اسم بمعنى عندي و«من قبلي» أي جئت به كما جاء به الأنبياء من قبلي. **قوله:** (وبعدمها) أي وقرىء «هذا ذكر معي وذكر قبلي» بالتنوين فيهما بدون «من». **قوله تعالى:** (بل أكثرهم لا يعلمون الحق) أي رأساً إضراب عن قوله: ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ لكونه أدخل في تضليلهم فإن من انتفى عنه العلم رأسًا وكان بحيث لا يميز بين الحق والباطل مطلقًا لا يقبل الإلزام

وبين الباطل. وقرىء «الحق» بالرفع على أنه خبر محذوف وسط للتأكيد بين السبب والمسبب. ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ عن التوحيد واتباع الرسول من أجل ذلك ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ التعميم بعد تخصيص فإن ذكر من قبلي من حيث إنه خبر لاسم الإشارة مخصوص بالموجود بين أظهرهم وهو الكتب الثلاثة. قرأ حفص وحمزة والكسائي «نوحي» بالنون وكسر الحاء، والباقون بالياء وفتح الحاء.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ نزلت في خزاعة حيث قالوا: الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيه له عن ذلك ﴿بَلْ عِبَادٌ﴾ بل هم عباد من حيث إنهم مخلوقون وليسوا بأولاد. ﴿مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ مقربون. وفيه تنبيه على مدحض القوم. وقرىء بالتشديد. ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ لا يقولون شيئًا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين. وأصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق إليه وإليهم وجعل القول محله وأداته تنبيهًا

بأن يقال له: لا يصح القول بما لا دليل عليه. فإن من يبرهن يدل على صحة مذهبه وإلا فلا يحم حول ذلك. **قوله:** (وسط للتأكيد) يعني أن قوله: «هو الحق» جملة معترضة وسطت بين السبب الذي هو الجهل والمسبب الذي هو الإعراض تأكيدًا لسببية الأول للثاني. والحكم بالسببية مستفاد من الفاء في قوله: ﴿فهم معرضون﴾ كأنه حكم أولاً بأن إعراضهم بسبب الجهل، ثم قال الحكم بأن إعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل. والعامة على نصب «الحق» على أنه مفعول به للفعل الذي قبله. ويجوز أن يكون انتصابه على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي قبله كما تقول: هذا عبد الله الحق. وعلى قراءة الرفع يكون قوله: «لا يعلمون» مطلقًا غير مقيد بالمتعلق على طريق قولك: فلان يعطي ويمنع فإذا وقف على قوله: ﴿لا يعلمون﴾ كان جائزًا من حيث اللفظ وإذا وقف على ﴿معرضون﴾ كان الوقف تامًا من حيث المعنى، لأن السبب والمسبب كالشيء الواحد. وقرأ حمزة والكسائي وحفص «نوحي» بالنون وكسر الحاء على التعظيم على وفق قوله: ﴿أرسلنا﴾ وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء على البناء للمفعول. وهذه الآية مقررة لما سبق من آيات التوحيد لكونها من قبيل التعميم بعد التخصيص. **قوله:** (**الملائكة بنات الله**) وأضافوا إلى ذلك أنه تعالى صاهر سروات الجن فولدت له الملائكة.

قوله: (**على مدحض القوم**) أي على موضع زلة من زعم أنهم بنات الله فإنهم لما رأوهم مكرمين مقربين لهم صفات فاضلة ليست لغيرهم زلقت أرجلهم من هذا الموضع، وزعموا أنهم أولاد الله وغفلوا عن كونهم عبادًا مقربين منقادين لله تعالى وأنه تعالى منزه عن اتخاذ الصاحبة والولد، كما أنه منزه عن أن يكون له شريك في ملكه وألوهيته. **قوله:** (**تنبيهًا**

على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله. وأُنيب اللام عن الإضافة اختصارًا وتجانبًا عن تكرير الضمير. وقرىء «لا يسبقونه» بالضم من سابقته فسبقته أسبقه ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ لا يعملون قطّ ما لم يأمرهم به ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ لا يخفى عليه خافية مما قدموا وأخروا، وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده، فإنهم لإحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراقبون أحوالهم ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ أن يشفع له مهابة منه. ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ﴾ عظمته ومهابته ﴿مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ مرتعدون. وأصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء. والإشفاق

على استهجان السبق المعرض به للقائلين) وجه التعريض أنه تعالى لما قال: ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ فهم منه بقرينة السياق والمقام أن هناك من صدر عنه السبق بالقول وهم الذين قالوا على الله ما لم يقله أحد له أدنى علم وعقل من أن له تعالى شريكًا وولدًا ونحو ذلك. ونسب السبق المنفي إليه تعالى وإليهم تنبيهًا على أن السبق المثبت المعرض به وإن كان سبق قولهم قوله: إلا أنه بمنزلة سبق أنفسهم عليه تعالى في الهجنة والقباحة. والذي يدل على هذا التهجين أن يقال: لا يسبقونه بقولهم إلا أنه أنيب اللام عن الإضافة اختصارًا في المعنى بترك التعرض للمضاف إليه. وقرىء «لا يسبقونه» بضم الباء على أنه مضارع سبقه أي غلبه في السبق، ومضارع فعل المبالغة مضموم العين مطلقًا يقال: سابقه فسبقه يسبقه فالسبق المنفي على هذه القراءة هو السبق على طريق المبالغة على معنى أن تكلفوا بأن يغلبوه في السبق بالقول لا تساعدهم فيه نفوسهم وتأبى عنه عقولهم لما ركز في قلوبهم من الخشية المسببة عن معرفة جلال الله وعظمته. ثم إنه تعالى بعدما بيّن أن قولهم تابع لقوله وأنه لا يسبق قولهم قوله، بيّن أن عملهم أيضًا تابع لأمره لا يعملون عملاً ما لم يؤمروا به، ومن كانوا في نهاية الخضوع وكمال العبودية بهذا الحد كيف يكونون آلهة وأولادًا؟ وكذا الخشية والإشفاق المذكوران يعدان من صفات العبيد فلا يكون الموصوف بهما إلهًا واحدًا. **قوله: (وهو كالعلة لما قبله)** يعني أنه استئناف لبيان ما دعاهم إلى ما ذكر من كمال الخضوع بحيث يكون قولهم تابعًا لقوله وعملهم تابعًا لأمره. والمعنى: أنهم لما علموا كونه تعالى عالمًا بجميع المعلومات يجازي كل نفس حسب عملها علموا كونه تعالى عالمًا بظواهرهم وبواطنهم، فكان ذلك داعيًا لهم إلى ما ذكر من كمال الخضوع ومراقبة الأقوال والأعمال. وهو أيضًا كالتمهيد لقوله تعالى: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ لأن علمهم بذلك يقتضي كمال التأدب وقوله: ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ أي ما قدموه من أعمالهم ﴿وما خلفهم﴾ أي وما هم عاملون إياه بعد وقيل: على العكس. **قوله تعالى: (وهم من خشيته)** أي من خشيتهم منه فأضيف المصدر إلى مفعوله «مشفقون» وجلون خائفون فلا يقصرون في عبادة الله تعالى،

خوف مع اعتناء فإن عدي بـ «من» فمعنى الخوف فيه أظهر. وإن عدي بـ «على» فبالعكس ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ من الملائكة أو من الخلائق ﴿إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدّعي الربوبية ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ من ظلم بالإشراك وادّعاء الربوبية.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أوَلم يعلموا. وقرأ ابن كثير بغير واو. ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ ذات رتق أو مرتوقتين، وهو الضم والالتحام أي كانتا شيئًا واحدًا وحقيقة متحدة. ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ بالتنويع والتمييز أو كانت السمٰوات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت أفلاكًا، وكانت الأرضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها وأحوالها طبقات أو أقاليم. وقيل: كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج. وقيل: كانتا رتقًا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات. فيكون المراد بالسمٰوات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق، أو السمٰوات بأسرها على أن لها مدخلاً ما في الأمطار. والكفرة

والمؤمنون يخافون الله تعالى من كثرة ذنوبهم. روي أنه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل ليلة المعراج ساقطًا كالحلس من خشية الله تعالى. والخشية والإشفاق متقاربان في المعنى والفرق بينهما أن المنظور إليه في الخشية جانب المخشي منه وهو عظمته ومهابته، وفي الإشفاق جانب الخائف وهو الاعتناء بشأنه وعدم الأمن من أن يصيبه مكروه. ثم إن الإشفاق يتعدى بكل واحد من كلمتي «من» و «على» يقال: أشفق عليه وهو مشفق منه أي حذر، فإن عدى بـ «من» يكون معنى الخوف فيه أظهر من معنى الاعتناء، وإن عدى بـ «على» يكون معنى الاعتناء أظهر من معنى الخوف.

قوله: (أولم يعلموا) يعني أن الرؤية قلبية وأن «مع» ما في حيزها سادة مسد المفعولين وليست بصرية لأنهم ما رأوها كذلك البتة. قال تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٥١] أورد الله تعالى ههنا ستة أنواع من الدلائل الدالة على كمال قدرته وباهر حكمته تأكيدًا لدليل وحدانيته وتقرير البرهان تنزهه عن الشركاء والأنداد، فإن من قدر على تحصيل هذا الترتيب العجيب في هذا العالم كيف يصح أن يكون له شريك في ألوهيته وملكه؟. والرتق مصدر بمعنى الضم والالتحام فقوله: «السمٰوات والأرض رتق» من قبيل: رجل عدل ولذلك قال: «ذات رتق أو مرتوقتين» ولم يقل: كانتا رتقتين لأن المصدر لا يثنى ولا يجمع كقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: ٨] واختلف المفسرون في وجه فتقهما بعد الالتحام؛ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المعنى: كانتا شيئًا واحدًا ملتزقة إحداهما بالأخرى، ففصل الله تعالى بينهما

وإن لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرًا، فإن الفتق عارض مفتقر إلى مؤثر واجب ابتداء أو بوسط، أو استفسارًا من العلماء ومطالعة الكتب. وإنما قال «كانتا» ولم

ورفع السماء إلى حيث هي وأقر الأرض. وأشار المصنف إليه بقوله: «كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج» وهو ما قيل: إنه تعالى خلق الأرض في موضع بيت المقدس على هيئة النهر عليها دخان لازق بها فاصعد الدخان وخلق منه السمٰوات، وأسكن النهر في موضعه وخلق منه الأرض وبسطها. قال كعب: خلق الله السمٰوات والأرض ملتصقتين ثم خلق ريحًا توسطهما ففتقهما به. وقيل: المعنى كانت السمٰوات طبقة واحدة ففتقها بالتحريكات المختلفة فجعلها سبع سمٰوات وكذلك كانت الأرض طبقة واحدة ففتقها باختلاف كيفياتها وأحوالها فجعلها سبع أرضين. وقيل: المعنى كانت شيئًا واحدًا وحقيقة متحدة ففتقها بالهيبة كما جاء في الحديث المشهور: «أول ما نظر إليها نظر الرحمة ارتعدت فجمد نصفها فخلق منه العرش، فاضطرب فكتب عليه لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله فسكن العرش وترك الماء يرتعد على حالته، إلى يوم القيامة». وذلك قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] ثم حصل من تلاطم الماء أدخنة متراكمة بعضها على بعض وزبد فخلق منه السمٰوات والأرض طباقًا وكانتا رتقًا، فخلق الريح ففتق بين طباق السمٰوات وطباق الأرض ثم جمد ذلك الزبد على وجه الماء ودخى فصار أرضًا بقدرته. وقيل: المعنى أن السمٰوات كانت رتقًا مستوية صلبة لا تمطر وكذا الأرض كانت رتقًا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات ففتق السماء وهي أشد الأشياء وأصلبها بألين الأشياء وهو الماء، وكذلك فتق الأرض بألين الأشياء وهو النبات مع شدتها وصلابتها، فالآية على هذا القول نظير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ [الطارق: ١١، ١٢] ورجح هذا القول بقوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] وذلك لا يليق إلا إذا كان للماء تعلق بما تقدم ولا يكون كذلك إلا إذا كان المراد بالرتق والفتق ما ذكرنا. فإن قيل: هذا الوجه مرجوح لأن المطر لا ينزل من السمٰوات بل من سماء واحدة وهي سماء الدنيا، أجيب بأنه أطلق لفظ الجمع على سماء الدنيا لأن كل قطعة منها سماء كما يقال: ثوب أخلاق وبرمة أعشار. ويجوز أن يراد بلفظ الجمع السمٰوات بأسرها وجعلها مفتوحة مفتوقة بالمطر مبني على أن لها مدخلاً في الأمطار، ففتق السمٰوات والأرض بعدما كانتا رتقا على أي معنى كان هو الدليل الأول من الدلائل الستة المذكورة في هذه الآية. **قوله:** (**فإن الفتق عارض**) لأنه من جملة الممكنات والممكنات بأسرها حادثة مفتقرة إلى مخصص يخصص أحد طرفيها بالوقوع. **قوله:** (**وإنما قال كانتا**) يعني ثنى الضمير الراجع إلى الجمع باعتبار أن المرجوع إليه جماعتان.

يقل كن لأن المراد جماعة السمٰوات وجماعة الأرض. وقرىء «رتقًا» بالفتح على تقدير شيئًا رتقًا أي مرتوقًا، كالرفض بمعنى المرفوض. ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥] وذلك لأنه من أعظم مواده في التركيب، أو لفرط احتياجه إليه وانتفاعه به يعينه، أو صيّرنا كل شيء حيّ بسبب من الماء لا يحيى دونه. وقرىء «حيًا» على أنه صفة «كل» أو مفعول ثانٍ والظرف لغو والشيء مخصوص بالحيوان. ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٠﴾ مع ظهور الآيات

قوله: (وقرىء رتقًا بالفتح) أي بفتح التاء فإن كان مصدرًا على وزن طلب، فوجه الإخبار به عن المثنى ظاهر. واختار المصنف أنه فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض، والنقض بمعنى المنقوض، فكان ينبغي أن يطابق المخبر عنه في التثنية إلا أنه أفرد بناء على أنه صفة موصوف محذوف مفرد في اللفظ. والتقدير: كانت أشياء رتقًا وقوله تعالى: ﴿وجعلنا﴾ يحتمل أن يكون بمعنى «خلقنا» فيتعدى إلى واحد وهو ﴿كل شيء﴾ «وحي» صفة «شيء» و«من» ابتدائية متعلقة بالفعل المذكور قبلها، فإن أريد بالماء النطفة يكون جعلها مبدأ خلق الحيوان ظاهرًا كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥] وإن أريد بالماء حقيقة الماء الذي هو أحد العناصر يكون جعلها مبدأ مجازًا كما في قوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] بأن شبّه جعل الله تعالى كل حيوان مفرط الاحتياج إلى الماء محبًا له قليل الصبر عنه بخلقه إياه من الماء. ثم قيل: جعلناه وأنشأناه منه بمعنى جعلناه شديد الاحتياج إليه بحيث لا يعيش بدونه، فيكون جعلنا استعارة تصريحية تبعية. ويحتمل أن يكون بمعنى «صيرنا» فيتعدى إلى اثنين ثانيهما من الماء، فعلى هذا كلمة «من» اتصالية والمعنى: صيرنا كل حي متصلاً بالماء ملابسًا له كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧] أي مشتبك ببعض متصل به لا ينفك عنه وإنما جعلت اتصالية لأن من الماء إذا جعل مفعولاً ثانيًا لجعل، وجب أن يكون مفعوله الأول متصلاً بالثاني ولا يتأتى ذلك إلا بكونها اتصالية يقال: هذا بسبب منه أي ملابسه ومخالطه لا ينفك عنه، ولكون الشيء بسبب الغير يستلزم الملابسة والاتصال القوي بينهما فسر المصنف قوله تعالى: ﴿من الماء﴾ بقوله: «بسبب من الماء» إلا أن «من» في كلامه بيانية لا اتصالية. وكذا يحتمل الأمرين على تقدير أن يكون حيًا منصوبًا على أنه صفة «كل» وإن نصب على أنه مفعول ثانٍ يتعين كونه بمعنى صيرنا، وكون الشيء مخصوصًا بالحيوان سواء أريد به الجسم الحساس المتحرك بالإرادة أو ما يعم النبات لأنه يصير ناميًا ذا رطوبة وخضرة ونور وثمر بسبب الماء، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الروم: ٥٠] وهذا هو الدليل الثاني من الدلائل المذكورة في هذه الآية. أخبر الله تعالى أن

﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ ثابتات، من رسا الشيء إذا ثبت. ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ كراهة أن تميل بهم وتضطرب. وقيل: لأن لا تميد فحذف «لا» لأمن الإلباس. ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ في الأرض أو الرواسي ﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾ مسالك واسعة. وإنما قدم «فجاجًا» وهو وصف له ليصير حالاً فيدل على أنه حين خلقها خلقها كذلك، أو ليبدل منها «سبلاً» فيدل ضمنًا على أنه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد. ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾ إلى مصالحهم ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ من الوقوع بقدرته أو الفساد والانحلال إلى الوقت المعلوم بمشيئته، أو استراق السمع بالشهب ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾ أحوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة ﴿مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ غير متفكرين.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ بيان لبعض تلك الآيات ﴿كُلٌّ

السمٰوات والأرض كانتا رتقًا ففتق منهما أرزاقهم، ثم ذكر أنه جعل بالماء حياتهم، ثم ذكر أنه جعل لهم الأرض بحيث تقر بأهلها وتسكن بهم بأن أثبت عليها الجبال الراسيات، ثم ذكر أنه جعل لهم فيها سبلاً فجاجًا ليهتدوا بها إلى مصالحهم التي جعلت لهم في البلاد النائية. وذكر أيضًا نعمته في رفع السماء بلا عمد وحفظها من أن تسقط عليهم، وذكر أيضًا نعمته فيما جعل لهم من الليل والنهار والشمس والقمر وما فيها من المنافع الراجعة إليهم ليتذكروا أن من قدر على هذه الأمور العظيمة وأنعم عليهم بأتم النعم البديعة منزّه عن الشريك والولد وأنه إلٰه واحد وسلطان عزيز صمد. **قوله**: **(كراهة أن تميل)** يعني أن قوله: ﴿أن تميد﴾ مفعول له إما بتقدير المضاف أو بحذف لام العلة و«لا» النافية، فحذف ما حذف لعدم الالتباس. قال ابن عباس: إن الأرض بسطت على وجه الماء فكانت تميد بأهلها كما تميد السفينة على الماء فأرساها الله تعالى بالجبال الثوابت كما ترسى السفينة بالمرساة.

قوله: **(مسالك واسعة)** يعني أن أصل التركيب: وجعلنا فيها سبلاً فجاجًا على أن «سبلاً» هو المفعول و«فجاجًا» صفة، فلما قدم عليه انتصب حالاً ليدل على أنه تعالى حين خلق السبل فيها خلقها واسعة وذلك لأن الحال يدل على هيئة ذي الحال حتى تعلق العامل به. **قوله**: **(أو ليبدل منها)** أي ويجوز أن يكون «فجاجًا» هو المفعول و«سبلاً» بدلاً منه تفسيرًا للفجاج وبيانًا لكونها نافذة مسلوكة، فإن الفج قد يكون غير نافذ مع ما في البدل من التأكيد، والسابلة أبناء السبيل المختلفة في الطرقات. **قوله**: **(بيان لبعض تلك الآيات)** فإن خلق الليل والنهار متعاقبين وخلق الشمس والقمر والنجوم ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب، آيات باهرة دالة على وجود الصانع المدبر الحكيم.

﴿فِي فَلَكٍ﴾ أي كل واحد منهما، والتنوين بدل من المضاف إليه. والمراد بالفَلَك الجنس كقولهم: كساهم الأمير حلة ﴿يَسْبَحُونَ ٣٣﴾ يسرعون على سطح الفلك إسراع السابح على سطح الماء، وهو خبر «كل» والجملة حال من «الشمس» و«القمر»، وجاز انفرادهما

قوله: (والمراد بالفلك الجنس) جواب عما يقال: كيف يصح أن يقال: كل واحد من الشمس والقمر يسبح في فلك مع أن لكل واحد منهما فلكًا على حدة؟ فإن قولنا: كلهم في دار مثلاً وإن احتمل أن يكون المراد منه كل واحد منهم في دار على حدة إلا أنه خلاف المتبادر، والمتبادر أن يكونوا مجتمعين في دار واحدة، وتبادر هذا المعنى إلى الفهم أمارة لكون اللفظ حقيقة فيه، وتقرير الجواب كون كل واحد منهما في فلك على حدة لما كان ثابتًا بالرصد كان ذلك قرينة صارفة عن حمل لفظ في فلك على الواحد بالشخص، فتعين حمله على الواحد بالجنس كما يحمل عليه لفظ حلة بقرينة امتناع أن يكسي الجماعة حلة واحدة بالشخص. وقوله: ﴿يسبحون﴾ استعارة تبعية تشبيهًا لإسراع كل واحد منهما على سطح الفلك بإسراع السابح على سطح الماء وضمير الجمع فيه لكل واحد منهما، وإن كان واحدًا بالشخص إلا أنه أعيد إليه ضمير الجمع لتعدده باعتبار المطالع. واحتج أبو علي بن سينا على كون الكواكب أحياء ناطقة بقوله تعالى: ﴿يُسبحون﴾ وبقوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] قال: الجمع بالواو والنون لا يكون إلا للأحياء العقلاء العالمين. والجواب عنه ما أشار إليه المصنف من أنه لما أسند إليهم ما هو من أفعال العقلاء فعبّر عنهم بضمير العقلاء وهو السباحة والسجود نزلن منزلة العقلاء فعبّر عنهن بضمير العقلاء، ولما جعل «يسبحون» خبر «كل» وجعل جملة ﴿كل في فلك يسبحون﴾ حالاً من الشمس والقمر، ورد أن يقال: كيف جاز أن يختص المعطوف بكونه ذا حال مع أن الحال قيد في متعلق العامل في ذي الحال، والعامل كما تعلق بالشمس والقمر تعلق بالليل والنهار أيضًا؟ فينبغي أن يكون مضمون الجملة الحالية قيدًا في المتعلق بالجميع. فأجاب عنه بقوله: وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس» لظهور أن السباحة في الفلك إنما تكون للشمس والقمر دون الليل والنهار كما تقول: رأيت زيدًا وهندًا متبرجة أي مظهرة زينتها. واختلف الناس في حركات الكواكب، والوجوه الممكنة فيها ثلاثة: فإنه إما أن يكون الفلك ساكنًا والكواكب تتحرك فيه كحركة السمك في الماء الراكد، وإما أن يكون الفلك متحركًا والكواكب تتحرك فيه أيضًا إما مخالفة لجهة حركته أو موافقة لها. وإما بحركة مساوية لحركة الفلك في السرعة والبطء ومخالفة، وإما أن يكون الفلك متحركًا والكواكب ساكنة. قالت الفلاسفة: الرأي الأول باطل لأنه يوجب خرق الفلك وهو محال، وكذا الرأي الثاني فإنه أيضًا باطل لعين ما ذكر، فلم يبق إلا الاحتمال الثالث وهو أن يكون الكوكب مغروزًا في

بها لعدم اللبس والضمير لهما، وإنما جمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلاء لأن السباحة فعلهم. ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ نزلت حين قالوا: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠] وفي معناه قوله:

فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لإنكاره بعدما تقرر ذلك. ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما أنكره. ﴿وَنَبْلُوكُم﴾ ونعاملكم معاملة المختبر ﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ بالبلايا والنعم ﴿فِتْنَةً﴾ ابتلاء مصدر من غير لفظه ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر. وفيه إيماء بأن المقصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريرًا لما سبق.

الفلك واقفًا فيه والفلك يتحرك فيتحرك الكوكب تبعًا لحركة الفلك. قال الإمام: واعلم أن مدار هذا الكلام على امتناع الخرق وهو باطل بل الحق أن الاحتمالات كلها ممكنة والله تعالى قادر على كل الممكنات. والذي يدل عليه لفظ القرآن أن تكون الأفلاك واقفة والكواكب جارية فيها كما يسبح السمك في الماء.

قوله: (قالوا نتربص به ريب المنون) الريب ما يريبك من المكاره. والمنون الموت. والمعنى: ننتظر به أن تصيبه مكاره وحوادث تؤديه إلى الموت. فريب المنون الحوادث المهلكة من حوادث الدهر، والشماتة الفرح ببلية العدو. ولما كانوا يشمتون بموته عليه الصلاة والسلام أبطل الله تعالى شماتتهم بهذه الآية أي قضى الله أن لا يخلد بشرًا في الدنيا فكل من فيها عرضة للموت، فإذا كان الأمر كذلك فإن مت أنت أيبقى هؤلاء؟ فالهمزة في المعنى دخلت على الخلود لأنه هو المنكر بعد تقرر ذلك أي إن مت أفهم الخالدون فجيء بالهمزة لإنكار هذا المعنى. وأكد الله تعالى هذا الإنكار بقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥؛ الأنبياء: ٣٥] وآيات أخرى. وأشار المصنف إلى أن المراد بالنفس النفس الناطقة التي هي الروح الإنساني وأن موتها عبارة عن مفارقتها جسدها، وقدر المرارة المستعارة لما يصيب النفس من ألم المفارقة تشبيهًا له بالكيفية المطعومة وجعل الذوق ترشيحًا للاستعارة، فلا يرد ما ذكره الإمام من أن عموم كل نفس لا بد أن يراد منه الخصوص، فإن له تعالى نفسًا كما قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] مع أن الموت لا يجوز عليه، وكذا الجمادات لها نفوس وهي لا تموت فإنه إنما يتجه أن لو كان النفس بمعنى الذات وليس كذلك. روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: استأذن أبو بكر على رسول الله ﷺ وقد مات وسجي عليه الثوب، فكشف عن وجهه

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ ما يتخذونك إلا هزوًا مهزوءًا به ويقولون: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي بسوء. وإنما أطلقه لدلالة الحال فإن ذكر العدو لا يكون إلا بسوء ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بالتوحيد أو بإرشاده الخلق ببعث الرسل وإنزال الكتب رحمة عليهم أو بالقرآن ﴿هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ منكرون فيهم أحق بأن يهزأ بهم، وتكرير الضمير للتأكيد والتخصيص، ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر. ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ كأنه منه خلق لفرط استعجاله وقلة تأنيه كقولك: خلق زيد من الكرم، جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة في لزومه

ووضع فمه بين عينيه ووضع يده على صدغيه وقال: وانبياه واخليلاه واصفياه، صدق الله ورسوله ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت﴾ **ثم خرج إلى الناس فخطب وقال في خطبته: من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فإن رب محمد حي لا يموت. ثم قرأ** ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] **الآية. ثم إنه تعالى قرر القضاء بتسوية الأمر بين الخلق وبين وجه الحكمة فيه بأن المقصود من هذه الدنيا الابتلاء بالمكاره التي تسمى شرًا وهي المضار الدنيوية من الخوف والجوع، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات والشهوات العاجلة التي تسمى خيرًا كالنساء والبنين، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ليظهر ما في علمه من شكر الشاكرين على المنح وصبر الصابرين على المحن، ويتميزوا من أضدادهما ويجازى كل أحد على حسب ما وجد منه من الصبر والشكر ويعاقب على ما قصر فيه بترك ما وجب عليه منهما. وهذه المجازاة لما لم تسعها دار التكليف فلا بد من دار أخرى لا يصار إليها إلا بالموت والنشور، فلا بد لكل نفس أن تموت ثم تبعث فقال:** ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾ **ثم إنه تعالى رجع إلى تهجينهم وتقبيح حالهم التي هي استهزاؤهم بمعنى بعث صارفًا عن الغواية والعذاب الأليم داعياً إلى الهدى والنعيم المقيم مع أنهم مستحقون لأن يهزأ بهم فقال:** ﴿وإذا رآك الذين كفروا﴾ **الخ و«إن» في قوله:** ﴿إن يتخذونك﴾ **نافية وهي مع ما في حيزها جواب «أن» الشرطية و«هزؤا» مصدر وقع موقع اسم المفعول أي مهزوءًا به. والهزء السخرية والجملة الاستفهامية بعده محكية بقول مضمر معطوف على جواب الشرط أي: ويقولون أهذا الذي يذكر؟ قوله: (لدلالة الحال) فإنه يقال: فلان يذكر الناس ويراد أنه يغتابهم ويذكرهم بالعيوب، ويقال: فلان يذكر الله ويراد أنه يصف الله تعالى بالعظمة والجلال ويثني عليه بما هو أهله. ويطلقون فعل الذكر اعتمادًا على دلالة الحال والمقام. وجملة قوله:** ﴿وهم بذكر الرحمن هم كافرون﴾ **في موضع النصب على أنها حال من فاعل القول**

له. ولذلك قيل: إنه على القلب. ومن عجلته مبادرته إلى الكفر واستعجال الوعيد روي أنها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل العذاب. ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي﴾ نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الآخرة عذاب النار. ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ بالإتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها.

المقدر أو من فاعل «يتخذونك» أي يقولون ذلك وهم على هذه الحالة أو يتخذونك هزؤا وهم على حال هي أصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله الموجب للهزء والسخرية. والمصنف اختار الثاني حيث قال: «فهم أحق بأن يهزأ بهم». و«هم» الأولى مبتدأ و«كافرون» خبره و«بذكر» متعلق بالخبر والتقدير: وهم كافرون منكرون لذكر الرحمن، و«هم» الثانية تأكيد لفظي للأولى ليفيد الاختصاص ووقوع الفصل بين المبتدأ والخبر بمعمول الخبر. وإضافة الذكر إلى الرحمن إما من قبيل إضافة المصدر إلى مفعوله أي وهم بأن يذكروا الرحمن بما يجب من الوحدانية والتنزيه عن اتخاذ الشريك والصاحبة والولد ونحو ذلك، وإما من قبيل إضافته إلى الفاعل أي بأن يذكر الرحمن عباده بإرشادهم إلى الصراط المستقيم ببعث الرسل وإنزال الكتب. ويحتمل أن يكون المراد بالذكر القرآن المنزل الذي هو ذكر للعالمين وموعظة لهم. **قوله:** (ولذلك) أي وللاحتياج إلى التأويل في جعل العجل مبدأ لخلق الإنسان. قيل: إنه على القلب والمعنى: خلق العجل من الإنسان كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأحقاف: ٢٠] أي تعرض النار عليهم، وهو بعيد لأنه لما أمكن حمل الكلام على معنى صحيح وهو على ترتيبه لا وجه لأن يقال إنه مقلوب. روي عن ابن عباس أنه قال: نزلت الآية في النضر بن الحارث حين قال: اللهم ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية. **قوله:** (والنهي عما جبلت عليه نفوسهم) جواب عما يقال: كيف نهى عن الاستعجال الذي جبل عليه الإنسان والأمور الجبلية لا تنفك عن الإنسان، فالنهي عنها من قبيل تكليف ما لا يطاق وهو لا يقع بالنص؟ وتقرير الجواب أن الأمور الجبلية إنما تكون من لوازم الإنسان إذا خلى الإنسان ونفسه، وهو لا ينافي أن يكون تركها مقدورًا له بأن يتهم نفسه الأمارة بالسوء ويخالف هواها ويتبع الأدلة العقلية والسمعية. ألا ترى أنه تعالى ركب فيه الشهوة وأمره أن يغلبها بما أعطاه من القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة ونحوهما من الأمور الجبلية، وأنه تعالى جعل في وسعه رياضة نفسه حتى يصير صبورًا حليمًا بالرياضة وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩] الآية أخبر أنه تعالى خلقه جزوعًا منوعًا سحيحًا ثم قال: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ٢٢] فإن استثناء المصلين منهم يدل على أن الإنسان يتحول بالرياضة عن الحالة التي خلقه الله تعالى عليها إلى حالة أخرى.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ وقت وعد العذاب أو القيامة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ يعنون النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم. ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ محذوف الجواب و«حين» مفعول به «ليعلم» أي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون منه بقولهم: متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرًا يمنعها لما استعجلوا. ويجوز أن يترك مفعول «يعلم» ويضمر لـ «حين» فعل بمعنى: لو كان لهم علم لما استعجلوا ويعلمون بطلان ما عليهم حين لا يكفون. وإنما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما أوجب لهم ذلك.

قوله: (وقت وعد العذاب) أي وقت العذاب الموعود على أن الوقت المقدر مبتدأ و«متى» خبره قدم عليه فإنهم كانوا يستعجلون العذاب الموعود لمن أصرّ على الكفر والتكذيب ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ فأراد الله تعالى نهيهم عن الاستعجال وبيان أنه نازل بهم في الوقت المقدر له، فجعل ذم الإنسان على إفراط العجلة وبيان أنه مطبوع عليه ذريعة إلى نهيه وزجره عن الاستعجال فقولهم: ﴿متى هذا الوعد﴾ هو الاستعجال المذموم الذي أريد نهيهم عنه.

قوله: (تحيط بهم النار من كل جانب) إشارة إلى أن قوله: ﴿عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم﴾ عبارة عن جميع الجوانب كأنه قيل: من قدامهم وخلفهم وقوله لما استعجلوا جواب «لو» المقدر وحسن حذفه لأن ما تقدم يدل عليه. والمعنى: لكنهم استعجلوا لجهرهم بهول ذلك الحين وما فيه من العذاب المهين. **قوله**: (ويجوز أن يترك مفعول يعلم) أي مفعول لفظ يعلم الذي هو اسم علم ليعلم الذي هو اللفظ الدال على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة، لأنه لو أريد به مسمى لفظ يعلم ما وقع مضافًا إليه لأن الإضافة من خواص الاسم. وقد نص المحققون على أن كل لفظ وضع بإزاء معنى اسمًا كان أو فعلاً أو حرفًا فله اسم علم هو نفس ذلك اللفظ من حيث دلالته على اللفظ الذي يصدق عليه حد الاسم أو الفعل أو الحرف. ألا ترى أنك تقول: «خرج» فعل و«من» حرف فتجعل كل واحد من «خرج» و«من» محكومًا عليه مع استحالة كون الفعل والحرف مخبرًا عنه. فليتأمل. ويجوز أن ينزل «يعلم» منزلة اللازم مبالغة في تجهيل المستعجلين على معنى: لو كانوا من أولي العلم لما استعجلوا لكنهم استعجلوا لفرط جهلهم وعظم الجهل مستفاد من تنزيل يعلم منزلة اللازم، فإنه يدل على أنهم لا يعلمون شيئًا. فعلى هذا الوجه يكون «حين» منصوبًا بفعل مضمر أي حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون أنهم كانوا مبطلين في استعجالهم

﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ العدة أو النار أو الساعة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة مصدرًا وحال. وقرىء بفتح الغين. ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ فتغلبهم أو تحيرهم. وقرىء الفعلان بالياء والضمير للوعد أو لحين. وكذا في قوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ لأن الوعد بمعنى النار أو العدة والحين بمعنى الساعة. ويجوز أن يكون للنار أو للبغتة. ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ يمهلون. وفيه تذكير بإمهالهم في الدنيا. ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾ وعد له بأن ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء ما فعلوا يعني جزاءه. ﴿قُلْ﴾ يا محمد للمستهزئين ﴿مَن يَكْلَؤُكُم﴾ يحفظكم ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ﴾ من بأسه إن أراد بكم. وفي لفظ «الرحمٰن» تنبيه على أن لا كالىء غير رحمته العامة وأن اندفاعه بها بمهلته ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾ لا يخطرونه ببالهم فضلاً عن أن يخافوا بأسه حتى إذا كلئوا منه عرفوا الكالىء وصلحوا للسؤال عنه.

وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم، فتكون هذه الجملة كلامًا مستأنفًا فإنه لما نفى عنهم العلم رأسًا بأن قال: ﴿لو يعلم الذين كفروا﴾ توجه أن يقال متى يعلمون ويزول عنهم هذا الجهل العظيم؟ فأُجيب بقوله: ﴿حين لا يكفون﴾ فكان العامل في «حين» ما يدل عليه قول القائل: متى يعلمون؟ **قوله:** (بل تأتيهم العدة) على أن يكون الضمير المؤنث في تأتيهم للوعد لكونه في معنى العدة أو للنار أو للحين، لأنه في معنى الساعة. وانتصاب «بغتة» إما على المصدرية لأن البغت نوع من الإتيان أو الحالية من فاعل تأتيهم أي باغتة. يقال: بغته أي فجأه ولقيته بغتة أي فجأة. والمباغته المفاجأة. وقوله تعالى: ﴿بل تأتيهم﴾ إضراب انتقال حكى الله تعالى أنهم يستعجلون العذاب الموعود ويقولون: ﴿متى هذا الوعد﴾ وبيّن أن سبب ذلك الاستعجال هو عدم علمهم بهول وقت وقوعه وما فيه من العذاب الشديد. ثم اضرب وانتقل من بيان السبب إلى بيان كيفية وقوع الموعود فقال: ﴿بل تأتيهم بغتة﴾ ولما كان استعجالهم ذلك بطريق الاستهزاء وكان عليه الصلاة والسلام يتأذى ويتحرج من استهزائهم نزل قوله تعالى: ﴿ولقد استهزىء﴾ الآية تسلية له عليه الصلاة والسلام وقوله أولا: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنبياء: ٣٩] الآية لا يخلو أيضًا عن التسلية ودفع الحزن عن قلبه المنير، فإن بيان ما لصاحب هذا الاستهزاء من العذاب الشديد يفيد تسلية المهزوء به وإزالة حزنه لا محالة.

قوله تعالى: (ما كانوا به يستهزئون) أي جزاء ما كانوا فكأنه قيل: سيصيبهم جزاء استهزائهم كما أصاب جزاء استهزاء من قبلهم بأنبيائهم فلا تبال باستهزائهم، وكن متسليًا فارغ البال. ثم إنه تعالى لما بيّن استحقاقهم لما أصاب الأولين وأنه سيصيبهم لا محالة مثل ما أصاب الأولين وأن عدم إصابة ذلك إياهم عاجلاً إنما هو لحفظه وكلاءته حيث أمهلهم مدة

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ﴾ بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا أو من عذاب يكون من عندنا. والإضرابان عن الأمر بالسؤال على الترتيب فإنه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه أبعد. ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ استئناف بإبطال ما اعتقدوه فإن ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره؟ ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُۗ﴾ إضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعي إلى حفظهم، وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من الأعمار، أو عن الدلالة على بطلانه ببيان ما أوهمهم ذلك وهو أنه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وأمهلهم حتى طالت أعمارهم فحسبوا أنْ لا يزالوا كذلك وأنه بسبب ما هم عليه. ولذلك عقبه بما يدل على أنه أمل كاذب فقال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ أرض الكفرة ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ﴾ بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على أيدي المسلمين ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾

بمقتضى رحمته العامة ومشيئته وحكمته الباهرة، أمره عليه الصلاة والسلام أن يسألهم عن الكالىء ليقروا وينتبهوا على أنهم في قبضة قدرة الله تعالى مسخرون لحكمته ومشيئته لينتهوا عن الاستهزاء والتكذيب، ويتمسكوا بحبل الطاعة والتصديق. ثم أضرب عن ذلك الأمر بقوله: ﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾ أي دعهم عن هذا السؤال لأنهم لا تصلحون له لإعراضهم عن ذكر الله تعالى فلا يخطرونه ببالهم حتى يخافوا بأسه، ثم إذا رزقوا الكلاءة من عذابه عرفوا أن الحافظ هو الله تعالى وحده وصلحوا للسؤال عنه. ثم أضرب عن أمر التسجيل عليهم بأنهم لا يصلحون للسؤال إلى ما هو أهم وهو الإنكار عليهم فيما زعموا أن لهم آلهة تنصرهم وتمنعهم مما استحقوا من العذاب منعًا يتجاوز منعنا وحفظنا. على أن قوله تعالى: ﴿من دوننا﴾ صفة مصدر محذوف والذي أضيف إليه دون أيضًا محذوف، وتقدير الكلام: تمنعهم منعًا كائنًا من دون منعنا أي من غير منعنا. ويحتمل أن يكون ﴿من دوننا﴾ بمعنى من عندنا فيكون صفة لمحذوف يتعلق بقوله: ﴿تمنعهم﴾ والتقدير: تمنعهم من عذاب يكون من عندنا كأنه قيل: دعهم عن هذا السؤال لا لغفلتهم وإعراضهم عن ذكر ربهم بل لاعتقادهم أن لهم آلهة تستقل في حفظهم، وانظر إلى من أعرضوا عن ذكر ربهم إليها فإن هذا غريب وأغرب لأن من لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله عز وجل كيف ينصر غيره؟ ثم أضرب عما توهموه من أن ما هم فيه من الكلاءة من جهة أن لهم آلهة تمنعهم من تطرق البأس إليهم فقال: ﴿بل متعنا هؤلاء وآباءهم﴾ الآية كأنه قيل: دع ما زعموا من كونهم محفوظين بكلاءة آلهتهم بل ما هم فيه من الحفظ إنما هو منالاً من غيرنا حفظناهم من البأساء

رسول الله والمؤمنين ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ بما أوحي إليّ ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾ وقرأ ابن عامر «ولا تسمع» الصم على خطاب النبي ﷺ، وقرىء بالياء على أن فيه ضميره وإنما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامّهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون. ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ منصوب «بيسمع» أو بالدعاء

ومتعناهم بأنواع السراء لكونهم من أهل الاستدراج والانهماك فيما يؤديهم إلى العذاب العظيم والعقاب الأليم. ويحتمل أن يكون إضرابًا عن الاستئناف السابق كأنه قيل: دع ما يبين بطلان ما اعتقدوه من أن يكون لهم آلهة تمنعهم واعلم أنهم إنما وقعوا في ورطة ذلك التوهم الباطل بسبب أنه تعالى متعهم بما يشتهون فحسبوا أن ذلك يدوم عليهم، فاغتروا وأعرضوا عن التأمل في قول الرسول المبلغ عن الله واتبعوا ما سولت لهم أنفسهم من الأوهام الباطلة لقساوة قلوبهم وخباثة طباعهم، وإلا فقد اتضح الحق من الباطل وتبين الرشد من الغي فما بقي إلا أن ينتقم منهم على سبيل التدريج بأن يعاجلهم بمكاره الدنيا ثم يضطرهم إلى عذاب النار في العقبى. وأشار إلى هذا المعنى بقوله عز من قائل: ﴿أفلا يرون﴾ أي أغفلوا وعموا فلا يرون كيف شرعنا في ذلك بأن ننقص دار الكفر من جوانبها ونفتح البلاد والقرى من حوالي مكة وندخلها في ملك نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وننقص ما فيها من المشركين واحدًا بعد واحد بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها بحيث لا يقدرون على دفعهم عن أنفسهم وديارهم ﴿أفهم الغالبون﴾ أم المغلوبون. فالفاء في ﴿أفلا يرون﴾ لعطف الجملة على المقدر والتي في قوله: ﴿أفهم الغالبون﴾ لعطفها على الملفوظ والعبارة الظاهرة في تأدية هذا المعنى أن يقال: أفلا يرون أن عساكر الموحدين المطيعين يأتون أرض المشركين وينقصونها من أطرافها، إلا أنه تعالى أسند فعل المسلمين إلى ذاته تنبيهًا على أن المجازي والمنتقم والمخرب هو الله تعالى حقيقة، وإن ظهر ذلك بتسليط المسلمين وتمكينهم من التخريب والإهلاك، والذي ورد عليه نظم التنزيل تصوير للأمر على ما هو عليه في نفس الأمر. ثم إنه تعالى لما بالغ في تهديد الكفرة المستهزئين المستعجلين وإنذارهم بأنواع العذاب قرر ذلك وأكد بقوله: ﴿قل إنما أنذركم بالوحي﴾ إليّ من القرآن الكريم. قوله: (وقرأ ابن عامر ولا تسمع) أي بضم تاء الخطاب وكسر الميم ونصب ﴿الصم الدعاء﴾ على أنهما المفعولان. وقرأ الحسن على قراءة ابن عامر إلا أنه يضم ياء الغيبة على أن فيه ضميره عليه الصلاة والسلام. وقرأ باقي السبعة بفتح ياء الغيبة والميم ورفع «الصم» ونصب «الدعاء».
قوله: (للدلالة على تصامّهم) وجه الدلالة أن تعريف الصم للعهد، والمعهود هؤلاء المنذرون وهم ليسوا بصم حقيقة فلما سموا صمًا دل على أنهم شبهوا بالصم لتصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون. ثم إنه تعالى بيّن أن حالهم ستصير إلى أن يصيروا بحيث إذا شاهدوا اليسير

والتقييد به لأن الكلام في الإنذار أو للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم. ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ أدنى شيء. وفيه مبالغات ذكر المس، وما في النفحة من معنى القلة فإن أصل النفح هبوب رائحة الشيء والبناء الدال على المرة. ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ من الذي ينذرون به ﴿لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ لدعوا على أنفسهم بالويل أو اعترفوا عليها بالظلم.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ العدل توزن بها صحائف الأعمال. وقيل: وضع الموازين تمثيل لإرصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الأعمال بالعدل. وإفراد القسط لأنه مصدر وصف به للمبالغة. ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لجزاء يوم القيامة أو لأهله أو

مما أنذروا به كمس ريح الشيء بدون مس جسمه، فعند ذلك يسمعون ويعتذرون ويعترفون على أنفسهم بالظلم حيث لا ينتفعون. فقال: ﴿ولئن مستهم نفحة﴾ أي أدنى شيء مما أنذروا به بسبب شركهم وتكذيبهم الرسول. وأصل النفح هبوب الريح يقال: نفحت الريح أي هبت هبوبًا لينًا، ونفحه بنائل أي بشيء يسير من العطاء.

قوله: (توزن بها صحائف الأعمال) يعني أن الله تعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الأعمال. وقد روي أنه ميزان له كفتان ولسان وهو بيد جبريل عليه الصلاة والسلام، فإن قيل: كيف توزن الأعمال وإنما هي أعراض لا توصف بالخفة والثقل المختصين بالجواهر؟ أجيب بأن في كيفية وزنها وجهين: الأول أن توزن صحائف الأعمال، والثاني أنه تعالى يعطيها صور الجواهر فيضع في كفّة الحسنات جواهر بيضاء مشرقة وفي كفّة السيئات جواهر سوداء مظلمة. والمعتزلة عن آخرهم أنكروا وضع الموازين الحقيقة وقالوا: يجب أن يحمل ما ورد في القرآن من الوزن والميزان على رعاية العدل والإنصاف بحيث لا يقع فيه تفاوت أصلاً. فوضع الموازين عندهم عبارة عن إعداد المحاسبات الشرية والخيرية على حسب الأعمال بالعدل والنصفة من غير أن يظلم عباده مثقال ذرة، فمثل ذلك بوضع الموازين الحقيقية لتوزن بها الموزونات للعدل وتسوية الحقوق. وعامة أهل السنة على أنه تعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها صحف الأعمال. وجمع الموازين مع أن الميزان الموضوع واحد نظرًا إلى تعدد ما يوزن فيه أو لتعظيم شأنه، فمن أحاطت حسناته بسيئاته ثقلت موازينه بمعنى أن حسناته تذهب سيئاته، ومن أحاطت سيئاته بحسناته فقد خفت موازينه أي أذهبت حسناته سيئاته كذا روي عن ابن عباس وهو أوفق لما ذهب إليه المعتزلة. **قوله:** (لجزاء يوم القيامة) يعني أن اللام فيه إما للتعليل على حذف المضاف أو هي لام التوقيت بمعنى «في» كما في قولك: جئت لخمس خلون أي مضين. وذهب إما للتعليل على حذف المضاف أو هي لام التوقيت بمعنى «في» كما في قولك: جئت لخمس خلون أي مضين. وذهب صاحب

فيه، كقولك: جئت لخمس خلون من الشهر ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ من حقه أو من الظلم ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ أي وإن كان العمل أو الظلم مقدار حبة. ورفع نافع «مثقال» على «كان» التامة ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ أحضرناها. وقرىء «آتينا» بمعنى جازينا بها من الإيتاء فإنه قريب من أعطينا، أو من المؤاتاة فإنهم أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء وأثبنا من الثواب وجئنا. والضمير للمثقال وتأنيثه لإضافته إلى الحبة. ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ إذ لا مزيد على عملنا وعدلنا. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ أي الكتاب الجامع لكونه فارقًا بين الحق والباطل، وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة، وذكرًا يتعظ به المتقون أو ذكر ما يحتاجون إليه من الشرائع. وقيل: الفرقان النصر. وقيل: فلق البحر. وقرىء «ضياء بغير واو على أنه حال من الفرقان».

﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ صفة للمتقين أو مدح لهم منصوب أو مرفوع. ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال من الفاعل أو الفعول ﴿وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ خائفون.

الكشاف إلى أنها لام الاختصاص ومعنى المثال اختصاص المجيء بذلك الزمان. ومعنى الآية اختصاص وضع الميزان بيوم القيامة.

قوله: (شيئًا من حقه أو من الظلم) الأول على أن يكون «شيئًا» مفعولاً ثانيًا «لتظلم» لأنه بمعنى لا تنقص، ونقص يتعدى إلى مفعولين يقال: نقصه حقه وقال تعالى: ﴿لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٤] والثاني على أن يكون مفعولاً مطلقًا. وقرأ العامة «أتينا بها» بقصر الهمزة من الإتيان بمعنى أحضرنا، وقرىء بمد الهمزة. فيحتمل أن يكون وزنه أفعلنا من آتى يؤتى إيتاء أو فاعلنا، ويؤيده قوله: ﴿بها﴾ لأن ما هو بوزن أفعلنا يتعدى إلى مفعوليه بنفسه، قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ﴾ [الإسراء: ٥٩] ثم إنه تعالى شرع في قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تقوية لقلبه عليه الصلاة والسلام على أداء الرسالة، وتسلية له بأنه ليس أول من بعث لدعوة المستكبرين. ووجه ربط قصة موسى بما قبلها أنه تعالى لما أمر رسوله عليه الصلاة والسلام أن يقول: ﴿إنما أنذركم بالوحي﴾ اتبعه بأنه عادة الله تعالى في الأنبياء قبله فقال: ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان﴾ وهو مصدر وصف به الكتاب الإلهي لكونه فارقًا بين الحق والباطل، وما بعده معطوف عليه على طريق عطف الصفات والمراد بالجميع شيء واحد هو التوراة. فالمعنى: ولقد آتيناهما الكتاب الجامع لهذه الأوصاف. وقيل: المراد بالفرقان النصر على الأعداء كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] بمعنى يوم بدر حين يفرق بين الحق والباطل. **قوله**: (حال من الفاعل) بمعنى يخشون ربهم أو عذاب ربهم وهم غائبون عنه لم يروه فيأتمرون بأوامره وينتهون عن نواهيه،

وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض. ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ﴾ يعني القرآن ﴿مُّبَارَكٌ﴾ كثير خيره ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ على محمد ﴿أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ استفهام توبيخ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾ الاهتداء لوجوه الصلاح وإضافته ليدل على أنه شد مثله وأنه له شأنًا. وقرىء «رشده» وهو لغة. ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل موسى وهارون أو محمد. وقيل: من قبل استنبائه أو بلوغه حيث قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ﴾ [الأنعام: ٧٩] ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ علمنا أنه أهل لما آتيناه أو جامع لمحاسن الأوصاف ومكارم الخصال. وفيه إشارة إلى أن فعله تعالى باختيار وحكمة وأنه عالم بالجزئيات. ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾ متعلق بآتينا أو برشده أو بمحذوف أي: اذكر من أوقات رشده وقت قوله: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ تحقير لشأنها وتوبيخ على إجلالها

أو وهم غائبون عن الآخرة لم يروا ما فيها من الأهوال، أو وهم غائبون عن الناس لا كالذين يجتنبون المعاصي بمحضر الناس ويرتكبونها في الخلوات، أو من المفعول بمعنى يخشون عذاب ربهم وهو غائب لم يشاهد بعد أو يخشون ربهم وهو غائب عن الحس لا تدركه الأبصار، وإنما يؤمنون به إيمانًا غيبيًا استدلاليًا. **قوله:** (**مبالغة وتعريض**) من حيث إنه يفيد حصر الخوف من الساعة في المتقين والمنحصر ليس أصل الخوف بل هو الخوف الكامل، والحكم بانحصاره فيهم يتضمن الحكم بانتفائه عن غيرهم وهو وجه التعريض بغيرهم. **قوله:** (**استفهام توبيخ**) عيّر الله أهل مكة بأن القرآن مع اشتماله على جميع ما اشتمل عليه التوراة من الأوصاف، مشتمل على أمر زائد على ما فيها وهو كونه معجزًا لاشتماله على الأمور العجيبة والبلاغة البديعة وعلى الأدلة العقلية وبيان الشرائع الحكمية، فمثل هذا الكتاب لا يتجاسر على إنكار من له أدنى تمييز. **قوله:** (**وقرىء رشده**) بفتح الراء والشين والعامة على ضم الراء وسكون الشين، وهما لغتان كالعدم والعدم يقال: رشد بالفتح يرشد رشدًا ورشد بالكسر يرشد رشدًا كلاهما بمعنى، والإضافة فيه بمعنى اللام والاختصاص والمعنى: ولقد آتينا بجلالنا وعظم شأننا إبراهيم رشدًا يليق بمثله، وبحال من انتصب للرسالة وخلة الرحمن. ولو قيل: الرشد أو ترك اللام وضمير الجماعة لما أفاد الكلام هذا التفخيم، فإن الرشد وإن كان خلاف الغي إلا أن بين رشد المؤمنين والرشد الذي أوتي إبراهيم عليه الصلاة والسلام بونًا بعيدًا. **قوله:** (**علمنا أنه أهل لما آتيناه**) أي من الرشد المفسر بالاهتداء لوجوه الصلاح في أمور الدين والدنيا فيكون تعليلاً لما قبله، وعلى الثاني يكون تأكيدًا له لأن إيتاء الاهتداء المذكور والعلم بكونه جامعًا لمحاسن الأوصاف والخصال بمعنى واحد. ومثل هذا التركيب يستعمل في المعنى الثاني فإنك إذا قلت في حق أحد من الفضلاء: أنا عالم بفلان، فقولك هذا في الدلالة على كونه جامعًا لوجوه الفضل أشد وأقوى مما إذا فصلت صفات كماله.

فإن التمثال صورة لا روح فيها لا تضر ولا تنفع. واللام للاختصاص لا للتعدية فإن تعدية العكوف بـ «على» والمعنى: أنتم فاعلون العكوف لها ويجوز أن يؤوّل بـ «على» أو يضمن العكوف معنى العبادة. ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها. ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين إلى دليل. والتقليد وإن جاز فإنما يجوز لمن علم في الجملة أنه على حق.

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾﴾ كأنهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا أن ما قاله علي وجه الملاعبة فقالوا: أبجد تقوله أم تلعب به. ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ إضراب عن كونه لاعبًا بإقامة البرهان على ما ادعاه وهنّ للسمٰوات والأرض أو للتماثيل وهو ادخل في تضليلهم وإلزام الحجة عليهم. ﴿وَأَنَا۠

قوله: (فإن التمثال) يعني أنه اسم للشيء المصنوع مشبهًا بخلق من خلق الله تعالى. وأصله من مثلث الشيء بالشيء إذا شبهته به، واسم ذلك الممثل التمثال. فتح عليه الصلاة والسلام لهم باب هذا الكلام الدال على تحقير أصنامهم لينظر فيما يوردونه من شبهة فيبطلها عليهم. **قوله:** (ويجوز أن يؤوّل) أي أي يجوز أن لا ينزل عاكفون منزلة اللازم وتجعل اللام للتعدية بأحد الوجهين. **قوله:** (جواب عما لزم الاستفهام) أي جواب عما يقال: إنه عليه الصلاة والسلام سألهم عن حقيقة التماثيل المعكوف عليها وهم أجابوه ببيان ما حملهم على عبادتها، فلا انطباق بين السؤال والجواب. وتقرير الجواب أنه ليس جوابًا لنفس الاستفهام بل عما لزمه من السؤال عن المقتضى لعبادتها وذلك السؤال اللازم هو أي شيء حملكم على عبادتها مع أن شأنها من الحقارة ما رأيتموه. والقوم لما لم يجدوا في جوابه إلا طريقة التقليد فأجابوه بأن آباءهم سلكوا قبلهم هذا الطريق فاقتدوا به، لا جرم أجابهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين﴾ فبيّن أن الباطل لا يصير حقًا بكثرة المتمسكين به. **قوله:** (وهنّ للسمٰوات) فإنه ليس من الضمائر المختصة بالمؤنثات العاقلات بل هو لفظ مشترك بين العاقلات وغيرها. قال تعالى: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦] ثم قال: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦] لما سمع إبراهيم عليه الصلاة والسلام مقالة القوم وعلم أن استفهامهم ذلك مبني على أنهم حسبوا أنه عليه الصلاة والسلام إنما أنكر عليهم دينهم القديم مع كثرتهم وشوكتهم على وجه المزاح واللعب قال: ﴿بل ربكم رب السمٰوات﴾ الآية كأنه قال: ما قلته لكم إنما قلته على سبيل الجد وإظهار الحق ولا برهان على ذلك، كأنه ليس المراد من الشهادة في قوله: ﴿وإنا على ذلكم من الشاهدين﴾ حقيقة

عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ المذكور من التوحيد ﴿مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ من المتحققين له والمبرهنين عليه فإن الشاهد من تحقق الشيء وحققه. ﴿وَتَٱللَّهِ﴾ وقرىء بالباء وهي الأصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب. ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم﴾ لأجتهدن في كسرها ولفظ الكيد وما في التاء من التعجب لصعوبة الأمر وتوقفه على نوع من الحيل. ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟﴾ عنها ﴿مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ إلى عيدكم. ولعله قال ذلك سرًا. ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ قطعًا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع. وقرأ الكسائي بالكسر وهو لغة أو جمع جذيذ كخفاف وخفيف. وقرىء بالفتح وجذذًا جمع جذيذ وجذذًا جمع جذة. ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ للأصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفأس على عنقه. ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ لأنه غلب على ظنه أنهم لا يرجعون إلا إليه لتفرده واشتهاره

الشهادة لأنه لا شهادة من المدّعي بل استعيرت الشهادة لتحقق الدعوى بالحجة والبرهان أي لست من اللاعبين في الدعاوى بل من المحتجين عليها بالبراهين القاطعة بمنزلة الشاهد الذي تقطع به الدعاوى.

قوله: (من المتحققين) أي من المتيقنين له يقال: تحققت الشيء إذا صرت منه على يقين والشاهد من تحقق الشيء وحققه، فقوله: ﴿من الشاهدين﴾ من باب التشبيه البليغ. أظهر عليه الصلاة والسلام كونه صادقًا جادًا فيما خاطبهم به في حق أصنامهم أولاً بقوله: ﴿بل ربكم رب السمٰوات والأرض﴾ فدل بذلك على أن من خلقهما على هذا الوجه البديع لمنافع العباد هو الذي يحسن أن يعبد، لأن من يقدر على ذلك يقدر على أن يضر وينفع في الدار الآخرة بالعقاب والثواب. وأظهره ثانيًا بالطريقة الفعلية المدلول عليها بقوله: ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ فإن قيل: لماذا قال: ﴿لأكيدن أصنامكم﴾ والكيد هو الاحتيال على الغير في ضرر لا يشعر به والأصنام جمادات لا تتضرر بالكسر ونحوه؟ وأيضًا ليست هي مما يحتال في إيقاع الكسر عليها، لأن الاحتيال إنما يكون في حق من له شعور؟ أجيب بأن ذلك من قبيل التوسع في الكلام فإن القوم كانوا يزعمون أن الأصنام لهن شعور ويجوز عليهن التضرر فقال ذلك بناء على زعمهم. وقيل المراد: لأكيدنكم في أصنامكم لأنه بذلك الفعل قد أنزل بهم الغم. وقرأ العامة «تالله» بالتاء المثناة من فوق، وقرىء بالباء الموحدة. والأصل في حروف القسم الباء لأن تلك الحروف إنما تدخل على المقسم به لأن تلصق فعل القسم بالمقسم به، والأصل في تأدية معنى الإلصاق هو الباء، وأبدلت الواو من الباء للمناسبة بينهما من حيث كونهما شفويتين ومن حيث إن الواو تفيد معنى الجمعية القريبة من معنى الإلصاق، والتاء بدل من الواو كما في وراث، وفي التاء معنى زائد ليس في أختيها وهو التعجب، وذلك لأن المقسم عليه بالتاء يجب أن يكون أمرًا نادر الوقوع، وأن الشيء المعجب لا يكثر

بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣] فيحجهم أو لأنهم يرجعون إلى الكبير فيسألونه عن كاسرها إذ من شأن المعبود أن يرجع إليه في حل العقد فيبكتهم بذلك، أو إلى الله أي يرجعون إلى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم ﴿قَالُوا۟﴾ حين رجعوا ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾﴾ بجراءته على الآلهة الحقيقة بالإعظام إو بإفراطه في حطمها أو بتوريط نفسه للهلاك.

وقوعه وإلا لم يكن معجبًا. ومن ثمة قيل: استعمال التاء لا يكون إلا مع اسم الله تعالى، فكأنه عليه الصلاة والسلام تعجب من تسهيل الكيد على يده وتأتيه منه لأن ذلك كان أمرًا مقنوطًا منه لصعوبته لا سيما في زمن نمرود مع عتوه وقوة سلطانه. و «بعد» منصوب «بلاء كيدن» و «مدبرين» حال مؤكدة لأن التولي والإدبار بمعنى واحد. قرأ العامة «تولوا» بضم التاء واللام مضارع «ولى» مشددًا. وقرىء «تولوا» بفتحهما مضارع «تولى» وأصله تتولوا فحذف إحدى التاءين. ويؤيد قراءة الجميع ﴿فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ [الصافات: ٩٠] والمعنى بعد غيبتكم عني وذهابكم إلى عيدكم. قال السدي: كان لهم في كل سنة عيد يجتمعون فيه وكانوا إذا اجتمعوا فيه ورجعوا منه دخلوا على الأصنام فسجدوا لها ثم عادوا إلى منازلهم. فلما كان هذا الوقت قال آزر لابنه إبراهيم عليه الصلاة والسلام لو خرجت معنا إلى عيدنا لأعجبك ديننا فخرج معهم إبراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] اشتكي رجلي. فلما مضوا وبقي ضعفاء الناس نادى في آخرهم وقال: ﴿تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين﴾ أي إلى عيدكم فسمعوها منه. واحتج هذا القائل عليه بقوله تعالى: ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾ وقال الكلبي: كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام من أهل بيت ينظرون في النجوم وكانوا إذا خرجوا إلى عيدهم لم يتركوا إلا مريضًا. فلما همّ إبراهيم عليه الصلاة والسلام بكسر الأصنام نظر قبله يوم العيد إلى السماء وقال لأصحابه: أراني اشتكي غدًا وهو قوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٨، ٨٩] وأصبح في الغد معصوبًا رأسه. فخرج القوم إلى عيدهم ولم يتخلف أحد غيره وانتشر ذلك في جماعة، فلذلك قال تعالى: ﴿سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾ ثم إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام دخل بيت الأصنام وكانت في بيت بهي عظيم وهو بيت المقدس إمام البيوت، فوجد فيه سبعين صنمًا مصطفة، وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفأس في يده حتى لم يبق إلا الكبير، ثم علق الفأس في عنقه ولم يكسره. فقوله: ﴿إلا كبيرًا لهم﴾ استثناء من مفعول قوله: ﴿فجعلهم﴾ «ولهم» صفة «للكبير» وضمير «إليه» يرجع إلى إبراهيم. والمعنى: أنه فعل ذلك ثم قال في نفسه: لعلهم يرجعون إليّ في هذه الحادثة فأبكتهم بأن أقول لهم بل

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثاني مفعولي سمع أو صفة لفتى مصححة لأن يتعلق به السمع وهو أبلغ في نسبة الذكر إليه. ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ هو إبراهيم. ويجوز رفعه بالفعل لأن المراد به الاسم. ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ

فعله كبيرهم هذا. ويجوز أن يرجع إلى «الكبير» والمعنى: لعلهم يرجعون إلى الكبير قائلين ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحًا والفأس في عنقك. وإنما قال ذلك بناء على كثرة جهالاتهم أو لعلهم كانوا يعتقدون فيها أنها تجيب وتتكلم. ويحتمل أنه عليه الصلاة والسلام قال ذلك مع علمه أنهم لا يرجعون إليه استهزاء بهم و «من» في قوله تعالى: ﴿من فعل هذا بآلهتنا﴾ يحتمل أن تكون استفهامية وهو الظاهر، فعلى هذا يكون قوله: ﴿إنه لمن الظالمين﴾ استئنافًا لا محل له من الإعراب. ويحتمل أن تكون موصولة بمعنى الذي، وعلى هذا يكون قوله: ﴿إنه لمن الظالمين﴾ في محل الرفع على أنه خبر للموصول.

قوله: (ويذكر ثاني مفعولي سمع) لأن سمع إنما يتعدى إلى واحد إذا تعلق بالكيفية المسموعة كقولك: سمعت قراءته. وأما إذا تعلق بالأعيان التي لا يتعلق بها السماع فحينئذ يتعدى إلى اثنين فيكون «فتى» مفعولاً أولاً و «يذكرهم» في محل النصب على أنه مفعول ثانٍ، فإنه لا يجوز لك أن تقول: سمعت زيدًا وتسكت حتى تذكر شيئًا مما يسمع. وجعله صفة لفتى أبلغ في نسبة الذكر إليه لاستواء الوجهين والاشتمال على نسبة الفعل إلى الفاعل، واختصاص الوجه الثاني بنسبة الوصفية فيكون قوله: ﴿يقال له إبراهيم﴾ صفة ثانية «لفتى» إلا أن المفعول الثاني لا بد منه لسمع لما مر من أنك لا تقول: سمعت زيدًا وتسكت حتى تذكر شيئًا مما سمعت. **قوله: (هو إبراهيم)** على أن يكون ارتفاع «إبراهيم» على أنه خبر محذوف. ثم جوّز أن يكون نائب فاعل ما لم يسم فاعله بمعنى يقال له، ويطلق عليه الاسم ولو أريد به المسمى لما جاز قيامه مقام الفاعل لأن مفعول القول لا يكون إلا جملة، بخلاف ما إذا أريد لفظ «إبراهيم» فإنه حينئذ يجوز أن يقوم مقام الفاعل، لأن اللفظ في حكم الجملة في جواز كونه مقول القول فيؤذي لكون القول حينئذ بمعنى التسمية، كأنه قيل: يسمى إبراهيم. واختلف النحاة في جواز تسلط القول على المفرد الذي لا يؤدي معنى جملة، ولا هو مقتطع من جملة، ولا هو مصدر لقال، ولا صفة لمصدره نحو: قلت زيدًا أي قلت هذا اللفظ. فأجازه جماعة منهم الزمخشري، ومنعه آخرون. وأما إذا كان المفرد مؤديًا معنى جملة كقولك: قلت خطبة أو قصيدة أو شعرًا أو اقتطع من جملة كقوله:

إذا ذقت فاها قلت طعم مدامة معتقة مما يجيء به التجر

أو كان مصدرًا نحو: قلت قولاً أو صفة له نحو: قلت حقًا أو باطلاً فإنه يتسلط عليه القول إجماعًا.

ٱلنَّاسِ﴾ بمرأى منهم بحيث يتمكن صورته في أعينهم تمكن الراكب على المركوب. ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ بفعله أو قوله أو يحضرون عقوبتنا له. ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ حين أحضروه ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ أسند الفعل إليه تجوزًا لأن غيظه لما رأى من

قوله: (بمرأى منهم) يعني أن قوله: ﴿على أعين الناس﴾ في محل النصب على أنه حال من الهاء في «به» أي ائتوا به وجيئوا به ظاهرًا مكشوفًا بمرأى منهم ومنظر وأورد حرف الاستعلاء بناء على طريق التشبيه أي تشبيه تمثيل صورته في أعينهم باستعلاء الراكب على مركبه. وتوضيح المقام أن المعنى فائتوا به مستقرًا على أعين الناس مستعليًا عليها وذلك بأن شبه انطباع صورة المرئي في القوة الباصرة باستعلاء الراكب على المركب. ثم ذكر كلمة «على» وأريد الاستعلاء فهو استعارة تبعية وقرينتها أعين الناس. فالمراد بالإتيان إتيان مثاله لما سمع بعض القوم قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ وسمعوا سبه لآلهتهم غلب على ظنهم أنه الفاعل لذلك، فلذلك قالوا: ﴿سمعنا فتى يذكرهم﴾ أي يعيبهم ويسبهم ﴿يقال له إبراهيم﴾ فهو الذي يظن أنه الذي فعل هذا. فبلغ ذلك نمرود الجبار وأشراف قومه فقالوا فيما بينهم ﴿فائتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون﴾ عليه أنه الذي فعل. قيل: كرهوا أن يأخذوه بغير بينة، وقيل: إنه ليس من الشهادة بل هو من الشهود وهو الحضور والمعنى: لعلهم يحضرون عقوبتنا إياه. **قوله:** (حين أحضروه) إشارة إلى أن في الكلام حذفًا والتقدير: فائتوا به، فلما شاهدوه قالوا منكرين عليه فعله موبخين له ﴿ءأنت فعلت هذا﴾ وفي قوله: ﴿ءأنت﴾ وجهان: الأول أنه فاعل فعل مقدر يفسره الظاهر بعده والتقدير: أفعلت هذا بآلهتنا فلما حذف الفعل انفصل الضمير فعلى هذا لا محل «لفعلت» الملفوظ بها لأنها مفسرة. والثاني أنه مبتدأ والجملة التي بعده في محل الرفع على الخبرية. وبين الوجهين فرق من حيث المعنى وهو أن أداة الاستفهام إذا دخلت على الفعل يكون الشك في أنه هل وقع أو لا ولا شك في فاعله، وإذا دخلت على الاسم لا يكون الشك في وقوع الفعل بل يكون وقوعه مقطوعًا به ويكون المشكوك فيه هو الاسم الذي دخلت عليه أداة الاستفهام ويشك في أنه هل هو الفاعل أو غيره، فإذا قلت: أقام زيد كان الشك في قيامه وإذا قلت: أزيد قام وجعلته مبتدأ كان الشك في أن الفعل هل صدر منه أو من غيره. والوجه الأول هو المختار عند النحاة لأن الفعل تقدم ما يطلبه وهو أداة الاستفهام.

قوله: (أسند الفعل إليه) جواب عما يقال: كيف أسند الفعل إلى كبيرهم وأنه كذب لا يليق بالنبي المعصوم؟ فأجاب عنه أولاً بأن إسناد الفعل إليه من قبيل إسناده إلى السبب الحامل، فإنه عليه الصلاة والسلام لما رأى الأصنام مصطفة مزينة يعظمها المشركون ورأى

زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته إياه. أو تقريرًا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على أسلوب تعريضي كما لو قال لك: من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق ءأنت كتبته فقلت: بل كتبته. أو حكاية لما يلزم منن مذهبهم جوازه. وقيل: إنه في المعنى متعلق بقوله: ﴿إن كانوا ينطقون﴾ وما بينهما اعتراض أو إلى ضمير «فتى» أو إبراهيم وقوله: «كبيرهم» هذا مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله، وما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات». تسمية للمعاريض كذبًا لما شابهت صورتها صورته.

على الكبير ما يدل على زيادة تعظيمهم له وتخصيصهم إياه بمزيد التواضع والخضوع اشتد بغضه وغيظه له فحمله ذلك البغض على ما فعل بتلك الأصنام. فلذلك أسند الفعل إلى الكبير لا لأنه هو المباشر للفعل إلا أنه أبقى الكبير مع أنه هو السبب الحامل له على استهانة الأصنام وكسرها ليورد عليهم هذا القول الموهم لكون الإسناد إليه حقيقيًا ليظهر جهلهم في عبادة الأصنام. وثانيًا بأنه عليه الصلاة والسلام لم يقصد بإسناد الفعل إلى الكبير أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم الكبير، بل قصد به تقرير الفعل لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي مع الاستهزاء بالكبير، لأن إثبات الفعل الدائر بين شخصين لمن هو العاجز منهما استهزاء بالعاجز وإثبات للقادر منهما، كما إذا أجبت من قال لك: أنت كتبت هذا؟ وأنت شهير بحسن الخط وهو أمي لا يحسن الخط ولا يقدر إلا على الخرمشة الفاسدة بل كتبته أنت، فإن قصدك بهذا الجواب تقديرًا لكتبة لك مع الاستهزاء بالأمي لا نفيه عنك وإثباته للأمي. وثالثًا بأنه لم يسند الفعل إليه اعتقادًا بل أسنده حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه كأنه قال: كيف تنكرون أن يفعله كبيرهم؟ فإن من حق من يعبد ويدعى إلـٰهًا أن يقدر على هذا الفعل وعلى ما هو أعظم منه. ويؤيد هذا الجواب ما حكي أنه قال لهم: ﴿بل فعله كبيرهم﴾ بناء على أنه غضب من أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها هيئة وأشرف جوهرًا، فإنه لا وجه لهذا القول إلا بأن يكون على سبيل الحكاية لما يلزم من مذهبهم. ورابعًا بأن إسناد الفعل إلى الكبير مشروط بقوله: ﴿إن كانوا ينطقون﴾ جعل النطق شرطًا للفعل وأراد به أنهم إن قدروا على النطق قدروا على الفعل، فلما ظهر عجزهم عن النطق تبين عجزهم عن الفعل أيضًا. وقوله: ﴿فاسألوهم﴾ اعتراض بين الشرط والجزاء وهذا الجواب يتضمن تجهيل القوم وإسناد الفعل إلى نفسه. ولم يرض المصنف بحمل جوابه عليه الصلاة والسلام على هذا المعنى لكونه تعسفًا ومخالفًا لظاهر النظم. وخامسًا بأن الكذب إنما يلزم على تقدير أن يكون الفعل مسندًا إلى كبيرهم ولا نسلم ذلك لم لا يجوز أن يكون مسندًا إلى ضمير «فتى» أو «إبراهيم»؟ ولما ظهر بهذه الأجوبة أن قوله: ﴿بل فعله كبيرهم﴾

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ وراجعوا عقولهم. ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ فقال بعضهم لبعض ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ بهذا السؤال أو بعبادة ما لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم: ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٩] ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ انقلبوا إلى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة. شبه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء مستعليًا على أعلاه. وقرىء «نكسوا» بالتشديد ونكسوا أي نكسوا أنفسهم. ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ فكيف تأمر بسؤالها وهو على إرادة القول. ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾﴾ إنكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بأنها جمادات لا تنفع ولا تضر فإنه ينافي الألوهية.

ليس بكذب ورد أن يقال: فكيف أثبت عليه صلوات الله وسلامه لإبراهيم ثلاث كذبات وهي قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم﴾ وقوله لسارة: ﴿هي أختي﴾ فأجاب المصنف عنه بأنه عليه الصلاة والسلام سماها كذبات تشبيهًا لها بالكذبات لكونها على صورة الكذبات، ولما قال لهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلزامًا للحجة عليهم ﴿فاسألوهم إن كانوا ينطقون فرجعوا إلى أنفسهم﴾ أي تفكروا بقلوبهم وراجعوا عقولهم. قال بعضهم لبعض: ﴿إنكم أنتم الظالمون﴾ بهذا السؤال تسألون هذا الرجل وآلهتكم حضور فاتركوا مسألته واسألوا آلهتكم التي بحضرتكم. وقرأ الجمهور «نكسوا» مبنيًا للمفعول مخفف الكاف وقوله: ﴿على رؤوسهم﴾ حال أي كائنين على رؤوسهم. ويجوز أن يتعلق بالفعل المذكور قبله. والنكس والتنكس لغتان بمعنى وهو قلب الشيء ورد آخره على أوله. وقرىء «نكسوا» بالتشديد وليس التشديد فيه للتعدية ولا للتكثير بل هو لغة بمعنى المخفف. وقرىء «نكسوا» مخففًا مبنيًا للفاعل وعلى هذا يكون المفعول محذوفًا تقديره: نكسوا أنفسهم على رؤوسهم. قال المفسرون: أجرى الله الحق على ألسنتهم في القول الأول ثم أدركتهم الشقاوة فردوا إلى الكفر بعد أن أقروا على أنفسهم بالظلم. شبّه انقلابهم إلى الكفر والمجادلة بالباطل بعد إذ عان الحق بصيرورة أسفل الشيء منقلبًا إلى أعلاه، فعبّر عنه بالنكس ثم اشتق منه ﴿نكسوا﴾ فهو استعارة تبعية. وقيل: المعنى أنهم قلبوا على رؤوسهم حقيقة لفرط إفراطهم خجلاً وانكسارًا مما بهتهم به إبراهيم عليه الصلاة والسلام فما أجابوه إلا بما هو حجة عليهم حيث قالوا في جواب قوله: ﴿فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ و ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ فكيف تأمرنا بسؤالهم، فأقروا بهذا للحيرة التي لحقتهم. وجملة قوله: ﴿لقد علمت﴾ جواب قسم محذوف والقسم وجوابه معمولان لقول مضمر وذلك القول المضمر حال من مرفوع نكسوا أي نكسوا قائلين: والله لقد علمت ما هؤلاء ينطقون. قيل: كيفية القصة أنه لما اجتمع نمرود وقومه لإحراق إبراهيم عليه الصلاة والسلام حبسوه في بيت وبنوا بنيانًا كالحظيرة

﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ تضجر منه على إصرارهم بالباطل البيّن وأفّ صوت المتضجر ومعناه قبحًا ونتنًا، واللام لبيان المتأفف له ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ قبح صنيعكم ﴿قَالُواْ﴾ أخذوا في المضارة لما عجزوا عن المحاجة ﴿حَرِّقُوهُ﴾ فإن النار أهول ما يعاقب به. ﴿وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ﴾ بالانتقام لها ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ إن كنتم ناصريها نصرًا مؤزرًا. والقائل منهم رجل من أكراد فارس اسمه هينون خسف به الأرض. وقيل: نمرود. ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ ذات برد وسلام أي

وذلك قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٩٧] ثم جمعوا الحطب الكثير حتى أن المرأة لو مرضت قالت: إن عافاني الله تعالى لأجمعن حطبًا لإبراهيم، وكانت المرأة تغزل وتشتري الحطب بغزلها فتلقيه في ذلك البنيان احتسابًا في دينها. قيل: جمعوا له الحطب من أصناف الخشب على ظهر الدواب أربعين يومًا ثم أوقدوها، فلما اشتعلت النار صار الهواء بحيث لو مر الطير في أقصى الجو لاحترق من شدة وهجها. روي أنهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها لعدم تأتي القرب فجاء إبليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه. وقيل: صنعه لهم رجل من الأكراد وكان أول من صنع المنجنيق فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة. ثم عمدوا إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام فوضعوه في المنجنيق مقيدًا مغلولاً فصاحت السماء والأرض ومن فيهما من الملائكة إلا الثقلين صيحة واحدة: أي ربنا ما في أرضك أحد يعبدك غير إبراهيم وأنه يحرق فيك فائذن لنا في نصرته. فقال تعالى: إن استغاث بأحد منكم فلينصره فقد أذنت له في ذلك وإن لم يدع غيري فأنا أعلم به وأنا وليه، فخلوا بيني وبينه فإنه خليلي ليس له خليل غيري، وأنا الإلٰه ليس له إلٰه غيري. فلما أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن الرياح فقال: إن شئت طيرت النار في الهواء، وأتاه خازن المياه فقال: إن شئت أخمدت النار. فقال إبراهيم: لا حاجة لي إليكم. ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: اللهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض ليس في الأرض من يعبدك غيري، حسبي الله ونعم الوكيل. وحين ألقي في النار قال: لا إلٰه إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك. ثم وضعوه في المنجنيق ورموه به إلى النار فأتاه جبريل فقال له: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا. قال: فاسأل ربك. قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله تعالى: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] قيل: فبردت نار الدنيا كلها يومئذ ولم ينتفع بها أحد من أهلها. ولو لم يقل ﴿على إبراهيم﴾ لبقيت ذات برد أبدًا ولو لم يقل ﴿وسلامًا﴾ بعد قوله: ﴿بردًا﴾ لمات إبراهيم من بردها. وقيل: جعل كل شيء يطفىء عنه النار إلا الوزغة فإنها كانت تنفخ النار. وروي عن رسول الله ﷺ أنه أمر بقتل الوزغة وقال: «كانت تنفخ النار على إبراهيم».

ابردي بردًا غير ضار. وفيه مبالغات؛ جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة وإقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه. وقيل: نصب «سلامًا» بفعله أي وسلمنا سلامًا عليه. روي أنهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارًا عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولاً فرموا به فيها. فقال له جبريل: هل لك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا. فقال: فسل ربك قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي. فجعل الله ببركة قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه إلا وثاقه. فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال: إني مقرب إلى إلٰهك. فذبح أربعة آلاف بقرة وكف عن إبراهيم وكان إذ ذاك ابن ست

قيل: إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقي في النار كان فيها أربعين يومًا أو خمسين يومًا وقال: ما كنت أطيب عيشًا زمانًا من الأيام التي كنت فيها في النار. قيل: لما رموه في النار أخذت الملائكة بأصبعي إبراهيم وأقعدوه في الأرض، فإذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس ولم تحرق النار منه إلا وثاقه. قال ابن إسحٰق: فبعث الله ملك الظل في صورة إبراهيم، فجاء فقعد جنب إبراهيم يؤنسه وأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فألبسه القميص وأجلسه على الطنفسة وقعد معه يحدثه. وقال: يا إبراهيم إن ربك يقول: أما علمت أن النار لا تضر أحبائي. ثم نظر نمرود من صرح له وأشرف على إبراهيم فرآه جالسًا في روضة، ورأى الملك قاعدًا إلى جنبه وحوله نار تحرق الحطب فناداه نمرود: يا إبراهيم هل تستطيع أن تخرج منها؟ قال: نعم. قال: قم فاخرج. فقام يمشي حتى خرج منها. قال نمرود: من الرجل الذي رأيته معك في صورتك؟ قال: ذلك ملك الظل أرسله ربي ليؤنسني فيها. فقال له نمرود: إني مقرب إلى إلٰهك قربانًا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك، وإني ذابح له أربعة آلاف بقرة. فقال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: لا يقبل الله منك ما كنت على دينك هذا. قال نمرود: لا أستطيع ترك ملكي ولكن سوف أذبحها له ثم ذبحها وكف عن إبراهيم. وروي أنهم لما رأوه سالمًا لم يحترق منه غير وثاقه قال هاران أبو لوط عليه الصلاة والسلام: إن النار لا تحرقه لأنه سحر النار، لكن اجعلوه على شيء وأوقدوا تحته فإن الدخان يقتله فجعلوه فوق تبن وأوقدوا تحته فطارت شرارة في لحية أبي لوط فأحرقته. وروي أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ألقي في النار وهو ابن ست عشرة سنة. وقيل: في تفسير قوله تعالى: ﴿قلنا يا نار كوني بردًا﴾ المعنى أنه سبحانه وتعالى جعل النار باردة لا تضر ببردها من غير أن يكون هناك قول وخطاب كقوله تعالى أن: ﴿يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] وآيات أخرى. أي تكونه. وذهب أكثر المفسرين إلى أن ذلك القول قد وجد والقائل إما جبريل عليه الصلاة والسلام قاله بأمر الله تعالى أو القائل هو الله تعالى. والمصنف مال إلى القول الأول حيث قال: «وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة

عشرة سنة. وانقلاب النار هواء طيبة ليس ببدع غير أنه هكذا على خلاف المعتاد فهو إذًا من معجزاته. وقيل: كانت النار بحالها لكنه تعالى دفع عنه أذاها كما ترى في السمندل. ويشعر به قوله: ﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا﴾ مكرًا في إضراره. ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ أخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانًا قاطعًا على أنهم على الباطل وإبراهيم على الحق وموجبًا لمزيد درجته واستحقاقهم أشد العذاب.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ أي من العراق إلى الشام وبركاته العامة أن أكثر الأنبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادىء الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية. وقيل: كثرة النعم والخصب الغالب. روي

مطيعة» أي في ورود التنزيل على هذا النظم مبالغات في إظهار عظمة الله تعالى وكمال قدرته ونفاذ مشيئته وإرادته، حيث عبر عن تأثير قدرته في تدبير النار بما يدل على جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة مع أنه ليس هناك أمر وامتثال بل ليس هناك إلا تسخرها للقدرة والإرادة، لأن أثر القدرة هو كون النار باردة لا كونها نفس كيفية البرد والعبارة الدلالة على هذا المعنى أن يقال: أبردي إلا أنه أقيم كوني ذات برد مقام أبردي، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه للمبالغة في الدلالة على زوال كيفية الحرارة والإحراق من النار بحيث تكون ذاتها كأنها برد وسلام كما في قوله:

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار

أي ذات إقبال وإدبار.

قوله: (وقيل كانت النار بحالها) إلا أنه تعالى خلق في جسم إبراهيم عليه الصلاة والسلام كيفية مانعة من وصول أذى النار إليه كما يفعل بخزنة جهنم في الآخرة، وكما أنه ركب بنية النعامة بحيث لا يضرها ابتلاع الحديدة المحماة، وبدن السمندل بحيث لا يضره المكث في النار ولم يرض به لأن ظاهر قوله تعالى: ﴿يا نار كوني بردًا﴾ يقتضي أن نفس النار صارت باردة حتى سلم إبراهيم من تأثيرها إلا أن النار بقيت بحالها. **قوله:** (من العراق إلى الشام) قيل: كانت واقعة إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع نمرود بكوثى في حدود بابل من أرض العراق، فنجاه الله تعالى من تلك البقعة إلى الأرض المباركة. ثم قيل: إنها مكة وقيل: هي أرض الشام لقوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١] وعن سفيان: أنه خرج إلى الشام فقيل له: إلى أين؟ فقال: إلى بلد يملأ فيها الجراب بدرهم. وقد كان لوط النبي عليه الصلاة والسلام آمن بإبراهيم بن تارخ عليهما الصلاة والسلام كما قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦] وكان ابن أخيه هاران بن تارخ

أنه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة. ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ عطية فهي حال منهما أو ولد ولد، أو زيادة على ما سأل وهو إسحٰق فتختص بيعقوب ولا بأس به للقرينة. ﴿وَكُلًّا﴾ يعني الأربعة ﴿جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ بأن وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ يقتدى بهم ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس إلى الحق ﴿بِأَمْرِنَا﴾ لهم بذلك وإرسالنا إياهم حتى صاروا مكملين. ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل إلى العلم. وأصله أن تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات. كذلك قوله:

ويقال بالحاء وهو لوط بن هاران بن تارخ بن ناحور وآزر لقب تارخ أبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهاران، فكان هاران وإبراهيم أخوين. وآمنت به أيضًا سارة بنت عم إبراهيم وهي سارة بنت هاران الأكبر عم إبراهيم. فخرج من كوثى مهاجرًا إلى ربه ومعه لوط وسارة يلتمس الفرار بدينه والتخلص إلى عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله تعالى، ثم ارتحل منها ونزل بفلسطين وهي برية الشام، ثم خرج منها مهاجرًا حتى قدم مصر، ثم خرج من مصر وعاد إلى أرض الشام. ونزل لوط بالمؤتفكة وبعثه الله نبيًا إلى أهلها. روي عنه ﷺ أنه قال: «ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الأرض أكرمهم مهاجرًا» أراد إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالهجرة الثانية الهجرة إلى الشام، والمقصود ترغيب الناس في المقام بها.

قوله: (عطية) قال الجوهري: النفل والنافلة عطية التطوع من حيث لا يجب، ومنه نافلة الصلاة. والنافلة أيضًا ولد الولد، والنوافل العطايا، والنوفل الرجل الكثير العطاء. فالنافلة المذكورة في الآية يجوز أن تحمل على العطية الواقعة تفضلاً من غير أن تكون جزاء مستحقًا متفرعًا على ما يدعو إليه فتكون حالاً من المفعول وما عطف عليه جميعًا أي وهبناهما حال كون كل واحد منهما عطية متبرعًا بها. وقيل: إنه منصوب على أنه مصدر «وهبنا له» من غير لفظه بمعنى وهبنا له هبة مبتدأة. ويجوز أن يحمل على ولد الولد لأن يعقوب ولد إسحٰق عليهما الصلاة والسلام، وعلى الزيادة على ما سأل كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩] أي زيادة على الفرائض فإنه عليه الصلاة والسلام سأل الله ولدًا حيث قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠] وهو سؤال الولد، فأجاب الله تعالى دعاءه ووهب له إسحٰق ولدًا ليستأنس به من وحشة الغربة وأعطاه يعقوب من إسحٰق من غير دعائه، فكان ذلك نافلة كالشيء المتطوع به وزيادة على الولد لكونه ولد الولد. فعلى هذين الوجهين يكون حالاً من المعطوف عليه فقط كما مر في قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣] من أنه حال من الشمس والقمر فقط لعدم اللبس. **قوله: (ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل إلى العلم)** تعليل لما ذكر ثالثًا في وجوه مدحهم. فإنه تعالى

﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تاء الإقامة المعوضة عن إحدى الألفين لقيام المضاف إليه مقامها ﴿وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ موحدين مخلصين في العبادة ولذلك قدم الصلة ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ حكمة أو نبوة أو فصلاً بين الخصوم ﴿وَعِلْمًا﴾ ما ينبغي علمه للأنبياء ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ قرية سدوم ﴿ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ يعني اللواط وصفها بصفة أهلها أو أسندها إليها على حذف المضاف وإقامتها مقامه. ويدل عليه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾ فإنه كالتعليل له ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ في أهل رحمتنا أو في جنتنا

مدحهم أولاً بصلاحهم في أنفسهم وكونهم عاملين بطاعة الله تعالى، ثم بإصلاحهم غيرهم بأمر ربهم وإرساله إياهم لتكميل عباده، ثم بأن علمهم وأوحى إليهم أن تفعل الخيرات وتقام الصلاة وتؤتى الزكاة ليتم كمالهم بانضمام العمل إلى العلم. فالظاهر أن يقول: «بدل» قوله: «ليحثوا عليه» ليكون صلاحهم وإصلاحهم مبنيًا على العلم. إلا أن ترتب العلم على الإيحاء لما كان ظاهرًا مكشوفًا لم يتعرض له بل جعل فائدة الإيحاء إليهم حث الأمة على فعلها، فإن معظم ما يوحى إلى الأنبياء هو التكاليف المتعلقة بالأمة فلذلك جعل فعل الخيرات مصدرًا من المبني للمفعول فإنه لو جعل من المبني للفاعل وكان مضافًا من حيث المعنى إلى ضمير الموحى إليهم وكان التقدير: فعلهم الخيرات وإقامتهم الصلاة وإيتاءهم الزكاة، لفهم أن يكون هذه المذكورات من الأحكام المختصة بالموحى إليهم وليس كذلك، بل هي من التكاليف العامة التي يشترك فيها الأنبياء والأمم فالأصل أن يقال: وأوحينا إليهم أن تفعل الخيرات وتقام الصلاة وتؤتى الزكاة ثم فعلا الخيرات، لأنه في معنى الأول لأن «أن» مع الفعل في معنى المصدر ثم فعل الخيرات أي صيغ ذلك الحرف المصدري مع ما بعده مصدرًا منونًا ناصبًا لما بعده ثم أضيف ذلك المصدر إلى مفعوله، ثم خص من بين الخيرات إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة تنبيهًا على مزيد فضلهما وشرفهما بالنسبة إلى سائر الخيرات. **قوله**: (**وحذف تاء الإقامة المعوضة عن إحدى الألفين**) إحداهما ألف الأفعال والأخرى الألف المبدلة من واو أقوام، يعني أن مصدرًا فعل يجيء على أفعال فإن كان صحيح العين جاء تامًا كالإكرام، وإن كان معتل العين حذف منه إحدى الألفين وعوض عنها تاء التأنيث. فلما قيل في نظم التنزيل ﴿وإقام الصلاة﴾ بدون التاء اعتذر عن حذفها بقيام المضاف إليه مقامها، وقد ورد إثباتها أيضًا مع الإضافة قال تعالى: ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ [النحل: ٨٠] ثم إنه تعالى لما بيّن أصناف ما أنعم عليهم وفاء بعهد الربوبية بيّن اشتغالهم بالطاعة والعبادة وفاء بعهد العبودية فقال: ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ **قوله**: (**ولوطًا آتيناه**) منصوبٌ على شريطة التفسير أي وآتينا لوطًا آتيناه حكمًا، والجملة معطوفة على قوله:

﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ (٧٥)﴾ الذين سبقت لهم منا الحسنى ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ﴾ إذ دعا الله على قومه بالهلاك ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل المذكورين ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ دعاءه ﴿فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ (٧٦)﴾ من الطوفان أو أذى قومه. والكرب الغم الشديد.

﴿وَنَصَرْنَـٰهُ﴾ مطاوعة انتصر أي جعلناه منتصرًا ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ (٧٧)﴾ لاجتماع الأمرين تكذيب الحق والانهماك في الشر، ولم يجتمعا في قوم إلا وأهلكهم الله، ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ في الزرع. وقيل: في كرم تدلت عناقيده ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ

﴿ووهبنا له﴾ جمع إبراهيم ولوطًا عليهما الصلاة والسلام في قوله: ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا﴾ [الأنبياء: ٧١] ثم بيّن ما أنعم به على كل واحد منهما فقال: ﴿ووهبنا له إسحٰق﴾ ثم قال: ﴿ولوطًا آتيناه﴾ فذكر الله تعالى مما آتاه من النعم أربعة أمور: أحدها الحكم، وثانيها العلم، وثالثها إنجاؤه مما يعمل الخبائث، ورابعها إدخاله في رحمته أو جنته. وإن فسر الحكم بالحكمة يراد بها هنا إتيان ما يجب فعله وتقتضيه الأدلة القاطعة والعقل المميز لا ما اشتهر بين القوم من أنها العلم الذي يتصل به العمل بما يناسبه، فإن عطف قوله: ﴿وعلمًا﴾ عليها يأبى حملها على ذلك المعنى ووجه تفسير الحكم بالنبوة كونها سببًا لتقييد الحكم على الأمة. وسدوم أعظم القرى بالمؤتفكة وهي قرى قوم لوط التي قلبها الله تعالى وجعل عاليها سافلها.

قوله تعالى: (ونوحًا) منصوب على العطف على ﴿لوطًا﴾ فيكون مشتركًا معه في عامله الذي هو «آتينا» المفسر بآتيناه الظاهر، وكذلك داود وسليمان والتقدير: ونوحًا آتيناه حكمًا وعلمًا وداود وسليمان آتيناهما، وعلى هذا يكون «إذ» بدلاً من نوحًا ومن داود وسليمان بدل اشتمال. ويجوز أن يكون «نوحًا» منصوبًا بإضمار اذكر أي اذكر نوحًا وداود وسليمان أي اذكر خبرهم وقصتهم. وعلى هذا تكون «إذ» منصوبة بنفس المضاف المقدر أي خبرهم الواقع في وقت كذا وكذا. **قوله:** (ونصرناه **مطاوعه انتصر**) بمعنى أن نصرنا هنا بمعنى منعنا الذي يطاوعه انتصر بمعنى امتنع. قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشعراء: ٩٣] أي هل يمنعونكم أو يمتنعون. والحاصل أن نصر ههنا بمعنى منع لا بمعنى أعان ويدل عليه تعديته بـ «من» فإن نصر بمعنى أعان يتعدى بـ «على» يقال: نصره الله على عدوه. فلما قيل ههنا: ﴿ونصرناه من القوم﴾ علم أن المعنى ومنعناه وحميناه منهم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٢٩] أي يعصمنا من عذابه والانتصار كما يكون بمعنى الامتناع يكون بمعنى الانتقام أيضًا.

﴿ٱلْقَوْمِ﴾ رعته ليلاً ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾ لحكم الحاكمين والمتحاكمين إليهما عالمين.

﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ الضمير للحكومة أو للفتوى قرئ «فأفهمناها». روي أن داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة غير هذا أرفق بهما، فأمر بدفع الغنم إلى أهل الحرث فينتفعون بألبانها وأولادها وأشعارها، والحرث إلى أرباب الغنم يقومون عليه حتى يعود إلى ما كان ثم يترادان. ولعلهما قالا اجتهادًا.

قوله: (رعته ليلاً) النفش أن تنتشر الغنم ليلاً وترعى بلا راع، من باب دخل وضرب جميعًا، وأنفشها صاحبها إذا تركها ترعى. كذلك قال الشاعر:

فما لها الليلة من أنفاش

قال المفسرون: دخل رجلان على داود عليه الصلاة والسلام وعنده ابنه سليمان أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث: إن هذا انفلتت غنمه فوقعت في حرثي فلم تبق منه شيئًا. فقال: لك رقاب الغنم. فقال سليمان: غير هذا أرفق بهما، ينطلق أصحاب الحرث بالغنم فيصيبون من ألبانها ومنافعها وتقوم أصحاب الغنم على الحرث حتى إذا كان كليلة نفشت فيه دفع هؤلاء إلى هؤلاء غنمهم ودفع هؤلاء إلى هؤلاء حرثهم، فقال داود: القضاء ما قضيت، وحكم بذلك. وأكثر المفسرين على أن الحرث كان كرمًا قد تدلت عناقيده. وقال قتادة: كان زرعًا. كذا في البسيط. وجمع الضمير في «حكمهم» لكونه عبارة عن الحاكمين والمتحاكمين وهو يستلزم إضافة المصدر إلى فاعله ومفعوله دفعة واحدة، وهو إنما يضاف إلى أحدهما فقط لأن إضافته إلى الفاعل على سبيل القيام به، وإضافته إلى المفعول على سبيل الوقوع عليه، فهما معمولان مختلفان فلا يكون اللفظ الواحد مستعملاً فيهما معًا. وأيضًا أنه يستلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لأن إضافته إلى الفاعل حقيقة وإلى المفعول مجاز فالجواب: أن هذه الإضافة لمجرد الاختصاص مع قطع النظر عن كون المضاف إليه فاعلاً أو مفعولاً على طريق عموم المجاز كأنه قيل: كنا شاهدين للقضية الواقعة بينهم من إصابة أحد الحاكمين وخطأ الآخر واستيفاء كل واحد من المتحاكمين حقه على النهج المستقيم. **قوله:** (ولعلهما قالا اجتهادًا) فإن بعض العلماء قال بجواز الاجتهاد للأنبياء ليدركوا ثواب المجتهدين لعموم قوله تعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢] والأنبياء أئمة أولي الأبصار وأفضلهم فكيف لا يجوز لهم الاعتبار؟ مع أن الاستنباط أرفع درجات العلماء، فوجب أن يكون للأنبياء نصيب منه وإلا لكان كل واحد من المجتهدين أفضل منهم في هذا الباب. ويدل عليه أيضاً قوله عليه الصلاة والسلام: «العلماء

والأول نظير قول أبي حنيفة في العبد الجاني، والثاني مثل قول الشافعي بغرم الحيلولة للعبد المغصوب إذا أبق. وحكمه في شرعنا عند الشافعي وجوب ضمان المتلف بالليل إذ المعتاد ضبط الدواب ليلاً. وكذلك قضى النبي ﷺ لما دخلت ناقة البراء حائطًا وأفسدته فقال: «على أهل الأموال حفظها بالنهار وعلى أهل الماشية حفظها بالليل»

ورثة الأنبياء» فيستلزم أن تكون درجة الاجتهاد ثابتة للأنبياء ليرث العلماء عنهم ذلك. ومنهم من لا يجوّز لهم الحكم بالاجتهاد ويقول: إنهم مستغنون عنه بالوحي فإن الاجتهاد إنما يصار إليه عند فقد النص، والنص ليس بمفقود في حق الأنبياء فلا يجوز لهم الاجتهاد عند أكثر العلماء، بخلاف أهل السنة فإنهم يجوّزون لهم الحكم بالاجتهاد فجاز أن يجتهدوا. ويكون اجتهاد سليمان أشبه بالصواب، فيرجع أبوه داود إلى اجتهاده قبل الحكم باجتهاد نفسه لأن الحكم الواقع بالاجتهاد لا ينقض باجتهاد آخر. ويجوز أن يكون الثاني وحيًا وحينئذ ينقض الحكم بالاجتهاد. وقيل: حكما جميعًا بالوحي إلا أن حكومة داود نسخت بحكومة سليمان. واختار المصنف أنهما حكما بالاجتهاد لا بالوحي لأنهما لو حكما بالوحي لما اختص سليمان بقوله تعالى: ﴿ففهمناها سليمان﴾ بخلاف ما إذا قالا بالاجتهاد وكان اجتهاد سليمان صوابًا أو أصوب، فإنه يجوز أن يقال في حقه ﴿ففهمناها سليمان﴾ ولما كان الاجتهاد في نفسه مفتقرًا إلى العلم ولا يصح بدونه قيل: ﴿وكلا آتينا حكمًا وعلمًا﴾ وقيل: لو كانا بالاجتهاد لما نقض حكم سليمان حكم داود لأن الاجتهاد لا ينقض الاجتهاد فتعيّن أنهما كانا بالوحي. والجواب ما مر من أنهما اجتهدا وكان اجتهاد سليمان أشبه بالصواب، فرجع داود إلى اجتهاده قبل الحكم باجتهاد نفسه. فقد روي في الأخبار الكثيرة أن داود لم يكن بين الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان أن غير ذلك أولى. وروي أن داود ناشده وقال له: بحق البنوة والأبوة إلا أخبرتني بالذي هو أوفق بالفريقين؟ فقال: ادفع الغنم إلى صاحب الحرث الخ.

قوله: (والأول) أي حكم داود بالغنم لصاحب الحرث نظير قول أبي حنيفة في العبد الجاني: أنه إذا جنى على النفس يدفعه المولى إلى ولي الجناية أو يعطى أرش الجناية. فإن موجب جناية العبد عنده صيرورة العبد جزاء جنايته، قلّت الجناية أو كثرت وللمولى أن يختار الفداء بالأرش. فكذا الحال في حادثة الحرث فإن الغنم فيه بمنزلة العبد الجاني فكانت نفس الغنم جزاء لجنايتها. وقال سليمان: لا يزال ملك المالك عن الغنم بل يحال بينه وبين ملكه بأن يدفع الغنم إلى أهل الحرث لينتفعوا بها بإزاء ما فات عنهم من الانتفاع بالحرث إلى أن يزول ما طرأ على الحرث من النقص والضرر ويصير كما كان. ونظيره قول الإمام الشافعي فيمن غصب عبدًا فأبق من يده فإنه يوجب على الغاصب غرم الحيلولة ويقول: إنه

وعند أبي حنيفة لا ضمان إلا أن يكون معها حافظ لقوله عليه السلام: «جرح العجماء جبار». ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ دليل على أن خطأ المجتهد لا يقدح فيه.

يضمن قيمة العبد ويحال بينه وبين القيمة لينتفع بها المغصوب منه بإزاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فإذا أظهر العبد تردِ لبقاء ملك كل واحد منهما فيما فات عنه وحيُل بينه وبينه. **قوله**: (إلا أن يكون معها حافظ) أي إلا أن يكون مع البهيمة سائقها أو قائدها فإنه يضمن ما أتلفته وهو سائقها أو قائدها، والذي أتلفته بعد انتهاء سوقها أو قودها فلا يضمنه لقوله عليه الصلاة والسلام: «جرح العجماء جبار» أي هدر. والإمام الشافعي يوجب ضمان ما أتلفته ليلاً لما روي في الحديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام: أن ناقة لرجل هاربة دخلت حائط رجل فأفسدت ما فيه فكلم النبي عليه الصلاة والسلام فيها فقضى «أن حفظ الحوائط بالنهار على أهلها وأن حفظ المواشي بالليل على أهلها وأن على أهل الماشية ما أصابت ماشيتهم بالليل». وقد روي أيضًا أنه عليه الصلاة والسلام قال: «ما أصابت الماشية بالليل فعلى أهلها وما أصابت بالنهار فليس على أهلها منه شيء». ولعل أبا حنيفة يجعله منسوخًا بقوله: «جرح العجماء جبار». **قوله**: (دليل على أن خطأ المجتهد لا يقدح فيه) أي لا يجعله آثمًا من حيث إنه تعالى وإن أثنى على سليمان بإصابته حيث قال: ﴿ففهمناها سليمان﴾ لكنه تعالى أثنى على المخطىء أيضًا بعلمه المؤدي إلى الاجتهاد ولم يأثم بخطئه حيث أثنى عليه بقوله: ﴿وكلا آتينا حكمًا وعلمًا﴾ فإن العلم المؤدي إلى الإثم والعقاب لا يكون سببًا للامتنان عليه والمدح بسببه. اختار المصنف قول من ذهب إلى أن المجتهد يخطىء ويصيب، وأن داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام قالا بالاجتهاد إلا أن داود أخطأ وأصاب سليمان، وأنه يجوز الخطأ على الأنبياء إلا أنهم لا يقرون. وأما العلماء فلهم الاجتهاد في الحوادث إذا لم يجدوا فيها نص كتاب أو سنة، فإذا أخطأوا فلا إثم عليهم. روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إذا حكم الحاكم واجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم واجتهد فأخطأ فله أجر» يعني أنه يؤجر على اجتهاده في الحق لأن الاجتهاد عبادة لا أنه يؤجر على الخطأ إلا أن الإثم في الخطأ مرفوع عنه، إذ بذل جهده في إصابة الحق. والحاصل أن في كل حادثة حكمًا معينًا عند الله تعالى وعليه دليل قطعي أو ظني، فمن وجده أصاب ومن فقده أخطأ ولم يأثم فإن قيل: لو تعين الحكم فالمخالف له لم يحكم بما أنزل الله فيفسق أو يكفر لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٤، ٤٥] الآية فالجواب أنه لما أمره بالحكم بما ظنه وإن أخطأ فقد حكم بما أنزل الله وقوله تعالى: ﴿وكلا آتينا حكمًا وعلمًا﴾ لا ينافي أن يكون البعض منهم مخطئًا لأن خطأ المجتهد لا يوجب أن لا يكون له علم وحكم، فإن كل مجتهد لا بد أن يكون عالمًا قادرًا على استنباط الأحكام من

وقيل: على أن كل مجتهد مصيب. وهو يخالف مفهوم قوله: «ففهمناها» ولولا النقل لاحتمل توافقهما على أن قوله: «ففهمناها» لإظهار ما تفضل عليه في صغره. ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ يقدّسن الله معه إما بلسان الحال أو بصوت يتمثل له أو

النصوص إذ لو لم يكن عالمًا بالغًا إلى مرتبة الاجتهاد لم يجز له أن يجتهد ويحكم بالاجتهاد.

قوله: (وقيل على أن كل مجتهد مصيب) فيما عليه من الاجتهاد في الحادثة كما ذهب إليه أبو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى. قال صاحب الكشاف: وفي قوله: ﴿ففهمناها سليمان﴾ دليل على أن الأصوب كان مع سليمان وفي قوله: ﴿وكلا آتينا حكمًا وعلمًا﴾ دليل على أنهما جميعًا على الصواب. ووجه الاستدلال أنه لو كان المصيب واحدًا منهما وكان مخالفه مخطئًا لما صح أن يقال ﴿وكلا آتينا حكمًا وعلمًا﴾ وفيه أنه إنما يكون دليلاً على كونهما من أهل الاجتهاد ولا يدل على كون كل واحد منهما مصيبًا وإنما يدل عليه أن لو قيل: ﴿وكلا آتينا حكمًا وعلمًا﴾ بما حكم الله تعالى به في تلك الحادثة وليس نظم التنزيل هكذا، فيجوز أن يكون المراد به ﴿آتيناه علمًا﴾ بوجوه الاجتهاد وطرق الأحكام وهو لا يستلزم كونه مصيبًا للدليل الذي أقامه الله تعالى ليدل على ما حكم به في تلك الحادثة. وأيضًا القول بأن كل مجتهد مصيب مخالف لما يفهم من قوله تعالى: ﴿ففهمناها سليمان﴾ فإنه يدل بطريق المفهوم على أن داود لم يفهم الحكم الذي هو الحكم عند الله، وأنه تعالى لم يفهمه ذلك فكيف يكون مصيبًا في حكمه واجتهاده المؤدي إليه؟ ثم أشار بقوله: «ولولا النقل» إلى جواب ما يقال: لا نسلم أن القول المذكور مخالف لمفهوم قوله: ﴿ففهمناها سليمان﴾ وإنما يخالفه أن لو كان داود وسليمان قد اختلفا في الحكم وليس كذلك لما روي عن أبي بكر الأصم أنه قال: إنهما لم يختلفا في الحكم البتة بناء على أنه تعالى بيّن لهما الحكم على لسان سليمان واتفقا على ذلك الحكم. ولما ورد أن يقال: لو اتفقا في الحكم بتفهيم الله تعالى إياهما ذلك لكان الظاهر أن يقال: ففهمناها إياهما ولا يخص سليمان بالذكر. أشار إلى دفعه بقوله: «على أن قوله: «ففهمناها إياهما» إلا أن سليمان عليه الصلاة والسلام لما اختص بصغر السن والفهم منه أغرب خص بالذكر إظهارًا لما تفضل به عليه في صغره. وتقرير ما أشار إليه بقوله: «ولولا النقل لاحتمل توافقهما» أن احتمال التوافق بناء على أن تخصيص سليمان لإظهار ما تفضل عليه في صغره، وهذا التخصيص لأجل إظهار ما تفضل عليه في صغره ينفيه ما نقل أنهما قد اختلفا في القول والحكومة. فإن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين قد اتفقوا على أن داود قال لصاحب الحرث: اذهب فإن الغنم لك. فلما خرج المتحاكمان من عنده ومرا على سليمان قال: كيف قضى بينكما؟ فأخبراه بما قضى به

بخلق الله فيها. وقيل: يسرن معه من السباحة وهو حال أو استئناف لبيان وجه التسخير

فقال عليه الصلاة والسلام: لو كنت أنا القاضي لقضيت بغير هذا. وروي أنه عليه الصلاة والسلام قال: غير هذا أرفق بالفريقين: فأخبرا داود بذلك فدعاه فقال: كيف كنت تقضي بينهما؟ وعلى الرواية الثانية أنه دعا سليمان فقال: بحق البنوة والأبوة إلا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين؟ فقال: أن تسلم الغنم إلى صاحب الحرث حتى يرتفق بمنافعها وأن يعمل صاحب الغنم في إصلاح الحرث حتى يصير كما كان، ثم ترد الغنم إلى صاحبها والحرث إلى صاحبه. ولا يخفى أن إجماع الصحابة في بيان كيفية القصة على الوجه المذكور ينفي احتمال توافقهما في الحكم. لما بيّن الله تعالى ما آتاه داود وسليمان عليهما السلام ذكر ما خص به داود فقال: ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن﴾ وهو العامل في «مع» وهو نظير قوله تعالى: ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠] و «يسبحن» حال من «الجبال» و «الطير» معطوف على الجبال. وقيل: الواو فيه بمعنى مع كذا. أعرب أبو البقاء وإن جعل «يسبحن» استئنافًا جوابًا لمن قال: كيف سخرهن؟ يكون قوله: «مع داود» حالاً من «الجبال» أي سخرنا الجبال كائنة مع داود. والمراد بكونها معه إما تسبيحها مع تسبيحه وإما سيرها مع سيره، على أن يكون «يسبحن» المشدد بمعنى يسبحن الثلاثي من السبح الذي هو السباحة نقل إلى باب التفعيل للتكثير، ولو لم يقصد الكثرة لقيل: يسبحن، وإن كان من التسبيح بمعنى التقديس فالمراد بتسبيح الجبال معه تسبيح دلالة فإنهن يسبحن الله تعالى ويذكرنه بدلالة الحال قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] إلا أن التسبيح بهذا المعنى لا يختص بكونها مع داود، ولعل وجه التخصيص أنه عليه الصلاة والسلام كان يفهم تسبيح الجبال وما فيها من الأحجار والأشجار فيزداد يقينًا وتعظيمًا ونشاطًا في التسبيح والتقديس واشتياقًا إليه. ويدل عليه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر، مع أن تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي الحكم عما عداه. ويحتمل أن يكون المراد بتسبيح الجبال معه أن يتمثل له صوت التسبيح من جهتها على طريق انعكاس الصدى من الأجرام الصقيلة العالية، كما روي عن ابن وهب أنه قال: كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح. ويجوز أن يكون تسبيح الجبال بأن يخلق الله تعالى فيها الكلام، فإن المتكلم والمسبح عند أهل السنة من يقوم به الكلام والتسبيح ويكون محلاً لهما لا من يوجدهما، بخلاف المعتزلة فإن المتكلم عندهم من يوجد الكلام والجبال جمادات لا يصح منها الفعل ولا يصح إسناد التكلم إليها بأن يخلق الله تعالى فيها الكلام لأن المتكلم هو الله تعالى لا الجبال على زعمهم. **قوله: (وقيل يسرن معه)** عطف على قوله: «يقدسن».

و«مع» متعلقة به أو «بسخرنا» ﴿وَٱلطَّيْرَۚ﴾ عطف على الجبال أو مفعول معه. وقرىء بالرفع على الابتداء أو العطف على الضمير على «ضعف». ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ۝٧٩﴾ لأمثاله فليس ببدع منا وإن كان عجيبًا عندكم.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ عمل الدرع وهو في الأصل اللباس قال:

البس لكل حالة لبوسها

قيل: كانت صفائح فحلقها وسردها. ﴿لَّكُمْ﴾ متعلق بعلم أو صفة للبوس ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْۖ﴾ بدل منه بدل الاشتمال بإعادة الجار والضمير لداود أو للبوس. وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة أو للبوس على تأويل الدرع. وفي

قوله: (وقرىء بالرفع) أي برفع «الطير» على أنه مبتدأ حذف خبره أي والطير مسخرات أيضًا، أو على أنه معطوف على الضمير المرفوع المتصل في «يسبحن»، وهو ضعيف لأنه لم يؤكد ولم يفصل بينهما. وأجاز الكوفيون مثله من غير استقباح، ويجوّزه البصريون أيضًا لكن على قبح. **قوله:** (في الأصل اللباس) أي يطلق على ما يلبس درعًا كان أو غيره حتى استعمل في البيت فيما هو شبيه باللباس الحقيقي. وقوله: «البس» بكسر الهمزة وفتح الباء من لبست الثوب لبسًا بضم اللام من باب علم لا من قولك: لبست عليه الأمر لبسًا بفتح اللام من باب ضرب بمعنى خلطت. وتمام البيت:

إما نعيمها وإما بوسها

أي البس في كل حالة ما يلائمها ويصلح لها. وليس المراد لبس ما هو ثوب حقيقة بل المراد عد لكل زمان ما يليق به. وكانت الدرع قبل داود صفائح أي قطع حديد عراضًا فأول من سردها وحلقها داود عليه الصلاة والسلام فجمعت بين الخفة والتحصين. ووجه المعجزة فيه أنه عليه الصلاة والسلام فعل ذلك من غير استعانة بأداة وآلة من نحو الكير والنار والمطرقة كما قال تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠] **قوله:** (بدل منه) أي أن لام «كي» في قوله: ﴿لتحصنكم﴾ متعلقة «بعلمنا» كما تعلقت به اللام التي في «لكم». فلما ورد أن يقال: كيف يجوز أن يتعلق حرفا جر متحدان لفظًا ومعنى بعامل واحد؟ أجاب عنه بأنه بدل منه كما في قوله تعالى: ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ﴾ [الزخرف: ٣٣] وهو بدل اشتمال لأن «لتحصنكم» في تأويل لإحصانكم، وبين الإحصان وضمير «لكم» ملابسة الاشتمال. وقرأ نافع وابن كثير وحمزة والكسائي وأبو عمرو «ليحصنكم» بالياء من تحت وبإسناد الفعل إلى داود أو اللبوس. وقرأ حفص وابن عامر بالتاء من فوق على إسناده إلى الصنعة أو اللبوس على تأويله بالدرع. وقرأ أبو بكر ورويس بنون العظمة جريًا على طريقة

قراءة أبي بكر ورويس بالنون لله عز وجل. ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ ذلك أمر أخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع. ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾ وسخرنا له الريح.

«علمناه». والبأس ههنا الحرب وإن وقع على السوء كله، والمعنى: ليمنعكم ويحرسكم من مكاره بأسكم كالقتل والجرح بنحو السيف والسهم والرمح. الجوهري: البأس العذاب والبأس الشدة في الحرب تقول منه: بؤس الرجل يبؤس بأسًا إذا كان شديد البأس. والخطاب المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿لكم ليحصنكم من بأسكم فهل أنتم﴾ لهذه الأمة من أهل مكة ومن بعدهم إلى يوم القيامة. أخبر الله تعالى أن أول من عمل الدرع داود ثم تعلم الناس منه فتوارثها الناس فعمت النعمة بها كل المحاربين من الخلق إلى آخر الدهر، فلزمهم شكر الله تعالى على هذه النعمة فلذلك أوجب عليهم الشكر فقال: ﴿فهل أنتم شاكرون﴾ أي اشكروا الله تعالى على ما يسّر الله عليكم هذه الصنعة وحرسكم بها من مضار البأس والحرب. قال محيي السنة: يقول لداود وأهل بيته. وقيل: يقول لأهل مكة فهل أنتم شاكرون نعمتي بطاعة الرسول. انتهى كلامه. يريد أن الخطاب المذكور يجوز أن يكون لداود وأهل بيته بتقدير القول أي فقلنا لهم بعدما أنعمنا عليهم بهذه النعم هل أنتم شاكرون ما أعطى من النعم التي ذكرت من تسخير الجبال والطير وإلانة الحديد وعلم صنعة اللبوس.

قوله: (أمر أخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع) فإن تقريع الاستفهام عن مباشرة الفعل بعد بيان ما يوجب مباشرته أبلغ في إيجابه من الإيجاب بصورة الأمر لتضمنه التقريع على تركه بعد تحقق ما يوجبه، ومثله كثير ومنه قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] قيل: إن داود عليه الصلاة والسلام خرج يومًا متنكرًا طالبًا من يسأله عن سيرته في مملكته، فاستقبله جبريل عليه الصلاة والسلام على صورة آدمي ولم يعرفه داود عليه الصلاة والسلام فقال له: كيف ترى سيرة داود في مملكته؟ فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام: نعم الرجل هو لولا أن فيه خصلة واحدة. قال: وما هي؟ قال: بلغني أنه يأكل من بيت المال وليس شيء أفضل من أن يأكل الرجل من كدّ يده. فرجع داود عليه الصلاة والسلام وسأل الله تعالى أن يجعل رزقه من كدّ يده فألان له الحديد وكان يتخذ الدرع من الحديد ويبيعها ويأكل من ذلك، فذلك قوله تعالى: ﴿وعلمناه﴾ أي ألهمناه ويقال: علمناه بالوحي صنعة لبوس. ثم إنه تعالى لما ذكر النعم التي خص بها داود ذكر بعدها النعم التي خص سليمان بها فإنه تعالى ورث سليمان من داود ملكه ونبوته وزاد عليه أمرين: سخر له الريح والشياطين فقال: ﴿ولسليمان الريح﴾ والعامة على نصب «الريح» بعامل مقدر أي وسخرنا الريح لسليمان. وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر الجار قبله و «عاصفة» حال من مفعول «سخرنا» المقدر على قراءة من نصب أو من فاعل الاستقرار الذي تعلق به الجبر على

ولعل اللام فيه دون الأول لأن الخارق فيه عائد إلى سليمان نافع له. وفي الأول أمر يظهر في الجبال والطير مع داود بالإضافة إليه. ﴿عَاصِفَةً﴾ شديدة الهبوب من حيث إنها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢] وكانت رخاء في نفسها طيبة. وقيل: كانت رخاء تارة وعاصفة أخرى حسب إرادته ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ بمشيئته حال ثانية أو بدل من الأولى، أو حال من ضميرها. ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ إلى الشام رواحًا بعد ما سارت به منه بكرة. ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ فنجريه على ما تقتضيه الحكمة.

قراءة من رفع. والعاصفة الشديدة الهبوب والرخاء اللينة. **قوله:** (ولعل اللام فيه دون الأول) جواب عما يقال: ما الفائدة في تخصيص داود بلفظ «مع» وسليمان بلفظ اللام، حيث قال في حق داود ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] وقال في حق سليمان: ﴿وسخرنا لسليمان الريح﴾ وراعى هذا الأسلوب أيضًا في قوله ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ [سبأ: ١٠] وقال: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً﴾ [صَ: ٣٦] وتقرير الجواب: أن ما كان خارقًا في حق كل واحد منهما وإن كان معجزًا تشرف به صاحبه، إلا أن سليمان لما كان مستخدمًا لما هو معجز له استخدام المالك لمملوكه نسب إليه باللام دون داود فإنه تشرف به من حيث موافقته له عند تسبيحه وليس نسبة معجزه إليه كنسبة المملوك إلى مالكه، فنسب معجز سليمان إليه بلام التمليك ولم ينتسب معجز داود إليه بتلك اللام. **قوله:** (تبعد بكرسيه) الباء فيه للتعدية يعني أنها تعمل عمل الريح العاصفة مع كونها لينة في نفسها فإن منزله عليه الصلاة والسلام كان بالشام وكانت الريح تحمله من نواحي الأرض إليها في مدة يسيرة بعدما سارت به منها بكرة وكانت تذهب به غدوة من الشام إلى أي ناحية من نواحي الأرض بينها وبين الشام مسيرة شهر إلى وقت الزوال، ثم ترجع منها بعد الزوال إلى الشام عند الغروب كما قال تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢] والرواح نقيض الصباح وهو اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل، وقد يكون مصدر قولك: راح يروح رواحًا وهو نقيض قولك: غدا يغدو غدوًا. قال الحسن: لما شغلت الخيل نبي الله سليمان حتى فاتته صلاة العصر غضب فعقر الخيل فطفق مسحًا بالسوق والأعناق، فأبدله الله مكانها خيرًا منها وأسرع وهو الريح تجري بأمره حيث شاء، وكان يغدو من إيليا فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيبت بأرض الشام. قال مقاتل: نسجت الشياطين لسليمان بساطًا فرسخًا في فرسخ من ذهب في إبريسم، وكان يوضع له منبر من ذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة تقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة، وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين، وتظلله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ في البحار ويخرجون نفائسها. و«من» عطف على «الريح» أو مبتدأ خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة. ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ ويتجاوزون ذلك إلى أعمال أخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة

الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح ومن الرواح إلى الغروب، وكان عليه الصلاة والسلام أمرأ قلما يقعد عن الغزو لا يسمع في ناحية من الأرض ملكًا إلا أتاه ودعاه إلى الحق.

قوله: (ومن عطف) يعني أن «من» في قوله: ﴿من يغوصون﴾ سواء كانت موصولة أو نكرة موصوفة يجوز أن تكون في محل النصب بالعطف على الريح أي وسخرنا له من يغوصون ويدخلون تحت البحر، وأن تكون في محل الرفع على الابتداء والخبر الجار والمجرور قبله وجمع الضمير العائد إليه حملاً على معناه وحسن ذلك تقدم الجمع في قوله: ﴿الشياطين﴾ وقوله: ﴿دون ذلك﴾ صفة «العملا». والمراد بحفظ الشياطين حفظهم من أن يعصوا ويتمردوا عليه كما قال: ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢] وقيل: المراد حفظهم من أن يفسدوا ما عملوا. روي أن سليمان كان إذا بعث شيطانًا مع إنسان ليعمل له عملاً قال له إذا فرغ من عمله قبله قبل الليل: اجعله مشغولاً بعمل آخر لئلا يفسد ما عمله. وكان من عادة الشياطين أنهم إذا فرغوا من العمل ولم يشتغلوا بعمل آخر خربوا ما عملوه وأفسدوه. قال الإمام الرازي في تفسيره: إن الجبائي سأل نفسه وقال: كيف يتهيأ لهم هذه الأعمال وأجسامهم رقيقة لطيفة لا يقدرون على عمل الثقيل وإنما يمكنهم الوسوسة؟ وأجاب عنه بأنه سبحانه كثف أجسامهم وقواهم وزاد في عظمهم ليكون ذلك معجزة لسليمان عليه الصلاة والسلام، فلما مات سليمان ردهم الله تعالى إلى الخلقة الأولى لانتهاء الحكمة الداعية إلى تغيير خلقتهم. ثم قال الإمام الرازي: واعلم أن هذا الكلام ساقط من وجوه: أحدها لـمَ قلتم إن الجن من الأجسام ولم لا يجوز وجود محدث ليس بمتحيز ولا قائم بالمتحيز وتكون الجن منهم؟ فإن قلت: لو كان الأمر كذلك لكان مثلاً للباريء تعالى ولوجب أن يتميز الباريء عنهم بما يميزه عنهم، فيلزم ترك الواجب. قلت: هذا ضعيف لأن الاشتراك في اللوازم الثبوتية لا يدل على اشتراك الملزومات فكيف في اللوازم السلبية؟ سلمنا أنه جسم لكن لم لا يجوز حصول القوة على هذه الأعمال الشاقة في الجسم اللطيف؟ وكلامه مبني على أن البنية تشترط فيه وليس في يده إلا الاستقراء الضعيف سلمنا أنه لا بد من تكثيف أجسامهم لكن لـم قلت بأنه لا بد من ردها إلى الخلقة الأولى بعد موت سليمان، فإن زعمت أن إبقاءهم على الخلقة الثانية يفضي إلى التلبيس أي تلبيس النبي على الخلق بأن يدعي النبوة ويجعل ذلك معجزة لنفسه قلت: كيف يفضي إلى التلبيس وللخلق أن

كقوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ﴾ [سبأ: ١٣] ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾ أن يزيغوا عن أمره أو يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم. ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ بأني مسني الضر. وقرىء بالكسر على إضمار القول أو تضمين النداء معناه. والضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس كمرض

يقولوا لم لا يجوز أن يكونوا مخلوقين كذلك؟ أو تكون قوة أجسامهم معجزة لنبي آخر. ومع قيام هذا الاحتمال لا يتمكن النبي من الاستدلال به على نبوته. **قوله تعالى:** (وأيوب إذ نادى ربه) كقوله: ونوحًا وما بعده في الوجهين المذكورين أي وكذلك آتينا أيوب حكمًا وعلمًا، أو اذكر أيوب أي اذكر خبره إذ نادى. وقد كان تعالى قد اصطفى أيوب واستنبأه وبسط له أصناف المال كله من الإبل والبقر والغنم والخيل والحمير والبساتين، ولم يكن في أهل عصره أفضل منه في كثرة الأموال والأهل والأولاد من الرجال والنساء. وكان رحيمًا بالمساكين يكفل الأيتام والأرامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل، وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وعرفوا فضله وكان أحدهم من اليمن اسمه التقن، ورجلان من أهل بلده يقال لأحدهما يلدد وللآخر صنافر وكانوا كهولاً. فابتلاه الله تعالى بإهلاك ماله من الإبل مع رعاتها بأن أصابها من تحت الأرض إعصار من نار لا يدنو منه أحد إلا احترق، فأحرق الإبل ورعاتها حتى أتى على آخرها. فجاء إبليس عليه اللعنة في زي بعض الرعاة إلى أيوب فوجده قائمًا يصلي فلما فرغ من الصلاة قال: يا أيوب هل تدري ما صنع ربك الذي اخترته؟ أحرق إبلك ورعاتها. فقال أيوب: إنها مال أعارنيه فهو أولى به إذا شاء نزعه. قال إبليس: صار الناس مبهوتين متعجبين منها فمنهم من يقول: ما كان أيوب يمنع شيئًا وما كان في غرور، ومنهم من يقول: لو كان إلٰه أيوب يقدر على شيء لمنع من وليه، ومنهم من يقول: هو الذي فعل ما فعل ليشمت به عدوه ويفجع به صديقه. فقال أيوب: الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني عريانًا خرجت من بطن أمي، وعريانًا أكون في التراب، وعريانًا أحشر إلى الله عز وجل. ولو علم الله فيك أيها العبد خيرًا لقبض روحك مع تلك الأرواح وصرت شهيدًا وأجارني منك ولكنه علم منك شرًا فأخّرك. ثم ابتلاه الله تعالى بإهلاك ماله من الغنم ورعاتها بأن سلط عليها من صاح صيحة فماتت جميعًا ومات رعاتها، ثم جاء إبليس متمثلاً بصورة قهرمان الرعاة إلى أيوب فقال له مثل قوله الأول ورد عليه أيوب مثل الأول، فرجع إبليس صاغرًا ذليلاً. ثم ابتلاه الله تعالى بإهلاك سائر أمواله من الخيل والحمير والبقر والبساتين وحراسها ومن يقوم عليها حتى أهلك أهله وأولاده جميعًا. قيل: كان له سبعة بنين وثلاث بنات، وقيل: سبعة بنين وسبع بنات. وكلما هلك صنف منها جاء إبليس إلى أيوب عليه الصلاة والسلام وأخبره بذلك واجتهد في ترقيق قلبه وحمله على الجزع والشكوى وترك

وهزال. ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣﴾ وصف ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفًا في السؤال. وكان روميًا من ولد عيص بن إسحٰق استنبأه الله وكثر أهله وماله فابتلاه ربه بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وذهاب أمواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة أو ثلاث عشرة أو سبعًا وسبعة أشهر وسبع ساعات. روي أن امرأته ماخر بنت ميشا بن يوسف أو رحمة بنت أفرائيم بن يوسف قالت له يومًا: لو دعوت الله. فقال: كم كانت مدة الرخاء؟ فقالت: ثمانين سنة.

الصبر، فصبر ولم يجزع واسترجع وفوّض الأمر إلى مالك الملك. وقيل: لما سمع بهلاك أهله وأولاده رق قلبه وبكى وقبض قبضة من التراب ووضعها على رأسه وقال: ليت أمي لم تلدني، فتدارك الأمر من ساعته فندم على ما فعل واستغفر وتاب.

ثم ابتلاه الله تعالى بالمرض في بدنه حتى خرج من قرية إلى قرية بثآليل مثل آليات الغنم ووقعت فيه حكة لا يملكها، فكان يحك بأظفاره حتى سقطت أظفاره كلها، ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى إذا لم يجد منها شيئًا حكها بالفخار والحجارة الخشنة. ثم تقطع لحمه وتغير وانتن فأخرجه أهل القرية منها وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشًا هناك ورفضه الناس كلهم خوفًا من العدوى إلا امرأته، فهي التي كانت تصلح أموره وتختلف إليه بما يهمه ويحتاج إليه. قيل: إن إبليس لما رأى أن أيوب عليه الصلاة والسلام كلما اشتد عليه أنواع المكاره والبلايا لم يزدد بذلك إلا صبرًا وحمدًا لله، انطلق حتى أتى امرأته فتمثل لها في صورة رجل فقال: أين بعلك يا أمة الله؟ قالت: هو ذاك المقروح الذي تتردد الديدان في جسده. فلما سمع منها هذه الكلمة طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس إليها وذكرها ما كان لها من النعيم والمال، وذكرها جمال زوجها أيوب وشبابه فصرخت فلما صرخت علم أن قد جزعت وأتاها بسخلة فقال: ليذبح هذه أيوب لي فيبرأ. فجاءت إلى أيوب تصرخ فقالت: يا أيوب إلى متى يعذبك ربك ألا يرحمك؟ أين المال أين الماشية أين الولد أين الصديق أين اللون الحسن أين جسمك الذي قد بلي وصار مثل الرماد وتردد فيه الديدان؟ اذبح هذه السخلة لإبليس واسترح. قال أيوب عليه الصلاة والسلام: إياك وعدو الله ونفخ فيه فأخنسه ترين ما ابتلينا به من البلايا ولا تذكرين ما كنا فيه من الرخاء، فكم متعنا الله تعالى بنعمائه؟ قالت: ثمانين سنة. قال: فكم مدة ابتلائنا بهذا البلاء؟ قالت: سبع سنين وأشهرًا. قال: ويلك ما أنصفت ربك إلا صبرت في البلايا ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة. والله لئن شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة، أمرتني أن أذبح لغير الله وحرام عليّ أن أذوق بعد هذا شيئًا من طعامك وشرابك الذي تاتينني به. فطردها فذهبت. فلما نظر أيوب في شأنه وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق وقد ذهبت امرأته خرّ ساجدًا وقال: رب ﴿إني مسني الضر

فقال: أستحيي من الله أن ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي. ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾ بالشفاء من مرضه. ﴿وَءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾

وأنت أرحم الراحمين﴾ فقال الله عز وجل: يا أيوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي، ارفع رأسك فقد استجبت لك ورددت لك مالك وولدك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية، وتكون عبرة لأهل البلاء وقدوة للصابرين اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء لك، وقرب عن أصحابك قربانًا واستغفر لهم فإنهم قد عصوني فيك. فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة ولا جراحة إلا سقطت منه وبرىء. ثم ضرب برجله مرة أخرى فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج وقام صحيحًا وعاد إليه شبابه وجماله حتى صار أحسن ما كان عليه. ثم كسي حلة فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيئًا مما كان له من الأهل والمال إلا وقد ضعفه الله تعالى، حتى ذكر أن الماء الذي اغتسل منه تطاير على صورة جراد من ذهب فجعل يضمه بيده إلى نفسه فأوحى الله تعالى إليه: يا أيوب ألم أغنك عما تفعله؟ قال: بلى ولكنه لا يشبع من نعمك. فخرج من ذلك الموضع حتى جلس على مكان مشرف. ثم إن امرأته قالت: هب أنه قد طردني أفأتركه حتى يموت جوعًا وتأكله السباع لأرجعن إليه، فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة ولا تلك الحالة التي كانت ورأت الأمور قد تغيرت. فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وكان ذلك بعين أيوب وهابت صاحب الحلة أن تأتيه فتسأل منه فأرسل إليها أيوب ودعاها فقال لها: ما تريدين يا أمة الله؟ فبكت وقالت: أريد ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة. قال لها أيوب: ما كان منك ذلك المبتلى؟ فبكت وقالت: بعلي. فقال: أتعرفينه إذا رأيته. قالت: وهل يخفى على أحد بعله الذي كان في خدمته ثمانين سنة؟ فتبسم أيوب وقال: أنا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته، ثم قال لها: إنك أمرتني أن أذبح سخله لإبليس وإني أطعت الله وعصيت الشيطان، ودعوت الله فرد علي ما ترين. وفي هذه القصة روايات كثيرة والله أعلم بما هو الأصح منها. قالت العلماء قول أيوب: ﴿إني مسني الضر﴾ لم يكن جزعًا من أيوب لأنه تعالى وصفه بالصبر حيث قال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ﴾ [صٓ: ٤٤] بل هو دعاء منه. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فاستجبنا له﴾ أي أجبناه. وإليه أشار المصنف بقوله: «وأكتفي بذلك عن عرض المطلوب لطفًا في السؤال» قيل لبعض العلماء: الراضي بالله هل يسأل ربه؟ قال: يعرّض، أي يسأل حاجته بالكناية، قيل له: مثل ايش؟ قال: مثل قول أيوب ﴿ربّ إني مسّني الضرّ وأنت أرحم الراحمين﴾ على أن الجزع إنما هو الشكوى إلى الخلق وأما من شكا إلى الله فليس بجازع ألا ترى إلى قول يعقوب عليه الصلاة والسلام ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦] قال ابن مسعود وقتادة والحسن في قوله تعالى:

بأن ولد له ضعف ما كان أو أحيى ولده وولد له منهم نوافل ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ رحمة على أيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما أثيب، أو لرحمتنا العابدين وإنّا نذكرهم بالإحسان ولا ننساهم.

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ يعني الياس. وقيل: يوشع. وقيل: زكريا سمي به لأنه كان ذا حظ من الله أو تكفل منه، أو له ضعف عمل أنبياء زمانه وثوابهم. والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف. ﴿كُلٌّ﴾ كل هؤلاء ﴿مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ على مشاق التكاليف وشدائد النوائب ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ يعني النبوة أو نعمة الآخرة. ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ الكاملين في الصلاح وهم الأنبياء فإن

﴿وآتيناه أهله ومثلهم﴾ أنه تعالى أحيى أولاده الذين هلكوا في بلائه وأوتي مثلهم في الدنيا. وعن ابن عباس قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾ فقال: «يا ابن عباس رد الله امرأته وزاد في شبابها حتى ولدت ستة وعشرين ذكرًا وأهبط الله تعالى إليه ملكًا فقال: يا أيوب إن الله يقرئك السلام بصبرك على البلاء، فاخرج إلى اندرك. فبعث الله سحابة حمراء فهبطت إليه بجراد الذهب والملك قائم معه وكانت الجرادة تذهب من الأندر فيتبعها حتى يردها إلى الدره. فقال الملك: يا أيوب أما تشبع من الداخل حتى تتبع الخارج فقال: إن هذه بركة من بركات ربي ولست أشبع منها».

قوله: (رحمة على أيوب وتذكرة لغيره) فلا يكون «رحمة» و «ذكرى» متنازعين في العابدين بل يكون متعلق الرحمة محذوفًا وهو أيوب للعلم به لأن الكلام فيه. وعلى الثاني يتوجه كل واحد منهما إلى العابدين على سبيل التنازع. ولا يخفى أن عدم تخصيص الرحمة بأيوب وجعلها متوجهة إلى عامة العابدين لدخول أيوب فيهم دخولاً أوليًا أوفق للواقع وأنسب للمقام من تخصيص الرحمة بأيوب والذكرى بغيره. والذكرى على الأول بمعنى التذكرة وعلى الثاني بمعنى الذكر. ولعل الوجه في إظهار اللام في الوجه الثاني مع تحقق شرائط نصب المفعول له في كل واحد من الوجهين الإشارة إلى ترجيحه فإن تصريح لام التخصيص مع صحة تعدية الفعل إلى العلة بدونها يشعر بأن تلك العلة لها مزيد اختصاص باستدعاء الفعل. **قوله:** (أو تكفل منه) أي أو لأنه كان ذا كفالة متصلة به تعالى من حيث كون المكفول به مما يبتغي به وجه الله تعالى كما قيل: إنه رجل كفل مائة من الأنبياء أي ضمهم إلى نفسه حتى نجاهم من القتل. وقيل: إنه رجل تكفل أن يصلي بالليل ولا يفتر، وأن يصوم بالنهار ولا يفطر، ويقضي بين الناس ولا يغضب ووفى به فشكر الله تعالى له وجعله نبيًا. وقيل: إنه زكريا سمي به لكفالته مريم. وبالجملة إن كان الكفل بمعنى الكفالة فالمراد بذي الكفل رجل كان ذا تكفل منه تعالى، وإن كان بمعنى النصيب أو الضعف فالمراد به من

صلاحهم معصوم عن كدر الفساد. ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ وصاحب الحوت يونس بن متى. ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا﴾ لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادي إصرارهم مهاجرًا

كان ذا نصيب من فضل الله وثوابه أو من كان له ضعف عمل الأنبياء في زمانه وضعف ثوابهم. لما ذكر الله تعالى صبر أيوب وانقطاعه إليه اتبعه بذكر هؤلاء لأنهم أيضًا كانوا من الصابرين على طاعة الله وعن معاصيه، فإن إسماعيل صبر على الانقياد للذبح وصبر على المقام ببلد لا زرع فيه ولا ضرع ولا بناء، وصبر في بناء البيت على ما فيه من المشاق، فلا جرم أكرمه الله تعالى وأخرج من صلبه خاتم النبيين صلى الله عليه وعليهم أجمعين وكذا الآخران. **قوله**: (وصاحب الحوت) يعني أن «ذا» بمعنى صاحب والنون الحوت. والمراد بذي النون يونس عليه الصلاة والسلام سمي بذلك لأنه ابتلعه الحوت. قيل: خمسة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ذوو اسمين: إسرائيل ويعقوب الياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد وأحمد عليهم الصلاة والسلام. **قوله**: (لما برم) أي مل لطول دعوتهم على قول من يقول: إنه عليه الصلاة والسلام وقع في بطن الحوت بعد اشتغاله بأداء الرسالة. وقيل: إنه وقع في بطن الحوت قبل اشتغاله بأداء الرسالة بناء على ما روي عن ابن عباس أنه قال: كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك وسبى منهم تسعة أسباط ونصفًا، وبقي سبطان ونصف فأوحى الله تعالى إلى شعيب النبي عليه الصلاة والسلام: أن اذهب إلى حزقيل الملك وقل له: وجه نبيًا قويًا أمينًا حتى يلقي في قلوب أولئك أن يرسلوا بني إسرائيل. فقال له الملك: فمن ترى؟ وكان في مملكته خمسة من الأنبياء فقال: يونس بن متى فإنه قوي أمين. فدعاه الملك وأمره أن يخرج فقال يونس: هل أمرك الله تعالى بإخراجي؟ قال: لا. قال: فهل سماني لك؟ قال: لا. فقال يونس: وههنا أنبياء غيري. فألحوا عليه فخرج مغاضبًا للملك ولقومه فأتى بحر الروم فوجد قومًا هيؤوا سفينة فركب معهم، فلما لجت السفينة تكفأت بهم فكادوا يغرقون فقال الملاحون: هنا رجل عاصٍ أو عبد آبق لأن السفينة لا تفعل هذا إلا وفيها رجل عاص، ومن رسمنا إذا ابتلينا بهذا البلاء أن نقترع فمن وقعت عليه القرعة ألقيناه في البحر، ولأن يغرق واحد خير من أن تغرق السفينة. فاقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة فيها كلها على يونس عليه الصلاة والسلام فقال: أنا الرجل العاصي والعبد الآبق. فألقى نفسه في البحر فجاء حوت وابتلعه، فأوحى الله تعالى إلى الحوت: أن لا تؤذ منه شعرة فإني جعلت بطنك سجنًا له ولم أجعله طعامًا. ثم لما أنجاه الله تعالى من بطن الحوت ونبذه بالعراء كالفرخ المنتوف ليس به شعر ولا جلد، أنبت الله عليه شجرة من يقطين يستظل بها ويأكل من ثمرها حتى اشتد فيبست فحزن عليها يونس عليه الصلاة والسلام فقيل له: أتحزن على شجرة ولم تحزن على مائة ألف أو يزيدون حيث

عنهم قبل أن يؤمر وقيل: وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن أنه كذبهم وغضب من ذلك. وهو من بناء المغالبة للمبالغة أو لأنه أغضبهم

لم تذهب إليهم ولم تطلب راحتهم؟ ثم أوحى تعالى إليه وأمره أن يذهب إليهم فتوجه إليهم حتى دخل أرضهم وهم منه غير بعيد، فأتاهم يونس وقال لملكهم: إن الله تعالى أرسلني إليك فأرسل معي بني إسرائيل. قالوا: ما نعرف ما تقول ولو علمنا أنك صادق لفعلنا، وقد أتيناكم في دياركم وسبيناكم فلو كان الأمر كما تقول لمنعنا الله عنكم. فطاف بهم ثلاثة أيام يدعوهم إلى ذلك فأبوا عليه، فأوحى الله تعالى إليه قل لهم: إن لم يؤمنوا جاءهم العذاب، فأبلغهم فأبوا فخرج من عندهم. فلما فقدوه ندموا على فعلهم فانطلقوا يطلبونه فلم يقدروا عليه، ثم ذكروا أمرهم وأمر يونس للعلماء الذين عندهم فقالوا: انظروا واطلبوه في المدينة فإن كان فيها فليس مما ذكر من نزول العذاب شيء، وإن كان قد خرج فهو كما قال. فطلبوه فقيل لهم إنه خرج العشية فلما آيسوا أغلقوا باب مدينتهم فلم يدخلها دوابهم ولا غنمهم وعزلوا كل والدة عن ولدها وكذا الصبيان والأمهات. ثم قاموا ينتظرون الصبح فلما انشق الصبح رأوا العذاب نزل من السماء فشقوا جيوبهم ووضعت الحوامل ما في بطونها وصاح الصبيان ونعقت الأغنام والبقر، فرفع الله العذاب عنهم فبعثوا إلى يونس فآمنوا به وبعثوا معه بني إسرائيل. فعلى هذه الرواية كانت رسالة يونس بعد نبذ الحوت، ودليل هذا القول قوله تعالى في سورة الصافات: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٥ - ١٤٧] وأكثر العلماء على أن قصة الحوت وذهاب يونس مغاضبًا إنما وقعت بعد أن أرسله الله إليهم وبعد أن رفع العذاب عنهم بسبب توبتهم وإخلاصهم في الدعاء. وذكر المصنف في سبب خروجه وغضبه أمرين: الأول أنه غضب عليهم لطول ما ذكرهم وأقاموا على كفرهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله إلا غضبًا لله وأنفة لدينه وبغضًا للكفر وأهله، وكان عليه أن يصبر وينتظر الإذن من الله تعالى في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت. والثاني أنه لما أخبر قومه أن الله تعالى ينزل العذاب بهم لأجل معلوم وفارقهم ثم بلغه بعد مضي الأجل أنه تعالى لم يعذبهم ولم يعلم لأي سبب لم يعذبهم، فخشي أن ينسب إلى الكذب ويعير به فقال: لا أرجع، إلى قومي كذابًا، فذهب مغاضبًا للرجوع إليهم كارهًا له. والغضب والكراهة وإن كان من قبله خاصة إلا أنه أخرج على بناء المفاعلة للدلالة على كمال غضبه والمبالغة فيه لأن أكثر استعمال بناء المفاعلة في المبالغة، ولا شك أن ما صدر بطريق المبالغة يكون أتم. ويحتمل أن يكون البناء على بابه من باب المشاركة من حيث إنه أغضب قومه حين لم يؤمنوا بدعوته وأصروا على الكفر مدة، وأغضبوا إياه حين خرج من بينهم لخوفهم لحقوق العذاب بهم عند خروجه من بينهم.

بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها. وقرىء «مغضبًا». ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ لن نضيق عليه أو لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر. ويعضده أنه قرىء مثقلاً أو لن نعمل فيه قدرتنا. وقيل: هو تمثيل لحاله بحال من ظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمرنا أو خطرة شيطانية سبقت إلى وهمه فسمي ظنًا للمبالغة. وقرىء بالياء. وقرأ يعقوب على البناء للمفعول. وقرىء به مثقلاً. ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ في الظلمة الشديدة المتكاثفة أو ظلمات بطن الحوت والبحر والليل. ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ بأنه لا إلـه إلا أنـت. ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ مـن أن يـعـجـزك شـيء. ﴿إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ لنفسي بالمبادرة إلى المهاجرة. وعن النبي ﷺ: «ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له».

قوله: (لن نضيق عليه) فإن قدر قد يكون بمعنى ضيق يقال: قدر على عياله قدرًا قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦؛ الروم: ٣٧] وآيات أخرى. أي يضيق ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧] أي ومن ضيق. وقد يكون بمعنى قضى يقال: قدر الله الشيء وقدره أي قضاه. فالمعنى: فظن أن لن نقدر عليه بشدة وعقوبة. روي عن ابن عباس مرّ على معاوية يومًا فقال له معاوية: لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها ولم أجد لنفسي خلاصًا إلا بك. فقال: وما هي يا معاوية فقرأ هذه الآية وقال: أو يظن نبي الله أن لا يقدر عليه تعالى؟ فقال ابن عباس: هذا من القدر لا من القدرة. وقوله: «أو لن نعمل فيه قدرتنا» على أن يكون نقدر من القدرة التي هي مجاز عن إعمال القدرة ومباشرة الفعل بها على طريق إطلاق السبب وإرادة المسبب، فإن بين القدرة والفعل علاقة السببية فلا يبعد جعل أحدهما مجازًا عن الآخر. ويحتمل أن يكون قوله: ﴿فظن أن لن نقدر﴾ استعارة تبعية واردة على طريق الاستعارة التمثيلية بأن يشبه حاله في خروجه عن قومه من غير انتظار لأمر الله تعالى بحال من ظن أنه تعالى لا يقدر عليه. والمراغمة المغاضبة يقال: راغم فلان قومه إذا نابذهم وخرج عنهم، و«أن» في قوله: ﴿أن لن نقدر عليه﴾ مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المحذوف و ﴿لن نقدر﴾ هو الخبر. والعامة على «نقدر» بنون العظمة مفتوحة وتخفيف الدال. وقرىء «نقدر» بضم النون وتشديد الدال يقال: قدر الشيء تقديرًا وقدره يقدر قدرًا بمعنى واحد. وقرىء بفتح الياء التحتانية وكسر الدال الخفيفة وبضم الياء وفتح الدال الخفيفة على بناء المفعول واسمها ضمير شأن محذوف والجملة المنفية بعدها خبرها. ويجوز أن تكون مفسرة لورودها بعد ما هو بمعنى القول. نزّه عليه الصلاة والسلام ربه عن كل النقائص التي من جملتها العجز مثل أن يفعل ما فعله ظلمًا أو عن شهوة الانتقام، وأن يعجز عن تخليص المكروب أو عن مؤاخذة

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ بأن قذفه الحوت إلى الساحل بعد أربع ساعات كان في بطنه. وقيل: ثلاثة أيام والغم غم الالتقام. وقيل: غم الخطيئة. ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ من غموم دعوا الله فيها بالإخلاص وفي الإمام نجي فلذلك أخفى الجماعة النون الثانية فإنها تخفى مع حروف الفم. وقرأ ابن عامر وأبو بكر بتشديد الجيم على أن أصله «ننجي» فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء في «تظاهرون» وهي وإن كانت فاء فحذفها أوقع من حروف المضارعة التي لمعنى. ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فإن الداعي إلى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الإدغام وامتناع

الجاني. ولعل قوله: «أن يعجزك شيء» مبني على أنه اختار من محتملات معنى نقدر الاحتمال الأخير وهو أن يكون المراد بالظن الخطرة الوهمية وأن يكون هذا التسبيح استغفارًا منه عن توهم العجز به تعالى. **قوله تعالى:** (وكذلك) أي وكما أنجينا يونس من كرب الحبس في بطن الحوت إذ دعانا ننجي المؤمنين من كربهم إذا استغاثوا بنا، فالكاف فيه صفة مصدر محذوف.

قوله: (وفي الإمام نجي) لا يدل إلا على أن هذه الكلمة رسمت بنون واحدة، ولا دلالة فيه على أن القراءة بتشديد النون وجعله وجهًا لإخفاء جماعة القراء النون الثانية من «ننجي» بضم النون الأولى وسكون الثانية من «أنجى». وإخفاء الحروف حالة بين إظهارها وإدغامها وهو لا يكون إلا بسكونها، وقد يطلق الإخفاء على اختلاس حركة الحرف وهو عدم إتمام الحركة كما أخفى في قوله تعالى: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ١١] حركة النون الأولى. والمراد بالإخفاء ههنا تلفظ النون الثانية على حالة شبيهة بإدغامها في الجيم. ثم ذكر أن ابن عامر وأبا بكر قرآ «أنجى» بنون واحدة وتشديد الجيم وسكون الياء وقال الزجاج: هذه القراءة لحن لا وجه لها. وقال بعضهم: راوي هذه الرواية غلط في الرواية فإنها «ننجي» بنونين كما هي قراءة العامة، لكن النون الثانية من «ننجي» تخفى مع الجيم ولا يجوز تبيينها فالتبس على السامع الإخفاء بالإدغام فظن أنه إدغام. فذكر المصنف أن أصلها «ننجي» بضم النون الأولى وفتح الثانية وتشديد الجيم فاستثقل توالي المثلين فحذفت الثانية كما في قوله تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ [الحجر: ٣] وكما حذفت في قوله: «تذكرون» و «تظاهرون» ونحوهما. ولكن أبو البقاء استضعف هذا التوجيه بوجهين: الأول أن النون الثانية أصل لأنها فاء الكلمة فحذفها بعيد جدًا، والثاني أن حركتها غير حركة النون الأولى فلا يستثقل الجمع بينهما بخلاف «تظاهرون» ألا ترى أنك لو قلت: تتحامى المظالم لم يسغ حذف التاء الثانية؟ والمصنف أجاب عن كل واحد مما ذكره في وجه الاستضعاف وهو حذف أحد المثلين عند اختلاف الحركة في نحو: تتحامى المظالم وتقرير الجواب

الحذف في تتحامى لخوف اللبس. وقيل: هو ماض مجهول أسند إلى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفًا ورد بأنه لا يسند إلى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره. ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ وحيدًا بلا ولد يرثني ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ فإن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي. ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ أي أصلحناها للولادة بعد عقرها، أو لزكريا بتحسين خلقها وكانت خردة. ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني المتوالدين أو المذكورين من الأنبياء

ظاهر. **قوله:** (وقيل) أي وقيل: في توجيه قراءة «نجى» أنه فعل ماض مبني للمفعول وإنما سكنت لامه تخفيفًا، كما سكنت فيما بقي من الربا في القراءة الشاذة. وأسند هذا الفعل إلى ضمير المصدر مع وجود المفعول به الصريح كما في قراءة من قرأ ﴿لِيَجْزِىَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية: ١٤] وقد ذهب إلى جوازه الكوفيون والأخفش. قال أبو البقاء: وهو ضعيف من وجهين: أحدهما تسكين آخر الفعل الماضي والآخر إقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول به الصريح فإن الفعل المبني للمفعول ينبغي أن يسند إلى المفعول كما يسند الفعل المبني للفاعل إلى الفاعل وإنما يسند إلى غيره إذا لم يذكر المفعول به. **قوله:** (لا تذرني) وإن كان على صورة النهي إلا أن مثل هذه العبارة إذا كان من العبد للسيد يكون تضرعًا وتعوذًا ودعاء. ولما بلغ زكريا عليه الصلاة والسلام مائة سنة وبلغ عمر زوجته تسعًا وتسعين ولم يرزق لهما ولد، أحب أن يرزقه الله تعالى من يؤنسه ويقويه على أمر دينه ودنياه ويكون قائمًا مقامه بعد موته، فدعا ربه بأن لا يتركه وحيدًا بلا ولد وهو كقوله: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِى﴾ [مريم: ٥ ـ ٦] ثم رد الأمر إلى مولاه مستسلمًا منقادًا لمشيئته فقال: ﴿وأنت خير الوارثين﴾ أي إن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي به. والمراد بإصلاح زوجه إما جعلها صالحة للولادة بإزالة عقرها، قال الكلبي: كانت عقيمًا فولدت وهي بنت تسع وتسعين سنة، وإما تحسين خلقها وكانت حردة أي غضبانة سيئة الخلق. فمعنى قوله: ﴿وأصلحنا له﴾ على الوجه الأول أصلحناها للولادة لأجل دعاء زكريا وعلى الثاني أصلحناها لصحبة زكريا وحسن المعاشرة. ويجوز أن يراد بإصلاحها جعلها ذات هيئة حسنة ومنظر بهي بحيث يرغب فيها زوجها لأن النساء إذا بلغن سن زوجة زكريا يكن من القواعد اللاتي لايرغب فيهن أحد. **قوله:** (يعني المتوالدين) بلفظ الجمع ليتناول زكريا وامرأته ويحيىٰ عليه الصلاة والسلام. علّل استجابة دعاء زكريا وإصلاح زوجته وما يترتب عليهما من هيئة المولود الصالح بقوله: ﴿إنهم كانوا يسارعون﴾ الآية وذكر في التعليل ثلاثة شروط: أحدها المسارعة في الخيرات لأن الوسيلة متقدمة على المطلب، وثانيها أن يكون الداعي بين الخوف والرجاء يخاف تقصيره ولا يعتمد على عمله لأن العمل بالخواتم ويرجو مع ذلك رحمة الله الواسعة، وثالثها

عليهم السلام ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ يبادرون إلى أبواب الخيرات. ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ ذوي رغب أو راغبين في الثواب راجين للإجابة، أو في الطاعة وخائفين من العقاب أو المعصية. ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)﴾ مخبتين أو دائمي الوجل. والمعنى: إنهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ من الحلال والحرام يعني مريم ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ في عيسى فيها أي أحييناه في جوفها. وقيل: فعلنا النفخ فيها. ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ من

أن يكون مخلصًا لا مرائيًا كما قال إبراهيم النخعي: الخشوع أن يرى الله تعالى من العبد الإخلاص إذا أرخى العبد ستره وأغلق بابه. فالخشوع إنما يكون بالقلب لا بالجوارح بأن يأكل العبد خشنًا ويلبس خشنًا ويطأطىء رأسه ولا يرائي ويتصنع. وإن كان المراد بقوله: «إنهم المذكورين سابقًا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام» يكون المقصود تعليل استجابة جميعهم مثل: إتيان موسى وهارون الفرقان، وتبريد النار وإطفائها لإبراهيم وإنجائه، وهجرة لوط من العراق إلى الشام ثم إنجائه مما نزل بقومه، وإنجاء نوح ومن كان معه في السفينة من كرب الطوفان وغير ذلك مما تفضل به على الأنبياء المذكورين. والمراد بمسارعتهم في الخيرات مبادرتهم إلى طاعة الله مراعين لحدود الشرع وهي محمودة، والعجلة المذمومة المباشرة من غير محافظة الحدود والآداب. وقرأ العامة «رغبا ورهبا» بفتح الغين والهاء وهما إما مصدران على وزن طلب وقعا موقع الحال من فاعل «يدعون» بتقدير المضاف أي يدعون ذوي رغب ورهب، وإما جمعان لراغب وراهب مثل خادم وخدم أي راجين وخائفين. **قوله: (مخبتين)** أي متواضعين. قال مجاهد: الخشوع هو الخوف اللازم للقلب.

قوله تعالى: (والتي أحصنت فرجها) يجوز أن ينتصب بالعطف على ما قبله وأن ينتصب بإضمار اذكر وأن يرتفع بالابتداء والخبر محذوف أي: وفيما يتلى عليكم التي أحصنت فرجها إحصانًا كليًا من الحلال والحرام كما قالت: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠] ولما كان نفخ الروح في الجسد عبارة عن إحيائه كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] أي أحييته كان المنفهم من قوله تعالى: ﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾ فأحييناها وليس المراد إحياء مريم، فلذلك جعل تقدير الكلام فنفخنا الروح في عيسى فيها، والمعنى: وأحيينا عيسى في جوفها فيكون قوله: ﴿فيها﴾ حالاً من المفعول المحذوف وهو عيسى فإنه مفعول من جهة أن المعنى أحيينا عيسى كائنًا في جوف مريم. فالمراد بالروح روح الإنسان الذي هو من أمر الله وحده، والمراد بنفخه في عيسى إدخاله في بدنه تشبيهًا لإيراد الروح في البدن بنفخ النافخ في الشيء فيكون «نفخنا» استعارة تبعية. **قوله: (وقيل)** أي ويجوز أن يراد فعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا الذي هو جبريل عليه الصلاة والسلام،

الروح الذي هو بأمرنا وحده، أو من جهة روحنا جبرائيل. ﴿وَجَعَلْنَـٰهَا وَٱبْنَهَآ﴾ أي قصتهما أو حالهما. ولذلك وحد قوله: ﴿ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ فإن من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى. ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾ إن ملة التوحيد أو الإسلام ملتكم التي يجب عليكم أن تكونوا عليها فكونوا عليها. ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ غير مختلفة فيما بين الأنبياء ولا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع. وقرىء أمتكم بالنصب على البدل من «هذه» و«أمة» بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على أنهما خبرا «أن». ﴿وَأَنَاْ رَبُّكُمْ﴾ لا إلـٰه لكم غيري. ﴿فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ لا غير ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ صرفه إلى الغيبة التفاتًا للنعي على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا أمره قطعًا موزعة بقبيح فعلهم إلى غيرهم ﴿كُلٌّ﴾ من الفرق التجزئة ﴿إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾ فنجازيهم. ﴿فَمَن يَعْمَلْ

فلا يكون المراد بالنفخ إيراد الروح في البدن بل يكون المراد به معناه الحقيقي. وينزل «نفخنا» منزلة اللازم ويكون إسناد النفخ إلى الباري تعالى من قبيل إسناد الفعل إلى السبب الآمر، فإن جبريل هو الذي نفخ في درع مريم بأمر الله تعالى فوصل أثر النفخ إلى جوف مريم فحملت بعيسى عليهما الصلاة والسلام. ثم إنه تعالى لما فرغ من قصص الأنبياء تقوية لقلبه عليه الصلاة والسلام على تبليغ الرسالة وتسلية له بأنه ليس أول من بعث لدعوة المعاندين، خاطب الناس كافة فقال: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ والأمة الملة وأصلها القوم الذين يجتمعون على دين واحد، ثم اتسع فيها فأطلقت على ما اجتمعوا عليه من الدين والملة واشتقاقها من «أم» بمعنى قصد فالقوم هم الجماعة القاصدة وما اجتمعوا عليه هو الملة المقصودة. قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢] أي على دين وملة. قرأ الجمهور «أمتكم» مرفوعًا على أنه خبر «أن» و «أمة واحدة» منصوب على أنه حال من الأمة الأولى أي أشير إليها أمة واحدة غير مختلف فيها، والمعنى: لا دين سوى ديني ولا رب غيري فأنا المستحق للعبادة فلا تعبدوا غيري. **قوله:** (صرفه إلى الغيبة) يعني أن أصل الكلام وتقطعتم وتفرقتم، إلا أنه صرف الكلام إلى طريق الغيبة على الالتفات كأنه ينعي عليهم ما أفسدوه إلى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء حيث جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعًا، فأصاب كل جماعة قطعة من الدين فصاروا بتقطع دينهم كأنهم قطع شتى يلمن بعضهم بعضًا ويتبرأ بعضهم من بعض. ثم إنه تعالى توعد هؤلاء الفرق المختلفة بأنهم إليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم. روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «تفرقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة فهلك سبعون وخلصت فرقة، وإن أمتي ستفرق على اثنتين وسبعين فرقة تهلك إحدى وسبعون فرقة وتتخلص فرقة». قالوا: يا

﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ بالله ورسوله ﴿فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ﴾ فلا تضييع لسعيه. استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لإعطائه ونفى نفي الجنس للمبالغة. ﴿وَإِنَّا لَهُۥ﴾ لسعيه ﴿كَٰتِبُونَ ٩٤﴾ مثبتون في صحيفة عمله لا نضيع بوجه ما.

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ﴾ وممتنع على أهلها غير متصور منهم. وقرىء «حرم» ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَآ﴾ حكمنا بإهلاكها أو وجدناها هالكة. ﴿أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٩٥﴾

رسول الله من تلك الفرقة؟ قال: «الجماعة»، . أي الجماعة المعهودة، المتمسكة بما بينه الله تعالى ورسوله من غير أن يشوبوا ذلك شيئًا من الهوى. وطعن بعضهم في صحة هذا الخبر بأن قال: إن أراد بالثنتين والسبعين فرقة أصول الأديان فهي لم تبلغ هذا القدر. قال الإمام في الجواب عنه: المراد ستفترق أمتي في حال ما، وليس فيه دلالة على أن افتراقها في سائر الأحوال لا يجوز أن يزيد وينقص.

قوله: (استعير لمنع الثواب) يعني أن الكفران مصدر بمعنى الكفر الذي هو الجحود والإنكار، كما أن الشكر عبارة عن تعظيم المنعم والإقرار بفضله وإفضاله. شبّه قبول العمل وإعطاء الثواب بمقابلته بشكر المنعم عليه للمنعم فأطلق عليه الشكر مجازًا، فقيل لله تعالى: إنه شكور بهذا المعنى قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا﴾ [الإسراء: ١٩] أي مقبولاً مثابًا عليه. وكذا شبّه رد العمل ومنع الثواب بالكفر والجحود فأطلق عليه الكفران كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ﴾ [آل عمران: ١١٥] أي لن تحرموا ثوابه ولن تمنعوه. **قوله: (ونفى نفي الجنس)** يعني أن مجازاة المكلفين وإثابتهم على أعمالهم وحرمانهم من الثواب لا يتولى على شيء من ذلك سوى الله فإنه مالك يوم الدين، فكان الظاهر أن يقال: فلا نكفر سعيه، إلا أنه نفى جنس الكفران للمبالغة لأن نفي الماهية يستلزم نفي جميع أفرادها. فالتعبير عن النفي المراد بنفي الجنس بمنزلة إثبات المطلوب بالبينة. **قوله: (وممتنع على أهلها)** جعل الحرام مستعارًا لممتنع الوجود بجامع أن كل واحد منهما غير مرجو الحصول لتعذر حمله على معناه الحقيقي، وهو فعل مقدور للمكلف منع الشارع تناوله بالنص القاطع ورجوع من قضى الله بإهلاكه إلى التوبة، وكذا رجوع من جعله الله تعالى هالكًا إلى الحياة الدنيوية ليس حرامًا بهذا المعنى هذا على تقدير أنت تكون كلمة «لا» في قوله تعالى: ﴿لا يرجعون﴾ زائدة كما في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] وكذا إن لم تكن صلة وكان المعنى حرام على الكفرة المهلكين عدم رجوعهم إلى دار الجزاء، فالمقصود إبطال قول من ينكر البعث فإن عدم الرجوع إليها ليس حرامًا حقيقة وإنما هو حرام بمعنى أنه ممتنع الوجود. **قوله: (وقرىء حرم)** أي بكسر الحاء وسكون الراء وهما لغتان كالحل والحلال.

رجوعهم إلى التوبة أو الحياة ولا صلة أو عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ خبره «حرام» أو فاعل له ساد مسد خبره أو دليل عليه، وتقديره توبتهم أو حياتهم أو عدم بعثهم أو لأنهم لا يرجعون ولا ينيبون. و«حرام» خبر محذوف أي وحرام عليها ذاك وهو المذكور في الآية. ويؤيده القراءة بالكسر. وقيل: حرام عزم وموجب عليهم أنهم لا يرجعون.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ متعلق «بحرام» أو بمحذوف دل الكلام عليه أو «بلا يرجعون» أي يستمر الامتناع أو الهلاك أو عدم الرجوع إلى قيام الساعة

قوله: (وهو مبتدأ) يعني أن قوله: ﴿إنهم لا يرجعون﴾ مبتدأ خبره ﴿حرام﴾ على معنى رجوعهم أو عدم رجوعهم ممتنع الوجود ويجوز أن يكون «حرام» مبتدأ لا خبر له لفظًا ولا تقديرًا لكونه صفة مشبهة كجبان رافعة للظاهر بعدها على الفاعلية، وذلك الظاهر قائم مقام خبره وهو قول المصنف «أو فاعل له ساد مسد خبره» وفيه بحث فإن الصفة إنما ترفع الظاهر الذي بعدها على الفاعلية بشرط الاعتماد لا بدونه إلا على رأي الأخفش فإنه لا يشترط ذلك.

قوله: (أو دليل عليه) أي ويجوز أن يكون «حرام» مبتدأ وما بعده خبر له دليل على الفاعل كأنه قيل: حرام عليهم توابهم أو حياتهم على أن يكون «لا» صلة أو عدم بعثهم على أن لا تكون صلة. **قوله:** (أو لأنهم لا يرجعون ولا ينيبون) عطف على قوله: «رجوعهم إلى التوبة» الخ ويجوز أن يكون قوله: و «حرام» خبر مبتدأ محذوف أي ذلك الذي ذكر من العمل الصالح المقرون بالإيمان حرام عليهم وما بعده علة له بحذف لام التعليل مع «أنهم». ويؤيده قراءة أنهم بكسر الهمزة فإن كسرها يقتضي أن يتم الكلام قبله ولا بد لتمامه من تقدير المحذوف. **قوله:** (وقيل حرام عزم) أي معزوم يعني قيل: الحرام هنا بمعنى الموجب، فإنه قد يستعمل بمعنى الواجب كما في قوله تعالى: ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟﴾ [الأنعام: ١٥١] فإن ترك الشرك واجب ويدل عليه أيضًا قول الخنساء:

وإن حرامًا لا أرى الدهر باكيًا على مثجوه إلا بكيت على صخر

أي وإن واجبًا وأيضًا كثيرًا ما يطلق أحد الضدين على الآخر مجازًا. **قوله:** (أي يستمر الامتناع إلى قيام الساعة) على أن تكون «حتى» غاية لقوله: «حرام» والمعنى: وممتنع على قوم قدرنا إهلاكهم رجوعهم إلى التوبة إلى أن تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون: ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٩٧] الآية أو ممتنع على الذين أهلكناهم حقيقة رجوعهم إلى أن تقوم القيامة فحينئذ يبعثون ويحاسبون. **قوله:** (أو الهلاك) على أن تكون «حتى» غاية لمحذوف كأنه قيل: حرام على الهالكين رجوعهم إلى الحياة بل يستمر بهم الهلاك إلى قيام الساعة. **قوله:** (أو عدم الرجوع) على أن تكون «حتى» غاية لقوله: ﴿لا

وظهور أمارتها وهو فتح سد يأجوج ومأجوج. وحتى هي التي يحكى الكلام بعدها والمحكي هي الجملة الشرطية. وقرأ ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد. ﴿وَهُم﴾ يعني يأجوج ومأجوج أو الناس كلهم. ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ نشز من الأرض. وقرىء «جدث» وهو القبر. ﴿يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ يسرعون من نسلان الذئب، وقرىء بضم السين. ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ وهو القيامة ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جواب الشرط و«إذا» للمفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله: ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦] فإذا جاءت معها تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد، والضمير للقصة أو مبهم يفسره الأبصار. ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول. ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ لم نعلم أنه حق ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ لأنفسنا بالإخلال بالنظر والاعتداد بالنذر.

يرجعون﴾ وذلك بأن يكون «حرام» خبر مبتدأ محذوف ويكون المعنى: وذلك المذكور من العمل الصالح ممتنع على من قدرنا إهلاكهم لأنهم لا يرجعون عن الكفر إلى قيام الساعة فكيف لا يمتنع عليهم ذلك العمل؟ والمراد بفتح يأجوج ومأجوج فتح سدهما فحذف المضاف كما حذف المضاف إلى القرية في قوله: ﴿وحرام على قرية﴾ أي على أهلها.

قوله: (وحتى هي التي) مبتدأ وخبر. قال أكثر المفسرين: الضمير في قوله تعالى: ﴿وهم من كل حدب ينسلون﴾ ليأجوج ومأجوج فإنه قد روي أن يأجوج ومأجوج لا بد وأن يسيروا في الأرض ويغلبوا على الناس من كل موضع مرتفع. والحدب النشز وهو المكان المرتفع.

قوله: (تسد مسد الفاء الجزائية) فإن الجملة الاسمية إذا وقعت جواب شرط يجب دخول الفاء عليها لتدل على أنها جواب وجزاء، إلا إذا صدرت «بإذا» المفاجأة فإنها تسد مسد الفاء، فإذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ما بينهما من الاتصال.

قوله: (والضمير للقصة) يعني أن لفظ «هي» ضمير القصة وشاخصة خبر مقدم و «أبصار» مبتدأ مؤخر والجملة خبر ضمير القصة، لأنه لا يفسر إلا بجملة يخبر بها. ويحتمل أن يكون ضميرًا مبهمًا يفسره الإبصار كما فسر ضمير «أسروا» بقوله: ﴿الذين ظلموا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنبياء: ٣] إذ هو بدل من واو أسروا تفسيرًا. وعطف اقتراب الوعد الحق على فتح سد يأجوج يدل على أن قيام الساعة لا يتأخر عن خروج يأجوج ومأجوج، كما روي عن حذيفة أنه قال: لو أن رجلاً اقتنى فلو أبعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة. والفلو المهر أي ولد الفرس. فإن قيل: الشرط هو مجموع فتح سد يأجوج ومأجوج واقتراب الموعود الحق، وهذا المجموع إنما يحصل في آخر أيام الدنيا والجزاء وهو شخوص أبصار الذين كفروا وارتفاعها من شدة الأهوال بحيث لا تكاد تطرف

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل الأوثان وإبليس وأعوانه لأنهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم، لما روي أنه عليه الصلاة والسلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعري: قد خصمتك ورب الكعبة، أليس اليهود عبدوا عزيرًا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك». فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١] الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون «ما» مؤولاً بـ «من» أو بما يعمه ويدل عليه ما روي أن ابن الزبعري قال: هذا شيء لآلهتنا خاصة أو لكل من عبد من دون الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «بل لكل من عبد من دون الله». ويكون قوله: «إن الذين» بيانًا للتجوز أو التخصيص تأخر عن الخطاب ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾

إنما يحصل يوم القيامة، والشرط والجزاء لا بد أن يكونا متقارنين، فالجواب أن التفاوت القليل يجري مجرى العدم. **قوله: (يحتمل الأوثان)** أي يعمها ادّعى أن ما يعم العقلاء وغيرهم واستدل عليه بأنه عليه الصلاة والسلام لم يرد على ابن الزبعري في تعميمه ما تعبدون للعقلاء بل سلم له ذلك وأجابه بوجه آخر، إلا أن جوابه محل تأمل لأنه لا ينفي كون اليهود وأخواتهم عبدوا هؤلاء المكرمين وإنما يدل على أنهم عبدوا الشياطين بإطاعتهم الشيطان فيما أمرهم به من عبادة هؤلاء المكرمين، فكيف صلح جوابًا عن قول ابن الزبعري؟ ويمكن أن يقال: من عبد من غير أن يستحق العبادة لذاته ومن غير أن يأمر بها ويحب ويرضى أن يعبد لا يكون معبودًا في الحقيقة، وإنما يكون معبودًا صورة ومجازًا ويكون المعبود في الحقيقة من أمر بذلك، لأن العبادة عبارة عن الطاعة والانقياد وليس ذلك إلا لمن أمر بها. فلذلك نفى عليه الصلاة والسلام دخول هؤلاء المكرمين تحت قوله: ﴿وما تعبدون﴾ فقال: «بل هم عبدوا الشياطين». **قوله: (وعلى هذا)** أي على تقدير أن يحمل «ما تعبدون من دون الله» على ما يعم الأوثان وغيرها يكون الخطاب في قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون﴾ متناولاً للمشركين وغيرهم كاليهود والنصارى وبني مليح وهم بطن من خزاعة قالوا: صاهر الله تعالى سروات الجن فولدت له الملائكة بخلاف ما إذا حمل ما تعبدون على الأصنام خاصة، فإن الخطاب يخص المشركين.

قوله: (أليس اليهود عبدوا عزيرا) لا وجه لسؤال ابن الزبعري لأن كلمة «ما» تتناول من يعقل فقوله تعالى: ﴿وما تعبدون﴾ لا يتناول الملائكة فإن الملائكة من العقلاء بل يقتصر على الأصنام لكنه عليه الصلاة والسلام جاراه وألزمه بوجه آخر تنبيهًا على أن لدفع شبهته طرقًا متعددة. **قوله: (بيانًا للتجوز أو التخصيص تأخر عن الخطاب)** الأول على تقدير أن يكون المقصود من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١] بيان

ما يرمى به إليها وتهييج به من حصبه يحصبه إذا رماه بالحصباء. وقرىء بسكون الصاد

تناول الحكم لغير أهل الحسنى من العقلاء، والثاني على تقدير أن يكون المقصود تخصيص «ما تعبدون» بغير أهل الحسنى مع كونه في نفسه يعم أهل الحسنى وغيرهم. وعلى التقديرين يكون قوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ من قبيل بيان التفسير، ومثل هذا البيان لا يجوز تأخيره عن وقت الحاجة إلى العمل بالاتفاق لأنه تكليف ما لا يطاق. وأما جواز تأخيره عن وقت الخطاب فهو مختلف فيه بين الحنفية والشافعية، جوّزه الشافعية استدلالاً بهذه الآية ووجه الاستدلال ما أشار به المصنف من أنه تعالى أنزل قوله: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ أي تحصبون فيها وترمون وتأخر عنه نزول قوله: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ وهو بيان لما نزل قبله بيان تجوّز أو بيان تخصيص حتى جرى بين ابن الزبعري وبين رسول الله ﷺ ما جرى. وأجاب الحنفية عن هذا الاستدلال بأن قوله: ﴿وما تعبدون﴾ لم يتناول عيسى عليه الصلاة والسلام وعزيرًا والملائكة حقيقة لأن ما لغير العقلاء. ألا ترى ما روي عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال له: «ما أجهلك بلغة قومك يا غلام أما علمت أن «ما» لما لا يعقل» فيكون قوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ على هذا بيان تقرير، وبيان التقرير يصح متراخيًا. وسؤال ابن الزبعري وارد على طريق التعنت بناء على أنه جعل «ما» مستعملة بمعنى «من» مجازًا أو حمله على التغليب فسأل بناء على ظنه الفاسد. ثم إنه عليه الصلاة والسلام أجابه بقوله: «ما أجهلك» فقد رد عليه بأن «ما» لما لا يعقل فلا يرد ما أوردته على الآية من النقض بالملائكة ونحوهم. وإن صح أنه عليه الصلاة والسلام أجاب بأن قال: «إنهم ما عبدوا ما ذكرته من أهل الحسنى وإنما عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك» فهو جواب بطريق التسليم أي لو سلم أن قوله تعالى: ﴿ما تعبدون﴾ يتناول العقلاء الفضلاء لكن لا نسلم أنهم عبدوا أولئك المكرمين في الحقيقة بل عبدوا الشياطين الذين أمروا بذلك. والتعبير عنهم بلفظ «ما» ليس مبنيًا على حمله على المعنى المجازي بل مبني على عدهم أي على عد الشياطين في عداد الأصنام الجامدة التي تبعد بمراحل عن العقل والتميز، وكذا قوله عليه الصلاة والسلام بل لكل من عبد من دون الله إن صح ذلك عنه مبني على التسليم أيضًا. والحاصل أن المراد بقوله: ﴿ما تعبدون الشياطين﴾ وعلى التقديرين لم يكن قوله: ﴿وما تعبدون﴾ مستعملاً في العقلاء مجازًا ولا متناولاً لأهل الحسنى حتى يقال قوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ بيان للتجوز أو التخصيص تأخر عن الخطاب كما قاله الشافعية، بل ليس ذلك إلا بيان تقرير يصح متراخيًا عن الخطاب فليس في الآية ما يدل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب على جميع الروايات فليتأمل فإن المقام محل الالتفات. **قوله: (ما يرمي به)** يعني

وصفًا بالمصدر. ﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ استئناف أو بدل من «حصب جهنم» واللام معوضة عن «على» للاختصاص والدلالة على أن ورودهم لأجلها ﴿لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ لأن المؤاخذ المعذب لا يكون إلـٰهًا ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ لا خلاص لهم عنها ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ أنين وتنفس شديد، وهو من إضافة فعل البعض إلى الكل للتغليب إن أريد بما تعبدون الأصنام ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ من الهول وشدة العذاب. وقيل: لا يسمعون ما يسرهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ الخصلة الحسنى وهي السعادة أو التوفيق للطاعة أو البشرى بالجنة. ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ لأنهم يرفعون إلى أعلى عليين. روي أن عليًا كرم الله وجهه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال: أنا منهم وأبو بكر وعمرو وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح. ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه ويقول: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾. وهو بدل من مبعدون أو حال من ضميره سيق للمبالغة في إبعادهم عنها. والحسيس صوت يحس به. ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به.

أن الحصب بفتح الحاء والصاد اسم لما يحصب أي يرمى في النار، ولا يقال له حصب إلا وهو في النار. فأما قبل ذلك فيقال له حطب وشجر وخشب ونحو ذلك. **قوله: (أو بدل من حصب جهنم)** ويجوز إبدال الجملة من المفرد إذا كانا بمعنى واحد، والتقدير: إنكم أنتم لها واردون. والحصب بسكون الصاد مصدر بمعنى الرمي. **قوله: (لأن المؤاخذ المعذب لا يكون إلـٰهًا)** هذا الكلام بالشياطين أليق لأن المؤاخذة لا تليق بالأصنام إلا أن يقال: عباد الأصنام في الحقيقة عباد الشياطين الذين أمروا بعبادتها فكأنهم اتخذوا الشياطين آلهة. والضمير في قوله تعالى: ﴿وهم فيها لا يسمعون﴾ قيل: يرجع إلى المعبودين أي لا يسمعون صراخهم وشكواهم ومعناه: إنهم لا يغيثونهم ولا ينفعونهم كما يقال: سمع الله لمن حمده أي أجاب الله دعاءه. وقيل: يرجع إلى الكفار والمعنى: إنهم لا يسمعون شيئًا أصلاً من حيث إنهم يحشرون صمًا عميًا زيادة في عذابهم أو أنهم لا يسمعون ما ينفعهم لأنهم إنما يسمعون أصوات المعذبين أو كلام من يتولى تعذيبهم من الملائكة. ثم إنه تعالى لما شرح عقاب الكفار أردفه بشرح ثواب الأبرار فقال: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ فهي عامة في حق كل المؤمنين وشرح من أحوال ثوابهم خمسة أمور: أحدها قوله: ﴿أولئك عنها مبعدون﴾ وثانيها قوله: ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ والمراد به تأكيد بعدهم عنها لأن من لم يدخلها وقرب منها قد يسمع حسيسها وثالثها قوله: ﴿وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون﴾

﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ النفخة الأخيرة لقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧] أو الانصراف إلى النار أو حين يطبق على النار أو يذبح الموت على صورة كبش أملح. ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ تستقبلهم مهنئين ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ﴾ يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول ﴿ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ في الدنيا ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ﴾ مقدر «باذكر» أو ظرف «لا يحزنهم» أو «تتلقاهم» أو حال مقدرة من العائد المحذوف من «توعدون». والمراد بالطي ضد النشر أو المحو من قولك: أطوعني هذا الحديث. وذلك لأنها نشرت مظلة لبني آدم فإذا انتقلوا قوضت عنهم. وقرىء بالياء وبالتاء والبناء للمفعول. ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ طيًا كطي الطومار لأجل الكتابة أو لما يكتب أو كتب فيه. ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع أي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه. وقيل: السجل ملك يطوي كتب الأعمال إذا رفعت إليه أو كاتب كان لرسول الله ﷺ. وقرىء «السجل» كالدلو والسجل

ورابعها قوله: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ وفسره المصنف بأربعة أوجه: الأول أنها النفخة الأخيرة، والثاني أن يؤمر بالعبد إلى النار، والثالث إطباق جهنم على أهلها أي وضع الطبق عليها بعدما أخرج منها من أخرج فيفزع أهلها حينئذ فزعًا شديدًا لم يفزعوا فزعًا أشد منه، والرابع ذبح الموت بين الفريقين والنداء: يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت، وخامسها قوله: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] أي تستقبلهم ملائكة الرحمة عند خروجهم من القبور أو عند باب الجنة.

قوله: (أو تتلقاهم) فإن قيل: تلقي الملائكة عند باب الجنة وطي السماء متقدم عليه بزمان كثير فكيف يكونان في يوم واحد؟ والجواب أن اسم يوم الطي يطلق على الزمان الممتد الذي مبدأه زمان الطي ومنتهاه زمان دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. **قوله:** (**أو حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون**) أي توعدون ذلك اليوم مقدرًا كونه يوم نطوي السماء طيًا، مثل طي الرجل ما في يده من الطومار لأجل الكتابة لأن الكتاب مصدرًا كالكتابة. وما فيه من اللام للتعليل فإن قلت: نشر الطومار شرط لأجل الكتابة فكيف يصح طيه علة لها؟ قلت: إنه يطوى أولاً ويحفظ مطويًا لأجل أن ينشر ويكتب فيه وقت الحاجة، فالمراد من طيه هذا الطي السابق. **قوله:** (**أو لما يكتب أو كتب فيه**) على أن الكتاب بمعنى المكتوب. **قوله:** (**السجل ملك يطوي كتب الأعمال**) أي كتب بني آدم إذا رفعت إليه. قال السدي: السجل ملك موكل بالصحف فإذا مات الإنسان رفع إليه كتابه فيطويه. فعلى هذا الكتاب والكتب على اختلاف القراءتين هي الصحائف واللام فيه زائدة كما في قوله: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢]. **قوله:** (**أو كاتب كان لرسول الله عليه الصلاة والسلام**) وهو بعيد لأن

كالعتل وهما لغتان فيه. ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ أي نعيد ما خلقناه مبتدأ إعادة مثل بدئنا إياه في كونهما إيجادًا عن العدم أو جمعًا من الأجزاء المتبددة. والمقصود بيان صحة الإعادة بالقياس على الإبداء لشمول الإمكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء. و«ما» كافة أو مصدرية وأول مفعول لبدأنا أو لفعل يفسره نعيده أو موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره «نعيده» أي نعيد مثل الذي بدأناه

كتاب رسول الله عليه الصلاة والسلام كانوا رجالاً معروفين وليس فيهم من سمي بهذا الاسم. **قوله:** (في كونهما إيجادًا عن العدم أو جمعًا من الأجزاء) ذكر الإمام أنهم اختلفوا في كيفية الإعادة؛ فمنهم من قال: إن الله تعالى يفرق أجزاء الأجسام ولا يعدمها، ثم إنه يعيد تركيبها فذلك هو الإعادة. ومنهم من قال: إنه تعالى يعدمها بالكلية ثم إنه يوجدها بعينها مرة أخرى. وهذه الآية تدل على هذا الوجه لأنه تعالى شبّه الإعادة بالابتداء ولما كان الابتداء ليس عبارة عن تركيب الأجزاء المتفرقة بل عن الإيجاد بعد العدم وجب أن تكون الإعادة كذلك. واحتج القائلون بالمذهب الأول بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] فإنه يدل على أن السمٰوات حال كونها مطوية تكون موجودة وبقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فهذا يدل على أن أجزاء الأرض باقية لكنها جعلت غير هذه الأرض. ووجه ارتباط هذه الآية بما قبلها أنه تعالى لما وصف يوم القيامة بأنه يوم تطوى فيه السماء كطيّ السجل وصفه أيضًا بأنه يعاد فيه الأشياء الهالكة من السماء والأرض وأهلهما. **قوله:** (وما كافة) تكف الكاف عن العمل وتصحح دخولها على الفعل، فإنها على تقدير كونها زائدة قد تكون كافة عن العمل نحو: إنما زيد منطلق وغير كافة كما في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فإن الباء فيه لو كانت مكفوفة لما كان لفظ الرحمة مجرورًا بها، فلما لم تكن الباء مكفوفة كان مجرورها مفعولاً به والمفعول به لا بد له من عامل فعلاً كان أو معناه، فلا بد أن يكون للباء ما تتعلق هي به بخلاف الكاف المكفوفة هنا. فإنها لا تستدعي ما تتعلق هي به لأن مجرورها لم يكن مفعولاً به حتى تستدعي ما ينصبه من فعل أو ما في معناه. والفرق بين كون «ما» كافة وبين كونها مصدرية أنها على تقدير كونها كافة يكون قوله: ﴿أول خلق نعيده﴾ كلامًا تامًا ويكون قوله: ﴿كما بدأنا﴾ جملة منقطعة عن ذلك على معنى تحقق الإعادة مثل تحقق البدء وليس المعنى على إعادة مثل البدء ومحل الكاف في مثله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف. **قوله:** (وأول مفعول لبدأنا) ظاهر نظم التنزيل وإن كان يساعد هذا الاحتمال إلا أنه محل تأمل، لأن الظاهر أن ليس المراد بأول الخلق من سبق وجوده وجود الآخرين في نشأة الدنيا لأن الكلام ليس في إعادتهم وإبدائهم خاصة بل الكلام في إبداء مجموع المكونات وإعادتها. فإن هذا

«أول خلق» ظرف «لبدأنا» أو حال من ضمير الموصول المحذوف ﴿وَعْدًا﴾ مقدر بفعله تأكيدًا لنعيده أو منتصب به لأنه عدة بالإعادة. ﴿عَلَيْنَآ﴾ أي علينا إنجازه ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ ذلك لا محالة ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾ كتاب داود ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ أي التوراة. وقيل: المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة، وبالذكر اللوح المحفوظ. ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ أرض الجنة أو الأرض المقدسة. ﴿يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ يعني عامة المؤمنين أو الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها أو أمة محمد ﷺ.

﴿إِنَّ فِى هَٰذَا﴾ فيما ذكرنا من الأخبار والمواعظ والمواعيد. ﴿لَبَلَٰغًا﴾ لكفاية أو لسبب بلوغ إلى البغية. ﴿لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ هممهم العبادة دون العادة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ لأن ما بعثت به سبب لإسعادهم وموجب لصلاح

المجموع إذا هلك ثم تعلقت الإعادة به يوصف بالأولية بالنسبة إلى ما تعلق به من الإيجاد ثانيًا فهذا المجموع الموصوف بالأولية كيف يكون مفعول بدأنا مع أن إيقاع البدء عليه متفرع على إعادته لأنه قبل تعلق الإعادة به لا يوصف بالأولية أصلاً؟ فالظاهر أن يكون الكاف في محل النصب على أنه من قبيل ما اضمر عامله على شريطة التفسير، والتقدير: نعيد أول الخلق أي الخلائق الأولين نعيد. ويتم الكلام هنا إن جعلت «ما» كافة. وإن جعلت مصدرية يكون التقدير: نعيد أول الخلق إعادة مثل بدئنا إياه نعيده وكلمة «ما» إن كانت موصولة تكون الكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده بخلاف ما إذا جعلت مصدرية فإن مفعول نعيد حينئذ أول خلق لا الكاف. **قوله:** (تأكيدًا لنعيده) يعني أنه مصدر وقع مؤكدًا مضمون جملة لا محتمل لها غير الوعد، فهو من المصدر الذي يسمى تأكيدًا لنفسه وناصبه مضمر أي وعدنا ذلك وعدًا أو هو منصوب بقوله: ﴿نعيده﴾ لكونه في معنى الوعد.

قوله: (وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة) فقوله: ﴿ولقد كتبنا في الزبور﴾ معناه ولقد بينا في التوراة والإنجيل وسائر كتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ﴿من بعد الذكر﴾ أي من بعد ما كتبنا وبينا في اللوح المحفوظ وهو أم الكتاب، وكتب فيه كل ما سيكون ليعتبر الملائكة ويعلموا أن الله تعالى أحاط بكل شيء علمًا وأحصى كل شيء عددًا. **قوله:** (أو الذين كانوا يستضعفون) نشر مرتب على قوله: «أو الأرض المقدسة» وأراد بمشارق الأرض ومغاربها أرض الشام وجهاتها الشرقية والغربية. قال الإمام: المراد من الأرض أرض الجنة. وقيل: هي الأرض المقدسة يرثها الصالحون ودليله قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧] ثم بالآخرة يرثها أمة محمد عند نزول عيسى عليهما الصلاة والسلام. **قوله:** (لأن ما بعثت به سبب لإسعادهم)

معاشهم ومعادهم. وقيل: كونه رحمة للكفار أمنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال. ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أي ما يوحى إليّ ألا إنه لا إله لكم إلا إله واحد، وذلك لأن المقصود الأصلي من بعثته مقصور على التوحيد فالأولى لقصر الحكم على الشيء والثانية على العكس. ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ مخلصون العبادة لله تعالى على مقتضى الوحي المصدق بالحجة.

لو تدبروا فيه واتبعوا حكامه لفازوا بسعادة الدارين، ومن أعرض عنه واستكبر فإنما وقع في المحنة من قبل نفسه. وهو إشارة إلى جواب ما يقال: كيف كان رحمة للعالمين وقد جاء بالسيف واستباحة الأموال؟ ورد في الخبر أنه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل عليه الصلاة والسلام: «إن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فهل أصابك من هذه الرحمة شيء». قال: نعم أصابني من هذه الرحمة أني كنت أخشى عاقبة الأمر فأمنت بك لما أثنى الله تعالى علي بقوله: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠، ٢١] ثم إنه تعالى لما ذكر أنه عليه الصلاة والسلام رحمة للعالمين بيّن معظم أسباب كونه رحمة لهم وهو كونه داعيًا إلى التوحيد والطاعة. فإنه بعث والناس في جاهلية وضلال، وأهل الكتابين كانوا في حيرة في أمر دينهم لطول مكثهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم بحيث لم يكن لطالب الحق سبيل البتة. **قوله**: (فالأولى لقصر الحكم على الشيء) يعني أن كلمة ﴿إنما﴾ سواء كانت مفتوحة الهمزة أو مكسورتها قد تكون لقصر الحكم على الشيء نحو: إنما يقوم زيد، وقد تكون لقصر الشيء على الحكم نحو: إنما زيد قائم. فقوله تعالى: ﴿إنما يوحى إليّ﴾ الآية من قبيل قصر الحكم على الشيء حيث يدل على أن حكم ما يوحى إليه عليه الصلاة والسلام منحصر في مضمون قوله تعالى: ﴿إنما إلٰهكم إله واحد﴾ فإنه في محل الرفع على أنه قائم مقام فاعل الفعل السابق، إذ التقدير: إنما يوحى إلي وحدانية الله تعالى، وأن قوله: ﴿إنما يوحى إلي﴾ مع فاعله بمنزلة إنما يقوم زيد اي يقوم زيد لا غيره فكأنه قيل: لم يوح إليّ شيء إلا التوحيد. ولما ورد أن يقال: كيف يصح هذا الحصر مع أنه قد أوحي إليه أشياء غير التوحيد؟ أشار المصنف إلى دفعه بقوله: «وذلك لأن المقصود الأصلي» يعني أن ما ذكر إنما يرد على تقدير أن يكون الحكم المقصود ما أوحي إليه مطلقًا وليس كذلك، بل المراد ما أوحي إليه مقصودًا بالقصد الأصلي الأولي وقوله تعالى: ﴿إنما إلٰهكم إله واحد﴾ من قبيل قصر الشيء على الحكم بمنزلة إنما زيد قائم أي لا يفعل زيد سوى القيام، فإن قلت: هذا الحصر يستلزم أن لا يكون الله تعالى موصوفًا بغير الوحدانية مع أن له تعالى من صفات الجلال والجمال ما لا يحصى فالجواب: أن الحصر ليس حقيقيًا إذ المقصود نفي ما يصفه

وقد عرفت أن التوحيد مما يصح إثباته بالسمع. ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن التوحيد ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ﴾ أعلمتكم ما أمرت به أو حربي لكم ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ مستوين في الإعلام به أو مستوين أنا وأنتم في العلم بما أعلمتكم به، أو في المعاداة أو إيذانًا على سواء. وقيل: أعلمتكم أني على سواء أي عدل واستقامة رأي بالبرهان النير. ﴿وَإِنْ أَدْرِيٓ﴾ وما أدري ﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ من غلبة المسلمين أو من الحشر لكنه

المشركون. **قوله**: (وقد عرفت أن التوحيد الخ) إشارة إلى ما ذكره في تفسير قوله تعالى في هذه الصورة: ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِيۗ﴾ [الأنبياء: ٢٤] إذ التوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وإنزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل. ووجه الفاء في قوله تعالى: ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ أن مثل هذا الكلام إنما يذكر إذا تقدم ما يوجب المسارعة والإقدام على شيء من الأمور فيؤتى به للتحريض عليه والتوبيخ على تركه. وههنا لما بولغ في أمر التوحيد بما سبق من الحصرين عقبه به للمبالغة في إيجاب المسارعة إلى التوحيد فلذلك أخرج الأمر على صورة الاستفهام، وكون التوحيد مما يصح إثباته بالسمع وإن اشتهر بين المتكلمين إلا أنه لا يخلو عن إشكال، وهو أن حجية السمع موقوفة على ثبوت الرسالة وثبوت الرسالة موقوف على كون المرسل واجب الوجود وهو موقوف على ثبوت كونه واحدًا، إذ التعدد يستلزم الإمكان كما بين في موضعه فظهر أن حجية السمع موقوفة على الوحدانية، ولو توقفت الوحدانية أيضًا على السمع لزم الدور فالأحكام التي يستدل عليها بالنص هي التي لا يتوقف النص على ثبوتها، فالتوحيد ليس من تلك الأحكام التي يستدل عليها بالنص فلا يستدل بالنص على ثبوته. **قوله**: (مستوين في الإعلام به) على أن يكون قوله: ﴿على سواء﴾ في محل النصب على أنه حال من مفعول «آذنتكم». **قوله**: (أو مستوين أنا وأنتم) على أنه حال من الفاعل والمفعول معًا وعلى التقديرين يكون «آذنتكم» منقولاً من أذن بمعنى علم وعلى قوله: «أو حربي لكم» وإن كان منقولاً منه أيضًا، وأن المراد بالإيذان إيذان الحق إلا أن إيذان الحرب مستفاد من استعماله في مقام الإنذار والتهديد كأنه قيل: قد بذلت وسعي إلى الآن في إعلام الحق وإرشادكم إليه فإذا لم تقبلوه ولم تلتفتوا إليه فتهيؤوا لجزاء عنادكم.

قوله: (أو إيذانًا على سواء) على أنه صفة مصدر محذوف. **قوله**: (وقيل أعلمتكم أني على سواء) على أنه خبر «أن» المحذوفة مع اسمها والجملة استئنافية. **قوله**: (أقريب أم بعيد ما توعدون) في محل النصب «بأدري» لأنه علق «أدري» بأداة الاستفهام. وأصل الكلام: أقريب ما توعدون أم بعيد، إلا أنه أخر المستفهم عنه لروي الآي. وقوله: ﴿ما توعدون﴾ يجوز أن يكون مبتدأ وما قبله مع ما عطف عليه خبره، ويجوز أن يكون فاعل قريب لاعتماده

كائن لا محالة. ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ ما تجاهرون به من الطعن في الإسلام ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ﴿١١٠﴾﴾ من الإحن والأحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه. ﴿وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ﴾ وما أدري لعل تأخير عذابكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم أو امتحان لينظر كيف تعملون ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿١١١﴾﴾ وتمتيع إلى أجل مقدر تقتضيه مشيئته.

﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ﴾ اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب والتشديد عليهم. وقرأ حفص «قال» على حكاية قول رسول الله ﷺ. وقرىء «رب» بالضم «وربي» أحكم على بناء التفضيل وأحكم من الأحكام ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ كثير الرحمة على خلقه ﴿ٱلۡمُسۡتَعَانُ﴾ المطلوب منه المعونة ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ من الحال بأن الشوكة تكون لهم وأن راية الإسلام تخفق أيامًا ثم تسكن وأن الموعد به لو كان حقًا لنزل بهم. فأجاب الله دعوة رسوله ﷺ فخيب أمانيهم ونصر رسوله ﷺ عليهم. وقرىء بالياء. وعن النبي ﷺ: «من قرأ اقترب حاسبه الله حسابًا يسيرًا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن».

على ألف الاستفهام والمقصود من قوله تعالى: ﴿إنه يعلم الجهر من القول﴾ الآية تعليل الأمر المدلول عليه بقوله: ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ والنهي عن الطعن في الإسلام جهرًا وعن إضمار الإحن والأحقاد للمسلمين وبيان أن تأخير العذاب عنهم ليس لحق ما أسروا به وما أعلنوا بل لحكمة اقتضت ذلك. ثم قال: لعل وجه الحكمة في التأخير الاستدراج وزيادة الاستحقاق للعقوبة والعذاب، ولما كان الاستدراج سببًا للفتنة والعذاب أطلق عليه لفظ الفتنة مجازًا مرسلاً. وقوله: «أو امتحان» أي معاملة شبيهة بالامتحان على سبيل الاستعارة التمثيلية. وقرأ العامة ﴿رب احكم﴾ بكسر الباء وحذف ياء الإضافة اكتفاء بالكسرة. وقرىء بضم الباء على أنه منادى مفرد معرفة. أمر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بأن يدعو باستعجال العذاب على قومه ويقول: رب اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل فإن العدل في حقهم أن يعجل العذاب عليهم ولا يمهلهم، فلا جرم حكم الله تعالى عليهم يوم بدر. وقرىء «ربي» بسكون الياء و «احكم» على بناء أفعل التفضيل وهما مبتدأ وخبر. وقرىء «احكم» بفتح الهمزة والميم على أنه فعل ماض من الأحكام مرفوع المحل على أنه خبر ربي أيضًا. تمت سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهذا أوان الشروع فيما يتعلق بسورة الحج مستعينًا بالله تعالى.

سورة الحج

مكية إلا ست آيات من ﴿هذان خصمان﴾
إلى ﴿صراط الحميد﴾ وهي ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ تحريكها للأشياء على الإسناد المجازي أو تحريك الأشياء فيها فأضيفت إليها إضافة معنوية بتقدير «في»، أو

سورة الحج

سبعون وأربع آيات مدنية

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

قوله تعالى: (يا أيها الناس اتقوا ربكم) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: المعنى يا أهل مكة احذروا عقاب ربكم بطاعته، فإن التقوى المأمور بها إنما تتحقق بالاتقاء عن جميع المحرمات وبالاتقاء عن ترك شيء من الواجبات. وبالجملة المراد بالتقوى على هذا القول الاتقاء عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك. وهذا المعنى هو المراد باسم التقوى في عرف الشرع إلا أن الملائم لتخصيص الخطاب بأهل مكة أن يراد بالتقوى المرتبة الأولى منه وهو التوقي عن العذاب المخلد بالتبرؤ من الشرك كما هو المراد بقوله تعالى فألزمهم كلمة التقوى، فإنه تعالى أمر الناس بالتقوى ثم علّل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة. والمعنى أن بالتقوى يندفع هذا الضرر العظيم عن النفس ودفع الضرر عن النفس معلوم الوجوب فثبت به وجوب التقوى. والزلزلة تضعيف الزلة يقال: زلت قدمه إذا زالت عن مكانها بسرعة ويقال: زللت يا فلان تزل زللاً إذا زل في طينٍ أو منطق. ويصير متعديًا

إضافة المصدر إلى الظرف على إجرائه مجرى المفعول به. وقيل: هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها وإضافتها إلى الساعة لأنها من أشراطها. ﴿شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ هائل. علل أمرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا أنه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على أنفسهم ويقوها بملازمة التقوى.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ تصوير لهولها. والضمير «للزلزلة» و«يوم» منتصب «بتذهل». وقرىء «تذهل» و«تذهل» مجهولاً ومعلومًا أي تذهلها الزلزلة. والذهول الذهاب عن الأمر بدهشة. والمقصود الدلالة على أن هولها بحيث إذا دهشت التي ألقمت الرضيع ثديها نزعته من فيه وذهلت عنه.

بالتضعيف يقال: زلزل الله تعالى الأرض زلزالاً فتزلزلت هي، وقد يستعمل لازمًا بمعنى تزلزل فقوله تعالى: ﴿إن زلزلة الساعة﴾ معناه أن تزلزل الساعة. ولهذا فسرها الكواشي رحمه الله تعالى بقوله: أي حركتها الشديدة بانزعاج فيكون المصدر مضافًا إلى فاعله. وفسرها المصنف رحمه الله تعالى بالتحريك وجعلها أولاً من إضافة المصدر إلى فاعله المجازي على طريق إسناد الفعل إلى زمانه، وثانيًا من إضافة المصدر إلى ظرفه بتقدير «في»، وثالثًا من غير تقدير. والفرق بين الوجهين الأخيرين أن المضاف إليه في كل واحد من الاحتمالين وإن كان ظرفًا للمضاف حقيقة إلا أنه قد توسع فيه وأجرى مجرى المفعول به وأضيف المصدر إليه على طريق إضافته إلى المفعول به من غير تقدير كلمة «في» كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] وقول من قال: يا سارق الليلة أهل الدار، في أحد الاحتمالين بخلاف الاحتمال الآخر فإن الظرف لم يتوسع فيه وكانت الإضافة إليه بتقدير «في» كما في: ضرب اليوم وإضافة المصدر معنوية سواء أضيف إلى ظرفه أو إلى فاعله، لأنه ليس بصفة والإضافة إنما تكون لفظية بأن يكون المضاف صفة مضافة إلى معمولها أي إلى مرفوعها أو منصوبها. **قوله**: (وقيل هي زلزلة الخ) عطف من حيث المعنى فإن ما ذكر ثانيًا يدل على أن الساعة إما فاعل مجازي لهذه الزلزلة، أو زمان لها وعلى التقديرين هذه الزلزلة يوم القيامة وهو ظاهر. **قوله**: (فيبقوا على أنفسهم) أي يترحموا عليها يقال: أبقيت على فلان أي أرعيت عليه ورحمته. وفي الصحاح: تقول أرعيت عليه إذا أبقيت عليه ورحمته.

قوله: (إذا دهشت) أي إذا أدهشت الزلزلة التي ألقمت الرضيع ثديها حمل لفظ المرضعة التي تلابس الإرضاع بالفعل استدلالاً بلحوق التاء إياه، فإن الأصل في الصفات المختصة بالمؤنث أن لا تلحقها تاء التأنيث إذا قصد بها التي من شأنها أن تلابس الفعل، فأما إذا قصد بها الدلالة على الملابسة بالفعل فحينئذ يجب أن تلحقها التاء فيقال: حائضة وطالقة ومرضعة وطامثة، فلما قيل: في الآية ﴿مرضعة﴾ بالتاء علم أن المراد بها التي باشرت

و«ما» موصولة أو مصدرية. ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ جنينها ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ﴾ كأنهم سكارى ﴿وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ﴾ على الحقيقة ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ فأرهقهم هوله بحيث طير عقولهم وأذهب تمييزهم. وقرىء «ترى» من أريتك قائمًا أو رأيتك قائمًا بنصب «الناس» ورفعه على أنه نائب مناب الفاعل وتأنيثه على تأويل الجماعة وإفراده بعد جمعه، لأن الزلزلة يراها الجميع وأثر السكر إنما يراه كل

الإرضاع بالفعل وألقمت ثديها الصبي. **قوله:** (وما موصولة) فلا بد من تقدير العائد أي عن الذي أرضعته وهو الطفل، وإن كانت مصدرية فلا حاجة إلى التقدير أي عن إرضاعها. **قوله:** (جنينها) مبني على أن الحمل بالفتح ما كان في البطن أو على رأس الشجرة، وبالكسر ما كان على الظهر. واستدل به من قال: إن هذه الزلزلة تكون في الدنيا لأنه لا مرضعة ولا حامل يوم القيامة. ومن قال إنها تكون يوم القيامة يقول: هذا على جهة التمثيل أي لو كان مثلها في الدنيا لذهلت المرضعة عما أرضعت وتضع الحامل حملها من غير تمام من شدة دهشها. **قوله:** (فأرهقهم هوله) والمعنى ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله تعالى هو الذي أذهب عقولهم يقال: رهقه بكسر الهاء أي غشيه وأرهقه طغيانًا أي أغشاه إياه. والهول مصدر هاله الشيء أي أفزعه، ولا شك أنه تعالى إذا بسط بساطه أي بساط عزته وسلطان جبروته سرادق كبريائه بحيث ألجأ النبيين إلى أن قالوا: نفسي نفسي، يجعل هوله وإفزاعه بحيث يغشى أهل الموقف بأسرهم مما شاهدوه من أمارات ما يكون من ذلك الموقف. قرأ العامة رحمة الله عليهم «وترى الناس» بفتح التاء من ترى ونصب «الناس» على صيغة خطاب الواحد بمعنى تعلم والناس أول مفعوليه «وسكارى» ثانيهما، وقرىء بضم التاء وكسر الراء على بناء الفاعل وهو ضمير الزلزلة أو الساعة فلا بد حينئذ من تقدير المفعول الأول ليتم به المعنى أي وترى الزلزلة أو الساعة أهل الموقف الناس سكارى فهو مفعول ثالث. ويؤيد هذه القراءة قراءة من قرأ «وترى الناس» بضم التاء وفتح الراء على ما لم يسم فاعله ونصب الناس مضارع مبني من المتعدي إلى ثلاثة مفاعيل الأول قائم مقام الفاعل وهو ضمير الخطاب، والناس سكارى هما المفعولان الباقيان. وهذا معنى قول المصنف رحمة الله عليه. وقرىء «ترى» من أريتك قائمًا والأصل: وترى الزلزلة أو الساعة إياك الناس سكارى. ويجوز أن يكون مضارع رأيت المتعدي إلى اثنين والمعنى: وترى أيها الرسول قومًا سكارى، فبنى للمفعول وأسند إلى مفعوله الأول وترك الثاني منصوبًا على حاله وهو معنى قوله رحمة الله عليه: «أو رأيتك قائمًا» وقوله: «بنصب الناس ورفعه» على ترتيب اللف. ولما ورد أن يقال: لما أسند الفعل إلى الناس كان ينبغي أن يقال: ويرى بالياء التحتانية. أجاب عنه بقوله: «وتأنيثه على تأويل الجماعة». **قوله:** (وإفراده بعد جمعه) إفراد الفعل وجمعه عبارة عن

أحد على غيره. وقرأ حمزة والكسائي «سكرى» كعطشى إجراء للسكر ومجرى العلل. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلاً يقول: الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين ولا بعث بعد الموت. وهي تعمه وأضرابه. ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في المجادلة أو في عامة أحواله. ﴿كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣﴾ متجرد للفساد. وأصله العرى.

﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ﴾ على الشيطان ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ تبعه والضمير للشأن. ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ خبر لـ «من» أو جواب له. والمعنى: كتب عليه إضلال من يتولاه لأنه جبل

إسناده إلى ضمير الواحد، والجمع يعني إفراد فاعل الرؤية في ترى الناس وجمعه في يوم ترونها مبني على أن المرئية في يوم ترونها الزلزلة أو الساعة وفي قوله وترى الناس جميع الناس رائيًا الزلزلة لكونها أمرًا مغايرًا للناس بخلاف الحالة القائمة فإن كل أحد لا يرى إلا ما قام بغيره ولا يرى الجميع ما قام بالجميع وإلا لزم أن يرى كل أحد ما قام بنفسه وفيه بحث ظاهر وهو أن إسناد الفعل إلى الجميع إنما يقتضي قيامه بالجميع ولا يقتضي وقوع ما قام به من الجميع وما ذكره مبني على أن يكون الخطاب في قوله تعالى وترى الناس لكل من يصلح أن يكون مخاطبًا على سبيل البدل ولو كان الخطاب لواحد بعينه وهو النبي ﷺ لما قيل يراها الجميع أي يرى كل أحد ما قام بغيره. **قوله:** (**سكرى كعطشى**) ووجه الشبه كون كل واحد منهما جمعا على فعلى مع كون واحده على وزن فعلان ولو قال كجرحى وقتلى ومرضى لصح التشبيه من حيث إن كل واحد منهما جمع على وزن فعلى إلا أن المشابهة بين سكرى وعطشى أتم لما ذكرناه يقال رجل عطشان وقوم عطشى كما يقال جوعان وجوعى وكسلان وكسلى واللفظ إنما يجمع على فعلى إذا كان مأخذه من قبل العلل والأدواء نقل عن الفراء رحمه الله تعالى أنه قال والعرب تجعل فعلى جمعًا لكل ذي زمانة وضرر وهلاك ولا يبالون أكان واحده فاعلاً أو فعيلاً أو فعلان. **قوله:** (**وهي تعمه وأضرابه**) حال من فاعل نزلت لما أمر الله تعالى مشركي أهل مكة بالاتقاء عن عقابه بملازمة طاعته خص من بينهم من هو متوغل في المخالفة والعصيان ووصفه بالمخاصمة في دين الله تعالى ووحدانيته وفيما أخبر به رسول الله ﷺ عن الله تعالى بمجرد زعمه الفاسد وظنه الباطل من غير سند يسوقه إليه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما المريد المتمرد على الله تعالى يقال مرد الشيء إذا جاوز حد مثله وأصله العرى يقال غلام أمرد وغصن أمرد إذا عري عن الشعر والورق.

قوله: (**كتب عليه على الشيطان**) صفة للشيطان والمعنى والله تبارك وتعالى أعلم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه أن من يقبل منه فهو ضال والكتبة والكتاب الحكم والقدر ويكون بمعنى الرقم والإثبات فالمعنى قضى عليه أو رقم فأثبت في أم الكتاب وهو اللوح أي قد

عليه. وقرىء بالفتح على تقدير فشأنه يضله، لا على العطف فإنه يكون بعد تمام الكلام. وقرىء بالكسر في الموضعين على حكاية المكتوب. أو إضمار القول أو تضمين الكتب معناه. ﴿وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾ بالحمل على ما يؤدي إليه.

قضى الله تعالى على كل شيطان من الجن والإنس أنه من يتبعه ويتولاه فإنه يضله عن الصراط المستقيم والدين القويم فأما الشيطان الجني فبالوسواس والتسويلات وإلقاء الشبهات وأما الشيطان الإنسي فبإيقاعه في مذاهب أهل الهوى والبدع كالفلاسفة والزنادقة المنكرين للبعث والحساب ويقيمون عليهما البراهين المموهة المشوبة بشوائب الوهم والخيال وظلمة الطبيعة فاتباعه تقبل منه تلك الشبهات الزائغة والدلائل الباطلة فيعتقدون بعقائده ويصيرون من جملته ويدخلون في زمرته كما قال تعالى: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ قال صاحب الكشاف والكتبة عليه مثل أي كأنما كتب إضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله جعل الكتبة بمعنى الرقم والإملاء ولما تعذر حمله على الحقيقة حمله على التشبيه وجعل وجه الشبه ظهور ذلك الإضلال عليه ظهور المكتوب على ما كتب عليه وإليه أشار المصنف بقوله والمعنى كتب عليه أي أثبت عليه ورقم فصار كأن الإضلال شيء أثبت عليه ورقم. **قوله:** (**على تقدير فشأنه أنه يضله**) يعني فتح الهمزة في قوله تعالى فإنه يضله مبني على أنه خبر مبتدأ محذوف أي فشأنه وحاله أنه يضله قال صاحب الكشاف عفا الله تبارك وتعالى عنه وقرىء أنه بفتح الهمزة وكسرها فمن فتح جعل الأولى نائب فاعل كتب والثانية عطفًا عليها ولم يرض المصنف به حيث قال لا على العطف فإنه يكون بعد تمام الكلام يعني أن كلمة أن الأولى لو كانت مرفوعة المحل على أنها قائمة مقام فاعل كتب وكانت الثانية أيضًا في محل الرفع على كونها معطوفة على الأولى مؤكدة لها للزم عطف جملة تامة على كلام غير تام لأن قوله من تولاه مبتدأ لم يستوف خبره بعد لأن كلمة من فيه أن قدرتها موصولة فلا خبر لها وإن جعلتها شرطية فلا جواب لها ولا يجوز العطف قبل التمام في عطف الجمل فإعراب الآية أن كتب مبني للمفعول على قراءة العامة وأنه في الموضعين مفتوح الهمزة أما الأولى فلكونها مع ما في حيزها في محل الرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف وكلمة من في قوله تعالى من تولاه يجوز أن تكون شرطية والفاء في جوابها وأن تكون موصولة والفاء زائدة في الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط. **قوله:** (**على حكاية المكتوب**) فإن كلمة أن الواقعة في الكلام المحكي مكسورة لكونها واقعة في ابتداء الكلام ولا بد في الحكاية أن تحفظ صورة الكلام المحكي ولا تغير عما هي عليه من هيئتها. **قوله:** (**أو إضمار القول**) فيكون «عليه» في موضع الرفع على أنه قائم مقام الفاعل لقيل المضمر. ثم إنه تعالى لما حكى عنهم أنهم يجادلون في الله بغير علم وكان من جملة ما جادلوا فيه نفي صحة حقية البعث والحشر، أو ردّ ما يدل على

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ﴾ من إمكانه وكونه مقدورًا. وقرىء «من البعث» بالتحريك كالجلب. ﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم﴾ أي فانظروا في بدء خلقكم فإنه يزيح ريبكم فإنّا خلقناكم. ﴿مِّن تُرَابٖ﴾ إذ خلق آدم منه والأغذية التي يتكون منها المني. ﴿ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ مني. من النطف وهو الصب. ﴿ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ﴾ قطعة من الدم جامدة. ﴿ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ﴾ قطعة من اللحم. وهي في الأصل قدر ما يمضغ ﴿مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ﴾ مسواة لا نقص فيها ولا عيب وغير مسواة أو تامة وساقطة، أو مصورة وغير مصورة ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ﴾ بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وأن ما قبل التغيير والفساد والتكون مرة قبلها أخرى. وإن من قدر على تغييره وتصويره أولاً قدر على ذلك ثانيًا. وحذف المفعول إيماء إلى أن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر. ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ أن نقره ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ هو وقت الوضع وأدناه بعد ستة أشهر وأقصاه آخر أربع سنين. وقرىء «ونقر» بالنصب. وكذا قوله: ﴿ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ عطفا على «نبين» كأن خلقهم مدرجًا لغرضين: تبيين القدرة وتقريرهم

صحته بقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث﴾ الآية قيل: تحريك الوسط في كل ما كان فيه العين من حروف الحلق قياس مطرد كالشعر والنهر. وقيل: ليس بقياس بل هما لغتان بمعنى كالجلب والجلب والطرد والطرد فيتوقف على السماع. ثم إنه تعالى ذكر في مراتب النشأة الأولى ومباديها سبعة أمور: الأول التراب فإنه مبدأ لجميع الأفراد الإنسانية إما بواسطة كونه مبدأ لأصلهم آدم عليه الصلاة والسلام، أو بواسطة الغذاء. وكونه مبدأ للمني ودم الطمث فإنه إما حيواني أو نباتي وغذاء الحيوانات ينتهي إلى النبات قطعًا للتسلسل. والنبات إنما يتولد من الأرض والماء فصح قول: ﴿فإنا خلقناكم من تراب﴾ على كل واحد من الاعتبارين. فقوله: «فانظروا في بدء خلقكم» الخ. إشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿فإنا خلقناكم﴾ ليس جزاء في الحقيقة لكنه أقيم مقام الجزاء من حيث كون الإخبار به سببًا مؤديًا إلى النظر في مضمونه الذي هو مزيل لريبهم. والمرتبة الثانية النطفة وهي ماء الفحل فإن قلب التراب اليابس ماء رطبًا لطيفًا مبني على قدرة باهرة لا يبعد عنها إعادة الموتى. والمرتبة الثالثة العلقة وهي قطعة الدم الجامدة ولا شك أن بين الماء وبين الدم الجامد مباينة شديدة. والمرتبة الرابعة المضغة وهي اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ. والمرتبة الخامسة ما ذكره بقوله: ﴿ثم نخرجكم طفلاً﴾ والسادسة ما ذكره بقوله تعالى: ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ والسابعة ما ذكره بقوله: ﴿ومنكم من يتوفى﴾ وقسم المضغة إلى المخلقة وغير المخلقة أي إلى المسواة الملساء المنزهة عن العيب، يقال: صخرة خلقاء أي ملساء لا عيب فيها، وخلقت السواك أي سويته وملسته. وقيل: المخلقة هي التي تم وكمل خلقها بنفخ الروح

في الأرحام حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف. وقرىء بالياء رفعًا ونصبًا. و«يقر»

فيها وهو الذي يولد لتمام مدة الحمل حيًا، وغير المخلقة ما تسقطه المرأة غير حي ولم يكمل خلقه بنفخ الروح فيه. وقيل: المخلقة ما قد بدا خلقته وصورته وغير المخلقة ما لم يصور بل تسقطه المرأة نطفة بيضاء أو علقة أو مضغة لم تبن خلقته. وقدم الوجه الأول لأنه أوفق لبناء التفعيل الدال على تكثير الخلق فإن الإنسان ذو أعضاء متباينة وقوى متفاوتة، فإذا كمل فيه جميع ما يتم به خلقة النوع فقد كثر فيه الخلق. واللام في قوله تعالى: ﴿لنبين﴾ متعلقة بمحذوف أي نقلناكم من حال إلى حال ومن خلق إلى خلق لنبين لكم بهذا التدريج من فعلنا وقدرتنا ما لا يسعه الذكر ولا يحيط به الوصف، وأشير إلى هذا التعميم بحذف المفعول. وقوله تعالى: ﴿ونقر في الأرحام﴾ مرفوع على الاستئناف وليس علة لما قبله حتى ينصب عطفًا على العلة المتقدمة. روي عن الزجاج رحمة الله تعالى عليه أنه قال: قوله تعالى: ﴿ونقر في الأرحام﴾ لا يجوز فيه إلا الرفع ولا يجوز أن يكون المعنى: فعلنا ذلك لنقر في الأرحام، لأن الله تعالى لم يخلق الأنام ليقروا في الأرحام وإنما خلقهم ليدلهم على رشدهم وصلاحهم. ونقل المصنف رحمة الله تعالى عليه قراءة النصب فيه وفي قوله تعالى: ﴿ثم نخرجكم طفلاً﴾ وأشار إلى دفع ما ذكره الزجاج رحمة الله تعالى عليه بقوله: «وتقريرهم في الأرحام حتى يولدوا وينشؤوا ويبلغوا حد التكليف» يعني ليس الإقرار في الأرحام وحده علة الخلق المذكور حتى يرد ما ذكر، بل العلة هي مجموع الإقرار في الرحم إلى تمام مدة الولادة والتولد طفلاً والإنشاء والبلوغ إلى حد التكليف. والعلة في الحقيقة هي الأخير يعني بلوغ حد التكليف أي حتى يكلفوا بمعرفة الله تعالى وتوحيده وطاعته فينالوا سعادة الآخرة. لكن لما كان الإقرار في الرحم وما تلاه من مقدمات البلوغ أدخل في التعليل قدر لام العلة إيذانًا بذلك وخص قوله: ﴿لتبلغوا﴾ بإعادة اللام للتنبيه على أن المقصود أولاً وبالذات هو الثاني لا الأول من بين أجزاء الغرض وهو الجزء الثاني الأخير الذي هو البلوغ المذكور لأنه أوان التكليف. فقوله تعالى: ﴿ثم لتبلغوا﴾ على هذه القراءة معطوف على قوله تعالى: ﴿ثم نخرجكم﴾ وقد أشار إليه المصنف بقوله: «حتى يولدوا وينشأوا» وعلى قراءة الرفع معطوف على قوله تعالى: ﴿لنبين لكم﴾ فإن قلت: ما معنى «ثم» في الموضعين؟ فالجواب أنه يحتمل أن يكون للتراخي في الرتبة وهو الأظهر الأنسب بالمقام. ويحتمل أن يكون للتراخي في الزمان فإن بلوغ الأشد متراخٍ عن الإخراج طفلاً وهو غير الإقرار في الأرحام ولو باعتبار ابتداء الإقرار في الأرحام.

قوله: (وقرىء بالياء) أي وقرىء قوله تعالى: «ليبين» و«يقر» بالياء التحتانية فيهما بإسناد كل واحد من الفعلين إليه تعالى، كما في قراءة النون. وقرىء و«يقر» بفتح الياء من

بالياء و«نقر» من قررت الماء إذا صببته. و«طفلاً» حال أجريت على تأويل كل واحد أو الدلالة على الجنس أو لأنه في الأصل مصدر ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ كمالكم في القوة والعقل. جمع شدة كالأنعم جمع نعمة كأنها شدة في الأمور. ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ عند بلوغ الأشد أو قبله. وقرىء "يتوفى" أي يتوفاه الله ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ الهرم والخرف. وقرىء بسكون الميم. ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ ليعود كهيئته الأولى في أوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم، فينسى ما علمه وينكر من عرفه. والآية استدلال ثانٍ على إمكان البعث بما يعتري الإنسان في أسنانه من الأمور المختلفة والأحوال المتضادة، فإن من قدر على ذلك قدر على نظائره. ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ ميتة يابسة من همدت النار إذا صارت رمادًا. ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾ تحركت بالنبات ﴿وَرَبَتْ﴾ وانتفخت. وقرىء «ربأت» أي ارتفعت ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ من كل صنف ﴿بَهِيجٍ ۝٥﴾ حسن رائق. وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر من خلق الإنسان في أطوار مختلفة وتحويله على أحوال متضادة وإحياء الأرض بعد موتها وهو مبتدأ خبره ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي بسبب أنه الثابت في نفسه الذي به يتحقق الأشياء. ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ وأنه يقدر على إحيائها وإلا لما أحيى النطفة والأرض الميتة. ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ لأن قدرته لذاته

تحت وكسر القاف ونصب الراء أي ويقر الله تعالى، وهو من قر الماء إذا صبه. وقرأ يعقوب في رواية و«نقر» بفتح النون وضم القاف ورفع الراء، من قر الماء يقره إذا صبه وقوله: «كمالكم في القوة والعقل» يعني أن الأشد كمال القوة في الحواس والقوى والجوارح كلها وهو فيما بين الثلاثين والأربعين. وقيل: من ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين سنة. وقيل: إلى ست وثلاثين سنة. **قوله تعالى: (لكيلا يعلم)** متعلق بقوله: «يرد» فإن قيل: كيف قال: ﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئًا﴾ مع أنه يعلم بعض الأشياء كالطفل؟ أجيب بأن المراد أنه يزول عقله فيصير كأنه لا يعلم شيئًا فإن مثل ذلك قد يذكر في مقام نفي العقل للمبالغة. **قوله: (تحركت بالنبات)** الاهتزاز الحركة الواقعة على البهجة والسرور فلا يقال: اهتز فلان لكيت وكيت إلا إذا كان ذلك الأمر من المحاسن والمنافع. قيل: الأصل اهتز وربا نباتها فحذف المضاف وأسند كل واحد من الفعلين إلى نفس الأرض، فمن قرأ «ربت» فمعناه الزيادة من أي جهة كانت ومن قرأ بالهمزة فسره بقوله: «ارتفعت» وزادت من جهة العلو. وقوله تعالى: ﴿وأن الساعة﴾ يحتمل أن يكون معطوفًا على المجرور بالباء وأن يكون خبر مبتدأ محذوف حذف لدلالة المقام عليه والتقدير: والأمر أن الساعة آتية و﴿لا ريب فيها﴾

الذي نسبته إلى الكل على سواء. فلما دلت المشاهدة على قدرته على إحياء بعض الأموات لزم اقتداره على إحياء كلها. ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ فإن التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾ بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله: ﴿وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨﴾ على أنه لا سند له من استدلال أو وحي أو الأول في المقلدين وهذا في المقلدين. والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح عطف الهدى والكتاب عليه. ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾ متكبرًا. وثنى العطف كناية عن التكبر على الجيد أو معرضًا عن الحق استخفافًا به. وقرىء بفتح العين أي مانع تعطفه. ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ علة للجدال. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس بفتح الياء على أن إعراضه عن الهدى التمكن منه بالإقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى إلى الضلال، وأنه من حيث هو مؤداه كالغرض له. ﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ وهو ما أصابه يوم بدر

يحتمل أن يكون خبرًا ثانيًا وأن يكون حالاً. **قوله:** (تكرير للتأكيد) يعني أن هذه الآية نزلت أيضًا في النضر بن الحارث. وفائدة التكرير المبالغة في الذم وليزيد عليه أنه لا سند له في مجادلته من دليل عقلي ولا وحي سماوي، كما لا سند في مجادلته من العلم الضروري والنظري. كأنه قيل: إنه يجادل من غير مقدمة ضرورية ولا نظرية ولا سمعية وهو قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [الحج: ٧١] وقيل: الآية الأولى واردة في التابعين المقلدين وهذه الآية في المتبوعين المقلدين، فإن كل واحد من الفريقين يصدق عليه أنه يجادل من غير علم وإن كان أحدهما تبعًا والآخر متبوعًا. ويؤيد هذا القول قوله تعالى: ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ بغير علم فإن المضل هو المقلد المتبوع لا التابع. والثني اللي، والعطف بكسر العين الجانب الذي يعطفه الإنسان ويلويه ويميله عند الإعراض عن الشيء وهو عبارة عن الكبر والخيلاء. والعطف بفتح العين التعطف والبر. **قوله:** (**على أن إعراضه عن الهدى المتمكن منه**) متعلق بقراءة من قرأ «ليضل» بفتح الياء فإنه لما ورد على هذه القراءة أن يقال: المجادل ما كان مهتديًا حتى يخرج بالجدال من الهدى إلى الضلال. أجاب عنه بأنه لما كان متمكنًا من الاهتداء بأن يتذكر فيما نصب من الدلائل والآيات فتركه وأعرض عنه وأقبل على الجدال بالباطل، جعل كالخارج من الهدى إلى الضلال. وورد أيضًا أن يقال: ما كان غرضه من الجدال أن يضل عن الهدى أو يضل غيره عنه فكيف قيل ليضل؟ فأجاب عنه بأن الضلال لما كان عاقبته مترتبة على جداله شبه بالغرض المطلوب منه فأدخل عليه لام العلة لذلك.

قوله: (وهو ما أصابه يوم بدر) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هذه

﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩﴾ المحرق وهو النار. ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ على الالتفات أو إرادة القول. أي يقال له يوم القيامة: ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝١٠﴾ وإنما هو مجازيهم على أعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فإن أحس بظفر قر وإلا فر. ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ روي أنها نزلت في أعاريب قدموا إلى المدينة وكان أحدهم إذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرًا سريًا وولدت امرأته غلامًا سويًا وكثر ماله وماشيته قال: ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيرًا، فاطمأن. وإن كان الأمر بخلافه قال: ما أصبت إلا شرًا، وانقلب. وعن أبي سعيد أن يهوديًا أسلم فأصابته مصائب فتشاءم بالإسلام فأتى النبي ﷺ فقال: أقلني. قال: «إن الإسلام لا يقال».

الآية نزلت في النضر بن الحارث فإنه قتل يوم بدر. ومن قال: إنها لم تنزل في واحد يعينه حمل خزي الدنيا على ذم المؤمنين ولعنهم وقهرهم إياهم، فإن الخزي وهو الهوان والفضيحة لا يلزم أن يكون بالقتل. وقوله: ﴿عذاب الحريق﴾ يجوز أن يكون من باب إضافة الموصوف إلى الصفة، والأصل العذاب الحريق أي المحرق كالسميع بمعنى المسمع، وجعله المصنف رحمة الله تعالى عليه من إضافة المسبب إلى سببه وجعل الحريق عبارة عن النار. **قوله: (والمبالغة لكثرة العبيد)** جواب عما يقال: الظاهر أن يقال: إنه تعالى ليس بظالم للعبيد ليفيد نفي أصل الظلم ونفي كونه مبالغًا مفرطًا في الظلم لا يفيد نفي أصله. وتقرير الجواب أن المراد نفي أصل الظلم وذكر لفظ المبالغة مبني على كثرة العبيد. ثم إنه تعالى لما وصف حال المظهرين للشرك المجادلين فيه عقبه بذكر حال المتزلزلين المذبذبين فقال تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ فقوله: «على حرف» حال من فاعل «يعبد» والحرف والناحية والوسط والطرف من صفات الأجسام وصف به الدين على سبيل الاستعارة التمثيلية، حيث شبه حال من يعبد الله تعالى حال كونه على فلق في دينه من غير ثبات وطمأنينة قلب بحال من يكون على طرف من العسكر ونحوه، فإن أحس بظفر وغنيمة قرّ واطمأن وإلا فرّ. **قوله تعالى: (وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه)** المراد بها ههنا ما يستكرهه الطبع ويثقل على النفس كالجدب والمرض وسائر المحن، وإلا لما صح أن يجعل مقابلاً للخير لأنه أيضًا فتنة وامتحان. قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥] ولم يقل: وإن أصابه شر، مع أنه هو المقابل للخير لأن ما يتنفر عنه الطبع ليس شرًا في نفسه بل هو سبب القربة ورفع الدرجة بشرط التسليم والرضى بالقضاء. **قوله: (مهرًا سريًا)** أي خطيرًا كريمًا.

فنزلت. ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ﴾ بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد. وقرىء «خاسر» بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصًا على خسرانه أو على أنه خبر محذوف. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ (١١)﴾ إذ لا خسر مثله. ﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ يعبد جمادًا لا يضر بنفسه ولا ينفع. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ (١٢)﴾ عن المقصد مستعار من ضلال من أبعد في التيه ضالاً. ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ بكونه معبودًا لأنه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة. ﴿أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها

قوله: (ووضع الظاهر) بالجر عطفًا على قوله: «والفاعلية» فإن الظاهر أن يكون قوله: «انقلب» مسندًا إلى ضمير مستتر راجع إلى «من» في قوله تعالى: «ومن الناس من» مثل ضمير قوله تعالى: ﴿اطمأن به﴾ فلما جعل خاسر الدنيا مرفوعًا على أن فاعل «انقلب» فقد وضع الظاهر موضع الضمير المستتر في «انقلب» تنصيصًا على خسران المنقلب. **قوله:** (**مستعار من ضلال من أبعد في التيه**) أي شبه ضلال من عبد من دون الله ما لا يضره إن لم يعبده وما لا ينفعه إن عبده عن سواء السبيل، وهو التوحيد والطاعة وما هو الحق اعتقادًا أو عملاً، بضلال من أبعد في التيه ضالاً. فوصف الضلال المشبه بما هو من خواص الضلال المشبه به وهو البعد، فإن القرب والبعد من عوارض المسافة الحسية فكان إثبات البعد له استعارة تخييلية قرينة للاستعارة بالكناية. فالظاهر أنه شبه العدول عن الحق المشبه بالمسافة الحسية والصراط المسلوك فيها حسًا بالضلالة عن الصراط المستقيم، وشبّه التوغل في ذلك العدول بالبعد عن المسلك الحسي فعبّر عن التوغل في العدول عن الحق باسم الضلال البعيد على سبيل الاستعارة التصريحية. ثم لا بد مع اعتبار هذه الاستعارة من تقدير مضاف في البعيد أي البعيد مسافته وإضافة المسافة إلى الضلال لأدنى الملابسة، فإن الضلال واقع في تلك المسافة. **قوله:** (**لمن ضره بكونه معبودًا**) إشارة إلى دفع ما يقال: كيف نفى النفع والضر عن الأصنام في قوله تعالى: ﴿يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه﴾ وأثبتهما لها في قوله تعالى: ﴿لمن ضره أقرب من نفعه﴾ وتقدير الدفع أن معنى الآية الأولى أن الكافر لنهاية جهله وحماقته يعبد جمادًا لا يضر ولا ينفع بنفسه، والضرر المثبت للأوثان في الآية الثانية ليس ضررها بأنفسها ليلزم التناقض، بل المراد من ضررها كون عبادتها سببًا للضرر وذلك يكفي في إضافة الضرر إليها كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦] وإضافة الإضلال إليهن من حيث كونهن أسبابًا للضلال. فكذا ههنا نفي الضرر عنهن أولاً بمعنى كونهن فاعلة له وأضاف الضرر إليهن في هذه الآية بمعنى كون عبادتهن سببًا للضرر، وكذا النفع المضاف إليهن ليس نفعها في نفسها بل هو النفع في زعم

إلى الله تعالى. واللام متعلقة «ليدعو» من حيث إنه بمعنى يزعم، والزعم قول مع اعتقاد. أو داخلة على الجملة الواقعة مفعولاً إجراء له مجرى يقول أي: يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به. أو مستأنفة على أن «يدعو» تكرير للأول و«من» مبتدأ وخبره ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ الناصر ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾ الصاحب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ من إثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع.

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ كلام فيه اختصار

العابدين وتوقعهم. **قوله:** (والزعم قول مع اعتقاد) جواب عما يقال: كيف يكون يدعو معلقًا بلام الابتداء وليس هو من أفعال القلوب؟ وكذا الزعم والتعليق من خصائص أفعال القلوب. وفيه إشارة إلى جواب آخر عن سؤال التناقض تقريره: أن نفي الضر والنفع عن الأصنام حكم من الله تعالى حكم به على الكافر المنقلب على وجهه أنه يدعو ويعبد من دون الله تعالى ما لا يضره ولا ينفعه بنفسه، ثم حكى عنه أنه يزعم أي يقول ويعتقد يوم القيامة حين استضراره بسبب عبادة الأصنام لمن ضره أقرب من نفعه ﴿لبئس المولى﴾ وباختلاف الحاكم يندفع التناقض فجملة لمن ضره في حيز مفعول يدعو إلا أنه علق الفعل بلام الابتداء.

قوله: (إجراء له مجرى يقول) يعني أن المقام مقام حكاية قول الكافر إلا أنه وضع «يدعو» موضع يقول ليدل على قول فيه صراخ ودعاء. فلما كان يدعو الثاني بمعنى يقول متضمنًا معنى الدعاء والصراخ كان النافي للضرر والنفع عن الأصنام هو الله تعالى والمثبت لهما هو الكافر، فاندفع التناقض بهذا الوجه أيضًا. **قوله:** (أو مستأنفة) عطف على قوله: «واللام معلقة» كأنه قيل: جملة قوله: ﴿لمن ضره﴾ في محل النصب على أنها في حيز مفعول «يدعو» مستأنفة لا محل لها من الإعراب، فيكون «يدعو» الثاني تكريرًا للأول وتأكيدًا له فلا معمول له لفظًا ولا تقديرًا كأنه قيل: يدعو من دون الله الذي لا يضره ولا ينفعه. فعلى هذا يكون قوله: ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ جملة معترضة بين المؤكد والمؤكد لأن فيها تشديدًا وتأكيدًا للكلام ويكون قوله تعالى: ﴿لمن ضره﴾ كلامًا مستأنفًا واللام فيه للابتداء و «من» موصولة و «ضره» مبتدأ و «أقرب» خبره والجملة صلة «من»، و «لبئس» جواب قسم مقدر والقسم المقدر مع جوابه خبر للمبتدأ الذي هو الموصول. ثم إنه تعالى لما ذكر المشركين المجادلين بالباطل الذين يعبدون الله على حرف وبيّن مآل أمرهم ذكر المؤمنين المتمكنين على الإيمان والأعمال الصالحة وبيّن ثوابهم في الآخرة ثم قال: ﴿إن الله يفعل ما يريد﴾ بأهل طاعته من أهل الكرامة وأهل معصيته من أهل الهوان والفضيحة. **قوله:** (كلام فيه اختصار) فإن قوله تعالى: ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا﴾ بإعلاء كلمته

والمعنى: إن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه. وقيل: المراد بالنصر الرزق والضمير لـ «من» ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ فليستقص في إزالة غيظه أو جزعه بأن يفعل كل ما يفعله الممتلىء غضبًا أو المبالغ جزعًا حتى يمد حبلاً إلى سماء بيته فيختنق. من قطع إذا اختنق. فإن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه. أو فليمدد حبلاً إلى السماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد في دفع نصره أو تحصيل رزقه. وقرأ ورش وأبو عمرو وابن عامر «ليقطع» بكسر اللام. ﴿فَلْيَنظُرْ﴾ فليتصور في نفسه ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾ فعله ذلك. وسماه على الأول كيدًا لأنه منتهى ما يقدر عليه. ﴿مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ غيظه أو الذي يغيظه من نصر الله. وقيل: نزلت في قوم من المسلمين استبطأوا نصر الله لاستعجالهم

وإظهار دينه وفي الآخرة بإعلاء درجته. والانتقام ممن كذبه يستدعي كلامًا يذكر فيه أن الله ينصر رسوله في الدنيا والآخرة ومنكرًا ينكر ذلك حسدًا وعداوة ويطمع أنه تعالى لا يفعل ذلك ويغيظه حتى يكون هذا الكلام ردًا له وإقناطًا وترهيبًا وقهرًا. قوله: (وقيل المراد بالنصر الرزق) على أن يكون ضمير «ينصره» راجعًا إلى «من» في قوله تعالى: ﴿من كان يظن﴾ بناء على أن من حق الضمير أن يرجع إلى المذكور إذا أمكن ذلك. ومن ذهب إلى أنه يرجع إلى رسول الله ﷺ ولم يجز ذكره في هذه الآية قال: قد ذكر فيه ما يدل عليه عليه الصلاة والسلام وهو أن الإيمان لا يتم إلا بالله ورسوله. فعلى تقدير أن يكون النصر بمعنى الرزق يكون المعنى أن الأرزاق بيد الله تعالى لا تنال إلا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضى بقسمته، فإن من لم يرض برزق الله تعالى وليس به صبر واستسلام لما قسم الله تعالى له فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق، فإن ذلك لا يغلب القسمة. والسبب الحبل والسماء. قيل: المراد بها سقف البيت بناء على أن كل ما علاك فهو سماء وقيل: المراد بها سماء الدنيا. والمعنى: فليمدد الذي يغيظه نصر الله تعالى ورسوله أو يجزعه قلة رزقه بحبل إلى السماء المظلة ثم ليقطع بالمسافة. الخ وعنان السماء جانبها الذي يعترض لك من أقطارها. و «من» في قوله تعالى: ﴿من كان يظن﴾ يجوز أن تكون شرطية وهو الظاهر وأن تكون موصولة و «فليمدد» إما جزاء الشرط أو خبر للموصول والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط و «هل يذهبن» في محل النصب على إسقاط الخافض أي في أنه هل يذهبن؟ قوله: (فليتصور في نفسه) لما دل ظاهر نظم الآية على أن الأمر بالنظر بعد الاختناق لا يصح أن يحمل على النظر والتأمل، صرف الكلام عن ظاهره وجعل النظر المأمور به عبارة عن أن يتصور أنه إن فعل ذلك هل يذهب الذي يغيظه من نصر الله تعالى وهو سابق على الاختناق؟ كأنه قيل: فليتأمل أنه إن فعل ذلك هل يذهب كيده وما يغيظه، والفاء في «فلينظر» محمول على التراخي الرتبي. ثم

وشدة غيظهم على المشركين. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك الإنزال ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أنزلنا القرآن كله ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى﴾ ولأن الله يهدي به أو يثبت على الهدى ﴿مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ هدايته أو ثباته. أنزله كذلك مبينًا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بالحكومة بينهم وإظهار المحق منهم من المبطل أو الجزاء فيجازي كلاً ما يليق به ويدخله المحل المعد له. وإنما دخلت «أن» على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التأكيد. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ عالم به مراقب لأحواله.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يتسخر لقدرته ولا يتأبى عن تدبيره، أو يدل بذله على عظمة مدبره. ومن يجوز أن يعم أولي العقل

إنه تعالى لما قال: ﴿وأن الله يهدي من يريد﴾ اتبعه ببيان من يهديه ومن لا يهديه فقال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا﴾ الآية و«إن» الثانية مع اسمها وخبرها في محل الرفع على أنه خبر «أن» الأولى كما في قولك: إن زيدًا إن الخير عنده لكثير. والصابئون من صبأ الرجل عن دينه إذا خرج منه إلى دين آخر، وهم قوم كانوا يعبدون النجوم ويعظمونها. وقال قتادة: هم قوم كانوا يعبدون الملائكة. وقال مجاهد: هم قبيلة بين اليهود والمجوس. قيل: كانوا يعبدون النار وقيل: يعبدون الشمس والقمر. وقيل: اعتزلوا النصارى ولبسوا المسوح. وقيل: أخذوا من دين النصارى شيئًا ومن دين اليهود شيئًا وهم القائلون بأن للعالم إلهين نور وظلمة. **قوله: (بالحكومة بينهم أو الجزاء)** يعني أن المراد بالفصل إما الفصل بالحكم بأن هذا محق وذلك مبطل، أو الفصل بالجزاء بأن لا يجمع الجميع في موطن واحد بل يجازى كل واحد بما يليق به ويدخله الدار المعدة له. **قوله: (يتسخر لقدرته ولا يتأبى عن تدبيره)** لما دخل كفرة الإنس ومردة الجن والشياطين وسائر الحيوانات والجمادات في عمومه أي في عموم قوله: ﴿من في السمٰوات﴾ وليس فيهم من يسجد سجود طاعة وعبادة، وهو وضع الجبهة على الأرض خضوعًا لله تعالى، حمل السجود على معنى مجازي يتصور في كل موجود ممكن وهو كونه منقادًا مسخرًا لقدرته ومشيئته تعالى غير متأبى عن شيء مما يحدث فيه من أفعاله وتدبيره تشبيهًا لهذا الانقياد والمطاوعة بالسجود الحقيقي الصادر عن المكلف، وإطلاقًا لاسم السجود المشبه به على المشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية. ثم اشتق من هذا السجود بهذا المعنى لفظ يسجد فسرت الاستعارة إليه تبعًا والمعنى: تنقاد له المكونات بأسرها.

قوله: (أو يدل بذله على عظمة مدبره) عطف على قوله يتسخر يعني أن السجود في الآية مجاز إما عن المسخرية والانقياد أو عن الدلالة على عظمة الملك المدبر فإن السجود

وغيرهم على التغليب فيكون قوله: ﴿وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ إفرادًا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها. وقرىء «والدواب» بالتخفيف كراهة التضعيف أو الجمع بين الساكنين. ﴿وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ عطف عليها إن جوّز إعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه وإسناده باعتبار أحدهما إلى أمر وباعتبار الآخر إلى آخر. فإن تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند إليهم أو مبتدأ خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه نحو: حق له الثواب، أو فاعل فعل مضمر أي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة. ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ﴾ بكفره وإبائه عن الطاعة. ويجوز أن يجعل و«كثير» تكريرًا للأول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب، وأن يعطف به على

الحقيقي إنما يكون على طريق الخضوع والتعظيم، فيدل لا محالة على العظمة والكبرياء. فكذا جميع هذه المذكورات تدل عليهما فشبه دلالتها عليهما بالسجود الحقيقي فأطلق عليها اسم السجود. **قوله:** (وقرىء والدواب بالتخفيف) أي بتخفيف الباء بحذف الباء الأولى كراهية التضعيف أو الجمع بين الساكنين. **قوله:** (عطف عليها إن جوّز الخ) جواب عما يقال: السجود بمعنى المسخرية للقدرة والإرادة أو بمعنى الدلالة على عظمة المدبر عام في حق الناس جميعًا فإسناده إلى كثير منهم يكون تخصيصًا من غير فائدة، وتخصيص الكثير بالذكر يدل على أن المسند إلى الكثير السجود الحقيقي وذلك يستلزم أن يكون لفظ يسجد مستعملاً في المعنيين بإطلاق واحد، وتقرير الجواب: أن من جوز إعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه وإسناده باعتبار أحد مفهوميه إلى أمر وباعتبار مفهومه الآخر إلى أمر آخر، فلا شك أن المسند إلى كثير من الناس هو السجود الحقيقي وإلى الآحاد الباقية وسائر المذكورات السجود بالمعنى المجازي. والسجود بهذا المعنى، وإن صح إسناده إلى كثير من الناس أيضًا، إلا أن تخصيص الكثير بالذكر يدل على أن المسند إليهم سجود مخصوص مغاير للسجود المسند إلى الأفراد الباقية. ومن لم يجوّز ذلك لا يجعل قوله: ﴿وكثير من الناس﴾ معطوفًا على ما قبله بل يجعله مبتدأ محذوف الخبر أو فاعل فعل مضمر وتقدير الآية: ولله يسجد من في السمٰوات ومن في الأرض ويسجد له كثير من الناس، فيكون السجود الأول بمعنى الانقياد والثاني بمعنى العبادة والطاعة. **قوله:** (وأن يعطف به) أي ويجوز أن يكون قوله: ﴿وكثير حق عليه العذاب﴾ موصوفًا وصفة عطف به على ما قبله ويكون العامل في جميع المعطوفات السجود بالمعنى العام، وما ذكر من أن تخصيص الكثير بالذكر يكون لغوًا حينئذ. فالجواب عنه أن ذكر الكثير ليس لتخصيص الحكم بهم ونفيه عما عداهم حتى يكون لغوًا باطلاً، بل المراد بذكره تفصيل الناس إلى من هو ساجد بذاته وبظاهره وإلى من هو ساجد بذاته متمرد بظاهره، وبيان أن الكل ساجد له تعالى بالمعنى

الساجدين بالمعنى العام موصوفًا بما بعده. وقرىء «حق» بالضم و«حقًا» بإضمار فعله ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ بالشقاوة ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ يكرمه بالسعادة. وقرىء بالفتح بمعنى الإكرام. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۝١٨﴾ من الإكرام والإهانة. ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ أي فوجان مختصمان. ولذلك قال: ﴿ٱخْتَصَمُواْ﴾ حملاً على المعنى ولو عكس جاز. والمراد بهما المؤمنون والكافرون. ﴿فِي رَبِّهِمْ﴾ في دينه أو في ذاته وصفاته. وقيل: تخاصمت اليهود والمؤمنون فقال اليهود: نحن أحق بالله وأقدم منكم كتابًا ونبينا قبل نبيكم، وقال المؤمنون: نحن أحق بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدًا. نزلت. ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فصل لخصومتهم وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الحج: ١٧] ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ﴾ قدرت على مقادير جثثهم. وقرىء بالتخفيف ﴿ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ نيران تحيط بهم إحاطة الثياب ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝١٩﴾ حال من الضمير في «لهم» أو خبر ثان. والحميم الماء الحار. ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ۝٢٠﴾ أي يؤثر من فرط حرارته في باطنهم تأثيره في ظاهرهم فيذاب به أحشاؤهم كما يذاب به جلودهم. والجملة حال من «الحميم» أو ضمير «هم». وقرىء بالتشديد للتكثير. ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝٢١﴾ سياط منه يجلدون بها. جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به أي يكف بعنف.

العام. **قوله:** (وقرىء حق بالضم) فإن «حق» يستعمل لازمًا ومتعديًا يقال: حقق الشيء بمعنى أثبته، وحق الشيء أي ثبت. ثم إنه تعالى بيّن أن الناس قسمان: منهم من يسجد ومنهم من حق عليه العذاب، ولا شك أن طريق الفريقين يستلزم بيان الاختصام بينهما فذكر الله تعالى كيفية اختصامهما فقال: ﴿هذان خصمان﴾. **قوله:** (ولذلك) أي ولكون الخصم صفة لموصوف مفرد اللفظ مجموع المعنى كالفوج والفريق، وكان قوله خصمان في معنى فوجان مختصمان وكان كل فوج جماعة متكثرة، صح إسناد ﴿اختصموا﴾ إلى ضمير الجمع كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ [الحجرات: ٩] فثنى قوله: «هذان» اعتبارًا لمعناه. ولو عكس جاز كما جاز اعتبار المعنى فقط بأن قيل: هؤلاء خصمان اختصموا واعتبار اللفظ بأن قيل: هذان خصمان اختصما. **قوله:** (نيران تحيط بهم إحاطة الثياب) يعني أن قوله تعالى: ﴿ثياب﴾ مستعار للنيران التي يقطعها الله تعالى ويلبسها لهم على مقادير جثتهم تشبيهًا لها بالثياب الملبوسة في إحاطة البدن. **قوله تعالى:** (يصهر به) أي يذاب يقال: صهرت الشيء فانصهر أي أذبته فذاب فهو صهير إذا ذاب. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لو سقطت قطرة من الحميم الذي يصب على رؤوس أهل النار على جبال الدنيا لأذابتها. وعن الحسن رضي الله تعالى عنه قال: إن النار تضربهم بلهبها

﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا﴾ من النار ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ من غمومها بدل من الهاء بإعادة الجار ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ أي فخرجوا أعيدوا لأن الإعادة لا تكون إلا بعد الخروج. وقيل: يضربهم لهب النار فيرفعهم إلى أعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها. ﴿وَذُوقُواْ﴾ أي وقيل لهم: ذوقوا ﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ النار البالغة في الإحراق.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ غير الأسلوب فيه. وأسند الإدخال إلى الله تعالى وأكده بأن إحمادًا لحال المؤمنين وتعظيمًا لشأنهم ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ من حليت المرأة إذا لبستها الحلي. وقرىء بالتخفيف والمعنى واحد. ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ صفة مفعول محذوف. وأساور جمع أسورة وهي جمع سوار. ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ بيان له ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ عطف عليها لا على «ذهب» لأنه لم يعهد السوار منه إلا أن يراد المرصعة به. ونصبه نافع وعاصم عطفًا على محلها أو إضمار الناصب مثل «ويؤتون». وروى حفص بهمزتين. وترك أبو بكر والسوسي عن

فترفعهم حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفًا. وفي الحديث الشريف: «لو وضعت مقمعة منها في الأرض فاجتمع الثقلان ما أقلوها». **قوله:** (النار البالغة في الإحراق) إشارة إلى أن الحريق بمعنى المحرق كالسميع بمعنى المسمع، والعدول إلى صيغة الفعيل للدلالة على المبالغة. **قوله:** (غير الأسلوب) فإنه من تمام فصل الخصومة مقابل لقوله تعالى: ﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار﴾ فالأسلوب المناسب له أن يقال: والذين آمنوا وعملوا الصالحات أعدت لهم جنات. **قوله:** (صفة مفعول محذوف) أي يحلون فيها حليًا كائنًا من أساور أو ملبوسًا كائنًا من أساور. وفيه بحث، لأن حليت وحليت مشددًا ومخففًا بمعنى واحد لا يتعدى شيء منهما إلا إلى مفعول واحد يقال: حليت المرأة أحليها حليًا وحليتها تحلية إذا جعلت لها حليًا. فكيف يقدر «ليحلون» مفعول منصوب إلا أن يجعل «يحلون» بمعنى يلبسون. والظاهر أن تجعل «من» ابتدائية متعلقة «بيحلون».

قوله: (إلا أن يراد المرصعة) على أن يكون المعنى أن الأساور قد تكون متخذة من الذهب وحده ومن اللؤلؤ وحده، إلا أن اتخاذ السوار من اللؤلؤ وحده غير معهود وإنما يجوز عطفه على «ذهب» على أن يكون المعنى من أساور منهما بأن يرصع اللؤلؤ في الذهب، وظاهره أن السوار قد يتخذ من اللؤلؤ وحده وينضم بعضه إلى بعض. غاية ما في الباب أنه لا يكون ذلك معهودًا في زمان المفسرين. وقرأ نافع وعاصم بنصب «لؤلؤ» والباقون بجره. وقد ذكر المصنف رحمة الله عليه وجه كل واحد منهما واختلف في رسم هذه اللفظة في الإمام؛ فنقل الأصمعي رحمة الله تعالى عليه أنها في الإمام «لولو» بغير ألف بعد الواو ونقل

أبي عمرو الهمزة الأولى. وقرىء «لؤلو» بقلب الثانية واوًا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلبت الثانية ياء وليليا بقلبهما ياءين ولول كأدل ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ غير أسلوب الكلام فيه للدلالة على أن الحرير ثيابهم المعتادة أو للمحافظة على هيئة الفواصل. ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ وهو قولهم: الحمد لله الذي صدقنا وعده أو كلمة التوحيد ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ المحمود نفسه أو عاقبته وهو الجنة، أو الحق، أو المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الإسلام. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لا يريد به حالاً ولا استقبالاً، وإنما يريد استمرار الصد منهم كقولهم: فلان يعطي ويمنع. ولذلك حسن عطفه على الماضي.

أنها ثابتة أيضًا في الإمام بعد الواو. وقرأ حفص عن عاصم «لؤلؤ» بهمزتين. وروى أبو بكر عنه أيضًا «لؤلو» بقلب الهمزة الثانية واوًا. وقرىء «لوليا» بالواو أولاً وبالياء آخرًا والأصل لؤلؤًا بهمزتين أبدلت كل واحدة منهما واوًا فصار آخر الاسم المتمكن واوًا قبلها ضمة، وهو غير معهود في كلام العرب إلا في كلمة «هو» ففعل فيها ما فعل «بادل» جمع «دلو» بأن قلبت الواو ياء والضمة كسرة. وفعل هذا من قرأ أيضًا «ليليا» بياءين ثم اتبع الواو الأولى للثانية في القلب. وقرىء «ولول» بالجر عطفًا على المجرور قبله والأصل «لؤلؤ» أبدلت الهمزتان واوين، ثم أعلّ إعلال أدل بأن قلبت ضمة اللام كسرة والواو ياء ثم أعلّ إعلال قاض. **قوله**: (**غير أسلوب الكلام**) يعني الظاهر أن يقال: ولؤلؤًا وحريرًا بجر اللفظين أو نصبهما على طريق عطف المفرد على المفرد إلا أنه عدل عنه إلى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والثبات. **قوله**: (**أو للمحافظة على هيئة الفواصل**) فإنه لو قيل: وحريرًا بالنصب لم تكن هيئة الكلمة على هيئة الحديد والحريق والحميد حال الوقف، بخلاف ما لو قيل: وحرير بالجر فإنه لا تفوت محافظة هيئة الفواصل حينئذ. فهذا التعليل إنما ينفع أن لو قرىء «وحريرًا» بالنصب دون الجر. **قوله**: (**وهو الجنة**) أي المحمود نفسه الجنة والمحمود عاقبته الحق. كأنه قيل: وهدوا إلى صراط الجنة التي هي المحمودة نفسها أو إلى صراط الحق المحمود عاقبته أو إلى صراط الله تعالى المستحق لذات الحمد. ثم إنه تعالى لما فصّل الخصومة بين المؤمنين والكفار ذكر عظم حرمة البيت وعظم كفر هؤلاء فقال تعالى: ﴿إن الذين كفروا﴾ قيل: نزلت في أبي سفيان وأصحابه حين صدوه عليه الصلاة والسلام عام الحديبية عن البيت فكره ﷺ قتالهم وهو محرم ثم صالحوه على أن يعود في العام القابل. **قوله**: (**ولذلك**) أي ولكون قوله: ﴿يصدون﴾ لا يقصد به الدلالة على زمان معين من حال أو استقبال وإنما يراد به مجرد الاستمرار. فكأنه قيل: إن الذين كفروا من شأنهم الصد عن سبيل الله ومثله قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]

وقيل: هو حال من فاعل «كفروا» وخبر «أن» محذوف دل عليه آخر الآية أي «معذبون». ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ عطف على اسم الله. وأوّله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ أي المقيم والطارىء على عدم جواز بيع دورها وإجارتها، وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم﴾ [الحج: ٤٠] وشراء عمر دار السجن فيها من غير نكير. و«سواء» خبر مقدم

حسن عطفه على الماضي. **قوله:** (وقيل هو حال من فاعل كفروا) لم يرض به لأن الجملة الحالية إذا كانت فعلية وكان الفعل مضارعًا مثبتًا امتنع دخول الواو عليه. قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦] أي لا تعط حال كونك تعد ما تعطيه كثيرًا. وما ورد منه على قلة كقول بعض العرب:

قمت وأصك وجهه

وقول من قال:

فلما نشبت أظافيرهم

أي أسلحتهم.

نجوت وأرهنهم مالكا

مؤول بحمل الكلام على حذف المبتدأ أي وأنا أصك وأنا أرهنهم فلا يحمل عليه القرآن العظيم، وعلى القولين خبر أن محذوف لدلالة آخر الآية عليه. فظاهر كلام المصنف رحمة الله عليه يدل على أن موضع تقديره بعد قوله: ﴿عن سبيل الله﴾ وتقدير الخبر قبل تمام الاسم بمتعلقاته لا يخلو عن بعد. وقد قدره صاحب الكشاف بعد قوله تعالى: ﴿والمسجد الحرام﴾ وقيل: إنه يستلزم الفصل بين الصفة والموصوف بأجنبي وهو خبر «أن» لأن قوله: ﴿الذي جعلناه﴾ صفة للمسجد الحرام فيصير نظم التركيب هكذا: إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم الذي جعلناه للناس، فالظاهر أن موضع التقدير بعد قوله تعالى: ﴿والباد﴾ وللزمخشري عفا الله تبارك وتعالى عنه أن يجيب عما يتوجه إليه من الاعتراض بأن يقول: لا نسلم أن قوله: ﴿الذي جعلناه﴾ صفة للمسجد حتى يلزم ما ذكر بل هو مقطوع عنه منصوب بتقدير: أعني أو مرفوع بتقدير: هو. **قوله:** (وأوّله الحنفية بمكة) وقالوا: المراد من المسجد الحرام الحرم كله كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١] وقد أسرى به من بيت أم هانىء واستدلوا على أن أراضي مكة لا تملك بهذه الآية. وقالوا: إنها لو ملكت لما

والجملة مفعول ثانٍ «لجعلناه» إن جعل «للناس» حالاً من الهاء وإلا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص على أنه المفعول أو الحال و«العاكف» مرتفع به وقرىء «العاكف» بالجر على أنه بدل من «الناس». ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ﴾ مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول. وقرىء بالفتح من الورود. ﴿بِإِلْحَادٍ﴾ عدول عن القصد ﴿بِظُلْمٍ﴾ بغير حق وهما حالان مترادفان، أو الثاني بدل من الأول بإعادة الجار وصلة له أي ملحدًا بسبب الظلم كالإشراك واقتراف الآثام. ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٥)﴾ جواب لـ «من».

استوى العاكف فيها والبادي فلما استويا ثبت أن سبيلها سبيل المسجد. واستدلوا عليه أيضًا بقوله عليه الصلاة والسلام: «مكة مناخ لما سيق إليها». وقال الإمام الشافعي رحمة الله عليه: يجوز بيع دور مكة وإجارتها. وقال: قوله: ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ المراد به استواؤهما في تعظيم حرمته وقضاء النسك فيه. وإليه أشار المصنف بقوله: «وهو مع ضعفه» ووجه الضعف أنه لا يلزم أن يكون المراد بقوله: ﴿سواء﴾ المساواة في الانتفاع بمنازل مكة ودورها لجواز أن يراد به الاستواء في تعظيمه والعبادة فيه بمعنى أنه ليس للمقيم أن يمنع من العبادة فيه البادي وبالعكس. ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام: «يا بني عبد المطلب من ولي منكم من أمور الناس شيئًا فلا يمنعن أحدًا طاف بهذا البيت أو صلى فيه ساعة من ليل أو نهار». واحتج الإمام الشافعي رحمة الله تعالى عليه على من لا يرخص في كراء دور مكة وبيعها بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم﴾ [الحج: ٤٠] فقال: أضاف الديار إلى مالكها أو إلى غير مالكها وبقوله ﷺ يوم فتح مكة: «من أغلق بابه فهو آمن». وقال: اشترى عمر بن الخطاب دار السجن أترى أنه اشتراها من مالكها أو من غير مالكها. قرأ الجمهور «سواء» بالرفع، وقرأ حفص عن عاصم بالنصب. ووجه الرفع كونه خبرًا مقدمًا، والعاكف والبادىء مبتدأ مؤخرًا وإنما وحد الخبر وإن كان المبتدأ شيئين لأن «سواء» في الأصل مصدر وصف به. والجملة الاسمية في محل النصب على أنها مفعول ثانٍ «لجعلنا» بمعنى صيرنا وقوله تعالى: ﴿للناس﴾ متعلق بمحذوف على أنه حال من مفعول جعلنا أي جعلناه حال كونه معبدًا للناس سواء العاكف فيه.

قوله: (وإلا) أي وإن لم يكن «للناس» حالاً من العائد جعل مفعولاً ثانيًا «لجعلناه» ويكون جملة «سواء العاكف» حالاً منه أي من عائد الموصول. والوجه في انتصاب «سواء» كونه مفعولاً ثانيًا أو حالاً من هاء «جعلناه» و«للناس» هو المفعول الثاني. وعلى التقديرين فالعاكف مرفوع به على الفاعلية لأنه مصدر وصف به وهو في حكم اسم الفاعل المشتق تقديره: جعلناه مستويًا فيه العاكف. **قوله**: (مما ترك مفعوله) والتقدير: ومن يرد فيه مراد إما عادلاً عن القصد ظالمًا نذقه من عذاب أليم. وقوله: «وقرىء» بالفتح أي بفتح الياء أي

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ أي واذكر إذ عيناه وجعلناه له مباءة. وقيل: اللام زائدة ومكان ظرف أي وإذ أنزلناه فيه. وقيل: رفع البيت إلى السماء أو انطمس أيام الطوفان فأعلمه الله مكانه بريح أرسلها فكنست ما حوله فبناه على أسه القديم. ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ

من أتى فيه بإلحاد ظلمًا على أن الباء للتعدية. **قوله:** (واذكر إذ عيناه وجعلناه له مباءة) المباءة اسم مكان من باء بمعنى رجع. وأصل التبوء جعل المكان مباءة ومقرًا ومعناه ههنا جعله لإبراهيم عليه الصلاة والسلام مكان البيت مباءة أي مرجعًا يرجع إليه للعبادة والعمارة. وعن الزجاج رحمة الله عليه: «بوأنا» له ههنا أي بينا له ههنا مكان البيت ليبنيه ويكون مباءة له ولعقبه يرجعون إليه ويحجونه، لأنه رفع زمان الطوفان فبينه الله تعالى بأن أرسل ريحًا حجوجًا فكشفت الأساس القديم. إلا أنه لما كان المقصود من التبيين والتعيين أن يتخذه مقرًا ومباءة اتبعه المصنف رحمة الله تعالى عليه قوله: «وجعلناه له مباءة» ولما كان منقولاً من باء بمعنى رجع لقصد التعدية كان الظاهر أن يقال: وإذ بوأنا إبراهيم بدون اللام، وأشار المصنف رحمة الله عليه بقوله: «وجعلناه له مباءة» إلى أن مكان البيت مفعول به «لبوأنا» وأن إيراد اللام مبني على تضمين «بوأنا» معنى جعلنا. ولم يرض المصنف رحمة الله عليه بقول من قال: اللام زائدة في المفعول به «ومكان البيت» ظرف، لما تقرر من أن اللام إنما تزاد إذا تقدم المعمول وكان العامل فرعًا وشيء منهما غير متحقق ههنا، ولأن «مكان البيت» ظرف فحقه أن يتعدى الفعل إليه بكلمة «في». روي أن الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات: إحداها بناء الملائكة إياها قبل آدم وكانت من ياقوت حمراء ثم رفعت إلى السماء أيام الطوفان. والثانية بناء إبراهيم عليه الصلاة والسلام، روي أنه تعالى لما أمر إبراهيم ببناء البيت لم يدر أين يبني فأرسل الله تعالى إليه السكينة وهي ريح حجوج فتطوت موضع البيت كالجحفة فكشفت البيت أي ما حول البيت وأظهرت الأساس القديم فبناها عليه الصلاة والسلام على أُسها القديم. والمرة الثالثة بناء قريش في الجاهلية وقد حضر رسول الله ﷺ هذا البناء، وكان عليه الصلاة والسلام يومئذ رجلاً شابًا فلما أرادوا أن يرفعوا الحجر الأسود اختصموا فيه فأرادت كل قبيلة أن تتولى رفعه، ثم توافقوا على أن يحكم بينهم أول رجل يخرج من هذه السكة فكان رسول الله ﷺ أول من خرج فقضى بينهم أن يجعلوه في مرط ثم يرفعه جميع القبائل كلهم فرفعوه، ثم ارتقى عليه الصلاة والسلام فرفعوه إليه فوضعه في مكانه. وكانوا يدعونه الأمين قيل: بناء الكعبة قبل المبعث بخمس عشرة سنة. والمرة الرابعة بناء عبد الله بن الزبير. والخامسة بناء الحجاج وهو البناء الموجود اليوم.

ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ «أن» مفسرة «لبوأنا» من حيث إنه تضمن معنى تعبدنا، لأن التبوئة من أجل العبادة. أو مصدرية موصولة بالنهي أي فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي وتطهر بيتي من الأوثان والأقدار لمن يطوف به ويصلي فيه. ولعله عبّر عن الصلاة بأركانها للدلالة على أن كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت. وقرىء «يشرك» بالياء.

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ﴾ ناد فيهم وقرىء «آذن» ﴿بِٱلْحَجِّ﴾ بدعوة الحج والأمر به. روي أنه عليه السلام صعد أبا قبيس فقال: «يا أيها الناس حجوا بيت ربكم» فأسمعه الله

قوله: (من حيث إنه تضمن معنى تعبدنا) جواب عما يقال: كيف يكون النهي عن الشرك والأمر بتطهير البيت تفسيرًا لتبوئه وليس فيه معنى القول؟ وتقرير الجواب: أن فيه معنى القول من حيث إنه لا يقصد إلا من أجل العبادة فكأنه قيل: تعبدنا إبراهيم قلنا له: لا تشرك بي شيئًا. والتعبد فيه معنى القول لأن تعبد الشخص عبارة عن تصييره كالعبد له في التكليف بالأمر والنهي فكأنه قيل: كلفنا إبراهيم أن لا تشرك بي شيئًا الخ. **قوله:** (**أو مصدرية**) ولا يجوز أن تكون مخففة من الثقيلة لأن صلة المخففة لا تكون أمرًا ولا نهيًا ولا غيرهما مما فيه معنى الطلب إجماعًا، وكذا صلة المصدرية على الأشهر. وأجاز سيبويه رحمة الله عليه أن يكون صلة المصدرية ذلك نحو: أمرته أن اقرأ وأمرته أن قم أي بأن قم على معنى بالقيام. فالمصدرية التي تنصب المضارع توصل بالفعل الماضي والمضارع والأمر والنهي عنده. فكلمة «أن» في الآية الكريمة يجوز أن تكون مصدرية موصولة بالنهي مجرورة المحل بلام علة مقدرة متعلقة بمحذوف والمعنى: فعلنا ذلك لئلا تشرك كما كان قولك: أمرته أن قم بمعنى أمرته بأن يقوم، إلا أن الظاهر على هذا الوجه أن يقال: أن لا يشرك بياء الغيبة وقد قرىء به. ووجه قراءة العامة بالتاء أن يكون الكلام من قبيل الالتفات من الغيبة إلى الخطاب فظهر بما ذكرنا أنه يجوز أن تكون كلمة «أن» في الآية مصدرية ناصبة مع كون «لا تشرك» مجزومًا بـ «لا» الناهية وكان المعنى: بوأنا له مكان البيت وفعلنا ذلك لئلا يجعل لي شريكًا في العبادة.

قوله: (**ولعله عبر عن الصلاة بأركانها**) وهي القيام والقراءة والركوع والسجود. واختار أن القائمين هم المصلون لأن المصلي لا بد أن يكون في صلاته جامعًا بين القيام والركوع والسجود. وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: المراد بالقائمين المقيمون بالبيت فيكون المراد بالطائفين من يطوف به وهو آفاقي غير مقيم هناك. **قوله:** (**وقرىء آذن**) أي بالمد وتخفيف الذال بمعنى اعلم ويبعده قوله: «في الناس» إذ كان ينبغي حينئذ أن يقال: آذن الناس بدون «في» لأنه يتعدى بنفسه. وذهب أكثر المفسرين إلى أن المأمور بالنداء هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقالوا: إنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بناء البيت قال له

من في أصلاب الرجال وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه أن يحج. وقيل: الخطاب لرسول الله ﷺ أمر بذلك في حجة الوداع. ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ مشاة جمع راجل كقائم وقيام. وقرىء بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى. ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي وركبانًا على كل بعير مهزول أتعبه بعد السفر فهزله. ﴿يَأْتِينَ﴾ صفة «لضامر» محمولة على معناه أو استئناف فيكون الضمير «للناس» وقرىء «يأتون» صفة للرجال والركبان. ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ﴾ طريق ﴿عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ بعيد. وقرىء «معيق» يقال: بئر بعيد العمق والمعق بمعنى. ﴿لِّيَشْهَدُوا﴾ ليحضروا ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ دينية ودنيوية وتنكيرها لأن المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة،

الله تعالى: ﴿أذن في الناس بالحج﴾ قال يا رب: وما يبلغ صوتي؟ قال الله تعالى: عليك الأذان وعليّ البلاغ. فصعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام على الصفا، وفي رواية على جبل أبي قبيس، وفي أخرى على المقام فارتفع حتى صار كطول الجبال فأدخل أصبعه في أذنيه وأقبل بوجهه يمينًا وشمالاً وشرقًا وغربًا، وقال: يا أيها الناس ألا إن ربكم قد بنى لكم بيتًا وكتب عليكم الحج إليه فأجيبوا ربكم وحجوا بيته الحرام، ليثيبكم به الجنة ويجيركم من النار. فسمعه أهل ما بين السماء والأرض فما بقي شيء سمع صوته إلا أقبل يلبي ويقول: لبيك اللهم لبيك. فقيل: أول من أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجًا. وقال مجاهد رضي الله تعالى عنه: من أجاب مرة حج مرة ومن أجاب مرتين حج مرتين أو أكثر على وفق ذلك المقدار. **قوله تعالى:** (رجالاً) نصب على الحال و«على كل ضامر» عطف عليها، كأنه قيل: رجالاً وركبانًا. والضمر الهزال يقال: ضمر يضمر ضمورًا. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعين حسنة وللحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم». قيل: وما حسنات الحرم؟ قال ﷺ: «الحسنة بمائة ألف حسنة». قال مجاهد رضي الله عنه: حج إبراهيم وإسماعيل ماشيين وكانا إذا قربا من الحرم خلعا نعالهما. والكاف في «يأتوك» ضمير إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإن من أتى إلى الكعبة حاجًا فإنه قد أتى إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأنه يجيب نداءه. ونون «يأتين» ضمير «كل ضامر» لأنه في معنى الجمع إذ المعنى على ضوامر من جماعة الإبل. **قوله:** (أو استئناف) عطف على قوله: «صفة لضامر» لما قال أولاً: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً﴾ استأنف فقال: ﴿يأتين من كل فج عميق﴾ وقوله تعالى: ﴿ليشهدوا﴾ يجوز أن يتعلق بقوله: ﴿وأذن﴾ وأن يتعلق بقوله. ﴿يأتوك رجالاً﴾ واختلفوا في المنافع فحملها بعضهم على منافع الدنيا وهو أن يتجروا في أيام الحج، وحملها بعضهم على منافع الآخرة وهو العفو والمغفرة وبعضهم حملها على الأمرين جميعًا وهو

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ عند إعداد الهدايا والضحايا وذبحها. وقيل: كنى بالذكر عن النحر لأن ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيهًا على أنه المقصود مما يتقرب به إلى الله. ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ هي عشر ذي الحجة. وقيل: أيام النحر ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضًا على التقرب وتنبيهًا على مقتضى الذكر. ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ من لحومها أمر بذلك إباحة وإزاحة لما عليه أهل الجاهلية من التحرج فيه، أو ندبًا إلى مواساة الفقراء ومساواتهم. وهذا في المتطوع به دون الواجب. ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ﴾ الذي أصابه بؤس أي شدة ﴿الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ المحتاج. والأمر فيه للوجوب وقد قيل به في الأول.

الأولى. **قوله:** (وقيل كنى بالذكر عن النحر) لكون الذكر من لوازم نحر المسلمين وهو معطوف على ما قبله من حيث المعنى، فإنه اختار أن قوله ويذكروا اسم الله لم يذكر لينتقل منه إلى اللزوم، وإنما ذكر ليدل على إيجاب الذكر عند إعداد الهدايا والضحايا وحمل الذكر على التسمية على الذبائح مع أن غير ذي الحجة يكثر فيها ذكر الله تعالى بالتلبية والتكبير لأنه ذكر بعده ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ والذكر على الأنعام هو التسمية على تخريرها. قال الحسن رضي الله تعالى عنه وقتادة ومجاهد: الأيام المعلومات هي أيام العشر من ذي الحجة قيل لها معلومات للحض على علمها بحسابها لكون الحج في آخرها، والأيام المعدودات هي أيام التشريق وهو اختيار الإمام الشافعي رضي الله عنه وأبي حنيفة. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في رواية عنه: أن الأيام المعلومات هي أيام الحج وهي يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق. وقيل: هي أيام النحر وهو قول أبي يوسف ومحمد رضي الله عنهما تصريحًا بما ذكره بعده وهو قوله تعالى: ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ والذكر على الأنعام يدل على التسمية على الذبائح. والجواب عن هذا لمن قال بالأول أن اليوم العاشر منها من أيام النحر وهو أفضلها، وكلمة «في» لمطلق الظرفية فلا تقتضي الاستغراق. والبهيمة اسم لكل ذات أربع في البر والبحر فبهيمة الأنعام هي الإبل والبقر والضأن والمعز لأن الهدي والذبيحة لا يكونان من غيرها. **قوله:** (وإزاحة لما عليه أهل الجاهلية) فإنهم ما كانوا يأكلون من ذبائحهم ترفعًا على الفقراء، فأعلم الله تعالى أن ذلك جائز إن شاء أكل وإن شاء لم يأكل. وقيل: أمر ندب لما فيه من مخالفة الكفار ومواساة الفقراء واستعمال التواضع. والبائس هو الذي أصابه بؤس أي شدة والفقير الذي أضعفه الإعسار وهو مأخوذ من فقار الظهر. وقيل: البائس الشديد الفقر والفقير المحتاج الذي ليس له غنى. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: البائس الذي ظهر بأسه في ثيابه وفي وجهه، والفقير الذي لا يكون كذلك بل تكون ثيابه نقية ووجهه وجه غني. واتفق العلماء على أن الهدي إن كان

﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾ ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والأظفار ونتف الإبط والاستحداد عند الإحلال ﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ﴾ ما ينذرون من البر في حجهم. وقيل: مواجب الحج. وقرأ أبو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء. ﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ﴾ طواف الركن الذي به تمام التحلل فإنه قرينة قضاء التفث. وقيل: طواف الوداع ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩)﴾ القديم لأنه أول بيت وضع للناس أو المعتق من تسلط الجبابرة، فكم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله. وأما الحجاج فإنما قصد إخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه.

تطوعًا كان للمهدي أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع لما روي أنه عليه الصلاة والسلام ساق في حجة الوداع مائة بدنة فنحر منها ثلاثًا وستين بدنة بنفسه ونحر علي رضي الله عنه ما بقي. ثم أمر رسول الله ﷺ أن يؤخذ بضعة من كل بدنة فتجعل في قدر ففعل ذلك وطبخت فأكل من لحمها وحسا مرقها وكان هدي تطوع. واختلفوا في الهدي الواجب مثل دم التمتع والقرآن والنذور والكفارات والدماء الواقعة جبرًا للنقصان، والذي وجب بإفساد الحج وفواته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدي أن يأكل شيئًا منها؟ فذهب قوم إلى أنه لا يجوز للمهدي أن يأكل شيئًا منها ومنهم الإمام الشافعي رحمة الله عليه، وذهب الأئمة الحنفية إلى أن يأكل من دم التمتع والقران لكونهما دم الشكر لآدم الجناية ولا يأكل من واجب سواهما.

قوله: (ثم ليزيلوا وسخهم) يريد أن التفث هو الوسخ يقال للرجل: ما أتفثك وما أدرنك أي ما أوسخك، وأن قضاءه إزالته وإذهابه فإن الحاج أشعث أغبر، وكل ما يستقذر من الشعث من طول الشعر والظفر ونحوهما تفث فيزيل جميع ذلك عند مبدأ الإحلال والخروج من الإحرام، فيحلق رأسه ويقص شاربه ويقلم أظفاره وينتف إبطه ويحلق عانته ويدهن رأسه. والمراد بنذورهم ما نذروه من أعمال البر في الحج فإنه إذا حج أو اعتمر فقد أوجب على نفسه من الهدي وغيره ما لولا إيجابه لم يكن الحج يقتضيه. وقيل: المراد بها ما أوجبه الدخول في الإحرام من أنواع المناسك التي تجب بالدخول في الحج. وسميت نذورًا تشبيهًا للإيجاب بطريق الفعل بالإيجاب قولاً وإن كان على الرجل نذور مطلقة فالأفضل أن يتصدق بها على أهل مكة. **قوله**: (طواف الركن) اعلم أن طواف الحج ثلاثة: الأول طواف القدوم وهو أن من قدم مكة يطوف بالبيت سبعًا يرمل ثلاثًا من الحجر الأسود إلى أن ينتهي إليه ويمشي أربعًا، وهذا الطواف سنة لا شيء على تاركه. والثاني طواف الإفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق ويسمى أيضًا طواف الزيارة، وهو ركن لا يحصل التحلل من الإحرام ما لم يأت به. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: حاضت حفصة يوم النفر فقالت: ما أراني إلا حابستكم. فأخبر ﷺ بذلك فقال: «أطافت يوم النحر». قيل: نعم. فقال: «فانفروا» فثبت بهذا أنها إن لم تطف يوم النحر طواف الإفاضة فلا يجوز لها أن تنفر. والطواف الثالث

﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر محذوف أي الأمر ذلك. وهو وأمثاله يطلق للفصل بين كلامين ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أحكامه وسائر ما لا يحل هتكه، أو الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف. وقيل: الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم. ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ فالتعظيم خير له ﴿عِندَ رَبِّهِۦ﴾ ثوابًا ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ إلا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة، وما أهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة. ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان كما تجتنب الأنجاس. وهو غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها. ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾

لا رخصة لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر في أن يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعًا، فمن تركه فعليه دم إلا المرأة الحائضة فإنه يجوز لها ترك طواف الوداع. ثم إن الرمل يختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الإفاضة والوداع. **قوله: (أي الأمر ذلك)** أي الذي ذكر من قوله تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ فإن هذه الآيات مشتملة على الأحكام المأمور بها والمنهي عنها. **قوله: (أحكامه)** أي أحكام الله تعالى المتعلقة بأفعال المكلفين بالإيجاب والتحريم ونحوهما وسائر ما لا يحل هتكه من نحو: البيت الحرام والمسجد الحرام ونفس الحرم والإحرام. والهتك خرق الستر عما وراءه. والحرمة بهذا المعنى تعم جميع ما لا يحل هتكه وقد تخص بالحرم وجميع التكاليف المتعلقة بالحج، وقد تخص بالمحرمات الخمس التي من جملتها المحرم حتى يحل، والحرمة بهذا المعنى وإن كانت أخص من الحرمة بالمعنى الأول إلا أنها أعم من الحرمة بالمعنى الثالث وهو ما ليس من قبيل التكاليف المذكورة. **قوله: (عند ربه)** يدل على الثواب المؤخر لأنه لا يقال عند ربه فيما حصل من الخيرات. **قوله: (إلا المتلو عليكم تحريمه)** إشارة إلى أن «ما» موصولة وأن ما يسند إليه «يتلى» محذوف وأن الاستثناء متصل لكون المستثنى منه عبارة عما حرم من الأنعام ولا شك في دخوله في المستثنى منه قبل الاستثناء. قال الله تعالى في سورة المائدة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ [المائدة: ٣] وقال تعالى في أولها: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: ١] ولما جاز أن يذهب الوهم إلى أن الإحرام إذا حرم الصيد المباح قتله فإنه يحرم الأنعام أيضًا، بيّن الله تعالى أن الإحرام لا يحرم الأنعام فهي محللة للمحرم كما تحل لغيره، ثم استثنى منه ما حرم لعارض وفرع الأمر باجتناب الأوثان. وقول الزور على قوله تعالى: ﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ مع كون الاجتناب عنهما

تعميم بعد تخصيص، فإن عبادة الأوثان رأس الزور. كأنه لما حث على تعظيم الحرمات أتبعه ذلك ردًا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الأوثان والافتراء على الله بأنه حكم بذلك. وقيل: شهادة الزور لما روي أنه عليه السلام قال: «عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ثلاثًا» وتلا هذه الآية. والزور من الزور وهو الانحراف كما أن الإفك من الإفك وهو الصرف فإن الكذب منحرف مصروف عن الواقع.

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ مخلصين له ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ وهما حالان من الواو ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لأنه سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر. ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ فإن الأهواء المردية توزع أفكاره. وقرأ نافع بفتح الخاء وتشديد الطاء. ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ بعيد فإن الشيطان قد طرح به في الضلالة وأو للتخيير كما في قوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ [البقرة: ١٩] أو للتنويع فإن من المشركين من لا خلاص له أصلاً. ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد. ويجوز أن يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى: ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه

داخلاً في تعظيم حرماته للتنبيه على أن التوحيد وصدق القول من أعظم الحرمات. وجمع الشرك وقول الزور في سلك واحد لأن الشرك من باب الزور بل هو رأس الزور، فإن المشرك يزعم أن الوثن يحق له العبادة وكان أهل الجاهلية يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكًا لك تملكه ومالكه. فكأنه قيل: فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله ولا تقربوا شيئًا منه، فما ظنك بشيء من قبيل عبادة الأوثان؟ وأشار المصنف رحمة الله تعالى عليه إلى وجه ارتباط قوله تعالى: ﴿وأحلت لكم الأنعام﴾ وقوله: ﴿فاجتنبوا﴾ إلى قول: ﴿الزور﴾ بقوله: «كأنه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه قوله: ﴿وأحلت لكم الأنعام﴾ ردًا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب». واتبعه بقوله أيضًا: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ واتبعه بقوله تعالى: ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ ردًا لافترائهم على الله تعالى بأنه حكم بذلك.

قوله: (وقيل شهادة الزور) عطف على قوله: «تعميم بعد تخصيص» فإنه يدل على أن المراد بالقول الزور ما يعم كل قول منحرف مصروف عن الواقع سواء كان من قبيل الشهادة أو لا. روي أنه ﷺ صلى الصبح، فلما سلم قام قائمًا واستقبل بوجهه الكريم وقال: «الزور الإشراك بالله» ثلاث مرات وتلا ﷺ هذه الآية. **قوله:** (طوح به) أي جعله تائهًا يرمي به ههنا وههنا. الجوهري: طوحه أي توهه وذهب به ههنا وههنا، وتطوح في البلاد أي رمى بنفسه ههنا وههنا. **قوله:** (ويجوز أن يكون من التشبيهات) عطف على ما قبله من حيث المعنى فإن معنى ما ذكره أولاً يدل على أنه من قبيل التشبيه المفرق حيث أشار إلى أن كل واحد من

هلاكًا يشبه أحد الهلاكين. ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ دين الله أو فرائض الحج ومواضع نسكه أو الهدايا لأنها من معالم الحج وهو أوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها أن يختار حسانًا سمانًا غالية الأثمان. روي أنه عليه الصلاة والسلام أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب، وأن عمر رضي الله عنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار. ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى

طرفي المشبه والمشبه به أمور متعددة، شبّه كل واحد مما في طرف المشبه بكل واحد مما في طرفي المشبه به. فالذي في طرف المشبه هو الإيمان والشرك والأهواء والشيطان، والذي في طرف المشبه به السماء والساقط من السماء والطير المختطفة والريح. شبّه الإيمان في علوه بالسماء وشبه المشرك المتمكن من الإيمان والقادر عليه بفطرته الأصلية بالذي صعد إلى السماء وسقط منها. وشبّه الأهواء التي فوق أفكاره بالطير المختطفة. وشبّه الشيطان الذي توهه في أودية الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة. ثم جوّز أن يكون من التشبيهات المركبة ومعنى كون التشبيه مركبًا أن يقصد إلى عدة أشياء مختلفة فينتزع منها هيئة منتزعة ويجعلها مشبهًا أو مشبهًا به. ولهذا صرح صاحب المفتاح في تشبيه المركب بالمركب بأن كلاً من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة فما في الآية إن كان من قبيل التشبيه المركب بأن جعل المشبه المشرك بالله تعالى والمشبه به من خر من السماء فعند ذلك اختطفته الطير وعصفت به الريح في مكان سحيق، فكلا طرفي التشبيه مركب. أما المشبه به فظاهر وأما المشبه فلأن المشرك من ترك الإيمان بالله تعالى وأشرك به، فإن قلت: ينبغي أن تكون السماء والطير والريح استعارة للاكتفاء فيها بذكر المشبه به، قلت: قد دخلت أداة التشبيه في مجموع قوله: ﴿خر من السماء﴾ والاستعارة إنما تكون إذا كان الكلام خاليًا عن أداة التشبيه. قوله تعالى: (ذلك ومن يعظم شعائر الله) أي الأمر والشأن ما ذكر من أن تعظيم حرمات الله تعالى خير وأن الاجتناب عما ذكر من الإشراك وقول الزور أمر حتم لا محيص عنه. وإعراب ذلك هنا كإعراب ذلك المتقدم. والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة من الإشعار وهو الإعلام والشعور العلم. واختلف في شعائر الله، قال بعضهم: يدخل فيه كل عبادة يتقرب بها إلى الله تعالى كصيام ودعاء وذبيحة وطواف ورمي لأن كل ذلك من إعلام دينه تعالى. ويؤيد هذا القول قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] بـ «من» التبعيضية. وقيل: المراد به العبادة المتعلقة بالحج ومواضع نسكه فإن كل ذلك إعلام الحج. وقيل: المراد به الهدي خاصة، وتسمى البدن شعيرة من حيث إنها تشعر بأن تطعن في سنامها من الجانب الأيمن والأيسر حتى يسيل الدم فيعلم أنها هدي فلا يتعرض لها أحد فهي من جملة معالم الحج بل من أظهرها وأشهرها علامة. وهذا القول أوفق لظاهر قوله

القلوب، فحذفت هذه المضافات والعائد إلى من وذكر القلوب لأنها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما.

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ أي

تعالى: ﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق﴾ **فإن ظاهره يدل على أن للمهدي أن ينتفع بهديه إلى وقت النحر بأن يركبها إذا احتاج إليها ويشربُ لبنها ويأخذ وبرها، وإن أمكن أن يكون المعنى: لكم فيها منافع إلى أجل ينقطع التكليف عنده. والبرة الحلقة التي تكون في أنف البعير، والنجيبة الناقة الكريمة. روي أن عمر رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ أن يبيع تلك النجيبة ويشتري بثمنها بدنة فنهاه عن ذلك فقال: «بل اهدها». وكان ابن عمر يسوق البدنة مجللة بالقباطي أي بالثياب القبطية وهي ثياب بيض رقاق من كتان تجلب من مصر فيتصدق بجلالها. والقبط أهل مصر.**

قوله: (فحذفت هذه المضافات والعائد إلى من) هذه العبارة تقتضي أن يكون التقدير فإن تعظيمها منه من أفعال ذوي تقوى القلوب بزيادة كلمة «منه» ولم أجد تلك فيما عندي من النسخ، ولعلها سقطت من الناسخين إذ لا بد منها بناء على أن الجملة الجزائية لا بد من اشتمالها على ما يربطها باسم الشرط. وقيل: عموم ذوي تقوى القلوب يغني غناء الضمير فهو المراد بقوله: «والعائد إلى من». غاية ما في الباب أنه تعرض لحذفه بهذه العبارة مع دخوله في جملة المضافات المحذوفة للتنبيه على أنه احتاج إلى تقديره لفائدتين: إحداهما فائدة الربط والأخرى فائدة تعيين أصحاب الأفعال، فإن المقام يقتضي تقدير كل واحد من المضافات المقدرة مع قطع النظر عن فائدة الربط أما الحاجة إلى تقدير التعظيم المضاف إلى ضمير الشعائر فلأن المقصود من إيجاد الجملة الشرطية الحث على تعظيم الشعائر والتحريض عليه. وأما الحاجة إلى تقدير المضافين الأخيرين فلأن المعنى أن تعظيمها بعض أفعال ذوي التقوى، فإن التقوى في عرف الشرع عبارة عن التوقي عن كل ما يؤثم من ارتكاب المحرمات وترك الواجبات ومن لم يتوق عن شيء منها لا يكون متقيًا عرفًا ضرورة أن الكل ينتفي بانتفاء الجزء أي جزء كان. وليس المعنى أن تعظيمها صادر وناشىء من تقوى القلوب حتى يرد ما يقال: وما ذكر من تقدير المضافات إنما يحتاج إليه على تقدير أن تحمل كلمة «من» على التبعيض فإنها إن جعلت للابتداء لم يحتج إلى تقدير الألفاظ المذكورة، إذ المعنى فإن تعظيمها ناشىء من تقوى القلوب أي من تقوى قلوبهم على أن اللام بدل من المضاف إليه على ما ذهب إليه الكوفيون، فلما كان الألف واللام بدلاً من الضمير حصل الربط وتم المعنى. **قوله:** (لكم فيها) أي في الشعائر التي هي الهدايا المشعرة لتعرف أنها هدي منافع دنيوية إلى أن تنحر. عند الإمام الشافعي رحمة الله تعالى عليه فإنه جوّز للمهدي أن ينتفع

لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها إلى أن تنحر ثم وقت نحرها منتهية إلى البيت أي ما يليه من الحرم. و«ثم» يحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة أي لكم فيها منافع دنيوية إلى وقت النحر وبعده منافع دينية أعظم منها وهو على الأولين، إما متصل بحديث الأنعام والضمير فيه لها أو المراد على الأول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها إلى أجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية إلى البيت العتيق الذي ترفع إليه الأعمال، أو يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور أو الجنة. وعلى الثاني لكم فيها منافع التجارات في الأسواق إلى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية إلى الكعبة بالإحلال بطواف الزيارة. ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ ولكل أهل دين. ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ متعبدًا أو قربانًا يتقربون به إلى الله. وقرأ حمزة والكسائي بالكسر أي موضع نسك. ﴿لِيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علل الجعل به، تنبيهًا على أن المقصود

بلبن الهدي وصوفه ووبره وركوب ظهره إلى أن ينحره. وذهب أكثر المفسرين إلى أن المهدي إنما يجوز له ذلك قبل أن يسميها هديًا ويقلدها فإذا سماها هدياً انقطعت المنافع بعد ذلك وهو قوله تعالى: ﴿إلى أجل مسمى﴾ فإن المهدي لو ملك منافع الهدي لجوز له أن يؤجرها للركوب وليس له ذلك اتفاقًا. وفيه أن مولى أم الولد يملك الانتفاع بها وليس له أن يبيعها فلم لا يجوز أن يكون الهدي كذلك لا يملك المهدي بيعه وإجارته ويملك أن ينتفع به؟ **قوله: (ثم وقت نحرها منتهية إلى البيت)** إشارة إلى أن المحل اسم زمان بتقدير المضاف بمعنى وقت نحرها أي وقت حلول نحرها ووجوبه، لأن المحل مشتق من حل الدين إذا وجب ومحلها معطوف على قوله: ﴿منافع﴾ وإلى أن قوله تعالى: ﴿إلى البيت﴾ حال من ضمير فيها والعامل في الحال الاستقرار الذي تعلق به كلمة «في» والمعنى: ثم بعد تلك المنافع هذه المنفعة العظمى وهي وقت نحرها حال كونها منتهية إلى البيت العتيق أي إلى الحرم الذي في حكم البيت. فإن المراد به الحرم كله كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨] إذ الحرم في حكم البيت كله فإن البيت وما حوله من مكة تنزه عن إراقة دم الهدايا وجعل منى منحرًا. ولا شك أن الفائدة التي هي أعظم المنافع الدينية في الشعائر هي نحرها خالصًا لله تعالى وجعل وقت وجوب نحرها فائدة عظيمة مبالغة في ذلك فإن وقت الفعل إذا كان فائدته جليلة فما ظنك بنفس الفعل؟ **قوله: (وهو على الأولين)** أي قوله تعالى: ﴿لكم فيها منافع﴾ الآية على أن يكون المراد بشعائر الله جميع ما يتقرب به إلى الله تعالى من معالم الدين، وعلى أن يراد به فرائض الحج ومواضع النسك المعلمة بعلامات يستدل بها على الأعمال الواقعة فيها. **قوله: (متعبدًا أو قربانًا)** مصدران بمعنى التعبد والتقرب أي جعلنا لكل أمر أمة نوعًا أي ضربًا من التعبد والتقرب،

من المناسك تذكر المعبود. ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ عند ذبحها. وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون نعما ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ اخلصوا التقرب أو الذكر ولا تشوبوه بالإشراك. ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ المتواضعين أو المخلصين فإن الإخبات صفتهم. ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ هيبة منه لإشراق أشعة جلاله عليها. ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ من المكلف والمصائب ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ في أوقاتها. وقرىء «المقيمين الصلاة» على الأصل. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ في وجوه الخير.

والمراد به إراقة الدماء لوجه الله تعالى. والمعنى: شرعنا لكل أمة مؤمنة أن ينسكوا لله تعالى يقال: نسك ينسك نسكًا ونسوكًا ومنسكة ومنسكًا بفتح السين، إذا ذبح القربان. وقرىء بكسر السين وهما لغتان في المصدر والفتح أكثر فيه. ويجوز أن يكون بالكسر موضع النسك أو وقته. **قوله:** (أو فيه تنبيه) أي وفي تبيين البهيمة بإضافتها إلى الأنعام تنبيه على أن البهائم التي ليست من الأنعام كالخيل والبغال والحمير لا يجوز ذبحها في القرابين. **قوله:** (فإن الإخبات صفتهم) علة لتفسير المخبتين بأحد التفسيرين، يعني أن الخبت هو الموضع المطمئن من الأرض وحقيقة المخبت من صار في خبت من الأرض تقول: أخبت الرجل إذا صار في الخبت. ولما كان الإخبات من لوازم التواضع والإخلاص صح أن يجعل كناية عنهما. **قوله:** (وقرىء المقيمين الصلاة) بإثبات النون ونصب الصلاة على الأصل، فإن الأصل في جمع أسماء الفاعلين ثبوت النون ونصب مفعولها وسقوط النون حال إضافتها إلى مفعولها لإيثار الخفة. إلا أن قراءة العامة إسقاط نون «المقيمين» بإضافتها إليها. وقرىء بحذف النون ونصب الصلاة بجعل النون مقدرة، وكون حذفها لمجرد التخفيف ودفع الثقل الحاصل بسبب طول الصلة وجر لفظ «الصلاة» مع الموصول لا لموجب من إضافة ونحوها. كما حذفها الشاعر في قوله:

الحافظو عذرة العشير فلا ... يأتينهم من ورائهم نطف

أي تلطيخ عيب. والعامة على نصب «البدن» على الاشتغال ورجح النصب لتقدم جملة فعلية على جملة الاشتغال وتسكين الدال. وقرىء بضمها أيضًا. واختار المصنف رحمة الله تعالى عليه أن الضم هو الأصل وأن التسكين تخفيف من المضموم. ويحتمل أن يكون السكون أيضًا أصلاً على أن يكون البدن جمع بادن كباذل. والبدنة اسم يقع على الإبل والبقر عند أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم لاشتمالها على البدانة. وقيل: البدنة في اللغة اسم للإبل خاصة وإنما صارت في الشريعة متناولة للإبل والبقر لأنه عليه الصلاة والسلام ألحق البقر بالإبل في الأجزاء عن سبعة. فلما أخذت البقر حكم الإبل

﴿وَٱلْبُدْنَ﴾ جمع بدنة كخشب وخشبة. وأصله الضم. وقد قرىء به وإنما سميت بها الإبل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقرة لها في أجزائها عن سبعة بقوله عليه الصلاة والسلام: «البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة» تناول اسم البدنة لها شرعًا بل الحديث يمنع ذلك، وانتصابه بفعل يفسره. ﴿جَعَلْنَٰهَا لَكُم﴾ ومن رفع جعله مبتدأ ﴿مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ من أعلام دينه التي شرعها الله ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ منافع دينية ودنيوية. ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ بأن تقولوا عند ذبحها الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك. ﴿صَوَآفَّ﴾ قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن. وقرىء «صوافن» من صفن الفرس إذا قام على ثلاث وطرف سنبك الرابعة، لأن البدنة تعقل إحدى يديها وتقوم على ثلاث. و«صوافيا» بإبدال التنوين من حرف الإطلاق عند الوقف، و«صوافي» أي خوالص لوجه الله، و«صواف» على لغة من يسكن الياء مطلقًا

أطلق اسم البدنة عليها في الشريعة لا لكون اللفظ حقيقة لغوية في كل واحد من الجنسين. والمصنف رحمه الله تعالى جعل قوله عليه الصلاة والسلام: «البدنة عن سبعة» دليلاً على أن اسم البدنة مختص بالإبل، ويدل عليه الآية أيضًا وقوله تعالى: ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ **فإن هذا الوصف مختص بالإبل لأن البقر يضجع ويذبح كالغنم والتي تنحر قائمة هي الإبل.**

قوله: (ومن رفع) **أي وقرىء «البدن» مرفوعًا على الابتداء فتكون الجملة التي بعدها في محل الرفع على الخبرية. وقوله تعالى:** ﴿من شعائر الله﴾ **في محل النصب على أنه مفعول ثانٍ للجعل بمعنى التصيير، وأضيف الشعائر إلى اسم الله تعالى تعظيمًا لها كبيت الله وقوله تعالى:** ﴿لكم فيها خير﴾ **حال من مفعول «جعلناها». قوله:** (اللهم منك وإليك) **أي عطاء منك وتقرب بها إليك وقوله تعالى:** ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ **قيل: فيه حذف أي اذكروا اسم الله على نحرها وذبحها. قوله:** (قائمات) **يعني أن قوله:** ﴿صواف﴾ **كناية عن كونها قائمات لأن قيام الإبل يستلزم أن تصف أيديها وأرجلها. قوله:** (وقرىء صوافن) **الصوافن إنما يستعمل في الخيل لقوله تعالى:** ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ [صٓ: ٣١] **فيكون استعمالها في الإبل استعارة. قوله:** (وصوافيا) **بالتنوين أصله «صوافيا» بالألف، فلما وقفت عليه قلت صوافيا وقد تحذف تلك الألف ويعوض عنها التنوين كما في قوله:**

أقل اللوم عاذل والعتابن

أصله والعتابا وهذا التنوين يسمى تنوين الترنم. و«صواف» بالكسر والتنوين أصله صوافي فأسكنت الياء على لغة من يسكن الياء مطلقًا، ثم حذفت اكتفاء بالكسرة مع ثقل

كقولهم: أعط القوس باريها. ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ سقطت على الأرض وهو كناية عن الموت. ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ﴾ الراضي بما عنده وبما يعطي من غير مسألة. ويؤيده أنه قرئ القنع أو السائل من قنعت إليه قنوعًا إذا خضعت له في السؤال. ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ المعترض بالسؤال. وقرئ والمعتري يقال: عره وعراه واعتره واعتراه. ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ما وصفنا من نحرها قيامًا ﴿سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾ مع عظمها وقوتها حتى تأخذونها منقادة فتعلقونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ إنعامنا عليكم بالتقرب والإخلاص ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ﴾ لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول ﴿لُحُومُهَا﴾ أي المتصدق بها ﴿وَلَا دِمَاؤُهَا﴾ المهراقة بالنحر من حيث إنها لحوم ودماء. ﴿وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾ ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم إلى تعظيم أمر الله والتقرب إليه والإخلاص له. وقيل: كان أهل الجاهلية إذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة إلى الله فهم به المسلمون.

الجمع ثم عوض التنوين عنها كما في جوار رفعًا وجرًا. **قوله:** (سقطت على الأرض) يقال: وجب الحائط يجب وجبة إذا سقط. والمعنى: إذا ماتت حل لكم الأكل منها والإطعام. وقد مر أن هذه التوسعة تختص بهدي التطوع والشكر دون الجناية والكفارة. والقانع الذي يقنع بما تيسر ويجلس في بيته ولا يسأل من القناعة. والمعتر الذي يعتريك ويسألك. وقيل: كلاهما الذي لا يسأل، والقانع الذي يرضى بما عنده من الشيء اليسير ولا يسأل، والمعتر الذي يتعرض لك أو يأتيك بالسلام ويريك وجهه ولا يسألك. **قوله:** (أو السائل) عطف على قوله: «الراضي بما عنده». وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: القانع السائل الذي يسأل. ومصدره قنوع من باب فتح قال الشاعر:

العبد حر إن قنع ... والحر عبد إن قنع
فاقنع ولا تقنع فما ... شيء يشين سوى الطمع

قوله: (قرئ القنع) أي بغير الألف. قال صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه: القنع هو الراضي لا غير يعني أن القنع هو الراضي بما عنده من القناعة لا من القنوع، بخلاف القانع فإنه مشترك بين المعنيين. والكاف في قوله تعالى: ﴿كذلك﴾ صفة مصدر محذوف أي سخرناها لكم مع عظمها وقدرتها وقوتها تسخيرًا مثل ما وصفنا من حالها وقت النحر من كونها صواف أو صوافنا بمعنى منّ الله تعالى على عباده بذلك التسخير وطلب الشكر منهم عليه حيث قال: ﴿لعلكم تشكرون﴾ ثم لما بيّن الله تعالى أن البدن المشعرة والمقلدة من جملة شعائر الدين وأمر بذكر اسم الله تعالى على نحرها صواف وبالأكل منها وإطعامها، بيّن

فنزلت. ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ كرره تذكيرًا للنعمة وتعليلاً له بقوله: ﴿لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحده بالكبرياء. وقيل: هو التكبير عند الإحلال أو الذبح. ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ أرشدكم إلى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها. و«ما» يحتمل المصدرية والخبرية و«على» متعلقة «بتكبروا» لتضمنه معنى الشكر. ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ المخلصين فيما يأتونه ويذرونه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ غائلة المشركين. وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون «يدافع» أي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ في أمانة الله. ﴿كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ لنعمته كمن يتقرب إلى الأصنام بذبيحته فلا يرتضي فعلهم ولا ينصرهم.

أن المعتبر في نحرها ليس مجرد إراقة دمائها وإطعام لحومها بل المعتبر ما يصحب ذلك من التقوى التي تدعو إلى تعظيم الله تعالى والتقرب إليه والإخلاص له فقد قال تعالى: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها﴾ الآية وهذا وجه انتظام الآية بما قبلها. وقيل في وجه انتظامها: كان أهل الجاهلية الخ. **قوله:** (وقيل هو التكبير الخ) وقيل: المراد بالتكبير ههنا الشكر على ما أنعم الله تعالى عليهم من الهداية لدينه ومعالم حجه ونسكه. والمعنى: لتشكروا لله بأن تكبروا وتهللوا عند الإحلال أو الذبح، فاختصر الكلام بأن ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديه بـ «على» وختم الله تعالى أفعال الحج بقوله: ﴿وبشر المحسنين﴾ وهم الذين يعبدون الله تعالى كأنهم يرونه ويبتغون بذلك فضله ورضوانه لا يحملهم على ما يأتونه ويذرونه إلا هذا الابتغاء، وأمارة ذلك أن لا يستثقل ولا يتبرم بشيء مما فعله أو تركه. والمقصود منه الحث والتحريض على استصحاب معنى الإحسان في جميع أفعال الحج ونحوه.

قوله تعالى: (إن الله يدفع عن الذين آمنوا) متصل بقوله: ﴿إن الذين كفروا﴾ و﴿يصدون عن سبيل الله﴾ و﴿المسجد الحرام﴾ لمّا أوعد الكفرة الذين يصدون عن الجهاد والهجرة والمسجد الحرام وفرع عليه بيان أعمال الحج ومناسكه وما فيه من منافع الدنيا والآخرة، انتقل أيضًا إلى ذكر حال المؤمنين مع الكفرة الذين يصدونهم عن طاعة الله تعالى فقال: وبشر المؤمنين بإعلائهم على الكفرة وأخبر أنه يدفع عنهم غائلة المشركين، وعلّل ذلك بأن الكفار خوانون في أمانة الله تعالى حيث أهلكوا أنفسهم بأنهم كفروا بالله ورسوله فأي خيانة الله أعظم منه فإن ذكر غير اسم الله تعالى والتقرب إلى الأصنام بذبيحة لا يكون إلا كفرًا للنعمة فكيف ينصرهم أو يتركهم على ما كانوا عليه من أذى المؤمنين؟ ومن قرأ «إن الله يدافع» و«لولا دفاع الله الناس» اختار صيغة المفاعلة للدلالة على المبالغة في الدفع كما يبالغ من يغالب فيه، لأن فعل المغالب يكون أقوى وأبلغ. وقوله تعالى: ﴿أذن للذين﴾

﴿أُذِنَ﴾ رخص. وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل وهو الله. ﴿لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ المشركين والمأذون فيه وهو القتال محذوف لدلالته عليه. وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء أي للذين يقاتلهم المشركون. ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾ بسبب أنهم ظلموا وهم أصحاب رسول الله ﷺ. وكان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم: «اصبروا فإني لم أومر بالقتال» حتى هاجر. فأنزلت. وهي أول آية نزلت في القتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩﴾ وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع أذى الكفار عنهم. ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ يعني مكة ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بغير موجب استحقوا به. ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ على طريقة قول النابغة:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وقيل: منقطع. ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ لخربت باستيلاء المشركين على أهل الملل. وقرأ نافع «دفاع»

إشارة إلى أن قتال الكفار بغير إذن الله تعالى لا يجوز، ولهذا لما وكز موسى عليه الصلاة والسلام القبطي الكافر وقتله قال: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [القصص: ١٥] لأنه عليه الصلاة والسلام ما كان مأذونًا من الله تعالى في ذلك. والباء في قوله تعالى: ﴿بأنهم ظلموا﴾ متعلقة بقوله: ﴿أذن﴾ لما بيّن أنهم إنما أذنوا في القتال لأنهم ظلموا فسر ذلك الظلم بقوله تعالى: ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق﴾ أي إخراجًا بغير موجب استحقوا الخروج به، فالحق مصدر قولك: حق الشيء يحق بالكسر أي وجب واستحققته أي استوجبته، وانتفاء الوجوب لما كان بانتفاء الموجب قال المصنف رحمة الله تعالى عليه: «بغير موجب». **قوله: (في نيف وسبعين)** النيف الزيادة يخفف ويشدد يقال: عشرة ونيف ومائة ونيف، وكل ما زاد على العقد فهو نيف حتى يبلغ العقد الثاني. قيل: نسخت هذه الآية سبعين آية. أمر عليه الصلاة والسلام فيها بالصبر والصفح لأنها أول آية نزلت في الإذن بالقتال. وقوله تعالى: ﴿الذين أخرجوا﴾ في موضع الجر على أنه بدل أو صفة لقوله تعالى: ﴿الذين يقاتلون﴾ ويجوز أن يكون في موضع النصب على المدح وفي موضع الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف. **قوله: (وقيل منقطع)** والمعنى: لكن قولهم ربنا الله وحده وهذا يوجب تعظيمهم وتقريرهم في ديارهم دون الإخراج والتنفير، فإن الاستثناء المنقطع يكون بمعنى لكن. ثم إنه تعالى بعد ما بيّن سبب الإذن بقوله: ﴿بأنهم ظلموا﴾ أشار إلى علة أخرى للإذن فقال تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس﴾ أي ولولا أن الله أذن للمجاهدين في قتال أعداء الدين لانقطعت العبادات وخربت

و«لهدمت» بالتخفيف ﴿صَوَامِعُ﴾ صوامع الرهبانية ﴿وَبِيَعٌ﴾ وبيع النصارى ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ وكنائس اليهود، سميت بها لأنها يصلى فيها. وقيل: أصلها صلوثًا بالعبرانية فعربت. ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ ومساجد المسلمين ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ صفة للأربع أو لمساجد خصت بها تفضيلاً. ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ من ينصر دينه وقد أنجز وعده بأن سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرتهم وأورثهم أرضهم وديارهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على نصرهم ﴿عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ لا يمانعه شيء ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾. وصف للذين أخرجوا، وهو ثناء قبل بلاء. وفيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين إذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين. وقيل: بدل ممن ينصره. ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ فإن مرجعها إلى حكمه وفيه تأكيد لما وعده.

المتعبدات، فامتن سبحانه وتعالى على المؤمنين بدفع غائلة المشركين عنهم وبيّن أن عادته أن يحفظ دينه بأن يأذن لأهل دينه في مجاهدة الكفار، وأنه لولا ذلك لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها، ولم يتركوا للنصارى بيعًا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات أي كنائس، ولا للمسلمين مساجد ولغلب المشركون في زمان أمة محمد ﷺ على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين في زمنهم فهدموا متعبدات الفريقين. والصوامع جمع صومعة وهي موضع يتعبد فيه الرهبان وينفردون فيه لأجل العبادة، والبيع جمع بيعة وهي كنائس النصارى التي يبنونها في البلدان ليجتمعوا فيها لأجل العبادة والصوامع لهم أيضًا إلا أنهم يبنونها في المواضع الخالية كالجبال والصحارى للتجرد للعبادة، والصلوات لليهود. ولا بد من تقدير مضاف ليصح تسلط الهدم عليها أي موضع «صلوات» أو من تضمين هدمت معنى عطلت. وقيل: هي كلمة معرّبة أصلها بالعبرانية صلواث بالثاء المثلثة وهي في لغتهم بمعنى المصلى، ولا حاجة إلى تقدير المضاف وقدم ما سوى المساجد عليها في الذكر لكونه أقدم في الوجود بالنسبة إليها. **قوله:** (وهو ثناء قبل بلاء) أي قبل وقوع الصنيع الحسن الذي هو البلاء الحسن. قال الجوهري رحمة الله تعالى عليه: البلاء الاختبار يكون في الخير والشر يقال: بلاء الله بلاء حسنًا وأبليته. قال زهير:

جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم   وأبلاهما خير البلاء الذي يبلو

أي خير الصنيع الذي يختبر به عباده.

قوله: (وفيه دليل) أي وفي ثناء المهاجرين قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا. ووجه

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ تسلية له عليه الصلاة والسلام بأن قومه إن كذبوه فهو ليس بأوحدي في التكذيب فإن هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه. ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ غير فيه النظم وبنى الفعل للمفعول لأن قومه بنو إسرائيل ولم يكذبوه، وإنما كذبه القبط ولأن تكذيبه كان أشنع وآياته كانت أعظم وأشيع. ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ فأمهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدرة. ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤)﴾ أي إنكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحياة هلاكًا والعمارة خرابًا. ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ بإهلاك أهلها. وقرأ البصريان أهلكتها بغير لفظ التعظيم. ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾

الاستدلال بهذه الآية على إمامة الأئمة الأربعة رضي الله تعالى عنهم أنه تعالى وصف المهاجرين بأنهم إن مكنهم في الأرض وأعطاهم السلطنة ونفاذ القول على الخلق، أتوا بالأمور الأربعة وهي: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بكل معروف والنهي عن كل منكر. وقد ثبت أن الله تعالى مكّن الأئمة الأربعة في الأرض وأعطاهم السلطنة عليها فوجب كونهم آتين بهذه الأربعة، وإلا لزم الخلف في مقاله تبارك وتعالى، وإذا كانوا آتين بكل معروف وناهين عن كل منكر وجب أن يكونوا على الحق. فمن هذا الوجه دلت هذه الآية على إمامتهم. **قوله:** (تسلية له) فإنه قد سبق ما يدل على إيذاء المشركين إياه بأن كذبوه وحملوه مع من آمن على أن يخرجوا من ديارهم بغير حق. ثم بيّن أنه أذن للمظلومين في مقاتلتهم وضمن له عليه الصلاة والسلام النصرة عليهم وأكد ذلك بقوله: ﴿ولله عاقبة الأمور﴾ فلذلك كان المقام مقام التسلية فسلاه بقوله تعالى: فقد كذب قوم نوح نبيهم نوحًا وعاد هودًا وثمود صالحًا وقوم إبراهيم وقوم لوط نبييهما إبراهيم ولوطًا وأصحاب مدين شعيبًا عليهم الصلاة والسلام. ثم قال: فقد أعطي هؤلاء الأنبياء جميع ما وعدتهم من النصرة على أعدائهم والتمكين لهم في الأرض فأخذت كل واحدة من المكذبين بعقوبة مختصة بهم ﴿فكيف كان نكير﴾ أي إنكاري؟ وهذا استفهام معناه التقرير، يقول: كيف نكرت عليهم بما فعلوا من التكذيب. ثم إنه تعالى أجمل بعد التفصيل في الإخبار عن إهلاك كثير من الأمم المكذبة فقال تعالى: ﴿فكأين من قرية﴾ فقوله ﴿فكأين﴾ يجوز أن يكون في محل النصب على الاشتغال بفعل مقدر يفسره «أهلكناها» أي وكثيرًا من أهل القرى الذين كذبوا أنبياءهم سوى المكذبين المذكورين في الآية المتقدمة، أهلكنا أهلكناها، وأن يكون في محل الرفع على الابتداء والخبر «أهلكناها» أي وكثير أهلكناها.

قوله: (وقرأ البصريان) يعني بهما أبا عمرو ويعقوب فإنهما قرأ «أهلكتها» على وفق قوله: ﴿فأمليت للكافرين ثم أخذتهم﴾ وقرأ الباقون «أهلكناها» بالنون على وفق قوله: ﴿إن

أي أهلها ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ ساقطة حيطانها على سقوفها بأن تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف، أو خالية مع بقاء عروشها وسلامتها. فيكون الجار متعلقًا «بخاوية» ويجوز أن يكون خبرًا بعد خبر أي هي خالية وهي على عروشها أي مطلة عليها بأن سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها. والجملة معطوفة على «أهلكناها» لا على «وهي ظالمة»، فإنها حال والإهلاك ليس حال خوائها فلا محل لها إن نصبت «كأين» بمقدر يفسره «أهلكناها» وإن رفعته بالابتداء فمحلها الرفع. ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ عطف على «قرية» أي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يسقى منها لهلاك أهلها. وقرىء بالتخفيف من أعطله بمعنى عطله. ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾ مرفوع أو مجصص أخليناه عن ساكنيه وذلك يقوى أن معنى خاويةَ على عروشها

مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ٤١]. **قوله**: (**ساقطة حيطانها على سقوفها**) يعني أن الخاوي الساقط من خوى النجم إذا سقط. والعروش السقوف لأن كل مرتفع أظلك من سقف بيت أو خيمة أو ظلة أو كرم فهو عريش. والمراد بضمير القرية حيطانها. **قوله**: (**أو خالية**) على أن يكون الخاوي بمعنى الخالي من خوى المنزل إذا خلا من أهله، فحينئذ يكون «على عروشها» ظرفًا مستقرًا في موضع النصب على أنه حال من ضمير «خاوية» ومتعلقًا بخاوية تعلق الحال بعامله لا تعلق الجار والمجرور بعامله، فإنه إنما يكون ذلك إذا كان خاوية بمعنى ساقطة. **قوله**: (**ويجوز أن يكون خبرًا بعد خبر**) عطف على قوله: «متعلق بخاوية» فإنه إذا كان خبرًا بعد خبر لا يكون له تعلق بخاوية بل يكون متعلقًا بمطلة وهي بالطاء المهملة بمعنى مشرفة مائلة يقال: أطل عليه إذا كان داخلاً في ظل طلله أي شخصه. **قوله**: (**فلا محل لها**) أي على تقدير أن تكون جملة فهي خاوية معطوفة على «أهلكناها» لا يكون لها محل من الإعراب إن جعل «أهلكناها» مفسرًا لناصب «كائن» لأن الفعل المفسر لا محل له من الإعراب. فكذا ما عطف عليه فإن جعل «أهلكنا» خبر «كأين» تكون جملة «خاوية» في محل الرفع أيضًا. **قوله**: (**أي وكم بئر عامرة**) يعني أن معنى المعطلة أنها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء إلا أنها عطلت أي تركت لا يستقي منها لهلاك أهلها. وفي المشيد: قولان: أحدهما أنه المجصص لأن أهل المدينة يسمون الجص شيدًا، والثاني المرفوع المطول. وتوصيف البئر بالمعطلة والقصر بالمشيد يؤيد أن يكون على بمعنى «مع» في قوله: ﴿على عروشها﴾ فإن كون كل واحد منهما موصوفًا بالوصف المذكور أدخل في الاعتبار. روي أن هذه البئر نزل عليها صالح النبي عليه السلام مع أربعة آلاف ممن آمن به ونجاهم الله تعالى وهي بحضرموت. وإنما سميت به لأن صالحًا حين حضرها مات. وثمة بلدة عند البئر اسمها حضرموت بناها قوم صالح وأمروا عليهم جلس بن جلاس وأقاموا بها زمانًا ثم كفروا

خالية مع بقاء عروشها. وقيل: المراد ببئر بئر على سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه أهلكهم الله وعطلهما. ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ حث لهم على أن يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا، وهم وإن كانوا قد سافروا لم يسافروا لذلك. ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ ما يجب أن يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ ما يجب أن يسمع من الوحي والتذكير بحال من يشاهد آثارهم. ﴿فَإِنَّهَا﴾ الضمير للقصة أو مبهم يفسره الإبصار وفي «تعمى» راجع إليها والظاهر أقيم مقامه. ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ عن الاعتبار أي ليس الخلل في مشاعرهم وإنما أيفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد وذكر الصدور للتأكيد ونفي التجوز وفضل التنبيه على أن العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر. قيل: لما نزلت ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾ [الإسراء: ٧٢] قال ابن أم مكتوم: يا رسول الله أنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى؟ فنزلت.

وعبدوا صنمًا، فأرسل الله تعالى إليهم حنظلة بن صفوان نبيًا فقتلوه في السوق فأهلكهم الله تعالى وعطل بئرهم وخرب قصورهم. إلا أن قوله: «وخرب قصورهم» ينافي قول المصنف رحمة الله تعالى عليه «أخليناه عن ساكنيه» إلا أن يراد بتخريبها إخلائها من ساكنيها. **قوله: (حث لهم على أن يسافروا ليروا)** يحتمل أنهم ما سافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من أهلكهم الله تعالى بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا. ويحتمل أن يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فنزلوا منزلة من لم يسافر ولم ير لخلو سفرهم الحاصل عن المقصود، فلذلك قيل في حقهم على سبيل الإنكار ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ وقوله: «فتكون» منصوب على جواب الاستفهام أي أفلم يسيروا فيعقلوا بقلوبهم حال الأمم المكذبة ما فعلوا وما فعل بهم أو يسمعوا بآذانهم أخبارهم.

قوله: (أو مبهم يفسره الإبصار) أي ويجوز أن يكون ضمير «أنها» ضميرًا مبهمًا يفسره الإبصار لا على كون الإبصار مميزًا كما في نحور به رجلاً، وإلا لوجب أن يكون نكرة منصوبة كما هو الحق في المميز، بل المراد أنه يعلم به المراد من الضمير بناء على أن الإبصار ليس فاعل «تعمى» وإلا لما كان مفسرًا لمبهم بل هو خبر مبتدأ محذوف. وفاعل «تعمى» ضمير مستتر فيه راجع إلى ما يرجع إليه ضمير «إنها» فكأنه لما قيل: ﴿فإنها لا تعمى﴾ سئل ما هي؟ فأجيب ﴿الأبصار﴾ أي هي الأبصار. ثم إنه تعالى لما ذكر من قبائح المشركين صدهم عن سبيل الله تعالى والمسجد الحرام وعظيم ما هم عليه من التكذيب، اتبعه بذكر قبيحة أخرى من قبائحهم وهي استعجالهم بالعذاب. قيل: نزلت في النضر بن

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ المتوعد به ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما أوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة. ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ بيان لتناهي صبره وتأنيه حتى استقصر المدد الطوال أو لتمادي عذابه وطول أيامه حقيقة، أو من حيث أن أيام الشدائد مستطالة. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي «يعدون» بالياء. ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ وكم من أهل قرية فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه في الإعراب ورجع الضمائر والأحكام مبالغة في التعميم والتهويل. وإنما عطف الأولى بالفاء وهذه بالواو لأن الأولى بدل من قوله: فكيف كان نكير؟ وهذه في حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان أن المتوعد به يحيق

الحارث حيث قال: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ **[الأنفال: ٣٢] وهذا يدل على أنه عليه الصلاة والسلام كان يخوفهم بالعذاب إن استمروا على كفرهم ولهذا قال الله تعالى:** ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ **فأنجز ذلك يوم بدر. وأنكر الله تعالى عليهم ذلك الاستعجال وبيّن وجه الإنكار بأن الاستعجال إنما يكون لخوف الفوت وما أوعده الله تعالى لا يفوت بل يصيبهم لا محالة ولو بعد حين. وقوله: «ولو بعد حين» مستفاد من كلمة** «لن» **في قوله تعالى:** ﴿لن يخلف الله وعده﴾ **لأنها لتأكيد نفي الاستفهام.** وهذا النفي لما تضمن كونه تعالى صبورًا بيّن تناهي صبره بقوله تعالى: ﴿وإن يومًا عند ربك﴾ وأشار بتشبيه المدة القصيرة عنده بالمدة الطويلة عند المخاطبين إلى أن من لا يجري عليه الزمان بل هو المجري للزمان، يتساوى عنده الزمان ويكون وجود الأيام والزمان وعدمهما وقلتهما وكثرتهما سواء إذ ليس عنده صباح ولا مساء ولا يوم ولا ليلة. فقوله تعالى: ﴿وإن يومًا﴾ على هذا متعلق بقوله: ﴿ولن يخلف الله﴾ متمم لما يقصد منه وعلى قوله: «أو لتمادي عذابه» الخ يكون متعلقًا بقوله: ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ وبيانًا مستقلاً لوجه الإنكار عليهم في استعجال عذاب يكون يوم واحد من أيام عذابه كألف سنة عندهم. كأنه قيل: يستعجلون بعذاب يوم واحد من أيام عذابه في طول ألف سنة من سنتكم إما من حيث طول أيام عذابه حقيقة أو من حيث أن أيام الشدائد مستطالة. **قوله: (في الإعراب ورجع الضمائر والأحكام)** يعني أن مقتضى الظاهر أن يكون لفظ «القرية» مجرورًا بالإضافة لا بـ «من» وأن يرجع الضمائر إلى الأهل لا إليها وأن يجعل متعلق الإملاء والظلم والأخذ بالأهل لا بها، إلا أن القرية لما أقيمت مقام الأهل لفظًا قامت مقامه في جميع ما ذكر من الأمور. **قوله: (لأن الأولى بدل من قوله فكيف كان نكير)** فإن قوله تعالى: ﴿فأمليت للكافرين﴾ لما كان مرتبًا على جواب الشرط في الوقوع كان حقه أن يعطف عليه بالفاء وكان قوله: ﴿فكيف كان نكير﴾ استفهامًا واردًا للتعجيب والتهويل من أخذهم المتراخي عن وقت

بهم لا محالة وأن تأخره لعادته تعالى. ﴿أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ كما أمهلتكم ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ مثلكم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ بالعذاب ﴿وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (٤٨)﴾ وإلى حكمي مرجع الجميع ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٤٩)﴾ أوضح لكم ما أنذركم به والاقتصار على الإنذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لأن صدر الكلام ومساقه للمشركين. وإنما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة في غيظهم. ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لما ندر منهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥٠)﴾ هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله. ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ بالرد والإبطال ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق، من عاجزه فأعجزه وعجزه إذا سابقه فسبقه، لأن كلاً من المتسابقين يطلب إعجاز الآخر عن اللحاق به، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو «معجزين» على أنها حال مقدرة. ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٥١)﴾ النار الموقدة. وقيل: اسم دركة.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس إليها، والنبي يعمه، ومن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام. ولذلك شبه النبي عليه السلام علماء أمته بهم، فإن النبي أعم من الرسول. ويدل عليه أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن الأنبياء فقال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا» قيل: فكم الرسل منهم؟ قال: «ثلاثمائة وثلاثة

التكذيب. فكان حقه أيضًا أن يعطف عليه بالفاء لكنه قيل: ثم أخذتهم فأنكرت عليهم أبلغ إنكار، فإن حق التعجيب من الشيء أن يذكر عقيب ذلك الشيء. ولما كان قوله: ﴿فكأين من قرية﴾ **في حكم قوله:** ﴿فكيف كان نكير﴾ **في كونه مرتبًا على قوله:** ﴿فأمليت للكافرين ثم أخذتهم﴾ **كان بدلاً منه لكونه أوفى منه في تأدية المراد لما فيه من التفصيل بالنسبة إلى الأول، فأعيد فيه الفاء العاطفة الدالة على التعقيب كما يبدل بإعادة الجار كثيرًا بخلاف قوله:** ﴿وكأين من قرية﴾ **فإنه في حكم الجملتين المتعاطفتين بالواو في كونه تعليلاً لإنكار الاستعجال فلذلك عطف عليهما بالواو الجامعة. قوله:** (بالرد والإبطال) **السعي وإن كان عبرة عن مطلق الجد والاهتمام سواء كان لتحقيق الإتمام أو الرد والإبطال، إلا أن الثاني متعين هنا بقرينة المقام لأن من ذكر في مقابلة الذين آمنوا لا يكون سعيهم في شأن القرآن إلا بالرد. قوله:** (على أنها حالة مقدرة) **لأن الإعجاز والتعجيز ليسا مقارنين لسعيهم في إبطال الآيات بل متأخران عنه، كما أشار إليه بقوله: من عاجزه فأعجزه وعجزه بخلاف معاجزين، فإنه حال مقارنة لأن المعاجزة تكون حال السعي. قوله:** (إنه عليه الصلاة والسلام سئل عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام) **قيل: هذا الحديث رواه أبو ذر رضي الله عنه وهو من الآحاد. والأولى أن لا يتعرض لعدد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى:** ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا

عشر جمًا غفيرًا». وقيل: الرسول من جمع إلى المعجزة كتابًا منزلاً عليه والنبي غير الرسول وهو من لا كتاب له. وقيل: الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى إليه في المنام. ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ إذا زور في نفسه ما يهواه. ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال ﷺ: «وإنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة» ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فيبطله ويذهب به بعصمته من الركون إليه والإرشاد إلى ما يزيحه. ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ ثم يثبت آياته الداعية إلى الاستغراق في أمر الآخرة ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوال الناس. ﴿حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ فيما يفعله بهم قبل حدث نفسه بزوال المسكنة. فنزلت. وقيل: تمنى لحرصه على إيمان قومه أن ينزل عليه ما يقر بهم إليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم، فنزلت عليه سورة والنجم فأخذ يقرأها فلما بلغ ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٠] وسوس إليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوًا إلى أن قال: «تلك الغرانيق العُلى وإن شفاعتهن لترتجى». ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك إلا سجد. ثم نبهه جبرائيل فاغتم به فعزاه الله بهذه الآية. وهو مردود عند المحققين وإن صح، فابتلاء يتميز به الثابت على الإيمان من المتزلزل فيه.

عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨] ولا يؤمن في ذكر العدد أن يخرج منهم من هو فيهم أو يدخل فيهم من ليس منهم وقوله عليه الصلاة والسلام: «جما غفيرًا» ابتداء كلام أي كانوا جماعة كثيرة. **قوله:** (**وقيل الرسول من جمع إلى المعجزة كتابًا**) قائله صاحب الكشاف عفا الله عنه. ولعل المصنف رحمة الله تعالى عليه لم يرض به بناء على أن عدد الرسل عليهم الصلاة والسلام أكثر من عدد الكتب لأن عدد الكتب مائة وأربعة، ويلزم على هذا القول وعلى القول الذي اختاره المصنف رحمة الله تعالى عليه أن لا يكون إسحٰق ويعقوب وأيوب ويونس وهارون وسليمان عليهم الصلاة والسلام رسلاً لأنهم ما جاؤوا بشريعة مجددة وكتاب ناسخ. **قوله:** (**ليغان على قلبي**) أي ليغطي عليه يقال: غان على ذلك أي غطى عليه. **قوله:** (**فيبطله**) أي يزيل تأثيره. وهو إشارة إلى أن المراد بالنسخ النسخ اللغوي لا النسخ الشرعي المستعمل في الكتاب. ولما بيّن الله تعالى تطرق الوسوسة إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بيّن كيفية إزالتها فقال: ﴿فينسخ الله﴾ إلى آخره.

قوله: (**تلك الغرانيق**) جمع غرنوق، أو غرنيق بكسر الغين وفتح النون فيهما، أو غرنوق بالضم، وهو الشاب الناعم. ويجمع على غرانق بالفتح وغرانيق وغرانقة ويطلق الجميع على السادات. **قوله:** (**وهو مردود عند المحققين**) يعني أن جماعة من المفسرين وإن

....

قالوا: إن هذه الآية نزلت تسلية له عليه الصلاة والسلام في اغتمامه بما سبق به لسانه سهوًا من حديث الغرانيق، إلا أن رؤساء أهل السنة والجماعة ردوا هذا القول وقالوا: هذه الرواية باطلة موضوعة، واحتجوا عليه بالقرآن العظيم والسنة والمعقول. أما القرآن فمنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦] ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [يونس: ١٥] ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤] فلو أنه عليه الصلاة والسلام قرأ عقيب هذه الآية قوله: «تلك الغرانيق العلى» لكان قد ظهر كذب الله تعالى في جميع ذلك وذلك لا يقول به مسلم. وأما السنة فهو أنه روي عن محمد بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال: هذا من وضع الزنادقة، وصنف فيه كتابًا. وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل وأن رواة هذه القصة مطعونون. وأيضًا فقد روى البخاري في صحيحه أنه ﷺ قرأ سورة النجم وسجد وسجد المسلمون والمشركون والإنس والجن ولم يذكر حديث الغرانيق. وأما المعقول فما ذكره الإمام النسفي في تيسيره بقوله: والصحيح المعتمد عليه أن النبي ﷺ لم يتكلم بها فإنّا لو توهمنا أنه ﷺ تكلم بها فلا يخلو الأمر من أحد ثلاثة أوجه: إما أن يجري ذلك على لسانه عمدًا باختياره وهذا لا يجوز لأنه كفر، وهو ﷺ جاء داعيًا إلى الإيمان ناهيًا عن الكفر طاعنًا في الأصنام فكيف يمدحها ويعظمها باختياره؟ وإما أن يجري الشيطان على لسانه ﷺ جبرًا بحيث لم يقدر على الامتناع عنه، وهذا أيضًا لا يجوز لأن الشيطان لا يقدر على ذلك في حق غيره ﷺ لقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢] وقوله تعالى حكاية عنه: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢] فكيف يقدر على ذلك في حقه ﷺ؟ وإما أن يقع ذلك على لسانه ﷺ سهوًا وغفلة من غير قصد، وهو أيضًا مردود لأنه ﷺ كان أعقل الخلق وأعلمهم فكيف تجوز عليه هذه الغفلة خصوصًا في حالة تبليغ الوحي؟ ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله والثقة به لقيام احتمال الغلط والخطاء في كل واحد من الأحكام والشرايع. فلما بطلت هذه الوجوه كلها لم يبق إلا احتمال واحد وهو أنه عليه الصلاة والسلام وقف وسكت عند قوله: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٠] والشيطان حاضر عنده فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلة بقراءته ﷺ فوقع عند بعضهم أنه ﷺ هو الذي تكلم بها لتكون إلقاء في قراءة النبي ﷺ. وكان الشيطان يتكلم في زمن الوحي كما ذكر أنه ظهر في صورة شيخ نجدي على المشركين الذين اجتمعوا في دار الندوة على قصد المكر بالنبي ﷺ، وتكلم في شوراهم واستصوب رأي بعضهم وخطأ

وقيل: تمنى بمعنى قرأ لقوله:

تـمـنـى كـتـاب الله أول لـيـلـه تـمـنـي داود الـزبـور عـلـى رسـل

فأمنيته قراءته وإلقاء الشيطان فيها إن تكلم بذلك رافعًا صوته بحيث ظن السامعون أنه من قراءة النبي ﷺ. وقد رد بأنه أيضًا يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع بقوله: ﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته﴾ لأنه أيضًا يحتمله. والآية تدل على

آخرين. وذكر أيضًا أنه نادى يوم أحد: ألا إن محمدًا قد قتل. وقال يوم بدر: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم. وهذا الاحتمال غير مستحيل عقلاً وشرعًا فتنة من الله تعالى وابتلاء لعباده. لكنه إنما يجوز في غير مقام تبليغ الوحي وأداء الرسالة، لأنّا لو جوّزنا ذلك لارتفع الاطمئنان إلى شرعه ولجوّزنا أن كل ما بلغه إلينا عن الله تعالى ينضم إليه غيره بخلط الشيطان. فظهر بما ذكرنا أن هذه القصة موضوعة. غاية ما في الباب أن جمعًا من المفسرين رحمة الله تعالى عليهم ذكروها لكنهم ما بلغوا في الكثرة حد التواتر، وخبر الواحد لا يعارض الدلائل العقلية والنقلية والمتواترة، فلذلك قال المصنف في تفسير الآية «ألقى الشيطان في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا» ولم يقل: ما يوافق تشهيه من الكلام. ثم قال: «وإن صح فابتلاء» والظاهر أن مبنى الصحة أن يتكلم به الشيطان عند سكوته عليه الصلاة والسلام بعد قوله: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٠] فإنه أقرب الاحتمالات المذكورة إلى الصحة فيكون المعنى: ما من رسول ولا نبي قبلك إلا مكنا الشيطان أن يلقي في قراءتهم مثل ما ألقى في قرأتك عندما تمنيت، فلا تهتم لذلك فإنا نجعل ذلك لإضلال قوم وهداية آخرين لنميز بين الثابت على الإيمان والمتزلزل فيه. **قوله:** (وقيل تمنى بمعنى قرأ) عطف على قوله: «تمني زور» فإن التمني جاء في اللغة بمعنيين: تمني القلب والقراءة قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ [البقرة: ٧٨] أي إلا قراءة لأن الأمي لا يعلم القرآن من المصحف وإنما يعلمه قراءة. وقال رواة اللغة: الأمنية القراءة واحتجوا عليه ببيت حسان رضي الله تعالى عنه وهو تمني كتاب الله أول ليله. وقيل: الأولى في تأويل الآية أن يقال: التمني بمعنى القراءة فقوله تعالى: ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢] أي عند تلاوته القرآن ألقى في قلوب الكفرة ما يجادلون به الرسول ويحاجونه ويوقعون به شبهة في قلوب أتباعه ليمنعوهم عن اتباعه كقولهم عند سماع قول الرسول: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣] إنه يحل ذبيحة نفسه ويحرم ذبيحة الله تعالى، فينسخ الله تعالى ما يلقي الشيطان في قلوب الكفرة بإنزال قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١] ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٨] فبين به أنه إنما حل هذا بذكر اسم الله عليه وحرم الآخر بعدم ذكر اسم الله عليه وكقولهم عند سماع ﴿إِنَّكُمْ وَمَا

جواز السهو على الأنبياء وتطرق الوسوسة إليهم. ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ علة لتمكين الشيطان منه، وذلك يدل على أن الملقى أمر ظاهر عرفه المحق والمبطل. ﴿فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شك ونفاق ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ المشركين ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني الفريقين. فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم. ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ عن الحق أو عن الرسول والمؤمنين. ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ إن القرآن هو الحق النازل من عند الله أو تمكين الشيطان من الإلقاء هو الحق الصادر من الله لأنه مما جرت به عادته في جنس الإنس من لدن آدم. ﴿فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ﴾ بالقرآن أو بالله ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ بالانقياد والخشية. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ فيما أشكل عليهم. ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ هو نظر صحيح يوصلهم إلى ما هو الحق ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ﴾ في شك ﴿مِّنْهُ﴾ من القرآن أو الرسول أو مما ألقى الشيطان في أمنيته يقولون: ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنه؟ ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ القيامة أو الموت أو أشراطها. ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم. أو لأن المقاتلين أبناء الحرب فإذا قتلوا

تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] أن عيسى عليه الصلاة والسلام عبد من دون الله تعالى والملائكة أيضًا عبدوا من دون الله، مع أنه تعالى لا يحزنهم يوم القيامة فنسخ قولهم هذا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١] فبيّن الله تعالى استثناء عيسى والملائكة من قوله: ﴿ما تعبدون من دون الله﴾ بأن المراد بـ «ما» الأصنام فقط.

قوله: (علة لتمكين الشيطان) أي المدلول عليه بقوله: ﴿ألقى الشيطان﴾ فتكون لام «كي» في قوله تعالى: ﴿ليجعل﴾ متعلقة بألقى «الشيطان» باعتبار ما دل عليه من التمكين. والظاهر أن هذه اللام لام العاقبة، وتسميتها لام العلة باعتبار أنها في الأصل للعلة. والمعنى: مكنه الله تعالى من الإلقاء ليجعل ما يلقيه الشيطان سببًا لتغرير المنافقين والمشركين، ولتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من العلم بالتوحيد وبأن القرآن هو الحق النازل من عند الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿فيؤمنوا﴾ عطف على قوله: ﴿ليعلم﴾ ولما كان الإيمان بالقرآن متفرعًا على العلم بأنه هو الحق النازل من عند الله تعالى عطفه عليه بالفاء، وكذا الإيمان بالله تعالى متفرع على العلم بأن التمكين حق صادر من الله تعالى. ثم إنه تعالى بيّن أن هذا الإيمان والإخبات إنما هو بلطف الله تعالى وهدايته إياهم فقال تعالى: ﴿وإن الله لهادي الذين آمنوا﴾. **قوله:** (فيصرن كالعقم) أي كأنهن لم يلدنهم فالعقم صفة النساء إلا أنه أسند إلى يوم القيامة أي إلى

صارت عقيمًا فوصف اليوم يوصفها اتساعًا. أو لأنه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم ينشىء مطرًا ولم يلقح شجرًا. أو لأنه لا مثل له لقتال الملائكة فيه. أو يوم القيامة على أن المراد بالساعة غيره، أو على وضعه موضع ضميرها للتهويل.

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليها الغاية أي يوم تزول مريتهم. ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾ وإدخال الفاء في خبر الثاني دون الأول تنبيه على أن إثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى، وأن عقاب الكفار مسبب عن أعمالهم ولذلك قال لهم «عذاب» ولم يقل «هم في عذاب» ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟﴾ في الجهاد ﴿أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ الجنة ونعيمها وإنما سوّى بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف أنفه في الوعد لاستوائهما في القصد وأصل العمل. روي أن بعض الصحابة قالوا: يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا

اليوم الذي يعقمن فيه على طريق: صام نهاره. والعقم على الوجه الثاني صفة الحرب من حيث إن المقاتلين يقال لهم: أبناء الحرب فإذا قتلوا بقي الحرب بلا ولد. والظاهر أن يجعل الحرب مجازًا لأنه جعل عقيمًا تشبيهًا لقتل أولاده بعقمه، ثم أسند العقم بهذا المعنى إلى يوم الحرب مجازًا. ففي التركيب على هذا الوجه مجازان. أحدهما في المسند والثاني في الإسناد. وحاصل الوجه الرابع أن كل يوم له مثل إلا يوم بدر فإنه عقيم لا مثل له، فلما لم يعقبه مثل جعل عقيمًا كما جعل يوم القيامة إذ لا يوم بعده. **قوله: (أو يوم القيامة)** عطف على قوله: «يوم حرب» ولما ورد أن يقال: كيف يصح أن يفسر اليوم العقيم بيوم القيامة وهو معطوف على الساعة؟ أجاب عنه بوجهين: الأول أن المراد بالساعة أشراطها ومقدماتها والثاني أن التقدير أو يأتيهم عذابها إلا أنه وضع الظاهر موضع الضمير للتهويل. **قوله تعالى: (والذين هاجروا)** لما ذكر أن الملك له يوم القيامة وأنه يحكم بينهم ويدخل المؤمنين الجنات، اتبعه بذكر الوعد الكريم للمهاجرين منهم. واختلف في المهاجر، فقيل: المراد من هاجر إلى المدينة طلبًا لنصرة الرسول وتقربًا إلى الله تعالى. وقال آخرون: بل المراد من جاهد فخرج مع الرسول أو سراياه لنصرة الدين، ولذلك ذكر القتل بعده. ومنهم من حمله على الأمرين. ثم إنه تعالى وصف رزق المهاجرين ومسكنهم، أما الرزق فبقوله: ﴿ليرزقنهم الله رزقًا حسنًا﴾ وأما المسكن فبقوله: ﴿ليدخلنهم مدخلاً يرضونه﴾ على أن يكون «ليدخلنهم» جملة مستأنفة، ويجوز أن يكون بدلاً من «ليرزقنهم الله رزقًا حسنًا». وتقرير

فما لنا إن متنا؟ فنزلت. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٥٨﴾ فإنه يرزق بغير حساب ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ﴾ هو الجنة فيها ما يحبونه ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بأحوالهم وأحوال معاديهم ﴿حَلِيمٌ ۝٥٩﴾ لا يعاجل في العقوبة. ﴿ذَٰلِكَ﴾ الأمر ذلك ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ ولم يزد في الاقتصاص. وإنما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو الجزاء للازدواج أو لأنه سببه. ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ بالمعاودة إلى العقوبة ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ لا محالة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٦٠﴾ للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام وأعرض عما ندب الله إليه بقوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ [الشورى: ٤٣] وغفران ذلك لمن عزم الأمور. وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة

المصنف رحمة الله تعالى عليه أوفق لهذا الاحتمال الذي ذكرناه. وقد بيّن إنجاز الوعد للمهاجرين الذين قتلوا وماتوا بعدما بيّن أنه تعالى يحكم بين الذين آمنوا والذين كفروا وقوله تعالى: ﴿ثم قتلوا أو ماتوا﴾ يدل على أن حال المقتول في الجهاد والميت في فراشه سواء إذا استويا في القصد والتقرب إلى الله تعالى ونصرة رسوله، وفي أصل العمل وهو الهجرة من حيث إنه تعالى جمع بينهما في الوعد. ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام: «المقتول في سبيل الله والمتوفى في سبيل الله بغير قتل هما في الأجر شريكان». ولفظ الشركة يشعر بالتسوية وإلا فلا يبقى لتخصيصهما بالذكر فائدة. **قوله**: (الأمر ذلك) يعني أن «ذلك» خبر مبتدأ محذوف وما بعده مستأنف و«من عاقب» مبتدأ خبره لينصرنه الله. والعقوبة اسم لما يعاقب به ويعقب الجرم من الجزاء. وسمي المكروه الذي أوقع ابتداء عقوبة حيث قيل: ﴿بمثل ما عوقب به﴾ مع أنه ليس جزاء لعقوبة الجريمة. إما للمشاكلة وإما على سبيل المجاز المرسل فإن ما وقع ابتداء سبب لما وقع جزاء وعقوبة فسمي السبب باسم المسبب. قيل: معنى الآية أن من قاتل من كان يقاتله ابتداء، ثم كان المقاتل مبغيًا عليه بأن اضطر إلى الهجرة ومفارقة الوطن أو ابتدىء بالقتال لينصرنه الله. ووجه تعلق هذه الآية بما قبلها أنه تعالى وصف رزق المهاجرين ومسكنهم أولا ثم قال في هذه الآية إني مع إكرامي لهم في الآخرة بهذا الوعد لا أدع نصرتهم في الدنيا على من بغى عليهم. **قوله**: (لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه) إشارة إلى وجه تعليله تعالى نصرته للمعاقب بكونه عفوًا غفورًا، مع أن العفو والغفران يقتضيان سابقة الجناية من المعفو عنه ولا جناية من المعاقب في الانتصار لأنه استوفى به حقه ولم يظلم أحدًا. وحاصله أن العفو وإن اقتضى سابقة الجناية لكن الجناية لا يلزم أن تكون بارتكاب المحرم بل قد تكون لترك ما يندب إليه وتسمى جناية على سبيل الزجر والتغليظ.

قوله: (وفيه) أي وفي تعليل نصرته تعالى المعاقب بكونه عفوًا تعريض بالحث على

فإنه تعالى مع كمال قدرته وتعالى شأنه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك أولى وتنبيه على أنه قادر على العقوبة إذ لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي ذلك النصر ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ بسبب أن الله قادر على تغليب بعض الأمور على بعض جار عادته على المداولة بين الأشياء المتعاندة. ومن ذلك إيلاج أحد الملوين في الآخر بأن يزيد فيه ما ينقص منه، أو بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك بإطلاعها. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ يسمع قول المعاقب والمعاقب ﴿بَصِيرٌ ﴿٦١﴾﴾ يرى أفعالهما فلا يهملهما.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الوصف بكمال القدرة والعلم. ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده، فإن وجوب وجوده ووحدته يقتضيان أن يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه عالمًا بذاته وبما عداه أو الثابت الإلٰهية ولا يصلح لها إلا من كان قادرًا عالمًا. ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ إلٰهًا. وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين. وقرىء بالبناء للمفعول فيكون الواو لـ «ما» فإنه في

العفو وتنبيه على أنه تعالى قادر على عقوبة البادي. **قوله:** (**بسبب أن الله تعالى قادر**) بيان لوجه كون إيلاج كل واحد من الملوين في الآخر سببًا للنصر الموعود في حق المعاقب. وحاصله أن السبب الحقيقي هو قدرته تعالى على جميع الممكنات إلا أنه تعالى وضع دليل القدرة مقام نفسها. **قوله:** (**بأن يزيد فيه**) أي في الآخر متعلق بقوله: «إيلاج أحد الملوين» فإنه لما ورد أن يقال: كيف يعقل إيلاج الليل المظلم في النهار المضيء حقيقة وكذا عكسه؟ مع أن ذلك يقتضي اجتماع الظلمة والنور في زمان واحد. دفعه بأن معنى الإيلاج المذكور ليس إدخال الزمان المظلم في الزمان المضيء ليلزم ما ذكر، بل معناه إدخال ما نقص من ساعات أحد الزمانين في الزمان الآخر، فاللازم تفاوت الزمانين بحسب الزيادة والنقصان لا اجتماع الضدين في زمان واحد. وإنما يلزم ذلك أن لو كانت الظلمة والضياء مما تقتضيهما ذوات تلك الساعات الزائدة والناقصة وليس كذلك بل هما مستندان إلى طلوع النير وغروبه. ثم جوّز أن يكون معنى إيلاج الليل والنهار تحصل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار الخ. روى الإمام رحمة الله تعالى عليه عن مقاتل رضي الله تعالى عنه أنه قال: نزل قوله تعالى: ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب به﴾ الآية في قوم من المشركين لقوا قومًا من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقالوا: إن أصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر المحرم فاحملوا عليهم. فناشدهم المسلمون بأن يكفوا عن قتالهم لحرمة الشهر فأبوا وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم، وثبت المسلمون لهم فنصروا عليهم فوقع في نفس المسلمين من القتال في الشهر الحرام شيء فأنزل الله تعالى هذه الآية وعفا عنهم وغفر لهم. فعلى هذه الرواية يكون وجه

معنى الآلهة. ﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ المعدوم في حد ذاته أو باطل الألوهية. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ على الأشياء ﴿ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ عن أن يكون له شريك ولا شيء أعلى منه شأنًا وأكبر منه سلطانًا. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ استفهام تقرير ولذلك رفع. ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ عطف على «أنزل» إذ لو نصب جوابًا لدل على نفي الاخضرار كما في قولك: ألم تر أني جئتك فتكرمني. والمقصود إثباته وإنما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة على بقاء أثر المطر زمانًا بعد زمان. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

تعليل قوله تعالى: ﴿لينصرنه الله﴾ بقوله تعالى: ﴿إن الله لعفو غفور﴾ ظاهرًا لا يحتاج فيه إلى أن يقال: حيث اتبع هواه في الانتقام وأعرض عما ندب الله تعالى إليه. قوله: (ولا شيء أعلى منه الخ) بيان لمعنى الحصر المستفاد من توسط ضمير الفصل بين اسم «أن» وخبرها المحلى بالألف واللام. قال الإمام الشافعي رحمة الله عليه: من أحرق أحرقناه ومن أغرق أغرقناه. أي يعاقب وفق الجناية. وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: بل يقتل بالسيف. واحتج الإمام الشافعي رحمه الله تعالى على ما ذهب إليه بهذه الآية فقال: إن الله تعالى جوّز للمظلوم أن يعاقب بمثل ما عوقب به ووعده النصرة عليه. ثم إنه تعالى لما دل على قدرته بما ذكره من ولوج الليل في النهار وبالعكس، اتبعه بأنواع أخر من دلائل قدرته تعالى وهي ستة: أولها قوله تعالى: ﴿ألم تر﴾ أي ألم تعلم فإن الماء النازل وإن كان مرئيًا بالبصر إلا أن كونه تعالى منزلاً له من السماء غير مرئي به، فوجب أن تحمل الرؤية على العلم الذي هو المقصود من الرؤية، فإن الرؤية إذا لم يقترن العلم بها صارت كأنها لم تحصل. **قوله: (ولذلك رفع فتصبح)** يعني أن قوله تعالى: ﴿فتصبح﴾ وإن وقع بعد لفظ الاستفهام فكان الظاهر أن ينصب على جواب الاستفهام، إلا أن الاستفهام هنا لما كان استفهام تقرير بمعنى الخبر أي بمعنى قد رأيت لم يكن له جواب، فلذلك رفع المضارع بعده عطفًا على «أنزل». وقوله: «إذ لو نصب جوابًا» علة لقوله: «استفهام تقرير ولذلك رفع المضارع بعده عطف على أنزل» أي إذ لو كان الاستفهام بمعناه ونصب ما بعده جوابًا له لأفاد الكلام عكس المقصود الذي هو إثبات الاخضرار إذ لو نصب الفعل بعده لانقلب المعنى إلى نفي الاخضرار كما إذا قلت: ألم تراني أنعمت عليك فتشكر، إن رفعت فتشكر فقد أثبت شكر المخاطب وإن نصبت فقد نفيت شكره وشكوت من تفريطه فيه، فإن أداة الاستفهام في مثله تثبت ما تدخل عليه وإن كان منفيًا تنفي الجواب. فيلزم من هذا إثبات الرؤية وانتفاء الاخضرار وهو خلاف المقصود. وأيضًا جواب الاستفهام ينعقد منه مع معنى الاستفهام السابق شرط وجزاء كقوله:

ألم تسأل فتخبرك الرسوم

﴿لَطِيفٌ﴾ يصل علمه أو لطفه إلى كل ما جل ودق ﴿خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ بالتدابير الظاهرة والباطنة ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ خلقًا وملكًا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ في ذاته عن كل شيء ﴿ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم ﴿وَٱلْفُلْكَ﴾ عطف على «ما» أو على اسم «أن». وقرىء بالرفع على الابتداء. ﴿تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ حال منها أو خبر. ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ من أن تقع أو كراهة أن تقع بأن خلقها على صورة متداعية إلى الاستمساك. ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ إلا بمشيئته

والمعنى أن تسأل تخبرك الرسوم لأن ما بعد الفاء إنما ينتصب إذا كان المستفهم عنه سببًا له. وفيما نحن فيه لا يصح أن يجعل تقدير الكلام أن ترى إنزال المطر تصبح الأرض مخضرة، لأن رؤية المخاطب ليست سببًا لاخضرار الأرض، وأن اخضرارها ليس مرتبًا على رؤية المخاطب ذلك بل هو مرتب على نفس الإنزال. ولما كان انتصاب المضارع بعد الفاء في جواب الأشياء الستة مبنيًا على صحة تقدير إن فعلت فعلت، ولما لم يصح هذا التقدير في الآية لم يجز نصب قوله: ﴿فتصبح الأرض مخضرة﴾.

قوله: (يصل علمه أو لطفه) الأول مبني على ما قيل: اللطيف العالم ببواطن الأشياء والثاني على ما قيل: إنه الرفيق في أفعاله. وقيل: اللطيف من تدق حكمته فيما يفعل ويحكم، والخبير العالم بمصالح الخلق ومنافعهم فيفعل على قدر ذلك من غير زيادة ولا نقصان. **قوله**: (لهو الغني في ذاته عن كل شيء) والمعنى أنه تعالى خلق ذلك منقادًا له غير ممتنع من التصرف فيه واختص جميع ذلك به خلقًا وملكًا لا لاحتياجه إلى شيء منه، فإنه كامل لذاته غني عن كل ما عداه في كل الأمور. لكنه لما خلق الناس ليعرفوه ويخصوه بالتعظيم والإجلال ويستعدوا بذلك للسعادة الأبدية، واقتضت الحكمة احتياجهم في تعيشهم إلى بركات السمٰوات والأرض خلق هذه الأشياء رحمة لهم وإنعامًا عليهم لا لمنفعة تعود إليه، فلا جرم كان حميدًا مستحقًا للحمد. فظهر بذلك كمال قدرته وعلو شأنه وكبريائه وعظم رحمته وإحسانه تبارك الله رب العالمين. **قوله**: (حال منها) أي من الفلك على تقدير كونها عطفًا على «ما» وقوله: «أو خبر» على تقدير كون الفلك عطفًا على اسم «أن» أو مرفوعًا على الابتداء وجريان الفلك. وإن كان مسندًا إلى كون الماء والريح على الحالة الملائمة لجريانها إلا أن تلك الحالة لما ثبتت لها بأمره تعالى وتكوينه نسب جريها إلى أمره تعالى، فإن ذلك أنسب لعظمته وكمال قدرته. **قوله**: (من أن تقع أو كراهة أن تقع) فيكون «أن تقع» على الأول في محل النصب بنزع الخافض أو في محل الجر على إرادته. وعلى الثاني يكون في محل النصب على أنه المفعول من أجله. فالبصريون يقدرون كراهة «أن تقع»

وذلك يوم القيامة. وفيه رد لاستمساكها بذاتها فإنها مساوية لسائر الأجسام في الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ حيث هيأ لهم أسباب الاستدلال وفتح عليهم أبواب المنافع ودفع عنهم أنواع المضار.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ بعد أن كنتم جمادًا عناصر ونطفًا. ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ إذا جاء أجلكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ في الآخرة ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ لجحود للنعم مع ظهورها ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ﴾ أهل دين ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ متعبدًا أو شريعة تعبدوا بها. وقيل: عيدًا ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ ينسكونه. ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾ سائر أرباب الملل ﴿فِى

والكوفيون يقدرون «لئلا تقع». وهذا الخلاف مبني على مسألة كلامية وهي أن الإرادات والكراهات هل تتعلق بالعدم أو لا؟ فمن منع ذلك ذهب إلى أن التأويل الثاني هو الصحيح، ومن جوّزه ذهب إلى الأول. والظاهر أن قوله: ﴿إلا بإذنه﴾ استثناء مفرغ من أعم الأحوال وهو لا يقع في الكلام الموجب إلا أن قوله: ﴿ويمسك السماء أن تقع على الأرض﴾ في قوة النفي فلذلك جاز فيه التفريغ، إذ التقدير ولا يتركها تقع في حال من الأحوال إلا في حال كونها ملتبسة بأمره. **قوله**: (متعبدًا) أي مألفًا يألفونه إما مكانًا معينًا أو زمانًا معينا لأداء الطاعات أو شريعة أو منهجًا كلفوا بها. روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن المنسك شريعة لهم أو شريعة عاملون بها. ويؤيده قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] وروي عنه أيضًا أنه قال: عيدًا يذبحون فيه. وقيل: قربانًا يذبحونه. وقيل: موضع عبادة. قيل: القول بأن المنسك هو الشريعة أولى لأنه مأخوذ من النسك وهو العبادة، وإذا وقع الاسم على كل عبادة لا وجه للتخصيص ببعضها ولا وجه لحمله على موضع العبادة ووقتها، لأن قوله ناسكوه أليق بالعبادة فيه بالوقت والمكان لأن المنسك لو لم يكن مصدرًا بل كان اسم مكان أو زمان لقيل هم ناسكون فيه لأن الفعل لا يتعدى إلى ضمير الظرف إلا بكلمة «في» غالبًا إلا أن يتسع في الظرف فيجري مجرى المفعول به فيتعدى الفعل إلى ضميره بنفسه كقوله:

ويوم شهدناه سليمًا وعامرا

أي شهدنا فيه. وقوله: ومشرب أشربه أي أشرب فيه. فإن قيل: لم جاء نظير هذه الآية معطوفًا بالواو فيما تقدم وهذه بغير واو؟ قلنا: لأن تلك وقعت بعدما يناسبها ويدانيها من الآي الواردة في أمر النسائك فعطفت على أخواتها. وأما هذه فواقعة مع الأباعد أي بعد الآي المتباعدة عن معناها، فلم تجد ما تعطف هي عليه فإنه تعالى ذكر ثواب المهاجرين في الآخرة ثم بيّن أنه مع ذلك ينصرهم في الدنيا أيضًا على من بغى عليهم، ثم بيّن قدرته على

﴿ٱلۡأَمۡرِۚ﴾ في أمر الدين والنسائك لأنهم بين جهال وأهل عناد، أو لأن أمر دينك أظهر من أن يقبل النزاع. وقيل: المراد نهي الرسول ﷺ عن الالتفات إلى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية إلى نزاعهم، فإنها إنما تنفع طالب الحق وهؤلاء أهل مراء. أو عن منازعتهم كقولك: لا يضاربنك زيد. وهذا إنما يجوز في أفعال المغالبة للتلازم. وقيل: نزلت في كفار خزاعة قالوا للمسلمين: «ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله. وقرىء «فلا ينزعنك» على تهييج الرسول والمبالغة في تثبيته على دينه على أنه من نازعته

ذلك بالدلائل المذكورة وختم بذلك ما يتعلق بقوله: الملك يومئذ لله الذي يحكم بينهم. ثم أمر رسوله ﷺ بالجد في الدعاء إلى الدين وعرفه وجه المعاملة معهم والاحتجاج عليهم فقال تعالى: ﴿لكل أمة جعلنا منسكًا هم ناسكوه﴾ أي شرعنا لكل أمة خلت حزبًا من العبادة هم عاملوه وناصبون عليه ﴿فلا ينازعنك﴾ أي فليس لأحد من بقاياتك الأمم منازعتك ﴿في الأمر﴾ أي فيما تأمر به أمتك من الشرائع إذ كانت لهم شرائع يخالف بعضها بعضًا. فكذا هذه الشريعة وإن خالفت تلك الشرائع فليس لهم منازعتك فيها. **قوله:** (أو النسائك) هو جمع نسيكة وهي الذبيحة وهو مبني على أن تكون الآية نازلة في كفار خزاعة الذين نازعوه ﷺ في حرمة أكل الميتة التي قتلها الله تعالى. **قوله:** (وقيل المراد نهي الرسول عليه الصلاة والسلام) عطف على قوله: «فلا ينازعنك سائر أرباب الملل» من حيث المعنى وقيل: كناية عن نهيه عليه الصلاة والسلام عن الالتفات إلى قولهم لأنه يؤدي إلى منازعتهم ويستلزمها، فيكون من قبيل ذكر اللازم وإرادة الملزوم على أسلوب: لأرينك هـٰهنا. وقيل: هو كناية عن نهيه عليه الصلاة والسلام عن المنازعة معهم لأن المنازعة تكون بين اثنين فنهي أحد الشريكين عنها يستلزم نهي الآخر، فيصلح أحد النهيين كناية عن الآخر. **قوله:** (وهذا إنما يجوز) أي كون نهي أحد الفاعلين كناية عن نهي الآخر، إنما يجوز في أفعال المغالبة لأن التلازم إنما يتحقق فيها. ولا يجوز أن يكون قولك: لا يضربنك زيد مثلاً كناية عن قولك: لا تضربن أنت إياه، لعدم التلازم بين النهيين. وقوله: «إنما يجوز بالحصر» محل تأمل لأن مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥؛ لقمان: ٣٣] يجوز أن يكون كناية عن لا تغروا مع أن الغرور ليس من أفعال المغالبة. وقد مر في سورة طه أن قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا﴾ [طه: ١٦] وإن كان نهيًا للكافر عن أن يصد موسى عنها، فالمراد نهيه عليه الصلاة والسلام عن أن يصد عنها مع أن هذا الفعل أيضًا ليس من أفعال المغالبة.

قوله: (وقرىء فلا ينزعنك) من النزع بمعنى الجذب يقال: نزعت الشيء من مكانه إذا قلعته عنه أي أثبت في دينك ثباتًا لا يطمعون أن يجذبوك ليزيلوك عنه. ولما ورد أن يقال:

فنزعته إذ غلبته. ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ إلى توحيده وعبادته ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ طريق إلى الحق سوى ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ وقد ظهر الحق ولزمت الحجة ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ من المجادلة الباطلة وغيرها فمجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق.

كيف يكون نهي الكفار عن نزعه عليه الصلاة والسلام عن دينه كناية عن أمره بالثبات على دينه مع أن النزع ليس من أفعال المغالبة؟ دفعه بأنه ليس من النزع الصادر من الواحد بل من النزع المسند إلى الغالب من المتنازعين يقال: نازعته فنزعته أنزعه أي غلبته في النزع. فمعنى الآية لا يغلبنك في المنازعة، إلا أن كسر عين المضارعة في باب المغالبة غريب لم يذهب إليه غير صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه فإنه قال بضم عين المضارعة في باب المغالبة مطلقًا إذا لم يكن عينه أو لامه حرف حلق، وأما إذا كان أحدهما حرف حلق فإن الفعل حينئذ يترك على قاعدة الاستعمال. **قوله تعالى:** (وادع إلى ربك) لم يذكر مفعول «ادع» للتعميم والمعنى: أنك مبعوث إلى الناس كافة وكلهم مأمورون باتباعك والتدين بشرعك ودينك، فادعهم إلى دين ربك ولا تخص أمة دون أمة بالدعوة إليه فكل الناس أمتك. ثم إنه تعالى لما أمر الرسول ﷺ بأن يحذر المجادلين بعد لزوم الحجة ووضوحها من حكم يوم القيامة، اتبعه بما يعلم أنه تعالى عالم بما يستحقه كل واحد وأنه يحكم بينهم بالعدل لا بالجور، فقال لرسوله عليه الصلاة والسلام ﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض﴾ وأن ما يفعله الكفار المجادلون محفوظ عند الله تعالى لا يضل عنه ولا ينسى، فإن كل ما يحدثه الله تعالى في السمٰوات والأرض فقد كتبه في اللوح المحفوظ. فإن قيل: إن ذلك يوهم أن علمه تعالى مستفاد من الكتاب، وأيضًا فما فائدة ذلك الكتاب؟ أجيب عن الأول بأن كتبه تلك الأشياء في ذلك الكتاب قبل حدوثها على الوجه المطابق للموجودات من أدل الدلائل على أنه تعالى غني في علمه عن ذلك الكتاب، وعن الثاني بأن الملائكة ينظرون فيه، ثم إذا أراد جعل الحوادث داخلة في الوجود على وفقه صار ذلك دليلاً لهم زائدًا على كونه تعالى عالمًا بكل المعلومات. ثم إنه تعالى بيّن ما عليه الكفرة من الشرك والعصيان مع ظهور دلائل وحدانيته وعلو شأنه وكبريائه وسبوغ آلائه ونعمائه فقال تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانًا﴾ أي لم ينزل لجواز عبادته حجة سماوية ولا علمًا حاصلاً لهم بضرورة عقولهم أو بالاستدلال فلا حجة لهم إذًا في عبادتها أصلاً وإنما يعبدونها عن محض الجهل. ثم وبخهم بأنهم مع جهلهم المفرط إذا تليت عليهم الآيات البينات الدالة على المنهج القويم والصراط المستقيم تعرف في وجوههم المنكر أي أثر الإنكار لما يتلىٰ عليهم أو الأمر المنكر أي ما يدل عليه وهو قصد الشر بمن تلا عليهم تلك الآيات. وقوله تعالى: ﴿يكادون

﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ﴾ يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات. ﴿فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ من أمر الدين ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ فلا يخفى عليه شيء ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ﴾ هو اللوح المحفوظ كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك أمرهم مع علمنا به وحفظنا له. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أن الإحاطة به وإثباته في اللوح المحفوظ أو الحكم بينكم. ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧٠﴾﴾ لأن علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء. ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ حجة تدل على جواز عبادته ﴿وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ﴾ حصل لهم من ضرورة العقل أو استدلاله. ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم. ﴿مِن نَّصِيرٖ ﴿٧١﴾﴾ يقرر مذهبهم أو يدفع العذاب عنهم. ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا﴾ من القرآن ﴿بَيِّنَٰتٖ﴾ واضحات الدلالة على العقائد الحقة والأحكام الإلهية. ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ﴾ الإنكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لأباطيل أخذوها تقليدًا وهذا منتهى الجهالة، وللإشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير أو ما يقصدونه من الشر. ﴿يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ﴾ يثبون ويبطشون بهم ﴿قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۚ﴾ من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم، أو مما أصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم ﴿ٱلنَّارُ﴾ أي هو النار. كأنه جواب سائل قال: ما هو؟ ويجوز أن يكون مبتدأ خبره ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ﴾ وقرىء بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلاً من «شر»، فتكون الجملة استئنافًا كما إذا رفعت خبرًا أو حالاً منها ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾ النار.

يسطون﴾ حال إما من المضاف إليه وهو الموصول وجاز انتصاب الحال منه لكون المضاف جزأه، وإما من المضاف وهو الوجوه بناء على أن المراد أصحابها كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩] وضمن يسطون معنى يبطشون فعدى تعديته وإلا فهو متعد بـ «على» يقال: سطا عليه. وأشار إلى هذا بقوله: «ويبطشون بهم» وأما قوله: «يثبون» فهو تفسير لأصل معناه فإن السطو معناه الوثوب والحمل. والمعنى: وإذا تتلى عليهم آياتنا تعرف في وجوههم ذلك في حال كونهم يقربون من أن يثبوا ويبطشوا بالذين تلوا عليهم القرآن وهم محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم من شدة الغيظ على التالين الذي يلحقهم بسبب سماعه، فأمر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بأن يقابلهم بالوعيد فقال: ﴿قل﴾ لهم ﴿أفأنبئكم﴾ الآية. قوله: (ويجوز أن يكون مبتدأ خبره وعدها الله) فهذه الجملة الاسمية لا محل لها لكونها مفسرة للجملة المتقدمة كأنه قيل: ﴿ما بشر من ذلكم﴾ فقيل: ﴿النار وعدها الله﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ بيّن لكم حال مستغربة أو قصة رائعة، ولذلك سماها مثلاً أو جعل لله مثل أي مثل في استحقاق العبادة ﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ للمثل أو لبيانه استماع تدبر وتفكر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني الأصنام. وقرأ يعقوب بالياء. وقرىء به مبنيًا للمفعول والراجع إلى الموصول محذوف على الأولين ﴿لَن

وإن قرىء «النار» مرفوعًا على أنه خبر مبتدأ محذوف أو منصوبًا بتقدير أعني أو مجرورًا على أنه بدل من «بشر» تكون جملة «وعدها الله» مستأنفة لا محل لها. ويجوز أن تكون حالاً من «النار» على تقدير كونه منصوبًا أو مجرورًا لا على تقدير كونه مرفوعًا على أنه خبر مبتدأ محذوف لأنه ليس في جملة هو «النار» ما يصح أن يعمل في الحال بخلاف ما إذا كان منصوبًا أو مجرورًا. قال أبو البقاء: قوله تعالى: ﴿النار﴾ يقرأ بالرفع وفيه وجهان: أحدهما أنه مبتدأ و «وعدها» الخبر والثاني أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو النار و «وعدها» على هذا مستأنف إذ ليس في الجملة ما يصح أن يعمل في الحال. وأشار المصنف رحمة الله تعالى عليه إلى هذا بقوله: «أو حالاً منها» فإنه معطوف على قوله استئنافًا، وقد فرع احتمال كونها مستأنفة على قراءة النصب والجر فيكون احتمال الحالية أيضًا متفرعًا عليهما.

قوله تعالى: (يا أيها الناس ضرب مثل) متصل بقوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانًا﴾ بيّن أولا أنهم يعبدون من دون الله ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي، ولا ألجأهم إليه علم ضروري ولا حملهم عليه دليل عقلي. ثم ذكر بهذه الآية ما يدل على بطلان حالهم وفساد عقلهم وفعلهم وقولهم. وعبّر عن دعواهم بأن لله تعالى شريكًا بالمثل تشبيهًا لها بالمثل السائر في الغرابة، فإن لفظ المثل حقيقة عرفية في القول السائر واستعارة في الحال المستغربة والقصة العجيبة. نادى الله المشركين ليلقي إليهم حالة غريبة أو قصة رائعة متلقاة بالاستحسان والقبول وهي أنهم اتخذوا أعجز خلق الله تعالى وأذلهم شريكًا له في الألوهية واستحقاق العبادة جلّ عن ذلك وتعالى، وعبّر عن هذه الحالة الغريبة بلفظ الماضي وهو ضرب المستدعي لتحقق الضرب والبيان فيما مضى مع أنه تعالى هو المتكلم بهذا الكلام ابتداء بناء على أن ما يورد من تلك الحالة الغريبة لغاية وضوحها بمنزلة أمر تقدم بيانه. ثم إنه تعالى بيّن ما أجمله وأبهمه بقوله: ضرب مثل بأن قال تعالى: ﴿إن الذين تدعون من دون الله﴾ الآية ولا شك أن اتخاذ من لا يقدر على خلق أحقر خلق الله قدرا وجثة إلٰهًا معبودًا حالة غريبة شبيهة بالمثل السائر وأغرب منها أنه لا يقوى على مقاومة هذا المخلوق الأحقر الأدنى ويعجز عن ذبه عن نفسه. **قوله:** (أو جعل لله مثل) روي أن الأخفش قال: إن قيل: فأين المثل الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿ضرب مثل﴾ قيل: ليس ههنا مثل يضرب من الأمثال وإنما معناه: شبّه بي الأوثان وجعلت لي أمثالا

﴿يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ لا يقدرون على خلقه مع صغره لأن «لن» بما فيها من تأكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفى عنه. والذباب من الذب لأنه يذب وجمعه أذبة وذبان. ﴿وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ بجوابه المقدر في موضع حال جيء به للمبالغة أي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف إذا كانوا منفردين؟ ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ جهلهم غاية التجهيل بأن أشركوا إلـٰهًا قدر على المقدورات كلها وتفرد بإيجاد الموجودات بأسرها تماثيل هي أعجز الأشياء. وبيّن ذلك بأنها لا تقدر على خلق أقل الأحياء وأذلها ولو اجتمعوا له، بل لا تقوى على مقاومة هذا الأقل الأذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه من عندها. قيل: كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله. ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ عابد الصنم ومعبوده. أو الذباب يطلب ما يسلب من الصنم من الطيب والصنم يطلب منه الذباب السلب. أو الصنم والذباب كأنه يطلبه ليستنقذ منه ما سلبه، ولو حققت وجدت الصنم أضعف بدرجات. ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما

وشركاء. ولا يخفى أن القول بأن ضرب بمعنى جعل لا يخلو عن بعد. **قوله: (لا يقدرون على خلقه)** تصوير لمعنى تأكيد النفي المستفاد من كلمة «لن» لأن نفي القدرة على الفعل آكد من نفي نفس الفعل لكون نفيها نفيًا للفعل بدليل بخلاف نفي أصل الفعل فإنه نفي مجرد. **قوله: (لأن لن بما فيها من تأكيد النفي)** علة لتصوير معنى تأكيد النفي لنفي القدرة على الخلق، فإن تحقق المنافاة بين المنفي والمنفي عنه إنما يكون بعدم القدرة على الفعل المنفي. **قوله: (وجمعه أذبة وذبان)** يعني أن الذباب اسم جنس وجمعه القليل أذبة، ويجمع في الكثرة على ذبان بكسر الذال وضمها. والمذبة ما يطرد بها الذباب. **قوله: (بجوابه المقدر في موضع حال)** قد تقرر أن الواو في مثل هذا التركيب عاطفة لهذه الجملة الحالية على حال محذوفة، أي انتفى خلقهم الذباب على كل حال، ولو كانت فيهم هذه الحالة المقتضية لخلقه لخلقوه. وكأنه تعالى قال: إن هذه الأصنام إن اجتمعت لا تقدر على خلق ذبابة على حقارتها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودًا وشريكًا لخالق السمٰوات والأرض؟ **قوله: (عابد الصنم ومعبوده)** فإن عابده يطلب منه بعبادته إياه أن ينفعه ويشفع له، فالطالب هو العابد والمطلوب هو الثواب والنفع والمطلوب منه هو الصنم، إلا أنه أطلق المطلوب على الصنم على طريق الحذف والإيصال. **قوله: (أو الذباب يطلب ما يسلب من الصنم من الطيب)** فعلى هذا الطالب هو الذباب والمطلوب هو الطيب المسلوب والمطلوب منه هو الصنم، وأطلق عليه المطلوب على طريق الحذف والإيصال أيضًا. **قوله: (أو الصنم والذباب)** فعلى هذا الطالب هو الصنم والمطلوب هو الاستنقاذ والمطلوب منه هو الذباب،

عرفوه حق معرفته حيث أشركوا به وسموا باسمه ما هو أبعد الأشياء عنه مناسبة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على خلق الممكنات بأسرها ﴿عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ لا يغلبه شيء وآلهتهم التي يدعونها عجزة عن عقلها مقهورة من أزلها. ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ يتوسطون بينه وبين الأنبياء بالوحي ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ يدعون سائرهم إلى الحق ويبلغون إليهم ما نزل عليهم، كأنه لما قرر وحدانيته في الألوهية ونفى أن يشاركه غيره في صفاتها بيّن أن له عبادًا مصطفين للرسالة يتوسل بإجابتهم والاقتداء بهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وهو أعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات تقريرًا للنبوة وتزييفًا لقولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] والملائكة بنات الله ونحو ذلك. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ مدرك للأشياء كلها. ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ عالم بواقعها ومتوقعها ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾ وإليه مرجع الأمور كلها لأنه مالكها بالذات لا يسأل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسألون. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾ في صلاتكم. أمرهم بهما لأنهم ما كانوا يفعلونهما أول الإسلام أو صلوا. وعبّر عن الصلاة بهما لأنهما أعظم أركانها وأخضعوا لله وخروا له سجدًا. ﴿وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ بسائر ما تعبدكم به. ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ وتحروا ما هو خير وأصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الأرحام ومكارم الأخلاق. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ أي افعلوا هذه كلها وأنت راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين على أعمالكم. والآية آية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الأمر بالسجود ولقوله عليه الصلاة والسلام: «فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأهما».

إلا أنه يسمى مطلوبًا على طريق الحذف أيضًا والإيصال. **قوله:** (تقريرًا للنبوة وتزييفًا لقولهم) هو علة لقوله: «بيّن أن له عبادًا مصطفين» مختارين. قرر النبوة باصطفائه بعض الناس للرسالة وزيف طريق من عبد غير الله تعالى من الملائكة بقوله تعالى: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً﴾ بعدما أبطل قول من عبد الأوثان في الآية المتقدمة. فالمقصود من هذه الآية إبطال قول عبدة الملائكة وبيان أن علو درجتهم ليس من حيث كونهم آلهة يستحقون العبادة، بل من حيث إنهم عباد مكرمون اصطفى منهم رسلاً يتوسطون بينه وبين الأنبياء عليهم السلام. قيل: ويحتمل أن يكون المراد باصطفاء الملائكة أنه تعالى يختار من الملائكة رسلاً إلى الملائكة في بعض ما كلفهم به من أنواع العبادات والطاعات، فيبعث منهم إليهم رسلاً بتليغ ذلك كما اختار من الإنس إليهم يبعثهم فيما كلفهم به. وفي الآية الشريفة دلالة على أنه تعالى إنما اصطفاهم للرسالة لا لشيء يستوجبون به ذلك ولكن كان ذلك إفضالاً منه وإنعامًا لهم حيث قال تعالى:

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ أي لله ومن أجله أعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ، والباطنة كالهوى والنفس. وعنه عليه الصلاة والسلام أنه رجع من غزوة تبوك فقال: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ أي جهادًا فيه حقًا خالصًا لوجهه

﴿يصطفي﴾ لا كما قالت المعتزلة من أنه تعالى لا يختار للرسالة إلا من كان فيه ما يستحق به ذلك. وقوله تعالى: ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ أي من أمر الدنيا ﴿وما خلفهم﴾ أي من أمر الآخرة إشارة إلى العلم التام، وقوله تعالى: ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ إشارة إلى القدرة التامة والتفرد بالإلهية والحكم ومجموعهما يتضمن نهاية الزجر عن الإقدام على المعصية. ثم إنه تعالى لما قدم ذكر ما يتعلق بالإلهيات ثم ذكر ما يتعلق بالثواب اتبعه بذكر ما يتعلق بالشرائع والأحكام وكلفهم أولاً بما هو أجل العبادات وهو الصلاة، أو الجمع بين الركوع والسجود فيها كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: إن الناس كانوا في أول الإسلام يركعون ولا يسجدون حتى نزلت هذه الآية فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾ [الحج: ٧٧] ثم كلفهم بما يتناول الصلاة وغيرها من أنواع العبادات التي يقصد بها التعظيم لأمر الله فقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ٧٧] ثم كلفهم بما يتناول خدمة المعبود وتعظيم أمره ويتناول الإحسان إلى خلقه الذي هو عبارة عن الشفقة على خلق الله تعالى من أفعال الخير كصلة الرحم ومكارم الأخلاق، فكأنه تعالى قال: كلفتم بالصلاة ثم كلفتم بما هو أعم منها وهو العبادة ثم كلفتم بما هو أعم منها وهو الخيرات والفلاح الظفر بنعيم الآخرة، وذكره الله تعالى بكلمة الترجي لأن الإنسان قلما يخلو في أداء ما كلف به من التقصير فليس هو على تيقن في خروجه من عهدة ما كلف به حتى يتيقن بترتيب الثواب الموعود لمن أتى به. ثم كلفهم رابعًا بأن يجاهدوا في الله حق الجهاد أي جهادًا فيه ولأجله. وانتصابه على المصدر فحذفت كلمة «في» وأضيفت كلمة الجهاد إلى الضمير على طريق الاتساع كما في قوله:

ويوم شهدناه سليما

من حيث إن الإضافة يكفي فيها أدنى ملابسة واختصاص وقد يتحقق كونه حقًا باستغراق الطاقة فيه. وأصل المعنى: جاهدوا في الله تعالى من أجله جهادًا حقًا وتوصيف الجهاد بالحق يفيد أن هناك جهادًا واجبًا، والمطلوب منهم الإتيان بذلك فإذا عكس وأضيف الصفة إلى الموصوف بعد إضافته إلى الله تعالى أفاد إثبات جهاد مختص بالله تعالى، وأن المطلوب القيام بواجبه وشرائطه على وجه التمام والكمال بعد الوسع والطاقة، وهو معنى قوله: وأضيف الحق إلى الجهاد مبالغة فإنه تضاف الصفة إلى الموصوف لتدل على أن المراد به ما هو الكامل في شأنه.

فعكس، وأضيف الحق إلى الجهاد مبالغة كقولك: هو حق عالم. وأضيف الجهاد إلى الضمير اتساعًا أو لأنه مختص بالله من حيث إنه مفعول لوجه الله ومن أجله. ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ اختاركم لدينه ولنصرته. وفيه تنبيه على المقتضى للجهاد والداعي إليه. وفي قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ أي ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم. إشارة إلى أنه لا مانع لهم عنه ولا عذرًا لهم في تركه أو إلى الرخصة في إغفال بعض ما أمرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا أمرتكم بشيء فائتوا منه ما استطعتم». وقيل: ذلك بأن جعل لهم من كل ذنب مخرجًا بأن رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والأروش والديات في حقوق العباد. ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾ منتصبة على المصدر بفعل دلّ عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف أي وسع دينكم توسعة ملة أبيكم، أو على الإغراء أو على الاختصاص. وإنما جعله أباهم لأنه أبو رسول الله ﷺ وهو كالأب لأمته من حيث إنه سبب لحياتهم الأبدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة. أو لأن أكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم. ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ﴾ من قبل القرآن في الكتب المتقدمة. ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ وفي القرآن. والضمير «لله» ويدل عليه أنه قرأ الله «سماكم». أو «لإبراهيم» وتسميتهم مسلمين في القرآن وإن لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل في

قوله: (وفيه تنبيه) يعني أن قوله تعالى: ﴿هو اجتباكم﴾ استئناف لبيان علة الأمر بالجهاد فإن نصرة الدين إنما تكون بجهاد أعدائه. **قوله:** (في إغفال بعض ما أمرهم به) أي في تركه مع ذكره كما يترك المسافر الصوم في السفر، ويترك إتمام الأربع بالقصر، ويترك المتوضىء غسل رجليه ويمسح على الخفين، ومن لم يستطع أن يصلي قائمًا يترك القيام فيها ويصلي قاعدًا ومن لم يستطع ذلك يصلي مومئًا. وعن عمر رضي الله عنه أنه قال: من جاءته رخصة فرغب عنها كلفه الله يوم القيامة أن يحمل مثل تبير حتى يقضي بين الناس. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا اجتمع أمران فأحبهما إلى الله تعالى أيسرهما». وقيل: معنى قوله تعالى: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ ما جعل الله عليكم من حرج إذ المؤمن لا يبتلى من الذنوب بشيء إلا جعل الله تعالى له مخرجًا بعضها بالتوبة، وبعضها برد المظالم وبالقصاص وأرشى الجناية والديات، وبعضها بالكفارات، وليس في دين الإسلام ذنب إلا ويجد العبد فيه سبيلاً إلى الخلاص من العذاب به. **قوله:** (بفعل دلّ عليه مضمون ما قبلها) فإن نفي الحرج وهو حال الضيق يدل على التوسعة فهو مصدر فعل دل عليه مضمون قوله: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ لكن لا بد من تقدير المضاف. ويجوز أن يكون منصوبًا على الإغراء أي الزموا ملة أبيكم واتبعوها. **قوله:** (كان بسبب تسميته من قبل) أي

قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] وقيل: وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته إياكم مسلمين. ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾ يوم القيامة متعلق «بسماكم» ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ بأنه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادًا على عصمته أو بطاعة من أطاع وعصيان من عصى. ﴿وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ بتبليغ الرسل إليهم ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فتقربوا إلى الله بأنواع الطاعات لما خصكم بأنواع الفضل والشرف.

لما كان تسمية الله تعالى هذه الأمة مسلمين بسبب أنه تعالى استجاب دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] وجعلها هذه الأمة صار إبراهيم عليه الصلاة والسلام لكونه سببًا لتسميتهم بذلك في القرآن كأنه سماهم مسلمين في القرآن. **قوله:** (شهيدًا عليكم بأنه بلغكم) الظاهر أنه ليس المراد بشهادته أنه عليه الصلاة والسلام يشهد على المكذبين من أمته بأنه بلغهم لأن الكلام مع المؤمنين لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا﴾ ولقوله تعالى: ﴿سماكم المسلمين﴾ بل المراد بكونه شهيدًا عليكم أنه بلغكم تبليغًا يترتب عليه تصديقكم إياه وقبولكم ما جاء به ليظهر به إسلامكم وعدالتكم، بحيث يقبل الله شهادتكم على منكري تبليغ المرسلين رسالتهم. إلا أن هذه الشهادة في الحقيقة تعديل منه وتزكية لهم وليست شهادة لنفسه حتى يرد أن يقال: شهادته عليه الصلاة والسلام على أمته بأنه بلغهم شهادة لنفسه فكيف تقبل؟ فأجاب بأنها تقبل لكونه معصومًا ويمكن أن يقال: تعديله عليه الصلاة والسلام لأمته لما توقف على تبليغه إياهم ولم يثبت ذلك إلا بشهادته، كان ذلك التعديل في الحقيقة شهادة لنفسه ومع ذلك قبلت لعصمته. ولما كانت شهادته عليه الصلاة والسلام في حق أمته المؤمنين بمعنى التعديل كان الظاهر أن يقال: شهيدًا لكم بدل عليكم، إلا أنه لما كان الرسول عليه الصلاة والسلام كالرقيب المهيمن على أمته عديت بكلمة «على» فإنها قد تستعمل بمعنى اللام كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣] وقال المصنف رحمة الله تعالى عليه في سورة البقرة: روي أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء فيطالبهم الله تعالى ببينة التبليغ وهو أعلم بهم، وإنما هو إقامة حجة على المنكرين، فيؤتى بأمة محمد ﷺ فيشهدون فيقولون الأمم: من أين عرفتم؟ فيقولون: علمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق، فيؤتى بمحمد ﷺ فيسأل عن حال أمته فيشهد بعدالتهم. **قوله:** (لما خصكم) أي الله بهذا الفضل والشرف إشارة إلى أن تفريع قوله تعالى: ﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ بالفاء على قوله تعالى: ﴿هو اجتباكم﴾ وقوله تعالى: ﴿هو سماكم المسلمين﴾ يشعر بعلية ما ذكر سابقًا لوجوب التقرب إليه تعالى عليهم بأنواع الطاعات، وأن تخصيص الصلاة والزكاة بالذكر لكون الأولى أشرف الأعمال البدنية والثانية أشرف الأعمال

﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾ وثقوا به في مجامع أموركم ولا تطلبوا الإعانة والنصرة إلا منه. ﴿هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ ناصركم ومتولي أموركم. ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ هو إذ لا مثل له سبحانه في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا ناصر سواه في الحقيقة. عن النبي عليه الصلاة والسلام: «من قرأ سورة الحج أعطي من الأجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي».

المالية. تم ما يتعلق بسورة الحج والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل. وهذا أوان الشروع فيما يتعلق بسورة المؤمنين وهي مكية.

سورة المؤمنين

مكية وهي مائة وتسع عشرة آية عند البصريين
وثماني عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ قد فازوا بأمانيهم وقد تثبت المتوقع كما أن لما تنفيه وتدل على ثباته إذا دخلت الماضي ولذلك تقربه من الحال. ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم. وقرأ ورش عن نافع «قد أفلح» بإلقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها. وقرىء «أفلحوا»

سورة المؤمنين

مائة وثماني عشرة آية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (وقد تثبت المتوقع) كلمة «قد» سواء دخلت على الماضي أو المضارع تفيد التحقيق وينضاف إليه كونه متوقعًا لمن يخاطبه، وإذا دخلت على الماضي ينضاف إلى هذين المعنيين التقريب من الحال نحو: قد ركب الأمير لمن يتوقع ركوبه أي حقًا قد حصل عن قريب ما كنت تتوقعه من ركوب الأمير، وإذا دخلت على المضارع ينضاف إليهما في الأغلب معنى التقليل نحو: إن الكذوب قد يصدق أي حقًا قد يقع منه الصدق وإن كان قليلاً. وقال البغوي رحمة الله تعالى عليه: «قد» حرف تأكيد. وقال المحققون: «قد» تقرب الماضي من الحال فتدل على أن الفلاح قد حصل لهم وأنهم عليه في الحال وهو معنى قول المصنف رحمة الله تعالى عليه «وتدل على إثباته» أي على تقرره وعدم انتفائه بعد الثبوت وهو الدليل

على لغة: أكلوني البراغيث، أو على الإبهام والتفسير و«أفلح» اجتزاء بالضمة عن الواو و«أفلح» على البناء للمفعول. ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ خائفون من الله متذللون له ملزمون أبصارهم مساجدهم. روي أنه عليه السلام كان يصلي رافعًا بصره إلى السماء، فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وأنه رأى رجلاً يعبث بلحيته فقال: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه» ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ﴾ عما لا يعنيهم من قول وفعل. ﴿مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ لما بهم من الجد ما يشغلهم عنه وهو أبلغ من الذين لا يلهون من وجوه. جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه وإقامة الإعراض مقام الترك، ليدل على بعدهم عنه رأسًا مباشرة وتسببًا وميلاً وحضورًا، فإن أصله أن يكون في عرض غير عرضه. وكذلك قوله:

على أنها لتقريب الماضي من الحال. **قوله**: (على لغة أكلوني البراغيث) أي على أن يكون الواو حرفًا دالاً على أن الفاعل جمع كما أن تاء فعلت دالة على أنه مؤنث وليست ضمير الفاعل، أو على أنه يكون ضميرًا مبهمًا يفسره «المؤمنون». **قوله**: (وأفلح) أي بفتح الهمزة واللام وضم الحاء بغير واو اكتفاء بالضمة عن الواو. **قوله**: (وأفلح على البناء للمفعول) يعني معنى: ادخلوا في الفلاح فيكون من أفلح متعديًا. يقال: أفلحه أي أصاره إلى الفلاح، فيستعمل أفلح لازمًا ومتعديًا. واعلم أنه تعالى أشار إلى أن الفلاح الحقيقي لا يحصل بمطلق الإيمان بل إنما يحصل بالإيمان الحقيقي المقيد بجميع الشرائط التي هي مذكورة في هذه الآية منها كون العبد مؤديًا للصلاة حال كونه ملابسًا للخشوع والخضوع. واختلف في الخشوع؛ منهم من جعله من أفعال القلوب كالخوف والرهبة، ومنهم من جعله من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات، ومنهم من جمع بين الأمرين وهو الأولى. والخاشع في صلاته لا بد أن يحصل له مما يتعلق بالقلب والقالب وجميع ما يدل على ظاهره وباطنه نهاية الخضوع. والتذلل للمعبود إما خشوع الظاهر والقالب. فما يكون بالرأس تنكيسه، وما يكون بالعين تعاميه عن الالتفات، وما يكون بالأذن تذلله للاستماع، وما يكون باللسان القراءة بالحضور، وما يكون باليدين وضع اليمين على الشمال بالتعظيم كالعبيد، وما يكون بالظهر انحناؤه في الركوع مستويًا، وما يكون بالفرج لا يظهر فيه أثر من آثار الخواطر الشهوانية، وما يكون بالقدمين ثباتهما على الموضع وسكونهما عن الحركة التي لا تكون من أفعال الصلاة، وأما خشوع الباطن فخشوع النفس بسكونها عن الخواطر والهواجس وخشوع القلب بملازمة الذكر ودوام الخضوع وخشوع السر بمراقبة المذكور وترك الخطاب إلى المكونات وخشوع الروح باستغراقه في بحر المحبة وفنائه عند تجلّي الجمال والجلال. قال الإمام رحمة الله تعالى عليه: فإن قيل: هل ذلك واجب في الصلاة؟ قلنا: إنه واجب عندنا. ويدل عليه

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلاة ليدل على أنهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية، والتجنب عن

أمور: أحدها قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] والتدبر لا يتصور بدون الوقوف على المعنى وقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] معناه، والله تبارك وتعالى أعلم، أنكم قفوا على عجائبه ومعانيه. وثانيها قوله: ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾ فظاهر الأمر للوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيمًا للصلاة بذكره تعالى. وثالثها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] فظاهره التحريم وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣] تعليل لنهي السكران عن قربان الصلاة، وهو مطرد في الغافل المستغرق المهتم بالدنيا. ورابعها قوله ﷺ: «إنما الصلاة تسكن وتواضع». فكلمة «إنما» للحصر وقوله ﷺ: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله تعالى إلا بعدًا» فصلاة الغافل لا تمنع عن الفحشاء. وقال ﷺ: «كم من قائم حظه من قيامه التعب والنصب». وما أراد به إلا الغافل. وقيل: أجمعت العلماء رضي الله تعالى عنهم على أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها. وروي أنه ﷺ قال: «إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب منها له سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها». يعني لا يقبل من صلاته إلا ما عقل منها. والصلاة وإن لم تقبل التجزي جوازًا وفسادًا إلا أنها تقبل التجزي قبولاً، وبين الأمرين فرق. وعن بشر الحافي أنه قال: من لم يخشع فسدت صلاته. وعن الحسن رضي الله عنه: كل صلاة لا يحصر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع. وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه: من عرف من على يمينه وشماله متعمدًا وهو في الصلاة فلا صلاة له. قال الغزالي: المصلي يناجي ربه كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة له لأنها لا تتحقق، إلا إذا كان اللسان معبرًا عما في القلب من التضرعات. ولا شك أن المقصود من القرآن والأذكار والحمد والثناء والتضرع والدعاء خطاب، والمخاطب هو الله تعالى فإذا كان القلب محجوبًا بحجاب الغفلة وكان غافلاً عن جلال الله تعالى وكبريائه، ثم إن لسانه يتحرك بحكم العادة فإنه بعيد عن القبول. وكذا المقصود من الركوع والسجود ليس إلا تعظيمه تعالى والامتثال لأمره تعالى وإيقاع هذه الأفعال لقصد التعظيم والامتثال لا يمكن مع غفلة القلب عن المعبود والمقصود تعظيمه. ولو جاز أن تكون هذه الأفعال تعظيمًا لله تعالى مع أن القلب غافل عنه، لجاز أن تكون تعظيمًا لصنم بجنبه وهو غافل عنه. ومما يدل على أن الصلاة لا بد فيها من الخشوع والحضور أن الفقهاء اختلفوا فيما ينويه المصلي بالسلام عند الجماعة والانفراد، هل ينوي الحضور أو الغيب والحضور معًا؟ فإذا احتيج إلى التدبر في معنى السلام الذي هو آخر الصلاة احتيج إلى

المحرمات وسائر ما توجب المروءة اجتنابه. والزكاة تقع على المعنى والعين، والمراد الأول لأن الفعل فاعل الحدث لأن المحل الذي هو موقعه، أو الثاني على تقدير مضاف. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾﴾ لا يبذلونها. ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ زوجاتهم أو سرياتهم و«على» صلة «لحافظين» من قولك: احفظ على عنان فرسي، أو حال أي حفظوها في كافة الأحوال إلا في حال التزوج أو التسري، أو لفعل دل عليه غير ملومين. وإنما قال: ما إجراء للمماليك مجرى غير العقلاء إذ الملك

التدبر في معنى التكبير والتسبيح والقراءة الواقعة في أثناء الصلاة. ثم قال: الحضور عندنا ليس شرط الإجزاء بل هو شرط القبول والمراد من الإجزاء أن لا يجب القضاء، والمراد من القبول حكم الثواب، والفقهاء إنما يبحثون عن حكم الإجزاء لا عن حكم الثواب وغرضنا في هذا المقام هذا. ثم قال: هب أن الفقهاء حكموا بأسرهم بجوازه أليس الأصوليون وأهل الورع ضيقوا فيه الأمر؟ فهلا أخذت بالاحتياط؟ فإن بعض العلماء اختار الإمامة فقيل له في ذلك فقال: أخاف إن تركت الفتحة أن يعاتبني الشافعي رحمة الله تعالى عليه، وإن قرأتها مع الإمام يعاتبني أبو حنيفة رضي الله عنه فاخترت الإمامة طالبًا للخلاص من هذا الاختلاف.

قوله: (والزكاة تقع على المعنى والعين) أي تقع على معنى التزكية والعين أي القدر الذي يخرجه صاحب النصاب منه ويدفعه إلى الفقير، فإن أريد بها العين في الآية الشريفة فلا بد من تقدير المضاف أي والذين هم لأداء الزكاة فاعلون. واللام في قوله: ﴿للزكاة﴾ مزيدة في المفعول لتقدمه على عامله ولكون العامل فرعًا. **قوله**: (لا يبذلونها) يعني أن قوله: ﴿حافظون﴾ وإن كان إثباتًا صورة إلا أنه في معنى النفي لأن الحفظ عبارة عن الصون وترك الابتذال يقال: فلان يحفظ نفسه ولسانه أي لا يبذلهما فيما لا يعنيه. والمعنى: والذين هم لفروجهم لا يبذلون إلا على أزواجهم. وإنما احتيج إلى اعتبار تضمين معنى النفي على تقدير أن تكون على صلة لحافظين لأن قوله تعالى: ﴿إلا على أزواجهم﴾ استثناء مفرغ «وذا» لا يكون إلا بعد النفي أو ما في معناه وفعل الحفظ يتعدى بـ «على» باعتبار تضمينه معنى الإمساك والقصر، فإن كلاً منهما يتعدى بـ «على» قال الله تعالى: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧] ويقال: احفظ على عنان فرسي بتضمينه معنى أمسك، ولولا اعتبار التضمين لما عدى بـ «على» فكون كلمة «على» صلة «حافظون» يتوقف على اعتبار التضمين، وجواز الاستثناء المفرغ في الإثبات يتوقف على كونه في معنى النفي. **قوله**: (أو سرياتهم) جمع سرية بضم السين وتشديد الراء والياء جميعًا فعلية من السر وهو الجماع، وهي جارية يطأها المولى للتناسل. والتسري وطء الجارية سرًا أي وطئًا سرًا. والأصل التسرر قلبت الراء الأخيرة ياء كما في: تقضي البازي. **قوله**: (وإنما قال: ما) أي ولم يقل: أو من ملكت مع

أصل شائع فيه وإفراد ذلك بعد تعميم قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣] لأن المباشرة أشهر الملاهي إلى النفس وأعظمها خطرًا. ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾﴾ الضمير «لحافظون» أو لمن دل عليه الاستثناء أي فإن بذلوها لأزواجهم أو إمائهم فإنهم غير ملومين على ذلك. ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ المستثنى ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾ الكاملون في العدوان ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق. ﴿رَاعُونَ ﴿٨﴾﴾ قائمون بحفظها وإصلاحها. وقرأ ابن كثير هنا وفي المعارج «لأمانتهم» على الإفراد لأمن الإلباس أو لأنها في الأصل مصدر. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ يواظبون عليها ويؤدونها في أوقاتها. ولفظ الفعل فيه لما في الصلاة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي. وليس ذلك تكريرًا لما وصفهم به أولاً فإن الخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها. وفي تصدير الأوصاف وختمها بأمر الصلاة تعظيم لشأنها.

﴿أُولَئِكَ﴾ الجامعون لهذه الصفات ﴿هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾﴾ الأحقاء بأن يسموا وراثًا دون غيرهم ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد إطلاقها

أن الإماء عواقل أجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن وعلمهن وامتهانهن في الأعمال الخسيسة كسائر الحيوانات والبهائم، فمن ابتغى أي طلب سوى الزوجات والسراري فأولئك هم الكاملون في العدوان حيث لم ينتفعوا بما وسع الله تعالى عليهم من تزويج الأربع من الحرائر والتسري بما شاء من الجواري. والعدوان الظلم أو مجاوزة ما حده الله تعالى. وفيه دليل على أن الاستمناء باليد حرام وهو قول العلماء رضي الله تعالى عنهم. قال عطاء: سمعت أن قومًا يحشرون وأيديهم حبالى فأظن أنهم هؤلاء. وروي: «أنه تعالى عذب أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم». **قوله:** (لما يؤتمنون عليه) فإن الأمانة والعهد مصدران في الأصل، ثم سمى الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدًا تسمية بالمصدر. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] وقال: ﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٧] وإنما تؤدى الأعيان لا المعاني والمؤتمن عليه لا الأمانة نفسها. **قوله:** (جمعه غير حمزة والكسائي) فإنهما قرآ «على صلاتهم» بالتوحيد، والباقون «صلواتهم» بالجمع قالوا: وحدت أولاً ليفاد الخشوع في جنس الصلاة أي صلاة كانت، وجمعت آخرًا ليفاد المحافظة على أعدادها وهي: الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة والنوافل المروية.

قوله: (الجامعون لهذه الصفات) إشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣] وما بعده من المعطوفات من قبيل عطف الصفة على الصفة مع

تفخيمًا لها وتأكيدًا وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من أعمالهم، وإن كان بمقتضى وعده مبالغة فيه. وقيل: إنهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على أنفسهم لأنه تعالى خلق لكل إنسان منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار. ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ أنث الضمير لأنه اسم للجنة أو لطبقتها العليا. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ﴾ من خلاصة سلت من بين الكدر ﴿مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ متعلق بمحذوف لأنه صفة لسلالة. أو «من» بيانية»، أو بمعنى سلالة لأنها في معنى مسلولة، فتكون «من» ابتدائية كالأولى.

وحدة الذات ومعنى الجمع مستفاد من توسط الواو العاطفة بينها والحصر المستفاد من قوله تعالى: ﴿فأولئك هم الوارثون﴾ من قبيل حصر الكمال وأشار إليه بقوله: «الأحقاء بأن يسموا وراثًا» والوارث هو الباقي بعد فناء المورث والقائم مقامه في الاستعداد بما يستحقه مورثه. فالجامعون لهذه العبارات والأوصاف المذكورة من حيث بقاؤهم بعد فناء أعمالهم التي هي من قبيل الأعراض، بمنزلة الوراث الباقين بعد فناء مورثهم من حيث إن تلك الأعمال أورثتهم ما وعدهم الله تعالى بإزائها من الثواب الجزيل. قوله: (وقيل إنهم يرثون من الكفار) روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه السلام: «ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة ومنزل في النار فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله، وذلك قوله تعالى: ﴿أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ وروي عنه ﷺ أنه قال: «خلق الله تعالى ثلاثة أشياء: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده ثم قال: وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث». قالوا: يا رسول الله قد عرفنا مدمن الخمر فما الديوث؟ قال ﷺ: «هو الذي يقر السوء لأهله». **قوله: (من خلاصة)** يعني أن السلالة ما سل من الشيء أي نزع واستخرج على وجهه التصفية والتخليص من كدره. قال صاحب الديوان: فعالة اسم لما بقي بعد المصدر، فالسلالة ما بقي بعد السل كالنخالة والبراية لما بقيا بعد النخل والبري. وفيها دلالة على القلة فإذا قبضت على الطين بكفك فخرج من بين أصابعك صرفه وخالصه فهي سلالة. وقال أبو عوسجة: السلالة الخالص من كل شيء. وقيل: سمي التراب الذي خلق منه آدم سلالة لأنه سل من كل تربة، وسمي الولد سلالة لأن أصله وهو الماء سل من تحت كل شعرة. فقول صاحب الديوان رضي الله تعالى عنه مخالف لقول غيره. واختار المصنف قول غيره رحمة الله تعالى عليهم. و«من» الأولى ابتدائية متعلقة «بخلقنا» والثانية تبعيضية متعلقة بمحذوف وهو صفة لسلالة أي خلقناه من سلالة كائنة من طين. ويجوز أن تكون الثانية لبيان الجنس كما في قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠] على تقدير أن تكون السلالة هو الطين. **قوله: (أو بمعنى سلالة)** عطف على قوله: «بمحذوف» أي أو «من» الثانية متعلقة بمعنى

والإنسان آدم خلق من صفوة سلت من الطين، أو الجنس فإنهم خلقوا من سلالات جعلت نطفًا بعد أدوار. وقيل: المراد بالطين آدم لأنه خلق منه والسلالة نطفته. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾ ثم جعلنا نسله فحذف المضاف نطفة بأن خلقناه منها، أو ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تأويل الجوهر أو المسلول أو الماء. ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾ مستقر حصين يعني الرحم وهو في الأصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه

السلالة أي من صفوة مسلولة من طين فتكون ابتدائية كالأولى. واختلف أهل التفسير في الإنسان، فقال ابن عباس وعكرمة وقتادة رضي الله تعالى عنهم: المراد آدم عليه الصلاة والسلام فإنه خلق من طين انسل من كل تربة وخلقت ذريته من ماء مهين فقوله تعالى: ﴿ثم جعلناه﴾ مبني على حذف المضاف أي ثم جعلنا نسله. ويحتمل أن يكون ضمير «جعلناه» للإنسان الذي هو آدم على طريق الاستخدام، فإن لفظ الإنسان اسم شامل لآدم عليه الصلاة والسلام ولولده فيراد بالإنسان نفس آدم وبضميره ولد آدم ومثله يسمى استخدامًا في عرف أهل البديع. **قوله**: (أو الجنس فإنهم خلقوا من سلالات) أي من صفوات مسلولة من الماء والطين وهي الأغذية النباتية التي سل منها الفم والأسنان ثم المعدة ثم الكبد ثم الدماغ. وهو إشارة إلى ما ذكره الإمام بقوله: الإنسان إنما يتولد من النطفة وهي إنما تتولد من فضل الهضم الرابع، وذلك إنما يتولد من الأغذية وهي إما حيوانية أو نباتية، والحيوانية تنتهي إلى النباتية والنباتية إنما تتولد من صفوة الأرض والماء، فإن الإنسان بالحقيقة يكون متولدًا من سلالة من طين. ثم إن تلك السلالة بعد أن تواردت عليها أطوار الخلقة وأدوار الفطرة صارت منيًا. قال: وهذا التأويل مطابق للفظ ولا يحتاج فيه إلى التكليفات. ووجه ارتباط هذه الآية بما قبلها أنه تعالى أمر بالعبادات في الآية المتقدمة، ومن المعلوم أن الاشتغال بعبادة الله تعالى لا يصح إلا بعد معرفته تعالى، فلذلك عقبه بذكر ما يدل على وجوده واتصافه بصفات الجلال والوحدانية وذكر من الدلائل أنواعًا: النوع الأول تقلب الإنسان في أطوار الخلقة وهي تسعة أطوار أولها كونه سلالة من طين وآخرها ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ وهذ الجملة أعني قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ جواب قسم محذوف أي والله لقد خلقنا الإنسان. **قوله**: (**بأن خلقناه منها**) لما كان جعل الإنسان نطفة غير معقول إذ المعقول أن تجعل النطفة إنسانًا لم يحمل قوله تعالى: ﴿جعلناه﴾ على معنى صيرناه بل حمله على معنى خلقناه وجعل انتصاب «نطفة» بنزع الخافض. **قوله**: (**أو ثم جعلنا السلالة نطفة**) أي ثم صيرنا الأغذية المسلولة من الطين نطفة، وقوله تعالى: ﴿في قرار﴾ متعلق بمحذوف على أنه صفة لنطفة، ويجوز أن يتعلق «بجعلنا» على أن يكون المراد بالقرار صلب الرجل ويكون ضمير «جعلناه» للسلالة ويكون الجعل بمعنى التصيير، فإن جنس الإنسان

بالقرار. ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ بأن أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء. ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ فصيرناها قطعة لحم. ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ بأن صلبناها. ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ مما بقي من المضغة أو مما أنبتنا عليها مما يصل إليها. واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة. وقرأ ابن عامر وأبو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع. وقرىء بإفراد أحدهما وجمع الآخر ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ هو صورة البدن أو الروح أو القوى ينفخه فيه أو المجموع و«ثم»، لما بيّن الخلقين من التفاوت. واحتج به أبو حنيفة على أن من غصب بيضة فأفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لأنه خلق آخر. ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ فتعالى شأنه في قدرته وحكمته. ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ المقدرين تقديرًا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه.

يخلق من المسلول من طين وذلك المسلول لا يصير نطفة في الصلب إلا بعد زمان. والمراد بالقرار موضع القرار وهو المستقر الذي أريد به الرحم سمي بالمصدر ثم وصف الرحم بالمكانة التي هي صفة للمستقر فيه لأحد معنيين. إما على المجاز كطريق سائر وإنما السائر من فيه، وإما لمكانتها في نفسها لأنها تمكنت في نفسها وجعلت مكينة حصينة محكمة محفوظة وضمن خلق في قوله تعالى: ﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ وما بعده معنى جعل بمعنى التصيير فعدي إلى اثنين كما ضمن جعل معنى خلق فعدي إلى واحد نحو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

قوله: (لتفاوت الاستحالات) فإن خلق نسل آدم من النطفة متراخٍ رتبة وزمانًا عن خلق نفسه من سلالة من طين، وكذا تصيير السلالة متراخٍ رتبة عن خلق الإنسان من تلك السلالة. وكذا الحال في تحويل النطفة علقة بالنسبة إلى خلق نسل آدم من النطفة بخلاف التحويلات الباقية فإنها أمور متعاقبة. **قوله:** (والجمع) أي وجمع العظام في الموضعين. وهو قراءة العامة مع أن لفظ العظم لكونه اسم جنس مغني عن الجمع للدلالة على ما بين أفرادها من الاختلاف في الهيئة والصلابة. **قوله تعالى:** (أحسن الخالقين) نعت الجلالة. ويجوز أن يكون بدلاً من لفظ الجلالة، والأول أولى لأن البدل بالمشتق قليل. ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هو أحسن، والأصل عدم الحذف. ومنع أبو البقاء كونه صفة قال: لأنه نكرة إن أضيف إلى المعرفة لأن المضاف إليه عوض عن كلمة «من» وهكذا جميع باب أفعل «من» وهذا المنع مبني على أحد القولين في أفعل التفضيل إذا أضيف، هل إضافته محضة أو لا؟ والصحيح الأول. قالت المعتزلة: لولا أن يكون غير الله تعالى قد يكون خالقًا لما جاز القول بأنه أحسن الخالقين، كما أنه لو لم يكن في عباده من يحكم ويرحم لم يجز أن يقال

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾ لصائرون إلى الموت لا محالة. ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرىء به. ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ للمحاسبة والمجازاة. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ سبع سمٰوات لأنها طرق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقة، أو لأنها طرق الملائكة والكواكب فيها مسيرها. ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ﴾ عن ذلك المخلوق الذي هو السمٰوات أو عن جميع المخلوقات. ﴿غَافِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ مهملين أمرها بل نحفظها من الزوال والاختلال وندبر أمرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة. ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ بتقدير يكثر نفعه ويقل ضره أو بمقدار ما علمنا من صلاحهم. ﴿فَأَسْكَنَّاهُ﴾ فجعلناه ثابتًا مستقرًا ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ﴾ على إزالته بالإفساد أو التصعيد أو التعميق بحيث يتعذر استنباطه. ﴿لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ كما كنا قادرين على إنزاله. وفي تنكير «ذهاب» إيماء إلى كثرة طرقه

في حقه أنه ﴿أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥] و﴿أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١] وآيات أخرى. والمصنف رحمة الله تعالى عليه أشار إلى جوابهم بتفسير الخالقين بالمقدرين فإن الخلق هو التقدير. قال زهير:

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

أي ولأنت تقدر أمرًا فتمضيه وبعض القوم يقدر ولا يمضي. والآية إنما تكون حجة للمعتزلة إذا كان التقدير مستلزمًا للإيجاد وليس كذلك، والمعنى: أحسنهم خلقًا وتقديرًا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون فيه في قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ﴾ [الحج: ٣٩] وهو القتال لدلالة يقاتلون عليه. **قوله:** (ولذلك) أي ولكون المصير إلى الموت أمرًا ثابتًا لا محالة، ذكر النعت الذي هو للثبوت وهو الصفة المشبهة ولم يذكر ما هو للحدوث وهو اسم الفاعل. وهذه الأطوار التي يتقلب الإنسان فيها لا يقدر عليها غيره تعالى فهي دليل على وجوده وكمال قدرته وعلمه وحكمته. ثم إنه تعالى استدل على ذلك بخلقه السمٰوات بقوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ أي سبع طبقات متطارق بعضها فوق بعض. **قوله:** (مهملين أمرها) إشارة إلى أن المراد بالخلق السمٰوات السبع واللام فيه للعهد وأنه بمعنى المخلوق. بيّن الله تعالى بذلك كمال علمه وحكمته بعدما بيّن قدرته بخلق نفسها، كأنه قيل: خلقناها فوقكم وما كنا عما نحدث وما نجري فيها أو عن حفظها وإمساكها أن تقع عليكم غافلين. ويحتمل أن يكون المراد بالخلق الناس وسائر الحيوانات والمقصود بيان الحكمة في خلقها. كأنه قيل: إنما خلقناها فوقهم لنفتح لهم أبواب

ومبالغة في الإبعاد به، ولذلك جعل أبلغ من قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠] ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ﴾ بالماء ﴿جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا﴾ في الجنات ﴿فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ تتفكهون بها ﴿وَمِنْهَا﴾ ومن الجنات ثمارها وزروعها ﴿تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾ تغذيًا أو ترتزقون وتحصلون معايشكم من قولهم: فلان يأكل

الرزق والبركات عليهم منها وينتفعوا بمنافعها، فنحن لسنا غافلين عنهم وعما يصلحهم. ثم إنه تعالى استدل على ذلك بنزول المطر وكيفية تأثيراته في النبات فقال تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر﴾ أي إنزالاً ملتبسًا بتقدير يكثر نفع ذلك التقدير ويقل ضرره. فقوله: «بقدر» صفة مصدر محذوف، وأما إن كان القدر بمعنى المقدار فحينئذ يكون صفة لقوله ماء والتقدير: لا يقتضي مقيسًا عليه بخلاف المقدار فلذلك أضاف المقدار إلى المقيس عليه، ولم يصف التقدير إليه. واختلف المفسرون رحمة الله تعالى عليهم في أن المراد بالسماء ما هو؟ فذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد بها المظلة الخضراء وأن مياه الأرض كلها نازلة منها وجعل الله تعالى منافع الأرض متصلة بمنافع السماء مع بعد ما بينهما، وبيّن ذلك بأن منشئهما ومدبرهما واحد عالم بذاته. وذهب الآخرون إلى أن المراد بها السحاب وسماه سماء لسموه وارتفاعه والمعنى: إنه تعالى أصعد الأجزاء المائية من البحار إلى السماء حتى صارت عذبة صافية، ثم أنزل تلك المياه لتفرقتها في قعر الأرض. والله تبارك وتعالى أعلم بحقيقة الحال. ثم إنه تعالى امتنّ علينا بإبقاء الماء الذي هو قوام مصالح الدنيا والدين قال تعالى: ﴿وإنا على ذهاب به﴾ أي بالماء لقادرون. وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند، وجيحون وهو نهر بلخ، ودجلة والفرات وهما نهر العراق، والنيل وهو نهر المصر أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل عليه السلام واستودعها الجبال فأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في أصناف معاشهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض﴾ فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله تعالى جبريل عليه الصلاة والسلام ورفع من الأرض القرآن والعلم كله، والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه، وهذه الأنهار الخمسة فيرفع كل ذلك إلى السماء فذلك قوله تعالى: ﴿وإنا على ذهاب به لقادرون﴾ فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد فقد أهلها خيري الدنيا والدين». واعلم أن الماء نعمة في نفسه وهو مع ذلك سبب لحصول نعم أخرى فلا جرم امتنّ الله تعالى أولاً بإنزاله وإبقائه، ثم ذكر ما يحصل به من النعم فقال تعالى: ﴿فأنشأنا لكم به جنات﴾ الآية.

قوله: (أو ترتزقون) تفسير ثانٍ لقوله تعالى: ﴿تأكلون﴾ فإن الأكل حقيقة في ابتلاع

من حرفته. ويجوز أن يكون الضميران للنخيل والأعناب أي لكم في ثمرتهما أنواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه.

﴿وَشَجَرَةً﴾ عطف على «جنات» وقرئت بالرفع على الابتداء أي ومما أنشىء لكم به شجرة. ﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ جبل موسى بين مصر وأيلة. وقيل: بفلسطين. وقد يقال له طور سينين. ولا يخلو من أن يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة أضيف إليها، أو المركب منهما علم له كامرىء القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة، أو التأنيث على تأويل البقعة لا للألف، لأنه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة، أو بالقصر وهو النور، أو ملحق بفعلال كعلباء من السين إذ لا فعلاء بألف التأنيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فإنه فيعال ككيسان، أو فعلاء كصحراء لافعلال إذ ليس في كلامهم. وقرىء بالكسر والقصر. ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ أي تنبت ملتبسة بالدهن ومستصحبة له. ويجوز أن تكون الباء صلة معدية لتنبت كما في قولك: ذهبت بزيد. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب في رواية تنبت وهي إما من أنبت بمعنى نبت كقول زهير:

رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم قطينًا لهم حتى إذا أنبت البقل

المطعوم والتغذي به، ويطلق أيضًا على تحصيل ما ينتفع به الإنسان في تعيشه من المأكل والملبس ونحوهما مجازًا مرسلاً بطريق التعبير عن الشيء باسم معظم ما يقصد منه. **قوله: (ومنع صرفه)** أي منع صرف «سيناء» بكسر السين والمد. وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمر وبخلاف عاصم حمزة والكسائي وابن عامر ويعقوب فإنهم قرأوا «سيناء» بفتح السين والمد، والأعمش بالكسر والقصر وليس في كلامهم فعلاء بكسر الأول وهمزته للتأنيث بل هي للإلحاق بشمراخ وقرطاس، كما في علباء فتكون الهمزة فيها منقلبة عن ياء أو واو لأن الإلحاق لا يكون إلا بهما، فلما وقع حرف العلة متطرفًا بعد ألف زائدة قلب همزة كما في رداء وكساء. **قوله: (أي تنبت ملتبسة بالدهن)** أي وفيها الدهن على أن يكون بالدهن حالاً من فاعل «تنبت». وجوّز كونه مفعولاً به غير صريح لتنبت. ومن قرأ «تنبت» بضم التاء وكسر الباء جعل أنبت بمعنى نبت كما في بيت زهير:

(رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم قطينًا لهم حتى إذا أنبت البقل)

قوله: «رأيت» على لفظ الخطاب. والقطين الخدم والأتباع جمع قاطن أي: رأيت الفقراء والمساكين مقيمين حول بيوتهم لقضاء حوائجهم حتى إذا نبت البقل وظهر الخصب فحينئذ ينتجعون وينقطعون من حولها. ويجوز أن يكون «أنبت» متعديًا حذف مفعوله أي

أو على تقدير تنبت زيتونها ملتبسًا بالدهن. وقرىء على البناء للمفعول وهو كالأول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتثبت بالدهان. ﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ معطوف على الدهن جار على إعرابه عطف أحد وصفي الشيء على الآخر، أي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنًا يدهن به ويسرج منه، وكونه إذا ما يصبغ فيه الخبز أي يغمس فيه للائتدام. وقرىء و«صباغ» كدباغ في دبغ. ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ تعتبرون بحالها وتستدلون بها. ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ من الألبان أو من العلف فإن اللبن يتكون منه. فـ «من» للتبعيض أو للابتداء. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾ في ظهورها وأصوافها وشعورها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾﴾ فتنتفعون بأعيانها ﴿وَعَلَيْهَا﴾ وعلى الأنعام فإن منها ما يحمل عليه كالإبل والبقر. وقيل: المراد الإبل لأنها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فإنها سفائن البر. قال ذو الرمة:

سفينة بر تحت خدي زمامها

تنبت زيتونها وفيه الزيت فقوله تعالى: ﴿بالدهن﴾ على الوجهين في موضع الحال. وفيه وجه ثالث لم يتعرض له المصنف رحمة الله تعالى عليه، وهو أن تكون الباء فيه زائدة في المفعول كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] وقرىء «تنبت بالدهن» بضم التاء وفتح الباء على بناء المفعول من أنبتها الله تعالى وبالدهن حال من المفعول القائم مقام الفاعل أي ملتبسة بالدهن. وفي حرف «تثمر بالدهن». وقرىء «تخرج بالدهن» مضارع خرج وتخرج الدهن مضارع أخرج و«تنبت بالدهان» وهو جمع دهن كرمح ورماح والصبغ والصباغ ما يصبغ به أي يؤتدم سمي الأدام صبغًا لأن الخبز يلون به إن غمس فيه ونحوهما الدبغ والدباغ لما يدبغ به. ثم إنه تعالى لما استدل على وجوده وكمال علمه وقدرته وحكمته بإنزال الماء وإخراج أنواع النبات به، استدل عليه بأنواع الحيوانات أيضًا فقال تعالى: ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾ ثم فصّل ما فيها من وجوه الاعتبار وذكر منها أربعة أوجه: الأول قوله: ﴿نسقيكم مما في بطونها﴾ والمراد جميع وجوه الانتفاع بألبانها ووجه الاعتبار فيها أنها تجمع في الضروع وتتخلص من بين الفرث والدم بإذن الله تعالى، فتستحيل إلى طهارة وإلى لون وطعم موافق للشهوة وتصير غذاء. فمن استدل بذلك على قدرته تعالى وحكمته تكون هذه النعمة في حقه من النعم الدينية، ومن انتفع به في أمر معاشه تكون في حقه من النعم الدنيوية. والثاني قوله تعالى: ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ والثالث قوله تعالى: ﴿تأكلون﴾ أفرد منفعة الأكل بالذكر لكونها انتفاعًا مغايرًا لما سبق من حيث كونها انتفاعًا بأعيانها بعد ذبحها بخلاف المنافع السابقة، فإنها انتفاع بمنافعها الخارجة عن ذواتها وهي حية باقية بأعيانها. ورابعها قوله تعالى: ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾.

فيكون الضمير فيها كالضمير في ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٢)﴾ في البر والبحر ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ إلى آخر القصص مسوق لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاقهم من زوالها. ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ استئناف لتعليل الأمر بالعبادة. وقرأ الكسائي غيره بالجر على اللفظ. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣)﴾ أفلا تخافون أن يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته إلى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها؟ ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ﴾ الأشراف ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ لعوامهم ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي يطلب الفضل عليكم ويسودكم ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أن يرسل رسولاً ﴿لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ رسلاً ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤)﴾ يعنون نوحًا، أي ما سمعنا به أنه نبي، أو ما كلمهم به من الحث على عبادة الله ونفي إله غيره، أو من دعوى النبوة وذلك إما من فرط عنادهم أو لأنهم كانوا في فترة متطاولة.

قوله: (فيكون الضمير فيها كالضمير الخ) أي على تقدير أن يراد بالضمير الإبل خاصة يكون الضمير فيها كالضمير في قوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨] بعد قوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] في كونه راجعًا إلى بعض مدلول المذكور، فإن ضمير «بعولتهن» يرجع إلى بعض «المطلقات» وهو المطلقات طلاقًا رجعيًا، فكذا ضمير «عليها» إن أريد به الإبل خاصة. ثم إنه تعالى لما بيّن دلائل التوحيد أردفها بالقصص كما هو العادة في سائر السور الكريمة، وابتدأ بقصة نوح عليه الصلاة والسلام. قيل: الحكمة في تكرير القصص أن في كل قصة كررها ألفاظًا وفوائد ونكتًا ما ليس في الأخرى، وفي تكريرها تأكيد الحجة وتجديد العظة. أرسله الله تعالى ليدعو الناس إلى عبادة الله تعالى وحده فلما دعاهم إلى ذلك ولم ينفع فيهم الدعاء واستمروا على عبادة غير الله حذرهم بقوله: ﴿أفلا تتقون﴾ لينصرفوا عما هم عليه. ثم إنه تعالى حكى عنهم خمس شبه: الشبهة الأولى قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم﴾ يشارككم فيما بكم من الأوصاف ولو كان رسولاً من الله تعالى لكان معظمًا عنده ومتميزًا عن سائر الخلق بمزيد الدرجة والعزة، فلما لم يكن كذلك علمنا أنه ليس برسول إلا أنه ادّعى الرسالة ليتفضل عليكم أي يطلب الفضل عليكم بدعوى الرسالة وليس كذلك. وبناء التفعل لتكلف ما ليس في الإنسان من الصفة وهو يريد أن يتصف به كالتفقه والتكرم، وبناء التفاعل لتكلف ما ليس في الإنسان من الصفة التي لا يريد كونها فيه كالتعامي والتعارج والتجاهل. والشبهة الثانية قوله تعالى حكاية عنهم أيضًا ﴿ولو شاء الله لأنزل ملائكة﴾ لأن إنزالهم أشد إفضاء إلى المقصود بالنسبة إلى إرسال البشر،

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ أي جنون، ولأجله يقول ذلك ﴿فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ﴾ فاحتملوه وانتظروا ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾ لعله يفيق من جنونه ﴿قَالَ﴾ بعد ما أيس من إيمانهم ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ بإهلاكهم أو بإنجاز ما وعدتهم من العذاب ﴿بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾ بدل تكذيبهم إياي أو بسببه ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ بحفظنا نحفظه أن تخطىء فيه أو يفسده عليك مفسد. ﴿وَوَحْيِنَا﴾ وأمرنا وتعليمنا كيف تصنع. ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بالركوب أو نزول العذاب ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ روي أنه قيل لنوح: إذا فار الماء من التنور اركب أنت ومن معك. فلما نبع الماء منه أخبرته امرأته فركب، ومحله في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة. وقيل: عين وردة بالشام. وفيه وجوه أخر ذكرتها في هود. ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾ فادخل فيها يقال: سلك فيه وسلك

لأن الملائكة لعلو شأنهم وشدة سطوتهم وكثرة علومهم ينقاد الخلق إليهم ولا يشكون في رسالتهم. فلما لم يفعل ذلك علمنا أنه تعالى لم يرسل رسولاً بشرًا. والشبهة الثالثة قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿ما سمعنا بهذا﴾ **أي بنوح وبما تكلم به من الحث على عبادة الله تعالى أو من دعوى الرسالة وهو بشر في آبائنا الأولين فإنهم كانوا لا يعولون في شيء من مذاهبهم إلا على التقليد والرجوع إلى الآباء، فلذلك لم يسلكوا الطريقة بالنظر ولم يبنوا إلا على التقليد. والشبهة الرابعة قوله تعالى حكاية عنهم أيضًا قولهم للعوام:** ﴿إن هو إلا رجل به جنة﴾ **فإنه عليه الصلاة والسلام كان يفعل أفعالاً على خلاف عادتهم فكان الرؤساء يقولون للعوام إنه مجنون فكيف يجوز أن يكون رسولاً؟ والشبهة الخامسة قوله تعالى حكاية عنهم أيضًا** ﴿فتربصوا به حتى حين﴾ **لعله يفيق فيرجع عن قوله أو يموت على جنونه فنستريح منهم.**

قوله: (بحفظنا) يعني أن لفظ الأعين استعير للحفظ تشبيهًا لحفظ الله تعالى إياه بجماعة الحفاظ يكلؤونه بعيونهم، ويسمون أعينًا لكون العين أعظم ما يتوسلون به إلى الحفظ فصاروا بذلك كأنهم عيون بأنفسهم، وكذا الجاسوس يسمى عينًا لذلك. قوله: (وقيل عين وردة) أي قيل: إن محل التنور الذي ينبع منه الماء موضع بالشام يقال له: عين وردة. قال المصنف رحمة الله عليه في سورة هود: وردة من أرض الجزيرة، وقيل: التنور وجه الأرض وأشرف موضع فيها. انتهى كلامه. والمشهور أن أرض الجزيرة في ناحية ديار بكر. والله تبارك وتعالى أعلم. قوله: (يقال سلك فيه) أي دخله بنفسه وسلكه غيره ومنه الآية. ويفرق بينهما بالمصدر يقال: سلكه فيه سلكًا وسلك فيه سلوكًا. قرأ العامة «من كل زوجين اثنين» بالإضافة. وقرأ عاصم في رواية حفص رحمهما الله تعالى بالتنوين. فإن قرىء بالإضافة يكون قوله: «اثنين» مفعول «اسلك» أي اسلك فيها اثنين واسلك فيها أيضًا أهلك، فوجب أن يقدر

غيره. قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢] ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ من كل أمتي الذكر والأنثى واحدين مزدوجين. وقرأ حفص «من كل» بالتنوين أي من كل نوع زوجين اثنين تأكيد ﴿وَأَهْلَكَ﴾ وأهل بيتك أو ومن آمن معك ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ أي القول من الله بهلاكه لكفره وإنما جيء بـ «على» لأن السابق ضار، كما جيء باللام حيث كان نافعًا في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ [الأنبياء: ١٠١] ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالدعاء لهم بالإنجاء ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٢٧)﴾ لا محالة لظلمهم بالإشراك والمعاصي ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد أمره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨)﴾ كقوله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ

مضاف آخر بين المضاف والمضاف إليه ويكون التقدير: من كل أمتي زوجين، إذ لو لم يقدر هذا المضاف لم يستقم المعنى لأنه لو حمل الكلام على ظاهره لزم أن يحمل الزوجان جميعًا لأن الكلام حينئذ بمنزلة أن يقال: احمل من كل زوجين زوجين، واحمل من كل اثنين اثنين. والاثنان المحمولان لا يكونان من اثنين بل هما كل نفس الاثنين فلا يستقيم المعنى إلا بتقدير المضاف، إذ يكون المعنى حينئذ: احمل من كل صنفي الذكر والأنثى فردين من زوجين لئلا ينقطع نسل ذلك الصنف من الحيوان. روي أنه عليه الصلاة والسلام لم يحمل في السفينة إلا ما يلد ويبيض، وأما نحو البق والذباب والدود فلم يحمل منها لأنها إنما تخرج من الطين ولا ينقطع نسلها بأن لا تحمل. **قوله تعالى:** (وأهلك) عطف على قوله: «اثنين» على قراءة الإضافة وعلى قوله: «زوجين اثنين» على قراءة التنوين. والمراد بأهله أهل بيته وهو امرأته وبنوه ونساؤهم واستثنى منه ابنه كنعان وأمه وأهله فإنهم كانوا كافرين. فقال: ﴿إلا من سبق عليه القول منهم﴾ قال تعالى في سورة هود: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠] ولم يذكر في هذه الآية من آمن اكتفاء بدلالة الاستثناء لمن سبق عليه القول من أهل بيته فإنه يدل على أنه تعالى أمر بإدخال جميع من آمن به وإن لم يكن من أهل بيته. وجوّز المصنف رحمة الله تعالى عليه أن يكون المراد بقوله: ﴿وأهلك﴾ جميع من آمن به سواء اتصل به نسبًا أو لم يتصل، فيكون قوله: ﴿إلا من سبق عليه القول﴾ استثناء منقطعًا ولا يخلو عن بعد. وقوله تعالى: ﴿إنهم مغرقون﴾ استئناف لبيان علة نهيه عليه الصلاة والسلام عن الدعاء للذين ظلموا بالإنجاء، فإنه تعالى لما حكم عليهم بالإغراق وأخبر بذلك وجب أن ينهاه عنه أي عن دعاء الإنجاء في حق بعضهم، لأنه تعالى إن أجابه إليه فقد صير خبره الصدق كذبًا وإن لم يجبه إليه كان ذلك تحقيرًا لشأنه عليه الصلاة والسلام. **قوله تعالى:** (فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك) أي

﴿ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأنعام: ٤٥] و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى﴾ في السفينة أو في الأرض ﴿مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ يتسبب لمزيد الخير في الدارين. وقرىء «منزلاً» بمعنى إنزالاً أو موضع إنزال. ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ ثناء مطابق لدعائه أمره بأن يشفعه به مبالغة فيه وتوسلاً به إلى الإجابة، وإنما أفرده بالأمر والمعلق به أن يستوي هو ومن معه إظهارًا لفضله وإشعارًا بأن في دعائه مندوحة عن دعائهم فإنه محيط بهم.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ فيما فعل بنوح وقومه ﴿لَـَٔايَـٰتٍ﴾ يستدل بها ويعتبر أولو الاستبصار والاعتبار ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾ لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم أو ممتحنين عبادنا بهذه الآيات. و«إن» هي المخففة واللام هي الفارقة. ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾﴾

إذا تمكنت فيها معتدلاً متمكنًا تمكن المستوى على الشيء فاحمد الله تعالى على نعمة الإنجاء، عرّفه الله تعالى بأن استواءهم على السفينة سبب لنجاتهم من الغرق ولهلاك الظالمين الذين حرموا من الدخول فيها فأمره بأن يحمده على هذه النعمة. ثم إنه تعالى بعد أن أمره بالحمد على النعمة المذكورة أمره بأن يدعو لنفسه بأن يقول عند النزول في السفينة أو من السفينة إلى الأرض ﴿رب أنزلني منزلاً مباركًا﴾ والاحتمال الأول أظهر لأنه أمر بهذا الدعاء حال استقراره في السفينة فتكون هي المنزل دون غيرها. **قوله:** (وقرىء منزلاً) أي بضم الميم وفتح الزاي وهي قراءة من عدا أبا بكر، وأما هو فقد قرأ بفتح الميم وكسر الزاي. وهو يحتمل أن يكون اسمًا لمكان النزول وأن يكون مصدرًا ميميًا بمعنى النزول على إقامة مصدر الثلاثي مقام مصدر الرباعي كما في قوله تعالى: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧] والمنزل بضم الميم أيضًا يحتمل أن يكون اسم مكان الإنزال وقوله تعالى: ﴿وأنت خير المنزلين﴾ ثناء على الله تعالى بعد دعائه وأمره الله تعالى بأن يشفع الدعاء المذكور به مبالغة فيه، لأن ثناء المحتاج على الغني الكريم يغني غناء السؤال ويقوم مقامه وإذا شفع السؤال به يؤكده ويقويه.

قوله: (وإنما أفرده بالأمر) أي حيث قال تعالى: ﴿فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون: ٢٨] ولم يقل «فقولوا» مع أنه المناسب لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨] لأن معناه فإذا استويتم. **قوله:** (إظهارًا لفضله) لأن الأمر خطاب من الآمر مع المأمور. ولا شك أن كون العبد مخاطبًا لله تعالى خطاب الإرشاد والتعليم غاية الشرف والفضل له ولا يليق به إلا ملك مقرب أو نبي مكرم، فلذلك أفرد نوح عليه الصلاة والسلام بالأمر إظهار الفضلة. وأيضًا لما كان نبيًا لهم وإمامًا وكانوا أتباعًا له داخلين في حكمه كان قوله في حكم قولهم ودعاؤه في حكم دعائهم، فكان إفراده بالأمر إشعارًا بذلك من حيث كونه متولي أمورهم وأن ولايته محيطة بهم. **قوله:** (وإن هي المخففة) أي من الثقيلة.

هم عاد أو ثمود ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هو هود أو صالح. وإنما جعل القرن موضع الإرسال ليدل على أنه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وإنما أوحي إليه وهو بين أظهرهم. ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ تفسير «لأرسلنا» أي قلنا لهم على لسان الرسول: اعبدوا الله. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾ عذاب الله ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ لعله ذكر بالواو لأن كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف قول نوح. وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال. ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب أو بمعادهم إلى الحياة الثانية بالبعث. ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾ ونعمناهم. ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بكثرة الأموال والأولاد ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ في الصفة والحال ﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ

والمعنى: وإن الشأن والقصة كنا مبتلين أي مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم أو مختبرين ممتحنين عبادنا بهذه الآيات ليظهر من يعتبر ويذكر، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥]. **قوله:** (هم عاد) **أي قوم هود. ويشهد لهم مجيء قصة هود على أثر قصة نوح في سورة الأعراف وهود والشعراء، وما أخبر الله تعالى به من قوله ولقومه:** ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: ٦٩] **وقيل: هم قوم صالح استدلالاً بما يعقبه من ذكر الصيحة التي ذكرت في قصة ثمود، فإن قوم هود أهلكوا بالريح العقيم لقوله تعالى:** ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦]. **قوله:** (وإنما جعل القرن موضع الإرسال) **إشارة إلى أن كلمة «في» في قوله تعالى:** ﴿فأرسلنا فيهم رسولاً﴾ **ليست صلة للإرسال لأنه يتعدى «بإلى» بل هي للظرفية، وبين أن القرن في موضع الإرسال قطع أرسلنا عن صلته وجعله مطلقًا عن التعلق بالمرسل إليه على طريق تعلق الفعل بالمفعول به. ثم عدي الفعل إليه بـ «في» مبالغة وجعل ظرفًا للفعل كقوله تعالى:** ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ [الأحقاف: ١٥] **فإن قوله: «ذريتي» اقتطع عن كونه مفعولاً به، وذهب به إلى كونه ظرفًا لأصلح أي اجعل ذريتي موضعًا للصلاح وكذا قوله: بجرح في عراقيبها نصلي.** **قوله:** (لعله ذكر بالواو) **أي ذكر قول الملأ في جواب هذا الرسول بالواو، وذكر في جواب نوح عليه الصلاة والسلام بالفاء. لعل الوجه فيه أن كلام الملأ الثاني لم يتصل بكلام الرسول أي لم يقع عقيب كلامه حتى يعطف عليه بفاء التعقيب، بل اجتمع في الحصول قولهم الباطل وكلامه الحق فعطف عليه بالواو للدلالة على اجتماعهما في الوجود.** **قوله:** (وحيث استؤنف به) **جواب عما يقال: ذكر الله تعالى جواب قوم هود له في سورة الأعراف وفي سورة هود بغير واو، وهو قوله:** ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: ٦٦] **وقوله قالوا:** ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ [هود: ٢٧] **وذكره ههنا بالواو فأي فرق بينهما؟ وتقرير الجواب ظاهر.**

مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣)﴾ تقرير للمماثلة. و«ما» خبرية والعائد إلى الثاني منصوب محذوف أو مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ فيما يأمركم ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (٣٤)﴾ حيث أذللتم أنفسكم. و«إذا» جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومه. ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ مجردة عن اللحوم والأعصاب ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ (٣٥)﴾ من الأجداث أو من العدم تارة أخرى إلى الوجود. و«إنكم» تكرير للأول أكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره أو «إنكم مخرجون» مبتدأ خبره الظرف المقدم، أو فاعل للفعل المقدر جوابًا للشرط. والجملة خبر الأول أي إنكم إخراجكم إذا متّم أو إنكم إذا متّم وقع إخراجكم. ويجوز أن يكون خبر الأول محذوفًا لدلالة خبر الثاني عليه لا أن يكون الظرف لأن اسمه جنة ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ بعد التصديق أو الصحة ﴿لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦)﴾ أو بعد ما توعدون،

قوله: (وما خبرية) أي موصولة والعائد في قوله: «ما تشربون» إما منصوب والتقدير: تقربونه أو مجرور أي تشربون منه. **قوله**: (أو إنكم مخرجون مبتدأ) مؤول بمصدر مرفوع على الابتداء والظرف المقدم خبره، والجملة خبر «إنكم» الأولى والتقدير: أيعدكم أنكم إخراجكم كائن أو مستقر وقت موتكم. **قوله**: (أو فاعل) عطف على قوله مبتدأ أي ويحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿إنكم مخرجون﴾ مؤولاً بمصدر مرفوع على أنه فاعل فعل مقدر، وذلك الفعل المقدر جواب «إذا» الشرطية و«إذا» الشرطية وجوابها المقدر خبر «لأنكم» الأولى والتقدير: أيعدكم أنكم إذا متم وقع إخراجكم، فكلمة «إذا» على الوجهين الأولين ظرفية وعلى هذا الوجه شرطية. **قوله**: (ويجوز أن يكون خبر الأول محذوفًا) والتقدير: أيعدكم أنكم إذا متم مخرجون، وهذا المقدر هو العامل في الظرف، و «أن» الثانية وما في حيزها بدل من الأولى. **قوله**: (لا أن يكون الظرف) أي لا يجوز أن يكون خبر الأولى لظرف «لأن» اسم الأولى جثة والظرف لا يكون خبرًا عن الجثة وإنما يكون خبرًا عن الحدث، والأظهر هو الوجه الأول وهو أن يكون خبر «أن» الأولى هو «مخرجون» وهو العمل في «إذا» وكررت الثانية تأكيدًا لما طال الفصل. فإن قيل: ما في حيز «إن» لا يعمل فيما قبلها فكيف تقول: إن عامل الظرف في الوجه الأول هو «مخرجون» قلنا: مخرجون ليس في حيز «أن» الثانية بل في حيز الأولى والثانية إنما جيء بها لمحض التأكيد، ولا يجوز أن يكون العامل في «إذا متم» لأنه مضاف إليه فلا يعمل في المضاف. **قوله**: (بعد التصديق) يعني أن «هيهات» اسم لفعل لازم وهو بعد فلا بد له من فاعل مرفوع. وأشار المصنف رحمة الله عليه إلى أن فاعله مضمر يتعلق به قوله: ﴿لما توعدون﴾ أي هيهات الصحة والتصديق لما توعدون، وكرر هيهات للتأكيد. **قوله**: (أو بعدما توعدون واللام للبيان) أي بيان المستبعد وهو بيان لحاصل

واللام للبيان كما في: هيت لك كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل: فما له هذا الاستبعاد؟ قالوا: لما توعدون. وقيل: «هيهات» بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره «لما توعدون» وقرىء بالفتح منونًا للتنكير، وبالضم منونًا على أنه جمع هيهة، وغير منون تشبيهًا بقبل، وبالكسر على الوجهين، وبالسكون على لفظ الوقف وبإبدال التاء هاء.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أصله أن الحياة إلا حياتنا الدنيا، فأقيم الضمير مقام الأولى لدلالة الثانية عليها حذرًا من التكرير وإشعارًا بأن تعيينها مُغْنٍ عن التصريح بها كقوله:

هي النفس ما حملتها تتحمل

ومعناه لا حياة إلا هذه الحياة الدنيا لأن «أن» نافية دخلت على «هي» التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل «لا» التي تنفي ما

المعنى، لأن ما «توعدون» المذكور لا يكون فاعل «هيهات» على تقدير كون اللام للبيان بل يكون فاعله ضميرًا مبهمًا مفسرًا بقوله: ﴿ما توعدون﴾ كما في: ربه رجلاً.

قوله: (وقيل هيهات بمعنى البعد) فإن قيل: إذا لم يكن «هيهات» اسم فعل واقعًا موقع بعد كيف يكون مبنيًا على الفتح؟ قلنا: إنه في الأصل اسم فعل وإن استعمل ههنا بمعنى المصدر، وهذا القدر كاف في بنائه. وقيل: الذي أوجب بناءه شبهه بالأصوات. **قوله:** (وقرىء بالفتح منونًا للتنكير) والفرق بين المنون وغير المنون على تقدير كونه اسم فعل كالفرق بين قولك: صه وصه ومه ومه في أن تقديرهما في الأول أفعل السكوت والكف، وفي الثاني أفعل سكوتا وكفا. روي عن الزجاج رضي الله تعالى عنه أنه قال في تفسير «هيهات» البعد لما توعدون فيمن لم ينون، وبعد لما توعدون فيمن ينون فنزل منزلة المصدر معرفًا ومنكرًا. قيل: هيهات بالفتح لفظ مفرد وتاؤها للتأنيث مثلها في ظلمة وعرفة، ولذلك يقلبها الواقف هاء فيقول: هيهاه، وألفها مقلوبة عن ياء لأن أصلها هيهية كزلزلة وأما المكسورة فجمع المفتوحة وأصله هيههيات فحذفت اللام التي هي الياء الثانية والوقف عليها بالتاء كمسلمات. وقيل: من نون اعتقد تنكيرها وتصور معنى المصدر النكرة كأنه قيل: بعدًا بعدًا، ومن لم ينون اعتقد تعريفها وتصور معنى المصدر المعرفة كأنه قيل: البعد البعد، فجعل التنوين دليل التنكير وعدمه دليل التعريف ولا يوجد تنوين التنكير إلا في نوعين: أسماء الأفعال وأسماء الأصوات وليس بقياسي يعني أنه ليس لك أن تنون منها ما شئت بل ما سمع تنوينه اعتقد تنكيره. وقيل: من فتح في القراءة المتقدمة فللخفة، ومن كسر فعلى أصل التقاء الساكنين، ومن ضم فشبه بقبل وبعد، ومن سكن فلأن أصل البناء السكون، ومن وقف بالهاء فاتباعًا للرسم، ومن وقف بالتاء فعلى الأصل سواء كسرت التاء أو فتحت لأن الظاهر أنهما

بعدها نفي الجنس. ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ يموت بعضنا ويولد بعض. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧)﴾ بعد الموت ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما هو ﴿إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فيما يدعيه من إرساله له أو فيما يعدنا من البعث ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨)﴾ بمصدقين ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي﴾ عليهم وانتقم لي منهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩)﴾ بسبب تكذيبهم إياي ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ عن زمان قليل. و«ما» صلة لتأكيد معنى القلة أو نكرة موصوفة ﴿لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ (٤٠)﴾ على التكذيب إذا عاينوا العذاب. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ صيحة جبريل صالح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا. واستدل به على أن القرن قوم صالح ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالوجه الثابت الذي لا دافع له أو بالعدل من الله كقولك: فلان يقضي

سواء وإنما ذلك من تغير اللغات. **قوله:** (يموت بعضنا ويولد بعض) أي ليس المراد موت شخص واحد وحياته لأنه يستلزم القول بالإعادة والبعث وهم بصدد إنكاره. ثم إنهم لما فرغوا من الطعن في صحة الحشر بنوا عليه الطعن في نبوته عليه الصلاة والسلام فجعلوه مفتريًا على الله تعالى فيما يدعيه من الرسالة وفيما يعدهم من الحشر والحساب فقالوا: ﴿إن هو إلا رجل افترى على الله كذبًا﴾ ثم إنه عليه الصلاة والسلام لما آيس من إيمانهم دعا الله تعالى فقال: ﴿رب انصرني﴾ الآية. **قوله:** (وما صلة) ذكر في كلمة «ما» وجهين: أحدهما أنها مزيدة بين الجار والمجرور كما زيدت بعد الباء في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وبعد «من» في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٢] وأن «قليل» صفة لمحذوف أي زمان قليل. وثانيهما أنها غير زائدة بل هي نكرة بمعنى شيء أو زمان و«قليل» صفتها والجار متعلق بقوله: ﴿ليصبحن﴾ أي ليصبحن عن زمان قليل نادمين على قول من يجوّز تقديم معمول ما بعد لام القسم عليها. ومن لم يجوّز ذلك يقول: إنه متعلق بمحذوف تقديره: ننصرك عما قليل حذف لدلالة ما قبله عليه وهو قوله: ﴿رب انصرني﴾ فالفراء يجوّز تقديم معمول ما بعد لام القسم عليها مطلقًا، وجمهور البصريين يمنع ذلك مطلقًا. وذهب بعض النحاة إلى التفصيل بين الظرف وعديله وبين غيرهما فجوّزه فيهما للاتساع، ومنع في غيرهما فلا يجوز في: والله لأضربن زيدًا أن يقال: زيدًا لأضربن لأنه غير الظرف وعديله. **قوله:** (واستدل به على أن القرن قوم صالح) فإن المشهور في قصتهم أن جبريل عليه الصلاة والسلام صاح بهم صيحة عظيمة فماتوا جميعًا، وأما عاد قوم هود فقد قال الله تعالى في حقهم: ﴿فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦] وإن كان المراد بالقرن قوم هود كما قيل، فقد روي في قصة عاد أنهم لما خرجوا مع شداد عازمين على دخول إرم ذات العماد التي بناها وبلغوا منها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليه وعلى من كان معه من قومه صيحة من السماء فأهلكتهم أجمعين. رواه سفين عن منصور عن أبي وائل

بالحق أو بالوعد الصدق. ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ شبههم في دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب: سال به الوادي لمن هلك. ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ يحتمل الإخبار والدعاء و«بعدا» مصدر بعد إذا هلك، وهو من المصادر التي تنصب بأفعال لا يستعمل إظهارها. واللام لبيان من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل. ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ يعني قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ الوقت الذي حد لهلاكها. و«من» مزيدة للاستغراق ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ الأجل ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ متواترين واحدًا بعد واحد من الوتر وهو الفرد. والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور، والألف للتأنيث لأن الرسل جماعة. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتنوين على أنه مصدر بمعنى المتواترة وقع حالاً. ﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ أضاف الرسول مع الإرسال إلى المرسل ومع المجيء إلى المرسل إليهم، لأن الإرسال الذي هو مبدأ الأمر منه والمجيء الذي هو منتهاه إليهم ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ في الإهلاك ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لم يبق منهم إلا

عن كعب رضي الله تعالى عنهم. وقيل: المراد بالصيحة العذاب المستأصل وهو الريح العقيم ههنا. قال الشاعر:

صاح الزمان فنال قومك صيحة   خروا لشدتها على الأذقان

قوله: (شبههم في دمارهم بغثاء السيل) فإن أخص أوصاف الغثاء أن يذهب به السيل فلا يظفروا به أبدًا فشبهوا به تشبيهًا بليغًا في ذلك. والجعل ههنا بمعنى التصيير و «غثاء» مفعوله الثاني. **قوله:** (متواترين) إشارة إلى أن «تترى» منصوب على أنه حال من «أرسلنا» أي واحدًا بعد واحد أو متتابعين، على حسب الاختلاف في معناه، فعن الأصمعي أن معناه واحدًا بعد واحد بينهما مهلة، وقال غيره: هي من المواترة وهي التتابع من غير مهلة. وقال الراغب: التواتر تتابع الشيء وترادفه. قيل: إنه مصدر واقع موقع الحال وألفه للتأنيث كألف دعوى لأن الرسل جماعة. **قوله:** (كتولج وتيقور) أصلهما وولج وويقور على فيعول. التولج كناس الوحش الذي يلج فيه، والتاء مبدلة من الواو وهو فوعل لأنك لا تجد في الكلام تفعل اسمًا وفوعل كثير. والتيقور بمعنى الوقار والتاء مبدلة من الواو. **قوله:** (لأن الإرسال منه والمجيء إليهم) يعني أن الإضافة وإن كانت للملابسة وأن الرسول يلابس المرسل والمرسل إليه جميعًا، إلا أنه روعيت ملابسة المرسل مع فعل الإرسال وملابسة المرسل إليه مع فعل المجيء لكون الإرسال منه والمجيء إليهم. **قوله تعالى:** (وجعلناهم أحاديث) أي أخبارًا يسمر بها ويتعجب منها. أي بلغ إهلاكهم مبلغًا صاروا معه أخبارًا ولم ير منهم عين ولا أثر ولم يبق منهم إلا الحديث الذي يذكر ويعتبر به.

حكايات يسمر بها. وهو اسم جمع للحديث أو جمع أحدوثة وهي ما يتحدث به تلهيًا. ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (٤٤) ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بالآيات التسع ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٤٥)﴾ وحجة واضحة ملزمة للخصم. ويجوز أن يراد به العصا وإفرادها لأنها أول المعجزات وأمها تعلقت بها معجزات شتى: كانقلابها حية وتلقفها ما أفكته السحرة، وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها بها، وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوًا. وأن يراد به المعجزات وبالآيات الحجج، وأن يراد بهما المعجزات فإنها آيات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبي. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن الإيمان والمتابعة ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ (٤٦)﴾ متكبرين.

﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ ثنى البشر لأنه يطلق للواحد كقوله: ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧] كما يطلق للجمع كقوله: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ [مريم: ٢٦] ولم يثن المثل لأنه في حكم المصدر. وهذه القصص كما ترى تشهد بأن قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الأنبياء على أحوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة، وفساده يظهر للمستبصر بأدنى تأمل فإن النفوس البشرية وإن تشاركت في أصل القوى والإدراك لكنها متباينة الإقدام فيهما، وكما ترى في جانب النقصان أغبياء لا يعود عليهم الفكر برادة يمكن أن يكون في طرف الزيادة أغبياء عن التعلم والتفكر في أكثر الأشياء وأغلب الأحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي إليهم علمهم. وإليه أشار بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] ﴿وَقَوْمُهُمَا﴾ يعني بني إسرائيل ﴿لَنَا عَٰبِدُونَ (٤٧)﴾ خادمون منقادون كالعباد ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ (٤٨)﴾ بالغرق في بحر قلزم ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ لعل بني إسرائيل. ولا يجوز عود الضمير إلى فرعون وقومه لأن التوراة نزلت بعد إغراقهم ﴿يَهْتَدُونَ (٤٩)﴾ إلى المعارف والأحكام ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ بولادتها إياه من غير مسيس. فالآية أمر واحد مضاف إليهما أو جعلنا ابن مريم آية بأن تكلم في المهد وظهر منه معجزات أخر «وأمه آية» بأن ولدت من غير مسيس فحذفت

قوله: (لأنه في حكم المصدر) حيث يوصف به الواحد والجمع والاثنان والمذكر والمؤنث كغير. قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] وقال: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: ٣٨]. **قوله:** (**لا يعود عليهم الفكر برادة**) أي بفائدة وعائدة يقال: هذا الأمر لا رادة له أي لا عائدة له ولا فائدة. وفي بعض النسخ بزيادة وهو قريب من الأول. **قوله:** (بولادتها إياه من غير مسيس) يعني أنه تعالى جعل عيسى عليه الصلاة والسلام آية بأن خلقه من غير ذكر وأنطقه في المهد في الصغر، وأجرى على يده

الأولى لدلالة الثانية عليها. ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ أرض بيت المقدس فإنها مرتفعة أو دمشق أو رملة فلسطين أو مصر، فإن قراها على الربى. وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء. وقرىء «رباؤه» بالضم والكسر. ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ مستقر من أرض منبسطة. وقيل: ذات ثمار وزروع فإن ساكنيها يستقرون فيها لأجلها. ﴿وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾ وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء إذا جرى، وأصله الإبعاد في المشي. أو من الماعون وهو المنفعة لأنه نفاع، أو مفعول من عانه إذا أدركه بعينه لأنه لظهوره مدرك بالعيون. وصف ماؤها بذلك لأنه الجامع لأسباب التنزه وطيب المكان. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ نداء وخطاب لجميع الأنبياء لا على أنهم خوطبوا بذلك دفعة لأنهم أرسلوا في

إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى. وجعل مريم أيضًا آية بأن حملته من غير ذكر. وقال الحسن رضي الله تعالى عنه: تكلمت مريم في صغرها حيث قالت: هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، ولم تلتقم ثديًا قط وذلك إما معجزة لزكريا عليه الصلاة والسلام أو كرامة لمريم أو إرهاص لعيسى عليه الصلاة والسلام. إلا أنه تعالى أفرد «آية» ولم يقل: آيتين لأنه لم يرد أن كل واحد منهما آية على حدة بل المراد بيان أنهما آية واحدة من جهة الولادة، لأنه عليه الصلاة والسلام ولد من غير ذكر وولدته أمه من غير أن يمسها ذكر فاشتركا جميعًا في هذا الأمر العجيب الناقض للعادة فهو أمر واحد مضاف إليهما فلذلك أفرد آية. **قوله تعالى**: (وآويناهما) أي جعلناهما يأويان إلى ربوة ويتخذانها مأوى لهما. والربوة المكان المرتفع بالحركات الثلاث في الراء، ومثلها الرباوة بالكسر والضم. قيل: هي أرض بيت المقدس وهي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً. **قوله**: (**مستقر من أرض منبسطة**) فسر القرار بالمستقر وهو موضع الاستقرار. ثم بيّن المستقر بقوله: «من أرض منبسطة» أي مستوية تصلح لاستقرار المستقرين فيها. ثم قيل: إن المراد بكون الربوة ذات قرار أنها ذات ثمار وماء. فعلى هذا تكون كناية لأن كون الموضع ذا ثمار وماء يستلزم كونه مستقرًا للمستقرين، فأطلق اللازم وهو كونها ذات قرار أي ذات مستقر وأريد الملزوم وهو كونها ذات ثمار وماء. فعلى هذين الوجهين القرار بمعنى المستقر، ولكن الوجه الثاني بطريق الكناية والوجه الأول بطريق التصريح أي من غير كناية. **قوله**: (**فعيل من معن الماء أو مفعول من عانه**) يعني اختلف في أن ميم «معين» هل هي زائدة؟ وأصله معيون أي مبصر بالعين فاعل إعلال مبيع يقال: عانه إذا أدركه بعينه كما يقال: رأسه إذا أصاب رأسه وكبده إذا ضرب كبده، و «معين» في الآية الكريمة صفة موصوف محذوف أي وماء معين. مدح الربوة بأن ماءها جار ظاهر على وجه الأرض بحيث يدرك بالعيون. وقيل: ميمه أصلية ووزنه فعيل مشتق من المعن وهو الجري مع الإسراع والإبعاد يقول: معن الفرس إذا تباعد في عدوه،

أزمنة مختلفة، بل على معنى أن كلاً منهم خوطب به في زمانه فيدخل تحته عيسى دخولاً أوليًا فيكون ابتداء كلام ذكر تنبيهًا على أن تهيئة أسباب التنعم لم تكن له خاصة، وأن إباحة الطيبات للأنبياء شرع قديم واحتجاجًا على الرهبانية في رفض الطيبات. أو حكاية لما ذكر لعيسى وأمه عند إيوائهما إلى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا. وقيل: النداء له ولفظ الجمع للتعظيم. والطيبات ما يستلذ من المباحات، وقيل: الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه، والصافي ما لا ينسى الله فيه. والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل. ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ فإنه المقصود منكم والنافع عند ربكم. ﴿إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾﴾ فأجازيكم عليه ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ أي ولأن هذه والمعلل به فاتقون

وأمعن بحق فلان إذا ذهب به، ورجل معين في حاجته أي مسرع في طلبها، فكله راجع إلى معنى الجري والسرعة. وقيل: إنه مشتق من الماعون الذي يتعاونه الناس في العادة كالفأس والقدر. الجوهري: الماعون اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس ونحوهما ويسمى الماء ماعونًا قال الشاعر:

يمج صبيره الماعون صبًا

أي الماء. والصبير السحابة البيضاء. والماعون في الجاهلية كل منفعة وعطية، وفي الإسلام الطاعة والزكاة. والمنفعة موضع النفع وهو ما ينتفع به كالمأسدة والمسبعة فإنهما اسمان لموضع الأسد والسبع. وقيل: المعن السهل الذي ينقاد ولا يتعاصى، والماعون ما سهل على معطيه. قيل: سبب إيوائهما إلى ربوة أنها فرت بابنها عيسى عليه الصلاة والسلام إلى الربوة وبقيت بها اثنتي عشرة سنة، وإنما ذهب بها ابن عمها يوسف ثم رجعت إلى أهلها بعدما مات ملكهم. وههنا آخر القصص. ولما ختمها ببيان أن الله تعالى هيأ لعيسى عليه السلام أسباب النعم بيّن لرسول الله ﷺ أن إباحة الطيبات لم تكن في حقه عليه الصلاة والسلام خاصة بل هي شرع قديم نودي وخوطب بها كل نبي في زمانه ليعلم السامع أن أمرًا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه. وليس ﴿يا أيها الرسل﴾ خطابًا مع كل الرسل دفعة لأن ذلك غير ممكن بناءً على أنهم أرسلوا في أزمنة مختلفة فلا يمكن توجيه الخطاب إليهم جميعًا دفعة. **قوله: (أو حكاية لما ذكر لعيسى عليه الصلاة والسلام وأمه)** عطف على قوله: «بل على معنى أن كلاً منهم خوطب به في زمانه» من حيث المعنى فإن المراد منه أن هذا الكلام ألقي على رسول الله ﷺ لا على وجه الحكاية، وإنما ألقي عليه ابتداء تنبيهًا له عليه الصلاة والسلام على أن تهيئة أسباب النعم لم تكن له خاصة، ثم جوّز أن يكون ذلك على وجه الحكاية كأنه قيل: وآويناهما إلى ربوة وأعلمناهما أنّا نادينا كل رسول في زمانه وخاطبناه. **قوله: (أي ولأن هذه)** قرأ ابن عامر وحده «وأن هذه» بفتح الهمزة

أو اعلموا أن هذه. وقيل: إنه معطوف على «ما تعملون». وقرأ ابن عامر بالتخفيف. والكوفيون بالكسر على الاستئناف. ﴿أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ملتكم ملة واحدة أي متحدة في العقائد وأصول الشرائع أو جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الإيمان والتوحيد في العبادة ونصب «أمة» على الحال. ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ في شق العصا ومخالفة الكلمة.

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ فتقطعوا أمر دينهم وجعلوه أديانًا مختلفة أو فتفرقوا وتحزبوا. و«أمرهم» منصوب بنزع الخافض أو التمييز، والضمير لما دل عليه الأمة من أربابها أولها. ﴿زُبُرًا﴾ قطعًا جمع زبور الذي بمعنى الفرقة. ويؤيده القراءة بفتح الباء فإنه جمع زبرة وهو حال من أمرهم، أو من الواو أو مفعول ثانٍ «لتقطعوا» فإنه متضمن معنى جعل. وقيل: كتبًا من زبرت الكتاب فيكون مفعولاً ثانيًا أو حال من «أمرهم» على تقدير

وتخفيف النون، والكوفيون بكسرها وتثقيلها، والباقون بفتحها والتثقيل. وذكر المصنف رحمه الله تعالى في توجيه قراءة الباقين ثلاثة أوجه: الأول أنها مبنية على حذف لام التعليل أي و «لأن هذه». والثاني أن في الكلام حذفًا تقديره: واعلموا أن هذه أمتكم. والثالث أنها معطوفة على قوله: «ما تعملون» أي إني عليم بما تعملون وبأن هذه أمتكم. وعلى قراءة ابن عامر «أن هي» المخففة من الثقيلة ولا بد من التوجيه بأحد الوجوه الثلاثة المذكورة في توجيه «أن» المثقلة.

قوله: (أي متحدة في العقائد وأصول الشرائع) جواب عما يقال: إذا كانت شرائعهم مختلفة فكيف تكون ملتهم واحدة؟ **قوله**: (في شق العصا) أي مفارقة الجماعة يقال: شق فلان العصا أي فارق الجماعة. **قوله**: (وجعلوه أديانًا) كاليهودية والنصرانية ونحوهما. وبناء تفعل قد يكون متعديًا نحو تقدمه ومنه تقطع، ولذلك فسره الجوهري رحمة الله تعالى عليه بقوله: أي اقتسموه. ثم جوّز أن يكون لازمًا بمعنى تفرقوا وتحزبوا، فيكون «أمرهم» منصوبًا بنزع الخافض أو التمييز وضمير «تقطعوا» لأرباب الأمر. والزبر بضم الباء جمع زبور بمعنى الفرقة والطائفة. وقيل: بمعنى المكتوب من زبره بمعنى كتبه. والمعنى: جعلوا دينهم الحق الذي هو دين واحد وهو الإسلام أديانًا دان كل فريق بكتاب غير الكتاب الذي دان به الآخر، وأراد بالكتب ما كتبوه بأيديهم لا ما هو المنزل من السماء لأنه غير مجعول بجعلهم. والزبر بفتح الباء جمع زبرة وهي القطعة من الشيء المتخذ من المعدنيات المتجسدة كالفضة والحديد قال تعالى: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ [الكهف: ٩٦] استعيرت لأمر الدين تشبيهًا له بها في التعدد والاختلاف. ثم إن المفرقين دينهم لما كانوا في نعم عظيمة في الدنيا جاز أن يظنوا أن تلك النعم كالثواب المعجل لهم على أديانهم، فبيّن الله تعالى أن الأمر على خلاف

مثل كتب. وقرىء بتخفيف الباء كرسل في رسل ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ من المتحزبين ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ من الدين ﴿فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ معجبون معتقدون أنهم على الحق. ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ في جهالتهم. شبهها بالماء الذي يغمر القامة لأنهم مغمورون فيها أو لاعبون بها. وقرىء «في غمراتهم» ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ إلى أن يقتلوا أو يموتوا ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ﴾ أن ما نعطيهم ونجعله مددًا لهم من مال ﴿وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ بيان لـ «ما» وليس خبرًا له فإنه غير معاب عليه، وإنما المعاب عليه اعتقادهم أن ذلك خير لهم فخبره. ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ والراجع ضمير محذوف. والمعنى: أيحسبون أن الذي نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم وإكرامهم. ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ بل هم كالبهائم لا فطنة بهم ولا شعور ليتأملوا فيعلموا أن ذلك الإمداد استدراج لا مسارعة في الخير. وقرىء «يمدهم» على الغيبة وكذلك «يسارع» و«يسرع». ويحتمل أن يكون فيهما ضمير الممد به

ذلك فقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ [المؤمنون: ٥٥] إلى آخره. وحق «ما» هذه أن تكتب مفصولة من «أن» لأنها اسمية إلا أنها كتبت موصولة بها متابعة لمصحف الإمام لأن المتابعة له سنة في باب الكتابة، فإن «ما» موصولة بمعنى «الذي» وهي اسم «أن» و«نمدهم» به صلتها وعائدها و«من مال» حال من الموصول أو بيان له فيتعلق بمحذوف و«نسارع» خبر «أن»، والعائد من هذه الجملة إلى الاسم محذوف تقديره: ونسارع لهم به أو فيه. ولا يجوز أن يكون الخبر من «مال» لأن ما أعطاهم الله تعالى وجعله مددًا لهم كان من مال فلا يعاب عليهم حسبان ذلك. وقوله تعالى: ﴿بل لا يشعرون﴾ إضراب عن الحسبان المستفهم عنه استفهام تقريع وهو إضراب انتقال. والمعنى ما ذكر المصنف رحمة الله تعالى عليه من أنهم أشباه البهائم لا شعور لهم حتى يتفكروا في ذلك الإمداد أهو استدراج أم مسارعة في الخير؟ روي عن يزيد بن ميسرة رضي الله تعالى عنهما قال: أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء: أيفرح عبدي أن أبسط له الدنيا وهو أبعد له مني ويجزع أن أقبض عنه الدنيا وهو أقرب له مني، ثم تلا قوله تعالى: ﴿أيحسبون إنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات﴾. **قوله:** **(وقرىء يمدهم على الغيبة)** وبإسناد الفعل إلى ضمير الباري تعالى وقياسه أن يقرأ «يسارع» بياء الغيبة أيضًا، ومن قرأ «نمدهم» بالنون و«يسارع» بالياء احتمل أن يجعله مسندًا إلى ضمير الباري تعالى وإلى ضمير «ما» الموصولة. وقرىء «نسرع» بالنون من أسرع وبالياء أيضًا. ثم إنه تعالى بيّن صفات من يسارع في الخيرات وذكر لهم أربع صفات فقال: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ أي من خوف عذابه حذرون، والخوف اسم جنس والخشية أخص منه وهي الخوف لعظمة المخوف منه، ولهذا كان استعمال الخشية من الله تعالى أكثر كما أن استعمال الخوف في حق العباد أكثر وأغلب. والشفقة أيضًا أخص من

و«يسارع» مبنيًا للمفعول. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾ من خوف عذابه ﴿مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ حذرون ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ المنصوبة والمنزلة ﴿يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ بتصديق مدلولها ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ شركًا جليًا ولا خفيًا ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾ يعطون ما أعطوه من الصدقات. وقرىء «يأتون ما آتوا» أي يفعلون ما فعلوه من الطاعات. ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أي خائفة أن لا يقبل منهم وأن لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به. ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ لأن مرجعهم إليه أو من أن مرجعهم إليه وهو يعلم ما يخفى عليهم.

الخوف فإنها عبارة عن الخوف مع الرقة، والرحمة في حق المخوف عليه كشفقة الأم على ولدها فإنه قلما يقال: خافت الأم أو خشيت على ولدها بل يقال: أشفقت. وينبىء عن هذه التفاسير قول من قال:

أخشى من الفقر يومًا أن يلم بها ... فيكشف الستر عن لحم على وضم

تهوى حياتي وأهوى موتها شفقًا ... والموت أكرم نزال على الحرم

والمصنف رحمه الله تعالى فسر هذا التركيب في سورة الأنبياء أي قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨] بقوله: وهم من عظمته ومهابته مرتعدون. ثم قال: وأصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء، والإشفاق خوف مع اعتناء فإذا عدي بـ «من» تحقق معنى الخوف فيه وظهر وإن عدي بـ «على» فبالعكس، وحمل الخشية ثمة على مجرد عظمة المخوف منه وحمل الإشفاق منه على كمال الخشية المستلزم لارتعاد الفرائص. وما ذكره في هذه الآية أوفق للمعنى الأصلي حيث أشار إلى عظمة المخوف منه بإضافته إلى الله تعالى وإلى الرحمة والاعتناء بشأن المخوف بقوله: «حذرون» فإن من كان خائفًا من عذاب الله تعالى العظيم وعقابه الأليم كان ملازمًا لطاعته مجدًا في طلب رضاه، والاحتراز عن معصيته المؤدية إلى سخطه وعقابه رحمة على نفسه واعتناء بشأنها.

قوله: (بتصديق مدلولها) لأن التصديق بوجود الآيات المنصوبة وهي الموجودات الدالة على وجود الصانع لا يوجب أن يمدح صاحبه، وكذا التصديق بوجود الآيات المنزلة باعتبار التصديق بمدلولها. **قوله**: (وجلة أي خائفة) الوجل أيضًا أخص من الخوف لأنه خوف يمازجه طمع، أي والحال أن قلوبهم بين خوف الرد ورجاء القبول. ثم إنه تعالى بيّن علة ذلك الوجل بقوله: ﴿إنهم إلى ربهم راجعون﴾ وقوله: ﴿أولئك يسارعون في الخيرات﴾ أي خيرات الذي هم من خشيته، والمراد بالخيرات إما طاعتهم وأعمالهم الصالحة وإما المثوبات الموعودة بأدائها. والمعنى على الأول أنهم يبادرون إلى الطاعات لشدة رغبتهم فيها، وعلى

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها أو يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الأعمال بالمبادرة إليها كقوله: ﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا﴾ فيكون إثباتًا لهم ما نفي عن أضدادهم ﴿وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ لأجلها فاعلون السبق أو سابقون الناس إلى الطاعة أو الثواب أو الجنة. أو سابقونها أي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا كقوله: ﴿هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣] ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس ﴿وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٌ﴾ يعني اللوح أو صحيفة الأعمال ﴿يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ زيادة عقاب أو نقصان ثواب ﴿بَلۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ قلوب الكفرة ﴿فِي غَمۡرَةٖ﴾ في غفلة غامرة لها ﴿مِّنۡ هَٰذَا﴾ من الذي وصف به هؤلاء أو من كتاب الحفظة ﴿وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ﴾ خبيثة ﴿مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ متجاوزة لما وصفوا به أو منحطة أعماهم عليه من الشرك ﴿هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ معتادون فعلها. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم﴾ متنعميهم ﴿بِٱلۡعَذَابِ﴾ يعني القتل يوم بدر أو الجوع حين دعا

الثاني أنهم يسارعون في نيل ما وعد لهم من المثوبات بمقابلة أعمالهم الصالحة. وإنما جعلوا مسارعين إليها لأنهم إذا سورع بما لهم فقد سارعوا في نيلها وأشار بقوله: «فيكون إثباتًا لهم ما نفي عن أضدادهم» إلى أن الوجه الثاني أوفق لما سبق من قوله تعالى: ﴿أيحسبون إنما نمدهم به من مال وبنين﴾ فإنه تعالى نفى في تلك الآية أن يسارع الكفار إلى أن يعجل لهم من ثواب أعمالهم ما هو خير لهم، وأثبت ذلك لأضدادهم وهم المؤمنون الذين ذكرت صفاتهم. **قوله:** (لأجلها فاعلون السبق) على أن يكون ضمير «لها» للخيرات واللام للتعليل وأن لا يقدر للسبق مفعول، وإنما الغرض الإعلام بوقوع السبق منهم مع قطع النظر إلى ما سبقوه، بخلاف الوجه الثاني فإنه يقدر للسبق مفعول في ذلك الوجه واللام أيضًا للتعليل أي وهم سابقون الناس لأجلها. **قوله:** (أو سابقونها) على أن لها مفعول «سابقون» واللام زائدة في المفعول لتقوية العمل وحسن زيادتها شيئان لو انفرد كل واحد منهما لاقتضى الجواز كون العامل فرعًا وتقدم معموله عليه كما في قوله: ﴿هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣] أي عاملون إياها وكقولك: هو لزيد ضارب أي ضارب زيدًا. ثم أشار إلى أن جميع ما وصف به السابقون من الخصال الأربع داخل في وسع الإنسان وطوقه غير خارج عنه، وكذا كل ما كلف به عباده وأن أعمال العباد كلها مثبتة في الكتاب فلا يضيع لعامل جزاء عمله. ثم إنه تعالى عاد إلى ذكر الكفار بقوله: ﴿قلوبهم في غمرة من هذا﴾ الذي وصف به المؤمنون السابقون إلى الخيرات ﴿ولهم أعمال من دون ذلك﴾ الذي ذكر من

عليهم الرسول ﷺ فقال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» فقحطوا حتى أكلوا الكلاب والجيف والعظام المحترقة. ﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ فاجأوا الصراخ بالاستغاثة. وهو جواب الشرط والجملة مبتدأة بعد «حتى». ويجوز أن يكون الجواب ﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ فإنه مقدر بالقول أي قيل لهم: لا تجأروا ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾ تعليل للنهي أي لا تجأروا فإنه لا ينفعكم إذ لا تمنعون منا أو لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يعني القرآن ﴿فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾﴾ تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والسمل بهما. والنكوص الرجوع قهقرى ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ الضمير للتكذيب أو للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بأنهم قوامه أغنى عن سبق ذكره، أو لا يأتي فإنها بمعنى كتابي، والباء متعلقة «بمستكبرين» لأنه بمعنى مكذبين أو لأن استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه أو بقوله: ﴿سَـٰمِرًا﴾ أي تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه. وهو في الأصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعافية. وقرىء «سمرا» جمع سامر، و«سمارا»

أعمال المؤمنين. وقيل: غفلتهم وجهلهم. وقيل: المراد أعمالهم التي هم عليها في الحال. وقيل: بل هو إخبار من الله تعالى عما سيعملونه من أعمالهم الخبيثة التي كتب عليهم لا بد أن يعملوها. و«حتى» في قوله تعالى: ﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم﴾ غاية غمرتهم وأعمالهم التي يعملونها وبعدها جملة شرطية جزاؤها ﴿إذا هم يجأرون﴾ و«إذا» الثانية تنوب عن الفاء أي فهم يجأرون والمعنى: الإخبار بأنهم لا يتناهون عن حالهم المذكورة إلى أن يأخذ الله متنعميهم ورؤساءهم بالعذاب. والجؤار رفع الصوت بالاستغاثة والصراخ لشدة ما نالهم. والسنين جمع السنة وهي الجدب. **قوله:** (إذ لا تمنعون منا) أي لا يمنعكم الجؤار والاستغاثة ولا يخلصكم منا أي من عذابنا، على أن تكون كلمة «من» صلة النصر المتضمن معنى المنع والحفظ، وعلى الثاني تكون ابتدائية. ثم إنه تعالى بيّن السبب في أن لا ينفعهم ذلك بقوله تعالى: ﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم﴾. **قوله:** (فإنها بمعنى كتابي) ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارًا فضمن الاستكبار معنى التكذيب فعدى تعديته وهو معنى قوله: «والباء متعلقة بمستكبرين» الخ ثم جوّز أن لا تكون الباء للتعدية بل تكون للسببية ويكون المعنى: مستكبرين على المسلمين بسبب القرآن واستماعه. وأصل السمر ظل القمر لسمرته لأنهم يجلسون فيه بالليل فيتحدثون. ويجوز أن تكون الباء في «به» متعلقة بقوله: ﴿سامرا﴾ أي يسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه. وكان سمرهم بالليل عند البيت ذكر القرآن وتسميته سحرًا وشعرًا ونحو ذلك وسب النبي ﷺ.

قوله: (وهو في الأصل مصدر) كأنه بيان لوجه إفراده «سامرا» مع أنه حال من ضمير

﴿تَهْجُرُونَ ۝٦٧﴾ من الهجر بالفتح إما بمعنى القطيعة أو الهذيان أي تعرضون عن القرآن أو تهذون في شأنه. والهجر بالضم الفحش. ويؤيد الثاني قراءة نافع «تهجرون» من أهجر. وقرىء «تهجرون» على المبالغة ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ أي القرآن ليعلموا أنه الحق من ربهم بإعجاز لفظه ووضوح مدلوله. ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ۝٦٨﴾ من الرسول والكتاب أو من الأمن من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الأقدمون كإسماعيل وأعقابه فآمنوا به وكتبه ورسله وأطاعوه.

«مستكبرين». قال صاحب الكشاف: عفا الله تعالى عنه السامر نحو الحاضر في الإطلاق على الجمع. وقال الزجاج: السامر الجماعة الذين يتحدثون ليلاً على تقدير أن يتعلق «به» بقوله: «سامرا» قدم عليه لأنه لما كانت عامة سمرهم بذكره صاروا كأنهم لا يسمرون إلا به. وقرأ العامة «تهجرون» بفتح التاء وضم الجيم من الهجر بفتح الهاء وقد يكون بمعنى الهجران والترك والقطع، أي تهجرون آيات الله ورسوله وتزهدون فيهما ولا تصلونهما. وقد يكون بمعنى الهذيان يقال: هجر المريض هجرًا إذا هذى، والهجر بضم الهاء اسم بمعنى القول القبيح يقال: هجر يهجر هجرًا بالفتح وهجر وأهجر في منطقه إذا قال قولاً قبيحًا. والاسم منه الهجر بالضم. وقرىء بهن جميعًا أي قرىء «تهجرون» و«تهجرون». ثم إنه تعالى لما وصف حال الكفرة الذين فرقوا دينهم رد عليهم بأن بيّن أن إقدامهم على هذه الجهالة والضلالة لا بد أن يكون لأحد أمور أربعة: أحدها أن لا يتأملوا في دليل نبوته وهو القرآن المعجز الذي يستلزم التدبر فيه معرفة الصانع ووحدانيته وجميع ما يجب على المكلف في باب الاعتقاد والعمل، فلم لا يتدبرون فيه ليتركوا الباطل ويرجعوا إلى الحق؟ وثانيها أن يعتقدوا أن بعثة الرسول ﷺ أمر غريب لم يسمع ولم يرو عن الأمم السالفة وليس كذلك، لأنهم قد عرفوا بالتواتر أن الرسل كانت ترسل إلى الأمم على سبيل التتابع ويثبت كل واحد منهم ما ادعاه من الرسالة بإظهار المعجزات، وكانت الأمم بين مصدق ناج ومكذب هالك بعذاب الاستئصال، وإنما دعاهم إلى ذلك عدم تصديق الرسل عليهم الصلاة والسلام. وثالثها أن لا يكونوا عالمين بأمانة مدّعي الرسالة وصدقه قبل ادّعائه للنبوة وليس كذلك، فإنهم عرفوا منه عليه الصلاة والسلام قبل ادّعائه الرسالة كونه في نهاية الأمانة والصدق والتنزه عن الكذب والأخلاق الذميمة، فكيف كذبوه بعد أن اتفقت كلمتهم على تسميته بالأمين الصادق؟ ورابعها أن يعتقدوا فيه الجنون فيقولون: إنه حمله على ادّعائه الرسالة جنونه، وهذا أيضًا ظاهر الفساد لأنهم كانوا يعلمون بالضرورة أنه أعقل الناس والمجنون كيف يمكنه أن يأتي بمثل ما أتى به من الدلائل القاطعة والشرائع الكاملة؟ ثم إنه تعالى لما ذكر مبنى ضلالتهم وبيّن فساده قال: ﴿بل جاءهم الحق﴾ أي ليست ضلالتهم مبنية على شيء من هذه

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ بالأمانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم إلى غير ذلك مما هو صفة الأنبياء ﴿فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ دعواه لأحد هذه الوجوه إذ لا وجه له غيرها. فإن إنكار الشيء قطعًا أو ظنًا إنما يتجه إذا ظهر امتناعه بحسب النوع أو الشخص أو يحث عما يدل عليه أقصى ما يمكن فلم يوجد ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ فلا يبالون بقوله، وكانوا يعلمون أنه أرجحهم عقلاً وأتقنهم نظرًا ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾ لأنه يخالف شهواتهم وأهواءهم فلذلك أنكروه. وإنما قيد الحكم بالأكثر لأنه كان منهم من ترك الإيمان استنكافًا من توبيخ قومه ولقلة فطنته وعدم فكرته، لا لكراهته للحق. ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ بأن كان في الواقع

الأمور بل إنه عليه الصلاة والسلام جاء بالحق وهو القرآن، فلم يوافق أهواءهم وما نشأوا عليه من التقليد واتباع الشهوات فلذلك كرهوه ولم يقبلوه. وقول المصنف رحمة الله تعالى عليه «إذا ظهر امتناعه بحسب النوع» ناظر إلى قوله تعالى: ﴿أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين﴾ **وقوله: «أو الشخص» ناظر إلى قوله تعالى:** ﴿أم لم يعرفوا رسولهم﴾ **وقوله: «أو بحث عما يدل عليه» ناظر إلى قوله تعالى:** ﴿أفلم يدبروا القول﴾ **أي أفلم يدبروا ما جاءهم من القول وهو القرآن العظيم. قوله: (لأنه كان منهم من ترك الإيمان استنكافًا عن توبيخ قومه) أن يقولوا ترك دين آبائه لا كراهة للحق كما حكي عن أبي طالب، فإنه لم يقبل الحق ولم يتدين به مع أنه يعرف بقلبه حقيته ويقر بلسانه لكنه لم يقبل ذلك لمانع على زعمه. ويدل عليه قوله حين اجتمعوا إليه وأرادوا برسول الله ﷺ سوءا:**

والله لن يصلوا إليك بجمعهم	**حتى أوسد في التراب دفينا**
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة	**وأبشر بذاك وقر منه عيونا**
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي	**ولقد صدقت وكنت ثم أمينا**
وعرضت دينًا لا محالة أنه	**من خير أديان البريّة دينا**
لولا الملامة أو حذار مسبّة	**لوجدتني سمحًا بذاك يقينا**

وقد أقرّ أبو طالب بأنه عليه الصلاة والسلام خير فتيان قريش في الفضائل الإنسانية في الخطبة التي خطبها في تزويج خديجة رضي الله تعالى عنها، وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر وهي قوله: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل واصطفانا من عنصر مضر وجعلنا حصنة بيته وسواس حرمه، وجعل لنا بيتًا محجوجًا وحرمًا آمنًا وجعلنا الحكام على الناس. ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح عليه، فإن كان في المال قل فالمال ظل زائل ولهو حائل، ومحمد من عرفتم

آلهة شتى ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ كما سبق تقريره في قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [المؤمنون: ٢٢] وقيل: لو اتبع الحق أهواءهم وانقلب باطلاً لذهب ما قام به العالم فلا يبقى أو لو اتبع الحق الذي جاء به محمد ﷺ أهواءهم وانقلب الحق شركًا لجاء الله بالقيامة، وأهلك العالم من فرط غضبه. أو لو اتبع الله أهواءهم بأن أنزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصي لخرج عن الألوهية ولم يقدر أن يمسك السموات والأرض وهو على أصل المعتزلة. ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أوصيتهم أو الذكر الذي تمنوه بقولهم: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: ١٦٨] وقرىء «بذكراهم» ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ لا يلتفتون إليه ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ﴾ قيل: إنه قسيم قوله: ﴿أم به جنة﴾ ﴿خَرْجًا﴾ أجرًا على أداء

له قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وذكر لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالي، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل. كذا ذكره صاحب الكشاف في أواخر سورة آل عمران. **قوله:** (كما سبق تقريره) وهو قوله: «إنها لو اتفقت في المراد لتواردت علل مستقلة على معلول واحد وإن تخالفت فيه لتفاوتت منه». **قوله:** (وهو على أصل المعتزلة) أي القول بأنه تعالى لو اتبع أهواءهم لخرج عن الألوهية، مبني على أصل من يقول: الحاكم بحسن الأشياء وقبحها هو العقل، وأن ما يستحسنه العقل يجب عليه تعالى فعله وأن ما يستقبحه يجب عليه تركه، والمتابعة لما يشتهيه الكفرة تنافي الألوهية على زعمهم. **قوله تعالى:** (بل أتيناهم بذكرهم) متصل بقوله: ﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾ إذ ليس فيما جاءهم به ما يكرهونه بل هو ذكرهم أي وعظهم أو صيتهم أي شرفهم وفخرهم كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] أي شرف لك ولقومك لكونه بلسانكم ولغتكم. ثم إنه تعالى وبّخ الكفرة بوجه آخر على عدم إجابتهم إلى دعوة الرسول ﷺ وأنكر عليهم أولاً بقوله تعالى: ﴿أفلم يدبروا القول﴾ وهو استفهام بطريق الإنكار أي لم لم يتذكروا ليعلموا أنه حق فيؤمنوا به فتحصل لهم سعادة الدارين. ثم أضرب عن هذا الاستفهام الإنكاري إلى استفهام إنكاري آخر فقال تعالى: ﴿أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين﴾ أي بل اتركوا الإيمان به لما جاءهم ما لم يسمعوا شيئًا من نوعه فأنكروا ذلك واستبعدوه. ثم أضرب عن ذلك إلى أن قال: بل اتركوا الإيمان به لأنهم لم يعرفوه بالأمانة والصدق قبل دعوى الرسالة. ثم أضرب عن ذلك إلى أن قال: بل اتركوا ذلك لزعمهم في حقه كونه مجنونًا. ثم أضرب عن ذلك إلى أن قال: بل اتركوا ذلك لكونه يسألهم على تبليغ الوحي جعلا يعطونه إياه فيثقل عليهم قبوله وليس الأمر كذلك، لأن ما يعطيك الله تعالى من الأجر والمثوبة في الدنيا والآخرة خير من أجرهم وفيه مندوحة لك عن عطائهم فلا عذر لهم في الإباء عن قبول قولك البتة.

الرسالة ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ رزقه في الدنيا أو ثوابه في العقبى ﴿خَيْرٌ﴾ لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم. والخرج بإزاء الدخل يقال لكل ما تخرجه إلى غيرك. والخراج غالب في الضريبة على الأرض ففيه إشعار بالكثرة واللزوم فيكون أبلغ، ولذلك عبّر به عن عطاء الله إياه. وقرأ ابن عامر «خرجا فخرج» وحمزة والكسائي «خراجًا فخراج» للمزاوجة. ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾ تقرير لخيرية خراجه ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾ تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له. واعلم أنه سبحانه ألزمهم الحجة وأزاح العلة في هذه الآيات بأن حصر أقسام ما يؤدي إلى الإنكار والاتهام، وبيّن انتفاءها ما عدا كراهية الحق وقلة الفطنة.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ عن الصراط السوي ﴿لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾ لعادلون عنه، فإن خوف الآخرة أقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه. ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ يعني القحط ﴿لَّلَجُّوا۟﴾ لثبتوا. واللجاج التمادي في الشيء ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ إفراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين. ﴿يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾ عن الهدى. روي أنهم قحطوا حتى أكلوا العلهز فجاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال: أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين؟ قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع. فنزلت. ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ يعني القتل يوم بدر ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ بل أقاموا على

قوله: (في الضريبة على الأرض) وهي ما يضربه الإمام على الأرض ويضعه بمنزلة الأجرة المضروبة عليها. والوجه في كون الخراج مشعرًا بالكثرة كثرة الضرب بكثرة الأراضي، وأما وجه كونه مشعرًا باللزوم فإيجاب الشارع إياه على أصحاب الأراضي الخراجية: ثم إنه تعالى لما زيف طريقة القوم اتبعه صحة ما دعاهم إليه الرسول وأشار إلى علة نكوب من عدل عنه فقال تعالى: ﴿وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم﴾ ونكره للتعظيم ثم عرفه تعريف العهد في قوله تعالى: ﴿عن الصراط لناكبون﴾ أي لفاعلون النكوب عنه لعدم إيمانهم بالآخرة. والنكوب من باب دخل. **قوله**: (أنشدك الله تعالى والرحم) أي: أسألك بالله تعالى وبالرحم، وهو قسم استعطاف واسترحام. والعلهز طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة. وقيل هو القراد مع الصوف كانوا يدقونهما ممتزجين. **قوله**: (قتلت الآباء بالسيف) المراد به ما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم حيث قتل منهم سبعون وأسر من صناديدهم سبعون. وهو جمع صنديد وهو السيد الشجاع. وهذه الرواية تدل على أن هذه الآيات مدنية وأن ما أصاب قريشًا من القحط سبع سنين من دعاء الرسول ﷺ كان بعد الهجرة. وقد ذهب المفسرون إلى أن هذه السورة مكية إلا أن يقال:

عتوهم واستكبارهم. واستكان استفعل من الكون لأن المفتقر انتقل من كون إلى كون، أو افتعل من السكون أشبعت فتحته وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ يعني الجوع فإنه أشد من الأسر والقتل ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾ متحيرون آيسون من كل خير حتى جاءك أعتاهم يستعطفك. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ لتحسوا بها ما نصب من الآيات ﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ لتتفكروا فيها وتستدلوا بها إلى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية. ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ تشكرونها شكرًا قليلاً، لأن العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لأجله والإذعان لمانحها من غير إشراك. و«ما» صلة للتأكيد. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خلقكم وبثكم فيها بالتناسل ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ ويختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره، فيكون ردًا لنسبته إلى الشمس حقيقة، أو مجازًا، أو لأمره وقضائه تعاقبهما، أو انتقاص أحدهما وازدياد الآخر. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ بالنظر والتأمل أن الكل منا

هذه الآيات مدنية وجعلت السورة مكية اعتبارًا للأغلب. والمعنى: لو كشف الله تعالى عنهم هذا الضر برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله ﷺ والمؤمنين ولذهب عنهم هذا الانكسار والتملق بين يديه يسترحمونه. واستشهد على مفهوم هذه الشرطية: بأنّا أخذناهم بعذاب يوم بدر فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو أشد من الأسر والقتل، فما نكسوا ساعة ولأخضعت رقابهم فأرسلوا إليك أشدهم شكيمة في العناد يستعطفك. واستكان استفعل من الكون ومعناه تحول من كون إلى كون كاستحال بمعنى تحول من حال إلى حال، أي ما تحولوا عن الحال السيئة التي هم عليها إلى الحال الحسنة. فإن باب الاستفعال قد يكون للتحول نحو: استحال الخمر ويجوز أن يكون افتعل من السكون أصله استكنوا فأشبعت الكاف فتولدت منها الألف أي ما سكنوا وما ذلوا وما خضعوا لربهم وما تضرعوا بل مضوا على تمردهم وحتى غاية لنفي الاستكانة والتضرع. ثم إنه تعالى ذكرهم نعمه التي أنعم بها عليهم ليؤدوا بذلك الشكر له عليها، لكنهٔ ذكر أمهات النعم التي هي السمع والبصر والفؤاد التي بها يتوصل إلى معرفة كل نافع وضار وكل طيب وخبيث. فأخبر الله تعالى أنه أعطاهم ما يعرفون به النافع من الضار والطيب من الخبيث مشاهدة وسماعًا، وما به يميزون بعض الأشياء ويختارون ما هو المختار عندهم ليتأدى بذلك شكره وشكر كل نعمة استعمالها في طاعة المنعم وعبوديته، كاستعمال الحواس في استعمال ما نصب من الآيات واشتغال القلب في تفكر تلك الآيات، والاستدلال بها على ما يجب عليهم من الاستكمال، والتحلي بالكمالات

وأن قدرتنا تعم الممكنات كلها وأن البعث من جملتها. وقرىء بالياء على أن الخطاب السابق لتغليب المؤمنين. ﴿بَلْ قَالُوا۟﴾ أي كفار مكة ﴿مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾﴾ آباؤهم ومن دان بدينهم ﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾﴾ استبعادًا ولم يتأملوا أنهم كانوا قبل ذلك أيضًا ترابًا فخلقوا ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾ إلا أكاذيبهم التي كتبوها جمع أسطورة لأنه يستعمل فيما يتلهى به كالأعاجيب والأضاحيك. وقيل: جمع أسطار جمع سطر.

العلمية والعملية. وأدرج فيه توبيخ العباد بأن الشكر منهم قليل كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] فقال تعالى: ﴿وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾ و «قليلاً» منصوب على أنه صفة مصدر محذوف و «ما» مزيدة للتأكيد أي حقًا أنكم تشكرون شكرًا قليلاً. وقيل: ليس المراد أن لهم شكرًا قليلاً بل هو من قبيل قولك للكفور الجاحد للنعمة: ما أقل شكر فلان للنعمة. ثم بيّن كمال قدرته وقوى سلطنته بقوله تعالى: ﴿وهو الذي ذرأكم في الأرض﴾ وعطف عليه أنه لم يخلقهم عبثًا وإنما خلقهم للبعث بعد الموت والحشر إليه، فإن خلق الخلائق وتكليفهم بالأوامر والنواهي لمجرد أن ينتهي حالهم إلى الموت والفناء من غير أن يميز بين المطيع والعاصي عبث ولعب تبارك الله وتعالى شأنه عن أمثاله علوًا كبيرًا. ثم فصّل دلائل قدرته على البعث بقوله تعالى: ﴿وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار﴾ فإن من ملك وقدر على إحياء الموتى وإماتة الأحياء لقادر على البعث والإعادة، فإن من قدر على إنشاء الليل بعدما ذهب أثر النهار وإنشاء النهار بعدما ذهب أثر الليل لقادر على البعث والإحياء بعد الموت. ثم قال: ﴿أفلا تعقلون﴾ أن من قدر على ذلك لقادر على البعث والجزاء بعدما صرتم ترابًا وعظامًا فكيف تشركون غيره في عبادتكم إياه، وتصرفون الشكر إلى غيره فيما أنعم عليكم؟ ثم قال تعالى: ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون﴾ أي لم يعقلوا ذلك ولم يتدبروا فيه ليعلموا أن من قدر على هذه الأشياء قدر على بعث الموتى فلا يستبعد ذلك بل قالوا مثل ما قال أسلافهم: أئذا متنا وصرنا ترابًا وعظامًا أنبعث؟ وهذا محال.

قوله: (لأنه يستعمل فيما يتلهى به) علة لكونه جمع أسطورة بالضم. ووجه الاستدلال أن بناء أفعولة يجيء لما فيه التلهي والسخرية نحو: أضحوكة وأعجوبة وأحدوثة، والكفار كانوا يقولون ذلك بطريق التلهي والطعن في القرآن فيكون الأنسب لهذا المقام جعله جمع أسطورة. ثم أمر الله تعالى رسوله أن يسألهم ما يلزمهم الإقرار والاعتراف بما كانوا ينكرون فقال تعالى: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون﴾ فأجيبوني عما أقول لكم، ثم

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ إن كنتم من أهل العلم أو من العالمين بذلك، فيكون استهانة لهم وتقريرًا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح وإلزامًا بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم إنكاره، ولذلك أخبر عن جوابهم قبل أن يجيبوا فقال: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ لأن العقل الصريح قد اضطرهم بأدنى نظر

أخبر عن جوابهم بقوله تعالى: ﴿سيقولون لله قل أفلا تذكرون﴾ أي أفلا تتعظون بعد هذا الاعتراف فتعلمون أن من فطر الأرض ومن فيها اختراعًا كان قادرًا على إعادة الخلق حقيقًا بأن لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية واستحقاق العبادة، لأن المستحق لها هو الرب الخالق دون الرب المربوب المخلوق الذي لا يضر ولا ينفع. فقوله تعالى: ﴿أفلا تذكرون﴾ معناه الترغيب في التدبر ليعلموا بطلان ما هم عليه قال تعالى أولاً: ﴿أفلا تذكرون﴾ ثم قال تعالى بعده: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٧] لأنهم بتذكرهم يصلون إلى المعرفة، وبعد أن يعرفوه يعلمون أنه يجب عليهم اتقاء مخالفته ووجوب طاعته. وفي قوله تعالى: ﴿سيقولون لله﴾ إشارة إلى أنهم لا يجدون بدًا من أن يقولوا لله ويعترفوا به لأنهم لو أنكروا ذلك جهلهم النبي ﷺ فيظهر جهلهم عند كل الخلائق، فلما اضطروا إلى الاعتراف بذلك توجه عليهم الإلزام بأن يقال لهم: فإذا عرفتم بأن ذلك كله لله تعالى وهو خالقكم فكيف تركتم طاعته وخالفتم أمره؟ وأنا لا أدعوكم إلا إلى أن توحدوه وتخلصوا العبادة له تعالى. وعلى هذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿قل من رب السمٰوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله﴾ أي لا بد لهم من أن يقروا بذلك فقل لهم: إذا عرفتم ذلك وأقررتم به ﴿أفلا تتقون﴾ مخالفته وأمر نقمته وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [المؤمنون: ٨٨] الآية ذكر أولاً الأرض ومن فيها ثم ترقى إلى ذكر ما هو أعظم من ذلك وهو السمٰوات السبع والعرش العظيم، ثم ذكر ما يعم الموجودات بأسرها واختصاصه بملكوته. والملكوت الملك زيدت التاء فيه للمبالغة فيتناول الملك والملك. وقيل: المعنى خزائن كل شيء وقيل: ملكوت كل شيء روحه الذي هو من عالم الملكوت وذلك الشيء قائم به يسبح الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] وروح ذلك الشيء بيد الله تعالى. **قوله تعالى:** (سيقولون لله) ذكر في هذا الموضع ثلاث مرات: أما الأولى فباللام باتفاق القراء جميعهم، وأما الثانية والثالثة فقد قرئتا بوجهين «سيقولون لله» و«الله»، فمن قرأ «الله» فعلى لفظ السؤال لأنك لو قلت: من رب الدار؟ يقال في جوابه: زيد، ومن قرأ «لله» فقد حمل الجواب على معنى السؤال لأن قولك: من رب الدار؟ معناه لمن الدار؟ قال الشاعر:

إذا قيل من رب السنان بموقف ورب الجياد الجرد قيل لخالد

إلى الإقرار بأنه خالقها ﴿قُلْ﴾ أي بعد ما قالوه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ فتعلموا أن من فطر الأرض ومن فيها ابتداء قدر على إيجادها ثانيًا، فإن بدأ الخلق ليس أهون من إعادته. وقرىء «تتذكرون» على الأصل ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ فإنها أعظم من ذلك. ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ وقرأ أبو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته. ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ملكه غاية ما يمكن. وقيل: خزائنه ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ يغيث من يشاء ويحرسه ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ ولا يغاث أحد ولا يمنع منه. وتعديته بـ «على» لتضمين معنى النصرة ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ فمن أين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الأمر وتظاهر الأدلة؟ ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ﴾ من التوحيد والوعد بالنشور ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾ حيث أنكروا ذلك ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ لتقدسه عن مماثلة أحد ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ يساهمه في الألوهية ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ جواب

وفي الكواشي: الثاني الثالث في جميع المصاحف بغير ألف كالأول إلا في مصحف البصريين، فإنهما وجدا بألف فيه. **قوله تعالى:** (وهو يجير) أي يؤمن من يشاء من الخائفين ويمنعه من السوء ولا يجار عليه أي لا يؤمن من أخاف الله تعالى ولا يمنع منه من أراده بسوء وقوله تعالى: ﴿سيقولون لله﴾ لا يناقض قوله أولاً: ﴿إن كنتم تعلمون﴾ لأنه تعالى إنما قال ذلك أولاً استهانة لهم ويجوز في حقهم أن يجعلوا مثل هذا الظاهر لفرط جهالتهم بالديانات، وذلك يستلزم انتفاء علمهم بذلك. **قوله:** (فمن أين تخدعون) يعني أن قوله: ﴿فأنى﴾ بمعنى فمن أين وقوله تعالى: ﴿تسحرون﴾ استعارة تبعية بمعنى تخدعون. شبّه الانخداع بالمسحورية في الدلالة على اختلال العقل فاستعير له اسم المسحورية، والخادع هو الشيطان والهوى. ثم قال تعالى: ﴿بل أتيناهم بالحق﴾ أي ليس انخداعهم لقصور البيان من قبلنا بل أتيناهم بالحق وما تبين به الرشد من الغي ﴿وإنهم لكاذبون﴾ فيما يدعونه من الشرك والولد وإنكار البعث ونحو ذلك مما يخالف ما أتيناهم به من الحق. ثم صرّح في جملة ما كذبوا بإعادة قول بعض الكفار الملائكة بنات الله تعالى وزعم آخرين أن الأصنام آلهة وكذبهم فيهما بقوله: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إلـٰه﴾ ولما ورد أن يقال: كلمة «إذن» لا تدخل إلا على كلام هو خبر أو جواب، فكيف دخلت على قوله: ﴿لذهب كل إلـٰه بما خلق﴾ ولم يتقدمها شرط ولا سؤال سائل حتى تقع جزاء للشرط أو جوابًا للسؤال؟ أشار إلى دفعه بقوله: «جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف» وقيام البرهان على استناد جميع

محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه، أي لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين، ووقع بينهم التحارب وظهر التغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء. واللازم باطل بالإجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات إلى واجب واحد ﴿سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده ﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ خبر مبتدأ محذوف. وقد جره ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة. وهو دليل آخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في أنه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه ﴿فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ بالفاء ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى﴾ إن كان لا بد من أن تريني لأن «ما» والنون للتأكيد ﴿مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾﴾ من العذاب في الدنيا والآخرة ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ قرينًا لهم في العذاب، وهو إما لهضم النفس أو لأن شؤم الظلمة قد يحيق بما وراءهم كقوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] عن الحسن أنه تعالى أخبر نبيه أن له في أمته نقمة ولم يطلعه على وقتها، فأمره بهذا الدعاء. وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَـٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ لكنا نؤخره علمًا بأن بعضهم أو بعض أعقابهم يؤمنون، أو لأنا لا نعذبهم وأنت فيهم. ولعله رد لإنكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به. وقيل: قد أراه وهو قتل بدرًا وفتح مكة. ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ وهو الصفح عنها والإحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد إلى وهن في الدين. وقيل: هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك. وقيل: هو الأمر بالمعروف والسيئة المنكر. وهو أبلغ من ﴿ادفع بالحسنة السيئة﴾ لما فيه من التنصيص على التفضيل ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾ أي بما يصفونك به أو بوصفهم إياك بخلاف حالك، وأقدر

الممكنات إلى واجب واحد وإن كان دليلاً على بطلان الملزوم الذي هو أن يكون معه آلهة، إلا أن المصنف رحمه الله تعالى جعله دليلاً على بطلان اللازم وهو أن يستبد كل إلـٰه بما خلق وأن يقع بينهم التحارب والتغالب بناء على أن ما يدل على بطلان الملزوم يدل على بطلان اللازم. وذكر الله تعالى أمرين: أحدهما قوله تعالى: ﴿ما اتخذ الله من ولد﴾ وثانيهما ﴿وما كان معه من إلـٰه﴾ واستدل عليهما بدليل واحد لأن انتفاء تعدد الآلهة يستلزم انتفاء الولد، لأنه تعالى لو اتخذ ولدًا لكان ذلك الولد إلـٰهًا إذ الولد من جنس الوالد ومن جوهره، وإذا كان إلـٰهًا لذهب إذن كل إلـٰه بما خلق أي لانفرد واستبد بخلقه وبطلان اللازم يستلزم بطلان الملزوم.

على جزائهم فكل إلينا أمرهم. ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾﴾ وساوسهم. وأصل الهمز النخس، ومنه مهماز الرائض. شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة الدواب على المشي والجمع للمرات أو لتنوع الوساوس أو لتعدد المضاف إليه ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ ويحوموا حولي في شيء من الأحوال وتخصيص حال الصلاة، وقراءة القرآن وحلول الأجل لأنها أحرى الأحوال بأن يخاف عليه ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ متعق «بيصفون» وما بينهما اعتراض لتأكيد الإغضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان أن يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام، أو بقوله: «إنهم لكاذبون». ﴿قَالَ﴾ تحسرًا على ما فرط منه من الإيمان والطاعة لما اطلع على الأمر ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ ردوني إلى الدنيا. والواو لتعظيم المخاطب. وقيل: لتكرير قوله: «ارجعني» كما قيل في: قفا وأطرقا ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ في الإيمان الذي تركته أي لعلي آتي بالإيمان وأعمل فيه. وقيل: في المال أو في الدنيا. وعنه عليه السلام: «إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا: أنرجعك إلى الدنيا؟ فيقول:

قوله: (وأصل الهمز النخس) أي الطعن يقال: نخسه بعود أي طعنه إذ النخس هو الطعن. والمهمز والمهماز حديدة تكون في مؤخر خف الرائض، ورائض الفرس الصعب من ألانها وأزال صعوبتها. **قوله:** (والجمع للمرات) يعني أن الهمزات جمع همزة لا جمع همز حتى يقال إنه مصدر، فكيف يجمع؟ ويجوز أن يكون الجمع لقصد الأنواع من الوساوس أو لتعدد المضاف إليه، فإن الهمز الواقع من جماعة الشياطين يمتنع أن يكون همزًا واحدًا. **قوله:** (متعلق بيصفون) يعني أن «حتى» غاية لقوله: ﴿عما يصفون﴾ أو لقوله: ﴿وإنهم لكاذبون﴾ أي لا يزالون على سوء الذكر والكذب إلى هذا الوقت وهو وقت حضور الموت للكافر. ولم يقل: أو بكاذبون لأنه لا يصح أن يكون متعلقًا «لحتى» لعدم دلالته على الاستمرار بخلاف الجملة الاسمية فإنها تدل عليه كما يدل عليه «يكذبون» و «يصفون». **قوله:** (والواو) أي في قوله: ﴿ارجعون﴾ مع أن الخطاب للواحد وهو الرب تعالى لتعظيم المخاطب كما في قوله:

فإن شئت حرمت النساء سواكموا   وإن شئت لم أطعم نقاخًا ولا بردا

وقال المازني: في قوله: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [قٓ: ٢٤] معناه ألق ألق ثنى الضمير للدلالة على تكثير الفعل أي تكريره مرتين، فيكون جمعه ههنا للدلالة على تكريره ثلاث مرات. فأخبر الله تعالى أن هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحًا﴾ الآية. **قوله:** (وقيل في المال أو في الدنيا) فالمعنى على الأول: لعلي أعمل صالحًا

إلى دار الهموم والأحزان بل قدومًا إلى الله. وأما الكافر فيقول: ﴿رب ارجعون﴾» ﴿كَلَّآ﴾ ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لهما. ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ﴾ يعني قوله: «رب ارجعون» إلى آخره. والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض. ﴿هُوَ قَآئِلُهَا﴾ لا محالة لتسلط الحسرة عليه ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أمامهم. والضمير للجماعة ﴿بَرْزَخٌ﴾ حائل بينهم وبين الرجعة ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)﴾ يوم القيامة وهو إقناط كلي عن الرجوع إلى الدنيا. لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلى الدنيا وإنما الرجوع فيه إلى حياة تكون في

فيما تركت فَأُأَدِّي حقوق الله تعالى فيه وأتقرب به إلى الله كما قال: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾ [المنافقون: ١٠] وعلى الثاني في الموضع الذي تركته وهو الدنيا يقول: إني تركت فيها التوحيد والطاعة فردوني إليها أعمل الطاعة والتوحيد فيها. **قوله:** (وأما الكافر فيقول رب ارجعون) يدل على أن خطاب «ارجعون» للملائكة لوقوعه في جواب قولهم: أنرجعك إلى الدنيا؟ فيكون ذكر الرب للقسم فكأنهم قالوا عند معاينة الموت بحق الرب «ارجعون». وقال الإمام النسفي رحمة الله عليه: يستغيث أولاً بالله تعالى فيقول: ﴿رب﴾ ثم يقول للملائكة الذين حضروه ليقبضوا الروح ﴿ارجعون﴾ أي ردوني إلى الدنيا. **قوله:** (والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم) كقوله ﷺ: «أصدق كلمة قالها لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل»

وقوله تعالى: ﴿هو قائلها﴾ صفة «لكلمة» أي إنها كلمة لا يسكت هو عنها البتة لاستيلاء الحسرة والندم عليه وهو قائلها بلسانه لا تنفعه ولا يجاب إليها، وذلك لأن التركيب من باب أنا عارف فإن اعتبر أن «هو» مبتدأ و «قائلها» هو الخبر فهو من باب تقوى الحكم فيكون المعنى: هو قائلها وحده لا يجاب إليها ولا تسمع منه. **قوله:** (أمامهم) يعني أن لفظ «وراء» مشتق من تواريت عنك إذا سترت واختفيت عنه، فكل ما توارى عنك سواء كان أمامك أو خلفك فهو وراءك. والبرزخ في الأصل الحاجز بين الشيئين ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ [الفرقان: ٥٣] والمراد به ما يحول بينهم وبين الرجعة والقبر فإنه مانع من الرجوع إلى الدنيا. **قوله:** (والضمير للجماعة) يعني جمع الضمير في «ورائهم» بعد التوحيد لشيوع هذا النهي في جنس الكفار وجماعتهم. **قوله:** (وهو إقناط كلي) دفع لما يتوهم من أن ظاهر قوله تعالى: ﴿إلى يوم يبعثون﴾ يدل على أنهم يرجعون إلى الدنيا بعد يوم البعث بناء على أن الحكم ما بعد كلمة الغاية مغاير لحكم ما قبلها، فلما قيل: أمامهم برزخ يصدهم عن الرجوع إلى يوم يبعثون وفهم منه أنهم يرجعون إلى الدنيا بعده، دفعه بأن الكلام يدل على أنهم لا يرجعون إلى الدنيا. أما قبل يوم البعث فلصريح النص، وأما بعده فلما علم أنه لا رجوع بعد يوم البعث إلا إلى أحد المنزلين الجنة أو النار. ثم إنه

الآخرة. ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد، تؤيد أن الصور أيضًا جمع الصورة ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه أو يفتخرون بها. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ كما يفعلون اليوم ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ ولا يسأل بعضهم بعضًا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧، ٥٠؛ الطور: ٢٥] لأنه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة ودخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ موزونات عقائده وأعماله أي ومن كانت له عقائد وأعمال صالحة يكون لها وزن عند الله وقدر.

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ الفائزون بالنجاة والدرجات. ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ أي ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار لقوله: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] ﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها. ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ بدل من الصلة أو خبر ثانٍ «لأولئك» ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ تحرقها. واللفح كالنفح إلا أنه أشد تأثيرًا.

تعالى لما قال: ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ ذكر أحوال ذلك اليوم فقال ﴿فإذا نفخ في الصور﴾ والمعنى فإذا بعث الناس قيل: الصور آلة إذا نفخ فيها يظهر صوت عظيم جعله الله تعالى علامة لخراب الدنيا ولإعادة الأموات. وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام: «أنه قرن ينفخ فيه». وقيل: الصور جمع صورة. والمعنى: فإذا نفخ في الصور كلها أرواحها، وهو قول الحسن رضي الله تعالى عنه. وكان يقرأ بفتح الواو وضم الصاد وكسرها. وقوله: «بينهم» ليس منصوبًا بقوله: ﴿فلا أنساب﴾ لأن اسم «لا» إذا بني لا يعمل بل منصوب بعامل محذوف وذلك المحذوف هو العامل أيضًا في «يومئذ» وقوله: «تنفعهم أو يفتخرون بها» إشارة إلى أن نسب الإنسان لا ينقطع يومئذ إنما المنقطع فيه الانتفاع به والتفاخر.

قوله: (لأنه عند النفخة) يعني أن عدم التساؤل عند النفخة، فإن أهل البعث في يوم القيامة مشغولون بأنفسهم عن التساؤل. وقيل: يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة ففيه أزمنة وأحوال مختلفة، فيتعارفون ويتساءلون في بعضها ويتحيرون في بعضها لشدة الفزع. وقيل: التناكر يكون عند النفخة الأولى، فإذا كانت الثانية قاموا وتعارفوا وتساءلوا وقالوا: ﴿يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ﴾ [يس: ٥٢]. **قوله:** (واللفح كالنفح) أي في الدلالة على معنى الهبوب والضرب يقال: نفحت الريح أي هبت. قال الأصمعي رحمة الله

﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ من شدة الاحتراق. والكلوح تقلص الشفتين عن الأسنان. وقرىء «كلحون» ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ على إضمار القول أي يقال لهم: ألم تكن. ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ تأنيث وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لأجله. ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ ملكتنا بحيث صارت أحوالنا مؤدية إلى سوء العاقبة. وقرأ حمزة والكسائي «شقاوتنا» بالفتح كالسعادة. وقرىء بالكسر كالكتابة ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾ عن الحق ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ من النار ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى التكذيب ﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ لأنفسنا ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا﴾ اسكتوا سكوت هوان فإنها ليست مقام سؤال، من خسأت الكلب إذا زجرته فخسأ. ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ في رفع العذاب أو لا تكلمون رأسًا. قيل: إن أهل النار يقولون: ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فيجابون: حق القول مني. فيقولون: ألفا ربنا أمتنا اثنتين. فيجابون: ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده فيقولون: ألفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون: إنكم ماكثون فيقولون: ألفا ربنا أخرنا إلى أجل قريب فيجابون: أوَلم تكونوا أقسمتم. فيقولون: ألفا أخرجنا نعمل صالحًا. فيجابون: أوَلم نعمّركم فيقولون: ألفا رب ارجعون. فيجابون: اخسأوا فيها ثم لا يكون لهم فيها إلا زفير وشهيق وعواء.

﴿إِنَّهُ﴾ إن الشأن. وقرىء بالفتح أي لأنه ﴿كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي﴾ يعني المؤمنين: وقيل: الصحابة. وقيل: أهل الصفة. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ هزءًا. وقرأ نافع وحمزة والكسائي هنا وفي صّ بالضم، وهما مصدرا سخر زيدت فيهما ياء النسبة للمبالغة. وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزء، والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية. ﴿حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني في أوليائي ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾ استهزاء بهم ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ على أذاكم ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به. وهو ثاني مفعولي «جزيتهم».

تعالى عليه ورضي عنه: ما كان من الرياح نفحًا فهو برد وما كان لفحًا فهو حر. **قوله:** **(والكلوح تقلص الشفتين)** قيل: تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ صدره. **قوله:** **(وهما مصدرا سخر)** تقول: **سخرت منه وبه** أسخر من باب علم سخرًا وسخريًا وسخريًا إذا هزأت به. والذي يدل على أن المراد منه الهزء قوله تعالى: ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ والضحك إنما يلائم السخرية والهزء **فظهر أنهما** لغتان بمعنى واحد. **قوله تعالى:** (حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون) أي نسيتموه باشتغالكم بالاستهزاء بهم. نسب الإنساء إلى عباده المؤمنين وإن لم يفعلوا ذلك لكونهم سببًا

وقرأ حمزة والكسائي بالكسر استئنافًا ﴿قَالَ﴾ الله أو الملك المأمور بسؤالهم. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي على الأمر للملك أو لبعض رؤساء أهل النار. ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أحياء أو أمواتًا في القبور ﴿عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ تمييز لكم ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقصارًا لمدة لبثهم فيها بالنسبة إلى خلودهم في النار أو لأنها كانت أيام سرورهم وأيام السرور قصارًا، ولأنها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم. ﴿فَسْئَلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ الذين يتمكنون من عد أيامها إن أردت تحقيقها، فإنا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها وإحصائها، أو الملائكة الذين يعدون أعمار الناس ويحصون أعمالهم. وقرىء «العادين» بالتخفيف أي الظلمة فإنهم يقولون ما نقول. والعاديين أي القدماء المعمرين فإنهم أيضًا يستقصرون ﴿قَالَ﴾ وفي قراءة الكوفيين «قل» ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ تصديق لهم في تقالهم. ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ توبيخ على تغافلهم «وعبثا» حال بمعنى عابثين أو مفعول له أي إنّا لم نخلقكم تلهيًا بكم وإنما خلقناكم لنعيدكم ونجازيكم على أعمالكم. وهو كالدليل على

في ذلك كقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦] لكون الأصنام سببًا للإضلال. **قوله**: (على الأمر) يعني أنهم قرأوا «قل كم لبثتم» على معنى أنه أمر للملك أو لبعض رؤساء أهل النار أن يسأل أهل النار ويقول: كم لبثتم في الأرض أحياء وأمواتًا في القبور إلى أن بعثتم؟ و«كم» في موضع النصب على ظرف الزمان أي كم لهم سنة وعدد بدل من كم. قاله أبو البقاء. والصحيح أن عدد سنين هو التمييز، والمقصود من هذا السؤال هو التبكيت والإلزام لأنهم كانوا ينكرون اللبث في الآخرة رأسًا ويقولون: لا لبث إلا في دار الدنيا، ويظنون أن بعد الموت يدوم الفناء ولا بعث بعده. ولما حصلوا في النار وأيقنوا دوامها وخلودهم فيها سئلوا ﴿كم لبثتم في الأرض﴾ تذكيرًا لهم أن ما ظنوه دائمًا طويلاً فهو قليل يسير بالإضافة إلى ما أنكروه، فحينئذ يحصل لهم الحسرة على ما كانوا يعتقدونه في الدنيا ويتيقنون خلافه. فإن قيل: كيف يصح أن يقولوا في الجواب: ﴿لبثنا يومًا أو بعض يوم﴾ ولا يقع الكذب في الآخرة فالمصنف رحمة الله تعالى عليه أشار إلى جوابه بقوله: «استقصارًا لمدة لبثهم فيها» إلى آخره. وقيل: إنهم نسوا قدر لبثهم في الأرض لكثرة ما هم فيه من الأهوال وعظم ما هم بصدده من العذاب. ويدل عليه قولهم: ﴿فاسأل العادين﴾ أو لأن المنقضي ليس له قدر في مقابلة الباقي فهو أقل من كل قليل، ولهذا صدقهم الله تعالى في استقلالهم تلك المدة حيث قال: ﴿إن لبثتم إلا قليلاً﴾ أي زمانًا قليلاً أو لبثًا قليلاً. وجواب «لو» مقدر أي لو أنكم كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول لما أجبتم بهذه المدة. كذا قاله أبو البقاء رحمة الله تعالى عليه يعني أنه تعالى صدقهم في أصل الاستقلال وجهلهم

البعث. ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ معطوف على «إنما خلقناكم» أو «عبثًا». وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم. ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ الذي يحق له الملك مطلقًا، فإن من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفي حال دون حال ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فإن ما عداه عبيد ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ الذي يحيط بالأجرام وتنزل منه محكمات الأقضية والأحكام، ولذلك وصفه بالكرم أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين. وقرىء بالرفع على أنه صفة الرب. ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ يعبده إفرادًا أو إشراكًا ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ صفة أخرى لآله لازمة له فإن الباطل لا برهان به جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيهًا على أن التدين بما دليل عليه ممنوع، فضلاً عما دل الدليل على خلافه. أو اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك. ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ فهو مجاز له مقدار ما يستحقه. ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ إن الشأن. وقرىء بالفتح على التعليل أو الخبر أي حسابه عدم الفلاح. بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين. ثم أمر رسوله بأن يستغفره ويسترحمه فقال:

﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح الريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت». وعنه أنه قال: «لقد أنزلت عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة. ثم قرأ ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ حتى ختم العشر». وروي «أن أولها وآخرها من كنوز الجنة ومن عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع من آخرها فقد نجا وأفلح». والله أعلم.

في تعيين المدة. ثم إنه تعالى لما بكتهم في إنكارهم البعث ولبث الآخرة، وبّخهم على تماديهم في الغفلة وتركهم النظر الصحيح فيما يدل على حقية البعث والقيامة، فإنه لولا القيامة لما تميّز المطيع من العاصي والصديق من الزنديق فيكون خلق العالم عبثًا فقال تعالى: ﴿أفحسبتم إنما خلقناكم عبثًا﴾ ثم نزه نفسه عن العبث بقوله: ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ والمراد من الرجوع إلى الله تعالى الرجوع إلى حيث لا مالك ولا حاكم فيه سواه لا الرجوع من مكان إلى مكان فيه الله تعالى، وذلك ظاهر. والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة النور

مدنية وهي ثنتان أو أربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُورَةٌ﴾ أي هذه سورة أو فيما أوحينا إليك سورة. ﴿أَنزَلْنَاهَا﴾ صفتها. ومن نصبها جعله مفسرًا لناصبها، فلا يكون له محل إلا إذا قدر «اتل» أو «دونك» أو نحوه ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ وفرضنا ما فيها من الأحكام. وشدده ابن كثير وأبو عمرو لكثرة فرائضها. أو

سورة النور

مدنية وهي ستون وآيتان أو أربع آيات

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

روى الإمام الواحدي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله تعالى عنهم قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور». يعني النساء. **قوله: (أي هذه سورة)** على أن «سورة» خبر مبتدأ محذوف وعلى الثاني هي مبتدأ والخبر محذوف. و«أنزلناها» على التقديرين صفة سورة للمدح والتأكيد بناء على أن الإنزال يفهم منها أي السورة لأنها اسم لطائفة من القرآن المنزل علم ابتداؤها وانقطاعها بالتوقيف. فإن قلت: ما فائدة هذا الحمل مع أن كل واحدة من فائدتي الخبر ولازمها منتف فيها؟ فالجواب أن إحدى الفائدتين إنما تطلب من الكلام الذي يقصد به إفادة المخاطب. ويكون المتكلم في صدد الإخبار والإعلام، وأما الكلام الذي يقصد به الامتنان والمدح والترغيب فلا يجب فيه شيء منهما. **قوله: (وفرضنا ما فيها)** على طريق

المفروض عليهم، أو للمبالغة في إيجابها ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات الدلالة ﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ①﴾ فتتقون المحارم. وقرىء بتخفيف الذال ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾ أي فيما فرضنا أو أنزلنا حكمهما وهو الجلد. ويجوز أن يرفعا بالابتداء والخبر. ﴿فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ والفاء لتضمنها معنى الشرط إذ اللام بمعنى الذي. وقرىء بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من نصب «سورة» لأجل الأمر والزان بلا ياء. وإنما قدم الزانية لأن الزنى في الأغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها

ذكر المحل وإرادة الحال. وقال أبو علي: أي فرضنا فريضتها المذكورة فيها، فحذف المضاف.

قوله: (فتتقون المحارم) **إشارة إلى أن قوله تعالى:** ﴿تذكرون﴾ **من تذكر ما علم قبل لا من التذكر بمعنى الاتعاظ، كأنه قيل: أنزلنا فيها آيات بينات لتعلموها وتذكروها وقت الحاجة إليها. قال الإمام رحمة الله تعالى عليه في أول هذه السورة: أنواع من الأحكام والحدود وفي آخرها دلائل التوحيد، فقوله تعالى:** ﴿وفرضناها﴾ **إشارة إلى الأحكام التي بيّنها أولاً ثم قال تعالى:** ﴿وأنزلنا فيها آيات بينات﴾ **إشارة إلى ما بيّن فيها من دلائل التوحيد. والذي يؤكد هذا التأويل قوله تعالى:** ﴿لعلكم تذكرون﴾ **فإن الأحكام والشرائع ما كانت معلومة لهم ليؤمروا بتذكرها. انتهى كلامه. وجعل دلائل التوحيد في قوة المعلوم لمسارعة العقول السليمة إلى قبولها وابتنائها على مقدمات مسلمة مركوزة في القلوب. قوله:** (أي فيما فرضنا) **على أن قوله:** «الزانية والزاني» **مبتدأ حذف خبره. ثم بيّن حكمهما بقوله:** ﴿فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ **الآية والفاء فيه لعطف تفصيل المجمل على المجمل كما في قوله تعالى:** ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ **[هود: ٤٥] فإن الفاء العاطفة للمجمل قد تفيد كون المذكور بعدها كلامًا مرتبًا على ما قبلها في الذكر، لا أن مضمون ما بعدها واقع عقيب مضمون ما قبلها في الزمان. قوله:** (وقرىء بالنصب) **أي على الإضمار على شريطة التفسير والتقدير: اجلدوا الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما، ودخلت الفاء في أول الفعل المفسر إيذانًا بأنه واقع في موقع جزاء لشرط محذوف. والأصل: إن أردتم معرفة حكم الزانية والزاني فاجلدوهما اجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة، فحذف الشرط اعتمادًا على دلالة سياق الكلام عليه وحذف الفعل الأول ثم فسر لكون التفسير بعد الإبهام أوقع في النفس، فصار فالزانية والزاني اجلدوا كل واحد منهما ثم قدم المفعول على الفاء ليصير عوضًا عن الشرط المحذوف كما ترى. قوله:** (لأجل الأمر) **فإن الفعل الواقع بعدما أضمر عامله على شريطة التفسير إذا كان أمرًا أو نهيًا يختار نصبه حتى تكون الجملة الطلبية فعلية، وهي أولى إن أمكن اختصاص الطلب بالفعل. ألا يرى إلى**

عليه، ولأن مفسدته تتحقق بالإضافة إليها. والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دلّ على أن حد المحصن هو الرجم. وزاد الشافعي عليه تغريب الحرسنة لقوله عليه السلام: «البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام». وليس في الآية ما

اختصاص حروف الطلب بالفعل كحرف الاستفهام والعرض والتحضيض؟ فلو رفع الزانية على الابتداء لكان فعل الأمر خبرًا والأمر لا يقع خبرًا إلا بتأويل. وقوله: «والزان» بلا ياء أي وقرىء و «الزان» بلا ياء اكتفاء بالكسرة عنها كما في قوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦]. **قوله:** (**والجلد ضرب الجلد**) كما يقال: رأسه وبطنه إذا ضرب رأسه وبطنه، فكذا يقال: جلده إذا ضرب جلده. والزنى عبارة عن إيلاج فرج في فرج مشتهى طبعًا محرم قطعًا. **قوله:** (**وهو حكم يخص مَن ليس بمحصن**) يعني أن الآية تتناول جميع الزناة والزواني من المحصن وغيره، إلا ما نقل إلينا بطريق التواتر من أنه ﷺ رجم من زنى محصنًا خص الآية بغير المحصن، فإن تخصيص القرآن بالخبر المتواتر يجوز اتفاقًا. قال الإمام رحمة الله تعالى عليه: واحتج الجمهور من المجتهدين على وجوب رجم المحصن بما ثبت بالتواتر من أنه ﷺ فعل ذلك. وقال عمر رضي الله عنه: إذا طال الزمان على الناس ربما يقول قائل: لا نجد الرجم في كتاب الله تعالى فيضل بترك فريضة أنزلها الله تعالى وقد قرأنا: ﴿الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة﴾ ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده. فأخبر أن الذي فرضه الله تعالى هو الرجم. **قوله:** (**وزاد الإمام الشافعي عليه الخ**) وقال أبو حنيفة رحمة الله تعالى عليه: يجلد أما التغريب فمفوّض إلى رأي القاضي وهو الإمام. واحتج أبو حنيفة على نفي وجوب التغريب بوجوه منها: أن إيجاب التغريب يقتضي نسخ الآية ونسخ القرآن بخبر الواحد لا يجوز، وقرر النسخ من ثلاثة أوجه: الأول أنه سبحانه وتعالى رتب الجلد على فعل الزنى بالفاء وحرف الفاء للجزاء، وقد صرح أئمة اللغة رحمة الله تعالى عليهم بذكر الشرط والجزاء وفسروا الشرط بالذي دخلت عليه كلمة «أن» والجزاء بالذي دخل عليه حرف الفاء. والثاني أن الجزاء اسم لما تقع به الكفاية مأخوذ من قولهم: جزاه أي كفاه وقال ﷺ: «يجزيك ولا يجزي بعدك أحدًا» أي يكفيك، ومنه قول القائل: أجزيت الإبل بالعشب عن الماء، وإنما تقع الكفاية بالجلد إذا لم يجب معه شيء يقتضي نسخ كونه كافيًا. والثالث أن المذكور في الآية لما كان هو الجلد كان ذلك هو كمال الحد، فلو جعلنا التغريب معتبرًا مع الجلد كان الجلد بعض الحد لا كل الحد فيفضي إلى نسخ كونه كل الحد. وأجاب عنه المصنف رحمة الله تعالى عليه بأنه ليس في الآية ما يفيد دفع وجوب التغريب إذ ليس فيها إلا إدخال حرف الفاء على الأمر بالجلد، وأما كون مدخولها جزاء كافيًا في العقوبة فليس من كلام الله تعالى ولا من كلام رسوله عليه الصلاة والسلام بل هو قول بعض الأدباء

يدفعه لينسخ أحدهما بالآخر نسخًا مقبولاً أو مردودًا. وله في العبد ثلاثة أقوال.
والإحصان بالحرية والبلوغ والعقل والإصابة في نكاح صحيح. واعتبرت الحنفية الإسلام
أيضًا وهو مردود برجمه عليه السلام يهوديين. ولا يعارضه من أشرك بالله فليس بمحصن

فلا يكون حجة. وليس في الآية الشريفة إلا وجوب الجلد وليس فيها ما يدفع شيئًا آخر بوجوبه، والنسخ المقبول نسخ الكتاب بالسنة المتواترة والمردود منه نسخه بالآحاد فإنه مردود عند الحنفية رضي الله تعالى عنهم.

قوله: (وله في العبد ثلاثة أقوال) أحدها تغريب سنة كما في الحر، لأن التغريب الإيحاش وذلك معنى يرجع إلى الطبع فيستوي فيه الحر والعبد كمدة الإيلاء والعنة. وثانيها تغريب نصف سنة لقوله تعالى: ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥] والتغريب يقبل التنصيف فينصف كما ينصف الجلد، فإنه يجلد نصف جلد الأحرار. وثالثها أنه لا يغرب كما قال أبو حنيفة رضي الله عنه لقوله ﷺ: «إذا زنت أمة أحدكم فليحدها الحد كما وجب عليها». ولم يؤمر بالتغريب لأن منافعه للسيد ففي تغريبه إضرار بالسيد. واعلم أن كون الزنى موجبًا للرجم تارة والجلد أخرى مشروط بالعقل والبلوغ بل هما معتبران في العقوبات كلها، أما كونه موجبًا للرجم فلا بد فيه مع العقل والبلوغ من شروط أخر: الشرط الأول الحرية. وأجمعوا على أن الرقيق لا يجب عليه الرجم البتة كما أجمعوا على أن الأمة تجلد خمسين جلدة، وكذا العبد عند الجمهور. وقال أهل الظاهر: يجلد العبد مائة جلدة كالحر عملاً بعموم قوله تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما﴾ الآية. الشرط الثاني التزوج بنكاح صحيح فلا يحصل الإحصان بالإصابة بملك اليمين وبوطء الشبهة وبالنكاح الفاسد. الشرط الثالث الدخول ولا بد منه لقوله ﷺ: «الثيب بالثيب» وإنما تصير ثيبًا بالوطء. وشرط أبو حنيفة رحمة الله تعالى عليه أن تكون الإصابة بالنكاح الصحيح بعد البلوغ والحرية والعقل لأنه شرط أكمل الإصابات وهو أن تكون بنكاح صحيح، وشرط أن تكون الإصابة في حال الكمال والإسلام ليس شرطًا في كون الزنى موجبًا للرجم عند الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه وأبي يوسف أيضًا. وقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه: هو شرط أيضًا. واحتج بأن الذمي الذي يزني بعد الإحصان لا يجب عليه القتل، فبيان الأول قوله ﷺ: «من أشرك بالله فليس بمحصن». وبيان الثاني أن المسلم الذي لا يكون محصنًا لا يجب عليه القتل لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يحل دم امرىء مسلم إلا لأحد معان ثلاث: كفر بعد إيمان وزنى بعد إحصان وقتل النفس بغير حق» ولما لم يكن الذمي محصنًا لم يجب قتله بإقدامه على الزنى. وأجاب المصنف رحمة الله تعالى عليه عن هذا الاحتجاج بأن معنى الحديث الشريف «أن من أشرك بالله فليس بمحصن» أي بمحصن الدم فلا يقتل قاتله

إذ المراد المحصن الذي يقتص له من المسلم. ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ رحمة ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ في طاعته وإقامة حده فتعطلوه أو تسامحوا فيه، فلذلك قال عليه السلام: «لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها». وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة. ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ فإن الإيمان يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد في إقامة أحكامه وحدوده وهو من باب التهييج. ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ زيادة في التنكيل، فإن التفضيح قد ينكل أكثر ما ينكل التعذيب. والطائفة فرقة يمكن أن تكون حافة حول شيء من الطوف وأقلها ثلاثة. وقيل: واحد أو اثنان. والمراد جمع يحصل به التشهير.

المسلم قصاصًا، فإن القصاص إنما يجب بقتل من أحصن دمه أبدًا والمشرك ليس ممن أحصن دمه أبدًا فلا يقتص من المسلم لأجله. وإليه ذهب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه واحتج عليه بقوله ﷺ: «لا يقتل مسلم بكافر» ويقتل المسلم بالذمي عندنا لما روي أنه ﷺ فعل ذلك، ويجب القصاص في الأطراف بين المسلم والكافر إجماعًا. واعلم أن عقوبة الزاني كانت في أول الإسلام أن يحبس إلى أن يموت في حق الثيب، وأن يؤذى بالكلام في حق البكر قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ **[النساء: ١٥، ١٦] ثم نسخ ذلك فجعل حد الثيب على الزنى الرجم وحد البكر الجلد والتغريب. روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «حدث عني أنه قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة» واحتج الإمام الشافعي رحمة الله تعالى عليه بهذا الحديث على ما ذهب إليه من الجمع بين الجلد والتغريب في البكر وبين الجلد والرجم في حق الثيب. قوله تعالى: (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله) أي لا تدرككم الرأفة والشفقة عليهما بحيث تؤدي إلى تعديل حد الله تعالى وترك الإقامة أو المسامحة فيه، فإن الإيمان يوجب الإتيان بأمر الله تعالى والتشديد فيه دون اللين والمسامحة. وفي الحديث: «يؤتى بوالٍ نقصَ من الحد سوطًا فيقال: لم نقصته؟ فيقول: رحمة بعبادك فيقال له: أأنت أرحم وأعلم به مني، فيؤمر به إلى النار». ويجوز أن يكون هذا الحديث تفسيرًا لقوله ﷺ: «القضاة ثلاثة: قاضٍ في الجنة وقاضيان في النار». وعن أبي هريرة رضي الله عنه: إقامة حد بأرض خير لأهلها من مطر أربعين ليلة.**

قوله: (وقيل واحد) احتجاجًا بقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ **[الحجرات: ٩] وقوله: «أو اثنان» احتجاجًا بقوله تعالى:** ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ

﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌۚ﴾ إذ الغالب أن المائل إلى الزنى لا يرغب في نكاح الصوالح، والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فإن المشاكلة علة الإلفة والتضام والمخالفة سبب النفرة والافتراق، فكان حق المقابلة أن يقال: والزانية لا تنكح إلا من زان أو مشرك، لكن المراد بيان أحوال الرجال في الرغبة فيهن لأن الآية نزلت في ضعفة المهاجرين لما هموا أن يتزوجوا بغايا يكرين أنفسهن لينفقن عليهم من أكسابهن على عادة الجاهلية، ولذلك قدم الزاني. ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ لأنه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد، وذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة. وقيل: النفي بمعنى النهي. وقد قرىء به. والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه أو منسوخ بقوله: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٢] فإنه يتناول المسافحات ويؤيده

طَآئِفَةٌ﴾ [التوبة: ١٢٢] وكل ثلاثة فرقة والخارج من الثلاثة واحد واثنان، والاحتياط بوجوب الأخذ بالأكثر، ثم إنه تعالى لما بيّن عقوبة الزنى وحكمه وعقوبة من ارتكبه بيّن حكمًا ثانيًا فقال تعالى: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة﴾ الآية ولما كان ظاهر النظم إخبارًا بأن الزاني لا ينكح المؤمنة العفيفة وأن الزانية لا ينكحها المؤمن التقي وكان هذا الحصر عرفًا غير ظاهر الصحة في حكم هذه الشريعة لأن الزاني قد ينكح المؤمنة العفيفة والزانية قد ينكحها المؤمن العفيف، وكذا قوله تعالى: ﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾ فإنه أيضًا غير ظاهر الصحة فإن المؤمن يحل له أن يتزوج بالمرأة الزانية. أشار المصنف رحمه الله تعالى إلى جوابه بأن حمل الإخبار المذكور على الأعم الأغلب على طريق قولك: لا يفعل الخير إلا رجل تقي مع أن بعض من لا يكون تقيًا قد يفعل خيرًا. فمراد القائل بيان أن ما وقع من الخير إنما يقع غالبًا من التقي وهو لا ينافي وقوعه من غير التقي على قلة، فكذا ههنا، أو من حمل التحريم على التنزيه. قال الإمام النسفي: وأصح الأقاويل في هذه الآية الشريفة أنها تزهيد في حق نكاح البغايا. وتأويل ذلك أن أهل الإسلام والإيمان سبيلهم أن لا يرغبوا إلا في المسلمات العفيفات، وأما الزاني فهو إنما يميل إلى من كان على مذهبه في الزنى أو إلى من لا يعتقد الإيمان فضلاً عن أن يتفكر في التعفف، والزانية أيضًا إنما تميل إلى أحد الرجلين إما إلى زاني مثلها أو إلى مشرك شر منها. **قوله:** (فكان حق المقابلة) أي قوله تعالى: ﴿الزاني لا ينكح﴾ أي لا يتزوج إنما يقابله قولنا: الزانية لا تنكح ولا تتزوج إلا من هو زانٍ، إلا أنه لما كان المقصود بيان أحوال الرجال وأن طائفة تميل إلى العفائف وطائفة تميل إلى الفواجر لم يراع حق المقابلة. **قوله:** (والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه) فالمعنى: وحرم نكاح البغايا قصدًا للتوسع بما يأخذن في الزنى، كما خطر ببال فقراء

أنه عليه السلام سئل عن ذلك فقال: «أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال». وقيل: المراد بالنكاح الوطء فيؤول إلى نهي الزاني عن الزنى إلا بزانية، والزانية أن يزني بها إلا زان وهو فاسد.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ يقذفونهن بالزنى لوصف المقذوفات بالإحصان. وذكرهن عقيب الزواني واعتبار أربعة شهداء بقوله: ﴿ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ﴾ والقذف بغيره مثل: يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن. والإحصان ههنا بالحرية والبلوغ والعقل والإسلام والعفة عن الزنى، ولا فرق فيه

المهاجرين حين قدموا المدينة وفيها نساء بغايا يكرين أنفسهن وهن يومئذ أخصب أهل المدينة أن يتزوجوا بهن إلى أن يغنيهم الله تعالى عنهن. فاللام والألف في قوله تعالى: ﴿الزاني﴾ **وفي قوله تعالى:** ﴿على المؤمنين﴾ **وإن كان للعموم ظاهرًا لكن المراد به الأقوام الذين نزلت الآية الشريفة فيهم وبسببهم. فتقدير الآية: والله تبارك وتعالى أعلم أولئك الزناة لا ينكحون إلا الزانيات وتلك الزانيات لا ينكحهن إلا أولئك الزناة وحرم نكاحهن بأعيانهن على المؤمنين. والأيامى جمع أيم وهو من لا زوج له رجلاً كان أو امرأة. وسئل عليه الصلاة والسلام أن من زنى بامرأة هل له أن يتزوجها؟ فأجاب بقوله ﷺ: «أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال». وشبّهه ابن عباس بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه. وعن عائشة رضي الله عنها: أن الرجل إذا زنى بامرأة ليس له أن يتزوجها لهذه الآية الشريفة وإذا باشرها كان زانيًا. قوله: (وهو فاسد) لأن الإشكال باقٍ لأنّا نرى أن الزانية قد ينكحها الرجل العفيف والزاني قد ينكح العفيفة ويتزوجها. ولو قلنا: بأن المراد أن الزاني لا يطأ بطريق الزنى إلا الزانية فهذا كلام لا فائدة فيه. قوله: (لوصف المقذوفات بالإحصان) بيان للقرينة المعينة لكون المراد بالشيء المقذوف به الزنى، فإن ظاهر الآية الشريفة لا يدل إلا على الشيء الذي رمى به المحصنات، وذكر الرمي لا يدل على الزنى لأن المحصنات قد يرمين بالسرقة والكذب ونحوهما فلا بد من قرينة تدل على تعيين المراد. واتفق العلماء رضي الله عنهم على أن المراد بالرمي الزنى بقرينة تقدم ذكر الزنى لأنه تعالى وصف المقذوفات بالإحصان وهو العفة عن الزنى، فدل ذلك على أن المراد وصفهن بعدم العفاف لقوله تعالى:** ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ **أي على صدقهم فيما رموهن به. وكون الشهود أربعة إنما يشترط في المقذوف بالزنى فإن القذف بغير الزنى يكفي فيه شاهدان، وأن الواجب فيه التعزير دون الحد. ثم إن أقرّ المقذوف على نفسه بالزنى أو أقام القاذف أربعة من الشهود على زناه سقط الحد عن القاذف، لأن الحد وجب لافترائه على البريء وقد ثبت صدقه. قوله: (ولا فرق فيه) يعني لا فرق بين المحصنين والمحصنات في أن قذفهم بالزنى يوجب جلد القاذف**

بين الذكر والأنثى. وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة أو لأن قذف النساء أغلب وأشنع. ولا يشترط اجتماع الشهود عند الأداء ولا يعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافًا لأبي حنيفة، وليكن ضربه أخف من ضربات الزاني لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده. ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً﴾ أي شهادة كانت لأنه مفترى وقيل: شهادتهم في القذف. ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافًا لأبي حنيفة فإن الأمر بالجلد والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جوابًا للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الحد أسوأ مما بعده ﴿أَبَدًا﴾ ما لم يتب. وعند أبي حنيفة: إلى آخر عمره. ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ المحكوم بفسقهم. ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ عن القذف

ثمانين جلدة إلا أن النص ورد في قذف المحصنات لما ذكره. **قوله:** (لخصوص الواقعة) على ما قيل من أن هذه الآية نزلت في حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه حين تاب مما قال في حق عائشة رضي الله عنها. **قوله:** (ولا يشترط اجتماع الشهود عند الأداء) لأن الإتيان بأربعة شهداء يصدق على الإتيان بهم مجتمعين ومتفرقين قياسًا على سائر الأحكام، فإنها تثبت بشهادة الشهود بها سواء شهدوا بها مجتمعين أو متفرقين فكذا حكم الزنى. وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: إذا شهدوا متفرقين لا يثبت الزنى وعليهم حد القذف، لأن الشاهد الواحد لما شهد فقد قذف المشهود عليه ولم يأت بأربعة شهداء فيجب عليه الحد، وتعبير القذف بلفظ الشهادة لا يخرجه عن كونه قاذفًا. ولو أتى القاذف بأربعة شهداء فساق فشهدوا على المقذوف بالزنى؟ قال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه: يسقط الحد عن القاذف ولا يجب الحد على الشهود. وقال الإمام الشافعي رحمة الله تعالى عليه في أحد قوليه يحدون. واحتج أبو حنيفة بأنه أتى بأربعة شهداء فلا يلزمه الحد والفاسق من أهل الشهادة فقد وجدت شرائط الشهادة، إلا أنه لم تقبل شهادتهم للتهمة.

قوله: (لضعف سببه) أي بالنسبة إلى سبب ضرب الزنى فإن سبب ضرب القذف هو القذف وهو قول يحتمل الصدق والكذب. وسبب ضرب الزنى فعل يثبت بالشهود العدول ولا شك أنه أقوى في كونه فحشًا بالنسبة إلى القول، فخفف عقوبة القول الضعيف. واحتمال صدق مقال القاذف يقتضي سقوط الحد رأسًا إلا أنه عوقب صيانة للعرض وردعًا عن هتكه. **قوله:** (خلافًا لأبي حنيفة رضي الله عنه) فإن عدم قبول شهادته متوقف على إقامة الحد عليه عنده حتى إذا تاب قبل إقامة الحد عليه أو قبل تمام حده تقبل شهادته عنده. فمعنى الآية والله تبارك وتعالى أعلم عنده: ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا بعد إقامة الحد عليهم، فلا تقبل شهادة المحدود في قذف وإن تاب وصار من الأتقياء. وقال الإمام الشافعي رحمة الله تعالى عليه: تقبل شهادته إذا تاب لقوله ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» ومن لا

﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ أعمالهم بالتدارك. ومنه: الاستسلام للحد أو الاستحلال من المقذوف. والاستثناء راجع إلى أصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الأمور ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل، لأن من تمام التوبة الاستسلام له أو الاستحلال. ومحل المستثنى النصب

ذنب له تقبل شهادته، فيجب أن تقبل شهادة من تاب عن القذف. وهذه المسألة مبنية على أن قوله: ﴿إلا الذين تابوا**﴾ هل يرجع إلى جميع الأحكام المذكورة أو يختص بالجملة الأخيرة؟ فعند أبي حنيفة رحمة الله تعالى عليه الاستثناء المذكور عقب الجمل الكثيرة مختص بالجملة الأخيرة. وعند الإمام الشافعي رحمة الله تعالى عليه يرجع إلى الكل لأن الواو للجمع المطلق فقوله تعالى: ﴿**فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا وأولئك هم الفاسقون**﴾ جمل متعاطفة بالواو فصار الجميع كأنه ذكر معًا لا تقدم للبعض على البعض، فلما دخل عليه الاستثناء لم يكن رجوع الاستثناء إلى بعضها أولى من رجوعه إلى الباقي إذ لم يكن لبعضها تقدم على البعض في المعنى البتة، فوجب رجوعه إلى الكل. ويؤيده أنّا أجمعنا على أنه لو قال: عبده حر وامرأته طالق إن شاء الله تعالى، فإنه يرجع الاستثناء إلى الجميع فكذا فيما نحن فيه. واحتج أصحاب أبي حنيفة رحمة الله عليهم على أن الاستثناء يختص بالجملة الأخيرة بأنه لو رجع إلى جميع الجمل المتقدمة لوجب أن لا يجلد القاذف إذا تاب، وهو باطل بالإجماع، فوجب أن يختص بالجملة الأخيرة. فقال المصنف رحمة الله تعالى عليه بناء على مذهبه أن الاستثناء راجع إلى أصل الحكم وهو كون قذف المحصنات مقتضيًا للجلد ورد الشهادة أبدًا والتفسيق. والمعنى: من قذف محصنة فأجمعوا له الجلد والرد والتفسيق إلا الذين تابوا عن القذف وأصلحوا، فإن الله تعالى يغفر لهم جناية قذفهم فلا يعاقبهم عليها. ولما ورد أن يقال: فعلى هذا يلزم أن القاذف إذا تاب عن القذف قبل أن يجلد يسقط عنه الحد وهو لا يسقط بالإجماع، أشار إلى جوابه بقوله: «ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل، لأن من تمام توبته الاستسلام للحد أو الاستحلال» من المقذوف فإن للمقذوف أن يعفو عن موجب القذف قبل أن تشهد الشهود ويثبت القذف، وأما بعد أن يرفع للقاضي ويثبت القذف بإقامة الشهود عليه فليس له أن يعفو بعده، لأن المقذوف وإن استحق على القاذف أن يستوفي منه الحد، إلا أنه لما اجتمع فيه حقان وحق الشرع فيه غالب فليس للمقذوف أن يعفو عن موجب القذف بعد ثبوته. قوله: (ومحل المستثنى النصب) لما تقرر في النحو من أنه يجوز النصب ويختار البدل فيما بعد «إلا» في كلام غير موجب والمستثنى منه مذكور كقولك: ما مررت بأحد إلا زيد بالجر على البدل من أحد وإلا زيدًا بالنصب على الاستثناء، ويجب نصبه في كلام موجب. وما في الآية لما كان راجعًا إلى أصل الحكم وكان المعنى: ومن قذف المحصنات فاجمعوا لهم هذه الأمور، كان الاستثناء في كلام موجب**

على الاستثناء. وقيل: إلى النهي ومحله الجر على البدل من هم في لهم. وقيل: إلى الأخيرة ومحله النصب لأنه من موجب. وقيل: منقطع متصل بما بعده. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ علة للاستثناء ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾ نزلت في هلال بن أمية رأى رجلاً على فراشه. و«أنفسهم» بدل من «شهداء» أو صفة «لهم» على أن «إلا» بمعنى غير. ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ﴾ فالواجب شهادة أحدهم

فيجب النصب. **قوله:** (وقيل إلى النهي) أي وقيل: الاستثناء الواقع في هذه الآية يرجع إلى قوله تعالى: ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا﴾ وهو كلام غير موجب وحق المستثنى أن يكون مجرورًا بدلاً من «هم» في «لهم». قال صاحب الكشاف: والإمام الشافعي جعل جزاء الشرط جملتي ﴿فاجلدوا﴾ ﴿ولا تقبلوا﴾ وجعل الاستثناء متعلقًا بالجملة الثانية منهما لا بمجموع جملتي الأمر والنهي، لأن التوبة لا تسقط حق العبد. ولم يرض المصنف رحمة الله تعالى عليه بهذا النقل لكونه مخالفًا لما اشتهر عن الإمام الشافعي رحمة الله تعالى عليه من كون الاستثناء المذكورة عقيب الجمل يرجع إلى الكل.

قوله: (وقيل منقطع) أي عما قبله. والمعنى: لكن الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم فقوله: ﴿إلا الذين﴾ مبتدأ خبره قوله: ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ أي غفور لهم، فحذف الجار والمجرور للعلم به. روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: لما نزل قوله: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ قال عاصم بن عدي الأنصاري رضي الله تعالى عنه: إن دخل رجل منا بيته فرأى رجلاً على بطن امرأته فإن جاء بأربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضى الرجل حاجته وخرج، وإن قتله قتل به، وإن قال: وجدت فلانًا مع تلك المرأة ضرب، وإن سكت سكت على غيظ، اللهم افتح. وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويم وكان له امرأة يقال لها خولة بنت كبش، فأتى عويم عاصمًا فقال له: لقد رأيت شريك بن سمحان على بطن امرأتي خولة. فاسترجع عاصم وأتى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله ما أسرع ما ابتليت بهذا في أهل بيتي. فقال رسول الله ﷺ: «ما ذاك»؟ فقال: أخبرني عويم ابن عمي أنه رأى شريك بن سمحان على بطن امرأته خولة. فدعا رسول الله ﷺ إياهم جميعًا فقال لعويم: «اتق الله في زوجتك وابنة عمك ولا تقذفها». فقال: يا رسول الله لقد رأيت شريكًا على بطنها وإني ما قربتها منذ أربعة أشهر وإنها حبلى من غيري. فقال لها رسول الله ﷺ: «اتقي الله تعالى ولا تخبري إلا بما صنعت». فقالت: يا رسول الله إن عويمًا رجل غيور وأنه رأى شريكًا يطيل النظر ويتحدث معي فحملته الغيرة على ما قال». فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ [النور: ٢٣] ونزل أيضًا قوله تعالى: ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ الآيات وبيّن به أن حكم قذف الزوجة اللعان بعد ما

أو فعليهم شهادة أحدهم. و«أربع» نصب على المصدر. وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على أنه خبر «شهادة». ﴿بِٱللَّهِ﴾ متعلق «بشهادات» لأنها أقرب. وقيل: «بشهادة» لتقدمها. ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦﴾ أي فيما رماها به من الزنى. وأصله على أنه فحذف الجار وكسرت «أن» وعلق العامل عنه باللام تأكيدًا ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ﴾ والشهادة الخامسة ﴿أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٧﴾ في الرمي. وقرأ نافع ويعقوب بالتخفيف في الموضعين ورفع «لعنة». هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه السلام: «المتلاعنان لا يجتمعان أبدًا» وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند أبي حنيفة ونفي الولد إن تعرض له فيه، وثبوت حد الزنى على المرأة لقوله:

بيّن حكم قذف الأجنبيات. فأمر رسول الله ﷺ بأن يؤذن الصلاة جامعة وصلى العصر ثم قال لعويم: «قم وقل أشهد بالله إن خولة لزانية وإني لمن الصادقين» ثم قال في الثانية: «أشهد أني رأيت شريكًا على بطنها وإني لمن الصادقين، ثم قال في الثالثة: أشهد بالله إنها لحبلى من غيري وإني لمن الصادقين، ثم قال في الرابعة: أشهد بالله إنها زانية وإني ما قربتها منذ أربعة أشهر وإني لمن الصادقين، ثم قال في الخامسة: لعنة الله على عويم. يعني نفسه. إن كان من الكاذبين. ثم قال: «اقعد» وقال لخولة: «قومي» فقامت وقالت: أشهد بالله ما أنا بزانية وإن زوجي لمن الكاذبين، وقالت في الثانية: أشهد بالله ما رأى شريكًا على بطني وإنه لمن الكاذبين، وقالت في الثالثة: أشهد بالله ما أنا حبلى إلا منه وإنه لمن الكاذبين، وقالت في الرابعة: أشهد بالله ما رأى عليّ فاحشة وإنه لمن الكاذبين، وقالت في الخامسة: غضب الله على خولة بنت كبش إن كان عويم من الصادقين في قوله: ففرق النبي ﷺ بينهما وقضى أن الولد لها ولا يدعى لأب. ثم قال عليه الصلاة والسلام: «إن جاءت بولدها مشابهًا لك فلك وإن جئت به مشابهًا لمن قيل فيه فهو له» ثم جاءت به غلامًا يشبه من نسب إليه فقال: لولا الإيمان لكان لي. وفي هذه الواقعة آيات أخر منها ما أشار إليه المصنف رحمة الله تعالى عليه بقوله: «نزلت في هلال بن أمية» وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله تعالى عليهم. قوله: (وأربع نصب على المصدر) لأنه في حكم المصدر بإضافته إليه، وناصب هذا المصدر مصدر مثله كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٣]. قوله: (وثبوت حد الزنى على المرأة) عطف على قوله: «سقوط حد القذف عنه». واعلم أنه إذا قذف الرجل امرأته بالزنى يجب عليه الحد إن كانت محصنة والتعزير إن لم تكن محصنة، كما في قذف الأجنبي إذ لا يختلف موجبهما غير أنهما يختلفان في المخلص. ففي قذف الأجنبي لا يسقط الحد عن القاذف إلا بإقرار المقذوف أو ببينة تقوم على أنها زنت، وفي قذف الزوجة يسقط

﴿وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾ أي الحد ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾﴾ فيما رماني به ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾﴾ في ذلك. ورفع «الخامسة» بالابتداء وما بعدها الخبر أو بالعطف على أن «تشهد» ونصبها حفص عطفًا على «أربع». وقرأ نافع «أن غضب الله» بكسر الضاد وفتح الباء ورفع «الله». ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ متروك الجواب للتعظيم أي لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ بأبلغ ما يكون من الكذب من الإفك وهو الصرف لأنه قول مأفوك عن وجهه. والمراد ما أفك به على عائشة رضي الله عنها، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام استصحبها في بعض الغزوات فأذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عاد إلى الرحل فلمست صدرها فإذا عقدها من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها أنها دخلت الهودج فرحله على مطيها وسار. فلما عادت

الحد عن القاذف بأحد هذين الأمرين وباللعان أيضًا وهو قول المصنف رحمة الله تعالى عليه، وحكمه سقوط حد القذف عنه. ولعان الزوج لمّا كان بمنزلة الشهادات التي يثبت بها الزنى أوجب عليها حد الزنى. نقل الإمام عن الشافعي رحمة الله تعالى عليهما: وكلها تثبت بمجرد لعانه ولا يفتقر فيها إلى لعانها ولا إلى حكم الحاكم فإن حكم الحاكم به كان تنفيذًا منه لا إيقاعًا للفرقة. واستدل المصنف رحمة الله تعالى عليه على ثبوت حد الزنى على المرأة بقوله: ﴿ويدرأ عنها العذاب﴾ بناء على أنه حمل العذاب على الحد كما في قوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢] وحمله الحنفيون رحمة الله تعالى عليهم على الجبر والحبس على اللعان والمعنى: ويدفع عن المرأة تجبر وتحبس على أن تلاعن أو تصدق زوجها فيما رماها به، فإنها إذا امتنعت عن اللعان حبست وأجبرت عليه حقًا للزوج.

قوله: (إنه عليه أفضل الصلاة والسلام استصحبها) وكان صلى الله تعالى عليه وسلم إذا أراد أن يسافر قرع بين نسائه فأيهن خرج اسمها خرج بها معه. فأقرع بين نسوانه في غزوة غزاها قيل: غزوة بني المصطلق، فخرج فيها اسم عائشة رضي الله تعالى عنها فخرجت معه عليه الصلاة والسلام. والجزع الخرز وظفار على وزن قطام مدينة باليمن، فقوله: «من جزع ظفار» أي من خرز منسوب إليها. والمنشد من عرف الضالة والناشد من يطلبها، فالأنسب أن يقال: كي يرجع إليها ناشد. والتعريس نزول القوم في السفر آخر الليل والمراد هنا مطلق النزول، ويقال: أدلج القوم إذا ساروا من أول الليل، والاسم الدلج، ويقال: أدلج من الافتعال إذا سار من آخر الليل. قالت عائشة رضي الله عنها: لما أصبح صفوان عند منزلي رأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني وقد رآني قبل أن يضرب عليّ الحجاب، فاستيقظت

إلى منزلها لم تجد ثمة أحدًا فجلست كي يرجع إليها منشد. وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلها فعرفها فأناخ راحلته فركبتها فقادها حتى أتيا الجيش فاتهمت به. ﴿عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ﴾ جماعة منكم وهي من العشرة إلى الأربعين، وكذلك العصابة يريد عبد الله بن أبي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت

باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي فوالله ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته وقمت على يدها أي يد راحلته فركبتها. فانطلق يقودني حتى أتينا الجيش في نحو الظهيرة، فهلك فيّ من هلك وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبيّ ابن سلول وخاضوا في حديثي وأفشوه في العسكر، وخاض أهل المعسكر فيه فجعل يرويه بعضهم عن بعض ويحدث به بعضهم بعضًا. قالت: وقدم رسول الله ﷺ المدينة فاشتكيت حين قدمتها شهرًا والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك، غير أنه يريبني في مرضي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي وإنما يدخل عليّ فيقول: «كيف تيكم» فيريبني ذلك ولا أشعر بالسر. فلما رأيت ذلك قلت: يا رسول الله لو أذنت لي فأنقلب إلى أبوي يمرضاني؟ فقال: «لا بأس». فانقلبت إلى بيت أبوي وكنت فيه إلى أن برئت من مرضي بعد بضع وعشرين ليلة. فخرجت في بعض الليالي ومعي أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج إلا ليلاً، وكان عادة أهل المدينة حينئذ أنهم لا يتخذون الكنف في بيوتهم إنما كانوا يذهبون في فسيح المدينة على عادة العرب الأول في التبرز تأذيًا من اتخاذ الكنف في بيوتهم. فانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي زنيم وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، فلما فرغنا من شأننا وأقبلنا إلى جانب البيت عثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح. فقلت لها: بئس ما قلت أتسبين رجلاً قد شهد بدرًا؟ فقالت: أو لم تسمعي ما قال؟ قلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضًا إلى مرضي. فلما رجعت إلى بيتي قلت: يا أمه ما يتحدث الناس؟ قالت: أي بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة ضفية عند رجل يحبها ولها ضرائر لأكدرن عليها. قالت: قلت: سبحان الله تعالى أو قد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي. ودعا النبي ﷺ أسامة بن زيد وعلي بن أبي طالب حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله، فأما علي بن أبي طالب فإنه قال: لم يضيق الله تعالى عليك في النساء والنساء سواها كثير فاستبدل، وأما أسامة بن زيد فأشار إليه بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفس النبي ﷺ من الود فقال: يا رسول الله ما علمت منها إلا خيرًا فلا تعجل وانظر واسأل أهلك. قالت: فسأل حفصة فقالت حفصة بنت عمر رضي الله تعالى عنهما: يا رسول الله ما

ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومساعدهم. وهي خبر «أن». وقوله: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾ مستأنف والخطاب للرسول ﷺ وأبي بكر وعائشة وصفوان والهاء للإفك. ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بإنزال ثماني عشرة آية في براءتكم وتعظيم شأنكم، وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرًا. ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصًا به. ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ معظمه. وقرأ يعقوب بالضم وهو لغة فيه.

رأيت عليها سوءًا قط. وسأل زينب بنت جحش فقالت مثل ذلك، وسأل بريرة فقال: «أي بريرة هل رأيت شيئًا يريبك من عائشة»؟ قالت: والذي بعثك بالحق نبيًا ما رأيت عليها أمرًا قط أغمضه عليك غير أنها أو أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله. قالت: فقام النبي ﷺ فأقبل حتى دخل عليّ وعندي أبواي ثم جلس. قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل في حقي ما قيل، وقد لبث شهرًا لا يوحى إليه في شأني بشيء. قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: «أما بعد يا عائشة قد بلغني عنك كذا وكذا إن كنت بريئة فسيبرئك الله عز وجل وإن كنت أسأت بذنب فاستغفري الله تعالى وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه». قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ كلامه خلص دمعي حتى ما احتبس منه قطرة فقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال. قال: والله ما أدري ما أقول. فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرًا من القرآن: والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم هذا حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر والله تعالى يعلم أني بريئة منه لتصدقني به، والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا ما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله تعالى يعلم ببراءتي وإني والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله تعالى فيّ بأمر يتلى، ولكنني كنت أرجو أن يرى النبي ﷺ رؤيا يبرئنيُ الله تعالى بها. قالت: فوالله ما قام رسول الله ﷺ من مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله تعالى جبريل على نبيه وأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى أنه لينحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشتائي من ثقل القول الذي أنزل عليه. فلما سرى عن رسول الله ﷺ سرى عنه وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: «أبشري يا عائشة أما والله لقد برأك الله تعالى». فقلت: نحمد الله تعالى ولا نحمدك ولا نحمد أصحابك. فقالت لي أمي: قومي إليه. فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل. قالت: فأنزل الله تعالى: ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه﴾ إلى

﴿مِنْهُمْ﴾ من الخائضين وهو ابن أبيّ، فإنه بدأ به وأذاعه عداوة لرسول الله ﷺ، أو هو وحسان ومسطح فإنهما شايعاه بالتصريح به. و«الذي» بمعنى الذين. ﴿لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ في الآخرة أو في الدنيا بأن جلدوا وصار ابن أبيّ مطرودًا مشهورًا بالنفاق، وحسان أعمى وأشل اليدين، ومسطح مكفوف البصر. ﴿لَّوْلَآ﴾ هلاّ ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١] وإنما عدل فيه من الخطاب إلى الغيبة مبالغة في التوبيخ وإشعارًا بأن الإيمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين

آخر الآيات العشر في براءتي. ولما أنزل الله تعالى هذه الآيات قال أبو بكر الصديق وكان ينفق لمسطح أو على مسطح لقرابته وفقره: والله لا أنفق شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله تعالى: ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم﴾ إلى قوله: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ قال أبو بكر: بلى أحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفقها عليه وقال: لا أنزعها منه أبدًا. و «عصبة» خبر «أن» و «منكم» صفته والمعنى - والله تبارك وتعالى أعلم: إن الذين أتوا بالكذب في أمر عائشة جماعة كائنة منكم في كونهم موصوفين بالإيمان. وعبد الله أيضًا كان من جملة من حكم له بالإيمان ظاهرًا.

قوله: (فإنه بدأ به وأذاعه) قالت عائشة رضي الله عنها، ركبت الراحلة وأخذ صفوان بالزمان يقودها فمررنا بملأ من المنافقين فيهم عبد الله بن أبي فقال: من هذه؟ قالوا: عائشة. قال: والله ما نجت منه ولا نجا منها. وقال: لعن الله امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها. قالت: وهو الذي تولى كبره منهم. فإنه لما كان مبتدئًا لذلك القول فلا جرم حصل له من العقاب مثل ما حصل لكل من قال ذلك. قال ﷺ: «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة». وروي أنه لما نزلت آية براءة عائشة رضي الله عنها قام رسول الله ﷺ على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن، فلما نزل ضرب عبد الله بن أبي ومسطحًا وحسانًا وحدّهم حدّ القذف. **قوله:** (لولا هلا) يعني أن «لولا» هذه تحضيضية بمعنى هلا، فإن لولا إذا وليت الفعل تكون للتحضيض كقوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ﴾ [المنافقون: ١٠] وحرف التحضيض يلزم الفعل لفظًا أو تقديرًا ومعناها إذا دخلت على الماضي التوبيخ واللوم على ترك الفعل، وإذا دخلت على المضارع فمعناها الحض على الفعل والطلب له. فهي في المضارع بمعنى الأمر ولا يكون التحضيض في الماضي، لأن الطلب لا يتصور فيه. فمعنى الآية: يا أيها الذين سمعوا قول قاذف عائشة بصفوان هلا ظننتم بالذين منكم من المؤمنين والمؤمنات خيرًا إذ سمعتم ما قيل في حقهم وجعل المؤمنين كنفس واحدة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١] وحق الكلام أن يقال:

عنهم كما يذبونهم عن أنفسهم. وإنما جاز الفصل بين «لولا» وفعله بالظرف لأنه منزل منزلته من حيث إنه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره، وذلك لأن ذكر الظرف أهم فإن التحضيض على أن لا يخلو بأوله. ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ كما يقول المستيقن المطلع على الحال.

﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ من جملة المقول تقريرًا لكونه كذبًا فإن ما لا حجة عليه مكذب عند الله أي في حكمه ولذلك رتب الحد عليه. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ «لولا» هذه لامتناع الشيء لوجود غيره. والمعنى: لولا فضل الله عليكم في الدنيا بأنواع النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة ورحمته في الآخرة بالعفو والمغفرة المقرران لكم. ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ عاجلاً ﴿فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾ خضتم فيه ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ يستحقر دونه اللوم والجلد. ﴿إِذْ﴾ ظرف «لمسكم» أو «أفضتم» ﴿تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ والمعنى يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه. يقال: تلقى القول وتلقفه

ظننتم وقلتم، وعدل عنه إلى الغيبة مع التصريح بصفة الإيمان تنبيهًا على أن اللائق بالمؤمن أن لا يظن بمؤمن مثله إلا الخير وأن يبرئه من السوء ومبالغة في التوبيخ. فإن أصل التوبيخ وإن حصل بأن قيل: لولا ظننتم بأنفسكم خيرًا لكنه يزداد بالالتفات إلى الغيبة إذ فيه إشارة إلى أن شأن الإيمان يقتضي أن يظن المؤمن بأخيه خيرًا ويذب عنه الطاعنين فيه بقوله: ﴿هذا إفك مبين﴾ فمن ترك هذا الظن والذب فقد ترك العمل بمقتضى الإيمان وهذه المبالغة لا تحصل إلا بالأسلوب الأول. **قوله:** (وإنما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف) يتضمن السؤال عن شيئين: الأول أن حرف التحضيض يجب أن يدخل على الفعل فكيف جاز دخوله على الظرف؟ والثاني أن الظرف ههنا معمول لقوله: ﴿ظن المؤمنون﴾ وقالوا: فلم قدم على عامله؟ أجاب عن الأول بأن للظروف شأنًا ليس لغيرها وهو تنزيلها من الأشياء منزلة نفسها لوقوعها فيها من غير انفصال عنها، وعن الثاني بأن الفائدة في تقديم الظرف بيان أنه كان الواجب عليهم أن يحترزوا عن الإثم والخنى أول ما سمعوا بالإفك بأن يظنوا بالمؤمنين خيرًا ويقولوا هذا إفك مبين ولا يتكلموا به ولا يذيعوه، فلما كان ذكر الوقت أهم وجب تقديمه. **قوله:** (يأخذه بعضكم من بعض) يعني أن تلقي القول أخذه من الغير، ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧] وفسر التلقي بأخذ بعضهم من بعض لأن كل واحد من المتلقي والمتلقى منه داخل في هذا الخطاب. وصفهم الله تعالى بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها: أحدها تلقي الإفك بألسنتهم وذلك أن الرجل كان يلقى الرجل بقوله: ما وراءك؟ فيحدثه بحديث الإفك حتى شاع واشتهر ولم يبق بيت ولا نادٍ إلا ذكر

وتلقفه. وقرىء «تتلقونه» على الأصل و«تلقونه» من لقيه إذا لقفه، و«تلقونه» بكسر حرف المضارعة و«تلقونه» من إلقائه بعضهم على بعض، و«تلقونه» و«تألقونه» من الولق والألق وهو الكذب، و«تثقفونه» من «ثقفته» إذا طلبته فوجدته، و«تقفونه» أي تتبعونه ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾ أي وتقولون كلامًا مختصًا بالأفواه بلا مساعدة من القلوب ﴿مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ لأنه ليس تعبيرًا عن علم به في قلوبكم كقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧] ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ سهلاً لا تبعة فيه ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ في الوزر واستجراء العذاب. فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم: تلقي الإفك بألسنتهم، والتحدث به من غير تحقق، واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم. ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ﴾ ما ينبغي لنا وما يصح ﴿أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ يجوز أن تكون الإشارة إلى القول المخصوص، وأن تكون إلى نوعه فإن قذف آحاد الناس محرم شرعًا فضلاً عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله ﷺ. ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تعجب ممن يقول ذلك. وأصله أن يذكر عند كل متعجب تنزيهًا لله تعالى من أن يصعب عليه مثله ثم كثر، فاستعمل لكل متعجب. أو تنزيه لله تعالى من أن تكون حرمة نبيه فاجرة فإن فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها. فيكون

فيه، فكأنهم سعوا في إشاعة الفاحشة وذلك من العظائم. وثانيهم أنهم كانوا يتكلمون بما لا علم لهم به والإخبار بالشيء يجب أن يكون مستقرًا بأن تستقر صورته في القلب أولاً ثم يترجم عنه اللسان، وهذا إفك ليس إلا قولاً يجري على ألسنتهم ويدور في أفواههم من غير أن يستقر العلم به في قلوبهم وهو حرام لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] وثالثها أنهم كانوا يستصغرون ذلك وهو جريمة عظيمة عند الله تعالى أي في حكمه. **قوله: (ما ينبغي لنا وما يصح)** إشارة إلى فائدة زائدة مع أن الكلام سديد بدونه بأن يقال: ما لنا أن نتكلم بهذا. ونظيره قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦] فإنه بمعنى ما ينبغي وما يصح. **قوله: (تعجب ممن يقول ذلك)** أي الإفك وعظمه، أو ممن يقول ذلك حيث عصى الله تعالى في حق هؤلاء الكرام. ثم بيّن وجه استعارة معنى التعجب من كلمة التسبيح فقال: «وأصله» أي والأصل في ذكر هذه الكلمة أن يسبح الله تعالى عند رؤية العجيب من صنائعه تنزيهًا له من أن يخرج مثله عن قدرته، ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه.

قوله: (أو تنزيه) عطف على قوله: «تعجب» وقوله: «ينفر عنه» أي عن النبي فيفوت ما هو المقصود من إرساله، فإن الأنبياء إنما بعثوا إلى الكفار ليدعوهم إلى الدين وإلى قبول ما قالوه عن الله تعالى من الأحكام والثواب والعقاب. وهذا المقصود لا يحصل إذا كان في

تقريرًا لما قبله وتمهيدًا لقوله: ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ لعظمة المبهوت عليه فإن حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ﴾ كراهة أن تعودوا لمثله أو في أن تعودوا. ﴿أَبَدًا﴾ ما دمتم أحياء مكلفين ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ فإن الإيمان يمنع عنه. وفيه تهييج وتقريع.

﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كي تتعظوا وتتأدبوا ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بالأحوال كلها ﴿حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ في تدابيره ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا يقرره عليها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ﴾ يريدون ﴿أَن تَشِيعَ﴾ أن تنتشر ﴿ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ بالحد والسعير إلى غير ذلك ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما في الضمائر ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب من حب الإشاعة. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة. ولذا عطف قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ على حصول فضله

الأنبياء ما ينفر الكفرة عنهم، فجاز أن تكون امرأة النبي ﷺ كافرة لأن الكفر ليس مما ينفر عندهم، ولا يجوز أن تكون فاجرة لأن الكشخنة من أعظم المنفرات. والكشخان الذي امرأته فاجرة تدعو الرجال إلى نفسها وهو يعرف حالها أي زوج الفاجرة. والبهتان مصدر بهته أي قال عليه ما لم يفعله سمي به المبهوت به، إن كانت الإشارة بقوله هذا إلى الإفك بمعنى القول الكاذب، وإن كانت الإشارة إلى الإفك بمعنى الكذب والافتراء يكون البهتان أيضًا مصدرًا، فقوله تعالى: ﴿هذا بهتان عظيم﴾ معناه هذا إفك افتراء عظيم يتحير من عظمه. روي أن أم أيوب قالت لأبي أيوب الأنصاري: أما بلغك ما يقول الناس في عائشة؟ فقال أبو أيوب: سبحانك هذا بهتان عظيم. فنزلت الآية على وفق قوله. ثم إنه تعالى قال: ﴿يعظكم الله﴾ بهذه المواعظ التي بها تعرفون عظم هذا الذنب فإن فيه الحد والنكال في الدنيا والعذاب في الآخرة كراهة أن تعودوا، أو يعظكم في أن تعودوا حتى لا تعودوا إلى مثله أبدًا. **قوله: (بالحد والسعير إلى غير ذلك)** فيه إشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ [النور: ١١] و﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة﴾ ليس معناه مجرد وصفهم بأنهم يحسبون شيوعها في حق الذين آمنوا من غير قصد أن يشيعوها ويظهروها، فإن ذلك القدر لا يجب الحد في الدنيا بل المعنى أن الذين يشيعون الفاحشة والزنى في الذين آمنوا كصفوان وعائشة رضي الله تعالى عنهما عن قصد ومحبة لإشاعتها. والخطوات جمع خطوة بضم الخاء وهي ما بين القدمين، وبالفتح مصدر خطوت خطوة للمرة. والمراد بها ههنا سيرة الشيطان وطريقته، والمعنى: لا تسلكوا مسالكه ولا تتبعوا آثاره ووسواسه بإشاعة الفاحشة والإصغاء

ورحمته عليهم، وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ بإشاعة الفاحشة. وقرىء بفتح الطاء. وقرأ نافع والبزي وأبو عمرو وأبو بكر وحمزة بسكونها ﴿وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾ بيان لعلة النهي عن اتباعه. والفحشاء ما أفرط قبحه، والمنكر ما أنكره الشرع ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها. ﴿مَا زَكَىٰ﴾ ما طهر من دنسها ﴿مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾ آخر الدهر ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ﴾ بحمله على التوبة وقبولها ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالتهم ﴿عَلِيمٞ ﴿٢١﴾﴾ بنياتهم ﴿وَلَا يَأۡتَلِ﴾ ولا يحلف افتعال من الألية أو ولا يقصر من الآلو. ويؤيد الأول أنه قرىء و«لا يتأل» وأنه نزل في أبي بكر وقد حلف أن لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين. ﴿أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ﴾ في الدين ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾ في المال. وفيه دليل على فضل أبي بكر رضي الله عنه وشرفه ﴿أَن يُؤۡتُوٓاْ﴾ على أن لا يؤتوا أوفى أن يؤتوا. وقرىء بالتاء على الالتفات. ﴿أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾

إلى الإفك والقول به. قوله: (ويؤيد الأول) وهو كون يأتل يفتعل من الإلية لا من الألو أنه قرىء «ولا يتأل» فإنه من الإلية يقال: آلى يؤلي إيلاء وألية وائتلى يأتلي ائتلاء وتألى يتألى تأليًا كلها بمعنى حلف. قوله: (وفيه دليل على فضل أبي بكر) وذلك لأن الفضل المذكور في الآية إما في الدنيا وإما في الدين. والأول باطل لأنه تعالى ذكره في معرض المدح والمدح بكثرة الدنيا غير جائز من الله تعالى، ولأنه لو جاز ذلك لكان قوله: ﴿والسعة﴾ **تكريرًا لا تأسيسًا فتعين أن يكون المراد منه الفضل في الدين والمنزلة من الله تعالى، فلو كان غيره مساويًا له في الدرجة في الدين لم يكن هو صاحب الفعل لأن المساوي لا يكون فاضلاً، فلما أثبت الله تعالى له الفضل غير مقيد بكونه بالنسبة إلى شخص دون شخص ثبت كونه أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ. وقد اتفق المفسرون على أن المراد بقوله:** ﴿أولوا الفضل﴾ **هو أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه. قوله: (على أن لا يؤتوا) بإسقاط الخافض وهو كثير شائع، وكذا حذف كلمة «لا» في اليمين كثير أيضًا. قال تعالى:** ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ﴾ **[البقرة: ٢٢٤] يعني مخافة أن لا تبروا وقال امرؤ القيس:**

فقلت يمين الله أبرح قاعدا

أي لا أبرح. وهذا التأويل على تقدير أن يكون قوله: ﴿ولا يأتل أولو الفضل﴾ **افتعالاً من الإلية. وأما على تقدير كونه افتعالاً من الألو فالتأويل ما أشار إليه بقوله: «أو في أن**

صفات الموصوف واحد أي ناسًا جامعين لها لأن الكلام فيمن كان كذلك، أو لموصوفات أقيمت مقامها فيكون أبلغ في تعليل المقصود. ﴿وَلْيَعْفُوا﴾ لما فرط منهم ﴿وَلْيَصْفَحُوٓا﴾ بالإغماض عنه. ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ على عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء إليكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ مع كمال قدرته فتخلقوا بأخلاقه. روي أنه عليه الصلاة والسلام قرأها على أبي بكر فقال: بلى أحب. ورجع إلى مسطح نفقته. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ العفاف ﴿يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ مما قذفن به ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ بالله وبرسوله استباحة لعرضهن وطعنًا في الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين كابن أبيّ ﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ كما طعنوا فيهن ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ لعظم ذنوبهم وقيل: هو حكم كل قاذف ما لم يتب. وقيل: مخصوص بمن

يؤتوا» أي لا يقصر أولو الفضل في أن يحسنوا. **قوله:** (فيكون أبلغ في تعليل المقصود) بناء على ما اشتهر من أن تعليق الحكم بالمشتق يفيد علية المأخذ، وإن جعل من قبيل عطف الذوات يكون الكلام أبلغ في تعليل المقصود وهو نهي الصدّيق عن حفظ يمينه على أن لا ينفق على مسطح. فإن جعل الكلام من قبيل عطف الصفات فقد أفاد الكلام تعليل المقصود لأن كل واحد من الصفات المذكورة إذا كان منهيًا عن محافظة اليمين، فيكون الشخص الموصوف بتلك الصفات منهيًا عنها بطريق الأولى. **قوله تعالى:** (وليعفوا) أي عن ذنبهم ﴿وليصفحوا﴾ أي وليعرضوا عن لومهم، فإن العفو أن يتجاوز عن الجاني والصفح أن يتناسى جرمه. وقيل: العفو بالفعل والصفح بالقلب. **قوله:** (استباحة لعرضهن) منصوب على أنه مفعول له لقوله تعالى: ﴿يرمون المحصنات﴾ وأشار به إلى جواب ما يقال: هذه الآية تدل على أن قاذف المحصنات كافر لا تقبل توبته. أما أنه كافر فلقوله: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم﴾ وذلك صفة الكفار والمنافقين لقوله: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ﴾ [فصلت: ١٩] إلى آخر الآيات الثلاث ولقوله: ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ هو عذاب الكفر. وأما أنه لا تقبل توبته فلقوله: ﴿لعنوا في الدنيا والآخرة﴾ ولم يذكر استثناء بأن قال: ﴿إلا الذين تابوا﴾ فهذا يدل على أن قاذف المحصنات الغافلات ملعون في الدارين تاب أو لم يتب، وقد قال في أول السورة: ﴿إن الذين يرمون المحصنات﴾ ثم قال: ﴿إلا الذين تابوا﴾ فجعل لهم توبة. فالمصنف رحمة الله تعالى عليه حمل هذه الآية على القذف على وجه يستلزم الكفر. والظاهر أن يدفع هذا بأن يجعل الوعيد المذكور فيها مشروطًا بعدم التوبة لأن الذنب سواء كان كفرًا أو فسقًا وحصلت عنه التوبة صار مغفورًا بمقتضى الوعد الإلٰهي.

قوله: (وقيل هو حكم كل قاذف) عطف على ما قبله من حيث المعنى كأنه قيل: هو حكم القاذف استباحة وطعنًا. وقيل: حكم كل قاذف ما لم يتب. ولم يرض المصنف رحمة الله

قذف أزواج النبي ﷺ، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد أغلظ مما نزل في إفك عائشة. ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ﴾ ظرف لما في «لهم» من معنى الاستقرار، لا للعذاب لأنه موصوف. وقرأ حمزة والكسائي بالياء للتقدم والفصل. ﴿أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ يعترفون بها بإنطاق الله إياها بغير اختيارهم أو بظهور آثاره عليها. وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب.

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ جزاءهم المستحق ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾ لمعاينتهم الأمر ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ الثابت بذاته الظاهر ألوهيته لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه، أو ذو الحق البيّن أي العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة. ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ أي الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك

تعالى عليه به لأن الوعيد المذكور إنما يليق بالكفرة، ومجرد قذف المحصنة المؤمنة لا يوجب الكفر. وقيل لابن جبير: من قذف مؤمنة يلعنه الله تعالى في الدنيا والآخرة؟ قال: ذلك لمن قذف عائشة رضي الله تعالى عنها خاصة، وجمع المحصنات الغافلات، وإن أريدت عائشة وحدها لأن من قذف واحدة من نساء النبي ﷺ فقد قذفهن جميعًا، فكأنه قذف النبي ﷺ وقذفه كفر بالاتفاق. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: هذا اللعن فيمن قذف زوجات النبي ﷺ إذ ليس له توبة، ومن قذف مؤمنة جعل الله له توبة.

قوله: (لأنه موصوف) والمصدر الموصوف لا يعمل لأن إعماله يستلزم الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي، فإذا لا يجوز وصف المصدر بأجنبي عنه بمعنى أنه ليس معمولاً له. والوجه فيه أن المصدر عند العمل مؤول «بأن» مع الفعل و «أن» موصول حرفي ومعمول المصدر في الحقيقة معمول الفعل الذي هو صلة «أن»، ولا يجوز الفصل بين بعض الصلة وبعضها بأجنبي. **قوله:** (بإنطاق الله تعالى) فإن البنية ليست مشروطة بالحياة فيجوز أن يخلق الله تعالى في الجوهر الفرد علمًا وقدرة وكلامًا نفى الجسم المركب منه أولى. ويحتمل أن لا تكون شهادة الجوارح عليهم بإنطاق الله تعالى إياها بل تكون بظهور آثار ما كانوا يعملون عليها، كما تشهد في الدنيا على المحبة آثارها من صفرة الوجه وتغير اللون ونحافة الجسم وجريان الدمع. **قوله:** (جزاءهم المستحق) فإن الدين يستعمل في الجزاء كقولهم: كما تدين تدان أي كما تفعل تجازى به. وانتصاب «الحق» على أنه صفة للدين فإن القدر المستحق في الجزاء موصوف بأنه الحق. **قوله:** (الخبائث) أي الزواني يتزوجن الخباث أي الزناة وكذا الخبيثون من الرجال يتزوجون الخبائث كما قال تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً

أهل الطيب. فيكون كالدليل على قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني أهل بيت النبي ﷺ أو الرسول وعائشة وصفوان ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ إذ لو صدق لم تكن زوجته ولم يقرر عليها. وقيل: الخبيثات والطيبات من الأقوال، والإشارة إلى الطيبين، والضمير في «يقولون» للآفكين أي مبرؤون مما يقولون فيهم أو للخبيثين والخبيثات أي مبرؤون من أن يقولوا مثل قولهم. ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ يعني الجنة ولقد برأ الله أربعة بأربعة: برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها، وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه، ومريم بإنطاق ولدها، وعائشة رضي الله عنها بهذه الآيات مع هذه المبالغات. وما ذلك إلا لإظهار منصب الرسول ﷺ وإعلاء منزلته. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ التي تسكنونها فإن الآجر والمعين أيضًا لا يدخلان إلا بإذن. ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ﴾ تستأذنوا من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء إذا أبصره، فإن المستأذن مستعلم للحال مستكشف أنه هل يراد دخوله أو يؤذن لكم من الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش. فإن المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له

وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌۚ﴾ [النور: ٣] فإن قيل: فعلى هذا الوجه يلزم أن لا يتزوج الرجل العفيف بزانية. والجواب ما تقدم في قوله: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية﴾ الخ ولما كان عقد التزوج واقعًا بين الأكفاء خباثة وطيبًا ثبت براءة الرسول ﷺ وعائشة مما قيل في حقهما، وبراءتهما تستلزم براءة صفوان فيكون أول الآية كالدليل على براءة الجميع، إذ لو صدق ما قيل في حقها لكانت خبيثة غير صالحة لكونها زوجة لأطيب الطيبين. ويحتمل أن لا يكون الخبائث والطيبات بمعنى الزواني من النساء والعفايف منهن بل يكون بمعنى الأقوال الخبيثة والطيبة. فيكون المعنى الخبيثات من الكلمات تقال أو تعد للخبيثين من الرجال وتليق بهم والخبيثون من الرجال للخبيثات من الكلمات، وعلى عكسه الطيبات من الكلمات للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من الكلمات. والمعنى كل كلام إنما يحسن في حق أهله فيضاف سيىء القول إلى من يليق به وكذلك الطيب من القول. وعائشة لا تليق بها الخبائث من الأقوال فلا يصدق فيها لأنها طيبة فيضاف إليها الثناء الحسن وما يليق بها. وقال الزجاج رحمة الله تعالى عليه: معناه ولا يتكلم بالخبائث من القول إلا الخبيث من الرجال والنساء، ولا يتكلم بالطيبات منه إلا الطيب من الرجال. والمقصود ذم من قذف عائشة رضي الله تعالى عنها ووقع في حقها بالخبيث ومدح من وصفها بالطهارة. **قوله:** (من آنس الشيء) يعني أنه استفعال من آنس الشيء إذا أبصره مكشوفًا وعلم به. قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦] أي إذا علمتم لأن الرشد لا يبصر ولهذا قيل في معنى الآية الشريفة: حتى تستعلموا وتتعرفوا أيؤذن لكم أم لا؟ وطلب العلم بأنه يؤذن لكم أم لا معناه الاستئذان.

فإذا أذن استأنس، أو تتعرفوا هل ثمة إنسان من الإنس. ﴿وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ بأن تقولوا له: السلام عليكم أأدخل. وعنه ﷺ: «التسليم أن يقول: السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فإن أذن له دخل وإلا رجع». ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي الاستئذان والتسليم خير لكم من أن تدخلوا بغتة أو من تحية الجاهلية. كان الرجل منهم إذا دخل بيتًا غير بيته قال: حييتم صباحًا وحييتم مساء ودخل، فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف. وروي أن رجلاً قال للنبي عليه السلام: أأستأذن على أمي؟ قال: «نعم». قال: لا خادم لها غيري أأستأذن عليها كلما دخلت؟ قال: «أتحب أن تراها عريانة» قال: لا. قال: «فاستأذن». ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ متعلق بمحذوف أي أنزل عليكم، أو قيل لكم هذا إرادة أن تذكروا وتعملوا بما هو أصلح لكم.

فلذلك فسر الآية بالاستئناس الذي هو ضد الاستيحاش فإن من يأتي باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه، فإذا أذن له استأنس ولهذا يقال في جواب القادم المستأذن: مرحبًا وأهلاً وسهلاً أي وجدت مكانًا واسعًا وأتيت أهلاً لا أجانب وأصبت مكانًا سهلاً لا خشنًا، ليزول به استيحاشه وتطيب نفسه، فيؤول المعنى إلى أن يؤذن لكم وهو من باب الكناية والإرداف لأن هذا النوع من الاستئناس يردف الإذن ويتبعه، فوضع موضع الإذن حيث ذكر الاستئناس اللازم وأريد الإذن الذي هو الملزوم. قوله: (أو تتعرفوا هل ثمة إنسان) عطف على قوله: ﴿تستأذنوا﴾ كقوله أو ﴿يؤذن لكم﴾ أي ويجوز أن يكون الاستئناس من الإنس وهو أن يتعرف هل ثمة إنسان. وما قيل من أنه لا يلائم المقام إذ يصير المعنى حينئذ: لا تدخلوا ما لم تعرفوا أن هناك إنسانًا فإذا تعرفتم أن هناك إنسانًا فادخلوها سواء أذن لكم أم لا. وليس المقصود من الآية هذا فليس بشيء، لأنه إنما يكون المعنى ما ذكره أن لو اقتصر في غاية النهي على قوله: ﴿حتى تستأنسوا﴾ وليس كذلك بل عطف عليه قوله تعالى: ﴿وتسلموا على أهلها﴾ ولما جعل غاية النهي مجموع الاستئناس والتسليم بأن يقال: السلام عليكم أأدخل، كيف يكون المعنى ما ذكره؟ وهل يقول به عاقل؟ بل يكون المعنى: لا تدخلوا حتى تتعرفوا أنه هل ثمة إنسان ثم تسلموا عليه ثم تستأذنوه في الدخول وهو كما قيل: السلام قبل الكلام. ثم إنه إذا أذِنَ له فدخل فعند ذلك يسلم على أهله ثانيًا لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١] فإنّا أمرنا بالسلام بعد الدخول عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الاستئذان ثلاث، كما رواه المصنف رحمة الله تعالى عليه، بالمرة الأولى يستصوبون وبالثانية يستصلحون وبالثالثة يأذنون أو يردون» فكان الرجل من أهل الجاهلية إذا دخل بيتًا غير بيته صباحًا قال: حييتم صباحًا وإذا دخل مساء قال: حييتم مساء. قال الجوهري رحمة

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا﴾ يأذن لكم ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ حتى يأتي من يأذن لكم، فإن المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما تخفيه الناس عادة مع أن التصرف في ملك الغير بغير إذنه محظور. واستثني ما إذا عرض فيه حرق أو غرق أو كان فيه منكر ونحوها. ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟﴾ ولا تلحوا ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ الرجوع أطهر لكم مما لا يخلو الإلحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروءة، أو أنفع لدينكم ودنياكم. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ فيعلم ما تأتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه. ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ كالربط والخانات والحوانيت ﴿فِيهَا مَتَٰعٌ﴾ استمتاع ﴿لَّكُمْ﴾

الله تعالى عليه: الحياة ضد الموت والحي ضد الميت، وحياه الله تعالى فحيي وحي أيضًا، والإدغام أكثر. إلى أن قال: التحية الملك. قال زهير:

ولكل ما نال الفتى ... قد نلته إلا التحيه

ويقال: حياك الله أي ملكك. والتحيات لله قال يعقوب: أي الملك لله.

قوله: (فإن المانع من الدخول) وهو الدخول بغير إذن. اعلم أن السلام من سنة المسلمين وهو تحية أهل الجنة ومجلبة للمودة وناف للحقد والضغينة. روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «لما خلق الله تعالى آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال: الحمد لله فقال: الله يرحمك ربك يا آدم اذهب إلى هؤلاء الملائكة وهم جلوس فقل: السلام عليكم. فلما فعل ذلك ورجع إلى ربه قال: هذه تحيتك وتحية ذريتك». وروي عنه ﷺ قال: «حق المسلم على المسلم ست: يسلم عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه، وينصح له بالغيب، ويشمته إذا عطس، ويعوده إذا مرض، ويشهد جنازته إذا مات». ثم إنه إذا عرض له أمر في داره من حريق أو هجوم سارق أو ظهور منكر فحينئذ لا يجب الاستئذان والتسليم، فإن كل ذلك مستثنى بالدليل. وهو ما قاله الفقهاء رحمة الله تعالى عليهم من أن مواضع الضرورات مستثنيات من قواعد الشرع، لأن الضرورات تبيح المحظورات. قال صاحب الكشاف رضي الله تعالى عنه: وكم باب من أبواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستئذان من ذلك. ثم إنه تعالى لما ذكر حكم الدور المسكونة، ذكر بعده حكم الدور التي هي غير مسكونة فقال تعالى: ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتًا غير مسكونة﴾ أي بغير استئذان قال المفسرون: لما نزلت آية الاستئذان قالوا: يا رسول الله كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن من أربابها؟ فنزلت الآية الشريفة. **قوله تعالى:** (فيها متاع لكم) أي منفعة من اتقاء الحر والبرد وحفظ السلع ونحو

كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الأمتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها. ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ وعيد لمن دخل مدخلاً لفساد أو تطلع على عورات. ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ أي ما يكون نحو محرم. ﴿وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ﴾ إلا على أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم. ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض أطلقه، وقيد الغض بحرف التبعيض. وقيل: حفظ لفروج ههنا خاصة سترها. ﴿ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ﴾ أنفع لهم وأطهر لما فيه من البعد عن الريبة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ لا يخفى عليه إجالة أبصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون.

﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ﴾ فلا ينظرن إلى ما لا يحل لهن النظر إليه من الرجال. ﴿وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ بالتستر أو التحفظ عن الزنى، وتقديم الغض لأن

ذلك من منافع المسافر. **قوله**: (أي ما يكون نحو محرم) يعني كلمة أن «من» للتبعيض. والمراد غض البصر وحفظه عن النظر إلى ما لا يحل لهم النظر إليه وأن لا ينظر إلا إلى ما يحل النظر إليه. والغض إطباق الجفن بحيث يمنع الرؤية، ولما كان ما حرم النظر إليه من جملة المبصرات تبعض البصر باعتبار تبعض متعلقه فجعل ما تعلق بالمحرم بعضًا من البصر وأمر بغضه. قال الأخفش رحمة الله تعالى عليه: كلمة «من» زائدة ههنا فإنه يجوز زيادتها في الإثبات، خلافًا لسيبويه فإنه لا يجوزها. **قوله**: (ولما كان المستثنى منه) أي من الفرج وهو جواب عما يقال: لم دخلت كلمة «من» على الأبصار دون الفرج، مع أن المأمور به حفظ كل واحد منهما عن بعض ما تعلقا به؟ فأجاب عنه بأن المستثنى من البصر كثير، فإن الرجل يحل له النظر إلى جميع أعضاء أزواجه وجميع أعضاء ما ملكت يمينه، وكذا لا بأس عليه في النظر إلى شعور محارمه وصدورهن وثديهن وأعضادهن وسوقهن وأرجلهن، وكذا من أمة الغير حال عرضها للبيع، ومن الحرة الأجنبية إلى وجهها وكفيها. وفي رواية والقدم عند إرادة العقد بخلاف المستثنى من الفرج، فإنه شيء قليل نادر وهو فرج زوجته وأمته، فلذلك أطلق حفظ الفرج ولم يعتد بما استثنى منه لقلته، وقيد غض البصر بحرف التبعيض. وقيل: كل ما في القرآن من حفظ الفرج فالمراد به حفظه من الزنى إلا في هاتين الآيتين، فإن المراد فيهما الستر فلذلك أطلق حفظه ولم يقيد بحرف التبعيض، لأنه وإن جاز للرجل أن ينظر إلى جميع بدن زوجته وبدن أمته التي يحل له الاستمتاع بها حتى إلى فرجها، إلا أنه يكره له النظر إلى الفرج بالاتفاق حتى إلى فرج نفسه لأنه يروى «أنه يورث الطمس» وقيل: لا يجوز النظر إلى فرجها. **قوله تعالى**: (ذلك) أي غض البصر وحفظ الفرج أنفع لهم، على أن

النظر يريد الزنى. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ كالحلي والثياب والأصباغ فضلاً عن مواضعها لمن لا يحل أن تبدى له ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ عند مزاولة الأشياء كالثياب والخاتم فإن في سترها حرجًا. وقيل: المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف أو ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية، والمستثنى هو الوجه والكفان لأنها ليست بعورة. والأظهر أن هذا في الصلاة لا في النظر فإن كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر إلى شيء منها إلا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة. ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ سترًا لأعناقهن. وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وحمزة والكسائي بكسر الجيم ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ كرره لبيان من يحل له الإبداء ومن لا يحل له ﴿إِلَّا

الزكاء بمعنى النماء والنفع. **قوله:** (بريد الزنى) أي يحمل الناظر على الزنى ويؤدي إليه. والبريد البغلة الي تحفظ في الرباط وتهيأ للرسول ليركب عليها، وهو تعريب بريده دم، ثم سمي به الرسول المحمول عليها، ثم سميت به المسافة. وزاد الله تعالى في نهي المؤمنات وراء غض الأبصار وحفظ الفروج حكمًا آخر حيث قال تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن﴾ والزينة ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو صبغ، فما كان ظاهرًا منها كالخاتم والفتخة، وهي ما لا فص فيه من الخاتم والكحل والصبغ، فلا بأس فيه بإبدائه للأجانب بشرط الأمن من الشهوة. وما خفي منها كالسوار والدملج، وهي حلقة تحملها المرأة على عضدها، والوشاح والقرط فلا يحل لها إبداؤها إلا لهؤلاء المذكورات فيما بعد بقوله تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن﴾ إلى آخر الآية ولا شك أن إظهار عين الزينة منفصلة عن بدن المرأة ليس منهيًا عنه والمنهي عنه إظهارها وهي في مواضعها، لأن مواضع الزينة الخفية كالذراع والساق والعضد والعنق والرأس والأذن والصدر فلا يحل للأجانب النظر إليها مجردة عن هذه رأسًا فمعها أولى، وإنما سومح لها في إبداء الزينة الظاهرة للأجانب حالة الأمن من الاشتهاء لما في التصون عن إبداء مواضعها في الأخذ والإعطاء، والمشي حالة الخروج وحمل الشهادة عليها من الحرج الذي لا يخفى خصوصًا في حق الفقيرات منهن. وعلى تقدير أن يراد بالزينة مواضعها أو ما يعم المحاسن الخلقية التي خلق الإنسان عليها يكون المراد بقوله تعالى: ﴿إلا ما ظهر منها﴾ الوجه والكفين لأنها ليست بعورة. ثم قال المصنف رحمة الله تعالى عليه: «والأظهر» الخ أي إنها عورة في حق النظر إليها وإن لم تكن عورة في الصلاة.

قوله: (كرره) فالأول تقسيم الزينة إلى الظاهرة والخفية ولبيان أن الظاهرة يجوز إبداؤها مطلقًا، والثاني لبيان من يحل له إبداء الزينة الخفية ومن لا يحل له ذلك. **قوله تعالى:** (**بخمرهن**) الخمر جمع خمار وهي ما تغطي به المرأة رأسها وتستره، وما ليس بهذه الصفة

﴿لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ فإنهم المقصودون بالزينة ولهم أن ينظروا إلى جميع بدنهن حتى الفرج بكره. ﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ لكثرة مداخلهم عليهن واحتياجهن إلى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب، ولهم أن ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة. وإنما لم يذكر الأعمام والأخوال لأنهم في معنى الإخوان أو لأن الأحوط أن يتسترن عنهم حذرًا أن يصفوهن لأبنائهم. ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ يعني المؤمنات فإن الكافرات لا تتحرجن عن وصفهن للرجال أو النساء كلهن. وللعلماء في ذلك خلاف. ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ﴾ يعمّ الإماء والعبيد لما روي أنه عليه السلام أتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها وإذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها، فقال عليه السلام: «إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلامك».

فليس بخمار. والجيب ما جيب من القميص أي قطع لإدخال الرأس. و«يضربن» ضمن معنى يلقين فعدى بـ «على» والمعنى: وليلقين مقانعهن على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وقرطتهن وأعناقهن عن الأجانب. قيل: إن نساء الجاهلية كن يسبلن خمرهن من خلفهن وأن جيوبهن كانت من مقدام وكانت تنكشف نحورهن وقلائدهن، فأمرن أن يضربن مقانعهن على الجيوب ليغطي بذلك ما كان ينكشف بإسبال خمرهن من خلفهن. قوله: (لأنهم في معنى الإخوان) من حيث كون الجد سواء كان أب الأب أو أب الأم في معنى الأب فيكون ابنهما في معنى الأخ، وأيضًا كل من له قرابة المحرمية كالأخ فإنه محرم، فكذا ابنه إلا العم والخال فإنهما محرمان لا أبناؤهما. فالأولى للمرأة أن تستتر من أعمامها وأخوالها حذرًا من أن يصفوها لأبنائهم لأن تصور الأبناء لها بالوصف بمنزلة نظرهم إليها. قوله: (لا تتحرجن) أي لا تتأثمن من الحرج بمعنى الإثم فلما لم يكن وصف مواقع زينة المؤمنات للرجال الأجانب معدودًا من جملة الآثام عند الكافرات، احتمل أن يصفنها للأجانب فيكون تصور الأجانب إياها بمنزلة نظرهم إليها، بخلاف المؤمنات فإنهن يحترزن عن وصف مواقع زينة المؤمنات للرجال فجاز لهن أن يبدين زينتهن للمؤمنات دون الكافرات. هذا قول أكثر السلف رحمة الله تعالى عليهم. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ليس للمسلمة أن تتجرد بين نساء أهل الذمة ولا تبدي للكافرة إلا ما تبدي للأجانب إلا أن تكون أمة لها لقوله: ﴿أو ما ملكت أيمانهن﴾. وكتب عمر إلى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه أن يمنع نساء أهل الكتاب من دخول الحمام مع المؤمنات، قال الإمام رحمة الله تعالى عليه: قول السلف محمول على الاستحباب، والمذهب أن المراد بقوله تعالى ﴿أو نسائهن﴾ جميع النساء.

وقيل: المراد بها الإماء وعبد المرأة كالأجنبي منها. ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ أي أولي الحاجة إلى النساء وهم الشيوخ الأهمام والممسوخون. وفي المجبوب والخصي خلاف. وقيل: البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئًا من أمور النساء. وقرأ ابن عامر وأبو بكر «غير» بالنصب على الحال. ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع أو لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة. والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ ليتقعقع

قوله: (وقيل المراد بها الإماء وعبد المرأة كالأجنبي منها) خصيًا كان أو فحلاً وهو قول أبي حنيفة وعليه عامة العلماء. واحتجوا عليه بقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفرًا فوق ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم» والعبد ليس ذي محرم فلا يجوز له أن يسافر بها، وإذا لم يجز أن يسافر بها لم يجز له النظر إلى مواقع زينتها الخفية. وعن سمرة بن جندب رضي الله تعالى عنه أنه قال: لا يغرنكم هذه الآيات فإنها نزلت في الإماء. وكذا روي هذا القول عن سعيد بن المسيب رضي الله تعالى عنهما. فإن قيل: ما الفائدة في تخصيص الإماء بالذكر بعد قوله تعالى: ﴿أو نسائهن﴾؟ فالجواب: والله تبارك وتعالى أعلم: أنه لما قال: ﴿أو نسائهن﴾ دل ذلك على أن المرأة لا يحل لها أن تبدي زينتها للكافرات سواء كن حرائر وإماء لغيرها أو لنفسها، فلما قال: ﴿أو ما ملكت أيمانهن﴾ مطلقًا أي مؤمنات أو مشركات علم أنه يحل للأمة أن تنظر إلى زينة سيدتها مسلمة كانت أو كافرة لما في كشف مواضع الزينة الباطنة لأمتها الكافرة في أحوال استخدامها من الضرورة التي لا تخفى ففارقت الحرة الكافرة بذلك. **قوله تعالى:** (أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال) أي أو للرجال الذين هم أتباع أهل البيت ولا حاجة لهم في النساء. والإربة والإرب الحاجة وكذلك المأربة. وقرىء «غير» بالخفض نعتًا للتابعين وبالنصب على الاستثناء من التابعين أو الحال منهم. والمعنى: يبدين زينتهن للتابعين إلا ذوي الإربة منهم أو حال كونهم غير ذوي إربة، بخلاف ما لو كانوا ذوي إربة فإنهم لا يبدين زينتهن لهم. والشيخ الهم بكسر الهاء الشيخ الفاني، والممسوخ بالخاء المعجمة هو الذي حولت قواه وأعضاؤه عن سلامتها الأصلية إلى الحالة المنافية لها المانعة من أن يكون له حاجة. والمجبوب من قطع ذكره وخصيتاه معًا من الجب وهو القطع، والخصي من قطع خصيتاه. والمختار أن الخصي والمجبوب والعنين ليسوا من التابعين وأنهم في حرمة النظر كغيرهم من الفحولة، لأنهم يشهون ويشتهون. وقوله: «وقيل البله» عطف على «الشيوخ» والظهور على الشيء قد يكون بمعنى الاطلاع عليه كما في قوله تعالى: ﴿إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ﴾ [الكهف: ٢٠] أي أن يشعروا

خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال فإن ذلك يورث ميلاً في الرجال، وهو أبلغ من النهي عن إظهار الزينة وأدل على المنع من رفع الصوت. ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إذ لا يكاد يخلو أحد منكم من تفريط سيما في الكف عن الشهوات. وقيل: توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية فإنه وإن وجب بالإسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلّما يتذكر ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ بسعادة الدارين.

﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ لمّا نهى عما عسى أن يفضي إلى السفاح المخل بالنسب المقتضي للإلفة وحسن التربية، ومزيد الشفقة المؤدية إلى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه عقبه بالأمر بالنكاح الحافظ له. والخطاب للأولياء والسادة. وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبها، وإشعار بأن المرأة والعبد لا يستبدان به إذ لو استبدا لما وجب على الولي والمولى. وأيامى مقلوب

بكم. وقد يكون بمعنى الغلبة والقدرة عليه كما في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤] قال قتادة: كانت المرأة في الجاهلية تضرب رجلها لتسمع قعقعة الخلخال فنهيت عن ذلك. وقيل: كانت إحداهن تضرب بإحدى رجليها على الأخرى ليعلم أن لها خلخالين.

قوله: (وهو أبلغ الخ) وذلك أنه لما نهي عن إسماع الصوت الدال على الزينة، فلأن ينهى عن إظهار نفس الزينة أولى. وفي الآية الكريمة فائدة أخرى وهو أنه إذا كان إسماع صوت خلخالها للأجانب حرامًا، فكان رفع صوتها بحيث يسمع الأجانب كلامها حرامًا بطريق الأولى لأن صوت نفسها أقرب إلى الفتنة من صوت خلخالها، ولذلك كرهوا أذان النساء لأنه يحتاج فيه إلى رفع الصوت. وقد وصى الله تعالى جميع المؤمنين بالتوبة والاستغفار إما لأن العبد الضعيف لا ينفك عن تقصير يقع منه وإن اجتهد في رعاية تكليف الله تعالى قال النبي ﷺ فيما رواه ابن عمر رضي الله تعالى عنه: «يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فإني أتوب إلى الله تعالى في كل يوم مائة مرة»، وإما لأن المراد توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية. فإن قيل: قد صحت التوبة بالإسلام والإسلام يجب ما قبله فما معنى هذه الآية؟ أجيب عنه بما قال بعض العلماء: إن من أذنب ذنبًا ثم تاب عنه لزمه كلما ذكر ذلك الذنب أن يجدد التوبة عنه، لأنه يلزمه أن يستمر على ندمه إلى أن يلقى ربه.

قوله: (لمّا نهى) أي نهي مبالغة في الزجر عن السفاح بعد الزجر عنه نهي عما عسى أن يفضي إلى السفاح المخل بالنسب، والنسب لا بد من اعتباره في بقاء النوع وصلاح العالم لكونه مفضيًا للإلفة الخ. **قوله:** (تزويج المولية) وهي التي ينفذ فيها تصرف الولي فكل من

أيائم كيتامى جمع أيم وهو العزب ذكرًا كان أو أنثى بكرًا كان أو ثيبًا قال:

فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي وإن كنت أفتى منكموا تأيم

وتخصيص الصالحين لأن إحصان دينهم والاهتمام بشأنهم أهم. وقيل: المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه. ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ رد لما عسى أن يمنع من النكاح. والمعنى: لا يمنعن فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة فإن في فضل الله غنية عن المال فإنه غاد ورائح، أو وعد من الله بالإغناء لقوله عليه السلام: «اطلبوا الغنى في هذه الآية». لكن مشروطه بالمشيئة لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ﴾ [التوبة: ٢٨] ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ ذو سعة لا تنفد نعمته إذ لا تنتهي قدرته ﴿عَلِيمٌ (٣٢)﴾ يبسط الرزق ويقدر على ما يقتضيه حكمته ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾ وليجتهد في العفة وقع الشهوة ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أسبابه. ويجوز أن يراد بالنكاح ما ينكح به وبالوجدان التمكن منه. ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ فيجدوا ما يتزوجون به. ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ المكاتبة وهو أن يقول الرجل لمملوكه: كاتبتك على كذا من الكتاب، لأن السيد كتب على نفسه عتقه إذا أدّى المال،

ولي أمر واحد فهو وليه، وذلك الواحد مولى أو مولية. **قوله:** (كيتامى) جمع يتيم يقال: يتم الصبي يتمًا من باب علم، والأيامى جمع أيم يقال آم الرجل وآمت المرأة يئم أيمة وأيمًا وأيومًا. وأصل أيامى أيائم كما أن أصل يتامى يتائم، فقلبا قلب مكان فصار أيامى ويتامى. **قوله:** (وإن كنت أفتى) هو أفعل من الفتى أي وإن كنت أحدث منكم سنًا أي فأنا مثلكم في حالتي التزوج والتأيم، وهذه الشرطية معترضة بين الشرط وجزائه. **قوله:** (أسبابه) لما كان الظاهر أن يكون النكاح بمعنى العقد والتزوج وكان حمله عليه مقتضيًا لتقدير المضاف بناء على أنه لا معنى لوجدان نفس العقد وعدم وجدانه، حمله على معنى العقد أولاً وقدر المضاف ثم قال: ويجوز أن يراد بالنكاح ما ينكح به على طريق إطلاق اسم المسبب على السبب، كالقوام لما يقام به واللجام لما يلجم به والحزام لما يحزم به، فلا حاجة إلى تقدير المضاف. وقوله: «وبالوجدان» التمكن منه فإنه يقال لمن لم يتمكن من استعمال الماء: هو غير واجد للماء وإن كان موجودًا معاينًا. فيكون النكاح بمعنى العقد من غير حاجة إلى تقدير المضاف لأن الربط المعنوي وإن لم يصح أن يوصف بالوجدان، إلا أنه يصح أن يوصف بالتمكن منه فيكون المعنى: الذين لا يتمكنون من النكاح. **قوله:** (المكاتبة) يعني أن الكتاب مصدر كالمكاتبة. والمعنى: والذين يطلبون المكاتبة، يقال: كاتب فلان عبده كتابًا ومكاتبة إذا عاقده على مال منجم يؤديه على نجوم معلومة فيعتق إذا أدّى الجميع. ومعنى صيغة

أو لأنه مما يكتب لتأجيله، أو من الكتب بمعنى الجمع لأن العوض فيه يكون منجمًا بنجوم يضم بعضها إلى بعض. ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ عبدًا كان أو أمة. والموصول بصلته مبتدأ خبره ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ أو مفعول لمضمر هذا تفسيره، والفاء لتضمن معنى الشرط والأمر فيه للندب عند أكثر العلماء لأن الكتابة معاوضة تتضمن الإرفاق فلا تجب كغيرها. واحتجاج الحنفية بإطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف، لأن المطلق لا يعلم مع أن العجز عن الأداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم فيما لا يوجد عند المحل.

المفاعلة في هذا العقد أن المولى يكتب على نفسه أن يعتق المكاتب إذا أدّى البدل ويكتب العبد على نفسه أن يؤدي البدل من غير إخلال، أو أن المولى يكتب على عبده أداء المال والعبد يكتب على مولاه العتق عند الأداء فلهذا سمي هذا العقد كتابة أخذًا من الكتاب، فإن كل واحد من العاقدين يكتب ويفرض على نفسه أمرًا، وأيضًا بدل هذا العقد مؤجل منجم على المكاتب والمال المؤجل يكتب فيه كتاب على من عليه المال غالبًا. أو من الكتب بمعنى الضم والجمع ومنه: الكتيبة للعسكر، وسمي العقد بذلك لأنه يضم النجوم بعضها إلى بعض ويضم مال المكاتب إلى نفسه، فإن عقد الكتابة لا يجوز على أقل من نجمين عند الإمام الشافعي رحمة الله تعالى عليه، وقال أبو حنيفة رحمة الله تعالى عليه: تجوز الكتابة على واحد لأن ظاهر قوله تعالى: ﴿فكاتبوهم﴾ ليس فيه تقييد. قوله: (والأمر فيه للندب) يعني أن قوله تعالى: ﴿فكاتبوهم﴾ أمر استحباب عند الفقهاء رحمهم الله تعالى، وإليه ذهب الإمام مالك وأبو حنيفة والإمام الشافعي رحمة الله تعالى عليهم، واحتجوا عليه بقوله ﷺ: «لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيب من نفسه» ويروى: «إلا أن طيب نفس منه» وقال بعضهم: أمر إيجاب. فيجب على الرجل أن يكاتب مملوكه إذا سأله ذلك بقيمته أو أكثر إذا علم فيه خيرًا، وإن سأله بدون قيمته لم يجب عليه ذلك واحتجوا عليه بظاهر الآية وسبب نزولها، فإنها نزلت في كلام عبد سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه، فنزلت الآية. فكاتبه على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارًا. قوله: (واحتجاج الحنفية رحمة الله تعالى عليهم) أي لا تجوز الكتابة الحالة عند الإمام الشافعي رحمة الله تعالى عليه. وتجوز عند أبي حنيفة رحمة الله تعالى عليه. ووجه قول الإمام الشافعي رحمة الله تعالى عليه: إن العبد ليس له ملك يؤديه في الحال وإذا عقدت حالة توجهت المطالبة عليه في الحال، فإن عجز عن الأداء يرد إلى الرق فلا يحصل مقصود العقد، كما لو أسلم في شيء لا يوجد في المحل لا يصح بخلاف ما لو أسلم إلى معسر فإنه يجوز له أن يتصور أن يكون له ملك في الباطن فلا يتحقق العجز عن الأداء. ووجه قول أبي حنيفة رحمة الله تعالى عليه أن قوله تعالى: ﴿فكاتبوهم﴾ مطلق يتناول الكتابة الحالة والمؤجلة. وأيضًا فإنهم أجمعوا على جواز العتق معلقًا على مال

﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أمانة وقدرة على أداء المال بالاحتراف، وقد روي مثله مرفوعًا. وقيل صلاحًا في الدين. وقيل: مالاً، وضعفه ظاهر لفظًا ومعنى. وهو شرط الأمر فلا يلزم من عدمه سدم الجواز. ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ أمر للموالي كما قبله بأن يبذلوا لهم شيئًا من أموالهم وفي معناه: حط شيء من مال الكتابة، وهو للوجوب عند الأكثر، ويكفي أقل ما يتمول. وعن عليّ رضي الله عنه: يحط الربع. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الثلث. وقيل: ندب لهم إلى الإنفاق عليهم بعد أن يؤدوا ويعتقوا. وقيل: أمر لعامة المسلمين بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم من الزكاة، ويحل للمولى وإن كان غنيًا لأنه لا يأخذه صدقه كالدائن والمشتري. ويدل قوله عليه عليه السلام في حديث بريرة: «هو لها صدقة ولنا هدية». ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ﴾ إماءكم ﴿عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ على الزنى كانت لعبد الله بن أبيّ ست جوار يكرههن على الزنى وضرب

حال فالكتابة مثله لأنه بدل عن العتق في الحالين إلا أن في أحدهما العتق معلق على شرط الأداء، وفي الآخر معجل فوجب أن لا يختلف حكمهما.

قوله: (أمانة وقدرة على أداء المال) قال الإمام الشافعي رحمة الله عليه: أراد بالخير الأمانة والقوة على الكسب لأن المقصود من الكتابة قلما يحصل إلا بهما، فإنه ينبغي أن يكون المكاتب كسوبًا يحصل المال ويكون أمينًا يصرفه في نجومه ولا يضيعه، فإذا فقد الشرطان أو أحدهما لا يستحب أن يكاتبه. روي عنه ﷺ أنه قال: «إن علمتم لهم حرفة وإلا فلا تدعوهم كلا على الناس». وحمل الخير على المال ضعيف إما من جهة اللفظ فإنه لو أريد ذلك لقيل: إن علمتم لهم خيرًا لأنه إنما يقال: لفلان مال ولا يقال: فيه مال، وأما من جهة المعنى فلأن العبد لا مال له فإن كل ما في يده حين يكاتب فهو لسيده اكتسبه العبد في حال ما كانت يد السيد غير مقبوضة عن كسبه، فلا يجوز للسيد أن يعوض بعض ماله ببعض، وأما ما اكتسب العبد بعد عقد الكتابة فإنه مال مختص به بدأ. **قوله:** (وهو شرط الأمر) أي علم الموالي فيهم خيرًا شرط لاستحباب العقد المستفاد من قوله تعالى: ﴿فكاتبوهم﴾ فاللازم من انتفائه انتفاء الاستحباب لا انتفاء الجواز. **قوله:** (وفي معناه حط شيء من مال الكتابة) يعني أنه تعالى أمر الموالي أن يبذلوا للماليك شيئًا من أموالهم المملوكة لهم، إلا أن الإمام الشافعي رحمة الله تعالى عليه ذهب إلى أن معنى الآية حطوا شيئًا عنهم من بدل الكتابة ما أحببتم ربعًا فما دونه، جعل حط ذلك فما دونه في معنى بذل شيء من ماله. ولا يخلو عن بعد لأن الإيتاء هو الإعطاء والتمليك المطلق فلا يقع على الحط، لأن بدل الكتابة ليس في حكم المال المطلق الذي آتاه الله تعالى الموالي. وبدل الكتابة ليس بدين صحيح لأنه دين له على عبده والمولى لا يثبت له دين صحيح على عبده حتى يكون حطه

عليهن الضرائب فشكا بعضهن إلى رسول الله ﷺ. فنزلت ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ تعففًا شرط للإكراه فإنه لا يوجد دونه، وإن جعل شرطًا للنهي لم يلزم من عدمه جواز الإكراه لجواز أن يكون ارتفاع النهي بامتناع المنهي عنه. وإيثار «أن» على «إذا» لأن إرادة التحصن من الإماء كالشاذ النادر. ﴿لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٣)﴾ أي لهن أو له إن تاب. والأول أوفق للظاهر ولما في مصحف ابن مسعود «بعد إكراههن لهن غفور رحيم». ولا يرد عليه أن المكرهة غير آثمة فلا حاجة إلى المغفرة لأن الإكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات، ولذلك حرم على المكره القتل وأوجب عليه القصاص.

عنه إعطاء وتمليكًا له. فالظاهر أن يقال: إنه أمر للموالي بأن يدفعوا إليهم شيئًا مما أخذوه منهم، أو هو أمر لعامة المسلمين بأن يعطوهم سهمهم الذي جعله الله تعالى لهم من الصدقات في قوله تعالى: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧؛ التوبة: ٦٠] نقل الإمام عن الإمام الشافعي رحمهما الله تعالى أنه قال: يجب على المولى إيتاء المكاتب وهو أن يحط عنه جزءًا من مال الكتابة أو يدفع إليه جزءًا مما أخذ منه. وقال الإمام مالك وأبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله تعالى: إنه مندوب إليه وليس بواجب. **قوله: (شرط للإكراه)** يعني أن أرادة التحصن شرط للإكراه، لأن الإكراه لا يتصور إلا عند إرادة التحصن فإنهن لو لم يردن التحصن لكان زناهن بالطبع لا بالإكراه. وإن جعلت الإرادة المذكورة شرط النهي يتوهم أنه إذا انتفت الإرادة ارتفع النهي، وارتفاعه يستلزم جواز الإكراه وليس كذلك، لأن ارتفاع النهي إنما يستلزم جواز الإكراه أن لو كان الإكراه متصورًا حال انتفاء الإرادة، ولا شك أنه لا يتصور إكراه الطائعة على الزنى فثبت أن عدم الإرادة لا يستلزم جواز الإكراه. والحاصل أن إكراههن على الزنى حرام حال إرادتهن التحصن وممتنع حال إرادتهن الفجور. وقوله تعالى: ﴿إن أردن تحصنًا﴾ ليس المقصود منه تقييد النهي بل المقصود منه تعيير المخاطبين وتوبيخهم بأن الإماء إذا رغبن في التحصن فأنتم حق بذلك، مع ما فيه من الإشارة إلى تقبيح حالهن أيضًا بكونهن راغبات في الزنى مائلات إلى البغاء حيث أتى بكلمة «أن» دون «إذا». **قوله: (ولذلك حرم على المكره القتل)** وفي الهداية: وإن أكره بقتل على قتل غيره لم يسعه أن يقدم عليه ويصبر حتى يقتل، فإن قتله كان آثمًا لأن قتل المسلم لا يستباح لضرورة ما، فكذا لهذه الضرورة والقصاص على المكره عند أبي حنيفة ومحمد. وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: يجب عليهما أي المكره والمكره. وقال زفر: يجب على المكره. ثم إن الإكراه إنما يحصل متى حصل التخويف بما يقتضي تلف النفس فأما باليسير من التخويف فلا تصير به مكرهة.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ يعني الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت فيها الأحكام والحدود. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص في هذا وفي الطلاق بالكسر، لأنها واضحات يصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين أو لأنها بينت الأحكام والحدود. ﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي ومثلاً من أمثال من قبلكم أي وقصة عجيبة مثل قصصهم، وهي قصة عائشة فإنها كقصة يوسف ومريم. ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ يعني ما وعظ به في تلك الآيات وتخصيص المتقين لأنهم المنتفعون بها. وقيل: المراد بالآيات القرآن وبالصفات المذكورة صفاته.

قوله: (وأوضحت فيها الأحكام) لما كان المبين حكايات هذه السورة ووصفت نفس آياتها بكونها مبينات، أشار إلى أن أصل الأحكام مبين فيها فاتسع في الظرف بأن حذف حرف الجر وأجرى المجرور مجرى المفعول به. وقوله تعالى: ﴿ومثلا﴾ عطف على ﴿آيات﴾ أي وأنزلنا مثلاً من أمثال الذين مضوا من قبلكم أي قصة عجيبة من جنس قصصهم، فإن قصة عائشة رضي الله تعالى عنها كقصة يوسف ومريم عليهما السلام في الغرابة، فإن قصتهما ذكر فيها تهمة من بريء مما اتهم به فيوسف عليه الصلاة والسلام اتهمته زليخا، ومريم اتهمها اليهود مع برأتهما.
وقيل: المراد بالآيات القرآن. قال الإمام رحمة الله تعالى عليه: إنه تعالى لما ذكر في هذه السورة هذه الأحكام وختم الكلام في الأحكام بهذه الآية، وصف القرآن بصفات ثلاث: إحداها قوله تعالى: ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾ أي مفصلات وثانيتها قوله تعالى: ﴿ومثلا من الذين خلوا من قبلكم﴾. وروي عن الضحاك أنه قال: يريد بالمثل ما ذكر في التوراة والإنجيل من إقامة الحدود فأنزل في القرآن مثله. وروي عن مقاتل رضي الله تعالى عنه أنه قال: قوله تعالى: ﴿ومثلاً﴾ أي شبهًا من حالهم بحالكم في تكذيب الرسل عليهم الصلاة والسلام، يعني: بينا لكم ما أحللنا بهم من العقاب لتمردهم على الله تعالى فجعلنا ذلك مثلاً لكم لتعلموا أنكم إذا شاركتموهم في المعصية كنتم مثلهم في استحقاق العقاب. وثالثتها قوله تعالى: ﴿وموعظة للمتقين﴾ والمراد به الوعيد والتحذير من فعل المعاصي. ثم إنه تعالى لما وصف نفسه بأنه أنزل آيات مبينات وأقام دلائل واضحات وقصة عجيبة من جنس قصص من قبلنا متضمنة لموعظة ينتفع بها المتقون، عقبه بقوله تعالى: ﴿الله نور السمٰوات والأرض مثل نوره كمشكاة﴾ أي مظهرهما من العدم إلى الوجود، فإن معنى النور في اللغة هو الذي يبين الأشياء ويظهرها للأبصار. واعلم أن النور على أربعة أوجه: أولها نور يظهر الأشياء للأبصار وهو لا يراها كنور الشمس وأمثالها، فإنه يظهر الأشياء المخفية ولا يراها. وثانيها نور البصر وهو لا يظهر الأشياء للأبصار، ولكنه يراها وهذا النور أشرف من الأول، وثالثها نور العقل وهو يظهر الأشياء المعقولة المخفية في ظلمة الجهل للبصائر وهو يدركها ويراها. ورابعها نور الحق تعالى وهو يظهر الأشياء

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ النور في الأصل كيفية تدركها الباصرة أولاً وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الأجرام الكثيفة المحاذية لهما، وهو بهذا المعنى لا يصح إطلاقه على الله تعالى إلا بتقدير مضاف كقولك: زيد كرم بمعنى ذو كرم أو على تجوز: إما بمعنى منور السمٰوات والأرض وقد قرىء به فإنه

المعدومة المخفية في العدم للأبصار من الملك والملكوت وهو يراها في الوجود كما كان يراها في العدم بأنها موجودة في علم الله تعالى، وإن كانت معدومة في ذواتها فما يتغير علم الله تعالى ورؤيته بإظهارها في الوجود بل كان التغيير راجعًا إلى ذوات الأشياء وصفاتها عند الإيجاد والتكوين. فقوله تعالى: ﴿الله نور السمٰوات والأرض﴾ **معناه. والله تبارك وتعالى أعلم أنه مظهرهما وموجدهما من العدم بكمال القدرة الأزلية كما حققه المصنف رحمة الله تعالى عليه بقوله: «فإن النور ظاهر بذاته مظهر لغيره» الخ وذكر وجوهًا أخر في تأويل الآية الشريفة وعلى كل تأويل يكون هذه الآية الشريفة كالتعليل لما قبلها. قوله:** (وهو بهذا المعنى **لا يصح إطلاقه على الله تعالى) ضرورة أن حدوث الأجسام بأسرها يستلزم حدوث الكيفيات والأعراض القائمة بها فكيف يصح إطلاق الكيفية عليه تعالى؟ والقول بكونه تعالى حالاً في الأجسام مما يحكم بداهة العقل باستحالته فإن القائم بالغير محتاج إليه والمحتاج إلى الغير كيف يكون إلٰهًا؟ ولما ثبت في الشرع إطلاق اسم النور عليه تعالى وأنه من جملة أسمائه الشريفة الحسنى خاض النحارير من فضلاء العلماء في توجيه إطلاقه عليه تعالى وجاء كل واحد منهم بما في وسعه وطاقته. وأشار المصنف رحمة الله عليه إلى ما ذكروه من الوجوه فمحصول الجميع: أنه تعالى ليس في ذاته نورًا بل إنما يطلق عليه اسم النور إما بتقدير المضاف كقولك: زيد كرم بمعنى ذو كرم أو على تجوز. وذكر فيه وجوه أخر فاندفع به ما يقال من أن قوله تعالى:** ﴿الله نور السمٰوات والأرض﴾ **يقتضي ظاهرًا أنه تعالى في ذاته نور وقوله:** ﴿مثل نوره﴾ **يقتضي أن لا يكون هو في ذاته نورًا بل يكون هو أمرا مغايرًا له مضافًا إليه وبينهما تناقض، فقوله تعالى:** ﴿الله نور السمٰوات والأرض﴾ **بمعنى صاحب النور. أو من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة على معنى أنه منور لكل مستتر بحيث كأنه عين نوره. ومعنى تنويره: أنه تعالى نوّر العالم بالأنوار الفائضة من الكواكب أو أنه تعالى نوّر العالم العلوي بالملائكة والعالم السفلي بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام بناء على تشبيه الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالنور بمعنى الكيفية المدركة أولاً في كونهما بسبب الإدراك، فإن الكيفية المذكورة إنما اختصت بالفضيلة والشرف بسبب كون المرئيات ظاهرة منجلية بسببها. ويشاركها في هذه الفضيلة أشياء أخر منها: البصر وهو العين الظاهرة المدركة للأضواء والألوان، ومنها البصيرة وهي القوة العاقلة التي تدرك نفسها وغيرها من الكليات**

تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنها من الأنوار أو بالملائكة والأنبياء. أو مدبرهما من قولهم للرئيس الفائق في التدبير: نور القوم لأنهم يهتدون به في الأمور أو موجدهما، فإن النور ظاهر بذاته مظهر لغيره. وأصل الظهور وهو الوجود كما أن أصل الخفاء هو العدم والله سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد لما عداه. أو الذي به تدرك أو يدرك أهلها

والجزئيات. ولما كان كل واحدة من القوة الحساسة والعاقلة مشابهة للكيفية المذكورة في كونها سبب الإدراك صح إطلاق اسم النور عليه مجازًا. ومنها القرآن العظيم والملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإن القوة العاقلة قد يعتريها الزيغ والخلل في العلوم النظرية فلا بد لها من هادٍ ومرشد ولا مرشد فوق كلام الله تعالى وفوق إرشاد الأنبياء، فالآيات القرآنية بالنسبة إلى عين القلب بمنزلة نور الشمس إلى الباصرة فلذلك سمي القرآن نورًا في قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾ [التغابن: ٨] وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١٧٤] ونفوس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أيضًا بمنزلة نور الشمس، فكما أن الشمس في عالم الأجسام تفيد النور لغيرها ولا تستفيد من غيرها، فكذا نفس النبي يفيد الأنوار العقلية لسائر النفوس البشرية ولا يستفيد النور العقلي من كل شيء من الأنفس البشرية، فلذلك وصف الله تعالى نبينا محمدًا ﷺ بأنه سراج منير. وقد ثبت أن الأنوار الحاصلة في أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مقتبسة من الأنوار الحاصلة في أرواح الملائكة عليهم الصلاة والسلام قال الله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢] وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤] وقال تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤] وهو لا يكون إلا بواسطة الملائكة. فلما كان أرواح الملائكة كالمعادن لأنوار عقول الأنبياء كانت أرواحهم بمنزلة الأنوار أيضًا وأقوى من عقول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فهذا هو وجه قول المصنف رحمة الله تعالى عليه «إنه تعالى منور السموات والأرض بالملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام».

قوله: (أو مدبرهما) بأن شبّه التدبير الحسن بالنور في كون كل واحد منهما سبب الاهتداء إلى المصالح، فأطلق اسم النور على التدبير الحسن على سبيل الاستعارة التصريحية، وأطلق النور بهذا المعنى عليه تعالى على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة. **قوله:** (أو موجدهما) على أن يكون قوله الله: ﴿نورهما﴾ من باب التشبيه البليغ أي كالنور بالنسبة إليهما من حيث كونه مظهرًا لهما أي موجدًا، فإن أصل التنوير هو الظهور من ظلمة العدم وإنما يظهر بتأثير قدرته تعالى. **قوله:** (أو الذي به تدرك) على أن يكون المراد منه أنه تعالى نور بالنسبة إلى نفس السموات والأرض وقوله: «أو يدرك أهلها» على أن يكون تقدير الكلام الله نور أهل السموات وأهل الأرض. وعلى التقديرين يكون الكلام من باب التشبيه البليغ أيضًا

من حيث إنه يطلق على الباصرة لتعلقها به أو لمشاركتها له في توقف الإدراك عليه ثم على البصيرة لأنها أقوى إدراكًا، فإنها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل. ثم إن هذه الإدراكات ليست لذاتها وإلا لما فارقتها فهي إذًا من سبب يفيضها عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداء أو بتوسط من الملائكة والأنبياء ولذلك سموا أنوارًا. ويقرب منه

حيث شبّه تعالى بالنور بمعنى الكيفية من حيث إنه تعالى سبب لإدراك السمٰوات والأرض بالباصرة ولإدراك ما فيها من وجود الدلالات على وجود الصانع ذي الجلال والإكرام بالبصيرة، وذلك لأن هذه الإدراكات ليست مقتضى ذات البصيرة وإلا لما فارقتها بل هي مسندة إلى سبب خارج عن ذاتها يفيض تلك الإدراكات عليها وهو الله سبحانه وتعالى فهو الذي به تدرك أو به يدرك أهلها، فشابه النور بمعنى الكيفية فلذلك قيل على سبيل التشبيه البليغ ﴿الله نور﴾. قوله: (من حيث إنه يطلق على الباصرة الخ) استشهاد على إطلاق النور على ما يكون سبب الإدراك كالبصيرة والباصرة وإن جاز أن يكون إطلاق النور على الباصرة لكونها متعلقة بالنور ومدركة أولاً وبالذات. ثم إنه لما بيّن أن الباصرة تشارك النور في توقف الإدراك على كل واحد منهما، بيّن أن الإدراك المرتب على البصيرة أقوى من الإدراك المرتب على الباصرة، فلما كان وجه الشبه بينهما وبين النور أقوى كان إطلاق لفظ النور عليهما أقرب وأولى. فإن القوة الباصرة لا تدرك نفسها ولا تدرك إدراكها ولا تدرك آلتها أيضًا، أما أنها لا تدرك نفسها ولا إدراكها فلأنهما ليسا من الأمور المبصرة بالعين، وأما أنها لا تدرك آلتها التي هي العين فظاهر. والبصيرة تدرك نفسها وتدرك إدراكها وتدرك آلتها وهي القلب والدماغ، وأيضًا القوة العاقلة تدرك الكليات والجزئيات الموجودة والمعدومة والقوة الباصرة لا تدرك إلا الجزئيات الموجودة، وأيضًا القوة العاقلة تدرك ظواهر الأشياء وبواطنها بخلاف القوة الحسية فإنها لا تدرك من الإنسان مثلاً إلا السطح الظاهر من جسمه والألوان القائمة بذلك السطح بالاتفاق وليس الإنسان عبارة عن مجرد السطح واللون. فالقوة الباصرة وإن كانت بالنسبة إلى الظاهر نورًا إلا أنها بالنسبة إلى البواطن ظلمة، فكانت القوة العاقلة أشرف من الباصرة من هذا الوجه. وأيضًا القوة العاقلة تتصرف في بواطن مدركاتها بالتركيب والتحليل، فإنها تضم الجنس إلى الفصل فتستحدث منهما طبيعة نوعية مركبة منهما وتحلل تلك الطبيعة الواحدة المقومة إلى مقوماتها وإلى عوارضها اللازمة والمفارقة، ثم تحلل مقوماتها إلى الجنس وجنس الجنس والفصل وفصل الفصل وجنس الفصل وفصل الجنس إلى غير ذلك والقوة الباصرة عاجزة عن النفوذ في بواطن الماهيات وأعماقها. قوله: (ويقرب منه) أي من قوله: «الله نور السمٰوات والأرض قول ابن عباس معناه» الخ فإنه الذي به تدرك

قول ابن عباس: معناه هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون. وإضافته إليهما للدلالة على سعة إشراقه أو لاشتمالهما على الأنوار الحسية والعقلية وقصور الإدراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما. ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ صفة نوره العجيبة الشأن، وإضافته إلى ضميره سبحانه وتعالى دليل على أن إطلاقه عليه لم يكن على ظاهره. ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ كصفة مشكاة وهي الكوة غير النافذة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ سراج ضخم ثاقب. وقيل: المشكاة الأنبوبة في وسط القنديل، والمصباح الفتيلة المشتعلة. ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ في قنديل من الزجاج. ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ مضيء متلألىء كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب إلى الدرا، أو فعيل كمريق من الدرء فإنه يدفع الظلام بضوئه أو بعض ضوئه بعضًا من لمعانه إلا أنه قلبت همزته ياء. ويدل عليه قراءة حمزة وأبي بكر على الأصل، وقراءة أبي عمرو والكسائي «دريء» كشريب وقد قرىء به مقلوبًا. ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ أي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بأن رويت

السمٰوات، لأن لما كان معنى قوله تعالى: ﴿الله نور السمٰوات والأرض﴾ أنه تعالى به تدرك أو يدرك أهلها على معنى أنه تعالى يجعل للمكلفين من المعارف والعلوم ما يهتدون به ويتخلصون به من ظلمات الكفر والضلالات وورطات الزيغ والجهالات بوحي ينزله وبنبي يبلغه، وهو قريب من قول حبر الأمة رضي الله تعالى عنه: معنى كونه تعالى نور السمٰوات والأرض أنه هادي من فيهما فهم بنوره مهتدون. قال المصنف: «ويقرب منه» الخ فعلى هذا شبهت الهداية بالنور في كونها سببًا للوصول إلى المطلوب، فأطلق اسم النور عليها على سبيل الاستعارة ثم أطلق النور بمعنى الهداية عليه تعالى على طريق رجل عدل.

قوله: (وإضافته إليهما) مع أن كونه تعالى نورًا بأي معنى كان ليس بالإضافة إليهما فقط، فإنه تعالى صاحب لنور جميع المستنيرات ومنورها ومدبر أمرها وموجدها. **قوله:** (لم يكن على ظاهره) وهو أنه تعالى في ذاته نور بل هو مؤول بأحد التأويلات المذكورة. **قوله:** (كصفة مشكاة) إشارة إلى أن ثمة مضافًا محذوفًا أي كمثل مشكاة وهو خبر لقوله: ﴿مثل نوره﴾ وهذه الجملة تفسير لما قبلها فلا محل لها، وقوله: ﴿فيها مصباح﴾ صفة لمشكاة. **قوله:** (دريّ) قرأ أبو عمرو والكسائي «دريء» بكسر الدال وياء بعدها همزة. وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم رحمهما الله تعالى بضم الدال وياء بعدها همزة، والباقون بضم الدال وتشديد الياء من غير همزة. والمعنى أنه يشبه الدر لصفائه ولمعانه. ويحتمل أن لا يكون منسوبًا بل تكون الياء الأخيرة مقلوبة من الهمزة الأصلية ويكون أصله «دريء» على وزن فعيل كمريق وهو حب العصفر وهو القرطم. **قوله:** (وقد قرىء به مقلوبًا) أي وقد قرىء بكسر الدال وقلب الهمزة ياء. **قوله تعالى:** (يوقد) على وزن تفعل فعلاً ماضيًا مسندًا إلى ضمير عائد

ذبالته بزيتها. وفي إبهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم إبدال الزيتونة منها تفخيم لشأنها. وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من أوقد، وحمزة والكسائي وأبو بكر بالتاء كذلك على إسناده إلى الزجاجة بحذف المضاف. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو «توقد» بمعنى تتوقد، وقرىء «يوقد» بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب. ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ تقع الشمس عليها حينًا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة أو صحراء واسعة فإن ثمرتها تكون أنضج وزيتها أصفى أولاً نابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام فإن زيتونه أجود الزيتون، أولا في مضحى تشرق الشمس عليها دائمًا فتحرقها، أو في مفيأة تغيب عنها دائبًا فتتركها نيئًا. وفي الحديث: «لا خير في شجرة ولا نبات في مفيأة ولا خير فيهما في مضحى». ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ أي يكاد يضيء بنفسه من غيرنا لتلألئه وفرط

على المصباح ولا يعود على الكوكب لفساد المعنى، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. والثقوب التوقد والاشتعال. و «من» في قوله: ﴿من شجرة﴾ لابتداء الغاية وثمة مضاف محذوف أي من زيت شجرة. والذبالة بضم الذال الفتيلة. وقوله: ﴿زيتونة﴾ بدل من «شجرة». **قوله**: (وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء) أي يوقد بضم الياء من تحت وفتح القاف على بناء المفعول من أوقد والضمير المستتر فيه يعود على المصباح. وقرأ باقي السبعة كذلك إلا أنه بالتاء من فوق والضمير المستتر فيه القائم مقام الفاعل يعود على الزجاجة بحذف المضاف أي يوقد مصباح الزجاجة. وقرىء «توقد» بفتح التاء من فوق وضم الدال مضارع توقد أصله تتوقد بتاءين فحذفت إحداهما والضمير أيضًا للزجاجة. **قوله**: (وقرىء يوقد) أي بالياء من تحت وضم الدال مضارع توقد أصله يتوقد بياء من تحت وتاء من فوق فحذفت التاء من فوق. وهذا الحذف شاذ غريب إذ لم يتوال مثلان ولم يبق في اللفظ ما يدل على المحذوف بخلاف نحو: تنزل وتلظى فإن فيه تاءين والباقي منهما يدل على ما حذف. **قوله تعالى**: (لا شرقية) صفة لشجرة دخلت عليها لا لتفيد النفي. وقرىء «لا شرقية» بالرفع على إضمار مبتدأ أي لا شرقية هي، والجملة أيضًا في محل الجر على أنها صفة لشجرة وكذا قوله: ﴿يكاد زيتها يضيء﴾ وجواب قوله: ﴿ولو لم تمسسه نار﴾ محذوف أي لأضاء حذف لدلالة ما قبله عليه والجملة حالية جيء بها لاستقصاء الأحوال حتى في هذه الحالة. **قوله**: (في مفيأة) المفيأة والمفيوءة المكان الذي لا تطلع الشمس عليه، هذا قول أبي عمرو. وقال غيره: مفياة ومفيوة بغير همزة نقيض المضحاة يقال: ضحيت للشمس بكسر الحاء ضحاء بالمد إذا برزت لها، وضحيت بالفتح والمستقبل أضحى في اللغتين جميعًا. قال تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٩].

وبيصه. ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ نور متضاعف فإن نور المصباح زاد في إنارته صفاء الزيت وزهرة القنديل، وضبط المشكاة لأشعته. وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه: الأول أنه تمثيل للهدى الذي دل عليه الآيات المبينات في جلاء مدلولها وظهور ما تضمنه من الهدى بالمشكاة المنعوتة، أو تشبيه للهدى من حيث إنه محفوف بظلمات أوهام الناس

قوله: (نور على نور) أي فكان زيتها نورًا على نور بمعنى نور المصباح على نور الزجاجة، أو نور النار ونور المصباح، أو نور الزجاجة. وقوله: ﴿نور على نور﴾ خبر مبتدأ محذوف أي النور الذي شبّه به نور الله تعالى هو نور على نور. واعلم أن الأمور التي اعتبرها الله تعالى في هذه الأمثال مما يوجب كمال الضوء: فأولها أن المصباح إذا لم يكن في المشكاة تفرقت أشعته وإذا وضع في المشكاة اجتمعت أشعته فكان أشد إنارة، والذي يحقق ذلك أن المصباح إذا كان في المشكاة أو كان في بيت صغير فإنه يظهر من ضوئه أكثر مما إذا كان في البيت الكبير. وثانيها أن المصباح إذا كان في زجاجة صافية والأشعة المنفصلة عن المصباح تنعكس من بعض جوانب الزجاجة إلى بعض كان أكمل في الضوء والنور من غيره لما في الزجاجة من الصفاء والشفافة، والذي يحقق ذلك أن شعاع الشمس إذا وقع على الزجاجة الصافية قوي حتى أنه يظهر فيما يقابله مثل ذلك الضوء فإذا انعكست تلك الأشعة من كل واحد من جوانب الزجاجة إلى الجانب الآخر كثرت الأنوار والأضواء وبلغت النهاية الممكنة. وثالثها أن ضوء المصباح يختلف بحسب اختلاف ما يتقد به فإذا كان ذلك الدهن صافيًا خالصًا كان حاله بخلاف حاله إذا كان كدرًا. ورابعها أن هذا الزيت يختلف بحسب اختلاف شجرته فإذا كانت لا شرقية ولا غربية بمعنى أنها بارزة للشمس في كل حالة كان ثمرها أشد نضجًا فيكون زيته أكثر صفاء. فإذا اجتمعت هذه الأربعة وتعاونت صار ذلك الضوء خالصًا كاملاً فيصلح أن يجعل مثلاً لنور الله تعالى. **قوله:** (الأول أنه تمثيل للهدى) اعلم أنه لا بد في التشبيه من أمرين: المشبه والمشبه به. واختلف أهل التفسير في أن المشبه ههنا أي شيء هو؟ وذكروا وجوهًا: أحدها، وهو قول جمهور المتكلمين أن المراد به الهدى الذي هو الآيات المبينات والمعنى: أن هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلاء إلى أقصى الغايات وصارت بذلك بمنزلة مشكاة يكون فيها زجاجة صافية، وفي الزجاجة مصباح يوقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء. أو أن هداية الله تعالى من حيث إنها في غاية الظهور والجلاء وأنها محفوفة بظلمات أوهام الناس بمنزلة المصباح الموصوف بأنه مع كونه في غاية الجلاء محفوف بظلمة المشكاة. فإن قيل: لم شبه بذلك؟ وقد قالوا: إن ضوء الشمس أبلغ من ذلك بكثير. أجيب بأنه سبحانه وتعالى أراد أن يصف الضوء الكامل الذي يلوح وسط الظلمة لأن الغالب على أوهام الخلق وخيالاتهم إنما هو الشبهات التي هي كالظلمات، وهداية الله تعالى

وخيالاتهم بالمصباح وإنما ولى الكاف المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه به أوفق من تشبيهه بالشمس. أو تمثيل لما نوّر الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصابحها، ويؤيده قراءة أبيّ «مثل نور المؤمن». أو تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس المرتبة التي ينوط بها المعاش والمعاد وهي: الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس، والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت، والعاقلة التي تدرك الحقائق الكلية، والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم يعلم، والقوة القدسية التي يتجلى فيها لوائح الغيب وأسرار الملكوت المختصة بالأنبياء والأولياء المعينة بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] بالأشياء الخمسة المذكورة

فيما بينها كالضوء الكامل الذي يظهر فيما بين الظلمات، وهذا المقصود لا يحصل من تشبيهه بضوء الشمس لأن ضوءها إذا ظهر امتلأ العالم من النور الخالص وإذا غاب امتلأ العالم من الظلمة الخالصة، فلا جرم كان ذلك المثل ههنا أليق وأوفق.

قوله: (وإنما ولى الكاف المشكاة) بمنزلة دخولها على المصباح ولهذا قال بعض المفسرين: إن هذه الآية من المقلوب والتقدير: مثل نوره كمصباح في مشكاة، لأن المشبه به نوره تعالى هو الذي يكون معدنًا للنور ومنبعًا له وذلك هو المصباح لا المشكاة. **قوله:** (**أو تمثيل لما نوّر الله تعالى به قلب المؤمن**) وهو نور الإيمان والعلوم المتعلقة بمعاني آيات كتاب الله تعالى، ومعرفة المبدأ والمعاد والشرائع وهذا النور وإن كان محله قلب المؤمن إلا أنه نور الله تعالى من حيث إنه تعالى هو الذي نور قلبه. والمقصود من التمثيل بيان أن إيمان المؤمن وما في قلبه من العلوم والمعارف قد بلغ في الصفاء عن الشبهات والامتياز عن ظلمات الضلالات مبلغ نور المشكاة المنعوتة. **قوله:** (**أو تمثيل لما منح الله تعالى به عباده من القوى الدراكة الخمس المرتبة**) ذكر الإمام الغزالي نفعنا الله به آمين: أن القوى الدراكة أنوار من حيث إنه يظهر بها أصناف الموجودات، وأن مراتب القوى المدركة الإنسانية خمس: إحداها القوة الحساسة وهي التي تتلقى ما تدركه الحواس الخمس وتسمى الحس المشترك، وثانيتها القوة الخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية التي هي فوقها عند الحاجة إليه، وثالثتها القوة العقلية المدركة للحقائق الكلية، ورابعتها القوة المفكرة وهي التي تأخذ المعارف فتؤلفها تأليفًا فتستنتج من تأليفها إياها علمًا بالمجهول، وخامستها القوة القدسية التي يختص بها الأنبياء وبعض الأولياء ويتجلى فيها لوائح الغيب وأسرار الملك والملكوت، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾

في الآية وهي: المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت، فإن الحساسة كالمشكاة لأن محلها كالكوى ووجهها إلى الظاهر لا تدرك ما وراءها وإضاءتها بالمعقولات لا بالذات. والخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للأنوار العقلية وإنارتها بما تشتمل عليه من المعقولات. والعاقلة كالمصباح لإضاءتها بالإدراكات الكلية والمعارف الإلهية. والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديتها إلى ثمرات لا نهاية لها والزيتونة المثمرة للزيت الذي هو مادة المصابيح التي لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها

[الشورى: ٥٢] وهذه المراتب الخمس يمكن تشبيهها بالأمور التي ذكرها الله تعالى وهي: المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت. فشبّه الله تعالى القوة الحساسة بالمشكاة من حيث إن محلها أي مأخذ ما ارتسم فيها كالكوى، فإن الحس[1] المشترك إنما يأخذ مدركاته من عدة ثقب كالعينين والأذنين والمنخرين والفم وكل واحدة من تلك الثقب تشبه كوة غير نافذة وهي المشكاة. **قوله:** (**ووجهها إلى الظاهر**) أي القوة الحساسة وجهها إلى الظاهر لا تدرك ما وراء نفسها وإنما تدرك ما قدامها كالكوة لا تنظر إلى ما وراءها لكونها غير نافذة. وأيضًا إضاءتها ليست بنفس ذاتها بل بما ارتسم فيها من الصور المدركة كالمشكاة التي لا تضيء بالذات بل بواسطة ما وضع فيها من المصباح. وشبّه القوة الخيالية بالزجاجة من حيث إنها تقبل صور المدركات من جوانب البدن كما تقبل الزجاجة الأنوار الحسية من الجوانب ومن حيث إنها تضبط الأنوار العقلية وتحفظها كما تحفظ الزجاجة الأنوار الحسية عن الانمحاء والزوال، ومن حيث إنها تستنير بما تشتمل عليه من المعقولات كما تستنير الزجاجة بما فيها من المصباح. وشبّه القوة العقلية بالمصباح لإضاءتها بالإدراك والمعارف كما يضيء المصباح بالأنوار الحسية. وشبّه القوة الفكرية بالشجرة المباركة من حيث إنها تؤدي إلى نتائج كثيرة وهي بمنزلة الثمرة فإن المفكرة تنتج نتائج هي ثمراتها ثم تعود فتجعل تلك الثمرات مدونة ثم تعود لأمثالها حتى تؤدي إلى ثمرات لا نهاية لها، فبالحري أن يكون مثلها في هذا العالم هي الشجرة المباركة الكثيرة النفع. والزيتونة المثمرة عطف على قوله كالشجرة المباركة الأول توضيح لكون المفكرة كالشجرة المباركة والثاني توضيح لكونها كزيتونة، فإن شجرة الزيتون لها فضيلة على سائر الأشجار من حيث إن لب ثمرتها هو الزيت الذي له منافع كثيرة ومن جملتها أنه مادة المصابيح والأنوار الحسية وله من بين سائر الأدهان زيادة الإشراق مع قلة الدخان، فلذلك أفاد إبدال قوله: ﴿زيتونة﴾ من قوله: ﴿شجرة مباركة﴾ تفخيم شأن الشجرة. **قوله:** (**التي لا تكون شرقية ولا غربية**) صفة لقوله: «والمفكرة» ولما اعتبر في جانب المشبه بها كونها لا شرقية ولا غربية تعرض لكونها معتبرة في جانب المشبه أيضًا لكون المشابهة من هذا

عن اللواحق الجسمية، أو لوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة من الجانبين. والقوة القدسية كالزيت فإنها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من غير تفكر ولا تعليم. أو تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فإنها في بدء أمرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة. ثم تتنقش بالعلوم الضرورية بتوسط إحساس الجزئيات بحيث يتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للأنوار، وذلك التمكن إن كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة، وإن كان بالحدس فكالزيت، وإن كان بقوة قدسية فكالذي يكاد زيتها يضيء لأنها تكاد تعلم ولو لم يتصل بملك الوحي والإلهام الذي مثله النار من حيث إن العقول تشتعل عنها ثم إذا حصلت لها العلوم بحيث يتمكن من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح، فإذا استحضرها كان

الوجه، فإن القوة المفكرة لما كانت مجردة عن اللواحق الجسمية لم تكن شرقية ولا غربية فلذلك شبهت بشجرة لا شرقية ولا غربية.

قوله: (أو لوقوعها بين الصور والمعاني) علة لكون المفكرة لا شرقية ولا غربية ولما لم يكن انتفاعها مختصًا بجانب الصور ولا بجانب المعاني شبّهت بشجرة لا شرقية ولا غربية، فالموجودات الخارجية لما كانت محققة بالأصالة وكانت المعاني بحسب الأغلب منتزعة منها بإفاضة الفاعل المختار إياها على النفس الناطقة على حسب مناسبات مختلفة واستعدادات شتى، كان جانب الصور أشبه بكونه شرقيًا وجانب المعنى بكونه غربيًا. وشبّهت القوة القدسية بالزيت الذي يكاد يضيء من غير أن تمسسه نار، فإن القوة القدسية لكمال صفائها وشدة استعدادها لا تحتاج إلى تعليم وتنبيه في الاستنارة بالعلوم والمعارف. ولما كانت هذه القوى مترتبة حيث كان الحس كالمقدمة للخيال والخيال كالمقدمة للعقل ناسب أن تجعل المشكاة كالظرف للزجاجة التي هي كالظرف للمصباح. قوله: (أو تمثيل للقوة العقلية في مراتبها) كما ذهب إليه أبو علي بن سينا فإن النفس الناطقة بحسب استكمالها بالمطالب النظرية لها مراتب مختلفة: الأولى مرتبة الاستعداد بحصول الكمال، والثانية مرتبة حصول نفس الكمال. ثم إن الاستعداد على ثلاث مراتب أضعفها الاستعداد المحض، والنفس في هذه المرتبة تسمى عقلاً هيولانيًا. والاستعداد المتوسط يحصل عند حصول المعقولات الأولى وتمكن النفس من ترتبها والانتقال منها إلى المطالب النظرية والنفس في هذه المرتبة تسمى عقلاً بالملكة. والاستعداد القوي هو استعداد استحضار المطالب بعد حصولها والذهول عنها من غير تجشم كسب جديد وتسمى النفس في هذه المرتبة بالعقل بالفعل وتسمى في مرتبة الكمال وهي مرتبة حصول المطالب ومشاهدتها بالعقل المستفاد وقد تطلق هذه الأسامي على أنفس هذه المراتب أيضًا. ثم حصول المطالب من المبادىء الأول إن كان

نورًا على نور. ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ لهذا النور الثاقب ﴿مَن يَشَاءُ﴾ فإن الأسباب دون مشيئته لاغية إذ بها تمامها. ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ إدناء للمعقول من المحسوس توضيحًا وبيانًا. ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥)﴾ معقولاً كان أو محسوسًا ظاهرًا كان أو خفيًا. وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها.

ترتبها والانتقال من بعضها إلى بعض بطريق الحركة في الكيف يسمى تحصيلها بهذه الطريق فكر، أو إن لم يكن بطريق الترتب والانتقال من بعضها إلى بعض يسمى حدسًا، وهذه المراتب يصح إطلاق اسم النور عليها لكونها وسائل إلى ظهور المدركات. والقوة العقلية في مرتبة العقل الهيولاني تشبه بالمشكاة الخيالية في بدء الأمر عن الأنوار الحسية المستعدة للاستنارة بها، وفي مرتبة العقل بالملكة تشبه بالزجاجة المتلألئة في نفسها الشبيهة بالكوكب الدري القابلة للأنوار الفائضة عليها من النير الخارجي. وقد مرّ أن القوة العقلية في مرتبة تمكنها من تحصيل النظريات قد يكون تمكنها منه بطريق الحركة الفكرية وقد يكون بطريق الحدس، وشبّه تمكنها من تحصيل النظر منه بالطريق الأولى بتمكن الزجاجة من التوقد من شجرة الزيتونة، فإن توقد الزجاجة من تلك الشجرة يحتاج إلى تكلف وإعمال مثل أن يعصر زيتونها ويستخرج زيتها وتروى الفتيلة بزيتها فكذلك الاستحصال من المطالب بطريق الفكر، فإن النفس تحتاج فيه إلى مزاولة الفكر والاعتمال. فكان قوله تعالى: ﴿توقد من شجرة مباركة زيتونة﴾ إشارة إلى تشبيه مرتبة التمكن من الاستحصال بطريق الفكر بتوقد الزجاجة من شجرة الزيتونة، وقوله تعالى: ﴿يكاد زيتها﴾ إشارة إلى تشبيه تمكنها بطريق الحدس بتوقد الزجاجة من الزيت. ثم إن القوة النفسانية المتمكنة من الاستحصال إذا بلغت وقويت في صفائها عن الكدورات الطبيعية إلى غاية اللطافة يكون استفاضتها من عالم الغيب في غاية الكمال والقوة حتى تكاد تعلم وإن لم تتصل بملك الوحي والإلهام، فكان قوله تعالى: ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾ إشارة إلى تشبيه تمكنها من تحصيل النظريات بقوة قدسية بالزجاجة التي لا تحتاج في توقدها إلى أن تمس النار زيتها بل تشتعل بمجرد صفاء الزيت الحاصل فيها. فظهر بما قررناه أن للقوة العقلية في مرتبة تمكنها من تحصيل النظريات ثلاثة اعتبارات: تمكنها منه بطريق الفكر وبطريق الحدس وبالقوة القدسية، وشبّهت بالاعتبار الأول بالزجاجة المتوقدة من الشجر، وبالاعتبار الثاني بالزجاجة المتوقدة بالزيت الذي مسته النار، وبالاعتبار الثالث بالزجاجة التي لا تحتاج في توقدها إلى أن يتصل زيتها بالنار. ثم إنها شبّهت في مرتبة العقل بالفعل بالمصباح الذي اشتعلت فتيلته المشبعة بالزيت بمماسة النار إياها فإن المدركات النظرية في هذه المرتبة وإن لم تكن بحيث تشاهدها النفس بالفعل إلا أنها حاصلة عندها مخزونة فيها بحيث لا تحتاج في استحضارها إلى تجشم كسب جديد،

﴿فِي بُيُوتٍ﴾ متعلق بما قبله أي كمشكاة في بعض بيوت، أو توقد في بعض بيوت فيكون تقييدًا للممثل به بما يكون تحبيرًا ومبالغة فيه، فإن قناديل المساجد تكون أعظم، أو تمثيلاً لصلاة المؤمنين أو أبدانهم بالمساجد. ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكاة إذ

فصح تشبيهها في هذه المرتبة بالمصباح المذكور. وشبّهت في مرتبة العقل المستفاد بالنور المتضاعف فإن العاقلة إذا استحضرت العلوم الضرورية والنظرية بالفعل وصارت مشاهدة إياهما حصل لها نور على نور، أعني نور مشاهدة النظريات على نور مشاهدة الضروريات ونور ملكة الانتقال عنها إلى النظريات ونور حصولها بالفعل. وحاصل الكلام أنه تعالى مثل نوره الذي أعطاه الإنسان المكرم أعني النور المعنوي الذي هو مراتب النفس الإنسانية من بداية الاستكمال إلى نهايته وقواها الفائضة عليها وهي: القوة الفكرية والحدسية والقدسية بما ذكره من: المشكاة والزجاجة والشجرة والزيتونة والزيت، الذي مسته النار والزيت الذي يكاد يضيء من غير أن تمسه النار، والمصباح ونور على نور. فظهر بما ذكرنا وجه الترتيب المذكور في الآية.

قوله: (متعلق بما قبله) أي صفة لمشكاة أو متعلق بمحذوف أو متعلق بقوله: ﴿توقد﴾ ولما ورد أن يقال: إن المقصود من التمثيل تفخيم شأنه أي شأن نور الله تعالى من حيث الوضوء والجلاء وتشبيهه بما هو في غاية الإنارة والجلاء، فلا بد أن يكون لكل واحد من القيود المعتبرة في المشبه به مدخل في ذلك، ولا مدخل لكون المشكاة المنعوتة في المساجد ولا لكون المصباح الكائن فيها يوقد في المساجد في زيادة المصباح المذكور إنارة وإضاءة. فأي فائدة في اعتباره في جانب المشبه به؟ أشار إلى دفعه بقوله: «فيكون تقييدًا للممثل به بما يكون تحبيرًا ومبالغة فيه» فإن أصل التحبير قد حصل بباقي القيود المذكورة، وباعتبار كونها في المساجد تحصل المبالغة في التحبير. وفي الصحاح: تحبير الخط والشعر وغيرهما تحسينه. وقوله: «أو تمثيلاً» عطف على قوله: «تحبيرًا» وهو مبني على أن يكون المشبه نور المؤمن فإنه لما اعتبر في جانب المشبه به كون المشكاة التي فيها المصباح واقعة في المساجد، لزم أن يعتبر في جانب المشبه أيضًا كون القلب المنور واقعًا فيما يشبه المساجد وهو إما صلاته أو بدنه. فإن كل واحد من الصلاة والبدن لما كان محلاً لأنواع العبادات شابه المسجد، كأنه قيل: مثل ما نور الله تعالى به قلب المؤمن وهو في الصلاة أو قلبه الموضوع في بدنه كمثل المشكاة المنعوتة، فيكون التشبيه مفردًا. شبّه قلبه بالمشكاة وما فيه من النور بنور المصباح الموصوف وصلاته وبدنه بالمسجد. **قوله:** (ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكاة) جواب عما يقال: كيف يجوز أن يكون قوله: ﴿في بيوت﴾ صفة «مشكاة» وهي واحدة والمشكاة الواحدة لا تكون في بيوت؟ وحاصل الجواب أن التنكير في

المراد بها ماله هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة أو بما بعده وهو «يسبح» وفيها تكرير مؤكد لا «بيذكر» لأنه من صلة «أن» فلا يعمل فيما قبله، أو بمحذوف مثل سبحوا في بيوت. والمراد بها المساجد لأن الصفة تلائمها. وقيل: المساجد الثلاثة والتنكير للتعظيم. ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ بالبناء أو التعظيم ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في أفعاله والمباحثة في أحكامه ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ﴿٣٦﴾﴾ ينزّهونه أي يصلون له فيها بالغدوات والعشايا والغدو مصدر أطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع أصيل. وقرىء والاتصال وهو الدخول في الأصيل. وقرأ ابن عامر وعاصم «يسبح» بالفتح على إسناده إلى أحد الظروف

قوله تعالى: ﴿كمشكاة﴾ وفي قوله تعالى: ﴿فيها مصباح﴾ وفي قوله تعالى: ﴿في زجاجة﴾ وفي قوله تعالى: ﴿كأنها كوكب دري﴾ للنوعية لا للفردية. **قوله:** (**وفيها تكرير**) جواب عما يقال: لا وجه لكون قوله تعالى: ﴿في بيوت﴾ متعلقًا بالفعل المذكور بعده وهو يسبح لأنه يصير المعنى حينئذ في بيوت أذِن الله تعالى يسبح له فيها، فيكون قوله فيها تكريرًا بلا فائدة. فأجاب عنه بأن التكرير لأجل التأكيد كثير. **قوله:** (**أو بمحذوف مثل سبحوا في بيوت**) وهذه الجملة مرتبة على قوله تعالى: ﴿الله نور السمٰوات والأرض﴾ أي الله نور السمٰوات فسبحوه في بيوت، إلا أنه ترك الفاء للعلم به كما يقال: قم يدعوك والمراد قم فإنه يدعوك. **قوله:** (**والمراد بها المساجد**) أي لا مطلق البيوت لأن المراد بالإذن الأمر وفي البيوت ما لم يأمر الله تعالى بأن يرفع سواء كان الرفع بمعنى البناء كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧] أو بمعنى التعظيم: ورفع القدر وأيضًا فيها ما لم يأمر الله تعالى بأن يذكر فيه اسمه فهذه الأوصاف إنما تليق بالمساجد أي مسجد كان. وتخصيصها بالمساجد الثلاثة المسجد الحرام الذي بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام، ومسجد بيت المقدس الذي بناه داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام، ومسجد المدينة الذي بناه رسول الله ﷺ وهو يتناول المسجد الذي فيه الروضة المنورة ومسجد قبا الذي أسس على التقوى تخصيص بلا دليل. والغدو مصدر يقال: غدا يغدو غدوًا إذا دخل في وقت الغدو وهو ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس. والمصدر لا يقع فيه الفعل فلا بد من تقدير الزمان معه ليقع الفعل فيه، فقوله تعالى: ﴿يسبح له فيها بالغدو﴾ من قبيل آتيك طلوع الشمس أي وقت طلوعها من حيث إنه عبّر عن الوقت بالمصدر. وأما الآصال فإنه اسم للوقت لأنه جمع أصيل وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب كشريف وأشراف، ويجمع الأصيل أيضًا على أصل وأصائل. **قوله:** (**وقرأ ابن عامر وعاصم**) أي برواية أبي بكر فإنه يقرأ على رواية حفص عنه «يسبح» بفتح الباء كباقي السبعة، فيكون الفعل مسندًا إلى أحد الظروف الثلاثة أعني «له»

الثلاثة ورفع «رجال» بما يدل عليه. وقرىء بالتاء مكسور التأنيث الجمع ومفتوحًا على إسناده إلى أوقات الغدو. ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ﴾ لا تشغلهم معاملة رابحة ﴿وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ مبالغة بالتعميم بعد التخصيص إن أريد به مطلق المعاوضة، أو بإفراد ما هو الأهم من قسمي التجارة. فإن الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرى. وقيل: المراد بالتجارة الشرى فإنه أصلها ومبدأها. وقيل: الجلب لأنه الغالب فيها، ومنه يقال: تجر في كذا إذا جلبه. وفيه إيماء بأنهم تجار. ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ عوض فيه الإضافة عن التاء المعوضة عن العين الساقطة بالإعلال كقوله:

وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا

«فيها» «بالغدو» ويكون «رجال» مرفوعًا بفعل مضمر يدل عليه يسبح الظاهر، لأنه لما قيل: ﴿يسبح له فيها﴾ فكأنه قيل: من يسبحه؟ فقيل: ﴿رجال﴾ أي يسبحه رجال كما في قوله:

ليبك يزيد ضارع لخصومة

كأنه قيل: من يبكيه؟ فقيل: يبكيه ضارع. وقرىء «تسبح» بالتاء وكسر الباء لأن «رجال» يعامل معاملة المؤنث في بعض الأحكام وهذا منها. وقرىء بالتاء وفتح الباء على إسناد الفعل إلى الأوقات المذكورة بعده وكون الباء زائدة والأصل: تسبح الغدو والآصال بمعنى تسبح الأوقات التي يعبر عنها بالغدو والآصال. جعل الأوقات مسبحة على طريق صام نهاره، والمراد يسبح رب هذه الأوقات فيها.

قوله: (وفيه إيماء بأنهم تجار) إلا أنهم مع ذلك لا يشغلهم على ذكر الله تعالى شيء من ضروب المعاملات. وقيل: إن الآية نزلت في الذين لا يشتغلون بالتجارة والبيع بل كانوا فرغوا أنفسهم لذكر الله تعالى وطاعته كأصحاب الصفة. وأشار المصنف رحمة الله تعالى عليه إلى ضعف هذا القول بقوله: «وفيه إيماء» إذ ما ذكره هذا القائل لا تتبادر إليه الأذهان. قال الحسن رضي الله تعالى عنه: أما والله إنهم كانوا ليتجرون ولكن إذا جاءت فرائض الله لم يلههم عنها شيء فقاموا بالصلاة والزكاة. قوله: (وإقام الصلاة) أي بإتمامها برعاية جميع ما اعتبره الشرع فيها من الأركان والشرائط والسنن والآداب فمن تساهل في شيء منها لا يكون مقيمًا لها. وأصله أقوام قلبت الواو ألفًا فاجتمع ألفان فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين فبقي أقام، ثم أدخلت الهاء عوضًا عن الألف المحذوفة فقيل: إقامة، ثم حذفت تلك الهاء حال الإضافة وجعلت الإضافة قائمة مقام الهاء المحذوفة في كونها عوضًا. قيل: المراد بذكر الله تعالى الثناء على الله تعالى والدعوات. والظاهر أن المراد به جميع ما يتضمن ذكره تعالى. وتخصيص إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة بالذكر بعد التعميم تعظيم لشأنهما لكونهما أهم أقسام

﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ ما يجب إخراجه من المال للمستحقين ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾ مع ما هم عليه من الذكر والطاعة ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ تضطرب وتتغير من الهول أو تتقلب أحوالها، فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الأبصار ما لم تكن تبصر أو تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والإبصار من أي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم. ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ متعلق «بيسبح» أو «لا تلهيهم» أو «يخافون»، ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ أحسن جزاء ما عملوا أو الموعود لهم من الجنة. ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ أشياء لم يعدهم على أعمالهم ولم يخطر ببالهم. ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الإحسان ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ والذين كفروا حالهم على ضد ذلك، فإن أعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة كالسراب، وهو ما يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن أنه ماء يسرب أي يجري. والقيعة بمعنى القاع وهو الأرض المستوية. وقيل: جمعه كجار وجيرة. وقرىء «بقيعات» كديمات في ديمة. ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ أي العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾ جاء ما توهمه ماء أو موضعه ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ مما ظنه ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ عقابه أو زبانيته أو وجده محاسبًا إياه

ذكره تعالى. وقوله تعالى: ﴿يخافون يومًا﴾ يجوز أن يكون نعتًا ثانيًا لرجال وأن يكون حالاً من مفعول «لا تلهيهم» و «يومًا» مفعول به لا ظرف على الأظهر و «تتقلب» صفة «ليوما».

قوله: (وتخصيصه) يعني تخصيص الظمآن بالذكر مع أن جميع من ينظر إليه سواء كان ظمآن أم لا يظنه ماء جاريًا، لأن من ليس بظمآن إذا جاءه ولم يجده ماء لم يحصل له خيبة عما احتاج إليه بخلاف العطشان فإنه يصير خائبًا عما اشتد احتياجه إليه. فكذلك الكافر فإنه إن كان ما أتى به من أعمال البر في الدنيا كصلة الرحم وإقراء الضيف وإعتاق الرقاب وإراقة الدماء ونحو ذلك مما يعتقد أن له ثوابًا عليه فهو لا يستحق عليه ثوابًا، وإن كان من أفعال الإثم فهو يستحق عليه عقابًا مع أنه يعتقد أنه يستحق عليه ثوابًا. فحيثما كان يعتقد أن له ثوابًا عند الله تعالى فإذا أتى عرصة القيامة ولم يجد الثواب الذي يحتاج إليه بل وجد العقاب العظيم عظمت حسرته وتناهى غمه، فتشبه حاله حال الظمآن الذي تشتد حاجته إلى الماء فإذا شاهد السراب من بعيد يتعلق قلبه به ويرجو النجاة مما هو فيه ويقوى طمعه، فإذا جاءه ولم يجد شيئًا مما حسبه وهو الماء فحينئذ يعظم عليه ذلك فيزداد خيبة وحسرة. وهذا المثال في غاية الحسن. **قوله:** (لم يجده شيئًا مما ظنه) إشارة إلى جواب ما يقال. من أن قوله: ﴿حتى إذا جاءه﴾ يدل على كونه شيئًا وقوله: ﴿لم يجده شيئًا﴾ ينفي ما أثبته وهو تناقض.

﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ استعراضًا أو مجازاة ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ لا يشغله حساب عن حساب. روي أنها نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الإسلام كفر.

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾ عطف على «كسراب» وأو للتخيير فإن أعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب، أو للتنويع فإن أعمالهم إن كانت حسنة فكالسراب وإن كانت قبيحة فكالظلمات، أو للتقسيم باعتبار وقتين فإنه كالظلمات في الدنيا والسراب في الآخرة. ﴿فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ ذي لج أي عميق منسوب إلى اللج وهو معظم الماء ﴿يَغْشَىٰهُ﴾ يغشي البحر ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ﴾ أي أمواج مترادفة متراكمة ﴿مِّن فَوْقِهِۦ﴾ من فوق الموج الثاني ﴿سَحَابٌ﴾ غطى النجوم وحجب أنوارها. والجملة صفة أخرى «للبحر» ﴿ظُلُمَٰتٌۢ﴾ أي هذه ظلمات ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ وقرأ ابن كثير «ظلمات» بالجر على إبدالها من الأولى وبإضافة السحاب إليها في رواية البزي ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ﴾ وهي أقرب ما يرى إليه ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ لم يقرب أن يراها فضلاً أن يراها كقوله:

إذا غيّر النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب ميّة يبرح

والضمائر للواقع في البحر وإن لم يجز ذكره لدلالة المعنى عليه. ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا﴾ ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لأسبابها ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾

قوله: (استعراضًا) أي يوفيه الله تعالى حسابه بأن يقول له: اعرض على ما عملته وما ادخرته ليومك. هذا من قولهم: استعرضت فلانًا إذا قلت له: اعرض علي ما عندك وقوله: «أو ما مجازاة على عمله» بأن يوفيه الله تعالى جزاءه المستحق بعمله فما حسبه خيرًا يعود عليه شرًا وما طمع فيه ثوابًا أعقبه الله عقابًا، لأنه تعالى أبطله بكفره. **قوله:** (رسيس الهوى) فعيل بمعنى فاعل من رس الحب في الفؤاد إذا ثبت. فالرسيس الشيء الثابت الذي لا ينفك عما لقيه. وبالجملة ما يصدر من الكافر من العقائد والأقوال والأعمال لكونها خالية عن نور هداية الله تعالى وتوفيقه، وعن نور دلائل الحق وبراهينه العقلية والنقلية، وعن تقليد أهل الحق كانت تلك العقائد والأعمال والأقوال كلها كالظلمات المتراكمة. فإن الكافر لا يهتدي بقلبه ولا بسمعه ولا ببصره إلى ما هو الحق المقبول عند الله تعالى، فلا يدري الحق ولا يدري أنه لا يدري ويعتقد أنه يدري، فيشتد إصراره على ما هو عليه من الكفر وأنواع الضلالات والجهالات فيكون كالواقع في قعر البحر ذي اللجة أي التي هي معظم الماء الغمر البعيد القعر الذي يغشاه أي يعلو ذلك البحر اللجي موج من فوق ذلك الموج موج آخر من فوق

بخلاف الموفق الذي له نور على نور. ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم علمًا يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي أو الاستدلال ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ينزه ذاته عن كل نقص وآفة أهل السمٰوات والأرض. و«من» لتغليب العقلاء أو الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال أو دلالة حال. ﴿وَٱلطَّيْرُ﴾ على الأول تخصيص لما فيها من الصنيع الظاهر والدليل الباهر، ولذلك قيدها بقوله: ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ فإن إعطاء الأجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة أجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره. ﴿كُلٌّ﴾ كل واحد مما ذكر أو من الطير ﴿قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ أي قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارًا أو طبعًا لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ أو علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل إلى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك، مع أنه لا يبعد أن يلهم الله الطير دعاء وتسبيحًا كما ألهمها علومًا دقيقة في أسباب تعيشها لا يكاد يهتدي إليها العقلاء.

الموج الأعلى سحاب. فمن كان في هذه الظلمات يكون حاله خلاف من أحاط به نور توفيق الله تعالى وهدايته ونور الدلائل العقلية والنقلية من الكتاب والسنة والاتباع لسيرة العلماء والصالحين فكانوا في نور على نور. **قوله:** (ألم تعلم) يعني أن المراد بالرؤية رؤية القلب لأن تسبيح المسبحين لا يتعلق به رؤية البصر والكلام وإن كان على صورة الاستفهام، إلا أن المراد التقرير أي قد علمت وتيقنت بالوحي والاستدلال. وعبّر عن الرؤية بالعلم للدلالة على أن المقصود تقرير العلم النازل منزلة المشاهدة والعيان في الوثاقة والإيقان، وحمل من في السمٰوات والأرض على أهلهما مطلقًا من العقلاء وغيرهم باعتبار التغليب. ومن المعلوم أن أهلهما مطلقًا لا ينطقون بالتسبيح ولا يتكلمون به بل المراد بتسبيحهم الدلالة على كونه تعالى منزهًا عن النقائص بلسان المقال أو الحال. وقوله: ﴿أو الملائكة﴾ عطف على قوله: ﴿أهل السمٰوات﴾ وقوله: «بما يدل» متعلق «بينزه ذاته» وتخصيص الطير بالذكر على أن تكون كلمة «من» تعم العقلاء وغيرهم لكونه أظهر دلالة على تنزيه الصانع وعلى كمال قدرته.

قوله: (أي قد علم الله) على أن يكون علم مسندًا إلى ضمير اسم الله تعالى ويكون ضميرًا «صلاته» و «تسبيحه» راجعين إلى «كل» ويكون المعنى: كل جنس من المذكورين قد علم الله صلاته أي دعاءه وتسبيحه له فيما يحتاج إليه أي يعلم صلاته كيف يصلي وتسبيحه كيف يسبح. ويؤيد هذا المعنى إسناد العلم إليه تعالى في قوله: ﴿والله عليم بما يفعلون﴾ أي بما يفعل الحيوان اختيارًا والجماد طبعًا من الصلاة والتسبيح وغيرهما. **قوله:** (أو علم كل) على أن يكون الضمائر كلها راجعة إلى «كل» والمعنى: كل قد علم صلاة نفسه وتسبيحها

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فإنه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والأفعال من حيث إنها ممكنة واجبة الانتهاء إلى الواجب. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾ وإليه مرجع الجمع ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾ يسوق. ومنه: البضاعة المزجاة فإنها يزجيها كل أحد ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ بأن يكون قزعًا فيضم بعضه إلى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه إذ المعنى بين أجزائه. وقرأ نافع برواية ورش «يولف» غير مهموز ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ متراكمًا بعضه فوق بعض. ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل. وقرىء «من خلله». ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من الغمام

على معنى أنهم يعلمون ما يجب عليهم من الصلاة والتسبيح على أن يكون قوله: ﴿علم﴾ استعارة تبعية بأن شبّه دلالة كل واحد من المذكورين على الحق بلسان الحال أو المقال وميل كل واحد منهم إلى النفع اختيارًا أو طبعًا بحال من يعلم التسبيح والصلاة، فيطلق على كل واحد من تلك الدلالة. والميل اسم العلم على سبيل الاستعارة واشتق منه لفظ علم. وههنا احتمال ثالث لم يذكره المصنف رحمة الله تعالى عليه وهو عكس الاحتمال الأول بأن يكون ضمير «علم» راجعًا إلى «كل» وضمير «صلاته» و«تسبيحه» راجعين إليه تعالى والمعنى: كل من هذه الأجناس قد علم صلاة الله وتسبيحه. روي عن أبي ثابت رضي الله تعالى عنه أنه قال: كنت جالسًا عند أبي جعفر الباقر فقال رضي الله عنه: أتدري ماذا تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها؟ قلت: لا. قال: فإنهن يقدسن ربهن ويسألنه قوت يومهن. واستبعد المتكلمون ذلك فقالوا: الطير لو كانت عارفة بالله لكانت كالعقلاء الذين يفقهون ويعلمون ويفهمون وشاركتنا لكنها ليست كذلك، فإنّا نعلم بالضرورة أنها أشد نقصانًا من الصبي الذي لا يعرف هذه الأمور فبأن يمتنع ذلك منها أولى، وإذا ثبت أنها لا تعرف الله تعالى استحال كونها مسبحة له بالنطق فثبت أنها لا تسبح الله تعالى إلا بلسان الحال. وقال بعض أهل العلم رحمة الله تعالى عليهم: إنّا نشاهد أن الله سبحانه وتعالى ألهم الطيور وسائر الحشرات أعمالاً لطيفة يعجز عنها أكثر العقلاء، وإذا كان الأمر كذلك فلم لا يجوز أن يلهمها معرفته ودعاءه وتسبيحه؟ وإن كانت غير عارفة لسائر الأمور التي يعرفها الناس. فالمصنف رحمة الله تعالى عليه اختار ما ذهب إليه المتكلمون. ثم أشار إلى قول هذا البعض بقوله: «مع أنه لا يبعد أن يلهم الله تعالى الطير» الخ. **قوله**: (فإنه الخالق لهما الخ) مع قوله: «وإليه مرجع الجميع» إشارة إلى أن هذه الآية الكريمة مع وجازة نظمها تدل على أنه تعالى مبدىء جميع الكائنات ومعيدها وكفى بهذه معرفة وموعظة. **قوله**: (بأن يكون قزعًا) وهو بفتحتين جمع قزعة وهي قطعة من السحاب رقيقة. والمقصود الإشارة إلى دفع ما يقال من أن لفظ «بين» لا يقع إلا مضافًا إلى متعدد وههنا قد أضيف إلى ضمير سحاب وهو شيء

وكل ما علاك فهو سماء. ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا﴾ من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها أو جمودها ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾ بيان للجبال، والمفعول محذوف أي ينزل مبتدئًا من السماء من جبال فيها من برد بردًا. ويجوز أن تكون «من» الثانية أو الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول. وقيل: المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما في الأرض جبال من حجر، وليس في العقل قاطع يمنعه. والمشهور أن الأبخرة إذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحابًا، فإن لم يشتد البرد تقاطر مطرًا، وإن اشتد فإن وصل إلى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجًا وإلا نزل بردًا. وقد يبرد الهواء بردًا مفرطًا فينقبض وينعقد سحابًا وينزل منه المطر أو الثلج. وكل ذلك لا بد وأن يستند إلى إرادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على أنها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها وأوقاتها. وإليه أشار بقوله: ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ

واحد. وحاصل الجواب أن لفظ السحاب اسم جنس يصح إطلاقه على سحابة واحدة وعلى ما فوقها، والمراد هنا قطع السحاب بقرينة إضافة «بين» إلى ضميره. والركم جمعك شيئًا فوق شيء حتى تجعله مركومًا مجتمعًا. **قوله:** (أي ينزل مبتدئًا من السماء من جبال فيها من برد) على أن تكون «من» الأولى لابتداء الغاية وهي كذلك بالاتفاق، وكذلك الثانية بناء على أنها مع مجرورها بدل من الأولى بدل اشتمال بإعادة العامل ولا تستقيم البدلية إلا بتوافقهما في المعنى. فلو قلت: خرجت من مصر من محلة كذا لا تكون الأولى والثانية إلا لابتداء الغاية. وبيّن الجبال بقوله: ﴿من برد﴾ أي ينزل من جبال في السماء هي برد، وقدرت ينزل لأن البدل في حكم تكرار العامل. فعلى هذا الوجه وجب أن يكون مفعول «ينزل» محذوفًا وهو «برد» لأن المنزل من الجبال وهي البرد برد، وإن جعلت الثانية للتبعيض والثالثة للبيان يكون ﴿من جبال﴾ مفعول ﴿ينزل﴾ والمعنى: وينزل من السماء بعض الجبال التي هي البرد فالمنزل برد لأن بعض البرد برد. وإن جعلت الأوليان للابتداء والثالثة للتبعيض يكون المفعول «من برد» والتقدير وينزل بعض برد من السماء من جبال فيها أي قطع عظام كائنة في السحاب تشبه الجبال في عظمها وفي جمودها وصلابتها، فإن الجسم الشديد المتحجر يقال له جبل لتحجره وجموده. **قوله:** (وقد يبرد الهواء) يعني أن ما ذكر من السحاب والمطر والثلج والبرد يتكوّن في الأغلب من تكاثف البخار وقد يتكون من تكاثف الهواء. أما الأول فإن البخار الصاعد إن كان قليلاً وكان في الهواء من الحرارة ما يحلل ذلك البخار فحينئذ ينحل وينقلب هواء، وإن كان البخار كثيرًا ولم يكن في الهواء من الحرارة ما يحلله فتلك الأبخرة المتصاعدة إما أن تبلغ في صعودها إلى الطبقة الباردة من الهواء أو لا تبلغ، فإن بلغت فإما أن يكون البرد قويًا أو لا، فإن لم يكن البرد هناك قويًا تكاثف ذلك البخار

عَن مَّن يَشَآءُ﴾ والضمير للبرد ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ﴾ ضوء برقه. وقرىء بالمد بمعنى العلو وبإدغام الدال في السين. و«برقه» بفتح الراء وهو جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع. ﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾ بأبصار الناظرين إليه من فرط الإضاءة. وذلك أقوى دليل على كمال القدرة من حيث إنه توليد الضد من الضد. وقرىء «يذهب» على زيادة الباء.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ بالمعاقبة بينهما أو بنقص أحدهما وزيادة الآخر، أو بتغيير أحوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور أو بما يعم ذلك. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ فيما تقدم ذكره ﴿لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته وإحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزهه عن الحاجة وما يفضي إليها لمن يرجع إلى بصيرة. ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ﴾ حيوان يدب على الأرض. وقرأ حمزة والكسائي «خالق كل دابة» بالإضافة. ﴿مِّن مَّآءٍ﴾ هو جزء مادته أو ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلاً للغالب

بذلك القدر من البرد واجتمع. فالبخار المجتمع هو السحاب والمتقاطر هو المطر. وأما إن كان البرد هناك شديدًا فلا يخلو إما أن يصل البرد إلى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها وانعقادها سحابًا أو بعد صيرورتها كذلك، فإن كان على الوجه الأول نزل ثلجًا وإن كان على الوجه الثاني نزل بردًا. وقد ينعقد السحاب بانقباض الهواء وذلك عند ما يبرد الهواء بردًا مفرطًا.

قوله: (والضمير) أي ضمير «به» للبرد أي يصيب الله بذلك البرد من يشاء من الناس فيضره في زرعه وثمرته وماشيته ويصرفه عمن يشاء من الناس فلا يضره في شيء منها. **قوله:** (ضوء برقه) يعني أن السنا مقصورًا بمعنى الضوء يقال: سنا يسنو سنًا أي أضاء يضيء. والمعنى: يكاد ضوء برق السحاب يذهب بالأبصار من شدة ضوئه. والبرق الذي يكون صفته ذلك لا بد أن يكون نارًا عظيمة خالصة والنار ضد الهواء والبرد، فظهوره في خلال السحاب يقتضي ظهور الضد من الضد وذلك لا يمكن إلا بقدرة قادر حكيم. **قوله:** (فيما تقدم ذكره) أي من عجائب صنعه من قوله: ﴿يزجي سحابًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ واعلم أنه تعالى استدل على وحدانيته أولاً بقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسبح له من﴾ وثانيًا بقوله: ﴿ألم تر أن الله يزجي سحابًا﴾ فالأول استدلال بأحوال أهل السماء والأرض والثاني استدلال بالآثر العلوية، ثم استدل ثالثًا بأحوال الحيوانات فقال: ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾ واختار المصنف أن تكون كلمة «من» متعلقة بخلق وأنها لابتداء الغاية. والمعنى: خلق من ماء كل دابة فورد عليه أن كثيرًا من الحيوانات لم يخلق

منزلة الكل، إذ من الحيوانات ما يتولد لا عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس صلة لخلق. ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ كالحية وإنما سمي الزحف مشيًا. على الاستعارة أو المشاكلة ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كالإنس والطير ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ كالنعم والوحش ويندرج فيه ما له أكثر من أربع كالعناكب، فإن اعتمادها إذا مشت على

من الماء سواء فسر الماء بالجنس الذي هو أحد العناصر الأربعة أو بماء الذكر والأنثى وهو النطفة، كالملائكة فإنهم خلقوا من نور، والجن فإنهم خلقوا من نار، وكآدم فإنه خلق من تراب، وكعيسى فإنه خلق من روح. قال تعالى: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩] وقال: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢] وأشار المصنف بقوله: «حيوان يدب على الأرض» إلى أن الدابة ليست عبارة عن مطلق ما يمشي ويتحرك بل هي اسم للحيوان الذي يدب على الأرض ومسكنه هنالك فيخرج منها الملائكة والجن. وأشار إلى دفع الانتقاض بآدم وعيسى بأن المراد بالماء ما هو أحد العناصر، وبكونه مبدأ الخلقة كونه جزءًا من مادة كل دابة فإن أعضاء الحيوان لا تخلو عن رطوبة ما. فالظاهر على هذا أن تنوين دابة للإفراد وأن يكون «كل» بمعنى الجميع وأن يكون تنوين ماء للوحدة الجنسية أو النوعية. والمعنى: خلق جميع أفراد الدابة مع اختلاف أشكالها وطبائعها من شيء واحد وهو عنصر الماء أو النطفة، فلا بد أن يكون اختصاص كل واحد منها بما يخصها مستندًا إلى صانع قادر على كل شيء. ثم أشار بقوله: «وقيل من ماء متعلق بدابة» أي متعلق بمحذوف على أنه صفة لدابة إلى جواب آخر لأنه إذا كان المعنى أن كل دابة كائنة من ماء مخلوقة لله تعالى لا يرد النقض بشيء مما ذكر. **قوله**: (وإنما سمي الزحف مشيًا) يعني أن المشي هو قطع المسافة والمرور عليها مع قيد كون ذلك المرور على الأرجل. وأطلق في الآية على المرور مطلقًا على سبيل الاستعارة حيث كان الإطلاق المذكور مبنيًا على التشبيه ومثل هذا المجاز وهو أن تكون الكلمة موضوعة للحقيقة مع قيد فتستعمل تلك الحقيقة من غير اعتبار ذلك القيد، يسميه صاحب المفتاح مجازًا مرسلاً ويشترط في الاستعارة أن تكون مفيدة متضمنة للمبالغة في التشبيه بأن ينسى التشبيه ويدعي أن المشبه من عداد المشبه به كاستعمال لفظ الأسد في الرجل الشجاع مثلاً. ولا فائدة في مثل هذا المجاز لكون كل واحد من اللفظين بمنزلة المرادف للآخر عند المصير إلى المراد من اللفظ، فإن المشي والزحف على البطن كالمترادفين وكذا نحو المرسن والأنف فإن المرسن موضوع لمعنى الأنف مع قيد أن يكون عليه الرسن، إلا أن المصنف وصاحب الكشاف جعلاه من قبيل الاستعارة لابتنائه على التشبيه. **قوله**: (على الاستعارة أو المشاكلة) والنسخة المشهورة على الاستعارة للمشاكلة بجعل قصد المشاكلة علة لإيثار قصد طريق الاستعارة وجعلها علة مستقلة لها صحيح أيضًا

أربع. وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير بـ «من» عن الأصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو أعرف في القدرة ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ مما ذكر ومما لم يذكر بسيطًا ومركبًا على اختلاف الصور في الأعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والأفعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ فيفعل ما يشاء ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ للحقائق بأنواع الدلائل ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾ هو دين الإسلام الموصل إلى درك الحق والفوز بالجنة ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ﴾ نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديًا فدعاه إلى كعب بن الأشرف وهو يدعوه إلى النبي عليه الصلاة والسلام. وقيل: في مغيرة بن وائل خاصم عليًا رضي الله عنه في أرض فأبى أن

كما وقع في الكشاف. **قوله:** (وتذكير الضمير) مع أن ظاهر النظم يقتضي تأنيثه لكونه راجعًا إلى قوله: ﴿دابة﴾ من حيث إن اسم الدابة يقع على العقلاء وغيرهم فغلب العقلاء على غيرهم. ولما عبّر عن جملة الدواب بلفظ العقلاء وهو ضمير «منهم» ناسب أن يعبر عن الأصناف المندرجة تحتها أيضًا بذلك ليوافق التفصيل الجملة، فلذلك عبّر عن تلك الأصناف بكلمة «من» التي حقها أن تطلق على العقلاء. **قوله:** (والترتيب) أي حيث قدم الزاحف على الماشي على رجلين وهو على الماشي على أربع، والاستدلال بها وباختلاف صورها وطبائعها وقواها على وجود الصانع وصفات كماله من حيث إن الآية الكريمة مسوقة لبيان قدرة الله تعالى. ومشى من يمشي بغير آلة المشي أثبت لها ثم مشى من يمشي على رجلين أثبت لها بالنسبة إلى مشى من يمشي على أربع إذ اختصاص كل واحد من هذه الحيوانات بأشكالها وأعضائها وطبائعها ومقادير أبدانها وأعمارها لا بد وأن يكون بتدبير مدبر قاهر قادر على كل ما يشاء. **قوله:** (نزلت في بشر المنافق) عن ابن عباس: أن منافقًا خاصم يهوديًا فدعاه اليهودي إلى النبي ﷺ ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف وهو منافق يقول: إن محمدًا يحيف علينا. ثم إنهما احتكما إلى رسول الله ﷺ فحكم لليهودي ولم يرض المنافق وقال: نتحاكم إلى عمر فقال اليهودي لعمر: قضى لي رسول الله ﷺ فلم يرض بقضائه وخاصمني إليك. فقال عمر للمنافق: أكذلك؟ فقال: نعم. فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما. فدخل وأخذ سيفه فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال: هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله. فنزلت. وقال جبريل عليه الصلاة والسلام: إن عمر فرّق بين الحق والباطل. فسمي الفاروق. وقد مضت قصتهما في سورة النساء. وقال الضحاك: نزلت في المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن أبي طالب أرض فتقاسماها فوقع إلى علي ما لا يصيبه الماء إلا بمشقة فقال المغيرة: يعني أرضك. فباعها فتقابضا فقيل للمغيرة: أخذت أرضًا

يحاكمه إلى الرسول ﷺ. ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أي وأطعنا لهما ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾ بالامتناع عن قبول حكمه ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ بعد قولهم هذا. ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ إشارة إلى القائلين بأسرهم فيكون إعلامًا من الله بأن جميعهم وإن آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم إلى الفريق المتولي منهم. وسلب الإيمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على أنهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الإيمان أو الثابتون عليه.

﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ أي ليحكم النبي ﷺ فإنه الحاكم ظاهرًا أو المدعو إليه. وذكر الله لتعظيمه والدلالة على أن حكمه في الحقيقة حكم الله. ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾ فاجأ فريق منهم الإعراض إذا كان الحق عليهم لعلمهم

لا ينالها الماء. فقال لعلي: اقبض أرضك فإنما اشتريتها إن رضيتها فلا ينالها الماء. فقال علي: بل اشتريتها ورضيتها وقبضتها وقد عرفت حالها لا أقبلها منك. ودعاه إلى أن يخاصمه إلى رسول الله ﷺ فقال المغيرة: أما محمد فلست آتيه ولا أحاكم إليه فإنه يبغضني وأنا أخاف أن يحيف عليّ. فنزلت. والحيف الجور والظلم. ووجه ارتباط الآية بما قبلها أنه تعالى ذكر دلائل الوحدانية والألوهية أولاً وجعل ذكرها توطئة لذم قوم اعترفوا بالدين بألسنتهم ولكنهم لم يقبلوه بقلوبهم كما روي عن الحسن البصري أنه قال: نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الإيمان ويسرون الكفر. قوله: (ثم يتولى بالامتناع عن قبول حكمه) **أي يتولى بذلك عن قوله:** ﴿وأطعنا﴾.

قوله: (وسلب الإيمان عنهم لتوليهم) **الذي هو من أمارات التكذيب، فعلى هذا يكون المراد بالقائلين جميع من ادّعى الإيمان مخلصًا كان أو منافقًا والإيمان إنما سلب عمن تولّى منهم. قوله:** (أو الثابتون عليه) **مبني على أن تكون الإشارة إلى الفريق المتولي منهم على طريق اللف والنشر المرتب. والحاصل أن الضمير في قوله تعالى:** ﴿ويقولون﴾ **يجوز أن يكون لقوم منافقين ويكون المراد بالتولي التولي عن الطاعة بعد التزامها بقولهم:** ﴿وأطعنا﴾. **وكلمة «ثم» يجوز أن تكون للتراخي الزماني وأن تكون استبعادًا للتولي عن قولهم** ﴿آمنا﴾ ﴿وأطعنا﴾ **فعلى هذا يكون قوله:** ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾ **إشارة إلى القائلين جميعًا. ويجوز أن يكون الضمير المذكور لقوم مؤمنين ومعنى يتولى أن بعضهم لا يثبتون على الإيمان وبعضهم يثبتون عليه، فتكون الإشارة إلى الفريق المتولي. قوله:** (أي ليحكم النبي عليه الصلاة والسلام فإنه الحاكم ظاهرًا) **جواب عما يقال: كيف أفرد ضمير «ليحكم» بعد قوله تعالى:** ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله﴾ **أي إلى كتاب الله تعالى وحكم رسوله لأنه من المعلوم البين أنهم لا يدعون إلى نفس ذاته تعالى وكان الظاهر أن يقال: ليحكما بينهم. وتقرير الجواب أن الداعي يعلم أن الحاكم حقيقة هو الله تعالى وكتابه لكن ذلك الحكم إنما يظهر**

بأنك لا تحكم لهم. وهو شرح للتوالي ومبالغة فيه. ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي الحكم لا عليهم ﴿يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ منقادين لعلمهم بأنه يحكم لهم. «والى» صلة «ليأتوا» أو «المذعنين» وتقديمه للاختصاص. ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ كفر أو ميل إلى الظلم ﴿أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟﴾ بأن رأوا منك نهمة فزالت ثقتهم ويقينهم بك. ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ في الحكومة. ﴿بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ إضراب عن القسمين الأخيرين لتحقيق القسم الأول. ووجه التقسيم أن امتناعهم إما لخلل فيهم أو في الحاكم، والثاني إما أن يكون محققًا عندهم أو متوقعًا وكلاهما باطل، لأن منصب نبوته وفرط أمانته يمنعه فتعيّن الأول. وظلمهم يعمّ خلل عقيدتهم وميل نفوسهم إلى الحيف، والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو إلى حكمه. ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد إنكاره

ويتبين بحكم الرسول ﷺ فكان الحاكم المدعو إليه بحسب الظاهر هو الرسول وكان ذكر الله لتعظيمه عليه الصلاة والسلام بالإشعار بمكانته عند الله فإن حكمه في الحقيقة حكم الله تعالى. **قوله تعالى:** (أفي قلوبهم مرض) استفهام تقرير للذم والتوبيخ، كما في قوله:

ألست من القوم الذين تعاهدوا على اللؤم والفحشاء في سالف الدهر

ويقع في مقام المدح والثناء أيضًا، كما في قوله:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

وكلمة «أم» في قوله تعالى: ﴿أم ارتابوا أم يخافون﴾ منقطعة مقدرة بـ «بل» والهمزة أي بل ارتابوا بل يخافون. بيّن الله تعالى سبب إعراضهم وامتناعهم عن المحاكمة إلى الرسول على سبيل الاستفهام التقريري فقال: إن ذلك لكفرهم أو لميلهم إلى ظلم من له الحق عليهم. ثم أضرب عن ذلك قائلاً: إن السبب فيه أهو إطلاعهم على ما يريبهم في عدله وأمانته، ثم أضرب عنه إلى أنه هل هو مجرد خوفهم من ظلمه عليهم من غير أن يطلعوا على ما يريبهم، ثم أضرب عن الاحتمالين الأخيرين بإبطالهما ليتعين الاحتمال الأول للسببية. ويحتمل أن تكون كلمة «أم» متصلة مؤدية لمساواة الاحتمالات المذكورة في كونها سببًا للإعراض عن المحاكمة إليه عليه الصلاة والسلام ويكون الإضراب الأخير إبطالاً للاحتمالين الأخيرين. **قوله:** (وظلمهم يعمّ خلل عقيدتهم) لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] والمشرك ظالم لنفسه مبين. ثم إنه تعالى لما بيّن أحوال المنافقين وعدم موافقة أفعالهم لأقوالهم بيّن أن الواجب على الذين يقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا حين دعوا إلى

لما لا ينبغي. وقرىء «قول» بالرفع و«ليحكم» على البناء للمفعول وإسناده إلى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم. ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيما يأمرانه أو في الفرائض والسنن. ﴿وَيَخْشَ ٱللَّهَ﴾ على ما صدر عنه من الذنوب ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ فيما بقي من عمره. وقرأ يعقوب وقالون عن نافع «بلا ياء» وأبو عمرو وأبو بكر بسكون الهاء، وحفص

كتاب الله تعالى وحكم رسوله ﴿أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾ أي سمعنا الدعاء وأطعنا بالإجابة والقبول. والجمهور على نصب «قول المؤمنين» على أنه خبر «كان» والاسم «أن» المصدرية مع ما في حيزها. وقرىء «قول» بالرفع على أنه اسم «كان» وخبره «أن يقولوا»، والنصب أقوى لأنه متى اجتمع معرفتان فالأولى أن يجعل الأعرف منهما الاسم والآخر خبره. وقوله: ﴿أن يقولوا سمعنا﴾ اعرف من قول المؤمنين وذلك لأن الفعل المصدر بأن المصدرية في تأويل المصدر المضاف إلى الفاعل فإذا كان فاعله معرفة كما في هذا المقام كان في معنى المصدر المضاف إلى المعرفة فيكون معرفة ولا يمكن تنكيره لأن عزل الفعل عن فاعله غير متصور بخلاف قول المؤمنين لأنه إذا لم يضف. وقيل: «قول» للمؤمنين عاد نكرة ولأن «أن» بصلتها تشبه المضمر من حيث إنه لا يجوز وصفها كما لا يجوز وصف المضمر والمضمر من «قول المؤمنين» إلا أن سيبويه لم يفرق هذه التفرقة بل جوّز أن يكون كل واحد من المعرفتين اسمًا والآخر خبرًا وإن كان الثاني أوغل في التعريف من الأول.

قوله: (**وإسناده إلى ضمير مصدره**) أي ليحكم الحكم بينهم لأن ليحكم دال على مصدره فيكون مذكورًا معنى فيصح عود الضمير إليه ومثله ﴿لقد تقطع بينكم﴾ فيمن قرأ «بينكم» منصوبًا أي لقد وقع التقطع بينكم. **قوله**: (**وقالون عن نافع بلا ياء**) يعني أنه قرىء «يتقه» بكسر القاف والهاء من غير ياء الوصل بعد الهاء. وقرأ العامة بياء ملفوظة بعد الهاء وهو الأصل فيما إذا تحركت الحرف قبل الهاء. وما روي عن نافع مبني على أن الياء المحذوفة قبل الهاء مقدرة منوية فلم تعتبر الحركة التي قبل الهاء فحركت الهاء من غير صلة. قال مكي: يجب على من أسكن القاف أن يضم الهاء لأن هاء الكناية إذا سكن ما قبلها ولم يكن الساكن يًاء تضم نحو: منه وعنه، ولكن لما كان سكون القاف عارضًا لم يعتد به وأبقى الهاء على كسرتها التي كانت عليها قبل سكون القاف. **قوله**: (**وأبو عمرو وأبو بكر بسكون الهاء**) أي مع كسر القاف. وقرأ حفص «يتقه» ساكنة القاف فإن العين تسكن إذا كانت من كلمة واحدة نحو: كبد وكتف في كبد وكتف. ثم أجرى ما أشبه ذلك من المنفصل مجرى المتصل بناء على أن «تقه» من قولنا «يتقه» بمنزلة كبد وكتف فسكن وسطه كما سكن وسطهما ومنه قوله:

قالت سليمى اشتر لنا سويقا

بسكون القاف فشبه «تقه» بكتف وخفف الهاء في الوقف ساكنة بالاتفاق. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾ بالنعيم المقيم.

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ إنكار للامتناع عن حكمه ﴿لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ﴾ بالخروج عن ديارهم وأموالهم ﴿لَيَخۡرُجُنَّ﴾ جواب «لأقسموا» على الحكاية ﴿قُل لَّا تُقۡسِمُواْ﴾ على الكذب ﴿طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌ﴾ أي المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين والطاعة النفاقية المنكرة، أو طاعة معروفة أمثل منها أو ليكن طاعة. وقرئت بالنصب على أطيعوا طاعة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٥٣﴾ فلا يخفى عليه سرائركم.

﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ أمر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية

بسكون الراء. **قوله:** (وأقسموا بالله جهد أيمانهم إنكار للامتناع عن حكمه) **عن مقاتل وغيره قالوا: لما بيّن الله إعراض المنافقين وامتناعهم عن قبول حكمه عليه الصلاة والسلام أتوه فقالوا: والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا، وإن أمرتنا بالجهاد لجاهدنا. فأنزل الله تعالى قوله:** ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ **«فجهد أيمانهم» منصوب على أنه مصدر فعله المحذوف والأصل: وأقسموا بالله يجهدون أيمانهم جهدًا أي يبالغون في اليمين ويبلغون غاية شدتها ووكادتها من قولهم: جهد فلان نفسه إذا بلغ أقصى وسعها وطاقتها، وفي المغرب جهده أي حمله فوق طاقته من باب منع. ولما لم يكن لليمين وسع وطاقة حتى يبلغ المنافقون أقصى وسع اليمين ويبلغون غاية شدتها ووكادتها وطاقتها، كان قوله: «يجهدون اليمين» استعارة شبه مبالغتهم في اليمين بجهد النفس وتكليفها المشقة وذكر جهد اليمين وأريد المبالغة فيها. ثم قيل: يجهدون أيمانهم جهدًا ثم حذف الفعل وقدم المصدر على المفعول وأضيف إليه، فوضع المصدر المضاف موضع فعله فصار جهد أيمانهم. ولما كان الفعل المحذوف مع ما في حيزه في موضع النصب على أنه حال من فاعل «أقسموا» كان المصدر الواقع موقعه في حكم الحال كأنه قيل: وأقسموا بالله مبالغين في تأكيد حلفهم جاهدين أيمانهم. قوله:** (جواب لأقسموا) **لأن الموطئة في قولهم:** ﴿لئن أمرتهم﴾ **جعلت ما يأتي بعد الشرط المذكور جوابًا للقسم لا جزاء للشرط، وكان جزاء الشرط مضمرًا مدلولاً عليه بجواب القسم. فإن جواب القسم وجواب الشرط لما كانا متماثلين اقتصر على جواب القسم وأضمر جواب الشرط إلا أنه جواب على حكاية قول المنافقين حين أقسموا للرسول. فإنه تعالى لـ ' حكى عنهم قسمهم بقوله:** ﴿وأقسموا﴾ **ذكر المقسم عليه أيضًا على سبيل الحكاية فقال:** ﴿ليخرجن﴾ **بطريق الغيبة فإن نفس كلامهم معه عليه الصلاة والسلام هكذا: والله إنّا لنقبل جميع أحكامك ونطيعك في جميع ما تأمرنا لئن أمرتنا بالخروج لنخرجن معك، فغير الكلام إلى الغيبة عند الحكاية. قوله:** (أمر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية)

مبالغة في تبكيتهم ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾ أي على محمد ﷺ ﴿مَا حُمِّلَ﴾ من التبليغ ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ من الامتثال ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ﴾ في حكمه ﴿تَهْتَدُوا﴾ إلى الحق ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٤)﴾ التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد أدى، وإنما بقي ما حملتم فإن أديتم فلكم وإن سنة وإهلاككم.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ خطاب للرسول والأمة أو له ولمن معه، و«من» للبيان، ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الأرض تصرف الملوك في ممالكهم. وهو جواب قسم مضمر تقديره: وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم، أو الوعد في تحققه منزل منزلة القسم. ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني بني إسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة. وقرأ أبو بكر بضم التاء وكسر اللام وإذا ابتدأ ضم الألف، والباقون بفتحهما. وإذا ابتدأوا كسروا الألف. ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ وهو الإسلام بالتقوية والتثبيت. ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ من الأعداء. وقرأ ابن كثير وأبو بكر بالتخفيف. ﴿أَمْنًا﴾

عنه تعالى لأنه لو كان قوله: ﴿أطيعوا الله﴾ إلى آخر الآية من كلام الرسول خاطب به قومه لكان الظاهر أن يقول: وأطيعوا الله وأطيعوني فإن توليتم فإنما على ما حملت من تبليغ الرسالة وإن تطيعوني تهتدوا وما عليّ إلا البلاغ المبين. فلما ذكر النبي عليه الصلاة والسلام في جميع ذلك بلفظ الغيبة ظهر أنه كلام الله تعالى وحكاية رسوله إياه، وأنه تعالى أمر رسوله بأن يبلغ هذا الخطاب إليهم. غاية ما في الباب أنه تعالى لم يقل: أطيعوني بل عبر عن ذاته المقدسة بلفظ الغيبة إيماء إلى علة وجوب طاعته عليهم. **قوله:** (**مبالغة في تبكيتهم**) علة لقوله: «خاطبهم الله به» ووجه المبالغة في التبكيت على تقدير أن يكون الله تعالى هو الذي خاطبهم بذلك أن توجه خطاب الله إليهم وروده عليهم ألزم للحكم وأفحم للخصم بالنسبة إلى أن يخاطبهم الرسول بذلك ويوجب عليهم طاعة الله تعالى وطاعة نفسه، فإن في مخاطبته تعالى إياهم من دهشة المخاطب وعجزه عن التزام الجواب ما ليس في خطابه عليه السلام بذلك. **قوله:** (**خطاب للرسول والأمة**) سواء كانت الأمة أمة دعوة أو إجابة فتكون كلمة «من» في قوله: ﴿منكم﴾ للتبعيض، فإن الذين تحقق منهم الإيمان وقت نزول الآية بعض من الأمة مطلقًا. وأما إذا كان خطاب «منكم» له عليه الصلاة والسلام ولمن معه من المؤمنين فحينئذ يكون «من» للبيان لا للتبعيض لأن الموعود لهم هم المخاطبون لا بعض منهم.. **قوله:** (**بالتقوية والتثبيت**) متعلق بقوله: ﴿وليمكنن﴾ يعني أن المراد بتمكين الدين تقويته وإظهاره على الأديان كلها لأنه تعالى إذا أعز الإسلام ونصر المسلمين على أعداء الدين وأورثهم أرض الكفرة وديارهم وجعلهم خلفاء أهلها بالتسلط والاستيلاء، لا جرم تصير المسلمون متمكنين

منهم. وكان رسول الله ﷺ وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا إلى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى أنجز الله وعده فأظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب. وفيه دليل على صحة النبوة بالإخبار عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين، إذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالإجماع. وقيل: الخوف من العذاب والأمن سنة في الآخرة ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ حال من «الذين» لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد أو استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف والأمن ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ حال من الواو أي يعبدونني غير مشركين ﴿وَمَن

في الأرض مستولين عليها فيعلو الإسلام على سائر الأديان ويتقوى. وقرأ العامة «كما استخلف» على بناء الفاعل. وقرأ أبو بكر «وليبدلنهم» بفتح الباء وتشديد الدال. وقرأ ابن كثير وأبو بكر بسكون الباء وتخفيف الدال من أبدله صلاحًا بعد غي بمعنى رزقه صلاحًا بدل الغي ويقال: أبدله الله من الخوف أمنًا. قال أبو العالية: في هذه الآية مكث النبي ﷺ بعد الوحي بمكة عشر سنين مع أصحابه وأمروا بالصبر على أذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خائفين. ثم أمروا بالهجرة إلى المدينة وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه فقال رجل منهم: أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله: (بالإخبار عن الغيب على ما هو به) فإن الاستخلاف الموعود لا شك أنه غيب وقد وجد هذا الموعود على الوجه الموافق للخبر، ومثل هذا الخبر معجز والمعجز دليل صدق مدعي النبوة. ثم إنه تعالى وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الحاضرين وقت نزول الآية بدليل صيغة الماضي في قوله: ﴿آمنوا﴾ ﴿وعملوا﴾ وخطاب المشافهة في قوله: منكم أن يستخلفهم استخلافًا كاستخلاف بني إسرائيل في مصر والشام بعد الجبابرة. وهذا الموعود والموعود عليه الذي هو الإيمان والعمل الصالح لم يجتمع لغير الخلفاء الراشدين بالإجماع، فهم المستخلفون في الأرض باستخلاف الله إياهم واختيارهم على غيرهم. فإن قلت: كيف صح أن يقال: المستخلفون هم الخلفاء فقط وسائر المؤمنين كانوا شركاءهم في ذلك؟ قلت: كانوا هم الأصول والملوك وكان سائر الناس أتباعًا لهم في ذلك فكانوا هم المستخلفين لا غير، وقد حصل في أيامهم الفتوحات العظيمة وحصل التمكين وظهر الدين والأمن. فدلت هذه الآية على صحة خلافتهم. قال عليه السلام: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكًا» إذا كانت خلافة أبى بكر سنتين وخلافة عمر عشرًا وخلافة عثمان اثنتي عشرة وخلافة علي ست سنين. **قوله:** (**وقيل الخوف من العذاب**) عطف على قوله: «من بعد خوفهم من الأعداء أمنا منهم».

﴿كَفَرَ﴾ ومن ارتد أو كفر هذه النعمة ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد الوعد أو حصول الخلافة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٥٥﴾ الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات، أو كفروا تلك النعمة العظيمة. ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ في سائر ما أمركم به. ولا يبعد عطف «ذلك» على «أطيعوا الله» فإن الفاصل وعد على المأمور به، فيكون تكريرًا للأمر بطاعة الرسول ﷺ للتأكيد. وتعليق الرحمة بها أو بالمندرجة هي فيه بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٥٦﴾ كما علق به الهدى

قوله: (أو كفر هذه النعمة) قال المفسرون: أول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان، فلما قتلوه غيّر الله تعالى ما بهم من الأمن وأدخل عليهم الخوف الذي رفعه عنهم حتى صاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخوانًا متحابين. **قوله: (ولا يبعد عطف ذلك)** يعني أن بعدما بين المتعاطفين بتخلل الفاصل المستطيل بينهما لا يمنع العطف، لأنه يبني على تحقيق المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه والفاصل يؤكد المغايرة لأن المجاورة مظنة الاتصال والاتحاد، بخلاف المضاف والمضاف إليه فإن شدة اتصالهما مانعة من توسط الفاصل بينهما مع أن للفصل ههنا فائدة جليلة وهي الإشعار بأن الجملة المتخللة وهي قوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم﴾ الآية مما هو مهم بشأنه وأنها متصلة بما يتعلق بالمعطوف عليه وهو قوله تعالى: ﴿فإن تولوا﴾ كأنه قيل: فإن توليتم عن الطاعة فما ضررتموهم وإنما ضررتم أنفسكم لأنه عليه الصلاة والسلام قد خرج من عهدة ما كلف به، وأما أنتم فعليكم ما كلفتم به من الطاعة والانقياد على تقدير توليكم فيؤاخذكم الله تعالى بذلك في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا فبأن يستخلف أهل الإيمان والطاعة ويسلطهم على أهل الكفر والعصيان ويعذبهم بأيدي المؤمنين بل يستأصلهم بالمرة، فكان الفاصل من تتمة المعطوف عليه. وقوله: «ولا يبعد» يشعر بأنه يجوز أن لا يكون معطوفًا على قوله: ﴿أطيعوا الله﴾ ولعل وجهه أن قوله: ﴿وأقيموا الصلاة﴾ من باب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب كأنه قيل: يعبدونني ولا يشركون بي شيئًا ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الرسول. والذي يحسن هذا الالتفات الخطاب الذي في قوله قبل ذلك ﴿منكم﴾ وعطف إقام الصلاة وإيتاء الزكاة على قوله: ﴿يعبدونني﴾ إيذانًا بشرفهما ومزيد قدرهما عند الله تعالى لأنه من باب عطف جبرائيل على الملائكة. **قوله: (وتعليق الرحمة بها)** على تقدير أن يكون المعنى: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول على رجاء الرحمة. **قوله: (أو بالمندرجة هي فيه)** لتعليق الرحمة بمجموع الأمور التي اندرجت فيها طاعة الرسول على أن يكون المعنى: افعلوا هذه الأمور على رجاء الرحمة كما علق الهدى بالطاعة في قوله: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤].

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لا تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن إدراكهم وإهلاكهم. و«في الأرض» صلة «معجزين». أو لا يحسبن الكفار في الأرض أحدًا يعجز الله، فيكون «معجزين في الأرض مفعوليه. أو لا يحسبوهم معجزين، فحذف المفعول الأول لأن الفاعل والمفعولين لشيء واحد فاكتفي بذكر اثنين عن الثالث. وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء وهو كالأول في الاحتمالات. ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ عطف عليه من حيث المعنى كأنه قيل: الذين كفروا ليسوا معجزين ومأواهم النار، لأن المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الإعجاز. ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾ المأوى الذي يصيرون إليه.

قوله: (لا تحسبن يا محمد) قرأ العامة «تحسبن» بتاء الخطاب ومثل هذا الحسبان وإن كان لا يتصور منه عليه الصلاة والسلام إلا أنه نهى عنه مبالغة في تسليته، ولأن خطابه في حكم خطاب أمته لكونه رئيسهم وإمامهم ومفعولاً فعل الحسبان هما الاسم الموصول مع قوله: «معجزين» وفاعله ضمير النبي عليه الصلاة والسلام. ويحتمل أن يكون «لا تحسبن» خطابًا عامًا لكل من يصح أن يكون مخاطبًا. وهذه الآية نزلت تسلية للنبي ﷺ عن تكذيب قومه وإيذائهم والمعنى: لا تحسبنهم يسبقوننا أي يفوتون عذابنا فإنه لاحق بهم لا محالة إما عاجلاً وإما آجلاً. وذكر على القراءة بياء الغيبة ثلاثة أوجه: الأول أن يكون فاعل الحسبان ضمير النبي ﷺ: «والذين كفروا معجزين» مفعوليه والمعنى: لا يحسبنهم النبي معجزين. والثاني أن يكون الفاعل «الذين كفروا» وفي المفعول حينئذ احتمالان: الأول أن يكون «معجزين في الأرض» مفعوليه والمعنى: لا يحسبن الذين كفروا أحدًا يعجز الله ثابتًا في الأرض حتى يطمعوا بذلك في أن يعجزوا الله ويفوتوا عذابه وحسابه على أن «معجزين» أول المفعولين «وفي الأرض» ثانيهما، وحق المفعول الأول في باب حسبت أن يكون معرفة وجاز ههنا وقوعه نكرة لكون «معجزين» صفة موصوف أي أحدًا يعجز الله. ولما كان أحدًا واقعًا في سياق النفي أفاد العموم فجاز وصفه بالجمع بذلك الاعتبار. والاحتمال الثاني على تقدير أن يكون «الذين كفروا» هو الفاعل وأن يكون «معجزين» مفعولاً ثانيًا ويكون مفعوله الأول محذوفًا والأصل: لا يحسبن الذين كفروا معجزين أي لا يحسبن الكفرة أنفسهم معجزين. والاقتصار على أحد مفعولي باب حسبت وإن كان ضعيفًا عند البصريين إلا أنه سوغه في الآية كون الفاعل والمفعولين عبارة عن شيء واحد فاكتفى بذكر اثنين منها عن ذكر الثالث.

قوله: (عطف عليه) أي على قوله: ﴿لا يحسبن الذين كفروا﴾ **وهي جملة إنشائية فعلية وهذه الجملة خبرية اسمية فلا وجه لعطف إحداهما على الأخرى، إلا أن الجملة الفعلية الإنشائية لما كانت في حكم الاسمية الخبرية جاز أن تعطف عليها الاسمية وذلك لأن دخول فعل**

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ رجوع إلى تتمة الأحكام السالفة بعد الفراغ من الإلـهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الأحكام وغيرها، والوعد عليها والوعيد على الإعراض عنها. والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما روي أن غلام أسماء بنت أبي مرثد دخل عليها في وقت كراهته. فنزلت. وقيل: أرسل رسول الله ﷺ مدلج بن عمر والأنصاري وكان غلامًا وقت الظهيرة ليدعو عمر، فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر: لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن يدخلوا هذه الساعات علينا إلا بإذن. ثم انطلق معه إلى النبي ﷺ فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية. ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ والصبيان الذين لم

الحسبان وعدم دخوله على الجملة الاسمية لا يغير المعنى الأصلي فكان قوله: ﴿لا يحسبن الذين كفروا معجزين﴾ **في قوة أن يقال: الذين كفروا ليسوا معجزين، لأن المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الإعجاز. قوله:** (والمراد به) أي بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ **خطاب الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات جميعًا وإن كان الظاهر كونه خطابًا للرجال فقط. ووجه الاستدلال بما روي على دخول الفريقين في الخطاب بطريق التغليب أن الآية لما نزلت بسبب كراهة الأنثى دخول الغلام عليها بغير استئذان دل ذلك على عموم الخطاب للفريقين جميعًا. واعلم أن ظاهر الآية أمر المماليك والأطفال بالاستئذان والمقصود أمر المؤمنين بأن يمنعوا هؤلاء من الدخول عليهم في هذه الأوقات، إذ لو كان المقصود أمر المماليك والأطفال بالذات لما كان لتخصيص النداء والخطاب بالمؤمنين وجه. وأما الوجه في عدم نداء المماليك والأحرار الصغار وخطابهم بالأمر بأن يستأذنوا من الموالي والأولياء الإشارة إلى أنهم لقلة معرفتهم وغلبة الجهل عليهم نازلون عن حيز صلاحية الخطاب وأن السادات والأولياء هم المخاطبون بتعليم من هو في عيالهم وتحت أيديهم والقيام بما يحتاجون إليه في أمر دينهم ودنياهم، والتأديب على ذلك أن نبت نفوسهم عن الامتثال. قوله:** (بنت أبي مرثد) **روي بالشين المعجمة في نسخ. وروي بالثاء المثلثة. قيل: هذه الآية إحدى الآيات المنزلة بسبب عمر رضي الله عنه. إذ روي عنه أنه قال: وافقني ربي في ثلاث: في الاستئذان وفي الحجاب حيث قال الله تعالى:** ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ **[الأحزاب: ٥٣] وفي الاتخاذ من مقام إبراهيم مصلى. وهذه الآية دلت على أن من لم يبلغ الحلم يؤمر بفعل الشرائع وينهى عن ارتكاب القبائح، فإنه تعالى أمرهم بالاستئذان في هذه الأوقات وقال عليه الصلاة والسلام: «مروهم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم على تركها وهم أبناء عشر». وقال ابن مسعود: إذا بلغ الصبي عشر سنين كتبت له حسناته ولا تكتب عليه سيئاته حتى يحتلم. واعلم أنه إنما يؤمر بذلك تمرينًا له ليعتاد**

يبلغوا من الأحرار. فعبّر عن البلوغ بالاحتلام لأنه أقوى دلائله. ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ في اليوم والليلة مرة ﴿مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم وليس ثياب اليقظة. ومحله النصب بدلاً من «ثلاث مرات» أو الرفع خبرًا لمحذوف أي هي من قبل صلاة الفجر. ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم﴾ أي ثيابكم لليقظة للقيلولة. ﴿مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ بيان للحين ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِ﴾ لأنه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف ﴿ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡ﴾ أي هي ثلاثة أوقات يختل فيها تستركم. ويجوز أن يكون مبتدأ وما بعده خبره. وأصل العورة الخلل ومنها أعور المكان ورجل أعور. وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالنصب بدلاً من «ثلاث مرات». ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ﴾ بعد هذه الأوقات في ترك الاستئذان. وليس فيه ما ينافي آية الاستئذان فينسخها لأنه في الصبيان ومماليك المدخول عليه، وتلك في الأحرار البالغين. ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم﴾ أي هم طوافون. استئناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستئذان

ويسهل عليه بعد البلوغ. **قوله تعالى:** (ثلاث مرات) على أنه ظرف زمان أي ليستأذنكم ثلاثة أوقات. ثم فسر تلك الأوقات بقوله: ﴿من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء﴾ وقيل: إنه منصوب على المصدرية أي ثلاث استئذانات لأنك إذا قلت: ضربت ثلاث مرات لا يفهم منه إلا ثلاث ضربات، ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام: «الاستئذان ثلاث». وهذا وجه ظاهر لولا القرينة الصارفة عن هذا المعنى وهي التفسير بالأوقات الثلاثة المذكورة. والقيلولة النوم في الظهيرة. والالتحاف التغطي يقال: التحفت بالثواب أي تغطيت به. **قوله:** (**أي هي ثلاثة أوقات يختل فيها تستركم**) يعني أن «ثلاث عورات» مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف قال أولاً: ليستأذنكم المماليك والأطفال ثلاث مرات، ثم فصل الثلاث بقوله: ﴿من قبل صلاة الفجر﴾ الآية ثم أجمل بعد التفصيل فقال هذه ﴿ثلاث عورات لكم﴾ تنبيهًا على علة وجوب الاستئذان عليهم في هذه الأوقات. والعورة الخلل الذي يرى فيه ما يراد ستره. وسميت الأوقات المذكورة عورات مع أنها ليست نفس العورات بل هي أوقات العورات على طريق تسمية الشيء باسم ما يقع فيه مبالغة في كونه محلاً لها. والمصنف أشار إلى هذا المعنى بقوله: «هي ثلاثة أوقات يختل فيها تستركم» حيث لم يجعل الأوقات المذكورة نفس الاختلال بل أوقاتًا له.

قوله: (**وليس فيه ما ينافي آية الاستئذان**) يعني أنه قد قيل: إن قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ يدل على أن الاستئذان واجب في كل حال فصار ذلك منسوخًا بهذه الآية في غير هذه الأحوال الثلاث. فقال المصنف: لا منافاة بين أن يستأذن الأحرار البالغون في جميع الأحوال وبين أن لا

وهو المخالطة وكثرة المداخلة. وفيه دليل على تعليل الأحكام، وكذا في الفرق بين الأوقات الثلاثة وغيرها بأنها عورات. ﴿بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بعضكم طائف على بعض أو يطوف بعضكم على بعض ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك التبيين ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾ أي الأحكام ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم ﴿حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ فيما شرع لكم.

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الذين بلغوا من قبلهم في الأوقات كلها. واستدل به من أوجب استئذان العبد البالغ على سيدته. وجوابه أن المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيمًا للمماليك فلا يندرجون فيهم. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ كرره تأكيدًا ومبالغة في الأمر بالاستئذان. ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ العجائز التي قعدن

يستأذن الأطفال ومماليك المدخول عليهم إلا في هذه الأحوال الثلاث حتى يصار إلى النسخ. **قوله: (وفيه دليل)** أي في قوله: ﴿طوافون عليكم﴾ وكذا في الفرق بين هذه الأوقات الثلاثة وبين ما عداها بأنها أوقات عورات دون ما عداها دليل على أن الواجب اعتبار العلل في الأحكام الشرعية إذا أمكن، وأن كل حكم شرعي له علة تلك العلة هي الحكمة في مشروعية ذلك الحكم. وارتفاع «بعضكم» إما على الابتداء أو على أنه فاعل فعل محذوف لدلالة طوافون عليه أي المماليك والأطفال يطوفون عليكم للخدمة وأنتم تطوفون عليهم للاستخدام، فلو كلفتم الاستئذان في كل طوفة أي في هذه الأوقات الثلاثة وغيرها لضاق الأمر عليكم فلذلك رخص لكم في ترك الاستئذان فيما وراء هذه الأوقات الثلاثة. **قوله تعالى: (وإذا بلغ الأطفال منكم)** أي من الأحرار فليستأذنوا في الدخول استئذانًا مثل استئذان الذين بلغوا من قبلهم. يعني أن من يتجدد فيه البلوغ يجب أن يستأذن للدخول في كل الأوقات كما يستأذن الكبار الذين تقدم بلوغهم كذلك. ووجه الاستدلال بهذه الآية على استئذان العبد على سيدته أن لفظ الأطفال يتناول المماليك والأحرار من الصبيان، فيجب الاستئذان على كل واحد من الفريقين إذا بلغ الحلم بحكم هذه الآية كما ذهب إليه الحنفية. قال الإمام النسفي في تفسير قوله تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن﴾ إلى قوله: ﴿أو نسائهن﴾ إن المراد بنسائهن الحرائر المسلمات وبما ملكت أيمانهن إماؤهن فلا يتناول الغلام والجارية جميعًا. قلنا: قال سمرة بن جندب: لا تغرنكم هذه الآية فإنها نزلت في الإماء. انتهى. وقال المصنف في تفسير ﴿أو ما ملكت أيمانهن﴾ يعم الإماء والعبيد واستدل عليه بالحديث ثم قال: وقيل: المراد بها الإماء وعبد المرأة كالأجنبي. وأجاب ههنا عن الاستدلال المذكور بأن تعريف الأطفال للعهد والمعهود الأطفال الذين جعلوا قسيمًا للمماليك فلا يندرج المماليك فيهم. **قوله تعالى: (والقواعد)** جمع قاعد وهي المرأة التي

عن الحيض والحمل ﴿ٱلَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ لا يطمعن فيه لكبرهن. ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ أي الثياب الظاهرة كالجلباب. والفاء فيه لأن اللام في القواعد بمعنى اللاتي أو لوصفها بها. ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍ بِزِينَةٍ﴾ غير مظهرات زينة مما أمرن بإخفائه في قوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٣١] وأصل التبرج التكلف في إظهار ما يخفى من قولهم: سفينة بارجة لا غطاء عليها، والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطًا بسوادها كله لا يغيب منه شيء، إلا أنه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال. ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ من الوضع لأنه أبعد من التهمة. ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالهن للرجال ﴿عَلِيمٌ (٦٠)﴾ بمقصودهن.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ نفي لما كانوا يتحرجون من مؤاكلة الأصحاء حذرًا من استقذارهم، أو أكلهم من بيت من يدفع إليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه إذا خرج إلى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة أن لا يكون ذلك عن طيب قلب، أو من إجابة من يدعوهم إلى بيوت آبائهم وأولادهم

قعدت عن الحيض والولد لكبر سنها، ولم تدخلها تاء التأنيث لاختصاصها بالمرأة. **قيل: وإذا** أردت القعود بمعنى الجلوس قلت: قاعدة. قال الإمام: الأولى أن لا يعتبر قعودهن عن الحيض لأن ذلك ينقطع فيهن بآفة دون بلوغهن إلى سن لا يرغب فيهن الرجال، فالمراد قعودهن عن حال التزوج وذلك لا يكون إلا إذا بلغن في السن بحيث لا يرغب فيهن الرجال. و«القواعد» مبتدأ و«من النساء» حال من المستكن في القواعد و«اللاتي» صفة القواعد لا النساء وجملة «فليس عليهن جناح» خبر المبتدأ والفاء لتضمنه معنى الشرط، لأن الألف واللام فيه بمعنى اللاتي أو لأن المبتدأ موصوف بالاسم الموصول، ولو كان الموصول مبتدأ لجاز دخول الفاء في خبره فجاز ذلك أيضًا إذا كان صفة للمبتدأ و«غير متبرجات» حال من «عليهن». **قوله:** (أي الثياب الظاهرة) خص الثياب بالظاهرة لأنه لا شك في أنه تعالى لم يأذن لهن في أن يضعن جميع ثيابهن لما فيه من كشف العورة كلها. **قوله:** (من استقذارهم) أي من استكراه الأصحاء المؤاكلة معهم لأن الأعمى ربما سبقت يده إلى ما سبقت عين أكيله إليه وهو لا يشعر. والأعرج يتفسح في مجلسه فيضيق على جليسه. والمريض لا يخلو من رائحة كريهة أو أنف يذن أو جرح بيد يبض إذا أخذ بها يسيل ونحو ذلك. **قوله:** (أو أكلهم) عطف على «مؤاكلة الأصحاء» وقوله: «مخافة» علة لقوله: «يتحرجون في أكلهم من بيت من يدفع إليهم المفتاح». قال سعيد بن المسيب: كان المسلمون إذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يدفعون إليهم مفاتيح بيوتهم وخزائنهم ويقولون: قد حللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا. فكانوا يتحرجون من بيوتهم ويقولون: لا ندخلها وهم غيب. فنزلت رخصة لهم. **قوله:** (أو من إجابة) عطف أيضًا

وأقاربهم فيطعمونهم كراهة أن يكونوا كلاً عليهم. وهذا إنما يكون إذا علم رضى صاحب البيت بإذن أو قرينة، أو كان في أول الإسلام ثم نسخ بنحو قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وقيل: نفي للحرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله وما بعده. ﴿وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الأولاد لأن بيت الولد كبيته

على **«مؤاكلة الأصحاء» يعني أن ضعفاء المؤمنين كانوا يدخلون على بعض أصدقائهم لطلب الطعام فإذا لم يكن عندهم طعام يطعمونه يدعونهم ويذهبون بهم إلى بيوت آبائهم أو أولادهم أو أقاربهم فيطعمونهم منها. فلما نزل قوله تعالى:** ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ **أي بيعًا فعند ذلك امتنع الناس أن يأكل بعضهم من طعام بعض فنزلت هذه الآية. وعلل المصنف تحرجهم بقوله: «كراهة أن يكونوا كلاً عليهم» والكل بفتح الكاف وتشديد اللام الملال والتعب والثقل، والجمع الكلول ولم يجمع ههنا لكونه مصدرًا في الأصل.**

قوله: (وهذا) أي انتفاء الحرج في إجابة من يدعوهم إلى البيوت المذكورة ويأخذ الأكل منها يتوقف على رضى صاحب البيت بإذنه صريحًا أو بما هو قرين الإذن، وهو دلالة الحال كالقرابة والصداقة ونحو ذلك. وقيل: جواز الأكل من هذه البيوت بغير إذن مالكيها كان في صدر الإسلام ثم نسخ ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يحل مال امرىء مسلم إلا عن طيب نفس». ومما يدل على هذا النسخ قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وكان في أزواج النبي ﷺ من لهن الآباء والأخوال وقد عم النهي عن دخول بيوتهم إلا بعد الإذن في الدخول وفي الأكل.
قوله: (**وقيل نفي للحرج عنهم في القعود عن الجهاد**) أي لا فيما يتعلق بالأكل. والمعنى: ليس على هؤلاء حرج في القعود عن الغزو ولا عليكم في أن تأكلوا من البيوت المذكورة. وهذا كلام صحيح في تحرجه لاستواء الطائفتين في نفي الحرج عنهم وهذا مثل أن يستفتيك مسافر عن الإفطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر. فقلت: ليس على المسافر حرج ولا عليك يا حاج في أن تقدم الحلق على النحر. ولم يرض المصنف بهذا التأويل حيث قال: «وهذا لا يلائم ما قبله ولا ما بعده» فإنه قيل: أولاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن، وقيل آخرًا ولا على أنفسكم أن تأكلوا فبيّن فيهما ما نفى كونه جناحًا ولم يبين ذلك في قوله: ﴿ليس على الأعمى حرج﴾ فينبغي أن يبيّن بما يلائم ما قبله وما بعده، والقعود عن الغزو لا يلائم شيئًا منهما. **قوله:** (**من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم**) أي ليس المعنى أن تأكلوا من البيوت التي تسكنون فيها بأنفسكم وفيها طعامكم وسائر أموالكم،

لقوله عليه السلام: «أنت ومالك لأبيك». وقوله: «إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه وإن ولده من كسبه». ﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَـٰلَـٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ وهو ما يكون تحت أيديكم وتصرفكم من ضيعة أو ماشية وكالة أو حفظًا. وقيل: بيوت المماليك. والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به. وقرىء «مفتاحه». ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ أو بيوت صديقكم فإنهم أرضى بالتبسط في أموالهم وأسر به، وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط. هذا كله إنما يكون إذا علم رضى صاحب البيت بإذن أو قرينة ولذلك خصص هؤلاء فإنه يعتاد التبسط بينهم. أو كان في أول الإسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية به على أن لا قطع بسرقة مال المحرم. ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ مجتمعين أو متفرقين. نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده. أو في قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا معه. أو في قوم تحرجوا عن الاجتماع على

لأن الناس لا يتحرجون عن أكل طعامهم في بيوت أنفسهم، فينبغي أن يكون المعنى من بيوت الذين كانوا في حكم أنفسكم لشدة الاتصال بينهم وبينكم كالأزواج والأولاد ونحوهما فإن بيت المرأة كبيت الزوج وكذا بيت الأولاد فلذلك يضيف الزوج بيت زوجته إلى نفسه وكذا الأب يضيف بيت ولده إلى نفسه. **قوله:** (وقيل بيوت المماليك) لم يرض بأن يفسر ﴿ما ملكتم مفاتحه﴾ ببيوت المماليك لأن بيوتهم داخلة في عموم قوله تعالى: ﴿أن تأكلوا من بيوتكم﴾ فلا وجه لإفراده بالذكر. وملك المفاتح كناية عن كون المال في يد الرجل وحفظه. فالمعنى: ليس عليكم جناح أن تأكلوا من أموال لكم يد عليها لكن لا من أعيانها بل من اتباعها وغلاتها كثمرة البستان ولبن الماشية. **قوله:** (والمفاتح جمع مفتح) والمفاتيح جمع مفتاح وكلاهما آلة الفتح. وقيل: المفاتح الخزائن كقوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩] أي خزائنه وأريد بالخزائن ما يخزن فيه الطعام المأكول ونحوه من بين البيوت. قيل: إذا دل ظاهر الحال على رضى المالك قام ذلك مقام الإذن الصريح وربما سمج الاستئذان وثقل كمن قدم إليه الطعام فاستأذن صاحبه في الأكل منه. قيل: انطلق رجل يدعى بالحارث بن عمرو مغازيًا واستخلف مالك بن زيد في أهله وخزانته فلم يأكل من ماله شيئًا حتى صار مجهودًا أي ضعيفًا، فأنزل الله تعالى: ﴿أو صديقكم﴾. **قوله:** (فلا احتجاج للحنفية) إذ لا احتجاج بالمنسوخ. احتج أبو حنيفة بهذه الآية على أن من سرق من ذي رحم محرم أنه لا يقطع لأن الله تعالى أباح لهم الأكل من بيوتهم بغير إذنهم فلا يكون محرزًا، ولا يلزم منه أن لا يقطع إذا سرق من صديقه لأن من أراد سرقة ماله لا يكون صديقًا له. **قوله:**

الطعام لاختلاف الطباع في القزازة والنهمة. ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ من هذه البيوت. ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ على أهلها الذين هم منكم دينًا وقرابة. ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ثابتة بأمره مسروعة من لدنه. ويجوز أن تكون «من» صلة للتحية فإنه طلب الحياة وهي من عنده، وانتصابها على المصدر لأنها بمعنى التسليم. ﴿مُبَٰرَكَةً﴾ لأنها ترجى بها زيادة الخير والثواب. ﴿طَيِّبَةً﴾ يطيب بها نفس المستمع. وعن أنس أنه عليه السلام قال: «متى لقيت أحدًا من أمتي فسلم عليه يطل عمرك، وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك، فصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الأوابين». ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ

(لاختلاف الطباع) أي طباع الطاعمين. وفي بعض النسخ لاختلاف الناس والنهم بفتحتين إفراط الشهوة في الطعام والقزازة ضده وحاصل المعنى لاختلاف الطباع في قلة الأكل وكثرته، يعني أنهم لما تحرجوا في الاجتماع على الطعام لاختلاف أحوال الأكلة في الاستقلال والاستكثار من الطعام أنزل الله هذه الآية وبيّن أنه لا حرج عليهم في أن يأكلوا مجتمعين أو متفرقين أو أشتاتًا، جمع شت والشت مصدر معناه التفرق فوصف به، وشتى جمع شتيت كمرضى ومريض. قال الإمام النسفي: دل قوله تعالى: ﴿أن تأكلوا جميعًا﴾ **على جواز التساعد في الأسفار والتساعد إخراج كل واحد من الرفقة نفقة على قدر نفقة صاحبه.**

قوله: (فإذا دخلتم بيوتًا من هذه البيوت) **خص بيوتًا المنكر بالبيوت المذكورة سابقًا بقرينة المقام. وقال قوم: هذا في دخول الرجل بيت نفسه والتسليم على أهله ومن في بيته. وروي مرفوعًا: «إذا دخلت بيتك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك». وقيل: المراد بها كل بيت. وقيل: هي المساجد جعل الله تعالى أهل البيت من المسلمين أنفس الداخلين إيذانًا بأن المسلمين كالنفس الواحدة كما في قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ﴾ **[النساء: ٢٩] فإن لم يكن في البيت أحد ولا في المسجد فليسلم على نفسه بأن يقول: السلام علينا من قبل ربنا أو بأن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فقد روي أن الملائكة ترد عليه. وقيل: إن كان في البيت أهل الذمة فليقل: السلام على من اتبع الهدى. ثم قيل: يصل بهذا التسليم قوله:** ﴿تحية من عند الله مباركة طيبة﴾ **حتى روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه يصلي صلاة الضحى وهي أن يصلي ركعتين عند الإشراق وذلك إذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر رمح، ثم يصلي أربعًا أو ستًا أو ثماني وهو الذي أراده الله تعالى بقوله:** ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ **[صٓ: ١٨] وهو ظهور تام نوره بارتفاعها عن موارة البخارات والغبارات ووقت الركعات الأربع هو الضحى الأعلى الذي أقسم الله به فقال:** ﴿وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ **[الضحى: ١، ٢] وخرج عليه الصلاة والسلام على أصحابه وهم يصلون عند الإشراق فقال: «ألا إن صلاة الأوابين إذا مضت الفصال». روي عن بعض السلف أنه قال:**

﴿ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ كرره ثالثًا لمزيد التأكيد وتفخيم الأحكام المختتمة به وفصل الأولين بما هو المقتضى لذلك. وهذا بما هو المقصود منه فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ أي الحق والخير في الأمور.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي الكاملون في الإيمان ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ من صميم قلوبهم ﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ كالجمعة والأعياد والحروب والمشاورة في الأمور. ووصف الأمر بالجمع للمبالغة وقرىء «أمر جميع». ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ يستأذنوا رسول الله فيأذن لهم، واعتباره في كمال الإيمان لأنه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه من المنافق فإن دينه التسلل والفرار، ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس الرسول عليه السلام بغير إذنه. ولذلك أعاده مؤكدًا على أسلوب أبلغ فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ فإنه يفيد أن

إذا دخل المسجد ولا إنسان فيه يقول: السلام علينا من ربنا تحية من عند الله مباركة طيبة. وقيل: لا يصل به هذا القول لأنه صفة السلام. و «تحية» منصوب على أنه مفعول مطلق لمعنى «فسلموا» على طريق قولك: قعدت جلوسًا، كأنه قيل: فحيوا تحية. وقوله: «من عند الله» يجوز أن يتعلق بمحذوف صفة تحية أي تحية ثابتة بأمره مشروعة من لدنه وأن يتعلق بنفس «تحية» لأن التحية والتسليم طلب الحياة والسلامة من الله للمسلم عليه. ووصفها بالبركة والطيب لأنها دعوة مؤمن لمؤمن ترجى بها من الله تعالى الإجابة بزيادة الخير وطلب الكمال والجمال.

قوله: (وفصل الأولين بما هو المقتضى لذلك) أي التبيين وهو قوله: ﴿والله عليم حكيم﴾ وفصل هذا بما هو المقصود من التبيين وهو العقل والدراية لأحكام الله من الأوامر والنواهي. **قوله**: (ووصف الأمر بالجمع للمبالغة) في كونه سببًا لاجتماع القوم فإن الأمر لكونه مهمًا عظيم الشأن صار كأنه قد جمع الناس فهو من قبيل إسناد الفعل إلى السبب. وقرىء «أمر جميع» بمعنى جامع أو مجموع له. قيل: نزلت الآية في حفر الخندق وكان ذلك من أهم الأمور حتى تولى ذلك رسول الله ﷺ بنفسه وشغل عن أربع صلوات ثمة فيه حتى دخلت في حد القضاء، وكان قوم يتسللون من بينهم بغير إذن. قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج لحاجته لم يخرج حتى يقوم بحيال النبي عليه الصلاة والسلام حتى يراه فيعرف به استئذانه فيأذن لمن شاء منهم. قال مجاهد: إذن الإمام يوم الجمعة أن يبصر به. **قوله**: (ولذلك) أي ولكون عدم الاستئذان نقصًا في كمال الإيمان حيث جعل بين الإيمانين شرطًا ثالثًا له أعاده مؤكدًا على أسلوب أبلغ، فإن جعل المستأذنين هم المؤمنين عكس الأسلوب الأول .وفيه تأكيد للأول بالله ورسوله

المستأذن مؤمن لا محالة وأن الذاهب بغير إذن ليس كذلك. ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ ما يعرض لهم من الهام. وفيه أيضًا مبالغة وتضييق للأمر. ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ تفويض للأمر إلى رأي الرسول عليه الصلاة والسلام. واستدل به على أن بعض الأحكام مفوضة إلى رأيه عليه الصلاة والسلام. ومن منع ذلك قيد المشيئة بأن تكون تابعة لعلمه بصدقه وكان المعنى: فائذن لمن علمت أن له عذرًا. ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾ بعد الإذن فإن الاستئذان ولو لعذر قصور لأنه تقديم لأمر الدنيا على أمر الدين. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لفرطات العباد ﴿رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ بالتيسير عليهم.

﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ لا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضًا في جواز الإعراض والمساهلة في الإجابة والرجوع بغير إذن، فإن المبادرة إلى إجابته واجبة والمراجعة بغير إذنه محرمة. وقيل: لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضًا باسمه ورفع الصوت به، والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه

فيكون مصداقًا ودليلاً على صحة الإيمان وصدقهما. قيل: المراد بقوله: ﴿إن الذين يستأذنونك﴾ **أنه استئذان عمر بن الخطاب في غزوة تبوك في الرجوع إلى أهله فأذن له وقال: انطلق فوالله ما أنت بمنافق. يريد أن يسمع المنافقين ذلك الكلام. قوله:** (وفيه) **أي في قوله:** ﴿لبعض شأنهم﴾ **مبالغة في الاهتمام بشأن الاستئذان كإعادته على الأسلوب الأبلغ حيث لم يطلق الإذن في شأنهم بل قيد بالبعض تغليظًا عليهم أمر الذهاب عن مجلس رسول الله ﷺ مع القدر المبسوط وماس الحاجة إليه وتعليق الإذن بالمشي مع ذلك العذر. ومرّ أن ذكر الاستغفار للمستأذنين بالإذن دليل على أن الأحسن والأفضل أن لا يحدثوا أنفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه حيث احتاجوا في خروجهم عن الجماعة إلى أن يستغفر لهم الرسول وإن كان ذلك الخروج بمشيئته. قوله:** (ومن منع ذلك) **أي منع تفويض بعض الأحكام إلى رأيه واجتهاده وقال: إنه عليه أفضل الصلاة والسلام يتبع الوحي في جميع أحكامه. قيد المشيئة بأن تكون تابعة لعلمه بصدق المستأذن في أزله عذرًا شرعيًا مرخصًا للذين استأذنوا فيه، فحينئذ تكون المشيئة مستندة إلى الشرع الثابت بالوحي فلا تكون مشيئته وإذنه في ذلك بمجرد رأيه. قال المصنف في أصوله: يجوز له عليه الصلاة والسلام أن يجتهد لعموم** ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟﴾ [الحشر: ٢] **وجوب العمل بالأرجح ولأنه أسبق وأدل على الفطانة فلا يتركه. ومنعه أبو علي وابنه لقوله تعالى:** ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣] **قلنا: هو مأمور به فليس بهوى. قوله:** (ولا تقيسوا دعاءه إياكم) **إلى شيء من الأمور فيكون المصدر فيه مضافًا إلى فاعله كما في الوجه الثالث والرابع، فإن الداعي في الجميع هو الرسول بخلاف الوجه الثاني فإن المصدر فيه مضاف إلى المفعول. والمعنى: لا تقولوا عند دعائكم**

المعظم مثل: يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت. أو لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه، فإن دعاءه موجب. أو لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده أخرى فإن دعاءه مستجاب. ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ﴾ ينسلون قليلاً قليلاً من الجماعة. ونظير تسلل تدرج وتدخل. ﴿لِوَاذًا﴾ ملاوذة بأن يستتر بعضكم ببعض حتى يخرج، أو يلوذ بمن يؤذن فينطلق معه كأنه تابعه. وانتصابه على الحال وقرىء بالفتح ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ يخالفون أمره بترك مقتضاه ويذهبون سمتًا خلاف سمته و«عن» لتضمنه معنى الإعراض أو يصدون عن أمره دون المؤمنين، من خالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه وحذف المفعول لأن المقصود بيان المخالف والمخالف عنه. والضمير «لله» فإن

إياه يا محمد ويا ابن عبد الله كما يدعو بعضكم بعضًا بل عظموه وشرفوه في ندائه. والمعنى على الوجه الأول: لا تجعلوا أمره إياكم ودعاءه لكم إلى شيء كما يكون من بعضكم إلى بعض فإن أمره كان فرضًا لازمًا ومثله قوله تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]. قوله: (ينسلون) أي يخرجون مستخفين يقال: انسل الرجل أي انصرف من الناس وفارقهم بحيث لا يعلمون. واللواذ والملاوذة أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا ويستتر بعضهم بعضًا وهو حال من ضمير «يتسللون» ويقال: تدرج إذا استعلى درجة درجة وتدخل إذا دخل قليلاً قليلاً فإن تفعل قد يكون للعمل المتكرر في مهلة. قوله: (وقرىء بالفتح) أي بفتح اللام على أنه مصدر «لاذ» الثلاثي مثلاً: طاف طوافًا. ويحتمل أن يكون مصدر «لاوذ» إلا أنه يحب فتح الفاء اتباعًا لفتحة العين. قيل: كان المنافقون يثقل عليهم يوم الجمعة قول النبي عليه الصلاة والسلام وخطبته فيلوذون ببعض أصحابه عليه الصلاة والسلام حتى يخرجوا من المسجد مستخفين مستترين بغيرهم من غير استئذان. وقيل: كانوا ينسلون من صف القتال. وقيل: كان هذا في حفر الخندق.

قوله: (يخالفون أمره) لا يريد أن كلمة «عن» صلة وإلا لكان هذا وجهًا مستقلاً من غير أن ينضم إليه قوله: «وعن» لتضمنه معنى الإعراض، بل المقصود منه مجرد بيان أن «يخالفون» يتعدى بنفسه حيث يقال: يخالفون أمره وإنما جيء بكلمة «عن» لتضمنه معنى الصدود والإعراض. وقيل: «عن» ههنا بمعنى بعد كما في قولك: أطعمتهم عن جوع أي بعد جوع. قوله: (وحذف المفعول) والأصل يخالفون المؤمنين عن أمر الله وعن أمر رسوله على معنى يخالفونهم صادين عن أمره، فيكون «عن أمره» حالاً من فاعل «يخالفون» كما أن حقيقة قولك: خالفه عن الأمر خالفه صادًا أي معرضًا عن الأمر فيكون «عن الأمر» حالاً من فاعل خالف ومحصول كونه مخالفًا له صاد عن الأمر دونه. وكذا إذا قلت: خالفه إلى الأمر إذا

الأمر له في الحقيقة أو للرسول فإنه المقصود بالذكر. ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ محنة في الدنيا ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ في الآخرة. واستدل به على أن الأمر للوجوب، فإنه يدل على أن ترك مقتضى الأمر مقتض لأحد العذابين فإن الأمر بالحذر عنه يدل على حسنه المشروط بقيام المقتضى له وذلك يستلزم الوجوب.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أيها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والإخلاص. وإنما أكد علمه بـ «قد» لتأكيد الوعيد. ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يوم يرجع المنافقون إليه للجزاء. ويجوز أن يكون

ذهب إليه دونه فيكون حقيقة الكلام خالفه أي ذاهبًا إلى الأمر، فيكون «إلى الأمر» حالاً من فاعل خالف أيضًا. ومنه قوله تعالى: ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ أي ذاهبًا إلى ما أنهاكم عنه. **قوله:** (فإنه يدل على أن ترك مقتضى الأمر) يعني أن مخالفة الأمر عبارة عن ترك مقتضاه والإخلال به كما أن موافقة الأمر عبارة عن الإتيان بمقتضاه ورعايته. ولما أمر الله تعالى من خالف الأمر وترك مقتضاه بالحذر عن عذابه دل ذلك على حسن الحذر عنه، ولا يحسن الحذر عن العذاب إلا بعد قيام ما يقتضي نزوله فثبت أن ترك مقتضى الأمر يقتضي نزول العذاب فلولا أن المأمور به واجب لما كان تاركه مستحقًا للعذاب. ثم إنه تعالى لما هدد من خالف أمره بأحد العذابين أورد عقيبه ما هو كالدليل على قدرته تعالى عليهما فقال: ﴿ألا إن لله ما في السمٰوات والأرض﴾ وجعله ذريعة إلى تحقيق علمه بأحوال عباده من المخالفة والموافقة والنفاق والإخلاص وأكد علمه بما هم عليه بأن أدخل كلمة «قد» على «يعلم». وذلك أن «قد» في المضارع تفيد التقليل كـ «ربما» إذا دخلت عليه فكما أن «ربما» تستعار للتكثير كما في قول الشاعر:

إن تمس مهجور الفناء فربما يأتيك من بعد الوفود وفود

كذلك كلمة «قد» تستعار له أيضًا فتفيد التحقيق والتأكيد. وحملت كلمة «قد» في الآية على هذا المعنى لاقتضاء الوعيد إياه وفي البيت لاقتضاء مقام المدح إياه. **قوله تعالى:** (ويوم يرجعون إليه) منصوب على أنه مفعول به لا ظرف لعطفه على قوله: ما أنتم عليه أي ويعلم الذي أنتم عليه ويعلم يوم يرجعون إليه كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] قرأ العامة «يرجعون» مبنيًا للمفعول، وأبو عمرو مبنيًا للفاعل. وعلى كلا القراءتين يجوز وجهان: أحدهما أن يكون في الكلام التفات من الخطاب في قوله: ﴿ما أنتم عليه﴾ إلى الغيبة في قوله: ﴿يرجعون﴾ والثاني أن يكون قوله: ﴿ما أنتم عليه﴾ خطابًا عامًا لكل أحد ويكون الضمير في «يرجعون» للمنافقين خاصة فلا التفات حينئذ. والمصنف أشار

الخطاب أيضًا مخصوصًا بهم على طريق الالتفات. ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ من سوء الأعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه. ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٦٤﴾﴾ لا يخفى عليه خافية.

عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة النور أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي».

إلى هذا الوجه بقوله: «ما أنتم عليه أيها المكلفون» وقوله: «ويوم يرجع المنافقون إليه» وإلى الأول بقوله: «ويجوز». والله سبحانه وتعالى الموفق الهادي إلى الصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة الفرقان

مكية وآيها سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير، أو تزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله. فإن البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على إنزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير، أو لدلالته على تعاليه.

سورة الفرقان

مكية غير آية نزلت بالطائف وهي قوله تعالى:

﴿ألم تر ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنًا﴾

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

قوله: (تكاثر خيره) قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨] أي لا تحصوا أجناسها فضلاً عن إفرادها. فعلى هذا المعنى لا بد من تقدير المضاف أي تبارك خير الذي، ولا حاجة إليه على المعنى الثاني. **قوله:** (**أو تزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله**) قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فالعبد وإن كان له حظ في صفاته وأفعاله إلا أن ما له من الصفات والأفعال لا يماثل شيئًا مما له تعالى وذلك معلوم ببداهة العقل. **قوله:** (وترتيبه على إنزال الفرقان) أي تعليقه به فإن تعليق التبارك بوصف الإنزال يشعر بعلية ذلك الوصف له وكونه مرتبًا عليه. وقوله: «لما فيه من كثرة الخير» مبني على تفسير تبارك بقوله: «تكاثر خيره» وقوله: «أو لدلالته على تعاليه» مبني على

وقيل: دام من بروك الطير على الماء ومنه: البركة لدوام الماء فيها. وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل إلا لله تعالى. والفرقان مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره، أو بين المحق والمبطل بإعجازه، أو لكونه مفصولاً بعضه عن بعض في الإنزال. وقرئ «على عباده» وهم رسول الله وأمته كقوله: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ [النور: ٣٤] أو الأنبياء على أن الفرقان اسم جنس للكتب السماوية. ﴿لِيَكُونَ﴾ العبد أو الفرقان ﴿لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ للجن والإنس ﴿نَذِيرًا ۝١﴾ منذرًا أو إنذارًا

تفسيره بقوله: «أو تزايد على كل شيء». **قوله:** (وقيل دام) عطف على قوله: «تكاثر» يعني قيل: الكلمة مأخوذة من بروك البعير وبروك الطير على الماء فتدل على البقاء والدوام. والمعنى: أنه تعالى باقٍ في ذاته أزلاً وأبدًا ممتنع التغير، وباق في صفاته ممتنع التبدل. ولم يرض به لأن ترتيبه على إنزال الفرقان لا يلائم هذا المعنى فإن قيل: الموصولات موضوعة لأن يطلقها المتكلم على ما يعتقد أن المخاطب يعرفه بكونه محكومًا عليه بحكم حاصل له فلذلك كانت معارف، والقوم ما كانوا يعرفون أنه تعالى هو الذي نزل الفرقان فكيف حسن ههنا لفظ «الذي»؟ أجيب بأنه لما ثبت كونه من عند الله بكونه معجزًا بالغًا إلى أقصى درجات البلاغة والفصاحة نزله الله تعالى منزلة المعلوم للقوم بناء على قوة دليله وظهوره. وهذا توضيح قوله: «وهذه الجملة وإن لم تكن معلومة». الخ.

قوله: (للجن والإنس) أي لجميع أفراد كل واحد من الجنسين أشار به إلى فائدة جمع العالمين مع تعريفه فإن العالم اسم للقدر المشترك بين أجناس ما يعلم به الخالق مما سوى الله تعالى فيطلق على كل واحد منها وعلى مجموعها، فجمع للدلالة على تعدد الأجناس واستغراق كل واحد منها. إذ لو أفرد منكرًا لفهم واحد من تلك الأجناس، ولو أفرد معرفًا لتوهم أن القصد إلى استغراق جنس واحد أو إلى الحقيقة التي هي القدر المشترك بين تلك الأجناس، ولو جمع منكرًا لم يكن نصًا في الاستغراق للاختلاف في استغراق الجمع المنكر. وجمع بالياء والنون لأن المقصود استغراق أفراد العقلاء من جنسي الجن والإنس. فإن جنس الملائكة وإن كانوا من أجناس العالم إلا أن النبي ﷺ لم يكن رسولاً إلى الملائكة فلم يبق من العالمين المكلفين إلا الجن والإنس فهو عليه الصلاة والسلام رسول لهما جميعًا. فالآية حجة لأبي حنيفة في قوله: ليس للجن ثواب إذا أطاعوه سوى النجاة من العقاب، ولهم عقاب إذا عصوا حيث اكتفى بقوله: ﴿ليكون للعالمين نذيرًا﴾ ولم يذكر البشارة ودليله قوله تعالى: ﴿يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١] جعل ثوابهم نجاتهم من العذاب الأليم على تقدير المضاف ولم يذكر لهم ثوابًا غيره وذكر لهم عقاب العصيان. **قوله:** (منذرًا أو إنذارًا) الأول على تقدير أن

كالنكير بمعنى الإنكار. وهذه الجملة وإن لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها أجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بدل من الأول أو مدح مرفوع أو منصوب ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ كزعم النصارى ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ كقول الثنوية أثبت له الملك مطلقًا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه. ثم نبه على ما يدل عليه فقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أحدثه إحداثًا مراعي فيه التقدير حسب إرادته كخلقه الإنسان من مواد مخصوصة وصور وأشكال معينة. ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ فقدره وهيأه لما أراد منه من الخصائص والأفعال، كتهيئة الإنسان للإدراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الأعمال المختلفة إلى غير ذلك، أو فقدره للبقاء إلى أجل مسمى. وقد يطلق الخلق لمجرد الإيجاد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق. فيكون المعنى: وأوجد كل شيء فقدره في إيجاده حتى لا يكون متفاوتًا. ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ لما تضمن

يكون ضمير قوله: «ليكون» للعبد والثاني على أن الضمير للفرقان أي لتنزيله المدلول عليه بقوله: «نزل»، فكأنه قيل: ليكون تنزيله إنذارًا للعالمين لأن الفرقان نفسه لا يكون إنذارًا. قوله: (بدل من الأول) **فإن قيل: كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه بقوله:** ﴿ليكون للعالمين نذيرًا﴾؟ **فالجواب أنه ما فصل بينهما بشيء أجنبي عن الكلام لأن المبدل منه صلة «نزل» وقوله: «ليكون» تعليل له فكأن المبدل منه لا يتم إلا به. قوله:** (أحدثه إحداثًا مراعي فيه التقدير) **يعني أن الخلق هو الإحداث المتفرع على التقدير والتسوية في علم الصانع، فإن الصانع إذا لم يقدر مصنوعه في علمه قبل الإيجاد يقع فيه بعد الإيجاد تفاوت بالزيادة على ما به كماله أو بالنقصان عن حد ما فيه تمامه. ولما كانت الآية مظنة أن يقال: قوله:** ﴿فقدره﴾ **تكرارًا بناء على أن الخلق فيه بمعنى التقدير فكأنه قيل: وقدر كل شيء فقدره، أشار إلى دفعه أولاً بقوله: «فقدره وهيأه لما أراد منه» ومحصوله أن التقدير المدلول عليه بقوله: «خلق» غير التقدير المتفرع عليه بالفاء فإن الأول عبارة عن تسوية المحدث في علمه الأزلي كما أوجبته الحكمة بتعيين مادته وصورته وما يتعلق به من العوارض المكتنفة به حال وجوده، كما يسوي الصانع صورة المصنوع قبل أن يباشر صنعه. والتقدير المتفرع على الخلق عبارة عن تهيئته لما يصلح له من المصالح المرتبة على وجوده فلا تكرار. فكأنه قيل: أوجد كل شيء على تقدير أوجبته الحكمة وقدّر له ما يصلحه ويقيمه وما يراد منه من الخصائص والأفعال. وثانيًا بقوله: «فقدره للبقاء إلى أجل مسمى» والتقدير بهذا المعنى أيضًا متفرع على الخلق بمعنى الإحداث المراعى فيه التقدير والتسوية لما تقتضيه الحكمة، لأن إبقاء الشيء يكون بعد إحداثه كأنه قيل: أحدثه فجعل لوجوده غاية محدودة. وثالثًا بقوله: «وقد يطلق**

الكلام إثبات التوحيد والنبوة، أخذ في الرد على المخالفين فيهما ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ لأن عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ﴾ ولا يستطيعون ﴿لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ دفع ضر ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ ولا جلب نفع ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ ولا يملكون إماتة أحد ولا إحياءه أولاً وبعثه ثانيًا، ومن كان كذلك فبمعزل عن الألوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها. وفيه تنبيه على أن الإله يجب أن يكون قادرًا على البعث والجزاء. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ﴾ كذب مصروف عن وجهه ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ اختلقه ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ أي اليهود فإنهم يلقون إليه أخبار الأمم وهو يعبر عنه بعبارته. وقيل: جبر ويسار وعداس، وقد سبق في قوله: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣] ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا﴾ يجعل الكلام المعجز إفكًا مختلقًا متلقفًا من اليهود ﴿وَزُورًا ﴿٤﴾﴾ بنسبة ما هو بريء منه إليه. وأتى وجاء يطلقان بمعنى فعل ويعديان تعديته.

الخلق لمجرد الإيجاد» فلا يكون قوله: ﴿فقدره﴾ تكرارًا وتكون الفاء فيه للترتيب في الإخبار فكأنه قيل: أوجد كل شيء فقدره في إيجاده ولم يوجده، بحيث يحصل التفاوت والتباعد بينه وبين المثال الذي اقتضته الحكمة. **قوله**: (لأن عبدتهم ينحتونهم) إشارة إلى أن فاعل «اتخذوا» هم عبدة الأصنام ولا يدخل فيه النصارى لأنهم لم يتخذوا من دون الله آلهة كثيرة، ولأن السورة مكية نزلت ردًا على المشركين فيما ذهبوا إليه. ويجوز أن يدخل فيه النصارى وعبدة الملائكة والأصنام جميعًا بناء على أن قوله: «وأخذوا» صيغة جمع وقوله: «آلهة» جمع أيضًا. وإذا قوبل الجمع بالجمع يقابل الفرد بالفرد فلم يكن كون معبود النصارى واحدًا مانعًا من دخولهم في فاعل «اتخذوا». ثم إنه تعالى لما رد على المخالفين في التوحيد شرع في الرد على المخالفين في النبوة بقوله: ﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه﴾ أي ما هذا القرآن إلا كذب افتراه محمد واختلقه من عند نفسه وأعانه عليه أي على افترائه قوم آخرون أي اليهود. وقيل: جبر مولى عامر ويسار غلام ابن خضرمي وعداس. وقيل: عائش مولى حويطب بن عبد العزى. وهؤلاء الثلاثة عبيد كانوا بمكة من أهل الكتاب وكانوا يقرؤون التوراة ويحدثون منها أحاديث، فلما أسلموا وكان النبي عليه أفضل الصلاة والسلام يتعهدهم قال النضر بن الحارث هذا القول فنزلت الآية. وأجاب عن شبهتهم بقوله: ﴿فقد جاؤوا﴾ أي فقد أتوا ظلمًا وفعلوه حيث وضعوا صفة الإفك في غير موضعها ولو أمكن ذلك لعارضوه وأتوا بمثله حين أتاهم به لأنهم مثله عليه الصلاة والسلام في معرفة اللغة وفي التمكن من الاستعانة، ووصف كلامهم هذا بأنه زور أيضًا لأنهم كذبوا فيه بنسبة ما هو بريء منه إليه وقالوا في حق القرآن أيضًا أساطير الأولين كأحاديث رستم واسفنديار. وأساطير جمع إسطار

﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ ما سطره المتقدمون ﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾ كتبها لنفسه أو استكتبها. وقرىء على البناء للمفعول لأنه أمي. وأصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وأفضى الفعل إلى الضمير فصار اكتتبها إياه كاتب، ثم حذف الفاعل وبنى الفعل للضمير فاستتر فيه. ﴿فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥﴾ ليحفظها، فإنه أمي لا يقدر أن يكرر من الكتاب أو ليكتب. ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ لأنه أعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمنه إخبارًا عن مغيبات مستقبلة وأشياء مكنونة لا يعلمها إلا عالم الأسرار، فكيف تجعلونه أساطير الأولين؟ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦﴾ فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم أن يصب عليكم العذاب صبًا. ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾ ما لهذا الذي يزعم الرسالة.

جمع سطر أو جمع أسطورة كأحدوثة و «أساطير» خبر مبتدأ محذوف أي هذا أساطير وقوله: «اكتتبها» خبر ثانٍ لهذا أو حال من أساطير والعامل فيها معنى التنبيه أو الإشارة كقوله: ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ﴾ [هود: ٧٢].

قوله: (كتبها لنفسه) أي باعتبار كونه سببًا آمرًا بكتابتها، فإن بناء افتعل قد يكون لاتخاذ الفاعل الفعل لنفسه. **قوله:** (أو استكتبها) على أن يكون «اكتتب» بمعنى أمر أن يكتب له كما يقال: احتجم وافتصد إذا أمر بذلك. وقوله: ﴿فهي تملى عليه﴾ متفرع على قوله: ﴿اكتتبها﴾ على كل واحد من التفسيرين. فإن الإملاء عبارة عن إلقاء الكلام على الغير ليكتبه، فإن فسر الاكتتاب بالاستكتاب فالأمر ظاهر لأن إملاءها أي إلقاءها على الكاتب متفرع على طلب أن يكتب له الكاتب، إلا أن إملاءها على من يكتبها له عليه الصلاة والسلام بمنزلة كتابته عليه الصلاة والسلام بنفسه فلذلك جعل الإملاء على الكاتب بمنزلة الإملاء على نفسه. وهذا على تقدير أن يحمل الإملاء على حقيقته. ويجوز أن يكون قوله: ﴿تملى﴾ استعارة تبعية بأن يشبّه إلقاء الكلام على الأمي ليحفظه بإلقائه إلى الكاتب ليكتبه لكون صورة الإلقاء على الحافظ كصورة الإلقاء على الكاتب، فأطلق الإملاء على الإلقاء على الحافظ واشتق منه تملى. وكذا إن فسر اكتتبها بكتبها لنفسه وأخذها من غيره على الإسناد المجازي. وروى الإمام عن الحسن البصري أنه قال: قوله: ﴿فهي تملى عليه﴾ كلام الله تعالى ذكره جوابًا عن قولهم فكأنه تعالى قال: إن هذه الآيات تملى عليه بالوحي حالاً بعد حال، فكيف يقال في حقها أنها أساطير الأولين؟ ثم قال: وأما جمهور المفسرين فقد اتفقوا على أن ذلك من كلام القوم وأرادوا به أن أهل الكتاب أملوا عليه في هذه الأوقات هذه الأشياء. ثم قال: ولا شك أن هذا القول أقرب لأنه تعالى أجاب بعد ذلك عن كلامهم بقوله: ﴿قل أنزله الذي يعلم السر﴾ ووجه كونه جوابًا أن القرآن لكونه معجزًا من حيث كونه

وفيه استهانة وتهكم ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ كما نأكل ﴿وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ لطلب المعاش كما نمشي. فالمعنى: إن صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا؟ وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات. فإن تميز الرسل عمن عداهم ليس بأمور جسمانية وإنما هو بأحوال نفسانية كما أشار إليه بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾﴾ لنعلم صدقه بتصديق الملك ﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ﴾ فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ هذا على سبيل التنزل أي إن لم يلق إليه كنز فلا أقل من أن يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه. وقرأ حمزة والكسائي بالنون. ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بالظلم فيما قالوه ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾ ما تتبعون ﴿إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾﴾ سحر فغلب على عقله. وقيل: ذا سحر وهو الرئة أي بشرًا لا ملكًا.

في أقصى مراتب الفصاحة والبلاغة، ومن حيث اشتماله على الإخبار عن مغيبات مستقبلة وأشياء مكنونة لا يعلمها إلا علام الغيوب، يستحيل أن يلقيه محمد ﷺ من تلقاء نفسه، ولو أخذه من أساطير الأولين لما زاد على ما في كتبهم. فظهر أنه من عند من يعلم الغيوب وهو الله تعالى وأنه بمعزل عن كونه من أساطير الأولين. ثم إنه تعالى ذكر شبهة أخرى للمشركين فقال: ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾. **قوله: (وفيه) أي وفي التعبير عنه عليه الصلاة والسلام بلفظ «هذا» استهانة وتحقيرًا له عليه الصلاة والسلام وفي تسميتهم إياه «رسولاً» مع أنهم بصدد إنكار رسالته تهكم به عليه الصلاة والسلام. ذكروا له عليه الصلاة والسلام خمس صفات وزعموا أنها تخل بالرسالة زعمًا منهم أن فضيلة الرسول على غيره تكون بأمور جسمانية وهي غاية الجهالة ونهاية السفاهة. فأجاب الله عن هذه الشبهة بوجوه: الوجه الأول قوله:** ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ **أي أثبتوا لك الأشباه حين زعموا أنك مسحور محتاج متروك ناقص عاجز عن القيام بالأمور ويقولون مرة إنه ساحر ومرة شاعر ومرة مجنون ومرة مسحور ونحو ذلك من الأقوال الشاذة والأحوال النادرة، فضلوا عن الطريق الموصل إلى معرفة خواص النبي ﷺ وهي الاختصاص بالكمالات النفسانية والفضائل الروحانية، وإلى الميز بينه وبين المتنبي فإن الميز بينهما يكون بإظهار المعجزة وما ذكروه من الشبهة لا يقدح بشيء في إظهارها فلا يكون شيء منها قادحًا في النبوة. كأنه تعالى قال: انظر كيف اشتغل القوم بضرب هذه الأمثال التي لا فائدة فيها لما هم بصدده من القدح في نبوتك وإثبات كونك متنبئًا. والوجه الثاني من وجوه الجواب عن شبهة المنكرين ما ذكره بقوله:** ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرًا من ذلك﴾ **أي من الذي ذكروه**

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ أي قالوا فيك الأقوال الشاذة واخترعوا لك الأحوال النادرة ﴿فَضَلُّوا۟﴾ عن الطريق الموصل إلى معرفة خواص النبي والميز بينه وبين المتنبي، فخبطوا خبط عشواء. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٩﴾ إلى القدح في نبوتك أو إلى الرشد والهدى ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ﴾ في الدنيا ﴿خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ مما قالوه، ولكن أخره إلى الآخرة لأنه خير وأبقى ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ بدل من «خيرًا». ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ۝١٠﴾ عطف على محل الجزاء. وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بالرفع لأن الشرط إذا كان ماضيًا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله:

وإن أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب ما لي ولا حرم

ويجوز أن يكون استئنافًا بوعد ما يكون له في الآخرة. وقرىء بالنصب على أنه جواب بالواو. ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ﴾ فقصرت أنظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا أن

من نعم الدنيا كالكنز والجنة وفسر ذلك الخير بقوله: ﴿جنات﴾ الخ ونبّه بذلك على أنه تعالى قادر على أن يعطيه عليه الصلاة والسلام ذلك الذي عيّروه بفقده وما هو خير من ذلك بكثير، ولكنه تعالى يعطي عباده على حسب المصالح وعلى وفق المشيئة ولا اعتراض لأحد عليه في شيء من أفعاله فيفتح على واحد أبواب المعارف والعلوم ويسد عليه أبواب الدنيا وفي حق الآخرة بالعكس من ذلك. عن الضحاك قال: لما عيّر المشركون رسول الله ﷺ بالفاقة حزن عليه الصلاة والسلام لذلك فنزل جبريل معزيًا له وقال: إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠] فبينما جبريل والنبي ﷺ يتحدثان إذ فتح باب من السماء لم يكن فتح قبل ذلك فقال جبريل: أبشر يا محمد هذا رضوان خازن الجنة قد أتاك بالرضى من ربك، فسلم عليه وقال: ربك يخيرك بين أن تكون نبيًا ملكًا وبين أن تكون نبيًا عبدًا ومعه سفط من نور يتلألأ. ثم قال: هذه مفاتيح خزائن الدنيا فاقبضها من غير أن ينقصك الله مما ادخر لك في الآخرة جناح بعوضة. فنظر النبي ﷺ إلى جبريل كالمستشير فأومأ بيده أن تواضع فقال رسول الله ﷺ: «بل نبيًا عبدًا» قال: فكان عليه الصلاة والسلام لا يأكل بعد ذلك متكئًا حتى فارق الدنيا وكان يقول: «آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد».

قوله: (وقرىء بالنصب) أي بنصب «يجعل» بإضمار «أن» على أنه جواب بالواو فإنه معطوف على جعل وهو جواب «إن شاء» قال ابن جني: هو كقولك: إن تأتني آتك وأحسن إليك. وهو غريب لأن نصب المضارع المعطوف على جواب الشرط بالواو غير مذكور في

الكرامة إنما هي بالمال فطعنوا فيك بفقرك، أو فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة أو فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله لك في الآخرة. أو فلا تعجب من تكذيبهم إياك فإنه أعجب منه. ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾ نارًا شديدة الاستعار. وقيل: هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان. ﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾

كتب النحو إنما المذكور فيها نصبه بعد الواو إذا كان قبلها أحد الأشياء الستة: الأمر والنهي وغيرهما. وقرأ باقي القراء بجزم «يجعل» وإدغام لامه في لام «لك» عطفًا على محل جعل لأنه جواب الشرط. والقصور جمع قصر والقصر هو المسكن الرفيع. والوجه الثالث من وجوه الجواب قوله تعالى: ﴿بل كذبوا بالساعة﴾ **والمعنى: أنهم كذبوك وعيروك بالفقر لأنهم كذبوا بالساعة وظنوا أن الكرامة إنما هي بالمال. فتكون كلمة «بل» لترك الأول والأخذ فيما هو أهم وكونه أهم بالنسبة إلى الجوابين الأولين لأنهما يفيدان ما ذكروه في القدح لنبوته وهو لا يصلح قادحًا لها. وهذا الجواب بيّن العلة الداعية لهم إلى إنكار النبوة فإن من كذب بالساعة لا يرجو ثوابًا ولا يخاف عقابًا فلا يتحمل كلفة النظر والفكر في الدلائل الدالة على ما هو الحق في باب الاعتقاد والعمل، فلذلك لا ينتفعون بما يورد عليهم من الدلائل فقوله:** ﴿بل كذبوا بالساعة﴾ **معطوف على قوله:** ﴿تبارك الذي﴾ **والمصنف أشار إلى هذا الوجه بقوله: «فقصرت أنظارهم على الحطام الدنيوية» والحطام والهشيم هو الشيء اليابس المتكسر استعير لأسباب الدنيا لسرعة زوالها وقلة مكثها. قوله: (أو فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن) فيكون معطوفًا على قوله:** ﴿وقالوا ما لهذا الرسول﴾. **قوله: (أو فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب) وهو قوله تعالى:** ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرًا﴾ **إلى قوله:** ﴿ويجعل لك قصورًا﴾ **برفع «يجعل» على الاستئناف بوعد ما يكون له في الآخرة، فيكون معطوفًا عليه. والفرق بين هذا وبين الاحتمال الأول أنه على الأول إضراب عنه إلى جواب آخر أهم من الأول، وعلى هذا الاحتمال يكون المقصود بيان أنهم لا يلتفتون إلى هذا الجواب لعدم تصديقهم بالآخرة. قوله: (أو فلا تعجب الخ) فيكون معطوفًا على جملة ما حكى عنهم مما يدل على تكذيبه والقدح في نبوته، فإن المقصود من حكاية ذلك عنهم التعجب من جهلهم وسفاهتهم وإنما كان تكذيبهم الساعة أعجب من تكذيبهم إياه عليه الصلاة والسلام من حيث إن تكذيبهم الساعة تكذيب لله تعالى، وهو أعجب وأغرب من تكذيبهم إياه عليه الصلاة والسلام. قوله: (فيكون صرفه باعتبار المكان) يعني إذا كان اسمًا لجهنم لوجب منع صرفه للعلمية والتأنيث إلا أنه صرف تأويلاً لجهنم بالمكان. قوله: (إذا رأتهم) جملة شرطية في موضع النصب على أنها صفة لقوله:** ﴿سعيرًا﴾ **وكذا قوله:** ﴿وإذا ألقوا منها مكانًا ضيقًا﴾ **الخ.**

إذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه الصلاة والسلام: «لا تتراأى ناراهما» أي لا تتقاربا بحيث تكون إحداهما بمرأى من الأخرى على المجاز، والتأنيث لأنه بمعنى النار أو جهنم. ﴿مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ وهو أقصى ما يمكن أن يرى منه. ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ صوت تغيظ. شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه. هذا وأن الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية أمكن أن يخلق الله فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر. وقيل: إن ذلك لزبانيتها فنسب إليها على حذف المضاف. ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا﴾ أي في مكان. ومنها بيان تقدم فصار حالاً. ﴿ضَيِّقًا﴾ لزيادة العذاب،

قوله: (إذا كانت بمرأى منهم) **يعني أن السعير سواء كانت بمعنى النار الملتهبة أو جهنم ليست لها عين ولا رؤية ومع ذلك أسندت الرؤية إليها باعتبار كونها مجازًا عن المقابلة وكونها بمرأى الناظر، فإن كون الشيء بمقابلة الناظر ومرآه لازم للرؤية إذ لا تمكن الرؤية بدون ذلك فأطلق الملزوم وهو الرؤية وأريد اللازم وهو كون الشيء بحيث يرى**، والانتقال من الملزوم إلى اللازم يكون مجازًا لا كناية. قال عليه الصلاة والسلام: «المؤمن والكافر لا تتراءى ناراهما» أي لا تتقاربا ولا تكون إحداهما بمرأى من الأخرى. والمقصود النهي عن تقاربهما ويقال: دور فلان متناظرة أي متقابلة. وهذا التوجيه غير لازم على مذهب أصحابنا لأن البنية ليست شرطًا في الحياة عندهم، فالنار على ما هي يجوز أن يخلق الله فيها الحياة والعقل والرؤية والنطق ويؤيده ما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ بين عيني جهنم مقعده». قالوا: هل لها عينان؟ قال: «نعم ألا تسمعون قول الله تعالى: ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد﴾» قيل. من مسيرة مائة سنة. بخلاف المعتزلة فإنهم شرطوا البنية في الحياة فلا يجوز كون السعير ذات عينين عندهم. فقوله تعالى في صفة السعير: ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظًا وزفيرًا﴾ لا يمكن إجراؤه على الظاهر عندهم بل يمكن ذلك عندنا إذ لا امتناع من أن تكون النار حية مغتاظة على الكفار. وأما المعتزلة فإنهم لما شرطوا البنية في الحياة فلا يجوز كون السعير ذات حياة عندهم احتاجوا إلى التأويل، قال الجبائي: إن الله تبارك وتعالى ذكر النار وأراد الخزنة الموكلة بتعذيب أهل النار لأن الرؤية تصح منهم ولا تصح من النار فهو كقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أي أهلها. **قوله:** (صوت تغيظ) لما كان التغيظ عبارة عن شدة الغضب وذلك لا يكون مسموعًا ذكر في توجيه الكلام أن نفس التغيظ وإن لم يسمع إلا أنه يسمع ما يدل عليه من الصوت كما يقال: أما رأيت غضب الملك على فلان إذا رأى ما يدل عليه، فكذا ههنا. والمعنى: سمعوا لها صوتًا يشبه صوت التغيظ.

قوله: (في مكان) يعني أن «مكانًا» منصوب على الظرفية و «منها» في محل النصب

فإن الكرب مع الضيق والروح مع السعة. ولذلك وصف الله الجنة بأن ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وقرأ ابن كثير بسكون الياء. ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ﴾ في ذلك المكان ﴿ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾ هلاكًا أي يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون: يا ثبوراه تعالى فهذا حينك.

﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا﴾ أي يقال لهم ذلك ﴿وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ لأن عذابكم أنواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته. أو لأنه يتجدد كقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] أو لأنه لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور. ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ الإشارة إلى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم، أو إلى الكنز. والجنة والراجع إلى الموصول محذوف وإضافة الجنة إلى الخلد للمدح أو الدلالة على خلودها أو التمييز عن جنات الدنيا. ﴿كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علم الله أو اللوح أو لأن ما وعده الله في تحققه كالواقع ﴿جَزَآءً﴾ على أعمالهم بالوعد ﴿وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ ينقلبون إليه.

على الحال من «مكانًا» لأنه في الأصل صفة و«مقرنين» حال من مفعول «ألقوا» و «ثبورًا» مفعول به لقوله: «دعوا». روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: إن جهنم لتضيق على الكافر كما يضيق الزج على الرمح. والزج الحديدة التي في رأس الرمح. وسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «والذي نفسي بيده إنهم يكرهون في النار كما يكره الوتد في الحائط». ولقد جمع الله على أهل النار أنواع البلاء حتى ضم إلى العذاب الشديد الضيق الشديد ليكون ذلك لهم عذابًا فوق عذابهم. قوله: (والاستفهام الخ) جواب عما يقال: كيف يتصور الشك في أيهما خير حتى يحسن الاستفهام والترديد؟ وهل يجوز لقائل أن يقول: الشكر خير أم الصبر؟ وأجاب بأن ذلك يحسن في معرض التقريع والتهكم، فإنه تعالى لما ذكر حال العقاب المعد لمن كذب بالساعة أتبعه بما يؤكد حسرته وندامته تقريعًا له وتهكمًا، وجنة الخلد هي الدار التي لا ينقطع نعيمها ولا ينتقل أهلها منها. ولما ورد أن الجنة اسم للدار المخلدة فأي فائدة في إضافتها إلى الخلد؟ أشار إلى جوابه بقوله: «وإضافتها للمدح» كما أن الصفة للمدح فكذا الإضافة أو لأن اسم الجنة لا يدل إلا على البستان الجامع لوجوه البهجة ولا يدخل الخلود في مفهومه، فأضيف إليها للدلالة على خلودها. قوله: (بالوعد) أي بالاستحقاق كما ذهب إليه المعتزلة فإن الثواب لا يجب على الله عندنا خلافًا لهم. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وعد المتقون﴾ فإن الموعود لا يكون واجبًا على من وعد به قبل الوعد وإنما يجب عليه إنجازه بمقتضى الكرم. والمعتزلة احتجوا على أنها كانت لهم جزاء بالاستحقاق بوجهين: الأول أن اسم الجزاء لا يتناول إلا المستحق وأما الموعود بمحض

ولا يمنع كونها جزاء لهم أن يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز أن يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب لأنهم في مقابلتهم. ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ ما يشاؤونه من النعيم ولعله يقصرهم كل طائفة على ما يليق برتبته، إذ الظاهر أن الناقص لا يدرك شيئًا والكامل بالتشهي. وفيه تنبيه على أن كل المرادات لا تحصل إلا في الجنة. ﴿خَٰلِدِينَ﴾ حال من أحد ضمائرهم ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾ الضمير في «كان» لـ «ما يشاؤون» والوعد الموعود أي كان ذلك موعودًا حقيقًا بأن يسأل ويطلب، أو مسؤولاً سأله الناس في دعائهم ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤] أو

التفضل فإنه لا يسمى جزاء. والثاني أنه لو كان المراد من الجزاء الأمر الذي يصيرون إليه بمجرد الوعد لما بقي فرق بين قوله: ﴿جزاء﴾ **وبين قوله:** ﴿مصيرًا﴾ **فيصير ذلك تكرارًا من غير فائدة. وقال أصحابنا: لا نزاع في كونه جزاء إنما النزاع في كونه جزاء ثبت بالوعد أو بالاستحقاق وليس في الآية ما يدل على التعيين. وإنما قلنا: إنه ثبت بالوعد للأدلة المنفصلة وقوله: «كانت بلفظ الماضي مع أن الجنة ستصير لهم جزاء ومصيرًا في المستقبل» مبني على أنه تعالى كتب في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم أن الجنة جزاؤهم ومصيرهم وكان ذلك في علمه الأزلي. قوله:** (ولا يمنع كونه جزاء لهم أن يتفضل بها على غيرهم برضاهم) **جواب عن استدلال المعتزلة على أنه تعالى لا يعفو عن أصحاب الكبائر ولا يدخلهم الجنة بهذه الآية بأن قالوا: الجنة حق المتقين جزاء على أعمالهم لقوله تعالى:** ﴿كانت لهم جزاء﴾ **وأهل الكبائر وإن كانوا مؤمنين لكنهم ليسوا بمتقين، فلو عفا الله عنهم وأدخلهم الجنة التي اختصت بالمتقين وكانت حقًا لهم لزم أن يعطيهم حق المتقين مع أنهم ليسوا بمتقين، وإعطاء حق الإنسان لغيره لا يجوز، وتوجيه الجوابين ظاهر. قوله:** (ولعله يقصرهم كل طائفة) **جواب عما يقال: إن أهل الدرجات النازلة إذا شاهدوا الدرجات العالية لا بد أن يريدوها ويسألوها فإن أعطاهم الله تعالى إياها لم يبق بين الناقص والكامل تفاوت في الدرجة، وإن لم يعطها لهم قدح ذلك في قوله:** ﴿لهم فيها ما يشاؤون﴾ **وفي قوله:** ﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ [الزخرف: ٧١] **وأيضًا فالأب إذا كان ولده في دركات النار وأشد العذاب اشتهى أن يخلصه الله من ذلك فإن فعل الله ذلك قدح في أن عذاب الكافر مخلد، وإن لم يفعل قدح ذلك في قوله:** ﴿لهم فيها ما يشاؤون﴾ **وفيها ما تشتهيه الأنفس. وتقرير الجواب أن المراد** ﴿لهم فيها ما يشاؤون﴾ **مما يليق برتبتهم وأنه تعالى لا يلقي في خواطرهم وفيها ما تشتهيه الأنفس. وتقرير الجواب أن المراد** ﴿لهم فيها ما يشاؤون﴾ **مما يليق برتبتهم وأنه تعالى لا يلقي في خواطرهم أن ينالوا رتبة من هو أشرف منهم رتبة بل يشتغل كل واحد بالالتذاذ بما يليق برتبته ولا يلتفت إلى حال غيره. قوله:** (حال من أحد ضمائرهم) **والمعنى الذي يشاؤونه حال**

الملائكة لقولهم: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [غافر: ٨] وما في «على» من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده ولا يلزم منه الإلجاء إلى الإنجاز، فإن تعلق الإرادة بالموعود تقدم على الوعد الموجب للإنجاز.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ للجزاء. وقرىء بكسر الشين. وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء. ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعم كل معبود سواه. واستعمال «ما» إما لأن وضعه أعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف. أو لأنه أريد به الوصف كأنه قيل: ومعبوديهم. أو لتغليب الأصنام تحقيرًا أو اعتبارًا لغلبة عبادها. أو يخص الملائكة وعزير أو المسيح لقرينة السؤال والجواب والأصنام ينطقها الله أو تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الأيدي والأرجل. ﴿فَيَقُولُ﴾ أي بمعبودين وهو على تلوين الخطاب. وقرأ ابن عامر بالنون. ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾ لإخلالهم بالنظر الصحيح وإعراضهم عن المرشد النصيح. وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة. وأصله ءأضللتم أم ضلوا؟ فغير النظم ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل دونه، لأنه لا شبهة فيه وإلا لما توجه العتاب وحذف صلة «ضل» للمبالغة.

كونهم خالدين حاصل لهم أو الذي يشاؤونه حاصل لهم حال كونهم خالدين. **قوله:** (وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده) والمعنى: كان الذي يشاؤونه موعودًا واجبًا على ربك إنجازه لكونه وعد الكريم الذي يمتنع الخلف في وعده. وليس المعنى كما ذكره صاحب الكشاف أن ذلك كان موعودًا واجبًا على ربك إنجازه حقيقًا أن يسأل ويطلب لكونه جزاء وأجرًا مستحقًا عليه، لأن العبد لا يستوجب عليه تعالى شيئًا بل كل ما يصل إليه من الخير فهو تفضل محض. ولما ورد أن يقال: لما وجب عليه إنجاز الموعود وإن كان ذلك بناء على كرمه وامتناع الخلف في وعده لزم منه أنه تعالى ملجأ إلى الإنجاز وغير قادر على تركه، ومن كان ملجأ إلى الفعل وغير قادر على تركه لا يكون مستحقًا للمدح والثناء بذلك فالله ذو الفضل العظيم يختص برحمته من يشاء. أجاب عنه بقوله: «ولا يلزم منه الإلجاء إلى الإنجاز» لأن وجوب الإنجاز إنما لزم من الوعد الذي هو الإخبار بالفعل المتوقف على العلم بالفعل وكل واحد من الإخبار بالفعل والعلم به يوجب الفعل فوجب الفعل، لأنه لو لم يفعله لانقلب خبره الصادق كذبًا وعلمه جهلاً والوجوب اللازم من الإخبار والعلم لا يستلزم كونه تعالى ملجأ إلى الفعل غير قادر على الترك، لأن تعلق الإرادة الأزلية بالفعل متقدم على الإخبار به والعلم بوقوعه والفعل الواقع بالإرادة لا يكون صادرًا على سبيل الإلجاء ويكون تركه مقدورًا ويستحق فاعله المدح والثناء.

قوله تعالى: (ويوم يحشرهم) أي واذكر يوم نحشر الذين اتخذوا من دون الله آلهة. قرأ

....

ابن عامر «نحشرهم» «فنقول» بالنون فيهما وابن كثير وحفص بالياء من تحت فيهما. والباقون بالنون في الأول وبالياء في الثاني. واختار المصنف هذه القراءة. **قوله:** (وهو على تلوين الخطاب) أي على الالتفات من التكلم إلى الغيبة. **قوله:** (يعم كل معبود سواه) أي من الملائكة والمسيح وعزير والأوثان بشهادة قوله تعالى: ﴿من دون الله﴾ إلا أن جواب المعبودين بقولهم: ﴿سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾ يأبى دخول الأصنام فيهم لأن هذا الجواب إنما يلائم الأنبياء والملائكة المعصومين. ولما ورد أن يقال: كيف يعم كل معبود ولفظ ما لا يستعمل في العقلاء؟ دفعه بما محصوله: إنّا لا نسلم أن كلمة «ما» لا تستعمل إلا فيما لا يعقل فإنها كما تستعمل فيما علم أنه غير عاقل تستعمل أيضًا فيما يتناوله وغيره، كما إذا استعملت في الذوات التي يدخل فيها الفريقان مع قطع النظر عن كونها عقلاء أو غير عقلاء كما في ما نحن فيه. نعم إنها لا تستعمل فيما علم كونه عاقلاً وإنما تستعمل فيه كلمة «من» بدليل قولك: إذا رأيت شبحًا من بعيد ما هو؟ فإذا قيل لك: إنه إنسان قلت حينئذ: من هو؟ ودفعه ثانيًا بأنه أريد به الوصف فإنه قد يطلق على صفات من يعقل ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس: ٥] أي وبانيها وقوله تعالى: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] أي معبودي وقول فرعون ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] أي مربيهم وقولك إذا أردت السؤال عن صفة زيد مثلاً: ما زيد؟ تريد طويلاً أم قصيرًا فقيهًا أم طبيبًا. وثالثًا بأنه عبر عن مطلق المعبود بكلمة «ما» تغليبًا للأصنام على العقلاء المعبودين تحقيرًا لشأنهم لغاية قصورهم عن معنى الربوبية والألوهية. وقوله: «أو اعتبارًا لغلبة عبادها» عطف على «تحقيرًا». **قوله:** (أو يخص الملائكة وعزير أو المسيح) عطف على قوله: «يعم كل معبود» وقوله: «أو الأصنام» عطف على «الملائكة» ولما ورد أن يقال: الصنم جماد فكيف يخاطبه الله أجاب عنه أولاً بأنه تعالى يخلق فيه الحياة ويجعله صالحًا لأن يسأل ويجيب، وثانيًا بأن ذلك الكلام ليس بلسان المقال بل هو بلسان الحال كما قيل في تسبيح الدواب وكلام الأيدي والأرجل. **قوله:** (وهو استفهام تقريع) جواب عما يقال: إنه تعالى كان عالمًا في الأزل بحال المسؤول عنه فما فائدة هذا السؤال؟ وتقرير الجواب أن فائدته تقريع العبدة وإلزامهم كما قيل لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] لأنهم إذا سئلوا بذلك وأجابوا بما هو الحق الواقع تزداد حسرة العبدة وحيرتهم ويبكتون بتكذيب المعبودين إياهم وتبرئهم من أمرهم بالشرك وعبادة غير الله، فلذلك سألهم بذلك وإلا فهو أعلم بجميع المعلومات ومستغنٍ عن السؤال. **قوله:** (وأصله أأضللتم أم ضلوا) لأن المعنى أن ضلالهم عن الصراط السوي معلوم إلا أن

﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ﴾ تعجبًا مما قيل لهم لأنهم إما ملائكة أو أنبياء معصومون أو جمادات لا تقدر على شيء. أو إشعارًا بأنهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم إضلال عبيده؟ أو تنزيهًا لله عن الأنداد ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ﴾ يصح لنا ﴿أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ للعصمة أو لعدم القدرة، فكيف يصح لنا أن ندعو غيرنا أن يتولى أحدًا دونك؟ وقرىء «أن نتخذ» على البناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥] ومفعوله الثاني «من أولياء» و«من» للتبعيض وعلى الأول مزيدة لتأكيد النفي ﴿وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ﴾ بأنواع النعم فاستغرقوا في الشهوات. ﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ حتى غفلوا عن ذكرك أو التذكر لآلائك والتدبر في آياتك، وهو نسبة للضلال إليهم من حيث إنه بكسبهم وإسناد له إلى ما فعل الله بهم فحملهم عليه، وهو عين ما ذهبنا إليه فلا ينتهض

ذلك الضلال هل هو حاصل من قبل أنفسهم أو بإضلالكم إياهم. وهذا المعنى يحصل بأن يقال: أأضللتم عبادي أم ضلوا بأنفسهم من غير أن يزاد «أنتم» و«هم»، إلا أنه غيّر النظم بزيادة «أنتم» بين فعل الإضلال والهمزة وبزيادة «هم» بين فعل الضلال و«أم» ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو تعين من تولى الفعل وباشره لا أصل الضلال إذ لا شبهة في تحققه حتى يسأل عنه، فإن أصل الضلال لو لم يكن مقطوع التحقق لما توجه العتاب وهو إظهار الغضب وقد توجه ذلك لأن هذا الاستفهام للتوبيخ والعتاب، كأنه قيل: هؤلاء الضالون لا بد لهم من مضل وأن ذلك المضل هل هو أنتم أو هم ضلوا بأنفسهم؟ فإن الضال من غير أن ينقاد لمضل خارجي هو الذي يضل نفسه لا محالة فزيد لفظ «أنتم» و«هم» ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال. ثم إنه ذكر في قوله: «سبحانك» ثلاثة معان: الأول أنه تعجب مما قيل لهم وأسند إليهم من الإضلال مع كونهم معصومين أو عاجزين عن الفعل مطلقًا فإنه كثيرًا ما يستعمل في التعجب، والثاني أن قولهم: ﴿سبحانك﴾ كناية عن كونهم مسبحين موسومين بذلك فكيف يليق بهم أن يضلوا عباده، والثالث أنه يستعمل في التنزيه كما هو أصله والمراد تنزيهه تعالى عن الأنداد.

قوله: (فكيف يصح لنا أن ندعو غيرنا أن يتولى أحدًا دونك) جعل قولهم: ﴿ما كان ينبغي لنا﴾ كناية عن استبعاد أن يدعوا أحدًا إلى اتخاذ ولي دونه تعالى، لأن نفس قولهم بصريحه لا يفيد المقصود وهو نفي ما نسب إليهم من إضلال العباد وحملهم على اتخاذ الأولياء من دون الله. **قوله:** (من اتخاذ الذي له مفعولان) أولهما ضمير المتكلمين وثانيهما قوله: ﴿من أولياء﴾ و«من» للتبعيض أي ما كان ينبغي لنا أن نتخذ بعض أولياء. وقرأ العامة «نتخذ» مبنيًا للفاعل و«من أولياء» مفعوله وزيدت «من» فيه لتأكيد النفي. **قوله:** (فلا ينتهض

حجة علينا للمعتزلة. ﴿وَكَانُوا﴾ في قضائك ﴿قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع، أو جمع بائر كعائذ وعوذ.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ التفات إلى العبدة بالاحتجاج والإلزام على حذف القول. والمعنى: فقد كذبكم المعبودون. ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ في قولكم إنهم آلهة أو هؤلاء أضلونا. والباء بمعنى «في» أو مع المجرور بدل من الضمير. وعن ابن كثير بالياء أي كذبوكم بقولهم ﴿سبحانك ما كان ينبغي لنا﴾ ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ أي المعبودون. وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين. ﴿صَرْفًا﴾ دفعًا للعذاب عنكم. وقيل: حيلة من قولهم: إنه ليصرف أي يحتال ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ يعينكم عليه. ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ أيها المكلفون ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ هي النار. والشرط وإن عمّ كل من كفر أو

حجة علينا للمعتزلة) فإنهم قالوا: في هذه الآية دليل بيّن لقول من يقول: إن الله تعالى يضل عباده في الحقيقة، لأنه لو كان الأمر كذلك لكان الجواب الصحيح أن يقولوا ههنا: قسم ثالث غيرهما وهو الحق، وهو أنك أضللتهم. فلما لم يقولوا ذلك بل نسبوا إضلالهم إلى أنفسهم علمنا أن الله لا يضل أحدًا من عباده. فإن قيل: لا نسلم أن المعبودين ما تعرضوا لهذا القسم بل ذكروه وقالوا: ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ بنعم الدنيا. قلنا: لو كان الأمر كذلك لكان يلزم أن يكون الله محجوجًا في يد أولئك المعبودين ومعلوم أن ليس الغرض ذلك بل الغرض أن يصير الكافر محجوجًا مفحمًا ملومًا. هذا تمام تقرير كلام المعتزلة في الآية. وتقرير المصنف ظاهر في عدم انتهاض الآية حجة للمعتزلة علينا فإنه لما تضمن كلام المعبودين أنّا لم نضلهم ولم نحملهم على الضلال حسن الاستدراك بقولهم: ﴿ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر﴾ فهو نسبة الضلال إليهم من حيث إنه بكسبهم واستغراقهم في الشهوات وإسناد له إلى ما فعل الله بهم، فكأنه قيل: لكن أضللتهم بأن فعلت بهم ما يؤثرون به الضلال فخلقت فيهم ذلك، إذ لو لم يكن المعنى ذلك لما انطبق الجواب لأن السؤال إنما هو عمن أضلهم. **قوله:** (التفات إلى العبدة) يعني أنه كلام الله تعالى خاطب به المشركين بعدما عبّر عنهم بلفظ الغيبة في قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٢؛ يونس: ٢٨] وأصل الآية فقلنا: قد كذبكم المعبودون أيها المشركون في قولكم إنهم آلهة أو في قولكم هؤلاء أضلونا، على أن الباء بمعنى «في». ويحتمل أن تكون الباء مع المجرور بدلاً من ضمير المفعول في كذبوكم كأنه قيل: فقد كذبوا بما تقولون، والباء صلة كذبوا كما في قولك: كذب بالحق فإن كِذب إنما يتعدى إلى واحد تارة بنفسه وتارة بالباء، وقد عدي ههنا إلى كم بنفسه فلا جرم أن تكون بدلاً منه. وإن قرىء «بما يقولون» بياء الغيبة تكون الباء للآلة كما في قولك: كتبت بالقلم أي كذبوكم بقولهم: ﴿سبحانك ما كان ينبغي لنا﴾. **قوله:** (والشرط وإن عمّ)

فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقًا وهو التوبة والإحباط بالطاعة إجماعًا وبالعفو عندنا. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ أي إلا رسلاً إنهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه وأقيمت الصفة مقامه كقوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤] ويجوز أن يكون حالاً اكتفى فيها بالضمير وهو جواب لقولهم: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق. وقرىء «يمشون» أي يمشيهم حوائجهم أو الناس. ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ ابتلاء. ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالأغنياء والمرسلين وبالمرسل إليهم وبمناصبتهم لهم العداوة وإيذائهم لهم. وهو تسلية لرسول الله ﷺ على ما

جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على القطع بوعيد العصاة وأهل الكبائر بأن قالوا: قوله تعالى: ﴿ومن يظلم﴾ يعم الكافر والفاسق لأن كل واحد منهما ظالم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] ولقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١] فثبت بهذه الآية أن الفاسق لا يعفى عنه بل يعذب. وتقرير الجواب ظاهر. والمراد بالإحباط بالطاعة أن يزيل ذلك الظلم بطاعة هي أعظم من ذلك الظلم، فلما كان اقتضاء هذا الشرط للجزاء المذكور مقيدًا بأن لا يوجد ما يزيل ذلك الظلم فلم لم تقولوا إنه لم يوجد ما يزيله حتى قطعتم بتعذيبه؟ **قوله**: (إلا رسلاً إنهم) يعني كسرت همزة «إنهم» لوقوعها في صدر جملة وقعت صفة لموصوف محذوف. واعلم أن في الآية حذفين والتقدير: وما أرسلنا قبلك أحدًا من المرسلين إلا رسلاً إنهم يأكلون الطعام فحذف «أحدًا» وأقيمت صفته وهي من «المرسلين» مقامه. وكذا حذف «رسلاً» وأقيمت الجملة التي بعده مقامه وجاز استثناء رسلاً من أحد لأنه في معنى الجمع كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧] ويجوز أن تكون الجملة التي بعد «إلا» حالاً من أعم الأحوال والتقدير: وما أرسلنا قبلك أحدًا من المرسلين في حال من الأحوال إلا وهم يأكلون، إلا أنه اكتفى فيها بالضمير عن الواو. **قوله**: (وهو جواب لقولهم) يعني أنه احتجاج عليهم في قولهم: ﴿مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٧] ونقض له بحال الرسل جميعًا، كأنه قيل: لو كان موافقة الرسل المرسل إليهم في الأحوال منافيًا لوجب أن لا يكون أحد من المرسلين قبلك رسولاً يأكل، وهو باطل فإذا لم يكن ذلك منافيًا لرسالتهم لم يكن منافيًا لرسالتك أيضًا فإنك لا تكون بدعًا منهم. وقرىء «يمشون» بضم الياء وفتح الشين المشددة ولو قرىء «يمشون» بضم الشين على بناء الفاعل لتكثر المشي لكان له وجه لولا أن الرواية بالفتح. يقال: نصبت لفلان نصبًا إذا عاديته وناصبته الحرب مناصبة أي شاركته في المحاربة والمعاداة. قيل: قوله تعالى: ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ تسلية له عليه السلام

قالوه بعد نقضه. وفيه دليل على القضاء والقدر. ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ علة للجعل والمعنى: وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم أيكم يصبر. ونظيره قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] أو حث على الصبر على ما افتتنوا به. ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ بمن يصبر أو بالصواب فيما يبتلي به وغيره.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ لا يأملون ﴿لِقَاءَنَا﴾ بالخير لكفرهم بالبعث أو لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة. وأصل اللقاء الوصول إلى الشيء ومنه: الرؤية فإنه

على ما قالوا: ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام﴾ مع احتجاجه عليهم بسائر الرسل كأنه قيل: لا تتأذ بقولهم: فإنّا جعلنا بعض الناس بلاء لبعض كما ابتلى أشراف الناس بأسًا فلهم، وذوو أنسابهم بمواليهم وسلاطينهم برعاياهم وبالعكس، ورؤساء المشركين بفقراء الصحابة. فإنه إذا أراد الشريف أن يسلم ورأى الوضيع قد أسلم قبله أنِف أن يسلم وقال: لا أسلم بعده فيكون له على السباقة والفضل، فيقيم على كفره. وهو افتتان بعضهم ببعض ودليله قوله: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١] فلا عجب من أن يبتلي المرسلون بالمرسل إليهم بأنواع أذاهم وأن يبتلي المرسل إليهم بالمرسلين حسدًا لهم ويأسًا من كونهم مكلفين بالخدمة وبذل النفس والمال بعد أن كانوا رؤساء مخدومين. قوله: (وفيه دليل على القضاء) أي في قوله تعالى: ﴿وجعلنا﴾ دليل على أن الكائنات كلها واقعة بقضاء الله وقدره فإنه لا شك أن المراد منه وحكمنا في الأزل أن يكون بعضكم فتنة لبعض، فالذي حكم الله تعالى عليه بذلك وعلم ذلك منه وأثبته في اللوح المحفوظ وأطلع عليه الملائكة يجب أن يقع في أوقات حدوثه على وفق ما تعلق به العلم الأزلي وإلا لصار العلم جهلاً ولصارت الكتابة المثبتة في اللوح المحفوظ باطلة ولصار اعتقاد الملائكة جهلاً، وكل ذلك محال، وما يستلزم المحال محال. فثبت مسألة القضاء والقدر والقضاء هو الإرادة الأزلية والعناية الإلهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق تلك الإرادة بالأشياء في أوقاتها.

قوله: (علة للجعل) يعني أن الفتنة بمعنى الابتلاء والامتحان والاختبار، فجعل البعض فتنة للبعض معناه جعله سببًا لامتحان البعض بالبعض الآخر. فكان تعلق ﴿أتصبرون﴾ بقوله: ﴿فتنة﴾ بمنزلة تعلق قوله: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] فكما أن المعنى ثمة ابتليناكم بالتكليف لنعلم أيكم أحسن عملاً، فكذا المعنى ههنا جعلنا بعضكم فتنة لبعض لنعلم أيكم أحسن صبرًا، فكان خلاصة المعنى فاصبروا أيها المكلفون على إيذاء بعضكم بعضًا. فصبروا فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا﴾ [المؤمنون: ١١١]. **قوله تعالى:** (وكان ربك بصيرًا) أي عالمًا بمن يصبر وبمن يجزع، فهو تبشير وإنذار للفريقين. وقيل: عالمًا بالصواب فيما يبتلي به الخلق وغيره فلا يضيقن صدرك يا محمد. **قوله:** (ومنه الرؤية) أي

وصول إلى المرئي. والمراد به الوصول إلى جزائه. ويمكن أن يراد به الرؤية على الأول. ﴿لَوْلَآ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ فيخبروننا بصدق محمد. وقيل: فيكونون رسلاً إلينا ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فيأمرنا بتصديقه واتباعه. ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي في شأنها حتى أرادوا لها ما يتفق للأفراد من الأنبياء الذين هم أكمل خلق الله في أكمل أوقاتها وما هو أعظم من ذلك. ﴿وَعَتَوْ﴾ وتجاوزوا الحد في الظلم.

﴿عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾ بالغًا أقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فأعرضوا عنها واقترحوا لأنفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح النفوس القدسية. واللام جواب قسم محذوف وفي الاستئناف بالجملة حسن وإشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله:

وجارة جساس أبأنا بنابها كليبًا غلت ناب كليب بواؤها

ومن وجوه الوصول إلى الشيء وطرقه رؤيته فإن مسمى اللقاء جنس تحته أنواع بأحد أنواعه الرؤية ونوعه الآخر الاتصال والمماسة واللقاء بهذا المعنى يمتنع أن يتعلق بذاته تعالى، فتعين أن يكون المراد الوصول إلى جزائه ورؤية ذاته على تقدير أن يفسر قوله: ﴿لا يرجون لقائنا﴾ لا يأملون لقاءنا بالخير. وهذه الآية إشارة إلى شبهة رابعة لمنكري نبوته وهي قولهم: لو كان نبيًا لأنزل الله ملائكة يشهدون أنه صادق في دعوى النبوة أو نرى ربنا حتى يخبرنا بأنه أرسله إلينا لأن هذا الطريق أحسن وأقوى في الإفضاء إلى الإيمان وتصديقه، ولما لم يفعل ذلك علمنا أنه تعالى ما أراد تصديقه. **قوله**: (أبأنا بنابها كليبًا) أي قتلنا بمقابلة نابها كليبًا وهو رئيس تغلب بن وائل يقال: أبأت فلانًا بفلان إذا قتلته به وجعلته كفؤًا له. والناب المسنة من النوق. وجساس رئيس بكر بن وائل وجارته امرأة اسمها بسوس يقال إنها خالة جساس. رأى كليب بن وائل يومًا ناقة تلك المرأة في حماه وقد كسرت بيض طير كان قد أجاره فرمى ضرعها بسهم فقتلها فشكت بسوس إلى جساس فقال جساس لجارته: لنقتلن غدًا فحلاً هو أعظم من ناقتك. فبلغ ذلك كليبًا فظن أنه فحله الذي يسمى عليان فقال كليب: دون عليان خرط القتاد، وكان جساس أراد بالفحل نفس كليب فقتل جساس كليبًا بدل تلك الناقة. فهاجت بذلك حرب بكر وتغلب بن وائل أربعين سنة حتى ضرب بها المثل في الشؤم. وقيل: اشأم من بسوس. وسميت تلك الحرب حرب البسوس وضرب المثل في عزة الشيء. وقيل: أعز من حمى كليب. والبواء الكفؤ واستأنف بقوله: غلت ناب كليب بواؤها لقصد التعجب والمعنى: ما أغلى نابًا بواؤها كليب. وكذا معنى الآية ما أشد استكبارهم وما أكثر عتوهم. ثم إنه تعالى أجاب عن قولهم: ﴿لولا أنزل علينا الملائكة﴾ بقوله: ﴿يوم يرون الملائكة﴾ فبيّن أن الذي طلبوه سيوجد ولكنهم يلقون منه ما يكرهون.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾ ملائكة الموت أو العذاب و«يوم» نصب «باذكر» أو بما دل عليه. ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ فإنه بمعنى يمنعون البشرى أو يعدمونها و«يومئذ» تكرير أو خبر و«للمجرمين» تبيين أو خبر ثانٍ أو ظرف لما تعلق به اللام أو «لبشرى» إن قدرت منونة غير مبنية مع «لا» فإنها لا تعمل، و«للمجرمين» إما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت آخر. وإما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلاً على جرمهم وإشعارًا بما هو المانع للبشري والموجب لما يقابلها. ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ عطف على المدلول أي ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبًا من الله أن يمنع لقاءهم، وهي مما كانوا يقولون عند لقاء عدو أو هجوم مكروه. أو يقولها الملائكة

قوله: (ويوم نصب باذكر) فيكون ﴿لا بشرى﴾ استئنافًا أو معمولاً لقول مضمر أي اذكر يوم يرون الملائكة يقولون لا بشرى، وجملة القول حال من «الملائكة». **قوله:** (أو بما دل عليه لا بشرى) ولا يجوز أن يعمل فيه نفس البشرى لوجهين: أحدهما أنه مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله والثاني أنها منفية بـ «لا» وما بعد «لا» لا يعمل فيما قبلها ويومئذ تكرير ليوم يرون إما على أنه تأكيد لفظي له وإما على أنه بدل منه. ويحتمل أن يكون «يومئذ» خبر «لا بشرى» والعامل فيه محذوف ويكون «للمجرمين» بيانًا لقوله: «لا بشرى» لما فيه من الإبهام أو خبرًا ثانيًا له. **قوله:** (أو ظرف) عطف على قوله: «تكرير» أي ويحتمل أن يكون «يومئذ» ظرفًا لما تعلق به اللام أو لبشرى إذا جعلتها غير مبنية فإن المبنية لا تعمل. **قوله:** (وللمجرمين إما عام يتناول حكمه حكمهم) أي حكم الذين لا يرجون لقاءنا من طريق البرهان بأن يقال: إن الذين لا يرجون لقاءنا مجرمون والمجرمون لا بشرى لهم، فالذين لا يرجون لقاءنا لا بشرى لهم. **قوله:** (ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين حينئذ) أي حين يرون الملائكة عند الموت أو يوم القيامة. نفى البشرى بالعفو والشفاعة جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على القطع بوعيد الفساق وعدم العفو والشفاعة، وذلك أن قوله: ﴿لا بشرى يومئذ للمجرمين﴾ نكرة في سياق النفي فتعم جميع أنواع البشرى في جميع الأوقات وشفاعة الرسول لهم من أعظم البشرى، فوجب أن لا يثبت ذلك لأحد من المجرمين. **قوله:** (عطف على المدلول) أي على الفعل الذي يدل عليه «لا بشرى» وهو يمنعون البشرى بالجنة أو يعدمونها وقولهم: ﴿حجرًا محجورًا﴾ كلمة تقال عند لقاء عدو أو هجوم مكروه ونحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة. و «حجرًا» من المصادر التي التزم إضمار ناصبها ولا يتصرف فيه نحو: معاذ الله وقعدك الله وعمرك أي أعوذ بالله معاذًا يقال: عذت بفلان واستعذت به أي لجأت إليه وهو عياذي أي ملجئي، وقعدك الله وعمرك الله أي

بمعنى حرامًا محرمًا عليكم الجنة أو البشرى. وقرىء «حجرًا» بالضم وأصله الفتح غير أنه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجورًا للتأكيد كقولهم: موت مائت.

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ أي وعمدنا إلى ما عملوا في كفرهم من المكارم كقري الضيف وصلة الرحم وإغاثة الملهوف، فأحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم وأعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم إلى أسبابهم فمزقها وأبطلها ولم يبق لها أثرًا. والهباء غُبار يُرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثورًا صفته. شبه به عملهم المحيط في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه في انتشاره بحيث لا يمكن نظمه أو تفرقه نحو أغراضهم التي كانوا يتوجهون به نحوها. أو مفعول ثالث من حيث إنه كالخبر بعد الخبر كقوله: ﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥] ﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ مكانًا يستقر فيه في

عمرك الله تعميرًا وقعدك الله تقعيدًا، حذف زوائد المصدر وأقيم مقام الفعل مضافًا إلى المفعول. و «حجرًا» مصدر حجره إذا منعه لأن المستعيذ طالب من الله أن يمنع المكروه ولا يلحقه به، والمعنى: نسأل الله أن يمنعه منعًا ويحجره حجرًا. والعامة على كسر الحاء. وقرىء بضمها وهي لغة فيه. وحكى أبو البقاء فيه لغة ثالثة وهي فتح الحاء وقد قرىء به.

قوله: (وأصله الفتح غير أنه لما اختص بموضع مخصوص) وهو موضع الانتصاب على المصدرية لفعل مضمر أمن فيه من الالتباس وقوله: «غير» جواب لما اختص و «محجوراً» صفة مؤكدة للمعنى كقولهم: ليل لائل وموت مائت. قوله: (وعمدنا إلى ما عملوا) لما لم يجز إسناد حقيقة القدوم إليه تعالى لكون القدوم عبارة عن مجيء المسافر بعد مدة وذلك يكون بالحركة التي هي من خواص الأجسام ومقتضية لحدوث الموصوف بها، ولذلك استدل الخليل بأفول الكواكب على حدوثها. وقد ثبت أنه تعالى منزه عن الجسمية والحدوث ولذلك أول قوله تعالى: ﴿وقدمنا﴾ بقوله: و «عمدنا» فإن القصد هو المؤثر في القدوم فأطلق اسم المسبب على السبب فيكون المجاز في المفرد. وليت شعري كيف احتيج إلى اعتباره مع جعله من تشبيه الهيئة بالهيئة كما صرح به حيث قال: «وهو تشبيه حالهم بحال قوم» وفي مثله تكون المفردات مستعملة في معانيها الأصلية وإنما التصرف في المعنى التركيبي. والظاهر أنه ليس مراد المصنف بقوله: «أي وعمدنا» جعل القدوم مجازًا عن العمد بل يريد به أن يعبر عن الهيئة المشبهة التي جعل نظم الآية مجازًا عنها. قوله: (أو مفعول ثالث) عطف على قوله: «صفته» وأراد أن ﴿منثورًا﴾ لما كان بمنزلة خبر ثانٍ كان الخبر مع

أكثر الأوقات للتجالس والتحادث ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ مكانًا يؤوى إليه للاسترواح بالأزواج والتمتع بهن تجوزًا له من مكان القيلولة على التشبيه. أو لأنه لا يخلو من ذلك غالبًا إذ لا نوم في الجنة وفي أحسن رمزٍ إلى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين. ويحتمل أن يراد بأحدهما المصدر أو الزمان إشارة إلى أن مكانهم وزمانهم أطيب ما يتخيل من الأمكنة والأزمان. والتفضيل إما لإرادة الزيادة مطلقا أو بالإضافة إلى ما للمترفين في الدنيا. روي أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار. ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ﴾ أصله «تتشقق» فحذف التاء وأدغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب ﴿بِٱلْغَمَٰمِ﴾ بسبب طلوع الغمام منها. وهو الغمام المذكور في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾

المفعول الأول الذي هو في الأصل مبتدأ بمنزلة ثلاثة مفاعيل وإلا فجعل سواء كان بمعنى خلق أو صير لا يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل. ثم إنه تعالى لما بيّن حال الكفار في الخسار الكلي والخيبة التامة شرح وصف أهل الجنة تنبيهًا على الحظ كل الحظ في طاعة الله فقال: مستقر أهل الجنة خير من مستقر أهل النار وكذا مقيلهم خير من مقيلهم. فإن قيل: كيف يكون مستقر أهل الجنة خيرًا من مستقر أهل النار مع أنه لا خير في النار إذ لا يقال: العسل أحلى من الخل؟ فالجواب أنه من قبيل التقريع والتهكم كما في قوله: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ﴾ **[الفرقان: ١٥] ولما دلت الآية على أن مستقر أهل الجنة غير مقيلهم فسر المستقر بالمكان الذي يستقر فيه في أكثر الأوقات والمقيل بالمكان الذي يؤوى إليه للتمتع بالأزواج. قوله: (إذ لا نوم في الجنة) لأن أهلها أبدًا في نعيم يعرفونه كما أن أهل النار أبدًا في عذاب يعرفونه فلا نوم لواحد منهما. قوله: (وفي أحسن رمز إلى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور)** أي حسن صور أزواجهم من الحور العين. والتحاسين جمع تحسين مصدر حسن سمي به ما يحسن به الشيء من الزخارف كالتصانيف والتضاعيف سمي به تصاريف الزمان وأثناء الشيء. **قوله تعالى: (ويوم تشقق) العامل في «يوم» إما «اذكر» أو الفعل المقدر المدلول عليه بقوله تعالى:** ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ **[الفرقان: ٢٦] تقديره تفرد الله بالملك يوم تشقق. قرأ الكوفيون وأبو عمرو «تشقق» بتخفيف الشين، والباقون بتشديدها. وأصل القراءتين «تتشقق» حذف الأولون إحدى التاءين للتخفيف، والباقون أدغموا تاء التفعل في الشين لما بينهما من المقاربة. وهذه الآية مرتبطة أيضًا بما اقترحوه من إنزال الملائكة فبيّن الله تعالى أن ذلك يحصل في يوم له صفات منها أن السماء تتشقق في ذلك اليوم، ومنها ما ذكره بقوله تعالى:** ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ **[الفرقان: ٢٧]. قوله: (بسبب طلوع الغمام منها) يعني أن الباء في قوله: ﴿بالغمام﴾ سببية فإن طلوع الغمام منها سبب لانشقاقها،**

[البقرة: ٢١٠] ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ۝٢٥﴾ في ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد. وقرأ ابن كثير و«ننزل الملائكة» وقرىء و«نزلت» و«أنزل» و«نزل» و«ننزل» و«نزل» الملائكة بحذف نون الكلمة.

كما تقول: تشققت الأرض بالنبات، لكون طلوع النبات منها سببًا لتشققها. وليس طلوع الغمام والنبات آلة للانشقاق لأن آلة الفعل يتقدم وجودها على وجود الفعل، وليس الطلوع متقدمًا على الانشقاق في الوجود حتى يكون آلة له إلا أنه شبه بالآلة في كونه سببًا للفعل. والمعنى: إن السماء تفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة عليهم الصلاة والسلام ينزلون وفي أيديهم صحائف أعمال العباد. وقيل: الباء فيه للحال أي ملتبسة بالغمام أو عليها غمام كما يقال: ركب الأمير بسلاحه وخرج بثيابه أي وعليه سلاحه وثيابه. وقيل: الباء هنا بمعنى «عن» أي عن الغمام ومعنى انشقت الأرض عن النبات أن التربة ارتفعت عنه عند طلوعه وكذا في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ [ق: ٤٤] فتشقق السماء عن الغمام بأن تزول السماء فيبقى الغمام فوق رؤوس الخلائق يظلهم. قال الإمام النسفي: الغمام فوق السمٰوات السبع وهو سحاب أبيض غلظه كغلظ السمٰوات السبع ويمسكه الله تعالى اليوم بقدرته وهو أثقل من السمٰوات، فإذا أراد الله أن يشق السمٰوات ألقى ثقله عليها فانشقت فذلك قوله تعالى: ﴿تشقق السماء بالغمام﴾ أي بثقل الغمام. فيظهر إلى هنا كلامه. فعلى هذا يحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] معناه أن يأتيهم بظلل من الغمام فإن الباء و«في» يتعاقبان كثيرًا. وروي في الخبر أنه تشقق سماء الدنيا فتنزل ملائكة سماء الدنيا بمثلي من في الأرض من الجن والإنس فيقولون لهم الخلق: أفيكم ربنا يعنون هل جاء أمر ربنا بالحساب فيقولون: لا وسوف يأتي. ثم ملائكة السماء الثانية بمثلي من في الأرض من الملائكة والإنس والجن، ثم تنزل ملائكة كل سماء على هذا التضعيف حتى تنزل ملائكة سبع سمٰوات. ثم ينزل الأمر بالحساب فذلك قوله تعالى: ﴿يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً﴾ إلا أنه قد ثبت أن الأرض بالقياس إلى سماء الدنيا كحلقة في فلاة فكيف بالقياس إلى الكرسي والعرش وكيف تسع الأرض كل هؤلاء الملائكة والعلم عند الله تعالى.

قوله: (وقرأ ابن كثير وننزل الملائكة) أي بنونين ثانيتهما ساكنة مضارع أنزل من الإنزال ونصب «الملائكة» على أنه مفعول به فكان من حق المصدر في هذه القراءة أن يجيء على الإنزال، إلا أنه لما كان أنزل ونزل بمعنى واحد أقيم مصدر أحدهما مقام مصدر الآخر مثل قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨] وقرأ الباقون من السبعة و«نزل» بضم النون وكسر الزاي المشددة وفتح اللام ماضيًا مبنيًا للمفعول ورفع «الملائكة» لقيامه مقام الفاعل.

﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ الثابت له لأن كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى إلا ملكه فهو الخبر و«للرحمٰن» صلته أو تبيين و«يومئذ» معمول الملك لا الحق لأنه متأخر أو صفة والخبر «يومئذ» أو «للرحمٰن» ﴿وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ٢٦﴾ شديدًا. ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ﴾ من فرط الحسرة وعض اليدين وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لأنها من رواد فهما. والمراد بالظالم الجنس. وقيل: عقبة بن أبي معيط كان يكثر مجالسة النبي عليه الصلاة والسلام فدعاه إلى ضيافته فأبى أن يأكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل. وكان أبيّ بن خلف صديقه فعاتبه وقال: صبأت. فقال: لا ولكن أبى أن يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له. فقال: لا أرضى منك إلا أن تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه. فوجده ساجدًا في دار الندوة ففعل ذلك فقال ﷺ: «لا ألقاك خارجًا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف» فأسر يوم بدر فأمر عليًا فقتله وطعن أبيًا بأحد في المبارزة فرجع إلى مكة ومات.

وقرىء و«نزلت» بالتشديد مبنيًا للمفعول. وقرىء و«أنزل» و«نزل» كل واحد منهما على الفاعل وهو الله تعالى فعدى الفعل تارة بالهمزة وتارة بالتضعيف. وقرىء «أنزل» على بناء المفعول أيضًا. وقرىء و«نزل» بالفتحات الثلاث مخففًا مبنيًا للفاعل وهو «الملائكة» وقرىء و«نزل الملائكة» بضم النون وتشديد الزاي ونصب الملائكة والأصل بنونين حذفت إحداهما.
قوله: (فهو الخبر) يعني أن «الملك» مبتدأ و«يومئذ» ظرف معمول له و«الحق» خبره و«للرحمٰن» متعلق بالحق. والمعنى: الملك يوم تشقق السماء هو الملك الثابت للرحمٰن، أو متعلق بمحذوف على التبيين فيتم الكلام عند قوله: «الحق». **قوله:** (أو صفة) عطف على الخبر في قوله: «فهو الخبر». ويحتمل أن يكون «الحق» صفة للمبتدأ و«للرحمٰن» خبره و«يومئذ» من صلة المبتدأ أو من صلة الخبر، ولا يجوز أن يكون من صلة الحق لأن ما كان في حيز المصدر لا يتقدم عليه. ويحتمل أن يكون الخبر «يومئذ» و«الحق» نعت «للملك» و«للرحمٰن» متعلق بالحق أو بمحذوف على التبيين كما مر. وعض اليد كناية عن الغيظ. وقيل: المراد به حقيقة العض والأكل فمعنى قوله: ﴿يعض الظالم﴾ أنه يأكل يديه إلى المرفقين ثم تنبتان فلا يزال هكذا كلما نبتت يداه أكلهما ندامة على ما فعل وقوله تعالى: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه﴾ منصوب به. ثم إن كان تعريف الظالم للعهد وكان المعهود عقبة بن أبي معيط يكون قوله: «فلانًا» كناية عن شخص معين وهو أبي بن خلف وكان يتمنى عقبة يوم القيامة أن لا يتخذ أبيًا خليلاً في الدنيا. وإن كان التعريف فيه للجنس أو الاستغراق يكون كناية عن كل من أطاع في معصية الله تعالى. روى الضحاك أنه قال: لما بزق عقبة في وجه رسول الله ﷺ عاد بزاقه في وجهه فاحترق خده فكان أثره فيه حتى

﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾﴾ طريقًا إلى النجاة أو طريقًا واحدًا، وهو طريق الحق ولم يتشعب بي طرق الضلالة. ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ﴾ وقرىء بالياء على الأصل. ﴿لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾﴾ يعني من أضله وفلان كناية عن الإعلام كما أن هنا كناية عن الأجناس. ﴿لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ﴾ عن ذكر الله أو كتابه أو موعظة الرسول أو كلمة الشهادة. ﴿بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ﴾ وتمكنت منه ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ يعني الخليل المضل أو إبليس لأنه حمله على مخالته ومخالفة الرسول أو كل من تشيطن من جن أو إنس. ﴿لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾﴾ يواليه حتى يؤديه إلى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه. فعولاً من الخذلان. ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ محمد يومئذ أو في الدنيا بثًا إلى الله. ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي﴾ قريشًا ﴿ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾﴾ بأن تركوه وصدوا عنه. وعنه ﷺ: «من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء

الموت. **قوله:** (يقول يا ليتني) **هذه الجملة حال من فاعل «يعض». قوله:** (طريقًا إلى النجاة أو طريقًا واحدًا) **يعني أن التنكير في قوله: «سبيلاً» إما للنوعية أو للإفراد وهو سبيل الحق. قوله:** (ولم يتشعب بي) **أي لم يفرقني يقال: شعبت الشيء إذا فرقته ويقال: التأم شعب بني فلان إذا اجتمعوا بعد التفرق. والباء في قوله: «بي» للتعدية. ومعنى تفريق طرق الضلال إياه أنه لما كان تارة في هذا الطريق من طرق الضلالة وتارة في تلك كان طرق الضلال كأنها فرقته. قوله:** (وقرىء بالياء على الأصل) **فإن أصل هذه اللفظة كسر التاء التي بعدها ياء صريحة فأبدلت الكسرة فتحة والياء ألفًا فرارًا من اجتماع الكسرة مع الياء. قوله:** (كما أن هنا كناية عن الأجناس) **يعني أن كل واحد من لفظي «فلان» و«هن» اسم وضع لأن يعبر به عن شيء إلا أن لفظ «فلان» يكنى به عن اسم علم شخص من العقلاء ولفظ «هن» يكنى به عن المسمى الذي يستهجن ذكره بالاسم الموضوع له لقبحه يقال: كانت بينهم هنات. ومن المعلوم أنه ليس المراد بالهنات الألفاظ وإنما يكنى بها عن أشياء قبيحة ولذلك يكنى به عن نفس الفرج لا عن لفظ الفرج. قوله:** (يعني الخليل المضل) **يعني أن خليله يسمى شيطانًا لأن فعله فعل الشيطان وهو الإضلال وكلام الظالم تم عند قوله:** ﴿بعد إذ جاءني﴾ **ثم قال الله:** ﴿وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾ **حيث تبرأ في الآخرة من نصرة من أضله في الدنيا. ويجوز أن يكون هذا الكلام من قول الظالم كالكلام الذي قبله يقوله حين يخذله الشيطان أو خليله ولم ينفعه في الآخرة. ثم أخبر الله عن شكوى رسوله قومه إليه بقوله:** ﴿وقال الرسول يا رب﴾ **وهذه الشكوى وقعت منه عليه الصلاة والسلام في الدنيا حين أكثروا من الاعتراضات الفاسدة ووجوه التعنت. وقيل: إنه عليه الصلاة والسلام يقوله في الآخرة شهادة**

يوم القيامة متعلقًا به ويقول: يا رب عبدك هذا اتخذني مهجورًا افض بيني وبينه». أو هجروا فيه ولغوا فيه إذا سمعوه، أو زعموا أنه هجروا أساطير الأولين فيكون أصله مهجورًا فيه فحذف الجار. ويجوز أن يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول. وفيه تخويف لقومه لأن الأنبياء إذا شكوا إلى الله قومهم عجل لهم العذاب. ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا. وفيه دليل على أنه خالق الشر والعد. ويحتمل الواحد والجمع. ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ إلى طريق قهرهم ﴿وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ لك عليهم.

على من كذبه وعصاه. وليس المقصود من حكاية هذا القول للمخاطب وهو الرسول الإخبار والإعلام لأن كل واحد من فائدة الخبر ولازمها معلوم له عليه الصلاة والسلام، بل المقصود منها تعظيم لشكايته وتخويف لقومه لأن الأنبياء إذا التجأوا إلى الله تعالى وشكوا قومهم حل بهم العذاب ولم يمهلوا.

قوله: (أو هجروا فيه) **أي ويحتمل أن لا يكون قوله: ﴿مهجورًا﴾ من الهجر الذي هو ضد الوصل بل يكون من الهجر بالضم بمعنى الهذيان، فإنه كما يقال: هجره هجرًا وهجرانًا إذا تركه وصد عنه يقال أيضًا: هجر المريض هجرًا إذا هذى في منطقة. ثم إنه على تقدير كونه من الهجر بهذا المعنى يحتمل معنيين: الأول أنهم هجروا ولغوا فيه إذا سمعوه بأن يخلطوا هجرهم به ليبقى غير مفهوم على السامعين، والثاني أنهم زعموا أنه هذيان وهجر وأساطير الأولين، وهذا كما لو نقل إليك كلام فقلت: هجر فيه أي هذى قائله في هذه المقالة. وعلى كل واحد من المعنيين يكون أصله مهجورًا فيه لأن هجر بمعنى هذى لازم لا يجيء منه اسم المفعول ما لم يعد بحرف الجر، لأن الهجر بمعنى الإهجار هو التكلم بالهجر وهو كلام فاسد لا طائل فيه ولا معنى له، فظاهر أنه لا يستدعي المفعول. ويجوز أن لا يكون المهجور اسم مفعول بل يكون مصدرًا بمعنى الهجر أطلق على القرآن على طريق التسمية بالمصدر كالمجلود والمعقول والمردود بمعنى الجلد والعقل والرد، والمعنى على هذا: جعلوا قراءة القرآن والتكلم به هجرًا. ثم إنه عليه الصلاة والسلام لما شكا إليه تعالى قومه قال الله تعالى تسلية له ﴿وكذلك جعلنا﴾ أي وكما جعلنا قومك يعادونك ويكذبونك جعلنا ﴿لكل نبي عدوًا﴾ وهذا صريح من أن تلك العداوة كانت بجعل الله وتلك العداوة كفر فثبت به أنه تعالى خالق الخير والشر جميعًا وليس للعبد حصة من الخلق أصلاً. ثم إنه تعالى حكى عن منكري النبوة شبهة أخرى وهو قول أهل مكة: تزعم أنك رسول من عند الله هلا تأتينا بالقرآن جملة واحدة كما أتى كل واحد من موسى وعيسى وداود عليهم الصلاة والسلام. وقوله: «جملة» حال من القرآن إذ هي في**

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ أي أنزل عليه كخبر بمعنى: اخبر لئلا يناقض قوله: ﴿جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ دفعة واحدة كالكتب الثلاثة. وهو اعتراض لا طائل تحته لأن الإعجاز لا يختلف بنزوله جملة أو متفرقًا مع أن للتفريق فوائد منها ما أشار إليه بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ أي كذلك أنزلناه مفرقًا لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه، لأن حاله بخلاف حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان أميًا وكانوا يكتبون، فلو ألقى إليه جملة تعنى بحفظه ولعله لم يستتب له، فإن التلقف لا يتأتى إلا شيئًا فشيئًا ولأن نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى. ولأنه إذا أنزل منجمًا وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه. ولأنه إذا نزل به جبرائيل حالاً بعد حال يتثبت به فؤاده. ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ، ومنها انضمام القرائن الحالية إلى الدلالات اللفظية فإنه يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف والإشارة إلى إنزاله مفرقًا فإنه مدلول عليه بقوله: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً﴾ [الفرقان: ٣٢] ويحتمل أن يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون

معنى «مجتمعًا». **قوله:** (أي كذلك أنزلناه مفرقًا) يريد أن الكاف منصوبة المحل على الحال من مفعول فعل مقدر أو على الوصفية لمصدر فعل محذوف. ويحتمل أن تكون مرفوعة المحل على الابتداء أي الأمر كذلك ويكون قوله: ﴿لنثبت﴾ علة لمحذوف أي لنثبت فعلنا ذلك وهو جواب عن شبهتهم. **قوله:** (ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ) فإنه لو نزل جملة واحدة ولم يتقدم بعض الآي على بعض في النزول لم يعلم أيها ناسخة وأيها منسوخة، وأما إذا نزلت منجمة فحينئذ يعلم أن ما تأخر نزوله ناسخ للمتقدم. ولأنه إذا نزل مفرقًا بحسب أسئلتهم والوقائع الواقعة بهم حصل فائدة جليلة لا تحصل على تقدير نزوله دفعة واحدة. فإنه لو نزل دفعة واحدة لما حصل إلا الدلالات اللفظية وفصاحة الألفاظ الدالة على المدلولات بخلاف ما إذا نزل نجومًا فإنه ينضم إليها حينئذ القرائن الحالية ورعاية مقتضى كل واقعة وحال، ولا شك أن انضمامها إليها يعين على البلاغة. وبالجملة إنزال القرآن مفرقًا منجمًا فضيلة خص بها نبينا من بين سائر النبيين فإن المقصود من إنزاله أن يتخلق قلبه المنير بخلق القرآن ويتقوى بنوره ويتحلى بحقائقه وعلومه، وهذه الفوائد إنما تكمل بإنزاله منجمًا حالاً بعد أخرى. ألا ترى أن الماء لو نزل من السماء جملة واحدة لما كانت تربية الزروع به مثلها إذا نزل مفرقًا إلى أن يستوي الزرع؟ **قوله:** (ويحتمل أن يكون من تمام كلام الكفرة) كأنهم قالوا: لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة كنزول الكتب الثلاثة، فيكون قوله: ﴿لنثبت﴾ متعلقًا بمحذوف تقديره: أنزلناه مفرقًا لنثبت، كما يتعلق به على تقدير أن يكون من كلام الله تعالى. وقوله: ﴿ورتلناه ترتيلاً﴾ معطوف على ذلك المحذوف الذي تعلقت اللام به.

حالاً، والإشارة إلى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف. ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ وقرأناه عليك شيئًا بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين سنة. وأصله الترتيل في الأسنان وهو تفليجها. ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ سؤال عجيب كأنه مثل في البطلان يريدون به القدح في نبوتك. ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ الدامغ له في جوابه ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ وبما هو أحسن بيانًا أو معنى من سؤالهم، أو ولا يأتونك بحال عجيبة يقولون: هلا كانت هذه حاله، إلا أعطيناك من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو أحسن كشفًا لما بعثت له.

والترتيل التفريق ومجيء الكلمة بعد الأخرى بسكوت يسير دون قطع النفس. قال ابن عباس: ﴿ورتلناه ترتيلاً﴾ أي بيّناه بيانًا. وقال السدي: فصلناه تفصيلاً. وقال ابن الأعرابي: ما أعلم الترتيب إلا التحقيق والتبيين. وقيل: أمرناه بالترتيب في قراءته وذلك قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] أي اقرأه بترتيل وتثبت. قيل: معنى الترتيل حفظ الوقوف وأداء الحروف، ومنه حديث عائشة في صفة قراءة النبي ﷺ: «لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدها». ومحصول ما ذكره المصنف: أنزلنا بعضه بعد بعض وعلى أثر بعض بزمان يسير بينهما ولم ننزله مرة واحدة وهو معنى قوله: «ونزلناه تنزيلاً». ثم إنه تعالى لما فتح هذه السورة الكريمة بما يتضمن إثبات التوحيد والنبوة ثم أورد أباطيل المخالفين فيهما وردهم في كل واحدة من تلك الشبهات الباطلة والسؤالات الفاسدة، ختم الكلام بقوله: ﴿ولا يأتونك بمثل﴾ أي لا يأتونك بشبهة وسؤال من جنس الشبهات المذكورة الواضحة البطلان كأنها مثل يمثل بها ﴿إلا جئناك بالحق﴾ الذي يدمغ ما جاؤوا به من المثل ويبطله كقوله تعالى: ﴿نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨] سمي ما يوردونه من الشبه مثلاً وما يدفع به الشبهة حقًا وقوله: ﴿إلا جئناك بالحق﴾ استثناء مفرغ والجملة في محل النصب على الحال أي لا يأتونك بمثل في حال من الأحوال إلا في حال إتياننا إليك بالحق وبما هو أحسن بيانًا لما هو الحق والصواب ومقتضى الحكمة. **قوله:** (أو معنى) على أن يكون التفسير وهو إظهار المعنى وبيانه مجازًا مرسلاً عن نفس المعنى المبين. أطلق اسم التفسير والبيان على المعنى لما بينهما من العلاقة فإن كل واحدة من الشبهات التي أوردوها قدحًا في نبوته لا معنى لها ولا نفع فيما هم بصدده، وما جاء الله به في دفعه وجوابه أحسن بيانًا لما هو الحق والصواب ومقتضى الحكمة أي أحسن معنى وأصلح جوابًا وردًا من سؤالهم الذي لا نفع لهم فيه. وحاصل الجواب على هذا الوجه أنهم كلما سألوا سؤالاً عجيبًا أجبنا عنه بجواب هو أحسن من سؤالهم، مثلاً أنهم سألوا عن إنزاله جملة واحدة لم لم يكن؟ فأجبنا بأنّا أنزلناه مفرقًا لنثبت به فؤادك وهو أحسن معنى ومؤدى لما فيه من بيان الحكمة ولا نفع

﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ أي مقلوبين أو مسحوبين إليها، أو متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم إليها. وعنه عليه السلام: «يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف: صنف على الدواب وصنف على الأقدام وصنف على الوجوه». وهو ذم منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٣٤﴾﴾ والمفضل عليه هو الرسول عليه السلام على طريقة قوله: ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ﴾ [المائدة: ٦٠] كأنه قيل: إن حاملهم على هذه الأسئلة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا أنهم شر مكانًا وأضل سبيلاً. وقيل: إنه متصل بقوله: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ

لهم من سؤالهم أصلاً. والمعنى على الوجه الثاني: كلما يأتونك بصفة عجيبة قائلين لم لم تكن على هذه الصفة؟ مع أنها هي المناسبة للنبوة وأظهر في الدلالة على أنك نبي جعلناك على صفة هي أشد مناسبة للنبوة ودلالة على أنك نبي حق. فإن قيل: قد ذكر أولاً أن السؤال مثل في البطلان فكيف يصح مع هذا أن يقال: الجواب أحسن منه؟ فإن الحسن ليس مشتركًا بينهما. فالجواب من وجهين: الأول لما كان السؤال حسنًا بزعمهم قيل الجواب أحسن من السؤال، والثاني أن مثل قولهم الصيف أحر من الشتاء يريدون به أن حر الصيف أشد من برد الشتاء. فعلى هذا معنى الآية أن الجواب في باب الحق والحسن أقوى وأدخل من سؤالهم في باب القبح والبطلان.

قوله: (أي مقلوبين أو مسحوبين إليها) الفرق بين الوجهين أن معنى الآية على الأول أن الذين يمشون إلى جهنم حال كونهم مقلوبين ووجوههم إلى القفا وأرجلهم إلى فوق. وقد روي ذلك عنه عليه أفضل الصلاة والسلام فإنه قد ورد في الأخبار أن رجلاً قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «إن الذي أمشاه على رجليه قادر أن يمشيه على وجهه». وعلى الثاني أن الذين يحشرون إليها حال كونهم مسحوبين أي مجرورين على وجوههم. وما ذكره من الحديث يؤيد هذا الوجه. وذكر في إعراب «الذين» ثلاثة أوجه: على أن يكون منصوبًا على الذم بتقدير أعني، ومرفوعًا على الذم أي على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين، وأن يكون مبتدأ وخبره أولئك شر مكانًا أي منزلاً ومصيرًا وأضل سبيلاً أي أخطأ دينًا وطريقًا. قوله: (والمفضل عليه هو الرسول) إشارة إلى أن الآية متصلة بقوله: ﴿ولا يأتونك بمثل﴾ فإن مقصودهم من إتيان ما هو كالمثل في البطلان تحقير منزلته ومكانه وقوله تعالى: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠] فأسلوب الآيتين واحد. قوله: (وقيل إنه متصل بقوله أصحاب الجنة يومئذ خير) من حيث إن ذلك في بيان أهل الجنة وحسن حالهم

مُسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٢٤] ووصف السبيل بالضلال من الإسناد المجازي للمبالغة ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ يوازره في الدعوة وإعلاء الكلمة. ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لأن المتشاركين في الأمر متوازران عليه ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾ يعني فرعون وقومه. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾ أي فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم. فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع. وقرىء «ودمرتهم» «فدمراهم» «فدمرانهم» على التأكيد بالنون الثقيلة. ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ﴾ كذبوا نوحًا ومن قبله أو نوحا وحده، ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل أو بعثة الرسل مطلقا

وهذا في صفة أهل النار وسوء مصيرهم ولم يرض به لأن قسيم أهل الجنة قد ذكر قبل ذلك. ثم إنه لما ذكر قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًا من المجرمين﴾ **اتبعه بذكر جماعة من الأنبياء وعرفه ما نزل بمن كذبهم من أممهم تسلية له عليه الصلاة والسلام وإبعادًا لقومه. كأنه قيل: لست أول نبي كذب بل كذب قبلك أنبياء مؤيدين بالآيات. ثم دمرنا مكذبيهم، فقال:** ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ **قال الزجاج: الوزير في اللغة هو الذي يرجع إليه ويعمل برأيه ويتحصن به، والوزر ما يعتصم به ومنه: كلا لا وزر أي لا منجى ولا ملجأ. قيل: ولذلك لا يوصف تعالى بأن له وزيرًا ولا بأنه وزير لأن الالتجاء إليه في المشاورة والرأي على هذا الحد لا يتصور. ولما ورد أن يقال: كون هارون وزيرًا كالمنافي لكونه شريكًا له في النبوة لأنه إذا صار شريكًا له خرج عن كونه وزيرًا أجاب عنه بقوله: «ولا ينافي ذلك مشاركته». قوله: (والتعقيب) جواب عما يقال: الفاء في قوله تعالى:** ﴿فدمرناهم﴾ **للتعقيب والإهلاك لم يحصل عقيب ذهاب موسى وهارون بل بعد مدة مديدة. والجواب أن فاء التعقيب محمولة ههنا على الحكم بالإهلاك لا على الوقوع. قوله: (وقرىء ودمرتهم) يعني أن العامة قرأوا «فدمرناهم» فعلاً ماضيًا على بناء المتكلم المعظم نفسه معطوفًا على محذوف أي فذهبا فكذبوهما** ﴿فدمرناهم تدميرًا﴾ **أي أهلكناهم إهلاكًا. وقرىء «فدمراهم» أمرًا لموسى وهارون. وقرىء أيضًا «فدمرانهم» كذلك ولكنه مؤكد بالنون الثقيلة. وقرىء أيضًا «فدمرابهم» بزيادة الباء الجارة بعد فعل الأمر وهي تشبه القراءة التي قبلها في الخط. قوله تعالى: (وقوم نوح) يجوز أن يكون منصوبًا عطفًا على مفعول «دمرناهم» وأن يكون منصوبًا بفعل مضمر يفسره قوله تعالى:** ﴿أغرقناهم﴾ **ويترجح هذا بتقدم جملة فعلية قبله. ويجوز أن يكون منصوبًا بفعل مقدر لا على سبيل الاشتغال أي اذكر قوم نوح. قوله:** (ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل) **لأن تكذيب الواحد منهم لا يمكن إلا بالقدح**

كالبراهمة. ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ بالطوفان ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ وجعلنا إغراقهم أو قصتهم ﴿لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ عبرة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعًا للظاهر موضع المضمر تظليمًا لهم.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ﴾ عطف على «هم» في «جعلناهم» أو على «الظالمين» لأن المعنى ووعدنا الظالمين. وقرىء «وثمود» على تأويل القبيلة. ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ قوم كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيبًا فكذبوه فبينا هم حول الرس وهي البئر الغير المطوية فانهارت فخسفت بهم وبديارهم. وقيل: الرس قرية عظيمة بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث إليهم نبي فقتلوه فهلكوا. وقيل: الأخدود. وقيل: بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيبًا النجار. وقيل: هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم الله بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ أو دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم إذا أعوزها الصيد ولذلك سميت مغربًا، فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم إنهم قتلوه فأهلكوا. وقيل: قوم كذبوا نبيهم ورسوه أي دسوه في بئر. ﴿وَقُرُونًا﴾ وأهل أعصار قيل: القرن أربعون سنة وقيل: سبعون وقيل: مائة وعشرون. ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر ﴿كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾ لا يعلمها إلا الله ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين إنذارًا وأعذارًا فلما أصروا أهلكوا كما قال: ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾ فتتناه تفتيتًا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة. و«كلا» الأول منصوب بما دل عليه «ضربنا» كأنذرنا والثاني «بتبرنا» لأنه فارغ عن الضمير ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا﴾ يعني قريشًا مروا مرارًا في متاجرهم

في العجز وذلك يقتضي تكذيب الكل، ولأنهم متفقون في أصول الدين فمن كذب واحدًا منهم في شيء من ذلك فقد كذب الكل فيه. قوله: (كالبراهمة) **فإنهم قوم من الهند منسوبون إلى واحد منهم اسمه برهام منكرون لكل الرسل وبعثتهم. قوله:** (عطف على هم) **لم يتعرض لكونه معطوفًا على قوم نوح لظهوره ومن صرف ثمود أوّله بالحي دون القبيلة، ومن جعله غير منصرف أوّله بالقبيلة.**

قوله: (مروا مرارًا) **تكرار المرور لا يفهم من هذه الآية، ولعله أخذ من قوله تعالى في سورة الصافات** ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝ وَبِالَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ **[الصافات: ١٣٧، ١٣٨] وفسر الإتيان بالمرور للإشارة إلى وجه تعدية «أتوا» بكلمة «على» فإنه يتعدى بنفسه وبكلمة «إلى» إلا أنه عدي بـ «على» لتضمنه معنى مروا وقوله:** ﴿مطر السوء﴾ **يحتمل أن يكون مصدرًا على حذف الزوائد أي أمطار السوء وأن يكون نعت مصدر محذوف أي أمطارًا مثل**

إلى الشام. ﴿عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾ يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط أمطرت عليها الحجارة. ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا﴾ في مرار مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من آثار عذاب الله. ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾ بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورًا ولا عاقبة، فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم. أو لا يأملون نشورًا كما يأمله المؤمنون طمعًا في الثواب، أو لا يخافونه على اللغة التهامية. ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ ما يتخذونك إلا موضع هزءًا ومهزوءًا به ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ محكي بعد قول مضمر والإشارة للاستحقار وإخراج

مطر السوء، وأضيف المطر إلى صفته لتدل على اختصاصه بها وأن ليس له صفة غيرها. **قوله:** (يعني سدوم) عن الليث: أنه بالدال المهملة. وقيل: إنه بالذال المعجمة. **قيل:** أراد بها عين القرية وكانت قرى قوم لوط خمسًا أهلك الله منها أربعًا بأهلها وبقيت واحدة أهلك الله أهلها وهي سدوم. قال الله تعالى في حقها: ﴿التي أمطرت مطر السوء﴾ **قيل:** كان كل حجر منها قدر إنسان وقيل: ذلك كان في ريح حاصب. وهذا العذاب إنما نزل بهم عقوبة على عصيان نبيهم لوط وتكذيبهم إياه فكان ينبغي لكفار قريش أن يتعظوا لما رأوا مما حل بهؤلاء فيمتنعوا عن مخالفة رسول الله ويلتزموا طاعته، فلذلك وبخ الله تعالى عليهم بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا﴾ [الفرقان: ٤٠] ثم انتقل منه إلى توبيخ بوجه آخر وهو أنهم كفرة لا يرجون البعث بعد الموت وهو عاقبة الموت. ولما كان حقيقة الرجاء انتظار الخير وظن حصول ما فيه مسرة وليس النشور خيرًا مؤديًا إلى المسرة في حق الكافر فلا يتصور نسبة رجاء النشور إلى الكافر حتى يصح إيقاعها أو انتزاعها احتيج إلى توجيه قوله: ﴿لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٠] فذكر فيه ثلاثة أوجه: الأول أن الرجاء مجاز عن التوقع والتوقع يستعمل في الخير والشر جميعًا فأمكن أن تتصور النسبة بين الكافر وتوقع النشور فيحكم بوقوعها فوضع الرجاء موضع التوقع ونفي عن الكافر لأنه إنما يتوقع الحياة بعد الموت من يؤمن بالله ورسوله، فكأنه قيل: بل كانوا لا يتوقعون نشورًا فلذلك لم يتعظوا بمن نزل بهم ومروا بقريتهم كما مرت ركابهم وجمالهم. والثاني أن يكون الرجاء على حقيقته بأن يكون المراد بالنشور نشورًا فيه خير وسرور كنشور المسلمين، فإنه يتصور النسبة بين الكافر وبين مثل هذا النشور فيتصور نفيها فنفيت بأن قيل: إنهم لا يأملون نشورًا كما يأمله المسلمون طمعًا في الثواب فإن من لم يؤمن ولم يعمل عمل المؤمنين كيف يأمل مثل أملهم؟ والثالث أن الرجاء بمعنى الخوف على لغة تهامة ويتصور نسبته إلى الكافر ونفيها. **قوله:** (إلا موضع هزؤًا) على أن يكون «هزؤًا» مصدرًا على تقدير المضاف وإن كان فعلاً بمعنى مفعول فالتقدير: مهزوءًا به. وكلمة «أن» في قوله: ﴿إن يتخذونك﴾ نافية وفي قوله: ﴿إن كاد

بعث الله رسولاً في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الإنكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا: أهذا الذي زعم أنه بعثه الله رسولاً؟ ﴿إِن كَادَ﴾ إنه كاد ﴿لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء إلى التوحيد وكثرة ما يورد مما يسبق إلى الذهن أنها حجج ومعجزات ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها و«لولا» في مثله تفيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ. ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ كالجواب لقولهم: ﴿إن كاد ليضلنا﴾ فإنه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له. وفيه وعيد ودلالة على أنه

ليضلنا﴾ مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما. و«هزؤا» مفعول ثانٍ والجملة المنفية جواب «إذا» الشرطية وقوله هذا الذي في محل النصب بالقول المضمر وذلك القول المضمر في محل النصب على أنه حال من فاعل إن يتخذونك أي ما يتخذونك إلا هزؤا قائلين ذلك. والمعنى: لم يقتصروا على ترك الإيمان وإيراد الشبهات الباطلة بل زادوا عليها الاستهزاء والاستحقار إذا رأوك فإن إشارتهم إليه عليه الصلاة والسلام بلفظ هذا استحقار تنزيلاً لدنو مكانته عليه الصلاة والسلام بزعمهم منزلة دنو مكانه بمقتضى جهالتهم وضلالتهم. ولما ورد أن يقال: مضمون الصلة يجب أن يكون معلوم الانتساب إلى ذات الموصول عند المتكلم فكيف جعلوا قولهم: ﴿بعث الله رسولاً﴾ صلة مع أنهم منكرون بعثته عليه الصلاة والسلام؟ أجاب عنه بأنه مبني على التهكم والاستهزاء. قوله: (ولولا في مثله) أي فيما لم يذكر جواب «لولا» اكتفاء بما تقدم عليها مما يدل على جوابها تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ، فإن «لولا» مع ما دخلت هي عليه قيد لجوابها لفظًا إن ذكر جوابها لفظًا، وإن لم يذكر لا تكون قيدًا له من حيث اللفظ إلا أنه لما تقدم حكم يدل على جوابها المطلق وهو قوله: ﴿إن كاد ليضلنا﴾ كانت «لولا» قيدًا له من حيث المعنى لكونه في معنى الجزاء وحكمه.

قوله: (فإنه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له) بيان لكونه كالجواب لقولهم. فإن قولهم يستلزم ويُقتضي كونه عليه الصلاة والسلام ضالاً من حيث إن أحدًا لا يضل غيره إلا إذا كان ضالاً في نفسه. والمعنى: سيظهر لهم من الضال غاية الضلال فيفيد نفي ما هو لازم قولهم، ونفي اللازم نفي للملزوم فيكون كالجواب لقولهم. وقوله: ﴿من أضل سبيلاً﴾ جملة استفهامية متعلقة «بيعلمون» فهي سادة مسد مفعوليه إن كان على بابه وإن كان بمعنى يعرفون تكون سادة مسدّ مفعول واحد. وفيه وعيد من حيث إنه يدل على أنه لا محيص لهم عن العذاب وإن تأخر وقوله: «ودلالة» الخ عطف تفسير. وكلمة ﴿أرأيت﴾ تستعمل تارة للإعلام وتارة للسؤال وههنا استعملت للتعجب من جهل من هذا وصفه

لا يهملهم وإن أمهلهم. ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ بأن أطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يبصر دليلاً. وإنما قدم المفعول الثاني للعناية به. ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ حفيظًا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا، فالاستفهام الأول للتقرير والتعجيب والثاني للإنكار.

ونعته. **قوله**: (إلٰهه هواه) مفعولا الاتخاذ من غير تقديم ولا تأخير لاستوائهما في التعريف، فإن مفعولي «اتخذ» قبل دخوله عليهما مبتدأ وخبر المبتدأ «إلٰهه» والخبر «هواه» لأن كل واحد منهما معرفة والمعرفتان إذا وقعتا مبتدأ وخبرًا فالمقدم هو المبتدأ والمؤخر هو خبره، فيكون «إلٰهه» مفعولاً أولاً، و«هواه» ثانيًا من غير تقديم ولا تأخير. إلا أن المصنف جعل تقدير الكلام: أرأيت من اتخذ هواه إلٰهه. وقال: إنما قدم المفعول الثاني للعناية كما تقول: علمت منطلقًا زيدًا لفضل عنايتك بالمنطلق نظرًا إلى أصل المعنى، فإنه لا ينكر أن المعرفتين أيهما قدم فهو المبتدأ إلا أن النظر إلى جانب المعنى وملاحظة أصل المقصود يقتضي أن يكون «إلٰهه» خبرًا في الأصل. ويكون المقصود من الكلام التعجب من اتخاذ الهوى إلٰهًا على التشبيه البليغ كأنه قيل: لا تعجب ممن جعل هواه بمنزلة الإلٰه في التزام طاعته وعدم مخالفته إياه ولا معنى للتشبيه الإلٰه بالهوى. ولما كان المشبه به ههنا هو «الإلٰه» والمشبه هو «الهوى»، ومن المعلوم أن حق المشبه به أن يكون متأخرًا عن المشبه كان مرتبة قوله: «إلٰهه» التأخر عن الهوى كما في قولك: زيد الأسد فلما قدم عليه صار مزالاً عن موضعه الأصلي غير قار فيه، فلهذا جعل من باب تقدم المفعول الثاني على الأول. **قوله**: (والثاني للإنكار) أي لست موكلاً على حفظه تحفظه من اتباع هواه وعبادة من يهواه من دون الله تعالى ولا تقدر عليه، ولا تحسب أيضًا أن أكثرهم يسمعون ما تقوله سماع تدبر ويعقلون ما تورده من الحجج والدلائل الدالة على الوحدانية. ثم إنه تعالى لما عجب من جهل من أطاع هواه وجعله بمنزلة الإلٰه ذكر أنواعًا من الدلائل الدالة على وجود الصانع الحكيم المنفرد بالألوهية: فأولها الاستدلال بحال الظل في زيادته ونقصانه وتغير أحواله وهو قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ كلمة «إلى» مبنية على تضمين الرؤية معنى النظر و«كيف» منصوبة «بمد» وهي معلقة لقوله: «ألم تر» وهو إن كان من رؤية العين يجب أن يكون المنظور فيه مما يصح أن يتعلق به رؤية العين، فكان أصل الكلام ﴿ألم تر﴾ إلى صنع ربك أو إلى الظل كيف مده ربك وبسطه على وجه الأرض حين أحدثها، إلا أنه غيّر النظم إلى ما عليه التنزيل للإشعار بأن مدلول هذا الكلام وهو كونه تعالى مادًا للظل كالمشاهد المرئي لوضوح برهانه الذي هو دلالة حدوث الظل وتصرفه على الوجه النافع الدال على كونه فعل الصانع الحكيم المنفرد بالألوهية. ثم أشار إلى احتمال أن يكون قوله: ﴿ألم تر﴾ من رؤية

﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾ بل أتحسب ﴿أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ فيجدي لهم الآيات أو الحجج فتهتم بشأنهم وتطمع في إيمانهم، وهو أشد مذمة مما قبله حتى حق بالإضراب عنه إليه وتخصيص الأكثر لأنه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارًا أو خوفًا على الرياسة. ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ في عدم انتفاعهم بقرع الآيات أذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات.

﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)﴾ من الأنعام لأنها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن إليها ممن يسيء إليها وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها، وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه من إساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار. ولأنها إن لم تعتقد حقًا ولم تكتسب خيرًا لم تعتقد باطلاً ولم تكتسب شرًا بخلاف هؤلاء. ولأن جهالتها لا تضر بأحد وجهالة هؤلاء تؤدي إلى هيج الفتن وصد الناس عن الحق. ولأنها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون مستحقون أعظم العقاب على تقصيرهم. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ ألم تنظر إلى صنعه ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ كيف بسطه أو ألم تنظر إلى الظل كيف مده ربك؟ فغير النظم إشعارًا بأن المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع بأسباب ممكنة على أن ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس منه؟ أو ألم ينته علمك إلى أن ربك كيف مد الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو أطيب الأحوال، فإن الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠] ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ

القلب بمعنى ألم تعلم إلا أنه عدي بـ «إلى» لتضمنه معنى الانتهاء فقال: «أو ألم ينته علمك» فيكون الكلام على ظاهره لأن الظل وإن كان من المبصرات إلا أن تأثير قدرة الله تعالى في تمديده ليس من المبصرات بالاتفاق لكنه معلوم بما ذكره من البرهان الواضح. والظل هو الأمر المتوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة وهو يحدث منبسطًا على وجه الأرض فيما بين ظهور الفجر إلى طلوع الشمس. ثم إن الشمس تنسخه وتزيله شيئًا فشيئًا إلى الزوال ثم هو ينسخ ضوء الشمس ويزيله من وقت الزوال إلى الغروب، ويسمى الظل الآخذ في التزايد الناسخ لضوء الشمس فيئًا. ووجه الاستدلال به على وجود الصانع ما أشار إليه من أن حدوثه بعد العدم وعدمه بعد الوجود وتغير أحواله بالزيادة والنقصان والانبساط والتقلص على الوجه النافع لا بد له من صانع قادر مدبر حكيم يقدر على تحريك الأجرام العلوية وتدبير الأجسام الفلكية وترتيبها على الوصف الأحسن والترتيب الأكمل وما هو إلا الله عز وجل.

سَاكِنًا﴾ ثابتًا من السكنى أو غير متقلص من السكون بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾ فإنه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الأجرام أو لا يوجد ولا يتفاوت إلا بسبب حركتها.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا﴾ أي أزلناه بإيقاع الشعاع موقعه. لما عبّر عن إحداثه بالمد بمعنى البسط عبّر عن إزالته بالقبض إلى نفسه الذي هو في معنى الكف. ﴿قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ قليلاً قليلاً حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق. و«ثم» في الموضعين لتفاضل الأمور أو لتفاضل مبادىء أوقات

قوله: (ثابتًا من السكنى) وهو الاستقرار والثبات في مكان يقال: سكن الدار سكنى إذا استقر فيها. فالمعنى: ولو شاء لجعله ثابتًا مستقرًا لا يذهب عن وجه الأرض بأن لا تطلع الشمس أبدًا. والمعنى على تقدير كونه من السكون الذي هو عدم الحركة ولو شاء لجعله ساكنًا لا يتحرك حركة انقباض ولا انبساط، بأن تجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ودليل واحد، ودليل الشيء ما يكون ظهوره للعقل سببًا لظهور الشيء فيه. فشبهت الشمس بالنسبة إلى الظل بالدليل بالنسبة إلى المدلول عليه من حيث كون طلوعها سببًا لظهور الظل للحس، أو من حيث كون حركتها سببًا لحدوثه وتغير أحواله. وإنما قلنا: إن طلوع الشمس سبب لظهور الظل لأن الناظر إلى الجسم الملون حال قيام الظل عليه لا يظهر له شيء سوى الجسم ولونه، إذ الظل ليس أمرًا ثابتًا للحس ولا يعرف به. ثم إذا طلعت الشمس ووقع ضوؤها على الجسم ظهر ذلك الظل للحس فلولا الشمس ووقع ضوئها على الأجرام لما عرف الظل كما أنه لولا الظلمة لما عرف النور، فكأنه تعالى لما أطلع الشمس ووقع ضوؤها على الأرض وزال الظل به فحينئذ ظهر للعقول أن الظل كيفية زائدة على الجسم واللون فلهذا قال الله تعالى: ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ أي خلقنا الظل أولاً بما فيه من المنافع واللذات ثم إنّا هدينا العقول إلى معرفة وجوده بأن أطلعنا الشمس فكانت دليلاً على وجوده. والقبض جمع المنبسط من الشيء والمراد به ههنا الإزالة فقوله تعالى: ﴿ثم قبضناه إلينا﴾ معناه أن الظل يعم جميع الأرض قبل طلوع الشمس فإذا طلعت الشمس أزال الله تعالى ذلك الظل لا دفعة بل جزءًا فجزءًا يسيرًا يسيرًا فكلما زاد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الظل في جانب المغرب فلو قبضه الله تعالى دفعة واحدة لتعطلت منافع الظل والشمس فقبضه يسيرًا يسيرًا لتبقى منافعهما والمصالح المتعلقة بهما.

قوله: (وثم في الموضعين لتفاضل الأمور) لا للتراخي الزماني إذ لا يصح جعلها له في هذا المقام إذ ليس المعنى أنه تعالى بعد ذلك المد بزمان متراخ جعل الشمس عليه دليلاً، فوجب حمله على المجاز بأن تجعل كلمة «ثم» استعارة تبعية بأن شبه تفاضل الأمور وتباعد

ظهورها. وقيل: مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الأرض تحتها فألقت عليها ظلها، ولو شاء لجعله ثابتًا على تلك الحال. خلق ثم الشمس عليه دليلاً أي مسلطا عليه مستتبعًا إياه كما يستتبع الدليل المدلول. أو دليل الطريق من يهديه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه إلينا قبضًا يسيرًا شيئًا فشيئًا إلى أن تنتهي غاية نقصانه، أو قبضًا سهلاً

مراتبها بالبعد الزماني فاستعير لجانب المشبه لفظ «ثم» الموضوعة للتراخي الزماني. ووجه كون الأمور متباعدة في الرتبة والفضل أن حدوث الظل ممدودًا مبسوطًا على وجه الأرض وإن كان في نفسه دالاً على وجود الصانع الحكيم، إلا أن جعل الشمس دليلاً عليه لدلالته على أمر زائد مرتب على ذلك أفضل منه رتبة، وقبض الظل قبضًا يسيرًا أعظم من الثاني لأن الإزالة مع التدرج والمهلة بانبساط ضوء الشمس على الأجرام تحصل بها المنافع المرتبة على الشمس مع عدم ارتفاع منافع الظل بالكلية وهي منفعة زائدة على قبض انبساط الظل وقيام دليل وجوده مع معرفة الساعات والأوقات التي يناط بها أكثر أحكام الشرع ولأن في التدرج حكما ومصالح أخرى. **قوله:** (وقيل مد الظل) عطف على قوله: «لتفاضل الأمور» أي وقال بعضهم. ثم في أحد الموضعين مستعملة في أصل معناها وهو التراخي الزماني فإن خلق الشمس مسلطة على الظل متراخٍ زمانيا عن انبساط ظل السماء على الأرض فـ «ثم» في قوله: ﴿ثم جعلنا الشمس عليه﴾ للتراخي بخلافها في قوله: ﴿ثم قبضنا﴾. **قوله:** (ولو شاء لجعله ثابتًا على تلك الحالة) أي لو أراد بقاء الظل على تلك الحالة ممدودًا على وجه الأرض لما خلق الشمس ليكون باقيًا على امتداده لكن أراد تغييره فخلق الشمس وسلطها على الظل، فإن الظل تابع للشمس كما يتبع المدلول الدليل. والمراد بكون الظل تابعًا للشمس أن زيادة الظل ونقصانه تابعة لحركة الشمس فعلى هذا الوجه يكون قوله تعالى: ﴿عليه﴾ مفعولاً ثانيًا «لجعلنا» وقوله: ﴿دليلاً﴾ حالاً من الشمس وتكريرًا للمفعول الثاني كما في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] وكون الشمس دليلاً على الظل عبارة عن كونها مستتبعة إياه استتباع دليل العلم لمدلوله واستتباع دليل الطريق لمن يهديه فإن الشمس باختلاف أحوالها في مسيرها تستلزم اختلاف أحوال الظل من كونه ثابتًا في مكانه وزائلاً عنه ومنبسطًا ومنقبضًا ونحو ذلك، فيصح أن يستدل بكل حال من أحوالها على كل حال من أحوال الظل. **قوله:** (أو دليل الطريق) عطف على فاعل «يستتبع» وقوله: «من يهديه» عطف على مفعوله أي أو كما يستتبع دليل الطريق من يهديه. فالشمس على الأول بمنزلة دليل العلم بالنسبة إلى مدلوله، وعلى الثاني بمنزلة دليل الطريق بالنسبة إلى من يهديه. **قوله:** (يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها) استئناف لبيان كون الشمس مسلطة عليه مستتبعة إياه. والنوع الثاني من دلائل الوحدانية ما ذكره بقوله: ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباسًا﴾ والنشور يحتمل أن

عند قيام الساعة بقبض أسبابه من الأجرام المظلة والمظل عليها. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ شبه ظلامه باللباس في ستره ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ راحة للأبدان بقطع المشاغل، وأصل السبت القطع، أو موتًا كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠] لأنه قطع الحياة. ومنه المسبوت للميت. ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾ ذا نشور أي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش، أو بعثًا من النوم بعث الأموات. ويكون إشارة إلى أن النوم واليقظة أنموذج للموت والنشور. وعن لقمان: يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ وقرأ ابن كثير على التوحيد إرادة للجنس ﴿بُشْرًۢا﴾ ناشرات للسحاب، جمع نشور. وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف، وحمزة والكسائي به وبفتح النون على أنه مصدر وصف به، وعاصم «بشرا» تخفيف بشر جمع بشير بمعنى مبشر ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ يعني قدام المطر.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ مطهرًا لقوله: ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنفال: ١١] وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء، والوقود لما يتوضأ به ويوقد به قال عليه الصلاة والسلام: «التراب طهور المؤمن طهور إناء أحدكم إذا ولغ الكلب فيه أن يغسل سبعًا إحداهن بالتراب». وقيل: بليغًا في الطهارة. وفعول وإن غلب في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوت بمعنى المضبوت وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب.

يكون بمعنى الانتشار والتفرق في وجوه المصالح، ويحتمل أن يكون بمعنى الحياة لأنه لما كان في النوم معنى الوفاة لانقطاع الإنسان به عن التصرف والعمل كان في اليقظة معنى الحياة. في بعض الكتب: ابن آدم كما تنام تموت وكما تستيقظ تبعث. والنوع الثالث منها ما ذكره بقوله: ﴿وهو الذي أرسل الرياح﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو «نشرا» بضم النون والشين وهو جمع نشور كرسل ورسول، والمعنى: أرسلها ناشرات للسحاب في الجو كما ينشر الشيء المطوي المضبوط. وقرأ ابن عامر وأبو عمرو في رواية بضم النون وسكون الشين والمعنى كالأول. وقرأ حمزة والكسائي بفتح النون وسكون الشين. وقرأ عاصم بالباء المضمومة وسكون الشين من البشارة واختار كون «طهورًا» في الآية اسمًا لما يتطهر به كالسحور والوقود استدلالاً بقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنفال: ١١] وضعف كونه مبالغة الطاهر لخلوه عن بيان منفعته وهي كونه مطهرًا للإنسان من الحدث والنجاسة. **قوله:** (وللاسم كالذنوب) وهو اسم بمعنى الصب ويقال: أيضًا للدلو الملائي ذنوب ولا يقال لها وهي فارغة ذنوب. فإن قيل: الطهور مشتق من طهر يطهر طهارة وهو لازم فكيف يجوز تعديته بتطهيره غيره؟ قلنا: إنه حينئذ لا يكون من الصفات المشتقة كالغفور والشكور بل يكون من قبيل الأسماء الجامدة، فإن قيل: كيف يكون لفظ طهور اسمًا

وتوصيف الماء به إشعار بالنعمة فيه وتتميم للمنة فيما بعده فإن الماء الطهور أهنأ وأنفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغي أن يطهروها فبواطنهم بذلك أولى.

﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا﴾ بالنبات وتذكير ميتًا لأن البلدة في معنى البلد، ولأنه غير جار على الفعل كسائر أبنية المبالغة فأجري مجرى الجامد. ﴿وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ٤٩﴾ يعني أهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الأنعام والأناسي وتخصيصهم، لأن أهل المدن والقرى يقيمون بقرب الأنهار والمنابع فبهم وبما

يتطهر به وقد قال الله تعالى في صفة أهل الجنة ﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] وقال الشاعر:

عذاب الثنايا ريقهن طهور

قلنا: كونه اسمًا له لا ينافيه استعماله في مبالغة طاهر.

قوله: (وتوصيف الماء به إشعار بالنعمة) جواب عما يقال: ما الفائدة في توصيف الماء المنزل لإحياء الأرض وسقي الحيوان بقوله: ﴿طهورًا﴾ مع أن الوصف في مثله يؤذن بكون الوصف شرطًا لترتب الحكم على الفعل المعلل؟ كما إذا قلت: أعطاني اللباس الفاخر لأتزين به، ووصفه بالطهارة لا دخل له في ترتيب الأحياء والسقي على إنزال الماء. وتقرير الجواب أن الإحياء والإسقاء المذكورين وإن أمكنا بدون وصف الطهارة إلا أنه وصف الماء بها إشعارًا بالنعمة فيها، فإن وصف الطهارة نعمة زائدة على إنزال ذات الماء وتتميمًا للمنة الزائدة المستفادة من قوله: ﴿لنحيي به﴾ ﴿ونسقيه﴾ فإن هذين الإحياءين إنما يتمان بذلك لما ذكره من أن الماء الطهور أهنأ وأنفع وتنبيهًا على أن بواطنهم أولى بالتطهير. ووجه التنبيه أنه تعالى لما امتنّ علينا بأن أنزل ماء يطهر أبداننا من الحدث والنجاسات تبيّن بذلك أن ظواهرنا مما ينبغي أن تطهر، ومن المعلوم أن باطن الشيء أولى بالحفظ من التلوث من ظاهره فكان الامتنان بإنزال ما يطهر الظاهر تنبيهًا على أن الباطن أولى به. **قوله:** (ولأنه غير جار على الفعل) أي لم يقل بلدة ميتة لأن الميت ليس على وزن الفعل نحو فعول ومفعال ومفعيل وفعيل بمعنى مفعول. وفي مثله يجوز التذكير وإن جرى على المؤنث لأنه لما لم يكن على وزن الفعل لم يكن مشابهًا له فجاز أن لا يطابق موصوفه في التأنيث، فإن الفعل يطابق فاعله في التذكير والتأنيث فكذا ما يشابهه بخلاف ما لم يوازن الفعل من المشتقات فإنه أجرى مجرى الجوامد. قرأ الجمهور «ونسقيه» بضم النون. وقرأ أبو عمرو وعاصم في رواية عنهما بفتح النون وسقى واسقى لغتان بمعنى يقال: سقاه الله الغيث وأسقاه والاسم السقيا بالضم.

حولهم من الأنعام غنية عن سقيا السماء، وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبًا مع أن مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد أنواع النعمة. والأنعام قنية الإنسان وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها، ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها إحياء الأرض فإنه سبب لحياتها وتعيشها. وقرىء «نسقيه» بالفتح وسقى وأسقى لغتان وقيل: أسقاه جعل له سقيًا. وأناسي بحذف ياء وهو

ويقال: سقيته أسقيه وأسقيت ماشيته وأرضه والاسم السقي بالكسر. **وقوله تعالى:** ﴿مما خلقنا﴾ **يجوز أن يتعلق بقوله:** ﴿نسقيه﴾ **أي نسقي ذلك الماء بعض خلقنا من الأنعام والأناسي وانتصابهما على البدل من محل الجار والمجرور في قوله:** ﴿مما خلقنا﴾ **ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من إنعامًا ولعل قوله: «يعني أهل البوادي» مبني على الأول وقوله: «وتخصيصهم» جواب عما يقال: كيف خص أهل البوادي بالإسقاء مع أن أهل المدن والقرى يحتاجون إلى الشرب؟ قوله:** (وسائر الحيوانات) **أي ما عدا الأنعام من الوحوش والطيور وإن كانت تعيش بالماء لكنه تعالى خص الأنعام بالذكر، لأن سائرها لا يعوزه الشرب ولا يكون عاجزًا عن نيله غالبًا يقال: أعوزه الشيء إذا احتاج إليه فلم يقدر عليه. قوله:** (مع أن مساق هذه الآيات) **وجه ثانٍ لتخصيص الأنعام بالذكر مع استوائها بسائر الحيوانات في الاحتياج إلى الشرب. وحاصله: أن ليس المقصود مجرد بيان الحكمة في إنزال الماء بل المقصود تعداد ما يكون نعمة في حق نوع الإنسان فلذلك خصت الأنعام بالذكر لأنها قنية الإنسان أي يقتنيها ويتخذها لنفسه لا للتجارة. الجوهري: قنوت الغنم وغيرها قنوة وقنوة وقنيت أيضًا قنية وقنية إذا اقتنيتها لنفسك لا للتجارة. وعليه جمع على بمعنى شريف ورفيع مثل صبية جمع صبي. قوله:** (ولذلك) **أي ولكون علية ما يتعيشون به هي الأنعام قدم سقيها على سقيهم، كما قدم على الأنعام إحياء الأرض فإن الأرض وحياتها سبب لحياة الأنعام وتعيشها. فانظر إلى أنه تعالى كيف رتب ذكر ما هو رزق الإنسان ورزق رزقه ورزق رزق رزقه! فإن الأنعام رزق الإنسان والنبات رزق الأنعام والمطر رزق النبات، فقد ذكر المطر ورتب عليه ذكر حيات الأرض بالنبات ورتب عليه ذكر الأنعام. قوله:** (وأناسي) **عطف على قوله:** ﴿نسقيه﴾ **أي كما قرىء «نسقيه» بفتح النون، كذلك قرىء «أناسى» بحذف ياء أفاعيل. وذهب سيبويه إلى أن أناسي جمع إنسان أصله أناسين كسرحان وسراحين فأبدلت النون ياء وأدغم فيها الياء التي قبلها كما قيل في جمع ظربان ظرابى أصله ظرابين، والظربان على وزن قطران دويبة كالهرة منتنة الريح تزعم الأعراب أنها تفسو في ثوب أحدهم إذا صادفها فلا تذهب رائحته حتى يبلى الثوب. وفي المثل: فسا بيننا الظربان، وذلك إذا تقاطع القوم. وقال الفراء والمبرد والزجاج: إنه جمع إنسي. وفيه نظر لأن فعاليل إنما يكون جمعًا لما فيه**

جمعه أنسى أو إنسان كظرابى في ظربان، على أن أصله أناسين فقلبت النون ياء. ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ﴾ صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وسائر الكتب، أو المطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ما عام أمطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء. وتلا هذه الآية. أو في الأنهار والمنابع. ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك. ويقوموا بشكره، أو ليعتبروا بالصرف عنهم وإليهم. ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾ إلا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها أو جحودها بأن يقولوا: مطرنا بنوء كذا. ومن لا يرى الأمطار إلا من الإنواء كان كافرًا، بخلاف من يرى أنها من خلق الله. والإنواء وسائط أو أمارات بجعله تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾﴾ نبيًا ينذر أهلها فتخف عليك أعباء النبوة لكن قصرنا الأمر عليك إجلالاً لك وتعظيمًا لشأنك وتفضيلاً لك على سائر الرسل، فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة وإظهار الحق.

ياء مشددة لا تدل على نسب نحو: كراسي في جمع كرسي فلو أريد بياء كرسي النسب لم يجىء جمعه على كراسي. قوله: (صرفنا هذا القول) **يعني ضمير «صرفناه» إما أن يرجع إلى ما ذكره بقوله:** ﴿وهو الذي أرسل الرياح نشرًا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورًا﴾ **كأنه قيل: ولقد صرفنا ذكر إنشاء السحاب وإنزال المطر بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب ليتفكروا ويعتبروا، أو يرجع إلى نفس الماء الطهور الذي هو المطر. ومعنى تصريفه بين الناس أن لا ينزله على نسق واحد بل ينزله في مكان دون مكان، وفي وقت دون وقت، وعلى صفة دون أخرى، فيقسمه بين العباد على هذه الوجوه. وروي عن ابن عباس أنه قال: ما عام بأكثر مطرًا من عام ولكن الله يفرقه في الأرض. ثم قرأ هذه الآية. وروي عن ابن مسعود عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «ما من عام بأمطر من عام ولكن إذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم، فإذا عصوا جميعًا صرف الله ذلك إلى الفيافي». والمراد باختلاف صفة المطر كونه تارة وابلاً وأخرى طلاً ومرة ديمة مثلاً. والوابل المطر الشديد، والطل أضعف المطر، والديمة المطر الذي يدوم أيامًا.**

قوله: (أو في الأنهار والمنابع) **عطف على قوله: «في البلدان المختلفة» أي ويجوز أن يكون المراد بتصريف المطر بين الناس إجراءه في الأنهار والمنابع لينتفعوا به بوجوه الانتفاع من الشرب وسقي الزرع ونحوهما. قوله:** (بخلاف من يرى أنها) **أي من يرى أن الله هو الذي خلق الأمطار وجعل الأنواء دلائل وأمارات عليها لا يكفر. والحاصل أن المراد بالكفور إما كفران النعمة وقلة المبالاة بشأنها فإن حقها أن يتفكر فيها ويستدل بها على وجود الصانع**

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين. ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ بالقرآن أو بترك طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع. والمعنى: أنهم يجتهدون في إبطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وإزاحة باطلهم. ﴿جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ لأن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف، أو لأن مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين أظهرهم مع عتوهم وظهورهم، أو لأنه جهاد مع كل الكفرة لأنه مبعوث إلى كافة القرى. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان. من مرج دابته إذا خلاها. ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ قامع للعطش من فرط عذوبته. ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ بليغ الملوحة. وقرىء «ملح» على فعل ولعل أصله مالح فخفف كبرد في بارد. ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حاجزًا من قدرته ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾

وقدرته وإحسانه، ويشتغل بشكر إحسانه ومن اشتغل بها وقصر في شكر منعمها فقد كفر بحق النعمة. وأما الكفر بالله بأن يقول: مطرنا بنوء كذا، ويسند مثل هذه النعمة إلى الأفلاك والكواكب ويجحد كونها صادرة من الله فإنه لا شك أنه كافر بالله تعالى. والأنواء النجوم التي يسقط واحد منها في جانب المغرب وقت طلوع الفجر ويطلع رقيبه في جانب المشرق من ساعته، والعرب كانت تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها. وقيل: إلى الطالع منها. ثم إنه تعالى لما بيّن دلائل وحدانيته وكمال قدرته شرع في تعظيم رسوله فقال: ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرًا﴾ كأنه قيل: ولو شئنا لخففنا عنك أعباء الرسالة إلى كل العالمين بأن بعثنا في كل قرية نذيرًا ولكن قصرنا الأمر عليك إجلالاً لك. **قوله:** (لأن مجاهدة السفهاء بالحجج) لم يحمل المجاهدة المأمور بها على المجاهدة بالسيف لأن السورة مكية والأمر بالقتال إنما ورد بعد الهجرة بزمان. **قوله:** (فيما بين أظهرهم) خبر قوله: «أو لأن مخالفتهم» ولا شك أن مخالفة العتاة الغالبين فيما بينهم أكبر المجاهدة. **قوله:** (أو لأنه جهاد مع كل الكفرة) فيكون ضمير «به» في قوله: ﴿وجاهدهم به﴾ راجعًا إلى ما دل عليه قوله: ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرًا﴾ وهو كونه نذيرًا لكافة القرى. فإنه لو بعث في كل قرية نذيرًا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته بأقصى الوسع فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات كلها ليكبر جهاده من أجل ذلك، فلذلك قال له: جاهد بسبب كونك نذير كافة القرى جهادًا كبيرًا جامعًا للمجاهدات. ثم إنه تعالى انتقل إلى النوع الآخر من دلائل التوحيد فقال: ﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ كأنه تعالى يقوي به قلبه عليه الصلاة والسلام على امتثال ما أمر به من المجاهدة الكبيرة. وأصل المرج الإرسال والتخلية يقال: مرجت الدابة إذا أرسلتها ترعى وقوله تعالى: ﴿هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج﴾ مقول قول مضمر تقديره: مرج البحرين مقولاً فيهما هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج كما يقال: وجدت الناس أخبر

وتنافرًا بليغًا كأن كلاً منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ منه. وقيل: حدًا محدودًا، وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها. وقيل: المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير والبرزخ ما يحول بينهما من الأرض، فتكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع أن مقتضى طبيعة أجزاء كل عنصر أن تضامت وتلاصقت وتشابهت في الكيفية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾ يعني الذي خمر به طينة آدم أو جعله جزءًا من مادة البشر لتجتمع وتسلس وتقبل الأشكال

تقله أي مقولاً فيهم ذلك. ويحتمل أن يكون جملة مستأنفة لا محل لها كأنه قال: كيف مرجهما؟ فقيل: هذا عذاب فرات. والفرات فعال من فرت الماء يفرت فروتة فهو فرات إذا كان في غاية العذوبة. ويقال: ملح الماء يملح ملوحة فهو ملح وملح على وزن فعل وفعل وقرىء بهما، وقلما يقال: مالح. و «الأجاج» الشديد الملوحة الذي يحرق الباطن من ملوحته من أجت النار أجيجًا إذا اشتد حرها. قوله: (وتنافرا بليغًا) **لما كان عطف قوله:** ﴿وحجرًا محجورًا﴾ **على قوله:** ﴿برزخًا﴾ **دالاً على أنه تعالى جعل كل واحد من البحرين بحيث يتعوذ من الآخر ويقول له حجرًا محجورًا أي حرامًا محرما عليك أن تغلب علي وتزيل صفتي وكيفيتي. ومن المعلوم أن البحر ليس من شأنه أن يتعوذ ويقول قولاً، جعل الكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية بأن شبّه تلاصق كل واحد منهما بالآخر مع كمال التنافر بينهما بعدوين يتقربان في المعركة يريد كل واحد منهما أن يتقي صاحبه ويتعوذ منه فعبّر عن المشبه بلفظ المشبه به فقيل: جعل بينهما هذا الكلام بمعنى جعلهما قائلين هذا الكلام. قوله:** (وقيل حدًا محدودًا) **أي وجعل بينهما حدًا لا يتجاوز كل واحد منهما ذلك الحد. وفي الصحاح: الحجر أيضًا حجر الكعبة وهو ما حواه الحطيم المدار بالبيت جانب الشمال وكل ما حجرت من حائط فهو حجر. قوله:** (وذلك كدجلة) **يعني أن المراد بالبحر الماء الكثير الواسع سواء كان عذبًا كدجلة والنيل أو ملحًا فلا يرد أن يقال: لا وجود للبحر العذب فكيف ذكره الله ههنا؟ ثم بيّن أنه تعالى كيف حجز بين بحرين متنافرين غاية التنافر حال كونهما متجاورين بحيث لا يمتزجان حتى يجعل موضع التعجب فقال «كدجلة تدخل البحر» ومن قال: المراد بالبحر العذب النهر العظيم وبالملح الأجاج البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الأرض، بيّن وجه الاستدلال على قدرة الصانع بأن العذوبة والملوحة إن كانت بسبب طبيعة الأرض والماء فلا بد من الاستواء، وإن لم تكن كذلك فلا بد من قادر حكيم يخص كل واحد من الأجسام بصفة معينة ويفصل بين أجزاء الطبيعة الواحدة بالبرزخ الحائل بينها على حسب مشيئته وإرادته مع أن مقتضى طبيعة أجزاء كل عنصران تضامت وتلاصقت. قوله:** (وتسلس) **أي تلين وتنقاد. ذكر في الماء الذي خلق منه البشر ثلاثة احتمالات: الأول أنه الماء الذي خمر به**

والهيئات بسهولة، أو النطفة. ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ أي قسمه قسمين ذوي نسب أي ذكورًا ينسب إليهم، وذوات صهر أي إناثًا يصاهر بهن كقوله: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٩] ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ حيث خلق من مادة واحدة بشر إذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين، وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكر أو أنثى. ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ يعني الأصنام أو كل ما عبد من دون الله إذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر. ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك. والمراد بالكافر الجنس أو أبو جهل. وقيل: هينًا مهينًا لا وقع له عنده من قولهم: ظهرت به إذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧].

طينة آدم عليه الصلاة والسلام، والثاني أنه الماء الذي جعل جزءًا من مادة كل بشر بل مادة كل حيوان كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ **[النور: ٤٥] والثالث أنه النطفة لقوله تعالى:** ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ **[الطارق: ٦] من ماء مهين.**

قوله: (أي قسمه قسمين) **أي ليس المراد أنه تعالى جعل البشر الواحد ذا نسب تنسب إليه الفروع وذات صهر يصاهر بها فإنه محال، فإن الصهر أبو زوج البنت فما كان من قبل زوج البنت فهم أصهار يتوصل إليهم بسبب البنات فذوات الصهر أي اللاتي يصاهر بهن ليست إلا البنات، بخلاف ذوي النسب أي الذين ينسب إليهم الأولاد فإنهم ذكور لأن النسب إلى الآباء كما قال الشاعر:**

لا تزرين امرءًا من أن يكون له	أم من الروم أو سوداء عجفاء
فإنما أمهات الناس أوعية	مستودعات وللآباء أبناء

بيّن الله قدرته أولا ببيان أنه خلق من الماء بشرا وأظهر فضله وامتنانه بجعله نسبًا وصهرًا، أما النسب فيه يتعارفون ويتواصلون فيقال: فلان ابن فلان وفلانة بنت فلان ولولا النسب لما تعارفوا ولا تواصلوا. وأما الصهر فلأنه من أسباب التواصل والتوالد والتواد. ثم إنه تعالى لما شرح دلائل التوحيد عاد إلى تهجين سيرة المشركين في عبادة الأوثان فقال: ﴿ويعبدون من دون الله﴾ **إلى قوله:** ﴿ظهيرًا﴾ **وهو خبر** «كان» **و**«على ربه» **متعلق به أي وكان الكافر بشركه وعداوته الحق عونًا للشياطين على عصيان ربه يستحثه على الإصرار عليه. قوله:** (والمراد بالكافر الجنس) **فحينئذ يحتمل أن تكون المظاهرة مظاهرة بعض الكفار لبعض لا مظاهرة الكافر للشيطان. ثم إنه تعالى لما بيّن أنه أرسل رسوله إلى كافة القرى وقصر الأمر عليه إجلالا له بيّن أنه على أي حال أرسله فقال:** ﴿وما أرسلناك إلا مبشرًا﴾

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٥٦﴾ للمؤمنين والكافرين ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه ﴿إلا مبشرًا ونذيرًا﴾ ﴿مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ﴾ إلا فعل من شاء ﴿أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٥٧﴾ أن يتقرب إليه ويطلب الزلفى عنده بالإيمان والطاعة. فصور ذلك بصورة الأجر من حيث إنه مقصود فعله واستثناه منه قلعًا لشبهة الطمع وإظهارًا لغاية الشفقة حيث اعتد بإنفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص من العقاب أجرًا وافيًا مرضيًا به مقصورًا عليه، وإشعارًا بأن طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث إنها بدلالته. وقيل: الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً فليفعل. ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ في استكفاء شرورهم والإغناء عن أجورهم، فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين يموتون فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكل عليهم. ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ﴾ ونزهه عن صفات النقصان مثنيًا عليه بأوصاف الكمال طالبًا لمزيد الأنعام بالشكر على سوابقه. ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ﴾ ما ظهر منها وما بطن. ﴿خَبِيرًا ٥٨﴾ مطلعًا فلا عليك إن آمنوا أو كفروا ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾ قد سبق الكلام فيه. ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقًا بأن يتوكل عليه من حيث إنه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأني في الأمر، فإنه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ أمره في

قوله: (إلا فعل من شاء) يعني أن الاستثناء متصل على حذف المضاف واتخاذ السبيل إليه تعالى عبارة عن التقرب إليه بالإيمان والطاعة صور فعل من شاء أن يتقرب إليه بذلك بصورة الأجر وسماه باسمه تشبيهًا له بالأجر من حيث كونه المقصود من التبليغ. واستثناه من الأجر لفوائد: إحداها أن يقلع شبهة طمعه في الأجر من أصله كأنه قيل: إن أعطيتم إياي أجرًا فأعطوني ذلك الفعل،فإني لا أسأل غيره. وثانيتها إظهارًا للشفقة البالغة عليهم بأنه عد سعيهم لأنفسهم ونفعهم لها بالاشتغال بطاعة ربهم والاجتناب عن مخالفته وعصيانه أجرًا وافرًا مرضيًا به. وثالثتها الإشعار بأنهم كما يثابون على ذلك الفعل بمباشرتهم له يثاب هو أيضًا عليه بسبب دلالته إياهم بحكم أن الدال على الخير كفاعله وعلى تقدير كون الاستثناء منقطعًا يكون المعنى لا أطلب من أموالكم جعلاً لنفسي لكن من شاء إنفاقها لوجه الله تعالى فليفعل فإني لا أمنعه عنه. **قوله:** (في استكفاء شرورهم والإغناء عن أجورهم) يعني أن الآية متصلة بقوله: ﴿وكان الكافر على ربه ظهيرًا﴾ وقوله: ﴿قل ما اسألكم عليه من أجر﴾ فإنه تعالى لما بيّن أن الكفار متظاهرون على إيذائه وأمره بأن لا يطلب منهم أجر البتة أمره بأن يتوكل عليه في دفع جميع المضار وفي جلب جميع المنافع. **قوله تعالى:** (وكفى بربك) أي حسبك الحي الذي لا يموت خبيرًا بذنوب عباده ولا يحتاج معه إلى الغير لأنه خبير بأحوالهم قادر

كل مراد خلق الأشياء على تؤدة وتدرج. ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ خبر «للذي» إن جعلته مبتدأ أو لمحذوف إن جعلته صفة «للحي» أو بدل من المستكن في «استوى». وقرىء بالجر صفة للحي ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى أو جبرائيل أو من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقوك فيه. وقيل: الضمير «للرحمٰن» والمعنى: إن أنكروا إطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم. وعلى هذا يجوز أن يكون «الرحمٰن» مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بـ «عن» لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء. وقيل: إنه صلة «خبيرًا».

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ لأنهم ما كانوا يطلقونه على الله أو لأنهم ظنوا أنه أراد به غيره، ولذلك قالوا: ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ أي للذي تأمرناه بمعنى تأمرنا بسجوده أو لأمرك لنا من غير عرفان. وقيل: لأنه كان معربًا لم يسمعوه.

على مكافأتهم، وذلك وعيد شديد. قوله: (فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء) إشارة إلى أن الباء بمعنى «عن» كما في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١] وفي قول علقمة:

فإن تسألوني بالنساء فإنني خبير بأدواء النساء طبيب

وإن ضمير «به» يرجع إلى ما ذكر من خلق السماء والأرض والاستواء على العرش.
قوله: (لأنهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى) على أن يكون قولهم: ﴿وما الرحمٰن﴾ سؤالاً عن المسمى بهذا الاسم ويكون قول المصنف «هذا علة لسؤالهم عنه» فإنهم لما لم يعرفوا كونه سبحانه مسمى بهذا الاسم اتجه لهم أن يسألوا عن مسماه أو كانوا يعرفون كونه تعالى مسمى به، إلا أنهم كانوا يزعمون أنه قد يراد به غيره تعالى وهو مسيلمة الكذاب باليمامة فإنه يقال له: رحمن اليمامة وكان المشركون يكذبونه أيضًا ولذلك قالوا: ﴿أنسجد لما تأمرنا﴾ أي الذي تأمرناه بتقدير تأمرنا بسجوده، فحذف ما حذف منه على التدريج حذف الجار وأوصل الفعل كما في: أمرتك الخير فقيل: تأمرنا سجوده ثم حذف المفعول الذي هو المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فصار تأمرناه، ثم حذف الضمير أيضًا فصار لما تأمرنا على أن «ما» موصولة بمعنى «الذي» أو مصدرية أي لأمرك على معنى لأجل أمرك لنا من غير عرفان.

قوله: (وقيل لأنه كان معربًا لم يسمعوه) عطف على قوله: «لأنهم ما كانوا يطلقونه على الله» أي وقيل قولهم: ﴿وما الرحمن﴾ ليس سؤالاً عن المسمى بل هو سؤال عن معنى هذا الاسم وشرح مفهومه لأنه لم يكن مستعملاً في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم

وقرأ حمزة والكسائي «يأمرنا» بالياء على أنه قول بعضهم لبعض. ﴿وَزَادَهُمْ﴾ أي الأمر بالسجود للرحمن ﴿نُفُورًا ۝٦٠﴾ عن الإيمان ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لأنها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها. واشتقاقه من التبرج لظهوره. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾ يعني الشمس لقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦] وقرأ حمزة والكسائي «سرجا» وهي الشمس والكواكب الكبار، ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝٦١﴾ مضيئًا بالليل. وقرىء و«قمرًا» أي ذا قمر وهو جمع قمراء. ويحتمل أن يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى

والراحم. ثم إنه تعالى لما حكى عن الكفار أن أمرهم بالسجود للرحمن زادهم نفورًا عن الإيمان ذكر من عظم شأنه وباهر سلطانه ما لو تفكروا فيه لاضطروا إلى الإيمان به وطاعته فقال تبارك وتعالى: ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجًا﴾ **وهي الاثنا عشر كل برج منزلان وثلث منزل للقمر، وهي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي ثمانية وعشرون منزلاً. وأسماء البروج: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت. فالحمل والعقرب بيتان للمريخ، والثور والميزان للزهرة، والجوزاء والسنبلة لعطارد، والسرطان بيت القمر، والأسد بيت الشمس، والقوس والحوت بيتا المشترى، والدلو والجدي بيتا زحل. وهذه البروج مقسومة إلى الطبائع الأربع فيكون لكل واحدة منها ثلاثة بروج: الحمل والأسد والقوس نارية، والثور والسنبلة والجدي أرضية، والجوزاء والميزان والدلو هوائية، والسرطان والعقرب والحوت مائية. وقوله تعالى:** ﴿وجعل فيها﴾ **أي في البروج لا في السماء لأن البروج أقرب فعود الضمير إليها أولى، وإن جاز عوده إلى السماء أيضًا. شبّهت الشمس والكواكب الكبار بالسرج والمصابيح كما في قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ **[الملك: ٥] في الإنارة والإشراق. قوله: (ذا قمر) جواب عما يقال: القمر مؤنث فينبغي أن يؤنث صفته بأن يقال: منيرة. وإنما قلنا: القمر مؤنث لأنه عبارة عن جماعة الليالي ذوات القمر لأنه جمع ليلة قمراء أي ذوات القمر. وتقرير الجواب أن أصل الكلام وذوات قمر منير على أن يكون ذا قمر عبارة عن نفس القمر عبّر عن القمر بأنه ذو قمر أي ذو ليال قمر لأن الليلة إنما تكون قمراء بالقمر فصار القمر كأنه صاحب تلك الليلة، فقيل له إنه ذو قمر بمعنى صاحب تلك الليالي القمر، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وهو مؤنث لكونه عبارة عن جماعة الليالي، إلا أنه لما قام مقام المضاف وهو مذكر بقي حكم المضاف فيه فقيل في صفته منيرًا لا منيرة كما بقي في قول حسان:**

يسقون من ورد البريض عليهمو ... بردى يصفق بالرحيق السلسل

جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً﴾ أي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه أو بأن يعتقبا كقوله: ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة: ١٦٤؛ آل عمران: ١٩٠؛ الجاثية: ٥] وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة ﴿لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ أن يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه، فيعلم أنه لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد. ﴿أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴿٦٢﴾﴾ أن يشكر الله على ما فيه من النعم أو ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته، ورده في أحدهما تداركه في الآخر. وقرأ

يريد ماء بردى وهو نهر بدمشق فحذف المضاف وأقيم بردى مقامه وبقي حكم المضاف فيه وهو مؤنث حيث ذكر ضمير يصفق، والتصفيق الخلط والمزج. ويحتمل أن يكون القمر بمعنى القمر ويؤيده توحيد الصفة بلا تكلف الحذف. **قوله**: (أي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر) يعني أن الخلفة مصدر للنوع فلا يصلح أن يكون مفعولاً ثانيًا لجعل الليل أو حالاً من مفعوله، فإن خلفة لا يخلو من أن يكون مفعولاً ثانيًا أو حالاً الأول على أن يكون جعل بمعنى صير والثاني على أن يكون بمعنى خلق، فلا بد من تقدير المضاف على التقديرين أي ذوي خلفة. ثم إن خلفة يستعمل بمعنيين بمعنى: كان خليفته أو بمعنى جاء بعده يقال: خلفه في قومه خلافة ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي﴾ [الأعراف: ١٤٢] ويقال أيضًا: خلفته إذا جئت بعده والخلفة في الآية يحتمل أن تكون من خلفه بكل واحد من المعنيين وهو قول المصنف «يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه أو بأن يعتقبا» ويؤيد الأول قول ابن عباس: إنه جعل كل واحد منهما يخلف صاحبه فيما يحتاج أن يعمل فيه، فمن فرط في عمل أحدهما بأن فات عليه العمل الذي اتخذه وردًا قضاه في الآخر. وما روي عن أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب وقد فاتته قراءة القرآن بالليل: «يا ابن الخطاب لقد أنزل الله فيك آية ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر﴾» أي ما فاتك من النوافل بالليل فاقضه في نهارك وما فاتك في النهار فاقضه في ليلك. وإن كان المعنى جعلهما ذوي اعتقاب يكون المقصود بيان أنه تعالى جعلهما مختلفين يجيء هذا ويذهب ذاك ويجيء ذاك ويذهب هذا، ولم يجعل واحدًا منهما سرمدًا نهارًا لا ليل له ولا ليلاً لا نهار له ليعلم الناس عدد السنين والحساب، وليكون للانتشار في المعاش وقت معلوم وللاستقرار والاستراحة وقت معلوم. فيكون في الآية تذكير لنعمته وتنبيه على كمال حكمته وقدرته. **قوله**: (أن يشكر الله تعالى) يعني أن الشكور بضم الشين مصدر بمعنى الشكر وبالفتح مبالغة الشاكر فقولك: شكر شكورًا بمعنى شكر شكرًا أي جعلناهما خلفة ليتفكر المتفكرون في اختلافهما ويشكروا نعمة الله في ذلك. وقوله: «أو ليكونا وقتين» عطف على هذا المعنى أي جعلناهما خلفة ليكونا وقتي تدارك للمتذكرين

حمزة «أن يذكر» من ذكر بمعنى تذكر وكذلك «ليذكروا» ووافقه الكسائي فيه. ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ مبتدأ خبره أولئك يجزون الغرفة أو ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ وإضافتهم إلى الرحمٰن للتخصيص والتفضيل، أو لأنهم الراسخون في عبادته على أن عباد جمع عابد كتاجر وتجار. ﴿هَوْنًا﴾ هينين أو مشيًا هينًا مصدر وصف به. والمعنى: إنهم يمشون بسكينة وتواضع. ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ تسلمًا منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا شر، أو سدادًا من القول يسلمون فيه من الإيذاء والإثم. ولا ينافيه آية القتال لتنسخه لأن المراد هو الإغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام.

والشاكرين. قرأ العامة «أن يذكر» بالتشديد أصله أن يتذكر فأدغمت التاء في الذال. وقرأ حمزة بالتخفيف. قال الفراء في وجهه «أن يذكر» و «يتذكر» يأتيان بمعنى واحد قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ [البقرة: ١٦٣] ويجوز أن يكون المعنى ليذكر الله فيهما من أراد أن يذكره ويطيعه بالتسبيح والطاعة ولعل وجه عطف قوله: ﴿أو أراد شكورًا﴾ بكلمة «أو» دون الواو للتنبيه على استقلال كل واحد منهما بكونه مطلوبًا من الجعل المذكور ولو عطف بالواو لتوهم أن المطلوب مجموع الأمرين. ويحتمل أن يكون المراد بالمعطوف عليه الكافر الذي يريد أن يتفكر في اختلافهما ويجعلهما موضع الاعتبار على وحدانيته وقدرته فيستدل به على التوحيد وإخلاص العبادة، وبالمعطوف المؤمن الذي يريد أن يتعظ ويشكر نعم الله فكأنه قيل: جعلناهما خلفة ليتفكر الكافر في اختلافهما ويجعله معتبرًا على قدرته وتوحيده أو يتعظ المؤمن به ويجعله متسعًا لذكره وطاعته.

قوله: (وكذلك ليذكروا) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ﴾ [الفرقان: ٥٠] فإن العامة قرأت بالتشديد وحمزة بالتخفيف والكسائي أيضًا. **قوله:** (وإضافتهم إلى الرحمٰن للتخصيص) أي لأن تفيد لهم خصوصية وشرفًا وتفضلهم على العباد الذين لم يتصفوا بتلك الصفات وإلا فالخلق كلهم عباد الله. **قوله:** (هينين أو مشيًا هينًا) الأول على أن يكون انتصاب «هونًا» على الحالية من فاعل «يمشون» والثاني على أن يكون صفة مصدر محذوف. **قوله:** (تسلمًا منكم) يعني أن «سلامًا» منصوب على أنه مصدر فعل محذوف والأصل نتسلم منكم تسلمًا فأقيم السلام مقام التسليم. فالمعنى: إذا خاطبهم السفهاء الخفاف العقول بأذى وكلام قبيح قالوا: نتسلم منكم تسلمًا أي لا نجاهلكم ولا نتلبس بشيء من أموركم وهو الجهل وما يبتني على خفة العقل. والمتاركة المواعدة. **قوله:** (أو سدادًا) أي صوابًا من القول فعلى هذا الوجه يكون سلامًا إشارة إلى ما قالوه من حيث المعنى ولا يكون سلامًا عين عبارتهم. **قوله:** (لأن المراد هو الإغضاء عن السفهاء) وهو أمر مستحسن في الأدب

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾﴾ في الصلاة وتخصيص البيتوتة لأن العبادة بالليل أحمز وأبعد من الرياء. وتأخير القيام للروي وهو جمع قائم أو مصدر أجرى مجراه. ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ لازمًا. ومنه الغريم لملازمته وهو إيذان بأنهم مع حسن مخالفتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون إلى الله في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم بأعمالهم وعدم وثوقهم على استمرار أحوالهم.

﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ أي بئست مستقرًا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز. والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم «أن» أو أحزنت وفيها ضمير اسم «أن» و«مستقرًا» حال أو تمييز. والجملة تعليل للعلة الأولى أو تعليل ثانٍ وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله. ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا﴾ لم يجاوزوا حد الكرم ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ ولم يضيقوا تضييق الشحيح. وقيل: الإسراف هو الإنفاق في المحارم والتقتير منع الواجب. قرأ الكوفيون بفتح الياء وضم

والمروءة والشريعة وأسلم للعرض وأوفق للورع فليس بمنسوخ أبدًا. قال عليه السلام: «إذا جمع الخلائق يوم القيامة نادى مناد: أين أهل الفضل؟ فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعًا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون: إنّا نراكم سراعًا إلى الجنة؟ فيقولون: نحن أهل الفضل. فيقولون: ما كان من فضلكم؟ فيقولون: كنا إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسيء إلينا غفرنا وإذا جهل علينا حلمنا. فيقال لهم: ادخلوا الجنة نعم أجر العاملين». **قوله**: (في الصلاة) فإن كل من أدركه الليل فقد بات نام أو لم ينم يقال: بات فلان قلقًا عن ابن عباس قال: من صلى ركعتين أو أكثر بعد العشاء فقد بات لله ساجدًا وقائمًا. والظاهر أنه وصف لهم بإحياء الليل أو أكثره كما قال الله تعالى في حق المتقين ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧] وروى عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة كان قيام ليلة». **قوله**: (أي بئست مستقرًا أو أحزنت) يعني أن «ساءت» يجوز أن تكون من أفعال الذم بمعنى بئست، وقد تقرر أن فاعلها يجب أن يكون معرفًا باللام أو مضافًا إلى المعرف بها أو مضمرًا مميزًا بنكرة منصوبة، وهي في الآية «مستقرًا» و«مقامًا» أي موضع قرار وإقامة. فالضمير الذي في بئست لا يعود إلى اسم «أن» ولا إلى شيء آخر بعينه بل ضمير مبهم يفسره الظاهر. وهو «مستقرًا» و«مقامًا» والمخصوص محذوف والتقدير: ساءت مستقرًا ومقامًا هي، وإن كان ساءت بمعنى أحزنت تكون من الأفعال المتصرفة الناصبة للمفعول وهو ههنا محذوف والتقدير أنها يعني جهنم أحزنت أصحابها. و«مستقرًا» يجوز أن يكون تمييزًا وأن

التاء، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو و«لم يقتروا» بفتح الياء وكسر التاء. وقرأ نافع وابن عامر «ولم يقتروا» بضم الياء وكسر التاء من اقتر وقرىء بالتشديد والكل واحد. ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ وسطًا وعدلاً، سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما. وقرىء بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص، وهو خبر ثانٍ «لكان» أو حال مؤكدة. ويجوز أن يكون الخبر و«بين ذلك» لغوًا. وقيل: إنه اسم «كان» لكنه مبني لإضافته إلى غير متمكن وهو ضعيف لأنه بمعنى القوام فيكون كالإخبار بالشيء عن نفسه.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي حرمها بمعنى حرم قتلها ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ متعلق بالقتل المحذوف أو «بلا يقتلون».

يكون حالاً. **قوله:** (وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ولم يقتروا بفتح الياء وكسر التاء) وقرأ نافع وابن عامر بضم الياء وكسر التاء من «اقتر». وقرأ باقي السبعة وهم الكوفيون بفتح الياء وضم التاء. وقرىء بالتشديد والكل واحد يعني: أن القتر والإقتار والتقتير لغات بمعنى واحد وهو التضييق الذي هو ضد الإسراف، والإسراف هو مجاوزة الحد في النفقة. فليعتمد على هذا التصحيح فإن النسخ مختلفة في هذا المقام. **قوله:** (وسطًا وعدلاً) يعني أن القوام عبارة عما هو الوسط والعدل بين الشيئين، سمي بذلك لاستقامة الطرفين واعتدالهما بحيث لا يترجح أحدهما على الآخر بالنسبة إليه لكونه وسطًا بينهما كمركز الدائرة فإنه يكون نسبة جميع أجزاء الدائرة إليه على السواء، ونظير كون القوام من الاستقامة السواء من الاستواء. **قوله:** (وهو خبر ثان لكان) واسمه الضمير المستتر فيه العائد إلى الإنفاق المدلول عليه بقوله: ﴿أنفقوا﴾ أو «بين ذلك» خبره و«قوامًا» خبر بعد خبر أو «بين ذلك» خبره و«قوامًا» حال مؤكدة، أو «قوامًا» هو الخبر و«بين ذلك» ظرف لغو لكان على رأي من يرى أعمالها في الظرف. قال الفراء: وإن شئت جعلت «بين ذلك» اسم «كان» كما تقول: كان دون هذا كافيًا بمعنى كان أقل من هذا كافيًا. فيكون معنى الآية: وكان الوسط من طرفي الإسراف والتقتير قوامًا عدلاً. وضعف هذا التأويل ظاهر لأنه في قوة أن يقال: وكان الوسط وسطًا لأن القوام هو الوسط. ثم إنه تعالى ذكر من جملة صفات عباد الرحمن الاحتراز عن الشرك والقتل بغير حق والزنى، ثم بيّن أن من ارتكب هذه الأشياء يلحقه جزاء إثمه ويعاقب عليه، ثم استثنى منه التائب. **قوله:** (بمعنى حرم قتلها) لأن الحرمة والحل من صفات الأفعال ولا يوصف بهما الأعيان.

قوله: (متعلق بالقتل المحذوف) أي حرم الله قتلها بجميع الأسباب إلا بسبب الحق أو «بلا يقتلون» أي لا يقتلون بسبب من الأسباب إلا بالحق أي بالسبب الذي يحل به قتل

﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ نفى عنهم أمهات المعاصي بعد ما أثبت لهم أصول الطاعات إظهارًا لكمال إيمانهم وإشعارًا بأن الأجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضًا للكفرة بأضداده، ولذلك عقبه بالوعيد تهديدًا لهم فقال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ جزاء إثم أو إثمًا بإضمار الجزاء. وقرىء «أيامًا» أي شدائد يقال: يوم ذو أيام أي صعب. ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بدل من يلق لأنه في معناه كقوله:

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا   تجد حطبًا جزلاً ونارًا تأججا

المرء المسلم وهو: الردة بعد الإيمان والزنى بعد الإحصان وقتل النفس المعصومة من غير أن يطرأ عليها ما يوجب قتلها، فإن الأصل في النفوس البشرية العصمة وحرمة القتل وحقن الدماء وجواز القتل إنما يثبت بعارض، فمن يحل قتله بسبب العارض يدخل في النفس التي حرم الله قتلها نظرًا إلى حد نفسها. قوله: (نفى عنهم أمهات المعاصي بعدما أثبت لهم أصول الطاعات الخ) كأنه جواب عما يقال: ما الفائدة في نفي هذه القبائح؟ فإن الموصوف بالخصال المرضية السابقة يبعد منهم ارتكاب هذه القبائح فلا وجه لنفيها عنهم، لأنه إنما يحسن نفي صفة عن أحد إذا كانت الصفة المنفية مما يتوهم ثبوتها له. وتقرير الجواب أن الاتصاف بالخصال السابقة لا يستلزم الاجتناب عن هذه القبائح فإن الموصوف بتلك الصفات قد يتدين بالشرك ويقتل النفس بغير حق ويتلبس بالزنى، فبيّن الله تعالى أن المرء لا يصير بتلك الخصال وحدها من عباد الرحمن حتى يجتنب الكبائر أيضًا إلا أنه خص من الكبائر أمهاتها وأشعر بذلك أن الأجر المذكور بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان: ٧٥] الآية موعود للجامعين بين التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل. وفي هذا النفي أيضًا تعريض بما كان عليه الكفار كأنه قيل: وعباد الرحمن هم الذين لا يدعون مع الله إلـٰهًا آخر وأنتم تدعون، ولا يقتلون نفسًا بغير حق وأنتم تقتلون، ولا يزنون وأنتم تزنون ويحسن النفي تعريضًا وإن لم يكن المنفي عنه مظنة لثبوت المنفي له. روي عن ابن عباس أنه قال: إن أناسًا من أهل الشرك قتلوا وزنوا فأكثروا ثم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إن الذي تدعونا إليه لحسن لو تخبرنا بأن لما عملنا كفارة. فنزلت. **قوله:** (جزاء إثم أو إثمًا) يعني أن الآثام عبارة عن عقوبة الإثم وجزائه وقد يطلق على نفس الإثم. فإن كان المراد به في الآية نفس الإثم فلا بد من تقدير المضاف لأن الآثم لا يلقى نفس إثمه بل يلقى جزاءه. قال ابن مسلم: الآثام والإثم واحد والمراد ههنا جزاء الإثم، فأطلق اسم الشيء على جزائه. وقيل: الآثام اسم من أسماء جهنم. وقيل: اسم وادٍ في جهنم وقيل: بئر فيها. **قوله تعالى:** (يضاعف) مجزوم في قراءة العامة على أنه بدل من الجزاء كما أن قوله: تلمم بنا بدل من الشرط في البيت أبدل تلمم من قوله تأتنا، لأن الإلمام وإن كان بمعنى النزول إلا أنه في

وقرأ أبو بكر بالرفع على الاستئناف أو الحال وكذلك. ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩﴾ وابن كثير ويعقوب «يضعف» بالجزم وابن عامر بالرفع وأبو عمرو و«يخلد» على البناء للمفعول مخففًا. وقرىء مثقلاً و«يضعف له العذاب». ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية إلى الكفر. ويدل عليه قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم، أو يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة. وقيل: بأن يوفقه لأضداد ما سلف منه أو بأن يثبت له بدل كل عقاب ثوابًا. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠﴾ فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات.

معنى الإتيان. والجزل ما عظم من الحطب اليابس والأجيج تلهب النار. يقال: أجت النار تؤج أجيجًا إذا تلهبت. قيل: الألف في قوله: «تأججا» بدل من نون التأكيد الخفيفة أصله تتأججن ودخلت نون التأكيد في تأججن مع خلوه عن معنى الطلب للضرورة. قال سيبويه: يجوز في الضرورة أنت تفعلن. وقيل: تأججا فعل ماض والألف فيه للإشباع وذكر ضمير النار فيه لتأولها بالشهاب. وقيل: هو ماضٍ والألف فيه للتثنية وذكر الفعل لتغليب الحطب على النار. **قوله**: (ويدل عليه) أي على انضمامها إلى الكفر. وجه الدلالة أن استثناء التائب من الكفر والمعصية جميعًا يدل على اجتماعهما في المستثنى منه، فإن الكافر مخاطب بالفروع على معنى أنه إذا ارتكب المعاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعًا فتضاعف عقوبته لمضاعفة المعاقب عليه وهو الكبائر مع الشرك.

قوله: (إلا من تاب) المشهور بين المفسرين أنه استثناء متصل لأنه من الجنس. وقيل: لا يظهر مع الاتصال لأن المستثنى منه محكوم عليه بأنه يضاعف له العذاب ولا يلزم من انتفاء التضعيف انتفاء العذاب غير المضعف، فيصير التقدير: إلا من تاب وآمن وعمل صالحًا فإنه لا يضاعف له العذاب. فالأولى أن يكون استثناء منقطعًا، والمعنى: لكن من تاب وآمن وعمل صالحًا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وإذا كان كذلك فلا يلقى عذابًا البتة. انتهى ما قيل. وأجيب عنه بأن الظاهر ما قاله جمهور المفسرين، وما قاله القائل المذكور غير لازم إذ المقصود الإخبار بأن من فعل كذا فإنه يحل به ما ذكر إلا أن يتوب. وأما إصابة أصل العذاب وعدمها فلا تعرض له في الآية. وقوله: ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ يحتمل وجهين: أحدهما أنه تعالى يبدل سيئاتهم حسنات في الآخرة لما كان منهم من الحسرة والندامة على كل سيئة كانت منهم في الدنيا، كما روي عن أبي هريرة أنه قال: ليأتين أقوام يوم القيامة ودوا لو أنهم استكثروا من السيئات، فقيل له: يا أبا هريرة من هم؟ قال: هم الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات. وإليه أشار المصنف بقوله: «بأن يمحو سوابق معاصيهم

﴿وَمَن تَابَ﴾ عن المعاصي بتركها والندم عليها ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يتلافى به ما فرط، أو خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة فأنه ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يرجع إلى الله بذلك ﴿مَتَابًا ٧١﴾ مرضيًا عند الله ماحيًا للعقاب محصلاً للثواب، أو يتوب متابًا إلى الله الذي يحب التائبين ويصطنع بهم، أو فإنه يرجع إلى الله وإلى ثوابه مرجعًا حسنًا. وهذا تعميم بعد تخصيص.

بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم» كأنهم لم يعملوا في الدنيا سوى الطاعة. والوجه الثاني أن يكون التبديل في الدنيا بأن يبدل الله قبائح أعمالهم الواقعة في الشرك بمحاسن الأعمال في الإسلام، فيبدل الله لهم بالشرك إيمانًا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنى عفة وإحصانًا، فكأنه تعالى يبشرهم بأن يوفقهم لهذه الأعمال الصالحة فيستوجبون بها الثواب. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان مشركو مكة قالوا قبل نزول قوله: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا﴾ وما يغني عنا الإسلام وقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التي حرم الله وأتينا الفواحش. فنزلت هذه الآية بمكة. وعنه قال: قرأنا على عهد النبي ﷺ آيتين ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨] إلى قوله: ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٩] ثم نزلت الآية ﴿إلا من تاب﴾فما رأيت رسول الله ﷺ فرح بشيء فرحه بها و﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١] ولما توهم اتحاد الشرط والجزاء في قوله: ﴿ومن تاب وعمل صالحًا﴾ فإنه ﴿يتوب إلى الله متابًا﴾ لأنه في قوة أن يقال: من تاب وصلى فإنه يصلي صلاة. وليس في مثله فائدة ظاهرة. أشار المصنف إلى توجيه الكلام بوجوه حاصلها: أن الجزاء فيه معنى زائد على ما في الشرط وذلك المعنى مستفاد إما من قوله: «متابًا» وتنكيره بعد تقييد ناصبه بكونه رجوعًا إلى الله عز وجل، فإن الشرط هو التوبة بمعنى الرجوع عن المعاصي بتركها والندم عليها إلى الطاعة بأن يتدارك بها ما فرط. أو بمعنى مجرد ترك المعاصي والدخول في الطاعة والجزاء هو الرجوع إلى الله تقدس وتعالى علوًا كبيرًا رجوعًا مرضيًا عند الله مترتبًا عليه محو الخطيئات وعقوباتها ورفع الدرجات وأنواع الكرامات. أو مستفاد من لفظ الجلالة في قوله: «فإنه يتوب إلى الله متابًا» فالله تعالى لما كان موصوفًا ومعروفًا بأنه يعرف التائبين ويحبهم ويفعل بهم ما يستوجبون كان قوله تعالى: ﴿يتوب إلى الله﴾ في قوة أن يقال: يتوب إلى من يعرف حق التائبين ويحسن إليهم ويتفضل عليهم، فكأنه قيل: من تاب من المعاصي وعاد إلى الطاعة في الدنيا فإن تلك التوبة منه في الحقيقة توبة إلى الله تعالى. أو مستفاد من لفظ المضارع بأن يراد بقوله: يتوب الرجوع إلى ثوابه في الآخرة بخلاف الوجهين الأولين، إذ ليس المراد به فيهما الرجوع في الآخرة بل المعنى فيهما أن ما أتى به من التوبة في الدنيا فهو التوبة إلى الله تعالى. **قوله:** (وهذا تعميم بعد تخصيص) يعني

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ لا يقيمون الشهادة الباطلة أو لا يحضرون محاضر الكذب، فإن مشاهدة الباطل شركة فيه. ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ﴾ ما يجب أن يلغى ويطرح. ﴿مَرُّواْ كِرَامٗا ٧٢﴾ معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه. ومن ذلك الإغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به. ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ بالوعظ والقراءة ﴿لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ٧٣﴾ لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر، بل أكبوا عليها سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية. فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك: لا يلقاني زيد مسلمًا. وقيل: الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو. ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ﴾ بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل، فإن المؤمن إذا شاركه أهله في طاعة

أن متعلق التوبة في قوله: ﴿إلا من تاب﴾ هو أمهات المعاصي وههنا مطلق المعاصي. **قوله:** (لا يقيمون الشهادة الباطلة) على أن يشهدون من الشهادة وأن انتصاب الزور على المصدر والأصل لا يشهدون شهادة الزور بإضافة العام إلى الخاص، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. **قوله:** (أو لا يحضرون) على أن يكون «يشهدون» من الشهود وهو الحضور ويكون انتصاب «الزور» على أنه مفعول به والأصل: لا يشهدون مجالس الزور، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. والشهادة الإخبار بصحة الشيء عن مشاهدة عيان. والزور الكذب وأصله تمويه الباطل بما يوهم أنه حق. **قوله:** (فإن مشاهدة الباطل شركة فيه) أي من حيث إن الحضور والنظر دليل الرضى به بل هو سبب لوجوده والزيادة فيه لأن الذي حمل أهله عليه استحسان النظارة ورغبتهم في النظر إليه. **قوله:** (معرضين) يعني أن كرامًا جمع كريم منصوب على الحالية. والمعنى: مروا مر الكرماء الذين لا يرضون باللغو ويتنزهون عن الدخول فيه والاختلاط بأهله. يقال: تكرم فلان عما يشينه إذا تنزه وأكرم نفسه عنه قال تعالى في حقهم ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [القصص: ٥٥] ومن وجوه الإعراض عنه أن يذكر ما يستهجن التصريح به بما يكنى به عنه.

قوله: (بالوعظ والقراءة) متعلق بقوله تعالى: ﴿ذكروا﴾ أي إذا وعظوا بالقرآن أو إذا تلي عليهم القرآن لم يقيموا عليها صمًا لم يسمعوها وعميًا لم يبصروها، ولكنهم سمعوا وبصروا وانتفعوا. وأداة النفي وإن دخلت على فعل الخرور إلا أن المقصود ليس نفي الخرور بل إثبات الخرور ونفي ما جعل قيدًا له وهو الصمم والعمى، على ما تقرر من أن نفي المقيد يرجع إلى نفي قيده والمعنى: أنهم إذا ذكروا بها أكبوا عليها وأقبلوا على المذكر بها حرصًا على استماعها وسمعوها بآذان واعية وأبصروها بعيون راعية. **قوله:** (بتوفيقهم للطاعة) يعني

الله سرّ بهم قلبه وقرّ بهم عينه لما روي من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة. و«من» ابتدائية أو بيانية كقوله: رأيت منك اسدًا. وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر و«ذريتنا» وتنكير الأعين لإرادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لأن المراد أعين المتقين وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم. ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾

أن المراد بالقرة المسؤولة بها تفضيلهم بالفضائل الدينية لا بالمال والجمال ونحوهما، فإن المتقين هم الذين تقر أعينهم بصلاح أزواجهم وأولادهم كما قيل: ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله. وأما غير المتقين فإنهم يحبون الدنيا وزينتها ولا تقر أعينهم إلا بما يحبونه. و«قرة أعين» منصوب على أنه مفعول «هب» وهو مصدر قولك: قرت عينه قرًا وقرورًا، وصف بها الأعيان الموهوبة على أن تكون كلمة «من» في قوله: ﴿من أزواجنا وذرياتنا﴾ تجريدية والمعنى: اجعلهم لنا قرة عين وهو من قبيل: رأيت منك أسدًا أي أنت أسد. ويجوز أن تكون ابتدائية على معنى: هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح يقال: قرت به عيني وقررت به عينًا أقرّ قرًا وقرورًا، فهما إما من القرور أي رضيت به حتى تقر عيني فلم تطمح إلى ما فوقه، أو من قولهم: قر يومنا من القر بالضم وهو البرد وقرر العين على هذا يكون كناية عن الفرح والسرور فإن للسرور دمعة باردة وللحزن دمعة حارة. بيّن الله أولاً معاملتهم مع الخلق بأنهم يمشون على الأرض هونًا ولا يؤذون أحدًا وإذا آذاهم أهل الجهل والسفه لا يعارضونهم بالأذى ولكن يتحملون ذلك ويتجاوزون عنه ويقولون قولاً سدادًا. ثم بيّن معاملاتهم مع الحق ودعاءهم بالليل بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤، ٦٥] ثم أخبر عن صنعهم في أموالهم بأنهم ينفقون قوامًا ثم بيّن أنه مع تحليهم بهذه الفضائل التي هي أصول الطاعات يجتنبون عن أمهات المعاصي، ثم بيّن معاملتهم مع أهليهم ودعاءهم في حقهم وفي حق أنفسهم فإن قولهم: ﴿واجعلنا﴾ يعنون به أنفسهم وذرياتهم. ومن قرأ «ذريتنا» على التوحيد نظر إلى أن اسم الذرية يطلق على الواحد والجمع، ومَن قرأه على لفظ الجمع قصد زيادة الكثرة كما يجمع لفظ القوم والرهط لذلك فيقال: أقوام وأرهاط. **قوله:** (وتنكير الأعين) أي مع أن المراد بها أعين القائلين وهي معينة فلأي شيء نكرت؟ والجواب عنه أنه لما قصد تنكير القرة للتعظيم نكر المضاف إليه فإنه لا سبيل لك إلى تنكير المضاف إلا بتنكير المضاف إليه فنكر المضاف لذلك فكأنه قيل: هب لنا سرورًا لا يكتنه كنهه. **قوله:** (وتقليلها) يعني أن القائلين جم غفير فلم قللوا أعينهم حيث عبروا عن عيونهم بجمع القلة؟ أجاب عنه بأن عيون المتقين قليلة بالإضافة إلى الغير. وفيه أن التعبير بجمع القلة لا يكفي فيه أن يكون المعبر عنه قليلا بالإضافة إلى الغير بل يجب أن

يقتدون بنا في أمر الدين بإفاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده لدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥] أو لأنه مصدر في أصله، أو لأن المراد: واجعل كل واحد منا، أو لأنهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم. وقيل: جمع آم كصائم وصيام ومعناه: قاصدين لهم مقتدين بهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾ أعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس أريد به الجمع بقوله: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧] وللقراءة بها وقيل: هي من أسماء الجنة. ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات. ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾ دعاء بالتعمير والسلامة أي يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم، أو يحيي بعضهم بعضًا ويسلم عليه، أو تبقية دائمة وسلامة من كل آفة. وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر «يلقون» من لقي ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ لا يموتون ولا يخرجون ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ مقابل ساءت مستقرًا معنى ومثله إعرابًا. ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي﴾ ما يصنع بكم من عبات الجيش إذ هيأته

يكون عشرة فما دونها والقلة الإضافية لا تستلزم ذلك. **قوله:** (وتوحيده) أي مع أنه مفعول ثانٍ لقوله: ﴿واجعلنا﴾ فينبغي أن يطابق المفعول الأول في الإفراد والجمع بأن يقال: واجعلنا أئمة. **قوله:** (بصبرهم) على أن «ما» مصدرية ولم يقيد الصبر بالمتعلق بل أطلق ليتسع في كل مصبور عليه. والمضض وجع المصيبة. **قوله:** (دعاء بالتعمير والسلامة) يعني أن التحية هي الدعاء بالتعمير والسلام هو الدعاء بالسلامة ولم يذكر الملقي إياهما وهم في الغرفات، ويمكن أن ذلك هو الله لقوله: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨] وأن يكون الملائكة لقوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤] وأن يكون بعضهم يحيي بعضًا ويسلم عليه. **قوله: (أو تبقية دائمة)** عطف على قوله دعاء بالتعمير أي ويجوز أن يكون المعنى: ويلقون في تلك الغرفة نفس التبقية الدائمة ونفس السلامة من كل آفة أي يعطيهم الله تعالى البقاء والخلود بأن يبقيهم في الجنة خالدين سالمين. وعلى هذا المعنى، يكون التركيب مستعملاً في أصل معناه لأن معنى التحية الإحياء والتبقية يقال: حياه تحية أي أحياه إحياء كما يقال: بقاه تبقية بمعنى أبقاه إبقاء. وعلى المعنى الأول يكون مجازًا لأنه ينزل الدعاء بالتحية منزلة التحية فإن من دعا بأن يبقيه ويخلده كان كمن أبقاه وخلده بناء على أن تعالى وعد بإجابة الدعاء حيث قال: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] وقوله تعالى: ﴿خالدين﴾ حال من ﴿يجزون﴾ أو ﴿يلقون﴾ أي مقيمين فيها من غير موت ولا انتقال. ثم إنه تعالى لما وصف عبادة العابدين وعدد خصالهم الحميدة وشرح ثوابهم ووعدهم ما وعدهم لأجل عبادتهم، أمر رسوله بأن يقول للناس صريحًا إن مبالاة الله واعتناءه بشأنكم حيث خلق

أو لا يعتد بكم ﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ لولا عبادتكم فإن شر الإنسان وكرامته بالمعرفة والطاعة وإلا فهو وسائر الحيوانات سواء. وقيل: معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة. و«ما» إن جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدرية كأنه قيل: أي عبىء يعبأ بكم. ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ بما أخبرتكم به حيث خالفتموه. وقيل: فقد قصرتم في العبادة من قولهم: كذب القتال إذا لم يبالغ فيه. وقرىء «فقد كذب الكافرون» أي الكافرون منكم لأن توجه الخطاب إلى الناس عامة بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب. ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾ يكون جزاء التكذيب لازمًا يحيق بكم لا

السمٰوات والأرض وما بينهما إرادة لانتظام أحوالكم وقضاء لحوائجكم ومهماتكم، إنما هو لتعرفوا حق المنعم وتطيعوه فيما كلفكم به من التكليفات وتظفروا بالسعادة الأبدية وإلا فهو تعالى غني عنكم، وبأي وجه يحتاج إليكم وهو غني عن العالمين. يقال: عبأ المتاع يعبأ عبأ فهو عابىء إذا احتاج إليه فهيأه لذلك. قوله: (لولا دعاؤكم) ذكر فيه وجهين: أحدهما لولا دعاؤه إياكم إلى الدين والطاعة فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول، وثانيهما كون المصدر مضافًا إلى فاعله وكونه بمعنى العبادة والتذلل بالوجوه المبينة في الشرع. واختار المصنف أن يكون الخطاب في قوله تعالى: ﴿قل ما يعبأ بكم﴾ وفي قوله: ﴿لولا دعاؤكم فقد كذبتم﴾ متوجهًا إلى جنس الناس من غير تقييد بنوع من أنواع هذا الجنس، ثم وجه صحة إسناد العبادة والتكذيب إلى الجنس المذكور بأنه لما وجد في صنف من أصناف العبادة وفي صنف آخر من أصناف التكذيب، صح إسنادهما إليه وكان تقدير قراءة فقد كذب الكافرون أي منكم، إلا أن دخول الصالحين الأبرار في خطاب ﴿فقد كذبتم﴾ فسوف يكون لزامًا بناء على أن يقال في تأويله، فقد كذب صنف منكم لا يخلو عن بعد. والظاهر أن يكون الخطاب متوجهًا إلى كفار قريش لأن هذه السورة الكريمة نازلة لتقريع كفار قريش على عنادهم وتكذيبهم آيات الله تعالى وتسميتهم القرآن بأساطير الأولين، وطعنهم في رسول الله بقولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٧] وأما ذكر المؤمنين فتعريض بهم. وجواب قوله تعالى: ﴿لولا دعاؤكم﴾ محذوف لدلالة المقام عليه أي لولا دعاؤكم لما خلقكم ولما اعتنى بشأنكم وقوله تعالى: ﴿فقد كذبتم﴾ موضوع موضع أن يقال: فقد تركتم عبادتي وخالفتم حكمي على طريق التعبير بالملزوم عن اللازم لأن التكذيب مستلزم لترك العبادة. والظاهر من تقرير صاحب الكشاف أنه جعل قوله: ﴿فقد كذبتم﴾ معطوفًا على شرط محذوف. قوله: (فسوف) جزاء لذلك الشرط المحذوف كأنه قيل: إذا أعلمتكم أني لا أعبأ بعبادي إلا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي، فسوف يلزمكم إثم تكذيبكم حتى يكبكم في النار فإني لا أعتد بمن لا يشتغل بالعبادة، وبعد هذا الإعلام تركتم العبادة فسوف يلحقكم العذاب. قوله تعالى: (لزامًا)

محالة أو أثره لازمًا بكم حتى يكبكم في النار. وإنما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على أنه مما لا يكتنه الوصف. وقيل: المراد قتل يوم بدر وأنه لوزم بين القتلى لزامًا. وقرئ «لزامًا» بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت. عن النبي عليه الصلاة والسلام: «من قرأ سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها ودخل الجنة بغير نصب».

خبر «يكون» واسمه مضمر والمعنى: يكون جزاء التكذيب لازمًا على أن يكون اللزام مصدرًا كالقيام أقيم مقام الفاعل كما يقوم العدل مقام العادل. ويحتمل أن يكون الاسم المضمر أثر التكذيب. قوله: (حتى يكبكم) بفتح الياء من كبه لا بضمها من أكب لأنه لازم يقال: كبه لوجهه أي صرعه فأكب على وجهه وهو من النوادر. وقرئ «لزامًا» بفتح اللام بمعنى اللزوم كالثبات بمعنى الثبوت والأول بمعنى الملازمة وكلاهما من قبيل الوصف بالمصدر بمعنى ملازمًا أو لازمًا. تمت سورة الفرقان والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة الشعراء

مكية إلا قوله: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ إلى آخرها وآيها مائتان وست أو سبع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓمٓ ①﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالإمالة، ونافع بين بين كراهة العود إلى الياء المهروب منها. وأظهر نونه حمزة لأنه في الأصل منفصل عما بعده. ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ②﴾ الظاهر إعجازه وصحته. والإشارة إلى السورة أو القرآن على ما مر في أول البقرة. ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ قاتل نفسك. وأصل البخع أن يبلغ بالذبح البخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذبح. وقرىء «باخع نفسك»

سورة الشعراء

مائتان وست أو سبع وعشرون آية

بسم الله الرحمـٰن الرحيم وبه نستعين

قوله: (بالإمالة) أي بإمالة فتحة طا وألفها لأن فواتح السور ليست بحروف بل هي أسماء لما يتهجى به فجازت الإمالة فيها. وقرأ الباقون بتفخيم ألفها على الأصل، وأظهر حمزة نون سين أي لم يدغمها في الميم، لأن حروف الهجاء في تقدير الانفصال والانقطاع عما بعدها فوجب إظهارها لأنها إنما تخفى متصلة بحرف من حروف الفم، وإذا لم تتصل بها لم يوجب شيء يوجب إخفاءها ظاهرًا. والباقون يدغمون النون في الميم نظرًا إلى اتصالها بحرف الشفة. **قوله:** (والإشارة إلى السورة أو القرآن) يعني أن «طسم» اسم لهذه السورة أو القرآن، و«تلك» إشارة إلى المسمى بهذا الاسم واختص في الإشارة لفظ البعيد

بالإضافة و«لعل» للإشفاق أي أشفق على نفسك أن تقتلها. ﴿أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ لئلا يؤمنوا أو خيفة أن لا يؤمنوا. ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ دلالة ملجئة إلى الإيمان أو بلية قاسرة عليه.

﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾﴾ منقادين وأصله فظلوا لها خاضعين، فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على أصله. وقيل: لما وصفت الأعناق بصفات العقلاء أجريت مجراهم. وقيل: المراد بها الرؤساء أو الجماعات من

مع أنه لم يتخلل شيء بين اسم الإشارة والمشار إليه وهو «طسم» لبعد المشار إليه باعتبار أن الاسم الدال عليه قد تكلم به وانقضى أو باعتبار أنه قد وصل من المرسل إلى المرسل إليه. فقوله: «طسم» مبتدأ و«تلك» مبتدأ ثانٍ و«آيات الكتاب المبين» خبر المبتدأ الثاني، وهذه الجملة خبر المبتدأ الأول وهو «طسم» بتقدير المضاف ليصح الإخبار عنه بأن تلك آيات الكتاب المبين. والتقدير: آيات ﴿طسم﴾ بمعنى آيات هذه السورة أو آيات جملة القرآن العظيم ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾، وهو من أبان بمعنى بان وظهر ولهذا فسره بقوله: «الظاهر إعجازه» ومحصول قوله: آيات ﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين﴾ أن هذه السورة الكريمة أو القرآن العظيم كتاب مبين أي ظاهر إعجازه، وصحيح أنه كلام الله تعالى إذ لو لم يكن كذلك لقدروا على الإتيان بمثله ولما عجزوا عن معارضته. قوله: (ولعل للإشفاق) أي الخوف وهو تعالى منزه عن الخوف والمعنى: أنه تعالى يأمره أن يخاف على نفسه فلا يتحسر لئلا تؤديه الحسرة إلى الهلاك وهو قول المصنف: «أي أشفق على نفسك». قوله: (لئلا يؤمنوا) يعني أن قوله: «أن لا يؤمنوا» في موضع النصب على أنه مفعول بحذف لام التعليل من «أن» كما هو المشهور، أو بحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه والتقدير: خيفة أن لا يؤمنوا. ولما كانت الخيفة فعلاً لفاعل الفعل المعلل وهو البخع من حيث إن كل واحد منهما فعل النبي لم يحتج إلى اللام في تعلق العامل به، أو أنه حذف اللام لما ثبت من أن حذف اللام من «أن» و«أن» قياس مستمر لا لكونه مفعولاً له. قوله تعالى: (فظلت) معطوف على «ننزل» وإنما جيء به ماضيًا لتحقق كون أعناقهم خاضعين حينئذ. قوله: (وأصله فظلوا لها خاضعين) جواب عما يقال: قوله: ﴿خاضعين﴾ مسند إلى ضمير الأعناق وهي ليست من قبيل العقلاء فلا يجوز أن يخبر عنها بلفظ الجمع السالم لأنه مختص بالعقلاء. وتقرير الجواب: أن الخضوع صفة أصحاب الأعناق وأخبر عن الأعناق بقوله: «خاضعين» بناء على أصل الكلام ولما أقحمت الأعناق لبيان محل الخضوع كان ينبغي أن يغير الكلام إلى خاضعة أو خاضعات إلا أنه ترك الخبر على أصله للدلالة عليه.

قولهم: جاءنا عنق من الناس لفوج منهم. وقرىء «خاضعة» و«ظلت» عطف على «ننزل» عطف وأكن على فأصدق لأنه لو قيل: أنزلنا بدله لصح.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ موعظة أو طائفة من القرآن. ﴿مِّنَ الرَّحْمَٰنِ﴾ بوحيه إلى نبيه ﴿مُحْدَثٍ﴾ مجدد إنزاله بتكرير التذكير وتنويع التقرير. ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥﴾ إلا جددوا إعراضًا عنه وإصرارًا على ما كانوا عليه ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ أي بالذكر بعد إعراضهم وأمعنوا في تكذيبه بحيث أدى بهم إلى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنًا في قوله: ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ أي إذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة. ﴿أَنبَٰٓؤُا مَا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦﴾ من أنه كان حقًا أم باطلاً وكان حقيقًا بأن يصدق ويعظم قدره أو

قوله: (وظلت عطف على ننزل) جواب عما يقال: كيف عطف الماضي على المستقبل بحرف التعقيب أو بالفاء السببية والماضي يمتنع أن يكون عقيب المستقبل وأن يكون مسببًا عنه؟ وتقرير الجواب أن «ننزل» وإن كان مستقبلاً لفظًا إلا أنه في قوة الماضي لأنه لو أورد بدله لفظ الماضي لكان صحيحًا كما عطف «أكن» المجزوم على «أصدق» المنصوب لكونه في موضع الجزاء من حيث إن المعنى إن أخرتني أتصدق وأكن. بيّن الله أن آيات هذه السورة الكريمة من حيث كونها آيات الكتاب الظاهر إعجازه كافية في الدلالة على وجود إله قادر على ما يشاء وعلى صدق مدّعي الرسالة في دعواه، فهي كافية في دخولهم في الإيمان وفي قبولهم جميع ما فيها من الأصول الاعتقادية والفروع العملية، فإن لم يؤمنوا بسببها فلا تبالغ في الحزن والأسف على بقائهم على الكفر والضلال، وأشفق على نفسك أن تقتلها بلا فائدة. فصبّره الله تعالى وعزاه وعرّفه أن غمه وحزنه لا ينفع في إيمان من سبق حكم الله بعدم إيمانه كما أن الكتاب المبين الإعجاز لم ينفع في إيمانه. ثم بيّن أن الله تعالى قادر على أن ينزل آية ملجئة إلى الإيمان أو بلية قاسرة عليه إلا أنه لم يفعل ذلك بناء على أنه لا عبرة بالإيمان المبني على القسر والإلجاء. ثم بيّن أنه من جهة وفور رحمته وفضله وإحسانه جدد لهم الإنذار والتذكير وقتًا بعد وقت، وكلما نزل عليهم شيئًا من الموعظة والتذكير وطائفة من القرآن النذير أصرّوا على ما كانوا عليه من الإعراض والتكذيب. والاستهزاء المدلول عليه بقوله: ﴿فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾ والفاء في قوله: ﴿فقد كذبوا﴾ للتعقيب كما أشار إليه بقوله: «أي فقد كذبوا بالذكر بعد إعراضهم» المؤدي إلى التكذيب المؤدي إلى الاستهزاء بناء على أن ما كذبوه واستهزأوا به هل هو حقيق بالتصديق والتعظيم أو بالتكذيب والاستهزاء. ثم إنه تعالى بعدما بيّن أنه كلما أنزل عليهم ذكرًا جديدًا وقتًا بعد وقت فلم يزدهم ذلك سوى النفور والإعراض، بيّن أيضًا أنه أظهر لهم أدلة تحدث في الأرض وقتًا بعد وقت تدل على وحدانيته وكمال قدرته، ومع ذلك استمر أكثرهم على ما هم عليه من الكفر

يكذب فيستخف أمره. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أو لم ينظروا إلى عجائبها ﴿كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف ﴿كَرِيمٍ ۝٧﴾ محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى. وههنا يحتمل أن تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وأن تكون مبينة منبهة على أنه ما من نبت إلا وله فائدة، إما وحده أو مع غيره و«كل» لإحاطة الأزواج و«كم» لكثرتها. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إن في إنبات تلك الأصناف أو في كل واحد ﴿لَءَايَةً﴾ على أن منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨﴾ في علم الله وقضائه. فلذلك لا ينفعهم أمثال هذه الآيات العظام.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب القادر على الانتقام من الكفرة. ﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾ حيث أمهلهم أو العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن. ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ مقدر «باذكر» أو ظرف لما بعده. ﴿أَنِ ٱئْتِ﴾ أي ائت أو بأن إيت ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠﴾ بالكفر واستعباد بني إسرائيل وذبح أولادهم. ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ بدل من الأول أو عطف بيان له، ولعل الاقتصار على القوم للعلم بأن فرعون كان أولى بذلك.

والعصيان فقال: ﴿أولم يروا إلى الأرض﴾ وبخهم على تركهم نظر الاعتبار ليستدلوا بما في الأرض من العجائب أو رأوا إلا أنهم لم يؤمنوا بسببها. و «كم» في قوله تعالى: ﴿كم أنبتنا﴾ خبرية للتكثير ومنصوبة المحل بالفعل الذي بعدها على المفعولية أي كثيرًا من الأزواج أنبتنا وكل زوج تمييز جيء به للدلالة على أن الكثير الذي أنبته الله تعالى ليس من بعض أصناف النبات بل من جميع أصنافه على التفصيل. **قوله**: (وهو صفة) يعني أن الكريم اسم يوصف به كل ما يحمد ويرضى في بابه وماله من المنافع والكمالات التي لا يقدر على إتيانها إلا رب العالمين، ومنه وجه كريم أي محمود مرضي في حسنه وجماله، وكتاب كريم أي مرضي في لفظه ومعانيه وفوائده، وفارس كريم أي مرضي في شجاعته وبأسه. ووصف الزوج بالكريم يحتمل معنيين: الأول أنه صفة مقيدة له مخصصة بما هو النافع من نوعي النبات فإنه على نوعين نافع وضار، فبيّن الله كثرة ما أنبت في الأرض من جميع أصناف النباتات النافع وترك ذكر الضار. والثاني أن يكون صفة مادحة لا مخصصة فيعم جميع أصناف النبات نافعة وضارة. وفي وصف جميعها بالكرم تنبيه على أنه تعالى ما أنبت شيئًا إلا وفيه فائدة ومنفعة جليلة لأن الحكيم لا يفعل فعلاً إلا لمعنى صحيح وحكمة بالغة، وإن غفل عنها الغافلون ولم يتوصل إلى معرفتها العاقلون. **قوله**: (أو ظرف لما بعده) أي قال: ﴿رب إني أخاف أن يكذبون﴾ إذ نادى ربك. وقيل: إنه لمقدر قبله أي واتل على قومك إذ نادى الله موسى فيما تتلو ويدل عليه قوله تعالى فيما بعد ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الشعراء: ٦٩] وذلك حين رأى موسى الشجرة والنار. **قوله**: (ولعل الاقتصار على القوم) يعني أنه لا شك

﴿أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ استئناف اتبعه إرساله إليهم للإنذار تعجيبًا له من إفراطهم في الظلم واجترائهم عليه. وقرىء بالتاء على الالتفات إليهم زجرًا لهم وغضبًا عليهم. وهم وإن كانوا غيبًا حينئذ أجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل إليهم من حيث إنه مبلغه إليهم، واستماعه مبدأ استماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده. وقرىء بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الإضافة ويحتمل أن يكون بمعنى: ألا يا

أن موسى كان مبعوثًا إلى فرعون وقومه من الرؤساء والأتباع إلا أنه لم يذكر في بعض الآيات قومه حيث قال: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: ٤٣] ولم يذكر في بعضها الأتباع حيث قال: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ [الأعراف: ١٠٣] وآيات أخرى. والملأ هم الرؤساء دون الأتباع لأن المتبوع ورؤساء القوم لما كانوا أصلاً أتبعهم الأتباع في الإيمان، كان ذكرهم يغني عن ذكر الأتباع فلذلك اقتصر تارة على ذكر فرعون وتارة على ذكره وذكر رؤساء قومه. واقتصر في هذه الآية على ذكر قومه من الرؤساء والأتباع للعلم بأن نفس فرعون كان أولى بذلك. **قوله:** (ألا يتقون استئناف) لا محل له من الإعراب وهو متعين على قراءة «يتقون» بياء الغيبة. وأما على القراءة بتاء الخطاب فإنه يحتمل أن يكون التقدير: ائت القوم الظالمين وقل لهم: ألا تتقون بإضمار القول فلا التفات حينئذ، وإنما يكون التفاتًا على تقدير كونه استئنافًا. وطريق الالتفات أنه تعالى بصدد الشكاية من قوم فرعون وظلمهم لنبيه موسى، فلما اشتد غضبه عليهم قطع بث الشكوى إلى موسى وأقبل عليهم يوبخهم بالعنف والغلظة وقال لهم: ﴿ألا تتقون﴾. ولما ورد: كيف يصح الالتفات إليهم وهم غيب والالتفات إلى الجاني إنما يصح إذا كان الجاني حاضرًا في مجلس الشكاية وهم ليسوا حاضرين في مجلس خطابه تعالى مع موسى في وقت المناجاة؟ أجاب عنه بقوله: «وهم وإن كانوا غيبًا حينئذ» أي حين مخاطبة الله موسى عليه الصلاة والسلام. وتقرير الجواب: أنهم وإن كانوا غيبًا إلا أنهم حينئذ أجروا مجرى الحاضر. وكلام الشخص الذي أرسل إليهم من حيث إن ذلك الشخص لما كان مبلغ ذلك الكلام إليهم وكان استماعه مبدأ استماعهم، كان حضور ذلك الشخص مع المتكلم بمنزلة حضورهم معه ولذلك صح الالتفات إليهم في كلام ذلك الشخص، وإن كانوا غيبًا في نفس الأمر وقت المكالمة معه مع أن في الالتفات إليهم بهذا الطريق مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده، لأنه لما وبخ الغائب على ترك التقوى وحث عليه مع عدم استماعه كلام الموبخ بالذات فالحاضر المتدبر يكون له أوفر حظ من الحث عليه. **قوله:** (اكتفاء بها عن ياء الإضافة) فإن أصله على قراءة الكسر «ألا يتقونني» فحذفت إحدى النونين تخفيفًا واكتفى بكسر النون عن ياء المتكلم فصار «ألا يتقون». ويحتمل أن تكون قراءة الكسر مبنية على أن يكون أصل الكلام: ألا يا ناس اتقوني، بأن تكون الياء في «يتقون» حرف النداء وأن

ناس اتقون كقوله: ﴿ألا يا اسجدوا﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾﴾ رتب استدعاء ضم أخيه إليه وإشراكه له في الأمر على الأمور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالاً عنه، وازدياد الحبسة في اللسان بانقباض الروح إلى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لأنها إذا اجتمعت مست الحاجة إلى معين يقوي قلبه وينوب منابه متى يعتريه حبسته حتى لا تختل دعوته ولا تتبر حجته. وليس ذلك تعللاً منه وتوقفًا في تلقي الأمر بل طلبًا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذر فيه. وقرأ يعقوب و«يضيق» و«لا ينطلق» بالنصب عطفًا على «يكذبوا» فيكونان من جملة ما خاف منه.

يكون المنادى محذوفًا كما في قوله: ﴿ألا يا اسجدوا﴾ فإن أصله ألا يا هؤلاء اسجدوا، ويكون اتقون أمرًا حاضرًا حذف منه ياء المتكلم اكتفاء بالكسر وتكون النون فيه نون الوقاية، ويكون ارتباط الكلام بما قبله على هذا الوجه بتقدير القول أي إن رأيت القوم الظالمين قل لهم: ألا يا ناس اتقون، فإن قلت: هذا التوجيه لا يساعده خط المصحف. فالجواب أن خط المصحف سنة متبعة غير منوطة بالقياس.

قوله: (رتب استدعاء ضم أخيه إليه وإشراكه له في الأمر على الأمور الثلاثة) مبني على أن يكون قوله: ﴿يضيق﴾ ﴿ولا ينطلق﴾ مرفوعين بعطفهما على خبر «أن» وهو أخاف لأنهما إذا كانا منصوبين عطفًا على أن يكذبون يكون استدعاء الضم مرتبًا على علة واحدة وهي الخوف من الأمور الثلاثة، فإن المعنى حينئذ: أخاف أن يكذبون وأخاف أن يضيق صدري وأخاف أن لا ينطلق لساني. وعلى قراءة الرفع يكون كل واحد من الأمور الثلاثة علة مستقلة لاستدعاء الضم. غاية ما في الباب أن يكون بعضها مرتبًا على البعض في الوجود لأن حاصل الكلام حينئذ: أنه لو لم يشرك به هارون في الأمر لاختلفت المصلحة المطلوبة من بعثة موسى عليه الصلاة والسلام وذلك من وجهين: الأول أن فرعون ربما كذبه والتكذيب سبب لضيق القلب لتعسر الكلام على من يكون في لسانه حبسة، لأنه عند ضيق القلب تنقبض الروح والحرارة الغريزية إلى باطن القلب وإذا انقبضا إلى الداخل وخلا منهما الخارج ازدادت الحبسة في اللسان. فالتأذي من التكذيب سبب لضيق القلب وضيق القلب سبب للحبسة. فلهذا بدأ عليه الصلاة والسلام بخوف التكذيب ثم ثنى بضيق الصدر ثم ثلث بعدم انطلاق اللسان ثم قال: وهارون أفصح لسانًا مني، وليس في حقه هذا المعنى فكان ضمه إلي وإرساله معي لائقًا. والثاني أن لي عندهم ذنبًا فأخاف أن يبادروا إلى قتلي وحينئذ لا يحصل المقصود من البعثة وأما هارون فليس كذلك، فيحصل المقصود من البعثة بضمه «إلي».
قوله: (وليس ذلك تعللاً منه) جواب عما يقال: كيف ساغ لموسى عليه الصلاة والسلام أن

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾ أي تبعة ذنب حذف المضاف أو سمي باسمه، والمراد قتل القبطي، وإنما سماه ذنبًا على زعمهم. وهذا اختصار قصته المبسوطة في مواضع. ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾ به قبل أداء الرسالة وهو أيضًا ليس تعللاً، وإنما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما أن ذاك استمداد واستظهار في أمر الدعوة. وقوله: ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا﴾ إجابة له إلى الطلبتين بوعده لدفع بلائهم اللازم بردعه عن الخوف وضم أخيه إليه في الإرسال. والخطاب في «فاذهبا» على تغليب الحاضر لأنه معطوف على الفعل الذي يدل عليه «كلا» كأنه قيل: ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت والذي طلبته. ﴿إِنَّا مَعَكُم﴾ يعني موسى وهارون وفرعون ﴿مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾ سامعون لما يجري بينكما وبينه، فأظهر كما عليه مثل نفسه بمن حضر مجادلة قوم استماعًا له لما يجري بينهم وترقبًا لإمداد أوليائه منهم مبالغة في الوعد بالإعانة، ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الإصغاء للسمع الذي هو مطلق إدراك الحروف والأصوات، وهو خبر ثانٍ أو الخبر وحده و«معكم» لغو. ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ أفرد الرسول لأنه مصدر وصف به فإنه مشترك بين المرسل والرسالة قال:

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول

يأمره الله بأمر فلا يقبله بسمع وطاعة ومن حقه أن يسارع في امتثال المأمور به بلا توقف؟ وتقرير الجواب أنه عليه الصلاة والسلام لم يرد بذكر الأمور الثلاثة الاستعفاء من تكليف الرسالة والتعلل بها، بل أراد به تمهيد العذر في التماسه المعين فهو قد امتثل وقبل ولكنه التمس من ربه أن يعضده بأخيه حتى يتعاونا على تنفيذ أمره وتبليغ رسالته. وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الأمر ليس بتوقف في امتثال الأمر ولا يتعلل فيه. وأراد بالذنب قتله القبطي بالوكزة دفعًا عن القبطي الآخر، وأراد بكون ذلك القتل عليه أن تبعة ذلك القتل أي موجبه وجزاءه بذمته على زعمهم. والتبعة كل حق يجب للمظلوم على الظالم بمقابلة ظلمه عليه. **قوله:** **(إجابة له إلى الطلبتين)** تثنية طلبة بكسر اللام وهي ما طلبته من شيء طلب موسى أمرين: الأول أن يدفع عنه شرهم والثاني أن يرسل معه هارون. فأجابه الله إلى الأول بقوله: ﴿كلا﴾ ومعناه ارتدع يا موسى عما تظنه فإنهم لن يقتلوك به فإني لا أسلطهم عليك بل أسلطك عليهم. وأجابه إلى الثاني بقوله: ﴿فاذهبا﴾ أي اذهب أنت والذي طلبته وهو هارون. **قوله:** **(يعني موسى وهارون وفرعون)** فهو تعالى معهما بالعون والنصر ومع فرعون بالكسر والقهر. **قوله:** **(سامعون)** حقيقة الاستماع طلب السمع بالإصغاء والله تعالى سامع غني عن الاستماع والإصغاء، فلذلك جعل المعنى نسمع ما تقولانه وما يجيبونكما به. وفي الكلام استعارة تمثيلية لكون وجه الشبه هيئة منتزعة من عدة أمور. **قوله:** **(لأنه مصدر وصف به)**

ولذلك ثنى تارة وأفرد أخرى، أو لاتحادهما للأخوة أو لوحدة المرسل والمرسل به، أو لأنه أراد أن كل واحد منا. ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ أي قولا أرسل لتضمن الرسول معنى الإرسال المتضمن معنى القول. والمراد: خلهم يذهبوا معنا إلى الشام ﴿قَالَ﴾ أي فرعون لموسى بعد ما أتياه فقالا له ذلك. ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا﴾ في منزلنا ﴿وَلِيدًا﴾ طفلاً. سمي به لقربه من الولادة.

﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ قيل: لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج إلى مدين عشر سنين ثم عاد إليهم يدعوهم إلى الله ثلاثين ثم بقي بعد الغرق خمسين. ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ﴾ يعني قتل القبطي وبخه به معظما إياه بعد ما عدد عليه نعمته. وقرىء «فعلتك» بالكسر لأنها كانت قتلة بالوكز.

﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ بنعمتي حتى عمدت إلى قتل خواصي أو ممن تكفرهم الآن، فإنه عليه السلام كان يعايشهم بالتقية، فهو حال من إحدى التاءين. ويجوز أن يكون حكمًا مبتدأ عليه بأنه من الكافرين بإلاهيته أو بنعمته لما عاد بالمخالفة أو من الذين كانوا يكفرون في دينهم.

مبالغة أو بتقدير ذوا رسالة رب العالمين. **قوله:** (بعدما أتياه فقالا له ذلك) إشارة إلى أن في الكلام حذفًا أي فذهبا إليه فدخلا عليه وقالا له ما أمرهما الله تعالى به، فعند ذلك قال فرعون ما قال. روي أنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب: إن ههنا إنسانًا يزعم أنه رسول رب العالمين. فقال: ائذن له لعلنا نضحك منه. فأذن لهما فدخلا عليه وأديا الرسالة فعرف موسى عليه الصلاة والسلام فعدد نعمه عليه أولاً ثم إساءة موسى عليه الصلاة والسلام إليه. والوليد الصبي الصغير وكان عليه الصلاة والسلام ولد فيهم، ثم كان فيما بينهم حتى صار رجلاً. والفعلة بالفتح بناء المرة وكانت وكزة واحدة وبالكسر بناء النوع وتعظيم تلك الفعلة يستفاد من عدم التصريح باسمها الخاص، فإن تنكير الشيء وإبهامه قد يقصد به التعظيم.

قوله: (أو ممن تكفرهم الآن) أي فعلتها والحال أنك في ذلك الوقت من القوم الذين تزعم الآن أنهم كافرون أي كنت قبل الآن منا وعلى ديننا والآن جئت تكفرنا. وهذا من غاية جهل اللعين لأن الأنبياء لم يزالوا على التوحيد والبراءة من الشرك والله تعالى عاصم من يستنبئه من كل كبيرة، فما ظنك بالكفر؟ و«إذا» في قوله: ﴿فعلتها إذا﴾ حرف جواب فقط لأن ملاحظة المجازاة ههنا بعيدة. فإن سيبويه وإن نص على أنها للجزاء لكن شرّاح كتابه قد ذهبوا إلى أنها قد تتمحض للجواب ويتخلف عنها الدلالة على المجازاة.

﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ من الجاهلين. وقد قرىء به. والمعنى من الفاعلين فعل أولي الجهل والسفه، أو من المخطئين لأنه لم يتعمد قتله، أو الذاهلين عما يؤول إليه الوكز لأنه أراد به التأديب، أو الناسين من قوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢] ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا﴾ حكمة ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾ رد أولاً بذلك ما وبخه به قدحًا في نبوته، ثم كر على ما عد عليه من النعمة ولم يصرح برده لأنه كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على أنه كان في الحقيقة نقمة لكونه مسببًا عنها فقال: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ أي وتلك التربية نعمة تمن عليّ بها ظاهر أو هي في الحقيقة تعبيدك بني إسرائيل، وقصدهم بذبح أبناءهم فإنهم السبب في وقوعي إليك وحصولي في تربيتك. وقيل: إنه مقدر بهمزة الإنكار أي أو تلك نعمة تمنها عليّ وهي «أن عبدت» ومحل «إن

قوله: (من الجاهلين) والحاصل: أنه عليه الصلاة والسلام لم يرد بالضلال الكفران لأنه أراد به رد قوله: ﴿وأنت من الكافرين﴾ بل أراد به إما الجهل والسفه والمعنى: وإنا من الفاعلين فعل أولي الجهل والسفه من غير اتباع الوحي والدليل، وإما الخطأ في الفعل حيث قصد المنع والتأديب فضل ووقع منه القتل، وإما الدخول عما يؤول إليه الوكز من القتل. وإما النسيان كما في قوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فإن الضلال فيه بمعنى النسيان لأن التذكر إنما يكون بعد النسيان. وخلاصة جوابه عليه الصلاة والسلام على جميع التقادير: إن ما توبخني به وتعده عليّ ذنبًا إنما فعلته على وجه لا يعاتب من فعله على ذلك الوجه فضلاً عن أن يعد كافرًا حقيقة أو كافرًا للنعمة، فإنه كيف يعاتب من فعل فعلاً برأيه على قصد الإصلاح والتأديب بل يستحق لأن يثني عليه ويستحسن فعله، وإن أدى إلى القتل والإهلاك. وقوله: «لأنه كان صدقًا» لأن تربيته له أمر ظاهر معلوم لا يصح رده وإنكاره فكان غير قادح في دعواه لما تقرر في العقول أن الرسول إلى الغير إذا كان معه معجزة وحجة لم يتغير حاله بأن يكون المرسل إليه أنعم عليه أو لم ينعم، فلذلك لم يكن قول فرعون ﴿ألم نربك فينا وليدًا﴾ نافعًا له ولا ضارًا لموسى فلذلك لم يصرح برده.
قوله: (وتلك التربية نعمة) إشارة إلى أن «تلك» مبتدأ أشير به إلى التربية المدلول عليها بقوله: ﴿ألم نربك﴾ و«نعمة» خبره و«تمنها» على صفة «نعمة» و«أن عبدت» خبر مبتدأ محذوف أي وهي في الحقيقة تعبيدك قومي. أقر عليه الصلاة والسلام بكون تلك التربية في صورة النعمة والإحسان، ثم أبطل كونها نعمة مسببة عن النقمة التي هي قهره بني إسرائيل بذبح أبنائهم، فإنه لو لم يفعل ذلك لتكفلت أمه بتربيته ولما قذفته في اليم حتى يصل إلى فرعون ويربى بتربيته فكيف يمتن عليه بما كان بلاؤه سببًا له؟ يقال: عبدت فلانًا وأعبدته

عبدت» الرفع على أنه خبر محذوف أو بدل نعمة. أو الجر بإضمار الباء أو النصب بحذفها. وقيل: تلك إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة و«أن عبدت» عطف بيانها. والمعنى: تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنها عليّ. وإنما وحّد الخطاب في «تمنها» وجمع فيما قبله لأن المنة كانت منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملئه. ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ لما سمع جواب ما طعن به فيه ورأى أنه لم يرعو بذلك، شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ عرّفه بأظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الإفراد إلا بذكر الخواص والأفعال، وإليه أشار بقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ أي إن كنتم موقنين الأشياء

واستعبدته وتعبدته إذا أخذته عبدًا وقهرته وذللته. **قوله:** (أو بدل نعمة) كأنه قيل: وتلك نعمة تعبيدك بني إسرائيل فيؤول المعنى إلى أن تلك التربية تعبيدك بني إسرائيل. ولا شك في أن التربية ليست نفس التعبيد إلا أنها لما وقعت بسبب التعبيد ونتيجة له جعلت نفس التعبيد مبالغة في السببية والاستلزام. **قوله:** (أو الجر بإضمار الباء أو النصب بحذفها) كما أن محل الضمير البارز في «تمنها» كذلك فإن تمن يتعدى بالباء فهي مضمرة والتقدير: تمن بها أو محذوفة كما في قوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٥٥] وعلى التقديرين يكون «أن عبدت» بدلاً من هاء تمنها. **قوله:** (إلى خصلة شنعاء مبهمة) وصف الخصلة بالشنعاء دلالة على أن القصد بلفظ تلك الدال على بعد المشار إليه تحقيره أو تنزيل بعده عن ساحة الحضور والخطاب وانحطاط درجته منزلة بعد المسافة، وجعل المشار إليه مبهمًا لعدم كونه من الأمور الخارجية المتقدم ذكرها بل هو أمر ذهني تصوره عليه الصلاة والسلام وأشار إليه بقوله: «تلك» ثم فسره بما أخبر عنه. فإنه عليه الصلاة والسلام تصور قوله: ﴿نعمة تمنها على أن عبدت بني إسرائيل﴾ بأنها من حيث إنها نعمة تمنها على تكون خصلة شنعاء فأشار إليها «بتلك» وجعلها مبهمة، ثم بينها بقوله: ﴿أن عبدت﴾ كما تقول: هذا أخوك، فلا يكون هذا إشارة إلى غير الأخ فكان المعنى: هي تعبيدك بني إسرائيل. فكأن اللعين وإن امتن بتربيته إياه إلا أن تلك التربية لما كانت مسببة عن تعبيده بني إسرائيل كان الامتنان بالتربية امتنانًا بتعبيدهم. **قوله:** (لم يرعو) أي لم يكف ولم يتمنع. وهو من رعا يرعو أي كف عن الأمر يقال: ارعوى عن القبيح وتقديره ارعوو، ووزنه افعلل ولم يدغم لسكون الياء المبدلة من الواو ولوقوعها رابعة في الطرف.

قوله: (شرع في الاعتراض على دعواه) لم يذكروا في نظم هذه الآية أن موسى عليه الصلاة والسلام دخل على فرعون وأدى الرسالة وقال له: ﴿أنا رسول رب العالمين﴾ إلا أن المصنف أشار إليه بقوله: ﴿قال فرعون﴾ لموسى بعد ما أتياه فقالا له ذلك كما ذكرناه هناك،

محققين لها علمتم أن هذه الأجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير أحوالها، فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ لا بد وأن يكون مبدأ لسائر الممكنات ما يمكن أن يحس بها وما لا يمكن، وإلا لزم تعدد الواجب أو استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال. ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه إلا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته.

وأنه تعالى لما قال لهما ﴿فائتيا فرعون فقولا أنا رسول رب العالمين﴾ **استلزم ذلك أنهما أتياه وقالا له ذلك حين دخلا عليه، فعند ذلك** ﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾ **يسأل به عن حقيقته الخاصة ويقول: أي شيء هو، مما يطلق عليه اسم الشيء كأنه يريد به التعريض بإنكار الإله. ويدل عليه قوله تعالى بعد هذا حكاية عنه** ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ **[الشعراء: ٢٩] فأجابه عليه الصلاة والسلام بما فيه إنكار إلهيته وأن يكون ربًا للعالمين تعريضًا حيث** ﴿قال رب السمٰوات والأرض وما بينهما﴾ **كأنه قال: أنت أحقر من ذلك وأذل فإن رب العالمين رب السمٰوات والأرض ومدبر أمرهما وأمر أهلهما على التفصيل. ثم قال: إن كنت أنت وهؤلاء البهائم الذين اتخذوك إلٰهًا وسموك برب العالمين من الذين يحققون الأشياء بالنظر الصحيح الذي يؤديهم إلى الإيقان، علمتم أن العالم عبارة عن كل ما يعلم به الخالق من السمٰوات والأرض وما بينهما، وأن ربها هو الذي خلقها ورزق من فيها ودبر أمورها، فيجب أن يكون واجبًا لذاته مبدأ لجميع الممكنات، وعلمتم أيضًا أن ذلك الواجب لا يمكن تعريفه إلا بلوازمه الخارجية، فتعجب اللعين من جوابه فقال:** ﴿لمن حوله ألا تستمعون﴾ **اطلب منه الماهية وهو يجيبني بالفاعلية ويزعم أن السمٰوات ممكنة مربوبة وهي واجبة متحركة لذاتها. فثنى عليه الصلاة والسلام بقوله:** ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ **استدل أولاً بإمكان الأجرام العلوية والسفلية واحتياجها إلى مؤثر واجب لذاته على وجود رب يسند إلى جميع الموجودات، ثم خص من جملة الموجودات بأسرها ما هو أقرب بالنسبة إلى المستدل وهو نفسه ومن ولد هو منه. فإن دليل الأنفس أقرب من دليل الآفاق وأظهر دلالة على المؤثر القادر الحكيم فعدل إليه إشعارًا بغباوتهم. وأيضًا يمكن أن يتوهم كون السمٰوات والأرضين واجبة لذاتها غنية عن الخالق ولا يتوهم ذلك في أنفسهم وآبائهم وأجدادهم، لأن المشاهدة دلت على أنهم وجدوا بعد العدم وعدموا بعد الوجود وما كان كذلك استحال أن يكون واجبًا لذاته ووجب أن يكون وجوده مستندًا إلى مؤثر واجب لذاته، فكان التعريف بهذا الأثر أظهر، فلهذا عدل موسى عليه الصلاة والسلام إليه. وقوله: «ويشك» منصوب معطوف على «أن يتوهم» وقوله: و«يكون» مرفوع معطوف على قوله: «لا يمكن». فعند ذلك احتد اللعين وغضب ونسبه إلى الجنون استكبارًا وعنادًا قائلاً: المقصود**

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾﴾ جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر أفعاله. أو يزعم أنه رب السمٰوات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية، أو غير معلوم افتقارها إلى مؤثر. ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾ عدولاً إلى ما لا يمكن أن يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره إلى مصور حكيم، ويكون أقرب إلى الناظر وأوضح عند التأمل. ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾ اسأله عن شيء ويجيبني عن آخر. وسماه رسولاً على السخرية. ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ تشاهدون كل يوم أنه يأتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها إلى المغرب على وجه نافع ينتظم به أمور الكائنات ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ إن كان لكم عقل علمتم أن لا جواب لكم فوق ذاك لاينهم أولاً. ثم لما رأى شدة شكيمتهم وخشانتهم عارضهم بمثل مقاتلهم ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ عدولاً إلى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع. وهكذا ديدن المعاند المحجوج. واستدل به على ادعائه للألوهية وإنكاره للصانع وتعجبه

من سؤالنا طلب الماهية والحقيقة، والتعريف بهذه الآثار الخارجية لا يفيد تلك الخصوصية فهذا الذي يدّعي الرسالة مجنون لا يفهم المقصود من السؤال فضلاً عن أن يجيب عنه. فعاد نبي الله إلى تعريف ثالث أوضح من الثاني فـ ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨] وذلك لأنه أراد بالمشرق طلوع الشمس وظهور النهار وأراد بالمغرب غروب الشمس وزوال النهار، فظاهر أن التقدير على هذا الوجه العجيب لا يتم إلا بتدبير مدبر حكيم. وهذا بعينه طريقة إبراهيم مع نمرود فإنه عليه الصلاة والسلام استدل بالإحياء والإماتة حيث قال: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] فلما عارضه نمرود اللعين بقوله: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] قال إبراهيم: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] فكذا موسى عليه الصلاة والسلام عرف رب العالمين بقوله: ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ فإنه بمنزلة الاستدلال بالإحياء والإماتة ثم عرفه بقوله: ﴿رب المشرق والمغرب﴾ فإنه بمنزلة قول الخليل: ﴿فائت بها من المغرب﴾ وأما قوله: ﴿إن كنتم تعقلون﴾ فكأنه عليه الصلاة والسلام قال: إن كنت من العقلاء عرفت أنه لا جواب عن سؤالك إلا ما ذكرت لأنك طلبت مني تعريف حقيقته، وقد ثبت أنه لا يمكن تعريف حقيقته بنفس حقيقته ولا بأجزاء حقيقته فلم يبق إلا أن أعرفه بالآثار الخارجية والأفعال المختصة به وإني عرفت حقيقته بتلك الآثار، فثبت أن كل عاقل يقطع بأنه لا جواب عن هذا السؤال إلا ما ذكرته. **قوله:** (لاينهم أولاً) جواب عما يقال: كيف قال أولاً ﴿إن كنتم موقنين﴾ وآخرًا ﴿إن كنتم تعقلون﴾ فإنه معارض لقول فرعون ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ

بقوله: ألا تستمعون من نسبة الربوبية إلى غيره ولعله كان دهريًا، أو اعتقد أن من ملك قطرًا وتولى أمره بقوة طالعة استحق العبادة من أهله. واللام في «المسجونين» للعهد أي ممن عرفت حالهم في سجوني، فإنه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل أبلغ من «لأسجننك». ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ أي أتفعل ذلك، ولو جئتك بشيء يبين صدق دعواي يعني المعجزة، فإنها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدّعي نبوته. فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل. ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ في أن لك بينة أو في دعواك، فإن مدّعي النبوة لا بد له من حجة. ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾﴾ ظاهر ثعبانيته. واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فالثعب إذا فجرته فانفجر. ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ روي أن فرعون لما رأى الآية الأولى قال: فهل غيرها؟ فأخرج يده قال: فما فيها؟ فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يعشي الأبصار ويسد الأفق. ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾ مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ فائق في علم السحر. ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية إلى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى، وإظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه. ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أخر أمرهما. وقيل: احبسهما. ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾ شرطًا يحشرون السحرة. ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ يفضلون

أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧]. **قوله:** (أرجه) قراءة ابن كثير وهشام هنا وفي سورة الأعراف «ارجئه» بالهمزة وضم الهاء يصلها بواو. وأبو عمرو بالهمزة وضم الهاء من غير صلة. وابن ذكوان بالهمزة وكسر الهاء ولا يصلها بياء. وقالون بغير همزة ويختلس الكسرة. وورش بغير همزة ويصل الهاء بياء. وعاصم وحمزة بغير همز ويسكنان الهاء. والهاء في الوقف ساكنة بلا خلاف إلا في مذهب من ضمها سواء وصلها أو لم يصلها فإن الروم والإشمام جائزان فيها. كذا في تفسير القراءة. يقال: أرجأت الأمر بالهمزة وأرجيته بالياء كلاهما بمعنى أخرته. وقرىء ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٦] ومرجون الأمر لله أي مؤخرون حتى ينزل فيهم ما يريد. **قوله:** (شرطا يحشرون) إشارة إلى أن قوله: «حاشرين» صفة موصوف وهو مفعول «ابعث» والشرط جمع شرطة بسكون الراء وفتحها وهي اسم لخيار الجند وهم أول كتيبة يحضرون الحرب. الجوهري: الشرط بالتحريك العلامة وأشرط فلان نفسه لأمر كذا أي أعلمها وأعدها. قال الأصمعي: ومنه سمي الشرط لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها الواحد شرطة وشرطة. وقال أبو عبيدة: سموا شرطًا لأنهم أعدوا.

عليه في هذا الفن. وقرىء «بكل ساحر». ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٣٨﴾﴾ لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة.

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثًا على مبادرتهم إليه، كقول تأبط شرًا:

هل أنت باعث دينار لحاجتنا أو عبد رب أخا عون ابن مخراق

قوله: (لما وقت من ساعات يوم معين) يعني أن الميقات ههنا الوقت المضروب للفعل ويطلق أيضًا على المكان المعين له، ومنه ميقات الإحرام يقال: هذا ميقات أهل الشام للموضع الذي يحرمون منه، وأضيف الميقات إلى اليوم على طريقة إضافة الشيء إلى زمانه لكون الميقات جزءًا من ذلك اليوم وساعة من ساعاته فبيّن بالإضافة إليه. كأنه قيل: الميقات الذي هو في ذلك اليوم وجزء منه. و«اليوم المعلوم» هو يوم الزينة وهو يوم عيد كان لهم في كل عام. وروي عن ابن عباس أنه قال: وافق يوم السبت في أول يوم من السنة وهو يوم النيروز. وقيل: كان ذلك يوم عاشوراء وميقاته وقت الضحى لأنه الوقت الذي وقته لهم موسى عليه الصلاة والسلام من يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى، وإنما عيّنه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الأشهاد ويشيع ذلك في الأقطار. واختاره قوم فرعون أيضًا ليظهر فساد قول موسى عليه الصلاة والسلام بمحضر الجمع العظيم. ورضي فرعون بما قالوه وعمي عما شاهدوه لأن حب الشيء يعمي ويصم، وكان هذا أيضًا من لطف الله تعالى في ظهور أمر موسى. **قوله**: (أو عبد رب) منصوب بالعطف على محل «دينار» فإنه وإن كان مجرورًا لفظًا بالإضافة إلا أنه في محل النصب على أنه مفعول «باعث» و«دينار» اسم رجل وكذا عبد رب «وأخا عون» منادى مضاف أي يا أخا عون. ولو أريد بقوله: ﴿هل أنتم مجتمعون﴾ حقيقة الاستفهام لجيء بجواب الناس فعلم منه أنه استبطاء أريد به الحث على مبادرتهم إلى الاجتماع. وكذا في البيت. قال الإمام: روي أن العصا لما انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة إلى فرعون وجعلت تقول: يا موسى مرني بما شئت. ويقول فرعون: اسألك بالذي أرسلك إلا أخذتها. فأخذها فصارت عصا. ثم قال: فإن قيل: كيف؟ قال هنا: ﴿ثعبان مبين﴾ وفي آية أخرى ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ﴾ [طه: ٢٠] وفي آية ثالثة ﴿كَأَنَّهَا جَآنّٞ﴾ [النمل: ١٠؛ القصص: ٣١] والجان ما يميل إلى الصغر والثعبان إلى الكبر. فأجاب عنه بقوله: أما الحية فهي اسم جنس ثم إذا كبرت صارت ثعبانًا، وشبهها بالجان لخفتها وسرعة حركتها فصح الكلام إذًا. ويحتمل أنه شبهها بالشيطان لقوله: ﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧] ويحتمل أنها كانت صغيرة كالجان ثم عظمت

أي ابعث أحدهما إلينا سريعًا. ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ لعلنا نتبعهم في دينهم إن غلبوا، والترجي باعتبار الغلبة المقتضية للأتباع. ومقصودهم الأصلي أن لا يتبعوا موسى لا أن يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لأنهم إذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ التزم لهم الأجر والقربة عنده زيادة عليه إن غلبوا. «فإذا» على ما يقتضيه من الجواب والجزاء. وقرىء «نعم» بالكسر وهما لغتان ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾﴾ أي بعد ما قالوا له: إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين ولم يرد به أمرهم بالسحر والتمويه، بل الإذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلاً به إلى إظهار الحق. ﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ أقسموا بعزته على أن الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في أنفسهم، أو إتيانهم بأقصى ما يمكن أن يؤتى به من السحر. ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾ تبتلع. وقرأ حفص «تلقف» بالتخفيف ﴿مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم أنها حياتهم تسعى، أو إفكهم تسمية للمأفوك به مبالغة. ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ لعلمهم بأن مثله لا يتأتى بالسحر. وفيه دليل على أن منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئًا لا حقيقة له، وأن التجر في كل

فصارت ثعبانًا والمراد بقوله: «ثعبان» أنه بيّن للناظرين أنه ثعبان حقيقة بحركاته وبسائر ما فيه من العلامات وليس يشبه الثعبان في مروره فقط كما أظهره السحرة. **قوله**: (والترجي باعتبار الغلبة) أي وترجي الأتباع باعتبار ترجي الغلبة، فالمراد إنّا نرجو أن تكون الغلبة لهم فنتبعهم إلا أنهم علقوا الترجي باعتبار غلبة السحرة عدولاً إلى طريق الكناية التي هي أبلغ. **قوله**: (ولم يرد به أمرهم بالسحر) جواب عما يقال: كيف جاز لموسى أن يأمر السحرة بإلقاء الحبال والعصي وذلك سحر وتلبيس وكفر والأمر بمثله لا يجوز. **قوله**: (وقرأ حفص تلقف بالتخفيف) أي بإسكان اللام مخففًا والباقون بفتح اللام مشددًا. والتلقف تناول الشيء بسرعة وأصله «تتلقف» بتاءين حذفت إحداهما والإفك بالكسر الكذب وبالفتح مصدر قولك: أفكه يأفكه إفكًا أي قلبه وصرفه عن الشيء ومنه قوله: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا﴾ [الأحقاف: ٢٢] عما وجدنا عليه آباءنا جعل المصنف كلمة «ما» موصولة بحذف العائد ثم جوّز كونها مصدرية، والإفك بالمعنى المصدري لا يصح أن يتعلق به التلقف سواء جعل بمعنى الأخذ أو بمعنى الابتلاع. وجعل الإفك بمعنى المأفوك وسمى الحبال بالإفك مبالغة كأنها عين الإفك كما في قولهم: هذا ضرب الأمير أي مضروبه. **قوله**: (وتزويق) أي تحسين يقال: زوّقت الكلام والكتاب إذا حسنته. ووجه الدلالة على أن منتهى السحر تمويه وتزويق أن حقيقة الشيء لو

فن نافع وإنما بدل الخرور بالإلقاء ليشاكل ما قبله. ويدل على أنهم لما رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أنفسهم فكأنهم أخذوا وطرحوا على وجوههم وأنه تعالى ألقاهم بما خولهم من التوفيق. ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾ بدل من «ألقى» بدل الاشتمال أو حال بإضمار «قد». ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝٤٨﴾ إبدال للتوضيح ودفع التوهم والإشعار على أن الموجب لإيمانهم ما أجراه على أيديهما. ﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ﴾ فعلمكم شيئًا دون شيء ولذلك غلبكم أو فواعدكم ذلك وتواطأتم عليه. أراد به التلبيس على قومه لئلا يعتقدوا أنهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق. وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر وروح «ءآمنتم» بهمزتين. ﴿فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ﴾ وبال ما فعلتم. وقوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٤٩﴾ بيان له

انقلبت إلى حقيقة شيء آخر بالسحر لما عدوا انقلاب العصا حية من قبيل المعجزة الخارجة عن حد السحر، ولما خرّوا ساجدين عند مشاهدتهم سحره. ووجه دلالته أن التبحر في كل فن نافع إذ السحرة لو لم يكونوا في الطبقة العالية من علم السحر ولم يكونوا عالمين أن منتهى السحر إنما هو التمويه والتزويق لما تيقنوا أن ما جاء به موسى ليس بسحر، وما كان ذلك التيقن إلا ببركة تبحرهم في علم السحر. قوله: (وإنما بدل الخرور بالإلقاء) **يعني أن المعنى:** خروا وسقطوا ساجدين، **لكن عدل إلى هذا القول للمشاكلة لقوله:** ﴿ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم﴾ ﴿فألقى موسى عصاه﴾ **وليدل على أنهم لم يتمالكوا أنفسهم حين ما شاهدوا أمرًا خارجًا عن السحر فخروا بدون الاختيار، كأن ملقيًا أخذهم وألقاهم على وجوههم فقوله:** ﴿فألقي السحرة﴾ **استعارة تبعية. قوله:** (بدل من ألقى) **فلذلك لم يتخلل بينهما عاطف.**

قوله: (إبدال للتوضيح ودفع التوهم) **فإن من قال:** ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي﴾ **[الشعراء: ٢٩] وتعجب من نسبة الربوبية إلى غيره فقال:** ﴿أَلَا تَسۡتَمِعُونَ﴾ **[الشعراء: ٢٥] لا يبعد أن يتوهم أن السحرة أرادوا بقولهم:** ﴿آمنا برب العالمين﴾ **الإيمان بربوبية اللعين، فأبدلوا منه** ﴿ربّ موسى وهارون﴾ **ليندفع ذلك الوهم وتشعر إضافته إليهما أن الموجب لإيمانهم به ما شاهدوا من أثر قدرته الباهرة وهو ما أجراه على أيديهما. فلما سمع اللعين أنهم بأجمعهم آمنوا بالله تعالى وصرفوا وجوههم عنه خاف أن يقول قومه إن هؤلاء السحرة على كثرتهم وبصيرتهم لم يؤمنوا إلا عن معرفة بصحة أمر موسى فيؤمنوا به كالسحرة، فبادر إلى أن يلبس على قومه وينفرهم عن موسى واتباعه فقال أولاً للسحرة:** ﴿آمنتم له قبل أن آذن لكم﴾ **أراد به وصفهم بسرعة الاغترار وسوء التدبير والسفاهة ثم قال:** ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ **تصريحًا بما ذكره أولاً بطريق الرمز كأنه قال: إن أستاذكم هذا لم**

﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ﴾ لا ضرر علينا في ذلك ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ بما يوعدنا به فإن الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله تعالى. أو بسبب من أسباب الموت والقتل أنفعها وأرجاها. ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ﴾ لأن كنا ﴿أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ من اتباع فرعون، أو من أهل المشهد. والجملة في المعنى تعليل ثانٍ لنفي الضير أو تعليل للعلة المتقدمة. وقرىء «إن كنا» على الشرط لهضم

يعلمكم بعض أسرار صنعته ليغلب به عليكم وقت الحاجة فاغتررتم وظننتم أنه غلب عليكم بالمعجز الإلٰهي وليس كذلك، فإنه إنما غلب عليكم بقوة علم السحر لكونكم لم تحيطوا بما أحاط به علمًا. ويحتمل أن يكون مراده وصفهم بالخيانة على سلطانهم بعصيانه وتنفير رعيته عنه كأنه قال: لم تهتموا في إظهار صنعتكم والغلبة على خصمكم لمواطأة بينكم وبينه ليظهر أمره ويتم مقصوده، وإلا فكيف عجزتم عن أن تفعلوا مثل ما فعله ساحر مثلكم؟ ثم أوعدهم على الإجمال والإبهام فقال: ﴿فلسوف تعملون﴾ **ثم فصل ذلك المجمل وبيّن ذلك المبهم فقال:** ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ **أي من أجل خلاف ظهر منكم على أن كلمة «من» للتعليل كما في قوله تعالى:** ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟﴾ **[نوح: ٢٥] وتفسير قطع اليد والرجل من خلاف بقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى كما في الحدود لا يناسب لحال فرعون ولما هو بصدده لأنه تخفيف للعقوبة وإعراض عن تفويت منفعة البطش والمشي على الجاني. ومن لم يخطر بباله هذا التأويل قال قوله هذا دليل على حمقه حيث أوعدهم في موضع التغليظ بما وضع للتخفيف، وليس في الآية ما يدل على أنه فعل بهم ذلك أو لم يفعل. والله أعلم بذلك. قوله:** (لا ضرر علينا في ذلك) **تقدير للخبر المحذوف وليس مرادهم أن ما أوعدهم به إن وقع لا يضرهم أصلاً، بل المراد أن ذلك ليس ضررًا بل نفعًا عظيمًا لنا من حيث كون الصبر عليه مؤديًا إلى تكفير الخطيئات ورفع الدرجات، أو من حيث إنه من جملة أسباب الانقلاب إلى ربنا وأنه أنفعها وأرجاها. فمعنى الاستئناف على هذا أن عدم وقوع ما توعدنا به لا ينجينا من الموت حتى يكون وقوعه ضررًا مؤديًا إليه، فإن الانقلاب إلى الموت الذي لا حاكم على الإنسان بعده سوى الله أمر كائن لا محالة بأي سبب كان، فلا وجه للاحتراز عن خصوص شيء من أسبابه لكون أضر من غيره، كأنه قيل: لا ضرر علينا في ذلك بالنسبة إلى سائر أسباب الموت لأنا مائتون لا محالة بأي سبب كان فلنمت بهذا السبب. والمعنى الأول لا ضرر علينا بل فيه نفع عظيم لنا من حيث كون الصبر عليه مؤديًا إلى الكرامة عند الله. قوله:** (تعليل ثانٍ لنفي الضير) **هذا ظاهر على تقدير أن يكون خلاصة التعليل الأول: إنّا منقلبون إلى الموت بسبب من الأسباب فلا ضير في بعضه بالنسبة إلى الباقي، وأما على تقدير كون خلاصته أنّا إلى كرامة ربنا منقلبون بذلك فالظاهر**

النفس وعدم الثقة بالخاتمة، أو على طريقة قول المدل بأمره: إن أحسنت إليك فلا تنس حقي.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ﴾ وذلك بعد سنين أقام بين أظهرهم يدعوهم إلى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا إلا عتوًا وفسادًا. وقرأ ابن كثير ونافع «أن أسر» بكسر النون ووصل الألف من سرى. وقرىء «أن سر» من السير. ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾ يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الأمر بالإسراء أي أسر بهم حتى إذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم إلى البحر، بل يكونون على أثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فأطبقه عليهم فأغرقهم. ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ حين أخبر بسراهم. ﴿فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ العساكر ليتبعوهم ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ على إرادة القول وإنما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين ألفًا بالإضافة إلى جنوده. إذ روي أنه خرج وكانت مقدمته سبعمائة ألف. والشرذمة الطائفة القليلة ومنها: ثوب شراذم لما يلي وتقطع. و«قليلون» باعتبار أنهم أسباط كل سبط منهم قليل. ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾﴾ لفاعلون ما يغيظنا ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ وإنا لجميع من عادتنا الحذر. واستعمال الحزم في الأمور أشار أولاً إلى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم إلى تحقق ما يدعو إليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شأنهم حثًا عليه. واعتذر

كونه تعليلاً للعلة المتقدمة. **قوله:** (أو على طريقة قول المدل بأمره) أي الواثق به يقال: أدل بالأمر إذا وثق به واعتمد عليه. **قوله:** (من سرى) يعني أن سرى وأسرى لغتان بمعنى يقال: سرى يسري بالكسر سرى بالضم وسرى بالفتح وأسرى أيضًا أي سار ليلاً. روي أنه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوت القبط ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه. وروي أن الله تعالى أوحى إلى موسى: أن اجمع بني إسرائيل كل أربعة أبيات في بيت ثم اذبحوا الجدا أو اضربوا بدمائها على أبوابكم فإني آمر الملائكة أن لا يدخلوا بيتًا على بابه دم، وسآمرهم بقتل أولاد القبط واخبزوا خبزًا فطيرًا فإنه أسرع لكم، والفطير خلاف العجين أي الذي لا يختمر وكل شيء أعجلته عن إدراكه فهو فطير، ثم أسر بعبادي حتى تنتهي إلى البحر فيأتيك أمري وموسى لا يشعر به. **قوله:** (لفاعلون ما يغيظنا) أي ما يغضبنا. يقال: غاظه وأغاظه وغيظه إذا أغضبه. والأول أشهر وأكثر. واختلف في الفعل الذي غاظهم وضاقت به صدورهم؛ فقيل: إن قوم موسى قالوا لقوم فرعون: إن لنا في هذه الليلة عيدًا، فاستعاروا حليهم وحللهم بهذا السبب ثم خرجوا بتلك الأموال في الليل إلى جانب البحر. فمرادهم بالفعل الذي غاظهم ما أخذوه من العواري. وقيل: المراد به خروجهم عن عبودية فرعون واستقلالهم بأنفسهم. وقيل: المراد به مخالفتهم في الدين وخروجهم عنه.

بذلك إلى أهل المدائن كيلا يظن به ما يكسر سلطانه. وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان والكوفيون «حاذرون» والأول للثبات والثاني للتجدد. وقيل: الحاذر المؤدي في السلاح، وهو أيضًا من الحذر لأن ذلك إنما يفعل حذرًا. وقرىء «حادرون» بالدال أي أقوياء قال:

أحب الصبي السوء من أجل أمه وأبغضه من بغضها وهو حادر

أو تامو السلاح فإن ذلك يوجب حدارة في أجسامهم. ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم﴾ بأن خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه. ﴿مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الإخراج أخرجناهم، فهو مصدر، أو مثل ذلك المقام الذي كان لهم على أنه صفة مقام، أو الأمر كذلك فيكون خبرًا لمحذوف ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم﴾ وقرىء «فاتبعوهم» ﴿مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ داخلين في وقت شروق الشمس ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾ تقاربا بحيث رأى كل منهما الآخر. وقرىء «تراءت الفئتان». ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ لملحقون. وقرىء «لمدّركون» من أدرك الشيء إذا تتابع ففني أي لمتتابعون في الهلاك على أيديهم.

قوله: (المؤدي في السلاح) بالهمزة اسم فاعل من آدى الرجل أي قوي من جهة الأداة والسلاح. **قوله:** (بأن خلقنا داعية الخروج) يعني أنهم وإن خرجوا باختيارهم إلا أنه أسند الإخراج إليه تعالى إسنادًا مجازيًا من حيث إنه تعالى خلق في قلوبهم داعية الخروج فاستلزمت الداعية الفعل وهو الخروج ﴿من جنات﴾ أي بساتين كانت لهم ﴿وعيون﴾ أي أنهار جارية ﴿وكنوز﴾ أي الأموال الظاهرة من الذهب والفضة ونحوهما. سماها كنوزًا لأن ما لم يؤد منه حق الله تعالى كنز وإن كان ظاهرًا على وجه الأرض وما يؤدى منه حق الله تعالى ليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين. ويعني بالمقام الكريم المنازل الحسنة من منازل الأمراء والرؤساء التي تحدق بها الأتباع.

قوله: (مثل ذلك الإخراج) يعني أن محل الكاف إما النصب على أنه صفة مصدر محذوف، وإما الجر على أنه صفة مقام، وإما الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف. وقرأ العامة «فأتبعوهم» بقطع الهمزة من اتبعه بمعنى لحقه فالمعنى: لحق فرعون وقومه قوم موسى داخلين في وقت شروق الشمس أي طلوعها على أن ﴿مشرقين﴾ حال إما من الفاعل أو من المفعول أو منهما جميعًا لأن الدخول في وقت شروق الشمس قائم بهم جميعًا يقال: تبعه إذا قفا أثره وأتبعه إذا لحقه. **قوله:** (وقرىء لمدركون) أي بتشديد الدال وكسر الراء من الإدراك وهو التتابع في الهلاك يقال: أدرك الشيء إذا تتابع بعضه بعضًا ففني. ومنه قوله تعالى: ﴿بَلِ

﴿قَالَ كَلَّآ﴾ لن يدركوكم فإن الله وعدكم الخلاص منهم. ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ بالحفظ والنصرة ﴿سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ طريق النجاة منهم. روي أن مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى فقال: أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون. قال: أمرت بالبحر ولعلي أؤمر بما أصنع. ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ القلزم أو النيل ﴿فَٱنفَلَقَ﴾ أي فضرب فانفلق وصار اثني عشر فرقًا بينها مسالك. ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب. ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ وقربنا ﴿ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ فرعون وقومه حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم. ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾﴾ بحفظ البحر على تلك الهيئة إلى أن عبروا. ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ بإطباقه عليهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ وأية آية ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾﴾ وما تنبه عليها أكثرهم إذ لم يؤمن بها أحد ممن بقي في

ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النمل: ٦٦] أي جهلوا علم الآخرة. قيل: الإدراك والتتابع من الأسماء الغالبة في الهلاك كالداهية والبين والسنة والنكبة والقحط. وقوله ﴿فانفلق﴾ عطف على محذوف والانفلاق الانشقاق أي فانشق البحر وتفرق اثني عشر فرقًا أي طريقًا لكل سبط منهم طريق. وقام الماء عن يمين الطريق وعن يساره كالجبل العظيم كما قال تعالى: ﴿كل فرق كالطود العظيم﴾ والطود الجبل وعظمه لارتفاعه طولاً نحو السماء. **قوله:** (وقربنا) وقيل: جمعنا. ومنه ليلة المزدلفة أي ليلة الجمع. و «ثم» و «ثمة» ظرف مكان بعيد، والمراد بذلك المكان حيث انفلق البحر والآخرين مفعول «أزلفنا» والمعنى: قربناهم من بني إسرائيل أو قربنا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم أحد أو قدمناهم للبحر. روي أن جبريل كان بين بني إسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبني إسرائيل: ليلحق آخركم بأولكم ويستقبل القبط ويقول: رويدكم ليلحق آخركم أولكم. وروي أن موسى قال عند ذلك: يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء، اجعلنا مخرجًا. وهذا معجز عظيم من وجوه: أحدها انفراق ذلك الماء، وثانيها اجتماع ذلك الماء فرقًا كل فرق كالجبل العظيم، وثالثها أنه ثبت في الخبر أنه تعالى أرسل على فرعون وقومه من الرياح والظلمة ما حيّرهم فاحتبسوا القدر الذي تكامل فيه عبور بني إسرائيل، ورابعها أن الله تعالى جعل في تلك الجدران المائية كوى ينظر منها بعضهم إلى بعض، وخامسها إن أبقى الله تلك المسالك حتى قرب آل فرعون أن يتخلصوا من البحر كما تخلص موسى عليه الصلاة والسلام، فجعل الله ذلك البحر طريقًا يبسًا لبني إسرائيل حتى خرجوا منه سالمين وأغرق فرعون ومن معه فإنه لما تكامل دخولهم في البحر انطبق الماء عليهم فغرقوا أجمعين. **قوله:** (وأية آية) يعني أن التنكير في قوله: ﴿لآية﴾ للتعظيم والتفخيم. وفيه تسلية النبي عليه الصلاة

مصر من القبط. وبنو إسرائيل بعدما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ المنتقم من أعدائه ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ بأوليائه ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ على مشركي العرب ﴿نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ سألهم ليريهم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة. ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾ فأطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحًا به وافتخارًا. و«نظل» ههنا بمعنى ندوم. وقيل: كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل. ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ يسمعون دعاءكم أو يسمعونكم «تدعون» فحذف ذلك لدلالة. ﴿إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ عليه. وقرىء «يسمعونكم» أي يسمعونكم الجواب عن

والسلام لأنه قد يغتم قلبه المنير بتكذيب قومه مع ظهور المعجزات على يديه فذكر له أمثال هذه القصص ليقتدي بمن قبله من الأنبياء في الصبر على عناد قومه والانتظار لمجيء الفرج. **قوله:** (وبنو إسرائيل بعدما نجوا) مبتدأ و«سألوا بقرة» خبره يعني بعدما نجوا من الغرق ارتد أكثرهم وما داموا على الإيمان. يريد أن ضمير 'أكثرهم يعود إلى من عاين هذه الآية العظيمة وأشاع أمرها فيما بينهم سواء كان من القبط أو من بني إسرائيل. ويجوز أن يكون الضمير فيه راجعًا إلى القبط خاصة، فإنه روي أنه لم يؤمن من أهل مصر غير امرأة فرعون وحزقيل من آل فرعون ابن عمه ومريم بنت ناموسا التي دلت على عظام يوسف. فإن موسى عليه الصلاة والسلام لما أسرى ببني إسرائيل من مصر أراد أن يأخذ معه جسد يوسف فلم يجد من يعرف قبره سوى تلك المرأة. **قوله:** (سألهم) مع أنه عليه الصلاة والسلام يعلم أنهم عبدة الأصنام فقال: أي شيء تعبدون؟ لينبههم على ضلالهم وكان يكفيهم في الجواب أن يقولوا أصنامًا كقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩] أي ينفقون العفو إلا أنهم أطالوا جوابهم بأن زادوا قولهم: «نعبد» ولم يقتصروا على زيادته بل زادوا أيضًا قولهم: ﴿فنظل لها عاكفين﴾ فإنه كان يكفيهم في الجواب أن يقولوا ﴿نعبد أصنامًا﴾ فلم يقتصروا عليه بل عطفوا عليه ﴿فنظل لها عاكفين﴾ إظهارًا لما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار بعبادة الأصنام. والتبجح بتقديم الجيم على الحاء الفرح يقال: بجحته أنا تبجيحًا فبجح أي فرحته ففرح. ويقال: ظللت أعمل كذا بالكسر ظلولاً إذا عملت بالنهار دون الليل. والظاهر أن عبادتهم الأصنام لا تختص بالنهار فلذلك قالوا: ﴿فنظل﴾ ههنا بمعنى ندوم. **قوله:** (**يسمعون دعاءكم أو يسمعونكم تدعون**) يعني أن حق «يسمعون» أن يتعدى إلى مفعول واحد من قبيل الأصوات المسموعة نحو: سمعت كلامك وسمعت حديث زيد، أو يتعدى إلى مفعولين أولهما من قبيل الجواهر العينية وثانيهما من قبيل الأصوات المسموعة نحو: سمعت زيدًا يقرأ ولا يجوز: سمعت زيدًا ولا سمعت زيدًا يقوم لأن القيام ليس مما يسمع. وقوله:

دعائكم ومجيئه مضارعًا مع «إذ» على حكاية الحال الماضية استحضارًا لها ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾ على عبادتكم لها ﴿أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ من أعرض عنها ﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ أضربوا عن أن يكون لهم سمع أو يتوقع منهم ضر أو نفع والتجأوا إلى التقليد. ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾ فإن التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقًا.

﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ﴾ يريد أنهم أعداء لعابديهم من حيث إنهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه، أو أن المغري بعبادتهم أعدى أعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الأمر في نفسه تعريضًا لهم، فإنه أنفع في النصح من التصريح. وإشعارًا بأنها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون أدعى إلى القبول وإفراد العدو لأنه في الأصل

﴿يسمعونكم﴾ من قبيل سمعت زيدًا فلا بد أن يحمل على تقدير المضاف أو على تقدير المفعول الثاني الذي يكون من قبيل المسموعات.

قوله: (ومجيئه مضارعًا) جواب عما يقال: إن كلمة «إذ» ظرف لما مضى والزمان الماضي لا يكون ظرفًا لما سيكون، فالظاهر أن يقال: هل سمعوا دعاءكم وأسمعوكم الجواب إذ دعوتموهم. وتقريرالجواب أن أصل الكلام ما قلتم إلا أنه عدل إلى لفظ المضارع على حكاية الحال الماضية ومعناها: استحضروا الأحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا وأسمعوا إذ دعوتموهم. وتقرير الحجة التي ذكرها إبراهيم لأبيه وقومه أن من عبد غيره لا بد أن يلتجىء إليه في قضاء حاجته، وأن المعبود لا بد أن يكون عارفًا مراده ويسمع دعاءه ثم يستجيب له في جلب منفعة أو دفع مضرة، فقال عليه الصلاة والسلام لهم: إذا كان الذي تعبدونه ساقطًا عن هذه المنزلة بالكلية كيف تعبدونه؟ فعند قيام هذه الحجة الباهرة لم يجد قومه ما يدفعون به حجته فتمسكوا بالتقليد فقالوا: ﴿وجدنا آباءنا كذلك يفعلون﴾ أي وجدناهم يفعلون مثل فعلنا على أن «كذلك» منصوب «بيفعلون» و «يفعلون» مفعول ثانٍ «لوجدنا» ولما أن كان خلاصة جوابهم: أنّا وافقنا آباءنا فيما ثبت بطلانه بما أقمته من الحجة قال لهم إبراهيم: ﴿أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون﴾ فإن الباطل لا ينقلب حقًا بكثرة فاعليه وكونه دأبًا قديمًا. ثم إنه عليه الصلاة والسلام ترقى في تخطئتهم فقال: إن ما كنتم تعبدون أعداء لعابديهم فضلاً عن أن ينفعوهم أو يضروهم فإنهم يتبرؤون من عبدتهم ويضادونهم كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١، ٨٢]. **قوله:** (من حيث إنهم يتضررون من جهتهم) جواب عما يقال: كيف وصف الأصنام بالعداوة وهن جمادات لا تتصور العداوة منهن؟ يعني أنها شبهت بالعدو من حيث كونها سببًا للحوق

مصدر أو بمعنى النسب. ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ استثناء منقطع أو متصل على أن الضمير لكل معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبد الله. ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾ لأنه يهدي كل مخلوق لما خلق له من أمور المعاش والمعاد كما قال: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٣] هداية مدرجة من مبدأ إيجاده إلى منتهى أجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدأها بالنسبة إلى الإنسان هداية الجنين إلى امتصاص دم الطمث من الرحم، ومنتهاها الهداية إلى طريق الجنة والتنعم بلذائذها. والفاء للسببية إن جعل الموصول مبتدأ، وللعطف إن جعل صفة «رب العالمين». فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية.

المضرة بهم فسميت عدوًا على سبيل الاستعارة. وتقرير الجواب الثاني أنها وصفت بالعداوة لكون السبب الحامل على عداوتها أعدى عدو الإنسان وهو الشيطان، فهو من قبيل الإسناد المجازي حيث أسند وصف السبب الحامل إلى مسببه. **قوله**: (استثناء منقطع) لكونه تعالى غير داخل فيما يرجع إليه ضمير «أنهم» وهو ما كان قومه يعبدون. والمعنى: لكن رب العالمين الذي شأنه كذا وكذا هو المستحق للعبادة ولم يذكر المفعول به الغير الصريح لقوله: ﴿يهدين﴾ ليعم كل ما هداه الله تعالى إليه من أمور المعاش والمعاد كما أشار إليه بقوله: «لأنه يهدي كل مخلوق لما خلق له من أمور المعاش والمعاد» وقوله: ﴿الذي خلقني﴾ يحتمل أن يكون في محل الرفع على الابتداء فحينئذ يكون مبتدأ ثانيًا و «يهدين» خبره والجملة خبر الأول دخلت الفاء في خبره لتضمن المبتدأ معنى الشرط. وقوله: «والفاء للسببية إن جعل الموصول مبتدأ» لا يخلو عن بعد لأن المقصود ههنا معين ليس بعام كما في قولك: الذي يأتيني فله درهم لأن الصلة ليست مما يحتمل صدوره من المتعدد فلا تشبه الشرط، فالظاهر أن يقال: إن جعل الموصول مبتدأ تكون زيادة الفاء في خبره مبنية على ما ذهب إليه الأخفش من جواز زيادة الفاء في الخبر مطلقًا نحو: زيد فاضربه. ويحتمل أن يكون في محل النصب على أنه صفة «رب العالمين» فتكون الفاء لعطف الجملة الاسمية على «خلقني» لتدل على أن هداية الله إلى كل ما يحتاج إليه في أمر معاشه ومعاده متعلقة به على سبيل التجدد والاستمرار من حين أن خلقه الله فنفخ فيه الروح إلى أبد الآباد، وإلا فمن هداه إلى أن تغذى بالدم في بطن أمه امتصاصًا ومن هداه إلى خروجه منها منكسًا رأسه وإلى معرفة الثدي عند الارتضاع وإلى معرفة البكاء عند الحاجة إلى الغذاء أو عند حدوث الآلام والأدواء إلى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد. **قوله**: (فيكون اختلاف النظم) يعني قال: ﴿خلقني﴾ بلفظ الماضي لأن خلقه قد وقع على وجه لا يتجدد في الدنيا بل لما وقع بقي إلى الأمد المعلوم وقال: ﴿فهو يهدين﴾ بلفظ المستقبل لأن الهداية مما يتجدد كل حين.

وقوله: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩)﴾ على الأول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده. وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على أن كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم. ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠)﴾ عطفه على «يطعمني» و«يسقين» لأنه من روادفهما من حيث إن الصحة والمرض في الأغلب يتبعان المأكول والمشروب، وإنما لم ينسب المرض إليه لأن مقصوده تعديد النعم. ولا ينتقض بإسناد الإماتة إليه فإن الموت من حيث إنه لا يحس به لا ضرر فيه إنما الضرر في مقدماته وهي المرض. ثم إنه لأهل الكمال وصله إلى نيل المحاب التي

قوله تعالى: (والذي هو يطعمني ويسقين) أضاف الإطعام إلى ولي الإنعام لأن الركون إلى الأسباب عادة الإنعام، وليس الإطعام والسقي عبارتين عن مجرد خلق الطعام والشراب له وتمليكهما إياه، بل يدخل فيهما إعطاء جميع ما يتوقف الانتفاع بالطعام والشراب عليه كالشهوة وقوة المضغ والابتلاع والهضم والدفع ونحو ذلك، واقتصر على ذكر الطعام والشراب من جملة ما يتوقف عليه انتظام حاله في الدنيا ونبّه بذكرهما على ما عداهما. قيل: تقديم كلمة «هو» في هذه الصلات دليل على أنه لا يهدي ولا يطعم ولا يسقي ويمرض ولا يشفي إلا الله وحده، وذلك أنهم كانوا يقولون المرض من الزمان والأغذية والشفاء من الأطباء والأدوية، فأعلم إبراهيم أن المؤثر في جميع ذلك ليس إلا رب العالمين.

قوله: (إن الصحة والمرض في الأغلب يتبعان المأكول والمشروب) فإن البطنة تورث الأسقام والأوجاع والحمية أصل الراحة والسلامة. وعليه بنى الشاعر قوله:

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

وقالت الحكماء: لو قيل لأكثر الموتى ما سبب انقطاع آجالكم؟ لقالوا: التخم. وفي الحكمة: ليس للبطنة خير من خمصة تتبعها. **قوله:** (وإنما لم ينسب المرض إليه) ولم يقل: وإذا أمرضني مع أن المرض والشفاء كلاهما من الله تعالى، لأن مقصود إبراهيم تعديد النعم، ولما لم يكن المرض من النعم لا جرم لم يضفه إليه تعالى. ولما ورد على هذا الجواب أن يقال: الإماتة أشد من المرض وقد أسندها عليه الصلاة والسلام إليه تعالى حيث قال: ﴿والذي يميتني ثم يحيين﴾ أجاب عنه بأنا لا نسلم أنها أشد من المرض بل ليس فيها ضرر أصلاً لأن الضرر ما يتأذى الإنسان بإحساسه وحال حصول الموت لا يقع الإحساس به، وإنما الضررُ في مقدماته وهي عين المرض ثم ترقى في الجواب وقال: بقاء النفوس الزكية والأرواح الطاهرة الكاملة في العلوم والأخلاق المرضية في هذه الأجساد عين الضرر في

يستحقر دونها الحياة الدنيوية وخلاص من أنواع المحن والبلية، ولأن المرض في غالب الأمر إنما يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الأخلاط والأركان من التنافي والتنافر. والصحة إنما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهرًا وذلك بقدرة العزيز الحكيم. ﴿وَالَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ في الآخرة.

﴿وَالَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ ذكر ذلك هضمًا لنفسه وتعليمًا للأمة أن يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لأن يغفر لهم ما يفرط منهم، واستغفارًا لما عسى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣] وقوله: هي أختي، ضعيف لأنها معاريض وليست خطايا. ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا﴾ كمالاً في العلم والعمل استعد به خلافة الحق ورياسة الخلق. ﴿وَأَلْحِقْنِى بِالصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ ووفقني لكمال في العمل لأنتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره. ﴿وَاجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ جاهًا وحسن صيت في الدنيا يبقى أثره إلى

حقهم فخلاصهم منها عين السعادة لهم، بخلاف المرض فكان نعمة عظيمة في حقهم فلذلك أضافه إليه تعالى. **قوله:** (ولأن المرض) عطف على قوله: «لأن مقصوده تعديد النعم» أي لم ينسب المرض إليه تعالى لكونه في غالب الأمر يحدث بتقصير الإنسان، ولما كان للإنسان سببية ظاهرة في حدوث المرض نسب إليه وإن كان الكل من عند الله. وأيضًا لما كان حدوث المرض باستيلاء بعض الأخلاط على بعض من حيث إنها كانت مكيفة بكيفيات متضادة كان بينها تنافر طبعًا، وذلك التنافر يستدعي استيلاء بعضها على بعض المستلزم لبطلان الاعتدال النوعي وسوء المزاج هو المرض، فكان حدوث المرض مستندًا إلى الإنسان وتنافر أخلاطه فلذلك أسند إليه بخلاف الصحة فإنها إنما تحصل عند بقاء الأخلاط على الاجتماع على الوجه الخاص المسمى بالاعتدال النوعي وذلك الاجتماع والاعتدال، وكذا عود الأخلاط إليهما بعد طريان سوء المزاج إنما يكون بسبب قاهر يقهرها عليهما من حيث إنها بطباعها مائلة إلى التفرق واستيلاء بعضها على بعض، والسبب القاهر هو الله فلذلك أسندت الصحة والشفاء إليه وأسند المرض إلى العبد. **قوله:** (قهرًا) منصوب على المصدرية لقوله: «باستحفاظ» لأنه نوع من الحفظ والاستحفاظ أبلغ من الحفظ، فإن استفعل قد يكون بمعنى فعل نحو: طاف واستطاف. **قوله:** (كمالاً في العلم والعمل) أي زيادة على ما أعطيتني من الحكمة، وهي العلم الذي يفضي إلى العمل بمقتضاه فإن من يعلم شيئًا ولا يأتي بما يناسب علمه لا يقال له حكيم. **قوله:** (وحسن صيت) الصيت الذكر الجميل الذي ينشر في الناس دون القبيح. عبّر عن الثناء الحسن والقبول العام في الأمم التي تجيء بعده إلى يوم

يوم الدين. ولذلك ما من أمة إلا وهم محبون له مثنون عليه. أو صادقًا من ذريتي يجد أصل ديني ويدعو الناس إلى ما كنت أدعوهم إليه، وهو محمد صلوات الله وسلامه عليه ﴿وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ في الآخرة. وقد مر معنى الوراثة فيها. ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ﴾ بالهداية والتوفيق للإيمان. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾﴾ طريق الحق. وإن كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه أنه كان يخفي الإيمان تقية من نمرود ولذلك وعده

القيامة باللسان لكون اللسان سببًا في ظهوره وانتشاره وبقاء الذكر الجميل على ألسنة العباد إلى آخر الدهر دولة عظيمة من حيث كونه دليلاً على رضى الله ومحبته للعبد. فإنه تعالى إذا أحب عبدًا يلقي محبته إلى أهل السمٰوات والأرض فتحبه الخلائق كافة حتى الحيتان في البحر والطيور في الهواء. **قوله:** (أو صادقًا من ذريتي) فيكون ذكر اللسان من قبيل تسمية الكل باسم جزئه فتكون الآية نظير قوله تعالى حكاية عنه عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩] وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «سأخبركم بأول أمري أنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور أضاءت لها منه قصور الشام». **قوله:** (وقد مر معنى الوراثة فيها) وهو أن تشبه الجنة التي استحقها العامل بعد فناء عمله بالميراث الذي استحقه الوارث بعد فناء مورثه، فيطلق عليها اسم الميراث وعلى استحقاقها اسم الوراثة وعلى العامل اسم الوارث. **قوله:** (واغفر لأبي بالهداية والتوفيق للإيمان) فإنه يجوز الاستغفار للأحياء من المشركين لأن المغفرة مشروطة بالإيمان وطلب المشروط يتضمن طلب شرطه، فيكون الاستغفار لأحيائهم كناية عن طلب توفيقهم للإيمان، والذين لا يجوز هذا الاستغفار لهم هم من تبيّن أنهم أصحاب الجحيم بأن ماتوا على الكفر. وإن كان هذا الاستغفار منه بعد موت أبيه كان لظنه أنه قد آمن باطنًا وإن كان على دين نمرود ظاهرًا خوفًا منه، ولظنه هذا قد وعد أباه أن يستغفر له فلعله حيث قال: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤] وإن جاز أن يكون معناه: لأطلبن مغفرتك بالتوفيق للإيمان فإنه يجب ما قبله ولا وجه لأن يقال قوله ولذلك وعده به معناه أن أباه وعد إبراهيم بالإيمان، لأنه روي أن أباه وعده به يوم فارقه إلا أنه لا يناسب هذا المقام. قال الإمام: إن أباه قال له إنه كان على دينه باطنًا وعلى دين نمرود ظاهرًا تقية وخوفًا، فدعا له بالمغفرة لاعتقاده أن الأمر كذلك. فلما تبيّن له خلاف ذلك تبرأ منه ولذلك قال في دعائه: ﴿إنه كان من الضالين﴾ فلولا اعتقاده فيه أنه في الحال ليس بضال لما قال ذلك. انتهى. وحاصله أنه دعا لأبيه حال حياته بالمغفرة على اعتقاد أنه مؤمن باطنًا وأن قوله: ﴿إنه كان من الضالين﴾ معناه أنه كان فيما مضى من المشركين، وعلى تقدير كون معنى الاستغفار لأبيه طلب توفيقه للإيمان يكون معنى

به. أو لأنه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار. ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ بمعاتبتي على ما فرطت أو بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث، أو بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلاً أو بتعذيب والدي، أو ببعثه في عداد الضالين. وهو من الخزي بمعنى الهوان أو من الخزاية بمعنى الحياء. ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾ الضمير للعباد لأنهم معلومون أو «للضالين» ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ أي لا ينفعان أحدًا إلا مخلصًا سليم القلب من الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته، أو لا ينفعان إلا مال مَن هذا شأنه وبنوه حيث أنفق ماله في سبيل البر وأرشد بنيه إلى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم أن يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيامة. وقيل: الاستثناء مما دل عليه المال والبنون أي لا ينفع غنى إلا غناه. وقيل: منقطع والمعنى ولكن سلامة من أتى الله بقلب

قوله: ﴿إنه كان من الضالين﴾ **إنه من المشركين في الحال كما في قوله:** ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩] **فإن كان فيه زائدة للتأكيد والمعنى: من هو صبي في الحال.**

قوله: (ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت) حمل دعاءه عليه الصلاة والسلام بترك الإخزاء على الدعاء بترك المعاتبة على ما وقع منه مما هو من قبيل ترك الأولى كما هو المراد من الخطيئة في قوله: ﴿أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢] بخلاف ما لو حمل على ترك المعاتبة فإن مغفرة الخطيئة لا تستلزم ترك المعاتبة، فلذلك أفرد الدعاء بتركها بعد ذكر مغفرة الخطيئة. ثم جوّز أن يكون المراد منه الدعاء بترك تعذيبه بناء على أن قوله: «اطمع أن يغفر لي» مبني على الدلائل الدالة على كون الأنبياء معصومين مأمونين من سوء العاقبة وأن دعاءه بترك تعذيبه يوم البعث مبني على أنه لا يجب على الله تعالى لأحد شيء وأنه يحسن منه كل شيء، ولا اعتراض لأحد عليه في شيء من أفعاله فتكون العاقبة خفية من هذا الوجه مع جواز التعذيب لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين، فكذا درجات الأبرار دركات المقربين وخزي كل واحد بما يليق به. الجوهري: خزي بالكسر يخزي خزيًا أي ذل وهان وخزى أيضًا يخزى خزاية أي استحى وخجل فهو خزيان وهي خزيًا وهم خزايا. **قوله:** (أي لا ينفعان أحدًا إلا مخلصًا) على أن يكون مفعول «لا ينفع» محذوفًا وهو قوله «أحدًا» وتكون «من» نكرة موصوفة في محل النصب على أنها بدل من المفعول المحذوف أو على الاستثناء المتصل منه. **قوله:** (أو لا ينفعان إلا مال مَن هذا شأنه) على أن يكون ﴿إلا من أتى الله﴾ بدلاً من فاعل ينفع بتقدير مضاف قبل من أتى. **قوله:** (أي لا ينفع غني إلا غناه) فإن المال والبنين لكونهما من أسباب الغنى يمكن أن يراد بهما معنى الغنى مجازًا مرسلاً، ثم يستثنى من جنس الغنى غني من أتى الله بقلب سليم بناء على إدخال سلامة القلب في جنس

سليم تنفعه. ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بأنهم المحشورون إليها ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ فيرونها مكشوفة ويتحسرون على أنهم المسوقون إليها. وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أين آلهتكم الذين تزعمون أنهم شفعاؤكم. ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ بدفع العذاب عنكم. ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ بدفعه عن أنفسهم لأنهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال:

﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾﴾ أي الآلهة وعبدتهم. والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه. كأن من ألقي في النار ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها.

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ متبعوه من عصاة الثقلين أو شياطينه. ﴿أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ تأكيد للجنود أن جعل مبتدأ خبره ما بعده، أو للضمير وما عطف عليه.

الغنى لاشتراكهما في التأدية إلى سعة الحال وقطع الاحتياج، لأنه من سلم قلبه من الشرك والمعاصي والأخلاق الذميمة يكون قلبه منورًا بنور اليقين والتوكل والاعتماد على ضمان الله وكفالته فلا يحتاج إلى أحد سواه. ويؤيده ما روي أنه قيل لرسول الله ﷺ: لو علمنا أي المال خيرًا لاتخذناه. فقال عليه الصلاة والسلام: «أفضله لسان ذاكر وقلب فاكر وزوجة صالحة تعين المؤمن على إيمانه». وقوله: ﴿يوم لا ينفع﴾ بدل من ﴿يوم يبعثون﴾ وقوله: ﴿وأزلفت الجنة﴾ عطف على قوله: ﴿يبعثون﴾ كأنه قيل: ويوم أزلفت. وقوله: ﴿وقيل لهم﴾ أي وقيل للغاوين على جهة التقريع والتوبيخ أين آلهتكم التي كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم أو ينتصرون ويمتنعون عنه بأنفسهم. وباب افتعل هنا مطاوع فعل، ثم يرميهم فيلقون في النار فلذلك قوله تعالى: ﴿فكبكبوا فيها هم﴾ أي الآلهة ﴿والغاوون﴾. **قوله:** (تكرير الكب) أي تكرير عينه بنقله إلى باب التفعيل لتكثير الفعل. والكب الطرح والإلقاء منكوسًا. يقال: كببت الإناء أكبه كبًا إذا قلبته. فأصل «كبكبوا» كببوا فاستثقل اجتماع الباءات فأبدلت الثانية كافًا كما في زحزح من زحه يزحه أي نحاه عن موضعه، ثم نقل إلى باب التفعيل لتكثير الفعل فقيل: زححه فأبدلت الحاء الثانية زايًا فقيل: زحزحه أي باعده. جعل التكرير في لفظ كبكب دليلاً على التكرير في معناه كأنه إذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد أخرى حتى يبلغ قعرها. **قوله: (أجمعون تأكيد للجنود أن جعل مبتدأ خبره ما بعده)** فتكون الضمائر التي في قوله: ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ [الشعراء: ٩٦] للجنود أيضًا أي يختصم الرؤساء منهم والأتباع ويجادل بعضهم بعضًا بنحو ما ذكر في قوله تعالى: ﴿فيقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾ إلى آخر الآية. **قوله:** (أو للضمير) أي وإن لم يجعل قوله: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ [الشعراء: ٩٥] مبتدأ يكون

وكذا الضمير المنفصل وما يعود إليه في قوله: ﴿قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٩٧)﴾ على أن الله ينطق الأصنام فتخاصم العبدة. ويؤيده الخطاب في قوله: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٩٨)﴾ أي في استحقاق العبادة. ويجوز أن تكون الضمائر للعبدة كما في «قالوا» والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة. والمعنى أنهم مع تخاصمهم في مبدأ ضلالهم معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها. ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ (١٠٠)﴾ كما للمؤمنين من الملائكة والأنبياء.

﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١)﴾ إذ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين. أو فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ممن نعدهم شفعاء وأصدقاء، أو وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق. وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق، ولأن الصديق الواحد يسعى أكثر مما يسعى الشفعاء، أو لإطلاق الصديق

﴿أَجْمَعُونَ﴾ [الشعراء: ٩٥] تأكيدًا لضمير «كبكبوا» وما عطف عليه من الغاوين والجنود. **قوله:** (وكذا الضمير المنفصل) أي وكذا يكون الضمير المنفصل في قوله: ﴿قالوا وهم فيها﴾ وما يعود إليه في قوله: ﴿يختصمون﴾ راجعًا إلى ضمير «كبكبوا» وما عطف عليه حينئذ أي على تقدير أن لا يكون الجنود مبتدأ لأن الاختصام يكون بين هؤلاء المذكورين من الأصنام والعبدة والجنود أي شياطين إبليس وهم ذريته الذين أضلوا بني آدم يجادل بعضهم بعضًا بأن ينطق الله الأصنام فتخاصم العبدة. **قوله:** (ويؤيده) أي ويؤيد كون التخاصم بين العبدة والمعبودين بأن يرجع الضمير وما يعود إليه إلى ضمير «كبكبوا» وما عطف عليه خطاب المعبودين في قوله: ﴿نُسَوِّيكُم﴾ [الشعراء: ٩٨] وضمير «قالوا» للعبدة. **قوله:** (ويجوز أن تكون الضمائر) أي الضمير المنفصل وما يعود إليه للعبدة كضمير «قالوا» ويكون التخاصم لبعض العبدة مع بعض ويكون خطاب الجمادات في قوله: ﴿إذ نسوّيكم﴾ على وجه الندامة والتحسّر من غير أن يحييها الله ويُنطقها لا على سبيل المخاطبة حقيقة وبعد الاعتراف بالانهماك في الضلال عن الهدى يقولون: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الشعراء: ٩٩] أي الشياطين وقيل: أي الأولون الذين اقتدينا بهم. وقيل: كل من دعانا إلى عبادة الأصنام من الجن والإنس قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧].

قوله تعالى: (إذ نسويكم برب العالمين) ظرف للاستقرار الذي تعلق به كلمة «في» في قوله: ﴿لفي ضلال﴾ وقوله: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١] ممن نعدهم. الفرق بين الأوجه الثلاثة أن المنفي في الوجه الأول مطلق الشفيع والصديق، وفي الثاني شفاعة أشخاص معدودين مخصوصين وصداقتهم ممن عدوهم شفعاء وأصدقاء، وفي الثالث ما نفوا نفس الأصدقاء والشفعاء ولا شفاعتهم وصداقتهم وإنما نفوا نفعهما على سبيل

على الجمع كالعدو لأنه في الأصل مصدر كالحنين والصهيل. ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ تمني للرجعة وأقيم فيه «لو» مقام «ليت» لتلاقيهما في معنى التقدير، أو شرط حذف جوابه. ﴿فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٢)﴾ جواب التمني أو عطف على كرة أي لو أن لنا أن نكر فنكون ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي فيما ذكر من قصة إبراهيم ﴿لَآيَةً﴾ لحجة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها ويعتبر، فإنها جاءت على أنظم ترتيب وأحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من الإشارة إلى أصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال إشفاقه عليهم، وتصور الأمر في نفسه وإطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضًا وإيقاظًا لهم ليكون أدعى لهم إلى الاستماع والقبول. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾ أكثر قومه ﴿مُّؤْمِنِينَ (١٠٣)﴾ به ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ القادر على تعجيل الانتقام ﴿الرَّحِيمُ (١٠٤)﴾ بالإمهال لكي يؤمنوا هم أو أحد من ذريتهم ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥)﴾ القوم مؤنثة ولذلك تصغر على قويمة وقد مر الكلام في تكذيبهم المرسلين. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ لأنه كان منهم ﴿أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦)﴾ الله فتتركوا عبادة غيره ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧)﴾ مشهور بالأمانة فيكم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨)﴾ فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على ما أنا عليه من الدعاء والنصح. ﴿مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١١٠)﴾ كرره للتأكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من أمانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم إليه فكيف إذا اجتمعا. ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (١١١)﴾ الأقلون جاهًا ومالا جمع الأرذل على الصحة. وقرأ يعقوب و«أتباعك» وهو جمع تابع كشاهد وأشهاد أو تبع كبطل وأبطال. وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها

الكناية من حيث إن ما لا نفع له في حكم المعدوم. **قوله:** (كالحنين) مصدر حن إليه يحن حنينًا أي اشتاق إليه. فالحنين هو التشوق وتوقان النفس. والصهيل صوت الفرس يقال: صهل الفرس يصهل بالكسر صهيلاً. **قوله:** (لتلاقيهما في معنى التقدير) أي تقدير المعدوم وفرضه فإن معنى ليت لي مالاً تقدير المعدوم كما أن المعنى في قولك: لو كان كذا لكان كذا تقدير المعدوم إلا أنه في التمني مقرون بالطلب، وفي «لو» ليس كذلك. ويدل على أن كلمة «لو» هنا للتمني أنه نصب جوابه مع الفاء ويجوز أن تكون على أصلها، ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت ولوجدنا شفعاء وأصدقاء وعلى هذا يكون نصب قوله: «فنكون» بأن مضمرة عطفًا على «كرة» كقوله للبس عباءة وتقر عيني. **قوله تعالى:** (واتبعك الأرذلون) جملة حالية من كاف «لك» بإضمار قد. والرذالة الخساسة والذلة وإنما استرذلوهم

مانعًا عن اتباعهم وإيمانهم بما يدعوهم إليه دليلاً على بطلانه. وأشاروا بذلك إلى أن اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وإنما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾﴾ أنهم عملوه إخلاصًا أو طمعًا في طعمة و«ما» على الاعتبار الظاهر.

﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى﴾ ما حسابهم على بواطنهم إلا على الله فإنه المطلع عليها ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون. ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾ جواب لما أوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف إيمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه. وقوله: ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾ كالعلة له أي ما أنا إلا رجل مبعوث لإنذار المكلّفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا أعزاء أو أذلاء، فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء؟ أو ما عليّ إلا إنذاركم إنذارًا بينًا بالبرهان الواضح ولا عليّ أن أطردهم لاسترضائكم ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ﴾ عما تقول ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ من المشتومين أو المضروبين بالحجارة ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾﴾ إظهارًا لما يدعو عليهم لأجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه. ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ فاحكم بيني وبينهم من الفتاحة ﴿وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ من قصدهم أو شؤم عملهم ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾﴾ المملوء ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ بعد إنجائه ﴿ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ من

لقلة جاههم ومالهم. **قوله:** (وإيمانهم) معطوف على اتباع المقلين ودليلاً معطوف على مانعًا أي وجعلوا إيمان المقلين دليلاً على بطلان ما يدعوهم نوح إليهم. **قوله:** (وما علمي) الظاهر أن «ما» فيه استفهامية في محل الرفع على الابتداء و «علمي» خبره. ويجوز أن تكون نافية والباء متعلقة بعلمي على التقديرين وعلى الثاني لا بد من إضمار الخبر ليتم الكلام.
قوله: (إظهارًا لما يدعو عليهم لأجله) يعني أن قوله: ﴿رب إن قومي كذبون﴾ لم يقله نوح إفادة له تعالى بمضمون هذا الخبر ولا إعلامًا بكونه عالمًا بمضمونه لعلمه أنه تعالى عالم الغيب والشهادة، ولكن أراد به أني لا أدعو عليهم لأجل تخويفهم إياي بالرجم واستخفافهم إياي بقولهم: ﴿أو تبعك الأرذلون﴾ وإنما أدعو عليهم لأجلك ولأجل دينك ولأنهم كذبوني في وحيك ورسالتك ﴿فافتح بيني وبينهم فتحًا﴾ أي فاقض واحكم بيني وبينهم قضاء وحكمًا، من الفتاحة وهي الحكومة والفتاح الحاكم سمي به لفتحه المنغلق من الأمر كما سمي فيصلاً لفصله بين الخصومات، وأراد به الحكم بإنزال العقوبة لقوله عقيبه: ﴿ونجني﴾ ولولا أن المراد إنزال العقوبة لما كان لذكر النجاة بعده معنى وقوله: ﴿تَعْبَثُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٨] جملة حالية من فاعل «تبنون» والريع بكسر الراء وفتحها جمع ريعة وهي في اللغة المكان المرتفع وكانوا يبنون في المواضع المرتفعة من الطريق إعلامًا طوالاً ليهتدي

قومه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ شاعت وتواترت ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٢٢) كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣)﴾ أنثه باعتبار القبيلة وهو في الأصل اسم أبيهم ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧)﴾ تصدير القصص بها دلالة على أن البعثة مقصورة على الدعاء إلى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو إلى ثوابه ويبعده عن عقابه. وكان الأنبياء متفقين على ذلك وإن اختلفوا في بعض التفاريع مبرئين من المطامع الدنية والأغراض الدنيوية.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ بكل مكان مرتفع، ومنه ريع الأرض لارتفاعها ﴿آيَةً﴾ علمًا للمارة ﴿تَعْبَثُونَ (١٢٨)﴾ ببنائها إذ كانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم فلا يحتاجون إليها، أو بروج الحمام، أو بنيانًا يجتمعون إليه للعبث بمن يمر عليهم، أو قصورًا يفتخرون بها ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ مآخذ الماء. وقيل: قصورًا مشيدة وحصونًا ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩)﴾ فتحكمون بنيانها.

﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾ بسوط أو سيف ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠)﴾ متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك هذه الأشياء ﴿وَأَطِيعُونِ (١٣١)﴾ فيما ادعوكم إليه فإنه أنفع لكم ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢)﴾ كرره مرتبًا على إمداد الله إياهم بما يعرفونه من أنواع النعم تعليلاً وتنبيهًا على الوعد عليه بدوام الإمداد والوعيد على تركه بالانقطاع. ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها إجمالاً بالإنكار في «ألا تتقون» مبالغة في الإيقاظ والحث على التقوى فقال: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤)﴾ ثم أوعدهم فقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥)﴾ في الدنيا والآخرة فإنه كما قدر على الإنعام قدر على الانتقام. ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦)﴾ فإنا لا

المارة بها في أسفارهم فعده هود عبثًا لاستغنائهم عنها بالنجوم. قوله: (مآخذ الماء) يعني الحياض واحدها مصنعة ولعل هنا على بابها والمعنى: وتتخذونها ترجون الخلود. وقيل: معناها التشبيه أي كأنكم تخلدون أي تبقون فيها خالدين. ويؤيده ما في مصحف أبيّ «كأنكم تخلدون» بضم التاء مخففة ومشددة وبخهم أولاً بإضاعتهم المال عبثًا بلا فائدة وثانيًا بإحكامهم البناء على وجه يدل على طول الأمل والغفلة أي تتخذونها اتخاذ من يؤمل الخلود فيها. قوله: (غاشمين) أي ظالمين من الغشم وهو الظلم والبطش السطوة والأخذ بعنف. قال ابن عباس: إذا ضربتم بالسياط وقتلتم بالسيف وفعلتم فعل الجبارين كان ذلك ظلمًا

نرعوي عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما يقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣٧﴾ ما هذا الذي جئتنا به إلا كذب الأولين، أو ما خلقنا هذا إلا خلقهم نحيى ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة «خلق» بضمتين أي ما هذا الذي جئت به إلا عادة الأولين كانوا يلفقون مثله. أو ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون. أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة قديمة لم يزل الناس عليها.

﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ١٣٨﴾ على ما نحن عليه ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡ﴾ بسبب التكذيب بريح صرصر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٤٠ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٤١ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٤٢ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٤٣ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٤٤ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٥ أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ١٤٦﴾ إنكار لأن يتركوا كذلك، أو تذكير بالنعمة في تخلية الله إياهم وأسباب تنعمهم آمنين.

وعلوًا بلا رأفة ولا داعية لحكمة. والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب. **قوله**: (وتغيير شق النفي) يعني أن المقابلة تقتضي أن يقال: أم لم تعظ؟ وهو أخصر من أن يقال: أم لم تكن من الواعظين، إلا أنه ترك مقتضى المقابلة وعدل إلى الأطول للمبالغة المذكورة، فإن التسوية بين وعظه إياهم وعدم كونه من أهل الوعظ والنهي ومباشريه أصلاً بمنزلة أن يقال: سواء علينا أوعظت أم كنت حجرًا صلدًا، ولا شك أنه أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من أن يقال: أوعظت أم لم تعظ. ولقائل أن يقول: إنما يكون هذا أبلغ أن لو لم يكن قولنا: هو من الواعظين أبلغ من قولنا: هو واعظ، لكنه أبلغ منه ولهذا قالوا: إن قول الزمخشري في خطبة المفصل: أحمد الله على أن جعلني من علماء العربية، أبلغ من أن يقال: جعلني عالمًا بالعربية. ويمكن أن يجاب عنه بأن المقابلة بين قوله: ﴿أوعظت﴾ وقوله: ﴿أم لم تكن من الواعظين﴾ تأبى الحمل على الكمال وتوجب أن يكون المعنى أم لم تكن من الواعظين أي من أهله ومباشريه أصلاً. **قوله**: (وقرأ نافع) أي وقرأ الباقون وهم ابن كثير وأبو عمرو والكسائي «خلق الأولين» بفتح الخاء وسكون اللام، وهو إما بمعنى الاختلاق والكذب كما قال: خلق الإفك واختلقه أي افتراه ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ [العنكبوت: ١٧] أو بمعنى الخلقة والتكون. فعلى الأول يكون «هذا» إشارة إلى ما جاء به هود عليه الصلاة والسلام وعلى الثاني يكون إشارة إلى خلقة القائلين. والخلق بضمتين وبواحدة العادة فعلى هذه القراءة يجوز أن يكون «هذا» إشارة إلى ما جاء به هود وأن يكون إشارة إلى ما هم عليه من الدين أو من الحياة والموت. **قوله**: (إنكار لأن يتركوا كذلك) والمعنى: أتظنون

ثم فسره بقوله: ﴿فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾﴾ لطيف لين للطف الثمر أو لأن النخل أنثى وطلع إناث النخل ألطف، وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو أو متدلٍّ منكسر من كثرة الحمل. وإفراد النخل لفضله على سائر أشجار الجنات، أو لأن المراد بها غيرها من الأشجار.

أنكم تتركون في الذي استقر في هذا المكان من النعيم وأن لا دار للمجازاة. والهمزة للإنكار والتوبيخ. وعلى الثاني تكون الهمزة لتقرير تخلية الله تعالى إياهم في أسباب تنعمهم آمنين بطريق الامتنان عليهم وعد النعمة.

قوله: (ثم فسره) يعني أن قوله فيما ههنا مجمل فصله بقوله: ﴿في جنات وعيون وزروع﴾ كما أن قوله: ﴿أمدكم بما تعلمون﴾ مجمل فصله بقوله: ﴿أمدكم بأنعام وبنين وجنات﴾ الخ. **قوله:** (لطيف لين) فيكون من الهضم بفتحتين وهو الرقة والهزال. الجوهري: الهضم بالتحريك انضمام الجنبين وهو الفرس عيب يقال: لا يسبق أهضم من غاية بعيدة أبدًا، وكون طلع النخل هضيمًا قد يكون للطف الثمرة. وقد يكون النخل أنثى فإن طلع البرني ألطف من طلع اللون والبرني أجود التمر، واللون الدقل وهو أردأ التمر وأهل المدينة يسمون ما عدا البرني والعجوة ألوانًا، وكذا طلع ذكور النخل لا يكون هضيمًا بل يكون غليظًا صلبًا. ثم فسر الطلع بقوله: «وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو» والشماريخ جمع شمراخ ويقال له شمروخ أيضًا كالعثكال والعثكول النهاية، العثكال العذق فكل غصن من أغصانه شمراخ وهو الذي عليه البسر والقنو والعذق والكباسة من الثمر بمنزلة العنقود، والعرجون أصل العذق وهو العود الأصفر الذي فيه شماريخ، وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف والواو والنون فيه زائدتان فإن قطع منه الشماريخ يعوج ويبقى على النخل يابسًا. شبّه الله تعالى به القمر في ليلة ثمان وعشرين حيث قال: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩] من حيث إن كل واحد منهما متقوس. **قوله:** (أو متدلٍّ منكسر) عطف على قوله: «لطيف لين» فيكون هضيم من الهضم بمعنى الكسر يقال: هضم حقه إذا ظلمه وكسر عليه حقه. والمتدلي المتسفل والمتنزل عن موضعه أي متدل من الشجرة. **قوله:** (وإفراد النخل) أي بالذكر مع أن اسم الجنة يتناول النخل وغيره مما يقصد إثباته في البساتين للتنبيه على فضل النخل على سائر النبات حتى كأنه ليس من جنس ما يدل عليه اسم الجنة تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات، أو لأن المراد بالجنات ما عدا النخل لأن اسم الجنة يصح أن يطلق على ما يشتمل على جميع أشجار البساتين وعلى ما يشتمل على بعضها. فيجوز أن يراد به ههنا ما يشتمل على بعضها ويكون عطف النخل عليه دليلاً على إرادة البعض.

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ (١٤٩)﴾ بطرين أو حاذقين. من الفراهة وهي النشاط فإن الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب. وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو «فرهين» وهو أبلغ ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠) وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ (١٥١)﴾ استعير الطاعة التي هي انقياد الآمر لامتثال الأمر أو نسب حكم الآمر إلى أمره مجازًا. ﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وصف موضح لإسرافهم ولذلك عطف. ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢)﴾ على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ (١٥٣)﴾ الذين سحروا كثيرًا حتى غلب على عقلهم، أو من ذوي السحر وهي الرئة أي من الأناسي فيكون ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ تأكيدًا له. ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ (١٥٤)﴾ في دعواك ﴿قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ﴾ أي بعد ما أخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها. ﴿لَّهَا

قوله: (بطرين أو حاذقين) قال أبو عبيدة: فرهين وفارهين يقال هما بمعنى فرحين بطرين أشرين. وفرق الجوهري بينهما وقال: الفاره الحاذق بالشيء من فره بالضم فروهة وفراهة فهو فاره وفره بالكسر بمعنى أشر وبطر. فمن قرأ «بيوتًا فرهين» جعله من هذا، ومن قرأ «فارهين» جعله من فره بالضم. قال الإمام: واعلم أن ظاهر هذه الآيات يدل على أن الغالب على قوم هود هو اللذات الخيالية وهو طلب الاستعلاء والبقاء والتفرد والتجبر، والغالب على قوم صالح هو اللذات الحسية وهو طلب المأكول والمشروب والمساكن الطيبة. انتهى كلامه. فقال صالح عليه الصلاة والسلام لقومه على سبيل الإنكار والتوبيخ ﴿وتنحتون﴾ ثم قال: ﴿فاتقوا الله﴾ بترك هذه الأشياء ﴿وأطيعون﴾ ويحتمل أن يقوله على سبيل تذكير النعمة واستدعاء شكرها. **قوله:** (استعير الطاعة) ارتكب المجاز لتعذر إرادة الحقيقة لأن الطاعة إنما تكون للآمر كما أن الامتثال يكون للأمر. يقال: أطيعوا الله وامتثلوا أمره فلما قيل. في هذه الآية: ﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾ تعيّن المصير إلى المجاز وذلك إما بأن يشبه الامتثال بالطاعة من حيث إن كل واحد منهما يفضي إلى وجود المأمور به، فأطلق اسم المشبه به وهو الطاعة وأريد الامتثال ثم اشتق منه قوله: ﴿ولا تطيعوا﴾ على طريق الاستعارة التصريحية التبعية فالمعنى: ولا تمتثلوا أمرهم. وإما بأن يحمل الكلام على الإسناد المجازي فإن حق الطاعة أن تنسب وتعلق بالآمر فنسبت إلى أمره وجعل الأمر مطاعًا والمراد الآمر للملابسة بينهما. **قوله:** (وصف موضح لإسرافهم) حيث يتعين به أن المراد بالإسراف إسرافهم على أنفسهم بالتمرد على الله تعالى، فيدخل في المسرفين كل من أفسد في الأرض بالكفر والظلم ولا يصلح بالإيمان والعدل من التسعة رهط الذين عقروا الناقة وغيرهم. **قوله:** (الذين سحروا كثيرًا) على أن يكون بناء التفعيل لتكثير الفعل والمعنى: من المسحورين مرة بعد أخرى، وعلى الثاني يكون بناء التفعيل للنسبة إلى السحر بفتح السين. **قوله:** (كما اقترحوها)

﴿شِرْبٌ﴾ نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت. وقرىء بالضم. ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾ فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ كضرب وعقر ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾ عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو أبلغ من تعظيم العذاب ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أسند العقر إلى كلهم لأن عاقرها إنما عقر برضاهم ولذلك أخذوا جميعًا. ﴿فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ على عقرها خوفًا من حلول العذاب لا توبة، أو عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم. ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ أي العذاب الموعود ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾ في نفي الإيمان عن أكثرهم في هذا المعرض إيماء بأنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب، وأن قريشًا إنما عصموا من مثله ببركة من أمن منهم. ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾ أي أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم، أو أتأتون الذكران من أولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الإناث فيهم كأنهن قد أعوزنكم. فالمراد بالعالمين على الأول كل من ينكح وعلى الثاني الناس.

متعلق بقوله: «أخرجها الله» فإنهم اقترحوا عليه بأن قالوا: نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبًا مثلها. فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل: صل ركعتين وسل ربك الناقة. ففعل فخرجت الناقة وبركت بين أيديهم وحصل لها سقب مثلها في العظم. عن أبي موسى الأشعري قال: رأيت مبركها فإذا هو ستون ذراعًا في ستين ذراعًا. ثم وصاهم صالح بأمرين: الأول قوله: ﴿لها شرب ولكم شرب يوم معلوم﴾ قال قتادة: إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله وشربهم في اليوم الثاني لا تشرب هي فيه. والثاني قوله: ﴿ولا تمسوها بسوء﴾ ثم إن مصلعًا ألجأها إلى مضيق في شعب فرماها بسهم فسقطت ثم ضربها قدار في عرقوبها.

قوله: (لأن عاقرها إنما عقرها برضاهم) روي أن عاقرها قال: لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين، وكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون: أترضين؟ فتقول: نعم. وكذلك صبيانهم. **قوله:** (أتأتون من بين من عداكم) فعلى هذا الوجه يكون «من العالمين» حالاً من فاعل «أتأتون» أنكر عليهم تفردهم واختصاصهم بهذا الفعل الشنيع من جملة العالمين أي الناكحين. وعلى الثاني يكون حالاً من «الذكران» أنكر عليهم اختيارهم الذكران من جملة

﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم﴾ لأجل استمتاعكم ﴿مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ لبيان ما خلق إن أريد به جنس الإناث أو للتبعيض إن أريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضًا بأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم أيضًا. ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات، أو مفرطون في المعاصي وهذا من جملة ذلك أو أحقاء بأن توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة. ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾ عما تدعيه أو عن نهينا أو تقبيح أمرنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ من المنفيين من بين أظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على عنف وسوء حال. ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ من المبغضين غاية البغض.

العالمين مع كثرة الإناث فيهم. **قوله:** (فيكون تعريضًا بأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم) فتكون الآية دليلاً على حرمة أدبار الزوجات والمملوكات. **قوله:** (أو أحقاء بأن توصفوا بالعدوان) أي الظلم يقال: عدى عليه وتعدى عليه واعتدى عليه كله بمعنى. وعلى هذا الوجه لا ينظر إلى متعلق العدوان أصلاً فوجه الإضراب على هذا أنه جعل إتيانهم الذكور جريمة ومعصية ووبخهم عليه بقوله: ترتكبون هذه الجريمة، ثم أضرب عنه إلى ما هو أبلغ في التوبيخ فقال: ﴿بل أنتم﴾ بارتكابها ﴿قوم عادون﴾ أي أحقاء بأن توصفوا بالعدوان بارتكابها، كأنه قيل: بل هي معظم الجرائم والمعاصي ولا يستحق المرء لأن يوصف بالعدوان إلا بارتكابها. وعلى الوجهين الأولين يكون تعلق «عادون» بالمفعول مرادًا ثم قال لهم بعد توبيخهم بارتكاب المعصية المذكورة: بل أنتم قوم متجاوزون عن حد شهوة الناس بل الحيوانات أو متجاوزون الحد في ارتكاب جميع المعاصي، وهذا الإتيان من جملة تعديكم وإفراطكم وهو كالإيضاح لما قبله. **قوله:** (ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على عنف) يعني أنهم لم يقولوا لنخرجنك بل قالوا: ﴿لتكونن من المخرجين﴾ بلام العهد للمبالغة في الوعيد والإشارة إلى أنهم يفعلون به من الإخراج على الحالة السيئة ما فعلوا بغيره. ولما جاز مع هذا الاحتمال أن تكون اللام لجنس المخرجين فتكون إشارة إلى أنهم أخرجوا كثيرًا من الناس وهم قادرون على إخراجه أيضًا. قال المصنف: ولعلهم بطريق الاحتمال لغيره وهو مثل ما حكى الله تعالى عن فرعون قوله: ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]. **قوله:** (من المبغضين) يعني أن «قالين» اسم فاعل من القلى وهو البغض الشديد وقوله: «من القالين» متعلق بمحذوف أي لقال من القالين ومبغض من المبغضين وذلك المحذوف وهو «قال» خبر قوله: «وإني» و«من القالين» صفته وقوله: «لعملكم» متعلق بالخبر المحذوف. ولو جعل قوله: «من القالين» خبر «إني» لعمل القالين في عملكم فيفضي إلى تقديم الصلة على الموصول. قال أبو البقاء: أي لقال من القالين فـ «من» صفة للخبر متعلقة بمحذوف

لا أقف عن الإنكار عليه بالإيعاد وهو أبلغ من أن يقول: إني لعملكم. قال لدلالته على أنه معدود في زمرتهم مشهور بأنه من جملتهم. ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩)﴾ أي من شؤمه وعذابه ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ (١٧٠)﴾ أهل بيته والمتبعين له على دينه بإخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم. ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ هي امرأة لوط ﴿فِى ٱلْغَٰبِرِينَ (١٧١)﴾ مقدرة في الباقين في العذاب أصابها حجر في الطريق فأهلكها لأنها كانت مائلة إلى القوم راضية بفعلهم. وقيل: كانت فيمن بقي في القرية فإنها لم تخرج مع لوط. ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ (١٧٢)﴾ أهلكناهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ قيل: أمطر الله على شذاذ القوم حجارة فأهلكهم. ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ (١٧٣)﴾ اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع

واللام متعلقة بالخبر المحذوف وبهذا يتخلص من تقديم الصلة إذ لو جعلت من القالين الخبر لأعلمته في لعملكم. **قوله:** (**لا أقف عن الإنكار عليه بالإيعاد**) كأنه قيل: كيف انتهي عن نهيكم وتقبيح أمركم وإني لعملكم من القالين؟ وقيل: في وجه كونه جوابًا عن إيعادهم إياه بالإخراج أن معناه: كيف توعدونني بالإخراج من بينكم وإني لعملكم الذي تعملونه من المبغضين أكره المقام فيكم وأبغض رؤية عملكم الذي تعملونه، فيكون في إخراجي إيصال الراحة إليّ ولولا أمر الله تعالى إياي بالمقام فيكم لأدعوكم إلى الحق لما كنت أقيم بينكم لشدة بغضي عملكم. **قوله:** (**مقدرة في الباقين في العذاب**) يعني أن «في الغابرين» صفة لقوله: «عجوزًا» وأن المراد بالغابرين الباقين في العذاب. ولما كان ظاهر النظم دالاً على أن العجوز موصوفة بكونها باقية في العذاب وقت تنجية لوط وأهله وليس كذلك لكونها من الآخرين الذي دمرهم الله بعد تنجية الناجين بحكم كلمة «ثم» في قوله تعالى: ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ ذكر أن ليس معنى الكلام إلا عجوزًا غابرة أي باقية في العذاب، بل المعنى إلا عجوزًا مقدرًا غبورها في العذاب الشديد إذ كانت مع الخارجين من القرية المؤتفكة بالأمطار عليهم، فإنها خرجت من بين القوم مع لوط كسائر أهله فصارت من شذاذ القوم فأهلكت بما أهلك الله به الشذاذ، وهو صفة لها بعد وقت التنجية. ثم نقل توجيهًا آخر وهو أن يكون المعنى: إلا عجوزًا غابرة في القرية مع المهلكين غير خارجة مع الناجين وهو صفة لها وقت التنجية. **قوله:** (**على شذاذ القوم**) أي على من كانوا خارجين من بلادهم حين دمرهم الله تعالى بائتفاك بلدتهم عليهم والخسف بهم، فيكون المعنى: أن الله دمر قوم لوط بعذابين الائتفاك والأمطار، دمر من كان في بلدهم بالائتفاك ومن كان خارجًا عنها بالأمطار. قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [هود: ٨٢] يقال: ائتفكت البلاد بأهلها إذا انقلبت ملتبسة بهم. والمؤتفكات البلاد التي قلبها الله على قوم لوط سميت مؤتفكات لكونها منقلبات ملتبسة بأهلها. وقيل: لم يرض الله بالائتفاك حتى اتبعه

المضاف إليه فاعل «ساء» والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٧٥) كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦)﴾ الأيكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين تسكنها طائفة فبعث الله إليهم شعيبًا كما بعث إلى مدين، وكان أجنبيًا منهم فلذلك قال:

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧)﴾ ولم يقل أخوهم شعيب. وقيل: الأيكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل. وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام. وقرئت كذلك مفتوحة على أنها «ليكة» وهي اسم مسكنهم وإنما كتبت ههنا وفي صۤ بغير ألف اتباعًا للفظ. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أتموه ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١)﴾ حقوق الناس بالتطفيف ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢)﴾ بالميزان السوي وهو إن كان عربيًا فإن كان من القسط ففعلاس بتكرير العين وإلا ففعلال. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف.

مطرًا من حجارة. **قوله:** (**الأيكة غيضة**) أي موضع يغيض فيه الماء ولا يسيل منه إلى المواضع الغائرة فينبت فيه الشجر.

قوله: (**وقرئت كذلك مفتوحة**) أي قرىء «أصحاب ليكة» بفتح التاء على أن ليكة غير منصرف للعلمية والتأنيث فلذلك فتحت في موضع الجر. ومن قرأ «أصحاب ليكة» بالجر قال: أصله أصحاب الأيكة على أن أيكة اسم جنس عرف بلام التعريف ثم خففت الهمزة بأن ألقيت حركتها على اللام، ثم حذفت للساكنين واستغنى عن ألف الوصل لأن اللام قد تحركت فلا يجوز على هذا إلا الجر كما تقول: مررت بالأحمر على تحقيق الهمزة ثم تخففها فتقول: بلحمر فإن شئت كتبته في الخط على ما كتبته أولاً، وإن شئت كتبته بالحذف على حكم لفظ اللافظ فلا يجوز حينئذ إلا الجر بالإضافة كما لا يجوز في الأيكة إلا الجر. **قوله:** (**وكان أجنبيًا منهم**) أي وكان أخا مدين في النسب فلذلك قال الله تعالى في آية أخرى ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥] ثم إنه عليه الصلاة والسلام كلفهم بأمور أمرهم أولاً بإيفاء الكيل ونهاهم عن التطفيف في الكيل والوزن حيث قال: ﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين﴾ أي من الناقصين له يقال: خسرت الشيء بالفتح وأخسرته أي نقصته. ثم نهى عن نقص حق المستحقين بأي طريق كان كنقص العدد والوزن ودفع الزيف مكان الجيد، والغصب والسرقة والتصرف بغير إذن صاحبه ونحو ذلك حيث قال: ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ يقال: بخسته حقه إذا أنقصته إياه. **قوله:** (**ففعلاس بتكرير العين**) الظاهر أن يقال: فعلاع لأن التكرير يقتضي أن يوزن المكرر بلفظ ما قابله. ثم نهاهم عن إفساد شيء

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ ولا تنقصوا شيئًا من حقوقهم ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣)﴾ بالقتل والغارة وقطع الطريق ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (١٨٤)﴾ وذوي الجبلة الأولين يعني من تقدمهم من الخلائق. ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ أتوا بالواو للدلالة على أنه جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه ﴿وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦)﴾ في دعواك ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ قطعة منها. ولعله جواب لما أشعر به الأمر بالتقوى من التهديد. وقرأ حفص بفتح السين. ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧)﴾ في دعواك ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨)﴾ وبعذابه المنزل عليكم ما أوجبه لكم عليه في وقته المقدر له لا محالة. ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ على نحو ما اقترحوا بأن سلط الله عليهم الحر سبعة أيام حتى غلت أنهارهم وأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارًا فاحترقوا ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٩١)﴾ هذا آخر القصص السبع المذكورة على الاختصار تسلية لرسول الله ﷺ، وتهديدًا للمكذبين به وإطراد نزول العذاب على تكذيب الأمم بعد إنذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع أن يقال: إنه كان بسبب اتصالات فلكية أو كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم.

مما خلقه الله تعالى وصوره بقوله: ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ يقال: عثا في الأرض يعثو أي أفسد، وكذلك عثى بالكسر يعثي. وإنما قيده بقوله: «مفسدين» لأن إفساد الصورة أو الخلقة وإن غلب في الفساد إلاّ أنه قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المتعدي بفعله، ومنه ما يتضمن صلاحًا راجحًا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة. **قوله**: (وذوي الجبلة) على أن الجبلة بمعنى الخلقة ولا يتعلق به الخلق فلا بد من تقدير المضاف. والكسف بفتح السين وسكونها جمع كسفة وهي القطعة كسدر وسدر في جمع سدرة فقال عليه الصلاة والسلام في جوابهم ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٨٨] يريد أنه أعلم بأعمالكم وبما تستوجبون عليها من العذاب المنزل عليكم في وقته المقدر لكم. **قوله**: (على نحو ما اقترحوا) بقولهم: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الشعراء: ١٨٧] هذا على تقدير أن يكون مرادهم بالسماء السحاب، لأن المراد بالظلة سحابة أظلتهم بعدما حبس عنهم الريح واستولى عليهم الحر الشديد سبعة أيام فأخذ بأنفاسهم بحيث لا ينفعهم ظل ولا ماء، فلما أظلتهم السحابة وجدوا لها بردًا ونسيمًا فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارًا فأحرقتهم. وأما على تقدير أن يكون مرادهم بالسماء المظلة فحينئذ يكون العذاب النازل بهم على خلاف ما اقترحوه. **قوله**: (وإطراد نزول العذاب على تكذيب الأمم الخ) جواب عما يقال: لم لا يجوز

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على إعجاز القرآن ونبوة محمد ﷺ فإن الإخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون إلا وحيًا من الله عز وجل. والقلب إن أراد به الروح فذاك، وإن أراد به العضو فتخصيصه لأن المعاني الروحانية إنما تنزل أولاً على الروح ثم تنتقل منه إلى القلب لما بينهما من التعلق، ثم تتصعد منه إلى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة. والروح الأمين جبرائيل فإنه أمين الله على وحيه. وقرأ ابن عامر وأبو بكر وحمزة والكسائي بتشديد الزاي ونصب «الروح» و«الأمين» ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ عما يؤدي إلى

أن يقال: إن العذاب النازل بعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم لم يكن لكفرهم وعنادهم بل كان بسبب قرانات الكواكب واتصالاتها على ما اتفق عليه أهل النجوم، ومع قيام هذا الاحتمال لم يحصل الاعتبار بهذه القصص لأن الاعتبار إنما يحصل أن لو علمنا أن نزول هذا العذاب كان بسبب كفرهم وعنادهم. وعما يقال: إن الله تعالى قد ينزل العذاب محنة للمكلفين وابتلاء لهم على ما قال ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد: ٣١] وقد ابتلى المؤمنون بأنواع البليات فلا يكون نزول العذاب على هؤلاء القوم دليلاً على كونهم مبطلين مؤاخذين بذلك. ثم إنه تعالى لما ذكر قصص الأنبياء لرسوله ﷺ أتبعه بذكر ما يدل على نبوته فقال: ﴿وإنه﴾ أي وإن القرآن وما نزل من هذه القصص والآيات ﴿لتنزيل رب العالمين﴾ أي المنزل على أن التنزيل بمعنى المنزل أو لذو تنزيل على حذف المضاف، وجاز عود ضمير «إنه» إلى القرآن وإن لم يجر له ذكر للعلم به. والقرآن المنزل لما كان مشتملاً على القصص المذكورة والآيات الدالة عليها كانت هذه الآية تقريرًا لحقية تلك القصص. والباء في ﴿به﴾ على القراءتين للتعدية أو للملابسة فعلى الأول تتعلق بنزل وعلى الثاني تتعلق بمحذوف على أنه حال. وقوله: ﴿على قلبك﴾ و﴿لتكون﴾ متعلقان «بنزل» ويجوز أن يتعلقا «بتنزيل» والمعنى: وإنه لتنزيل رب العالمين على قلبك لتكون لكن فيه ضعف من حيث الفصل بين المصدر ومعموله بجملة ﴿نزل به الروح الأمين﴾ إلا أن هذه الجملة اعتراضية جيء بها للتأكيد فلم تكن أجنبية وأن مثل هذا مغتفر فيما إذا كان المعمول ظرفًا أو عديله. وسمي جبريل روحًا لكونه سببًا لحياة قلوب المكلفين بنور المعرفة والطاعة من حيث إن الوحي الذي فيه الحياة من موت الجهالة يجري على يده. وقيل: سمي روحًا لأنه روح وليس بجسم فيه روح وسمي أمينًا لأنه مؤتمن على ما يؤديه إلى الأنبياء.

قوله: (والقلب إن أراد به الروح فذاك) إذ القرآن الملتبس بكسوة الحروف والألفاظ إنما أنزل على روح رسول الله لا على مجرد الجسد إذ ليس للجسد حظ من إدراك المعاني الروحانية، والقلب وسائر الأعضاء والحواس آلات الإدراك والمكلف والمخاطب والمدرك

عذاب من فعل أو ترك ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ واضح المعنى لئلا يقولوا: ما نصنع بما لا نفهمه، فهو متعلق «بنزل». ويجوز أن يتعلق «بالمنذرين» أي لتكون ممن أنذروا بلغة العرب وهم هود وصالح وإسماعيل وشعيب ومحمد عليه الصلاة والسلام. ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ وإن ذكره أو معناه لفي الكتب المتقدمة ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً﴾ على صحة القرآن أو نبوة محمد ﷺ ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ أن يعرفوه

إنما هو الروح لا الأعضاء والآلات، إلا أنه يجوز أن يراد بالقلب العضو المخصوص كما هو المتبادر عند إطلاقه. فحينئذ يكون جعل القرآن نازلاً على قلبه مع أنه نازل عليه لا على عضوه مبنيًا على كون القلب موضعًا لقوة العقل والفهم. فإن الروح إنما تدرك بتلك القوة المودعة في القلب فلا جرم تنتقل المعاني الروحانية النازلة على الروح إلى القلب لما بينهما من التعلق على الوجه المذكور. وذهب طائفة من القدماء إلى أن موضع قوة العقل والفهم هو الدماغ لا القلب استدلالاً بأن طريان الآفة على الدماغ يوجب اختلال العقل، وبأن الحواس التي هي آلات الإدراك نافذة إلى الدماغ دون القلب. فأشار المصنف إلى أن الدماغ محل القوى الباطنة التي يستعين بها الروح في إدراك المعاني فلذلك كان سلامة الدماغ شرطًا لسلامة القلب وظهور آثاره، فالقرآن كلام الله تعالى وصفته القائمة به كساه كسوة الألفاظ المركبة من الحروف العربية ونزله إلى جبريل وجعله أمينًا عليه لئلا يتصرف في حقائقه، ثم نزل به كما هو على قلب رسول الله ﷺ ليتعرفه ويتخلق بخلقه ويتنور بأنواره ويتخلى بحقائقه، ففهمه وتمكن من تفهيمه لغيره فهو عليه أفضل الصلاة والسلام مختص بهذه الرتبة العلية والكرامة السنية من سائر الأنبياء فإن كتبهم أنزلت عليهم بالألواح والصحائف جملة واحدة فهي منزلة على صورهم وظاهرهم لا على قلوبهم. **قوله:** (فهو متعلق بنزل) فيكون صريحًا في أن القرآن إنما أنزل عليه عربيًا كما في آية أخرى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢] لا كما زعمت الباطنية من أنه تعالى أنزله على قلبه عليه أفضل الصلاة والسلام غير موصوف بلغة ولسان، ثم إنه عليه أفضل الصلاة والسلام أداه بلسان العرب المبين من غير أن أنزل كذلك. **قوله:** (وإن ذكره) لما كان ظاهر النظم يدل على أن عين القرآن العربي المبين مثبت في سائر الكتب السماوية وظاهر أنه ليس كذلك، لأن هذا فاسد مخالف للنص والإجماع احتيج إلى تقدير المضاف أي إن ذكر القرآن وإنزاله على النبي عليه أفضل الصلاة والسلام المبعوث في آخر الزمان، أو أن أصل معانيه مثبت في كتبهم على معنى أنه تعالى أخبر في كتبهم عن القرآن وإنزاله في آخر الزمان، أو أنه تعالى بيّن أصول معانيه في كتبهم لا أن جميع ما فيه من الأحكام والأمثال مثبت فيها. وبه احتج أبو حنيفة في جواز القرآن بالفارسية في الصلاة وهذا كقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨] وقال مقاتل:

بنعته المذكور في كتبهم. وهو تقرير لكونه دليلاً وقرأ ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على أنها الاسم والخبر «لهم» و«أن يعلمه» بدل أو الفاعل و«أن يعلمه» بدل و«لهم» حال أو أن الاسم ضمير القصة و«آية» خبر «أن يعلمه» والجملة خبر «تكن». ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾﴾ كما هو زيادة في إعجازه أو بلغة العجم. ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ لفرط عنادهم واستكبارهم أو لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم. والأعجمين جمع أعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة. ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ﴾ أدخلناه ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾﴾ والضمير للكفر المدلول عليه بقوله: ﴿ما كانوا به مؤمنين﴾ فتدل الآية على أنه بخلق الله. وقيل: للقرآن أي أدخلناه فيها فعرفوا معانيه وإعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادًا. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾﴾ الملجىء إلى الإيمان ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَهُمْ لَا

تقدير الآية: وإن محمدًا عليه أفضل الصلاة والسلام ونعته وذكره لفي كتب الأولين وهو كقوله: ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. **قوله:** (وهو تقرير لكونه دليلاً) يعني أن الاستفهام في ﴿أو لم يكن﴾ استفهام تقرير بمعنى قد كان علم علماء بني إسرائيل به آية أي علامة دالة على صحة نبوته لهؤلاء المنكرين نبوته. فإنه قد روي أن أهل مكة بعثوا رسولاً إلى اليهود الذين كانوا في المدينة يسألهم عن رسول الله ﷺ فقالوا: إنّا نجد ذكره ونعته في التوراة فهذا أوان خروجه، فكان ذلك آية على صدقه وحقية أمره. **قوله:** (وقرأ ابن عامر تكن) أي بالتاء من فوق ورفع «آية»، والباقون «يكن» بالياء من تحت ونصب «آية». فيحتمل أن تكون «كان» فيها تامة وأن تكون ناقصة، فإن كانت تامة تكون «آية» فاعلاً لها و«أن يعلمه» بدلاً منها و«لهم» حالاً منها أو متعلقًا «بكان» أي أوَلم يحصل آية كائنة لهم وهي علم علماء بني إسرائيل، أوَلم يحدث لهم علامة علم علماء بني إسرائيل. وإن كانت ناقصة جاز أن يكون لهم خبر «تكن» مقدمًا على اسمها ويكون «آية» اسمها و«أن يعلمه» بدلاً أو خبر محذوف وجاز أن يكون اسمها ضمير القصة المستتر فيها وقوله: «آية أن يعلمه» جملة اسمية قدم فيها الخبر على المبتدأ منصوبة لمحل على أنها خبر «كان» كما تقول: كان زيد منطلق على معنى كان الأمر هذا، ولا يجوز أن يكون «آية» اسم «كان» و«أن يعلمه» خبرها إذ يتعين أن يجعل اسم «كان» هو المعرفة منهما وقد يجيء عكس هذا في الشعر. **قوله تعالى:** (فيأتيهم) معطوف على قوله: «يروا» وقوله: «فيقولوا» عطف على «يأتيهم» وظاهر النظم يدل على أن تكون مفاجأة العذاب واقعة عقيب رؤيته ويكون سؤال النظرة واقعًا عقيب مفاجأته وليس كذلك، بل الذي يقع أولاً هو المفاجأة ثم الرؤية ثم سؤال النظرة فوجب أن لا تكون كلمة الفاء فيهما للتراخي الزماني بل تكون للتراخي الرتبي بأن

﴿يَشْعُرُونَ (٢٠٢)﴾ بإتيانه ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ (٢٠٣)﴾ تحسرًا وتأسفًا ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٤)﴾ فيقولون ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠؛ هود: ٣٢؛ الأحقاف: ٢٢] وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة. ﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (٢٠٧)﴾ لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ (٢٠٨)﴾ أنذروا أهلها إلزامًا للحجة ﴿ذِكْرَىٰ﴾ تذكرة. ومحلها النصب على العلة أو المصدر لأنها في معنى الإنذار أو الرفع على أنها صفة منذرون بإضمار ذوو، أو بجعلهم ذكرى لإمعانهم في التذكرة أو خبر محذوف والجملة اعتراضية. ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٠٩)﴾ فنهلك غير الظالمين وقبل

يكون المعنى لا يؤمنون بالقرآن حتى يروا العذاب الملجىء إلى الإيمان. فما هو أشد من رؤية وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة مع القطع بامتناعها فإنهم يرون العذاب عند معاينة ملائكة الممات أو في الآخرة، وهم يعلمون في ذلك الوقت أن لا خلاص لهم ولا إمهال وإنما يسألونه تعللاً واسترواحًا. ثم إنه تعالى لما وصف عذاب المجرمين بأن رؤيته تلجئهم إلى الإيمان وأنه يأتيهم بغتة فيضطرون إلى سؤال النظرة والإمهال طرفة عين فلا يجابون إليها، قال على سبيل التبكيت والتوبيخ للذين كانوا يستعجلون العذاب في الدنيا بمثل قولهم: ﴿أمطر علينا حجارة من السماء﴾ وقولهم: ﴿لن نؤمن لك حتى تسقط علينا كسفًا من السماء﴾ ونحو ذلك ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ أي فكيف يستعجلون ما يأتيهم بغتة ويسألون عند رؤيته الإمهال فلا يمهلون لحظة؟ والعاقل لا يستعجل ما فيه هلاكه. ثم قال تعالى: ﴿أفرأيت﴾ أي أفعلمت يا محمد ومعناه أعلم.

قوله تعالى: (ما أغنى) كلمة «ما» فيه يجوز أن تكون استفهامية في محل النصب مفعولاً مقدمًا «لأغنى» و«ما كانوا» هو الفاعل، وكلمة «ما» فيه مصدرية والمعنى: أي شيء أغنى عنهم كونهم ممتعين، وأن تكون نافية فيكون مفعول «أغنى» محذوفًا أي لم يغن عنهم تمتعهم شيئًا. وقرىء «يمتعون» بإسكان الميم وتخفيف التاء من قولك: أمتع الله زيدًا بكذا.

قوله: (ومحلها النصب على العلة) أي لقوله: «منذرون» والمعنى إلا لها منذرون لأجل الموعظة والتذكرة. ويحتمل أن يكون معمولاً «لأهلكنا» فإن النفي فيه لما انتقض «بإلا» وكان المراد بالقرية القرية الظالمة آل المعنى إلى قولك: أهلكنا القرية الظالمة بعد إلزام الحجة بإرسال المنذرين إليها إهلاكها تذكرة لغيرها. ويحتمل أن يكون «ذكرى» في محل النصب على أنه مفعول مطلق لقوله: «منذرون» من قبيل: قعدت جلوسًا لأن أنذر وذكر متقاربان كأنه

الإنذار ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾ كما زعم المشركون أنه من قبيل ما تلقى الشياطين على الكهنة. ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ﴾ وما يصح لهم أن يتنزلوا به. ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾ وما يقدرون ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ﴾ لكلام الملائكة ﴿لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ لأنه مشروط بمشاركة في صفات الذات، وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك. والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها إلا من الملائكة. ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ تهييج لازدياد الإخلاص ولطف لسائر المكلفين. ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ الأقرب منهم فالأقرب فإن الاهتمام بشأنهم أهم. روي أنه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذًا فخذًا حتى اجتمعوا إليه فقال: لو أخبرتكم أن يسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه إذا أراد أن ينحط. و«من» للتبيين لأن من اتبع أعم ممن اتبع لدين أو غيره، أو للتبعيض على أن

قيل: يذكرون تذكرة. ويجوز أن يكون مفعول فعل محذوف من لفظه أي يذكرون ذكرى وذلك المحذوف صفة «المنذرون». ثم إنه تعالى بعدما وصف القرآن بأنه تنزيل رب العالمين ونبه به على إعجازه وعلى نبوة نبيه رد قول من زعم من الكفار إنه من إلقاء الجن والشياطين كسائر ما ينزل على الكهنة فقال: ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾. **قوله:** (في صفات الذات) أي في الصفات اللازمة لذوات الملائكة مثل كونهم أجسامًا نورانية خيرة طائعة لله تعالى طاهرة عن دنس الذنوب والمعاصي مسبحين الليل والنهار لا يفترون. واعلم أن أهل السنة والجماعة قالوا: صفات الله كلها صفات بالذات على معنى أنها قديمة قائمة بذات الله، لكن المعتزلة قسموا صفات الله إلى صفات الذات وصفات الأفعال وقالوا: كل ما يصح أن يثبت وينفي فهو من صفات الفعل كالخلق والترزيق والإماتة والإحياء، وما ليس كذلك كان من صفات الذات كالعلم والقدرة والحياة، وقالوا: صفات الأفعال حادثة غير قائمة بذات الله تعالى بخلاف صفات الذات. **قوله:** (ولطف لسائر المكلفين) فإن أكرم خلق الله تعالى عليه الصلاة والسلام لما خوطب بأنك لو اتخذت من دوني إلهًا لعذبتك مع أنك أكرم الخلائق عندي، كان زجرًا بليغًا عن الشرك لكل من سمعه من المكلفين بعد تهييج عزيمته على ازدياد الإخلاص. **قوله:** (مستعار من خفض الطائر جناحه) شبّه التواضع ولين الأطراف والجوانب عند مصاحبة الأقارب والأجانب بخفض الطائر جناحه عند إرادة الانحطاط، فأطلق على المشبه اسم الخفض على سبيل الاستعارة التصريحية ثم اشتق منه قوله: ﴿واخفض جناحك﴾. **قوله:** (ومن للتبيين لأن من اتبع أعم ممن اتبع لدين أو غيره) فإن قيل: «من»

المراد من المؤمنين المشارفون للإيمان أو المصدقون باللسان. ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ ولم يتبعوك ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ مما تعملونه أو من أعمالكم. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾ الذي يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم. وقرأ نافع وابن عامر «فتوكل» على الإبدال من جواب الشرط. ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾﴾ إلى التهجد ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ وترددك في تصفح أحوال المتهجدين، كما روي أنه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصًا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع بها من دندنتهم بذكر الله وتلاوة القرآن. أو تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع

التبيينية يجب أن يكون ما قبلها أعم من مدخولها حتى يتحقق فيه الإبهام والاحتياج إلى البيان، ولم يظهر كون «من اتبعك» أعم «من المؤمنين» من حيث إنه لا يحتمل غير المؤمنين بل هما متحدان في الوجود ومتلازمان في المفهوم فلا وجه للبيان ظاهرًا، إلا أن المتبعين أعم من نفس الأمر من المؤمنين لأنه يتناول من اتبعه عليه الصلاة والسلام في أمر الدين وغيره بخلاف المؤمنين فإنه لا يتناول إلا من اتبعه في أمر الدين. وبهذا الاعتبار صح أن تكون كلمة «من» للتبيين لا للتبعيض لأن مدخول «من» التبعيضية أعم مما قبلها على عكس «من» البيانية، ولما جعل «من اتبعك» أعم «من المؤمنين» امتنع أن تكون «من» تبعيضية وإنما تكون كذلك أن لو أريد «بمن اتبعك» المتبعون في أمر الدين ظاهرًا وباطنًا وبالمؤمنين ما هو أعم من ذلك بأن يراد بهم الذين شارفوا الإيمان وكانوا بصدده، وسماهم الله مؤمنين باعتبار ما يؤول إليه أمرهم والمتبعون حقيقة بعض منهم، فيصح أن تكون «من» للتبعيض بهذا الاعتبار كأنه قيل: واخفض جناحك لبعض المؤمنين وهم الذين اتبعوك حقيقة، أو يراد بهم الذين صدقوا باللسان فإنه أيضًا أعم من الذين اتبعوا حقيقة. **قوله**: (وقرأ نافع وابن عامر فتوكل) أي بالفاء بأن جعلا ما بعد الفاء كالجزاء لقوله: ﴿فإن عصوك﴾ مرتبًا عليه وجعلاه بدلاً من الجزاء المتقدم. وقرأ الباقون بالواو وجعلوه لمجرد عطف الجملة على جملة أخرى من غير ملاحظة السببية والترتيب. ووصف الله تعالى نفسه بالعزيز ليدل على أنه يقدر على قهر أعداء رسوله بعزته، وبالرحيم ليدل على أنه يقدر على نصره عليهم وإعلاء كلمته برحمته وقوله: ﴿الذي يراك﴾ يجوز أن يكون مرفوع المحل على أنه خبر مبتدأ محذوف، وأن يكون منصوب المحل على المدح ومجرور المحل على أنه صفة أو بدل أو بيان.

قوله: (وتقلبك) عطف على مفعول «يراك» أي ويرى تقلبك. لما وصف الله تعالى نفسه بالرحمة ليؤذن رسوله عليه الصلاة والسلام بأنه بار رحيم عليه اتبعه ما هو كالسبب لتلك الرحمة وهو قيامه إلى التهجد في جوف الليل وتقلبه في تصفح أحوال أهل التهجد

والسجود والقعود إذا أممتهم. وإنما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التي بها يستأهل ولايته بعد أن وصفه بأن من شأنه قهر أعدائه ونصر أوليائه تحقيقًا للتوكل وتطمينًا لقلبه عليه. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما تقوله ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ بما تنويه.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ لما بيّن أن القرآن لا يصح أن يكون مما تنزلت به الشياطين أكد ذلك بأن بيّن أن محمدًا ﷺ لا يصلح لأن يتنزلوا عليه من وجهين: أحدهما أنه إنما يكون على شرير كذاب كثير الإثم فإن اتصال الإنسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد، وحال محمد صلوات الله عليه وسلامه على خلاف ذلك. وثانيهما قوله: ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾

ليطلع على أسرار أمرهم. ويحتمل أن يكون المعنى: يراك حين تقوم في الصلاة ويرى تصرفك فيما بينهم بالقيام والركوع والسجود والقعود، فقوله: ﴿في الساجدين﴾ معناه مع المصلين في الجماعة. فكان حاصل المعنى: يراك حين تقوم وحدك للصلاة ويراك إذا صليت مع المصلين. والدندنة الصوت الخفي يقال: دندن إذا خفي كلامه. وفي الصحاح: الدندنة أن تسمع من الرجل نغمة ولا تفهم ما يقول. وقيل: الدندنة الصوت والترنم. ثم قال الإمام: واعلم أن الرافضة ذهبوا إلى أن آباء النبي عليه الصلاة والسلام كانوا مؤمنين وتمسكوا في ذلك بهذه الآية وبالخبر. أما هذه الآية فقالوا قوله تعالى: ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ يحتمل الوجوه التي ذكرتم ويحتمل أن يكون المراد أن الله تعالى نقل روحه من ساجد إلى ساجد كما نقول نحن، وإذا احتمل هذه الوجوه وجب حمل الآية على الكل ضرورة أنه لا منافاة ولا رجحان. وأما الخبر فقوله عليه أفضل الصلاة والسلام: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» وكل من كان كافرًا فهو نجس لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] قالوا: فإن تمسكتم على فساد هذا المذهب بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ [الأنعام: ٧٤] قلنا: الجواب عنه أن لفظ الأب قد يطلق على العم كما قال أبناء يعقوب: ﴿نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ﴾ [البقرة: ١٣٣] فسموا إسماعيل أبًا له مع أنه كان عمًا له، وقال عليه الصلاة والسلام: «ردوا على أبي» يعني العباس. ويحتمل أن يكون متخذ الأصنام أبًا لأمه فإن هذا قد يقال له الأب قال تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ﴾ [الأنعام: ٨٤] إلى قوله: ﴿وَعِيسَىٰ﴾ [الأنعام: ٨٥] فجعل عيسى من ذرية إبراهيم مع أن إبراهيم كان جده من قبل الأم. ثم قال الإمام: واعلم أنّا نتمسك بقوله تعالى: ﴿لأبيه آزر﴾ وما ذكروه صرف للفظ عن ظاهره، وأما حمل قوله تعالى: ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ على جميع الوجوه فغير جائز لما بيّناه من أن حمل المشترك على جميع معانيه غير جائز، وأما الحديث فهو خبر واحد فلا يعارض القرآن. **قوله:** (يلقون السمع) في محل الجر على أنه صفة «كل أفاك»

أي الأفاكون يلقون السمع إلى الشياطين فيتلقون منهم ظنونًا وأمارات لنقصان علمهم فيضمون إليها على حسب تخيلاتهم أشياء لا يطابق أكثرها كما جاء في الحديث: «الكلمة يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة». ولا كذلك محمد عليه الصلاة والسلام فإنه أخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها. وقد فسر الأكثر بالكل لقوله: ﴿كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢٢] والأظهر أن الأكثرية باعتبار أقوالهم على معنى أن هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجني. وقيل: الضمائر للشياطين أي يلقون السمع إلى الملأ الأعلى قبل أن رجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به إلى أوليائهم، أو يلقون مسموعهم منهم إلى أوليائهم وأكثرهم كاذبون فيما يوحون به إليهم إذ يسمعونهم، لا على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم أو لقصور فهمهم أو ضبطهم أو إفهامهم. ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ وأتباع محمد ﷺ ليسوا كذلك وهو استئناف أبطل كونه شاعرًا، وقرره بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾ لأن أكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها وأغلب كلماتهم في النسيب بالحرم والغزل والابتهار، وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والإطراء فيه. وإليه أشار بقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ فكأنه لما كان إعجاز القرآن من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا في المعنى بأنه مما تنزلت به الشياطين، وفي اللفظ بأنه من جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول عليه السلام لحال أربابهما. وقرأ نافع يتبعهم على التخفيف وقرىء بالتشديد وتسكين العين تشبيهًا لبعض بعضد.

لكونه في معنى الجمع وتكون الضمائر كلها للأفاكين. قوله: (فيقرها) **بضم القاف أي يصبها يقال: قررت على رأسه الماء إذا صببته عليه، وقر الحديث في أذنه يقره كأنه صبه فيها. والذي قاله عليه الصلاة والسلام كان قبل أن أوحي إليه وبعد ذلك** ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ **[الجن: ٩] قال مقاتل: إن الله تعالى إذا أراد أمرًا في الأرض أعلم به أهل السمٰوات من الملائكة فتكلموا به فيما بينهم فتسمع الشياطين فترميهم الملائكة بالشهب فيختطفون الخطفة فذلك قوله تعالى:** ﴿يلقون السمع﴾ **الخ. فعلى هذا يكون ضمير «يلقون» راجعًا إلى «الشياطين» وتكون جملة «يلقون السمع» حالاً من الضمير في «تنزل». قوله:** (وقد فسر الأكثر بالكل) **جواب عما يقال: كيف قيل:** ﴿وأكثرهم كاذبون﴾ **بعدما حكم عليهم بأن كل واحد منهم أفاك؟ وحاصله أن كونهم كاذبين مفترين في الخبر في أكثر ما يحكيه عنهم لا ينافي كونهم أفاكين كثيري الكذب وقوله: «ولا كذلك محمد» فإنه لا يتلقى ما أخبر به من الشياطين فيزيد فيه كذبات كما يفعله الكهنة، كيف ولم يظهر في إخباره عليه الصلاة والسلام**

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولو قالوا: هجوا أرادوا به الانتصار ممن

خلاف ما أخبر به؟ ولما بيّن حال الكهنة بأنهم كذابون كثيرو الإثم بخلافه عليه الصلاة والسلام فإن حاله الدعوة إلى الله تعالى وطاعته والترغيب في الآخرة والتنفير عن الدنيا، بيّن ما يتميز به عن الشعراء فقال: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ أي الضالون ثم بيّن غوايتهم بأمرين: الأول أنهم يهيمون ويذهبون في كل واد والثاني أنهم يقولون ما لا يفعلون، فإنهم يرغبون في الجود وينفرون عن البخل، ويقدحون في الناس بأدنى شيء صدر عنهم ثم إنهم لا يرتكبون إلا الفواحش وذلك تمام الغواية بخلافه عليه الصلاة والسلام فإنه قد كان زكى نفسه الكريمة أولاً ثم لم يدع أحدًا من الناس إلا إلى ما هو راسخ أوحدي فيه فكيف تشبه حاله حال الشعراء؟ والنسيب مصدر قولك: نسب الشاعر بالمرأة ينسب بالكسر إذا ذكر صفات حسنها وذكر حاله معها في الشعر. والغزل اسم لمحادثة النساء ومراودتهن وعرض الاشتياق إليهن. والابتهار الاشتهار بحب واحدة من النساء يقال: ابتهر فلان بفلانة أي اشتهر بها ويقال أيضًا على ادعاء الشيء كذبًا. وحرم الرجل أهله وسكان حرمه من نحو زوجته وأمه وبنته. ثم إنه تعالى لما وصف الشعراء بهذه الأوصاف الذميمة بيانًا لما بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم من البون البعيد استثنى منهم شعراء المسلمين فقال: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرًا﴾ أي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله تعالى ولم يجعلوا الشعر همتهم ومتجرهم. وقيل: المراد بإكثار ذكر الله تعالى أن يكون شعرهم في التوحيد والثناء على الله تعالى وفي النبوة ودعوة الخلق إلى الحق. ثم قال: ﴿وانتصروا من بعد ما ظلموا﴾ أي لا يذكرون هجوًا إلا على سبيل الانتصار ممن يهجوهم، ثم الشرط فيه ترك الاعتداء ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] عن أبي رواحة رضي الله عنه أنه قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ إلى آخر الآية خشيت أن أموت على هذا فنزل قوله: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ فاستثنى شعراء المسلمين. وقال كعب بن مالك: يا رسول الله ماذا تقول في الشعراء؟ فقال: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه. والذي نفسي بيده لكأنكم تنضحونهم بالنبل أو ترمونهم بالسيف». عن عروة عن عائشة أنها كانت تقول: الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح، فخذ الحسن ودع القبيح. واعلم أن الشعراء طبقات الجاهليون كامرىء القيس وزهير، والمخضرمون وهم الشعراء الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كحسان ولبيد، والمتقدمون من أهل الإسلام كالفرزدق وجرير ويستشهد بأشعارهم، ثم المحدثون كأبي تمام والبحتري ولا يستشهد بشعرهم.

هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين. وكان عليه السلام يقول لحسان: «قل وروح القدس معك». وعن كعب بن مالك أنه عليه السلام قال له: «اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل». ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ تهديد شديد لما في «سيعلم» من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الإطلاق والتعميم وفي أي منقلب ينقلبون أي بعد الموت من الإبهام والتهويل. وقد تلاها أبو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد إليه. وقرىء «بأي منفلت ينفلتون» من الانفلات وهو النجاة. والمعنى: إن الظالمين يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات. عن النبي عليه الصلاة والسلام: «من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وإبراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد». صلوات الله عليهم أجمعين.

قوله: (لما في سيعلم من الوعيد البليغ) لأن السين تدل على أن ذلك كائن لا محالة.

قوله: (حين عهد إليه) أي حين أوصاه من العهد وهو الوصية قال الله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يس: ٦٠] أي ألم أوص إليكم. روي أنه لما أيس أبو بكر من حياته استكتب عثمان كتاب العهد وهو: هذا ما عهد ابن أبي قحافة إلى المؤمنين في الحال التي يؤمن فيها الكافر. قال بعد ما غشي عليه وأفاق: إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن عدل فذاك ظني فيه وإن لم يعدل ﴿فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾. قال الزجاج: «أي منقلب» منصوب بـ «ينقلبون» على المصدر لا بقوله: «سيعلم» لأن أيًا وسائر الأسماء الاستفهامية لا يعمل فيها ما قبلها، وقدم على عامله لتضمنه معنى الاستفهام وهو متعلق سيعلم ساد مسد مفعوليه. وقال أبو البقاء: أي منقلب صفة مصدر محذوف أي ينقلبون انقلابًا. ورد بأن «أي» الواقعة صفة لا تكون استفهامية وكذلك الاستفهامية. لا تكون صفة بل كل واحدة منهما قسم برأسه، فإن أيًا ينقسم إلى أقسام كثيرة وهي: الشرطية والاستفهامية والموصول وما تكون صفة وغير ذلك. تمت سورة الشعراء بعون الملك الوهاب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة النمل

مكية وهي ثلاث أو أربع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١﴾ الإشارة إلى آي السورة والكتاب المبين. أما اللوح وإبانته أنه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه، وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود. أو القرآن وإبانته لما أودع فيه

سورة النمل

تسعون وخمس آيات مكية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (الإشارة إلى آي السورة) بناء على أن «طس» اسم لهذه السورة الكريمة وهو مبتدأ و«تلك» مبتدأ ثانٍ و«آيات» القرآن خبر الثاني، والجملة خبر الأول والإشارة قائمة مقام العائد ولا بد في المبتدأ الأول من تقدير المضاف أي آيات «طس» لتصح الإشارة إليه «بتلك» ويخبر عنه بأنها آيات القرآن. وقرىء مرفوعًا بالعطف على «آيات». وهذه القراءة لما استلزمت أن يشار إلى شيئين: أحدهما مذكر والآخر مؤنث باسم إشارة المؤنث، ولا وجه له لأنه لا يقال: تلك هند وزيد، احتيج في توجيه هذه القراءة إلى تقدير المضاف أي تلك آيات القرآن وآيات كتاب مبين. **قوله:** (وتأخيره) يعني أخر الكتاب الذي أريد به اللوح عن القرآن في هذه السورة وقدم عليه في قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الحجر: ١] نظرًا إلى الاعتبارين. **قوله:** (أو القرآن) عطف على قوله: «أما اللوح»

من الحكم والأحكام، أو لصحته بإعجازه. وعطفه على القرآن كعطف إحدى الصفتين على الأخرى وتنكيره للتعظيم. وقرىء و«كتاب» بالرفع على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه. ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الإشارة أو بدلان منها أو خبران آخران أو خبران لمحذوف.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣﴾ من تتمة الصلة والواو للحال أو للعطف، وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وأنهم الأوحدون فيه. أو جملة اعتراضية كأنه

فيكون عطف الكتاب على القرآن من قبيل العطف في قوله:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

قوله: (وتنكيره للتعظيم) **والمقصود من تعظيم الكتاب تعظيم الآيات المضافة إليه لأن المضاف إلى العظيم عظيم، بل المقصود تعظيم السورة التي هي عبارة عن مجموع ما فيها من الآيات. قوله:** (الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة) **أي من هذين الجنسين في كونها عبادة بدنية أو مالية إشارة إلى أن تخصيص الصلاة والزكاة بالذكر لكونهما معظم أنواع الطاعات والأعمال الصالحات، وأن الصلاة معظم الأعمال البدنية والزكاة معظم العبادات المالية. وصف آيات السورة بكونها هادية ومبشرة للجامعين بين معرفة المبدأ والإيمان به ومعرفة المعاد والإيقان بما يتعلق به والاشتغال بطاعة المولى بنفسه وماله. قوله:** (وتغيير النظم) **يعني أن الظاهر على تقدير كونه من تتمة الصلة أن يقال: الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوقنون بالآخرة على العطف أو وهم يوقنون بالآخرة على الحالية، إلا أنه قدم قوله «بالآخرة» على متعلقه وهو «يوقنون» للعناية والاهتمام به وإخراج الكلام على صورة: أنا عرفت حيث قدم ضمير «هم» على «يوقنون» وجعله مبتدأ وكرر ذلك المبتدأ على سبيل التأكيد اللفظي ليفيد الاختصاص والتأكيد، لما تقرر من أن اعتبار تقديم الفاعل المعنوي على عامله يفيد الاختصاص فيكون المعنى: أنهم أوحديون في الإيقان بالآخرة لا يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون للصفات المذكورة، وجعل الجملة اسمية مكررًا فيها المبتدأ للدلالة على قوة يقينهم وثباته. ولما كان إقام الصلاة وإيتاء الزكاة مما يتكرر ويتجدد في أوقاتهما جعل الصلتين المتقدمتين جملة فعلية فقال:** ﴿يقيمون﴾ ﴿ويؤتون﴾ **ولما كان الإيقان بالآخرة أمرًا ثابتًا مطلوبًا دوامه أتى بالصلة الدالة عليه جملة اسمية وجعل خبر المبتدأ في هذه الجملة فعلاً مضارعًا للدلالة على أن إيقانهم مستمر على سبيل التجدد غير منقطع.**

قوله: (أو جملة اعتراضية) **عطف على قوله: «من تتمة الصلة» أي ويحتمل أن يكون**

قيل: وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة، فإن تحمل المشاق إنما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة. وتكرير الضمير للاختصاص. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ زين لهم أعمالهم القبيحة بأن جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس، أو الأعمال الحسنة التي وجب عليهم أن يعملوها بترتيب المثوبات عليها. ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾ عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر أو نفع. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ كالقتل والأسر يوم بدر ﴿وَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾﴾ أشد الناس خسرانًا لفوت المثوبة واستحقاق العقوبة ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى

قوله: و ﴿بالآخرة هم يوقنون﴾ **جملة مستأنفة غير داخلة في حيز الموصول وتتم الصلة عند قوله:** ﴿ويؤتون الزكاة﴾ **وجعلها معترضة نظرًا إلى اتصال ما بعدها بما قبلها من حيث إن ما قبلها لبيان ما للمؤمنين من البشرى بحسن العاقبة وما بعدها لبيان ما للكفار من سوء العذاب يوم القيامة. ويحتمل أن يكون جعلها معترضة بناء على مذهب من يجوّز وقوع الاعتراض في آخر الكلام بأن لا يلي الجملة المعترضة جملة أصلاً أو يليها جملة غير متصلة بها معنى. ووجه اتصال هذه الجملة بما قبلها أنها تؤكد مضمون قوله:** ﴿للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة﴾ **من حيث إن الإيقان بالآخرة حق الإيقان المستلزم الخوف يستلزم تحمل المشاق والمتاعب حذرًا من نيل ما يخاف منه، فمضمون قوله:** ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ **يؤكد مضمون ما قبله من حيث كون مضمونه مستلزمًا لمضمون ما قبله فصح كونه اعتراضًا وقوله: «كأنه قيل: وهؤلاء الذين يؤمنون» إشارة إلى أن الضمير الأول وضع موضع اسم الإشارة من حيث إن اسم الإشارة يدل على أن المذكور قبله أحقاء لما يرد بعده من أجل الخصائل التي عددت لهم كما في قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ **[البقرة: ٣] إلى قوله:** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ **[البقرة: ٥] فكذا ههنا فإن المعنى أحقاء بأن يوقنوا بالآخرة من أجل كونهم جامعين لمشاق التكليف من الإيمان والأعمال الصالحة. قوله: (زين لهم أعمالهم القبيحة بأن جعلها مشتهاة للطبع) وإسناد تزيينها إليه تعالى بهذا الوجه لا ينافي إسناده إلى الشيطان في قوله تعالى:** ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ **[النحل: ٦٣] فإنه زينها لهم بأن دعاهم إلى ما تشتهيه طباعهم وتميل إليه نفوسهم. قوله: (ما يتبعها من ضر) على تقدير أن يكون المزين أعمالهم القبيحة وقوله: «أو نفع» على تقدير أن يكون المزين أعمالهم الحسنة فهو من قبيل اللف والنشر المرتب والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضلال عن الطريق. وعن بعض الأعراب أنه دخل السوق وما أبصرها قط فقال: رأيت الناس عمهين أراد أنهم مترددون في أعمالهم وأشغالهم. قوله: (كالقتل والأسر يوم بدر) حمل سوء العذاب على عذاب الدنيا لعطف قوله:** ﴿وهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ **على قوله:** ﴿أولئك الذين لهم

﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ لتؤتاه. ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ أي حكيم وأي عليم والجمع بينهما مع أن العلم داخل في الحكمة لعموم العلم، ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والإشعار بأن علوم القرآن منها ما هي حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والإخبار عن المغيبات. ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ أي اذكر قصته إذ قال. ويجوز أن يتعلق «بعليم» ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ أي عن حال الطريق لأنه قد ضله. وجمع الضمير إن صح أنه لم يكن معه غير امرأته لما

سوء العذاب﴾. **قوله:** (لتؤتاه) **قال تعالى:** ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ **[فصلت: ٣٥] أي وما يؤتاها. وقيل: لتلقى كذا أي لتأخذه من قولهم: تلقيته ولقيته أي أخذته. قوله: (أي حكيم وأي عليم) إشارة إلى أن التنكير فيهما للتعظيم. قوله: (مع أن العلم داخل في الحكمة) فإن الحكمة إتقان الفعل بأن يفعله على وفق العلم، فإن من يعلم أمرًا ولا يأتي بما يناسب علمه لا يقال له حكيم. فلما وصف الله تعالى نفسه بأنه حكيم علم منه كونه عليمًا فما وجه الجمع بينهما؟ وتقرير الجواب أن العلم الذي يدخل في الحكمة هو العلم العملي وهو الذي يتعلق بكيفية العمل، والعلم أعم منه لأنه يتناول العلم النظري أيضًا وهو الذي يقصد لذاته لا للعمل به، فذكر الحكيم لا يغني عن ذكر العليم فلذلك وصف نفسه بالحكمة المشتملة على العلوم العملية ثم اتبعه بقوله: ﴿عليم﴾ أي بالغ في كمال العلم. كأنه قيل: مصيب في أفعاله لا يفعل شيئًا منها إلا على وفق علمه عليم بكل شيء وأحواله سواء كان ذلك العلم مؤديًا إلى العمل أم لا ثم أشار إلى جواب آخر مبني على أن تكون الحكمة نفس العلم بالمعنى الأعم المتناول للعلوم النظرية والعملية فيكون تقرير السؤال حينئذ: إن الحكمة نفس العلم فلم ذكر العلم بعد ذكر الحكمة؟ ويكون تقرير الجواب حينئذ: إن الحكمة التي هي نفس العلم هي الحكمة المنقسمة إلى العملية والنظرية كالعلم المتعلق بالشرائع والأحكام والعلم المتعلق بالاعتقادات، والعلم أعم من الحكمة بهذا المعنى بحيث يطلق على ما لا يسمى حكمة كعلم القصص والعلم بالمغيبات فإن شيئًا منهما غير مندرج تحت الحكمة بالمعنى المذكور، فلو اقتصر على قوله: ﴿حكيم﴾ لما فهم إلا كونه تعالى عالمًا بما يتعلق بأفعال المكلفين وعقائدهم وأن علوم القرآن ليست إلا ما هي حكمة، فلما اتبع ذلك قوله: ﴿عليم﴾ فهم منه أن علوم القرآن منها ما هي حكمة ومنها ما ليس كذلك. قوله: (ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم) يعني أن قوله تعالى: ﴿وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾ بعد قوله: ﴿تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾ ذكر تمهيدًا لما يذكر بعده من العلوم التي ليست من قبيل الحكمة وإلا فمعلوم أنه عليه الصلاة والسلام تلقى القرآن من قبله تعالى.**

كني عنها بالأهل. والسين للدلالة على بعد المسافة أو الوعد بالإتيان وإن أبطأ. ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ شعلة نار مقبوسة وإضافة الشهاب إليه لأنه يكون قبسًا وغير قبس. ونوّنه الكوفيون ويعقوب على أن القبس بدل منه أو وصف له لأنه بمعنى المقبوس، والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في طٰه. والترديد للدلالة على أنه إن لم يظفر بهما لم يعدم أحدهما بناء على ظاهر الأمر وثقة بعادة الله تعالى أنه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده. ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾ رجاء أن تستدفئوا بها. والصلاء النار العظيمة.

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ﴾ أي بورك. فإن النداء فيه معنى القول أو بأن بورك على أنها مصدرية أو مخففة من الثقيلة، والتخفيف وإن اقتضى التعويض بـ «لا» أو «قد» أو السين أو «سوف» لكنه دعاء وهو يخالف غيره في أحكام كثيرة. ﴿مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من في مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ [القصص: ٣٠] ومن حول مكانها والظاهر أنه عام

قوله: (**والسين للدلالة على بعد المسافة**) جواب عما يقال: التسويف لا يناسب المقام لأن المفارقة عن الأهل في الليلة الشاتية مع انفرادها لا تقبل التسويف في الإتيان إليها. أجاب عنه أولاً بأنه إنما سوّف الإتيان للتنبيه على بعد المسافة فلو لم ينبه على بعدها لربما خالجتها عند تأخر إتيانه شبهة، وثانيًا بأن السين فيه ليست للتسويف بل للتأكيد والوعد بالإتيان مع قطع النظر عن التسويف والفور. **قوله:** (**شعلة نار مقبوسة**) إشارة إلى أنه اختار قراءة من قرأ بإضافة «شهاب» إلى «قبس» إضافة بيانية وأن الشهاب الشعلة وأن القبس النار المقبوسة أي المأخوذة من قولك: اقتبست منه نارًا أو علمًا أي استفدته منه فعل بمعنى مفعول كقبض ونقض كأنه قيل: بشعلة نار مقبوسة.

قوله: (**والعدتان على سبيل الظن**) إشارة إلى جواب ما يقال: إنه تعالى قال ههنا: ﴿سآتيكم منها بخبر﴾ وفي سورة طه: ﴿لَعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ [طه: ١٠] وهما كالمتدافعين لأن أحدهما ترج والآخر تيقن. ومحصول الجواب أنه لا تدافع بينهما لأن الراجي إذا قوي رجاؤه يقول: سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه خلاف ذلك. **قوله:** (**والترديد**) يعني أن كل واحد من الأمرين مطلوب، فالظاهر أن يقال سآتيكم منها بخبر وشهاب قبس بالواو الجامعة. والجواب أنهما وإن كانا مطلوبين إلا أن المظنون حصول أحدهما بناء على الظاهر أو على أن سنة الله أن لا يجمع حرمانين على عبد. **قوله:** (**أي بورك**) يعني أن في كلمة «أن» ثلاثة أوجه: أحدها أنها المفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول، والثاني أنها الناصبة للمضارع بإسقاط الخافض أي نودي موسى بأن بورك، والثالث أنها المخففة واسمها ضمير

في كل من في تلك البقعة وحواليها من أرض الشأم الموسومة بالبركات لكونها مبعث الأنبياء وكفاتهم أحياء وأمواتًا، وخصوصًا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى. وقيل: المراد موسى والملائكة الحاضرون. وتصدير الخطاب بذلك بشارة بأنه قد قضى له أمر عظيم ينتشر بركته في أقطار الشأم. ﴿وَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٨﴾﴾ من تمام ما نودي

الشأن وبورك «خبرها». ولما ورد أن يقال: كيف جاز أن تكون مخففة؟ وهي إذا دخلت على الفعل وكان ذلك الفعل من الأفعال المتصرفة، وجب أن تفصل المخففة من الفعل بحرف من حروف التعويض وهي السين نحو: علم أن سيقوم وسوف نحو: أن سوف يقوم و «قد» نحو: ليعلم أن قد أبلغوا، أو من حروف النفي نحو: علمت أن لم يقم وأن لن يقوم وأن لا يقوم وما قام وما يقوم فرقًا بينها وبين «أن» المصدرية فإن «أن» المصدرية لا يفصل بينها وبين الفعل بشيء من الحروف المذكورة لكونها مع الفعل بتأويل المصدر، معنى فلا يفصل بينها وبين ما يؤثر فيها لضعفها وتسمي النحاة هذه الحروف التي بعد «أن» المخففة بحروف التعويض لكونها كالعوض عن إحدى نوني «أن». ولما وردت هذه الشبهة أجاب عنها بقوله: «والتخفيف وإن اقتضى التعويض» ومنع صاحب الكشاف كونها مخففة بناء على انتفاء حرف التعويض وهذا منه مبني على أن «بورك» خبر لا دعاء فإنه إذا قلنا إنه دعاء لم يحتج إلى الفاصل و ﴿من في النار﴾ قائم مقام الفاعل «لبورك» فإن بارك يتعدى بنفسه ولذلك بنى للمفعول، يقال: باركك الله ويقال أيضًا: بارك الله عليك وبارك فيك وبارك لك، فقولنا: بورك من في النار وعلى من في النار وفيمن في النار سواء. قال الشاعر:

فبوركت مولودًا وبوركت ناشئًا ... وبوركت عند الشيب إذ أنت أشيب

ومعنى ﴿بورك من في النار ومن حولها﴾ بورك من في مكان النار ومن حول مكانها. والذي بوركت به البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث أمر ديني فيها وهو تكليم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام وتخصيصه بالرسالة والإكرام وإظهار المعجزات العظام له فيها. ورب خير يحدث في تلك البقاع فينشر الله تعالى بركته في أقاصيها فكيف يمثل ذلك الأمر الذي جرى في تلك البقعة؟ قوله: (الموسومة بالبركات) في قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١] فإن قوله: «للعالمين» دليل ظاهر على أن الذي بورك فيه عام. والكفات ما يكفت فيه الشيء أي يضم ويجمع. وفي الحديث: «اكفتوا صبيانكم بالليل فإن للشيطان خطفة» ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ [المرسلات: ٢٥، ٢٦]. قوله: (من تمام ما نودي به) يعني أنه عليه الصلاة والسلام نودي بمجموع الأمرين. ناداه وخاطبه أولاً بقوله: ﴿بورك من في النار﴾ بشارة له بأنه قد قضى له أمر عظيم، ثم ناداه بتنزيه رب العزة عما لا يليق به في ذاته وحكمته لئلا يتوهم من سماع

به لئلا يتوهم من سماع كلامهم تشبيهًا، وللتعجيب من عظمة ذلك الأمر، أو تعجب من موسى لما دهاه من عظمته. ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ الهاء للشأن و«أنا الله» جملة مفسرة له، أو للمتكلم و«أنا» خبره و«الله» بيان له ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ صفتان لله ممهدتان لما أراد أن يظهره يريد: أنا القوي القادر على ما يبعد عن الأوهام كقلب العصا حية، الفاعل كل ما أفعله بحكمة وتدبير.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ عطف على «بورك» أي نودي أن بورك من في النار وأن ألق. ويدل عليه قوله: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [القصص: ٣١] بعد قوله: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠] بتكرير «أن» ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك باضطراب ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ حية خفيفة سريعة. وقرىء «جان» على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين. ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولم يرجع من عقب المقاتل إذا كر بعد الفرار، وإنما رعب لظنه أن ذلك لأمر أريد به. ويدل عليه قوله: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾ أي من غيري ثقة بي، أو مطلقًا

كلامه أن كلامه مركب من الحروف والأصوات، وأنه محل لحوادث كسائر المتكلمين، وأنه يحيط به الزمان والمكان ونحو ذلك مما لا يليق بذاته تعالى. قال أهل السنة: إنه عليه الصلاة والسلام سمع الكلام المنزّه عن مشابهة كلام المخلوقين فعلم بالضرورة أنه كلام الله تعالى وصفته القائمة به، فكما جاز أن ترى ذاته بلا كم وكيف فكذا جاز أن يسمع كلامه بلا حرف وصوت. **قوله**: (وللتعجيب) عطف على قوله: «لئلا يتوهم» يعني أنه تعجيب لموسى عليه الصلاة والسلام مما شاهده في تلك البقعة المباركة وإيذان له بأن ذلك الأمر مريده ومكونه رب العالمين، كأنه قيل: فما أعظم أمرًا مريده من هو رب العالمين. فيكون قوله: ﴿وسبحان الله رب العالمين﴾ كالتذييل والتأكيد لما يتضمنه قوله: ﴿بورك﴾ الخ وهو تعجب من موسى بتقدير القول وهو معطوف على قوله: «من تمام ما نودي به».

قوله: (أو للمتكلم) عطف على قوله: «للشأن» أي ويحتمل أن يكون ضمير «أنه» راجعًا إلى ما دل عليه ما قبله. والمعنى: إن من يكلمك أنا، ولفظ الجلالة بيان لأنا. **قوله تعالى**: (تهتز) جملة حالية من مفعول «رآها» وقوله: «كأنها جان» يجوز أن تكون حالاً ثانية وأن تكون حالاً من فاعل «تهتز» فتكون حالاً متداخلة. وقوله: «ولم يعقب» عطف على «ولى» والمعنى: ولم يرجع على عقبه وكل راجع معقب. قال:

فما عقبوا إذ قيل هل من معقب ... ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا

قيل: إن العصا انقلبت حية عظيمة لكنها في سرعة حركتها والتوائها كأنها جان وهي الحية الصغيرة، فإن الحية العظيمة لا تقدر عليها. فلذلك خاف موسى عليه الصلاة والسلام

لقوله: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾ حين يوحى إليهم من فرط الاستغراق فإنهم أخوف الناس من الله، أو لا يكون لهم عندي سوى عاقبة فيخافون منه ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾ استثناء منقطع استدرك به ما يختلج في الصدور من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فإنهم وإن فعلوها أتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة، فإنه لا يخاف أيضًا. وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي. وقيل: متصل و«ثم بدل» مستأنف معطوف على محذوف أي من

فظن أن في انقلاب العصا حية أمرًا أريد به هلاك نفسه، ويدل على أن خوفه كان لذلك قوله تعالى: ﴿يا موسى﴾ أي قلنا له يا موسى ﴿لا تخف﴾ من غيري لا أنه عليه الصلاة والسلام نهى عن الخوف مطلقًا، فإن الخوف اللازم للإيمان والمعرفة لا يفارق المرسلين ولا ينهون عنه. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] فمن كانت معرفته أكمل كان خوفه وخشيته أتم وأوفر فلذلك قال عليه الصلاة والسلام: «أنا أخشاكم لله» وإنما ينهون عن الخوف من غير الله تعالى وهم في كنف عصمته آمنون فلذلك قيل له: لا تخف بأس الحية. ويحتمل أن يكون المعنى لا تخف مطلقًا، فإن حال خطاب الله تعالى إياهم ووصيته إليهم ينفي عنهم الخوف مطلقًا لفرط الاستغراق لا الخوف من غيره تعالى فقط. **قوله:** (أو لا يكون لهم عندي) أي في حكمي وقضائي وقوله: «أو مطلقًا» كل واحد منهما معطوف على قوله: «أي من غيري» فالمعنى على الثالث: لا تخف من سوء العاقبة إذ ليس لأحد من المرسلين سوء عاقبة في حكمي فيخافون منه. **قوله:** (استثناء منقطع) وإنما جعله كذلك لأن المستثنى وهو من ظلم أي من زل من المرسلين غير مخرج من الحكم المذكور وهو عدم الخوف، لأنه كما لا يخاف الرسل المعصومون من الزلات لا يخاف أيضًا من فرط منه ما غفر له. ثم ترحم عليه لأنه المغفور له والمرحم عليه كيف يخاف من الذنب الذي غفر له؟ فإذا تعين أنه لا يخاف أحد من المرسلين من سوء العاقبة البتة فلما لم يكن المستثنى مخرجًا من الحكم المذكور لم يكن الاستثناء متصلاً، وكانت كلمة «إلا» بمعنى لكن التي للاستدراك لأنه لما نفي الخوف عن المرسلين كلهم اختلج في الصدور وهم وهو أن يقال: كيف يصح نفي الخوف عمن ظلم أي زل من المرسلين فدفعه بأن قال: ﴿إلا من ظلم﴾ أي زل ﴿ثم بدل حسنًا﴾ أي توبة وندمًا ﴿بعد سوء﴾ بعد زلة كائنة ما كانت. وهو فائدة التنكير ﴿فإني غفور رحيم﴾ وقيل: إنه متصل والمعنى: لا يخاف لديّ المرسلون إلا من ظلم فإنه يخاف. فيتم الكلام عند قوله: ﴿إلا من ظلم﴾ فيكون قوله: ﴿ثم بدل حسنًا﴾ مستأنفًا معطوفًا على حذف. واعلمْ أن الناس اختلفوا في جواز الذنب على الأنبياء وعدمه، قالت الحشوية: يجوز صدور الكبائر عنهم عمدًا. وقالت المعتزلة: لا يجوز صدور الكبائر عنهم ويجوز صدور

ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة. ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ لأنه كان مدرعة صوف لا كم لها. وقيل: الجيب القميص لأنه يجاب أي يقطع ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ آفة كبرص ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ في جملتها أو معها على أن التسع هي: الفلق والطوفان والجراد والقمل

الصغائر إلا ما ينفر كالكذب وسرقة لقمة وتطفيف حبة. وقال الجبائي: لا يجوز عليهم الصغيرة ولا الكبيرة على جهة العمد بل على التأويل. وقالت الرافضة: لا يقع منهم ذنب قط لا قبل البعثة ولا بعدها بل هم معصومون من ابتداء ولادتهم. قال الإمام: المختار عندنا أنهم لم يصدر عنهم ذنب حال النبوة لا الصغيرة ولا الكبيرة. وفي كلامه إشعار بأن ترك الأولى منهم كالصغيرة منا لأن حسنات الإبرار سيئات المقربين، فتأويل الآية على رأينا إلا من ظلم قبل النبوة ثم بدل بعدها حسنًا، ويؤيده لفظة «ثم» فإنها للتراخي. قال الحسن: كان موسى والله أعلم ممن ظلم بقتل القبطي ثم بدل حسنًا، فإنه عليه الصلاة والسلام قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦] فلذلك قال المصنف: «وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي». **قوله**: (لأنه كان مدرعة صوف لا كم لها) علة لأمره عليه الصلاة والسلام بإدخال يده في جيبه وسترها به. يعني أنه تعالى لما أراد أن يجعل يده بيضاء براقة كشعار الشمس وأن لا يجعلها كذلك إلا وهي مستورة محتجبة بشيء، وكانت يده الكريمة مكشوفة من حيث إن مدرعته لا كم لها أمره بإدخال يده في جيبه أي في مدرعته أو قميصه. والمدرعة جبة صغيرة يتدرع بها أي تلبس بدل الدرع وهو القميص. والجيب كما يطلق على ما جيب من القميص أي قطع لخروج الرأس منه يطلق أيضًا على نفس القميص. وفي الصحاح: الجيب القميص تقول: جبت القميص أجيبه إذا قددت جيبه. واختار المصنف أن يكون المراد بالجيب المدرعة لا القميص لما روي عن ابن عباس أنه قال: وكانت زرنبانقة من صوف، والزرنبانقة جبة قصيرة كماها إلى مرفقيه ولم تكن لها أزرار فأدخل يده في جيبها فأخرجها فإذا هي تبرق مثل البرق. وقال المفسرون: كانت عليه مدرعة من موصوف لا كم لها ولا أزرار فأدخل يده في جيبها وأخرجها فإذا هي تبرق مثل البرق. وكان تعالى قادرًا على أن يجعل يده بيضاء من غير إدخاله إياها في جيبه وأيضًا كان قادرًا على أن يصير عصاه ثعبانًا وهي في يده، لكنه تعالى امتحنه بالأمر بإدخال يده في جيبه وبإلقاء عصاه ولله تعالى أن يمتحن عباده بما يشاء من أنواع المحن. وقوله: «تخرج» مجزوم على أنه جواب لقوله: «أدخل» أي إن أدخلتها تخرج على هذه الصفة وقوله: «بيضاء» حال من فاعل «تخرج» و «من غير سوء» يجوز أن تكون حالاً ثانية منه أو من الضمير في «بيضاء» وأن تكون صفة «لبيضاء».

قوله: (في جملتها أو معها) على الأول تكون الآيات تسعًا وتكون هاتان الآيتان

والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم. ولمن عد العصا واليد من التسع أن يعد الأخيرين واحدًا، ولا يعد الفلق لأنه لم يبعث به إلى فرعون. أو اذهب في تسع آيات على أنه استئناف بالإرسال فيتعلق به. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ وعلى الأولين يتعلق بنحو مبعوثًا ومرسلاً ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾ تعليل للإرسال.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا﴾ بأن جاءهم موسى بها ﴿مُبْصِرَةً﴾ بيّنة اسم فاعل أطلق للمفعول إشعارًا بأنها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر أو ذات بصر من حيث إنها تهدي والعمى لا تهتدي فضلاً عن أن تهدي أو مبصرة كل من نظر إليها

داخلتين في جملتهن وعدادهن، ويكون قوله: «في تسع آيات» خبر مبتدأ محذوف أي هما داخلتان في جملة تسع آيات. وعلى الثاني تكون لفظة «في» بمعنى «مع» ويكون «في تسع آيات» حالاً من الضمير في «بيضاء» وتكون الآيات إحدى عشرة وهما اثنتان والباقية تسع، فكأنه تعالى لما أراه هاتين الآيتين أشار إلى أن هنا تسع معجزات أخرهن مثلهما في الإعجاز. وكلمة «في» قد تكون بمعنى «مع» ولذلك قالت الأئمة: إذا قال لزيد عليّ عشرة في تسعة وأراد المعية يلزمه تسعة عشر. ومن جملة الآيات أن موسى عليه الصلاة والسلام دعا ربه بقوله: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [يونس: ٨٨] فجعل الله تعالى أموالهم حجارة. والطموس الدروس والانمحاء. **قوله:** (أن يعد الأخيرين واحدًا) لأن الجدب والنقصان كالشيء الواحد. غاية ما في الباب أن الجدب كان بالنسبة إلى أهل البوادي، ونقصان الزرع بالنسبة إلى مزارعهم فسقط بهذا الاعتبار واحد وسقط الآخر باعتبار أن المراد بالآيات التسع هذه الآيات التي بعث موسى بها إلى فرعون وهي تسع لا غير، وفلق البحر ليس من الآيات التي كانت لدعوة فرعون إلى الإيمان بل إنما كان لإهلاكهم بشؤم إصرارهم وعنادهم. **قوله:** (أو اذهب في تسع آيات) عطف على قوله: «في جملتها» أي ويجوز أن يكون في تسع آيات متعلقًا «باذهب» المقدر وجعل ذهابه فيها عبارة عن كونه محفوظًا متحصنًا من بأس الأعداء بسببها كما يتحصن من هو داخل الحصن المحيط به من شر من يعاديه. **قوله:** (أو ذات بصر) على أن يكون صيغة اسم الفاعل للنسب كتامر ولابن، فيكون إثبات البصر لها تخييلاً للاستعارة المكنية بأن شبّه الآيات بالشخص الهادي وأثبت لها الابصار على وجه التخييل قرينة لها، لأن الأعمى لا يقدر على الاهتداء فضلاً عن أن يهدي غيره. **قوله:** (أو مبصرة كل من نظر إليها) يعني أن الإبصار في الحقيقة صفة من نظر وتأمل في الآيات وجعل أنفس الآيات مبصرة على الإسناد المجازي للملابسة بينها وبين المتأملين فيها، والمتأملون إنما يبصرون بسبب تأملهم فيها فلما كانت سببًا لإبصارهم نسب الإبصار إليها إسنادًا مجازيًا جعل صيغة اسم الفاعل أولاً بمعنى المفعول نحو: ماء دافق أي مدفوق، ثم جعلها للنسب، ثم

وتأمل فيها. وقرىء «مبصرة» أي مكانًا يكثر فيه التبصر. ﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١٣﴾ واضح سحريته. ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ وكذبوا بها ﴿وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾ وقد استيقنتها لأن الواو للحال ﴿ظُلۡمٗا﴾ لأنفسهم ﴿وَعُلُوّٗاۚ﴾ ترفعًا عن الإيمان وانتصابهما على العلة من «جحدوا». ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤﴾ وهو الإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ﴾ طائفة من العلم وهو علم الحكم الشرائع أو علمًا أي علم ﴿وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ عطفه بالواو إشعارًا بأن ما قالاه بعض ما أتيا به في مقابلة هذه النعمة كأنه قال: ففعلا شكرًا له ما فعلا وقالا الحمد لله. ﴿ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥﴾ يعني من لم يؤت علمًا أو مثل علمهما. وفيه دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكرا على العلم وجعلاه أساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما أوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما. وتحريض للعالم على أن يحمد الله تعالى على ما آتاه من فضله وأن يتواضع ويعتقد أنه وإن فضل على كثير فقد فضل عليه كثير.

﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ النبوة أو العلم أو الملك بأن قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر. ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ﴾

جعل ما فيها من الإسناد من قبيل الإسناد المجازي. **قوله:** (وقرىء مبصرة) بفتح الميم والصاد على وزن مسبعة ومأسدة إذا كثر فيها السبع والأسد وانتصابها على القراءتين على أنها حال من «آياتنا». **قوله:** (وكذبوا بها) لما كان المشهور أن الجحود إنكار الشيء بعد المعرفة والإيقان به تعنتًا وكان حمله على هذا المعنى يستلزم كون قوله واستيقنتها أنفسهم مستدركًا فسره بالتكذيب بها. والمعنى: كذبوا بألسنتهم كونها رايات إلٰهية وقد استيقنت قلوبهم وضمائرهم بذلك. وقوله: ﴿ظلمًا وعلوًا﴾ يجوز أن يكون في موضع الحال أي ظالمين وعالين وأن يكون مفعولاً له أي الحامل لهم على ذلك الجحود الظلم والعلو. **قوله تعالى:** (كيف) خبر «كان» قدم عليها و«عاقبة» اسمها. **قوله:** (طائفة من العلم) على أن يكون التنكير للنوعية كما في قوله: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾ [البقرة: ٧] وقوله: «أو علمًا» أي علم على أن يكون التنوين للتعظيم. **قوله:** (عطفه بالواو) مع أن ظاهر الحال يقتضي عطفه بالفاء السببية لتؤذن بأنهما إنما حمدا الله تعالى شكرًا على نعمة إيتاء العلم الذي هو من جلائل النعم، لكن عطفه بالواو التي تستدعي معطوفًا عليه مسببًا عن تلك النعمة يشعر بأن ما قالاه بعض ما أتيا به في مقابلة هذه النعمة، كأنه قيل: ففعلا شكرًا له ما فعلا من الشكر بالجوارح والجنان وقالا بلسانهما: الحمد لله، فلو عطف بالفاء لاقتصر على الشكر اللساني وفات الإشعار المذكور. **قوله:** (وكانوا تسعة عشر) أي كان لداود تسعة عشر ابنًا وأعطي من بينهم سليمان

تشهيرًا لنعمة الله وتنويهًا بها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما أوتيه. والنـطق والمنطق في التعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردًا كان أو مركبًا. وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه أو التبع كقولهم: نطقت الحمامة، ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد. فإن الأصوات الحيوانية من حيث إنها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الأغراض بحيث يفهمها ما هو من جنسه. ولعل سليمان عليه الصلاة والسلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته الحدسية التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه به، ومن ذلك ما حكي أنه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال: يقول: إذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء، وصاحت فاختة فقال: إنها تقول: ليت الخلق لم يُخلقوا. فلعله كان

ما أعطي داود من الملك وزيد له تسخير الريح وتسخيرالشياطين. قال مقاتل: كان سليمان أعظم ملكًا من داود وكان داود أشد تعبدًا من سليمان. **قوله:** (**تشهيرًا لنعمة الله تعالى وتنويهًا بها**) بعني أنه عليه الصلاة والسلام لم يقل ذلك على سبيل الافتخار بل على سبيل الاعتراف بفضل الله تعالى وإحسانه إليه وعلى طريق رفع ذلك الفضل وإعلاء ذكره يقال: نوهت باسمه إذا رفعت ذكره وأعليت شأنه.

قوله: (بذكر المعجزة) متعلق بالدعاء لا بالتصديق وإلا لقيل بالمعجزة. **قوله:** (والنـطق والمنطق في التعارف) النطق في الأصل مصدر نطق الرجل ينطق أي تكلم. فأشار المصنف إلى أنه يستعمل في عرف الناس بمعنى الكلام المنطوق الدال على ما في الضمير ثم قال: وقد يستعمل بمعنى الصوت مطلقًا سواء صدر عمن له فؤاد وكلام نفسي أم لا. أما على تشبيه صوت من لا فؤاد له بصوت العقلاء في كونه صوتًا تابعًا للتخييل أو لمجرد التبعية والاطراد بمعنى اسم النطق، والمنطق لما أطلق على بعض الأصوات أطلق على البواقي أيضًا على سبيل الاطراد. ثم أشار إلى وجه الشبه بقوله: «فإن الأصوات الحيوانية» الخ. ثم إنه لما بيّن وجه إطلاق المنطق على صوت الطير قال: ولعل المراد بتعليم سليمان منطق الطير وصوته علمه بالتخيل الذي حمل الطير على ذلك الصوت وبالغرض الذي توخاه بصوته لا أنه يعلم أنه يصوت بذلك الصوت من غير أن يفهم التخيل الذي نشأ منه ذلك الصوت والعفاء بالمد وفتح العين الدروس وذهاب الأثر. وقيل: العفاء التراب قال تعالى في صفة الهدهد ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢] وأعجب منه أنه عليه الصلاة والسلام علم كلام من لا صوت له كالنمل قال تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨] إلى قوله: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٩]. وروي أنه صاح ورشان فقال عليه الصلاة والسلام: إنه يقول لدوا للموت

صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب. والضمير في «علمنا» و«أوتينا» له ولأبيه أو له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد «من كل شيء» كثرة ما أوتي كقولك: فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شيء. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ۝١٦﴾ الذي لا يخفى على أحد ﴿وَحُشِرَ﴾ وجمع ﴿لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٧﴾ يحبسون أولهم على آخرهم ليتلاحقوا.

وابنوا للخراب، والطاوس يقول: كما تدين تدان أي كما تفعل تجازى والهدهد. يقول: كل حي ميت وكل جديد بال، والخطاف يقول: قدموا خيرًا تجدوه، والحمامة تقول: سبحان ربي الأعلى ملء سمواته وأرضه، والقطا يقول: من سكت سلم، والببغاء تقول: ويل لمن الدنيا همه، والدراج يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] والقنبر يقول: اللهم العن مبغض محمد وآل محمد، والنسر يقول: ابن آدم عش ما شئت آخره الموت، والعقاب يقول: في البعد عن الناس أنس، والضفدع يقول: سبحان ربي القدوس، والديك يقول: اذكروا الله يا غافلون، والحمار يقول: اللهم العن العشار، والفرس يقول: إذا التقى الصفان سبوح قدوس رب الملائكة والروح، والزرزور يقول: اللهم إني أسألك قوت يوم بيوم يا رزاق كل صنف من الطيور. يفهم الغرض الذي يتوخاه الآخر والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضها من بعض من مقاصده وأغراضه ولذلك قال: ﴿يا أيها الناس﴾ تفضل الله عليّ بزيادة ما ورثته من أبي من النبوة والملك والعلم بأن علمني ﴿منطق الطير﴾ أي فهمني ما يقوله الطير. **قوله**: (**والضمير في علمنا**) يعني أن «علمنا» و «أوتينا» من كلام المتكبرين فكيف يليق بسليمان ذلك؟ أجاب عنه أولاً بأنه ليس ضمير المعظم نفسه وثانيًا بأنه ضمير المعظم نفسه إلا أنه لم يقله تكبرًا بل قاله على عادة الملوك فإنهم يتكلمون بمثل ذلك رعاية لقاعدة السياسة ومقتضى الملك صيانة لرفعتهم وقدرهم في قلوب الرعايات وقوله: ﴿وأوتينا من كل شيء﴾ أراد به كثرة ما أوتي كما يقال: فلان يقصده كل أحد ويراد كثرة قاصديه إقامة للتكثير مقام الكل ونحوه قوله تعالى: ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ وقوله: ﴿إن هذا﴾ أي الذي أوتينا ﴿لهو الفضل المبين﴾ وارد على سبيل الشكر لا الافتخار كما قال عليه الصلاة والسلام: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» أي أقوله شكرًا لا فخرًا. **قوله**: (**من الجن وما بعده**) بيان لجنوده فيتعلق بمحذوف. ويجوز أن يكون هذا الجار حالاً فيتعلق بمحذوف أيضًا وكون طوائف الجن والإنس والطير جنودًا لسليمان يقتضي أن يكون كل واحد من هذه الأصناف متصرفًا على مراده ممتثلاً لأمره، ولا يكون كذلك إلا مع العقل الذي يصح معه التكليف بأن لا يكون كل واحد من تلك الأصناف أقل عقلاً من المراهق الذي قد قارب حد

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ وادٍ بالشأم كثير النمل. وتعدية الفعل إليه بـ «على» إما لأن إتيانهم كان من عالٍ أو لأن المراد قطعه من قولهم: أتى على الشيء إذا أنفده وبلغ آخره، كأنهم أرادوا أن ينزلوا أخريات الوادي. ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ كأنها لما رأتهم متوجهين إلى الوادي فرت منهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة فنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها. فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء

التكليف. فيلزم منه أنه تعالى جعل الطير في أيامه من ذوات العقل والفهم وإن لم تكن كذلك في أيامنا. وكذا قوله تعالى: ﴿قالت نملة﴾ **يدل على أنها تكلمت بذلك وليس بمستبعد لأن الله تعالى قادر على أن يخلق فيها العقل والنطق. قال المفسرون: كان سليمان إذا أراد سفرًا أمر فجمع له طوائف من هؤلاء الجنود على بساط واحد نسجه الجن له من ذهب وإبريسم فرسخًا في فرسخ، ثم يأمر الريح فتحملهم بين السماء والأرض. والمعنى: وجمع له جنوده في مسيره من الأماكن المختلفة. ومعنى الوزع في اللغة هو الكف يقال: وزعه يزعه إذا كفه، ومنه قوله: ما يزع القرآن أكثر مما يزع السلطان وقال عثمان رضي الله عنه: ما يزع السلطان أكثر مما يزعه القرآن. وقالوا: لا بد للناس من وزعة أي من حكام يكفونهم عن الشر والعبث والفساد. قال الشاعر:**

ومن لم يزعه لبه وحياؤه فليس له من شيب فوديه وازع

قوله تعالى: (حتى إذا أتوا) **متعلق بقوله: «يوزعون» لأنه يتضمن معنى فهم يسيرون ممنوعًا بعضهم عن مفارقة بعضهم في مسيرهم ليجتمعوا أحسن اجتماع في الهيئة والهيبة في الرؤية حتى إذا أتوا. ويجوز أن يتعلق بمحذوف أي فساروا حتى. قوله:** (وتعدية الفعل إليه بعلى) **مع أنه قد يتعدى بنفسه وبكلمة «إلى» يقال: أتيته وأتيت إليه. أما لأنهم أتوا إليه مستعلين فوقه لأنهم كانوا محمولين على الريح. وقيل: هو من قولهم: أتيت عليه إذا قطعته وبلغت آخره. والمعنى: حتى إذا قطعوا الوادي كله وبلغوا آخره. قوله:** (كأنهم أرادوا أن ينزلوا أخريات الوادي) **أي عند منقطعه لأنهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا تخاف النملة حطمهم.**

قوله: (كأنها لما رأتهم متوجهين إلى الوادي) **لما لم تكن النملة من العقلاء الناصحين الذين يعبرون عما في ضمائرهم بتراكيب ملفوظة تدل عليه دلالة وضعية لم يكن حمل الآية على الحقيقة ظاهرًا، فلذلك حمله المصنف على الاستعارة التمثيلية بأن شبهت الحالة الواقعة بينهما وبين قومها بما يقع بين العقلاء الناصحين فعبّر عن الحالة المشبهة بما يعبّر به عن الحالة المشبه بها فقيل:** ﴿قالت نملة﴾ **إلى آخر الآية. والظاهر أن الكلام محمول على**

ومناصحتهم ولذلك أجروا مجراهم مع أنه لا يمتنع أن خلق الله فيها العقل والنطق. ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ نهي لهم عن الحطم. والمراد نهيها عن التوقف بحيث

حقيقته بناء على أنه لا يمتنع أن يخلق الله تعالى فيها العقل والنطق، ألا ترى أنه تعالى سخر الريح والشياطين والطير لسليمان عليه الصلاة والسلام وجعل جميع ذلك جنودًا وأعوانًا منقادين له لا يخالفونه في شيء مما أمرهم به؟ وذلك لا يكون إلا بجعلهم عقلاء مميزين ومع ذلك كيف يبعد أن يخلق الله تعالى العقل والنطق في النملة؟ وقد روي أن سليمان لما سمع قول النملة قال: ائتوني بها فأتوه بها. فقال لها: لم حذرت النمل من ظلمي أما علمت أني نبي عدل فلم قلت: ﴿لا يحطمنكم سليمان وجنوده﴾؟ فقالت النملة: أما سمعت قولي: ﴿وهم لا يشعرون﴾ ومع ذلك أني لم أرد حطم النفوس وإنما أردت حطم القلوب، خشيت أن يروا ما أنعم الله به عليك من الجاه والملك العظيم فيقعوا في كفران النعم فلا أقل من أن يشتغلوا بالنظر إليك عن التسبيح. فقال لها سليمان: عظيني. فقالت النملة: أعلمت لِمَ سمي أبوك داود؟ قال: لا. قالت: لأنه داوى جراحة قلبه. وهل تدري لم سميت سليمان؟ قال: لا. قلت: لأنك سليم القلب والصدر. ثم قالت: أتدري لم سخر الله لك الريح؟ قال: لا. قالت: أخبرك الله تعالى بذلك أن الدنيا كلها ريح فمن اعتمد عليها فكأنما اعتمد على الريح. وقول النملة: ﴿وهم لا يشعرون﴾ يدل على أنها عرفت أن النبي عليه الصلاة والسلام معصوم فلا يقع منه قتل وإيذاء بغير ذنب إلا على سبيل السهو، وهذا تنبيه عظيم على وجوب الجزم بعصمة الأنبياء. ولفظة «نملة» في قوله تعالى: ﴿قالت نملة﴾ مؤنث حقيقي بدليل لحوق علامة التأنيث فعلها لأن نملة تطلق على الذكر والأنثى، فإذا أريد تمييز ذلك احتيج إلى مميز خارجي نحو نملة ذكر ونملة أنثى، وكذا لفظ حمامة ويمامة من المؤنثات اللفظية. ذكر الإمام أن قتادة دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال: سلوا عما شئتم. وكان أبو حنيفة رحمه الله حاضرًا وهو غلام حديث السن فقال: سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكرًا أم أنثى؟ فسألوه فأفحم فقال أبو حنيفة رضي الله عنه: كانت أنثى. فقيل له: من أين عرفت؟ فقال: من كتاب الله تعالى وهو قوله: ﴿قالت نملة﴾ ولو كان ذكرًا لقيل: قال نملة. وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعهما على الذكر والأنثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم: حمامة ذكر وحمامة انثى. انتهى. يعني أن التأنيث لفظي ومعنوي واللفظي لا يعتبر في لحوق علامة التأنيث بالفعل البتة بدليل أنه لا يجوز قامت طلحة ولا حمزة علمي مذكر فتعيّن أن يكون اللحوق إنما للتأنيث المعنوي. **قوله: (نهى لهم عن الحطم)** يعني أن النهي «ولا يحطمنكم» متوجه إلى سليمان وجنوده ظاهرًا لكنه كناية في المعنى عن نهي النمل عن الوقوف في مكانهم فيحطمهم سليمان وجنوده كما أن النهي في «لا أرينك ههنا» متوجه

يحطمونها كقولهم: لا أرينك ههنا، فهو استئناف وبدل من الأمر لا جواب له فإن النون لا يدخله في السعة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ أنهم يحطمونكم إذ لو شعروا لم يفعلوا كأنها شعرت عصمة الأنبياء من الظلم والإيذاء. وقيل: استئناف أي فهم سليمان والقوم لا يشعرون. ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ تعجبًا من حذرها وتحذيرها واهتدائها إلى مصالحها، أو سرورًا مما خصه الله به من إدراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره. ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ اجعلني أزع شكر نعمتك عندي أي اكفه وارتبطه لا ينفلت عني بحيث لا أنفك عنه. وقرىء «البزي» وورش بفتح ياء

بحسب الظاهر إلى المتكلم لكنه كناية عن نهيَ المخاطب عن الوقوف في مكانه فيراه. فإن وقوف المخاطب فيه ملزوم لرؤية المتكلم إياه فجعل النهي عن اللازم كناية عن النهي عن الملزوم والفاء في قوله: «فهو استئناف أو بدل من الأمر» لتفريع جواز كل واحد من الأمرين على كون النهي المذكور كناية عن نهي النمل عن الوقوف، لأنه لو كان النهي على ظاهره لما جاز كون «لا يحطمنكم» بدلاً من قوله: «ادخلوا» لأن نهي الجماعة لا يصلح أن يكون بدلاً من الأمر لجماعة أخرى، بخلاف ما لو جعل كناية فإن المأمور والمنهي حينئذ يكون جماعة النمل فتصح البدلية. ومعنى كلامه: أنه لما كان نهي الجنود عن الحطم كناية عن نهي النمل عن الوقوف جاز أن يكون «لا يحطمنكم» نهيًا مستأنفًا لا تعلق له بما قبله من حيث الإعراب، وأن يكون بدلاً من جملة الأمر قبله وهيَ ادخلوا ولا مدخل لكون النهي كناية في جواز كونه نهيًا مستأنفًا وإنما المتفرع عليه جواز كل واحد من الأمرين. **قوله:** (وقيل استئناف) عطف على ما فهم من تقرير كلامه من أن قوله: ﴿وهم لا يشعرون﴾ حال من فاعل «لا يحطمنكم». **قوله تعالى:** (فتبسم ضاحكًا) ليس معناه أنه عليه الصلاة والسلام ضحك متبسمًا لأن التبسم والضحك لا يجتمعان، بل أراد أنه بالغ في تبسمه حتى بلغ نهايته التي هي أول مراتب الضحك، وكأنه قيل: فتبسم شارعًا في الضحك وآخذًا فيه. **قوله:** (ولذلك) أي ولاختصاصه بهذه النعمة الجليلة التي هي سماعه ما همس به بعض النمل الذي هو مثل في الصغر وإحاطته بمعناه، فإن أحدًا من الناس لم يسمع صوت النملة فضلاً عن أن يفهم غرضها منه. **قوله:** (اجعلني أزع شكر نعمتك) إشارة إلى أن همزة «أوزع» للتعدية وأنه من الوزع بمعنى الكف والمنع عن التفرق والانتشار. والوازع من يكف الرعية عن التظالم والفساد وقد مر آنفًا أن قوله تعالى: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧، ٨٣؛ فصلت: ١٩] بمعنى يحبسون ويمنعون عن الانتشار حتى يجتمعوا في مسيرهم فإنه أحسن في الهيئة وأهيب في الرؤية. سأل عليه الصلاة والسلام أن يجعله الله تعالى وازعًا لجيش شكره فيكون قوله: ﴿أوزعني أن أشكر﴾ استعارة مكنية حيث شبّه الشكر بالجماعة النافرة وجعل تعليق الوزع

«أوزعني» ﴿ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ أدرج فيه ذكر والديه تكثيرًا للنعمة أو تعميمًا لها، فإن النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعهما إليهما سيما الدينية. ﴿وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ﴾ تمامًا للشكر واستدامة للنعمة. ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩﴾ في عدادهم الجنة ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ﴾ وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد. ﴿فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ۝٢٠﴾ أم منقطعة كأنه لما لم يره ظن أنه حاضرًا ولا يراه لساترًا وغيره فقال: ما لي لا أراه، ثم احتاط فلاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول: بل أهو غائب، كأنه يسأل عن صحة ما لاح له.

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا﴾ كنتف ريشه وإلقائه في الشمس أو حيث النمل تأكله، أو جعله مع ضده في قفص. ﴿أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ﴾ ليعتبر به أبناء جنسه ﴿أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي

الربط به تخييلاً وقرينة للتشبيه المضمر في النفس. ورد في الحديث: «النعمة وحشية قيدوها بالشكر فإنها إذا شكرت قرت وإذا كفرت فرت». **قوله:** (أدرج فيه ذكر والديه) أي أدرج ذكر النعمة الواصلة إليهما في ذكر النعمة المستدعية لشكر نفسه. **قوله:** (فإن النعمة عليهما نعمة عليه) ضرورة أن انتساب الابن إلى أب شريف نعمة من الله تعالى على الابن فيشكر تلك النعمة الواصلة منه تعالى إلى الابن.

قوله: (والنعمة عليه يرجع نفعها إليهما سيما الدينية) فإن الابن إذا كان تقيًا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا: رضي الله عنك وعن والديك، فاشتغل بشكر نعم الله تعالى على والديه أيضًا إشعارًا بأن نعمتهما من آثار ما أنعم به عليه. **قوله:** (في عدادهم الجنة) لفظ الجنة بدل من العداد المقدر يعني أن المراد من إدخاله في العباد إدخاله في عدادهم، والمقصود منه إدخاله فيما هي لهم وهو الجنة لأنه قد سأل أن يوفقه الله تعالى للأعمال الصالحة ودخوله في زمرة الصالحين بقوله: ﴿وأن اعمل صالحًا ترضاه﴾ فلو حمل قوله: ﴿وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ على طلب التوفيق للأعمال الصالحة لكان تكرارًا. فالآية دليل على أن دخول الجنة إنما يكون برحمة الله وفضله لا باستحقاق العبد وصلاحه والصالح الكامل هو من لا يعصي الله ولا يهمّ بمعصية وهو درجة عالية يطلبها كل نبي وولي. **قوله:** (وتعرف الطير) أي طلبه وبحث عنه والتفقد طلب ما فقد وغاب عنك. **قوله:** (أم منقطعة) لأن قوله: ﴿ما لي لا أرى الهدهد﴾ تعجب من عدم رؤية الهدهد وهو يستدعي كون حضور الهدهد مجزومًا به عنده، فلا وجه لكون الاستفهام لطلب التعيين بل يجب أن يكون للإضراب عن ظن كونه حاضرًا عنده. **قوله:** (أو جعله مع ضده في قفص) عد ذلك من العذاب الشديد لما قيل: أضيق السجون معاشرة الأضداد. قرأ

﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٢١﴾ بحجة تبين عذره. والحلف في الحقيقة على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع أحد الأمور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما. ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ زمانًا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفًا منه. وقرأ عاصم بفتح الكاف. ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ يعني حال سبأ. وفي مخاطبته إياه بذلك تنبيه له على أن في أدنى خلق الله تعالى من أحاط علمًا بما لم يحط به ليتحاقر إليه نفسه ويتصاغر لديه علمه. وقرئ بإدغام الطاء في التاء بإطباق وبغير إطباق. ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ﴾ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو غير مصروف على

ابن كثير «ليأتينني» بنونين أولاهما نون التأكيد المشددة المفتوحة وثانيتهما نون الوقاية المكسورة. والباقون بنون واحدة مشددة مكسورة. والأصل قراءة ابن كثير لكن حذفت النون التي قبل ياء المتكلم كراهة لاجتماع النونات. **قوله:** (**والحلف في الحقيقة على أحد الأولين**) جواب عما يقال: إنه عليه الصلاة والسلام حلف على ثلاثة أشياء: اثنان منها فعله فيصح الحلف عليهما بأن يقول: والله لأعذبنه أو لأذبحنه، والثالث فعل الهدهد وهو إتيانه بحجة يبين عذره في غيبته فكيف يصح حلفه على ما هو فعل غيره؟ ومن أين درى أنه يأتي بسلطان بيّن حتى يقول: ﴿أو ليأتيني بسلطان﴾؟ وتقرير الجواب: أن الإشكال إنما يرد أن لو حلف على وقوع الثالث بخصوصه وليس كذلك بل حلف ليكونن أحد الأمور الثلاثة، ومحصوله: أنه إن وقع الثلاث لا يكون ذبح ولا تعذيب وإن لم يقع يكون أحد الأمرين لا محالة، ولا محذور في الحلف على هذا الوجه. **قوله:** (**زمانًا غير مديد**) يعني أن قوله عليه الصلاة والسلام: «غير بعيد» صفة زمان ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف أي مكثا غير مديد فأتاه الهدهد بحجة تبين عذره في غيبته فقال: ﴿أحطت بما لم تحط به﴾ أي اطلعت على ما لم تطلع عليه وعلمته من جميع جهاته بحيث لا يخفى عليّ منه شيء، فإن الإحاطة بالشيء علمًا أن يعلمه من جميع جهاته بحيث لا يخفى منه معلوم أصلاً. **قوله:** (**بإطباق وبغير إطباق**) الإطباق أن تدفع ظهر لسانك إلى ما يحاذيه من الحنك الأعلى عند تلفظ حرف من الحروف المطبقة. واختلفوا في أن الحروف المطبقة إذا أدغمت في غير المطبقة هل يبقى ما فيها من الإطباق أو لا؟ والظاهر أن الإطباق يقتضي بقاء المطبقة بحالها وعند إدغامها في غير المطبقة يجب إبدالها إلى المدغم فيه فلا يبقى الإطباق مع إبدالها. **قوله:** (**غير مصروف**) أي قرأ «من سبأ» بفتح الهمزة للعلمية والتأنيث. وقرأه الباقون بالجر والتنوين وجعلوه اسمًا للحي أو المكان. وسبأ في الأصل اسم رجل من قحطان واسمه عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وسبأ لقب له لأنه أول من سبأ، ثم أطلق على القبيلة وعلى البلد أيضًا والنبأ الخبر الذي له شأن.

تأويل القبيلة أو البلدة ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ بخبر محقق. روي أنه عليه السلام لما أتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم وأقام بها ما شاء، ثم توجه إلى اليمن فخرج من مكة صباحًا فوافى صنعاء ظهيرة فأعجبته نزاهة أرضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لأنه يحسن طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده، إذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهدًا واقفًا فانحط إليه فتواصفا فطار معه لينظر ما وصف له، ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى. ولعل في عجائب قدرة الله وما خص به خاصة عباده أشياء أعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها. ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ﴾ يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان. والضمير في «تملكهم» لسبأ أو لأهلها. ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾ يحتاج إليه الملوك ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ عظمه بالنسبة إليها أو إلى عروش أمثالها. وقيل: كان ثلاثين

قوله: (وكان الهدهد رائده) أي طالبًا يطلب له الماء يقال: راد الكلأ يروده رودًا وريادة أي طلبه فهو رائد. وكان الهدهد قنقن سليمان وهو الدليل الهادي البصير بالماء تحت الأرض وكيفية حفر القنى، وكذلك القناقن بالضم والجمع القناقن بالفتح، وكان الهدهد يرى الماء تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاجة، ويعرف الفصل وبين قريبه وبعيده فيدلهم على موضع الماء بأن ينقره بمنقاره، ثم الشياطين يسلخون عنه الأرض كما يسلخ الإهاب عن المذبوح. ذكر أن ابن عباس رضي الله عنه لما قال: إن سليمان طلبه لأنه كان يعلم مسقاة الماء ويبصره تحت الأرض قيل له: إن الصبي يضع له الفخ فيغطيه بالتراب فكيف لا يعرفه حتى يقع فيه؟ فقال: ويحك أما علمت أن القدر يحول دون البصر وأنه إذا جاء القضاء عمي البصر. **قوله. (فوافى الحرم)** أي أتاه. **قوله: (إذ حلق)** علة لقوله: «لم يجده» وتحليق الطائر ارتفاعه في طيرانه.

قوله: (فتواصفا) أي وصف كل واحد من الهدهدين ملك صاحبه: وصف هدهد سليمان للآخر ملك سليمان وما يتخوله من كل شيء، ووصف هدهد بلقيس ملك بلقيس وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة. **قوله: (والضمير في تملكهم لسبأ)** يعني ضمير «تملكهم» «لسبأ» إن أريد به القبيلة أو «لأهلها» إن أريد بها البلدة بإضمار أهلها أو بطريق الاستخدام حيث أريد بالاسم الظاهر أحد معنييه وبضميره معناه الآخر. **قوله: (وأوتيت من كل شيء يحتاج إليه الملوك)** حمل كل شيء في حق بلقيس على أسباب الدنيا ولوازم الملوك لئلا يلزم التسوية بينها وبين سليمان عليه الصلاة والسلام، فإن المراد بقوله عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [النمل: ١٦] ما أوتي من النبوة والعلم والحكمة والملك وأسباب الدنيا. **قوله: (عظمه بالنسبة إليها أو إلى عروش أمثالها)** جواب عما يقال:

ذراعًا في ثلاثين عرضًا وسمكًا، أو ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللاً بالجواهر.

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ كأنهم كانوا يعبدونها ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ عبادة الشمس وغيرها من مقابيح أفعالهم. ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ سبيل الحق والصواب ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ إليه ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ﴾ فصدّهم لأن لا يسجدوا أو زين لهم أن لا يسجدوا على أنه بدل من أعمالهم، أو لا يهتدون إلى أن يسجدوا بزيادة «لا». وقرأ الكسائي ويعقوب «ألا» بالتخفيف على أنها للتنبيه، و«يا» للنداء ومناداة محذوف أي ألا يا قوم اسجدوا كقوله:

فقالت ألا يا اسمع أعظك بخطة فقلت سميعًا فانطقي وأصبّي

كيف استعظم الهدهد عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان؟ وأيضًا كيف سوّى بين عرش بلقيس وعرش الرحمٰن في الوصف بالعظم؟ والسمك البعد الآخذ من السفل إلى العلو وعكسه العمق. وكان أبو بلقيس ملكًا عظيم الشأن وكان يقول لملوك الأطراف: ليس أحد منكم كفؤًا لي، وأبى أن يتزوج منهم فزوّجوه امرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن، فولدت له بلقيس ولم يكن له ولد غيرها. فلما مات أبوها طمعت في الملك فطلبت من قومها أن يبايعوها فأطاعوها وملكوها. وفي الحديث: «أن أحد أبوي بلقيس كان جنيًا وكانت هي وقومها مجوسًا يعبدون الشمس». **قوله**: (فصدّهم لأن لا يسجدوا) وقرأ الجمهور «ألا» بالتشديد على أن أصلها «أن لا» فأن ناصبة للفعل بعدها ولذلك سقطت نون الرفع من الفعل، و«لا» بعدها حرف نفي «وأن» مع ما بعدها في موضع المفعول له لقوله: ﴿فصدهم﴾ أي فصدهم عن سبيل الحق لأجل أن لا يسجدوا، فحذفت لام الأجل وأدغمت النون في اللام فصار «ألا يسجدوا». والوجه الثاني أن تكون «أن» مع ما بعدها بدلاً من «أعمالهم» وما بينهما اعتراضًا تقديره: وزين لهم الشيطان عدم السجود لله عز وجل. والوجه الثالث أن تكون «أن» وما بعدها في موضع مفعول «يهتدون» على إسقاط الخافض إلى أن لا يسجدوا وتكون «لا» مزيدة كزيادتها في قوله: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩] والمعنى: فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا لله. وإن قرىء «إلا» مخففًا يكون «ألا» حرف تنبيه يستفتح بها الكلام وما بعدها حرف نداء «واسجدوا» فعل أمر. فحق الخط على هذه القراءة أن يكون على صورة «يا اسجدوا» إلا أن الصحابة أسقطوا ألف يا وهمزة الوصل من «اسجدوا» خطًا لما سقطا لفظًا، ووصلوا الياء بسين «اسجدوا» فصارت على صورة «يسجدوا» كما قرىء، فاتحدت القراءتان لفظًا أو خطًا واختلفتا تقديرًا. ومثل لحذف المنادى مع بقاء حرف النداء بقوله:

(فقالت ألا يا اسمع أعظك بخطة فقلت سميعًا فانطقي وأصبّي)

وعلى هذا صح أن يكون استئنافًا من الله أو من سليمان. والوقف على «لا يهتدون» وكان أمرًا بالسجود وعلى الأول ذمًا على تركه، وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة لا عند قراءتها. وقرىء «هلا» و«هلا» بقلب الهمزة هاء و«ألا تسجدون» و«هلا تسجدون» على الخطاب ﴿ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾ وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثًا على سجوده وردًا على من يسجد لغيره. والخبأ ما خفي في غيره وإخراجه إظهاره وهو يعم إشراق الكواكب وإنزال الأمطار وإنبات النبات، بل الإنشاء فإنه

أي ألا يا صاحبي اسمع. والخطة الخصلة المهمة وقوله: «فقلت سميعًا» أي ناديت سميعًا. **قوله:** (وعلى هذا) أي على قراءة التخفيف كما يجوز أن ينتهي كلام الهدهد عند قوله: ﴿رب العرش العظيم﴾ يجوز أن ينتهي عند قوله: ﴿لا يهتدون﴾ ويوقف عليه ويكون قوله: ﴿ألا يسجدوا﴾ استئناف خطاب من الله تعالى للمشركين، أو من قبل سليمان عليه الصلاة والسلام لقومه بعد تمام كلام الهدهد. وعلى قراءة التشديد لا يوقف إلا على ﴿العرش العظيم﴾. **قوله:** (وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة) بمعنى أنها لا تجب على الفور بل وقتها موسع ففي أي وقت أديت تكون أداء لا قضاء. وهو رد على من فرّق بين القراءتين فأوجبها على قراءة التخفيف نظرًا إلى وجود لفظ الأمر فيها ولم يوجبها على قراءة التشديد لعدم وجود لفظ الأمر فيها. ولم يرض المصنف بهذا الفرق لأن السجدة كما تجب بالأمر بها تجب أيضا بذم من تركها وبمدح من أتى بها. ففي قراءة التشديد وإن لم يصرح بالأمر بها إلا أنها تدل على ذم من تركها فتدل على الوجوب أيضًا. ففي كلام الفارق بينهما بحث آخر، وهو أن الأمر المتحقق في قراءة التخفيف إما أن يكون من كلام الله تعالى أو من كلام الهدهد محكيًا عنه، فإن كان من كلام الله تعالى فدلالته على الوجوب ظاهرة، وإن كان من كلام الهدهد وهو الظاهر ففي دلالته على الوجوب نظر. إلا أن يقال: إنه تعالى لما حكى كلامه على طريق الارتضاء والقبول كان كأنه قرر مضمونه وأوجبها ابتداء من قبل نفسه فكانت قراءة التخفيف دليلاً على الوجوب سواء كان ما فيها من لفظ الأمر من كلام الله تعالى أو من كلام الهدهد. **قوله:** (وقرىء هلا وهلا بقلب الهمزة هاء) مع تشديدها وتخفيفها. وقرىء «ألا تسجدون» و «هلا تسجدون» بالتخفيف فيهما وتاء الخطاب وإثبات نون الرفع فمن أثبت نون الرفع جعل الأحرف تحضيض أو للعرض كما في: ألا تنزل عندنا.

قوله: (والخبأ ما خفي في غيره) الخبأ في الأصل مصدر خبأت الشيء أخبأه خبأ أي سترته وأخفيته، ثم أطلق على الشيء المخبوء ونحوه ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ١١] أي

إخراج ما في الشيء بالقوة إلى الفعل، والإبداع فإنه إخراج ما في الإمكان والعدم إلى الوجوب والوجود. ومعلوم أنه يختص بالواجب لذاته. وقرأ حفص والكسائي «ما تخفون» و«ما تعلنون» بالتاء.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾ الذي هو أول الأجرام وأعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون عظيم. ﴿قَالَ سَنَنظُرُ﴾ سنتعرف من النظر بمعنى التأمل ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ أي أم كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل. ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ ثم تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه. ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ ماذا يرجع بعضهم إلى بعض

مخلوقه. والمخبوء في السمٰوات كالكواكب والأمطار أخرجها الله تعالى بإشراق الكواكب وإنزال الأمطار، والمخبوء في الأرض كالنبات أخرجه الله تعالى بإنباته. والإنشاء إيجاد الشيء المسبوق بالمادة والإبداع إيجاد ما ليس بمسبوق بها. والمقصود من وصفه تعالى بالتفرد بكمال القدرة حيث قيل: يخرج الخبأ وبالتفرد بكمال العلم حيث قيل: ﴿ويعلم ما يخفون وما يعلنون﴾ الحث على السجود له تعالى والرد على من يسجد لغيره كالشمس. وتقرير كونه ردًا عليه أن الإلٰه يجب أن يكون قادرًا على إخراج الخبأ وعالمًا بالخفيات، والشمس مثلاً ليست كذلك فهي لا تكون إلـٰهًا وإذا لم تكن إلـٰهًا لم يجز السجود لها. أما أن الإلٰه يجب أن يكون قادرًا وعالمًا على الوجه المذكور فلأنه يجب أن يكون واجبًا لذاته فلا تختص قادريته وعالميته ببعض المقدورات والمعلومات دون البعض، وأما أن الشمس ليست كذلك فلأنها جسم متناه وكل ما كان متناهيًا في الذات كان متناهيًا في الصفات. **قوله: (فبين العظيمين)** أحدهما عرش بلقيس والآخر عرش الله العظيم يعني أن قوله تعالى: ﴿لا إلٰه إلا هو رب العرش العظيم﴾ سواء كان من كلام الله تعالى أو من كلام الهدهد يكون المقصود منه الإشارة إلى البون البعيد بين العظيمين فإن كان من كلام الهدهد يكون المقصود استدراكًا منه لما وصف عرش بلقيس بالعظم، وإن كان من كلام الله يكون المقصود الرد عليه في وصفه عرشها بالعظم. **قوله: (والتغيير للمبالغة)** فإن ﴿أم كنت من الكاذبين﴾ أبلغ من أم كذبت لأن معناه من الذين اشتهروا بالكذب وانخرطوا في سلك الكاذبين. **قوله: (ماذا يرجع بعضهم)** أي ماذا يرد من الجواب من الرجع وهو الرد، إن جعلنا النظر بمعنى التأمل والتفكر كانت «ما» في قوله: ﴿ماذا يرجعون﴾ استفهامية وفيها حينئذ وجهان: أحدهما أن تجعل مع «ذا» بمنزلة اسم واحد منصوب «بيرجعون» على أنه مفعوله تقديره: أي شيء يرجعون، وثانيهما أن تجعل «ما» مبتدأ و«ذا» بمعنى الذي و«يرجعون» صلتها وعائدها محذوف وتقديره: أي شيء الذي يرجعونه، وهذا الموصول هو خبر «ما» الاستفهامية. وعلى التقديرين فالجملة الاستفهامية معلقة

من القول. ﴿قَالَتْ﴾ أي بعد ما ألقى إليها. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ لكرم مضمونه أو مرسله. أو لأنه كان مختومًا أو لغرابة شأنه إذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الأبواب، فدخل الهدهد من كوة وألقاه على نحرها بحيث لم تشعر به. ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾ استئناف كأنه قيل لها: ممن هو وما هو؟ فقالت: إنه، أي الكتاب أو العنوان، من سليمان. ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي وإن المكتوب أو المضمون. وقرىء بالفتح على الإبدال من كتاب أو التعليل لكرمه ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾ «أن» مفسرة أو مصدرية فيكون بصلته خبر محذوف أي هو أو المقصود «أن لا تعلوا» أو بدل من «كتاب». ﴿وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ مؤمنين أو منقادين. وهذا الكلام في غاية

لـ «انظر» فمحلها النصب على إسقاط الخافض أي انظر في كذا وفكر فيه، وإن جعلتها بمعنى انتظر كما في قوله: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] كانت «ماذا» بمعنى «الذي» و«يرجعون» صلتها وعائدها محذوف، وهذا الموصول مع في حيزه مفعول به «لأنظر» أي انتظر الذي يرجعونه. **قوله:** (**لكرم مضمونه**) أي في مضمونه من اللفظ والمعنى. **قوله:** (**أو مرسله**) وعرفت كرم مرسله بناء على أنها لما رأت الخاتم ارتعدت فرائصها وخضعت، لأن ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت أن الذي أرسل الكتاب أعظم ملكًا منها لطاعة الطير إياه وهيبة الخاتم. **قوله:** (**أو لأنه كان مختومًا**) فإن مجرد ختم الكتاب يكفي لصحة توصيفه بالكرم، لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كرم الكتاب ختمه» وكان عليه الصلاة والسلام يكتب إلى العجم فقيل له إنهم لا يقبلون إلا كتابًا عليه خاتم. فاتخذ لنفسه خاتمًا نقشه أي الخاتم «محمد رسول الله». وقال مقاتل: أتاها الهدهد وهي جالسة في قصرها فرفرف على رأسها ساعة والناس ينظرون فرفعت رأسها ناظرة إليه، فألقاه في حجرها فقرأته وكانت عربية من قوم تبع. **قوله:** (**استئناف**) يعني أنه من كلام بلقيس أجابت به لمن قال: ممن هو أو ما هو أي ما صفته وليس مما كتبه سليمان في كتابه حتى يقال: كيف قدم سليمان اسمه على قوله: ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ فإن بلقيس إذا ذكرت أن هذا الكتاب من سليمان ثم حكت ما في الكتاب بأنه كيت وكيت لم يرد ذلك. ثم إن العامة قرأوا «إنه» و«إنه» بكسر الهمزة فيهما على الاستئناف جوابًا لسؤال قومها كأنهم قالوا: ممن الكتاب وما فيه؟ فأجابتهم بالجوابين. وقرىء بفتح الهمزة فيهما إما على أنه بدل من «كتاب» بدل اشتمال، أو بدل الكل من «كتاب» كأنه قيل: ألقي إليّ أنه من سليمان وأنه كذا وكذا، وإما على إسقاط لام العلة والتقدير لأنه من سليمان ولأنه كذا وكذا كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان وبكونه مصدرًا ببسم الله الرحمن الرحيم. **قوله:** (**أن مفسرة**) بناء على أن «بسم الله» متعلقة بالقول كأنه قيل: أقول بسم الله الرحمن الرحيم. ثم فسر المقول بقوله: ﴿أن لا

الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحًا أو التزامًا، والنهي عن الترفع الذي هو أم الرذائل، والأمر بالإسلام والجامع لأمهات الفضائل وليس الأمر فيه بالانقياد قبل إقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد. فإن إلقاء الكتاب إليها على تلك الحالة من أعظم الأدلة. ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى﴾ أجيبوني في أمري الفتى واذكروا ما تستصوبون فيه. ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ ما أبت أمرًا ﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾ إلا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الإجابة. ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ﴾ بالأجساد والعدد. ﴿وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ نجدة وشجاعة ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ موكول ﴿فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رأيك.

تعلوا عليّ﴾ ولا تتكبروا وإن كانت مصدرية تكون مع صلتها في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أو على أنه بدل من كتاب كأنه قيل: ألقي إليّ أن لا تعلوا.

قوله: (مع كمال الدلالة على المقصود) وهو الدعوة إلى الاستكمال بالقوة النظرية والعملية والتحلي بالفضائل العلمية والعملية والعلم مقدم على العمل، فابتدأ بقوله:﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ لاشتماله على إثبات الصانع تعالى وصفاته صريحًا والتزامًا. أما صريحًا فظاهر، وأما التزامًا فلأن ما ذكر صريحًا يستلزم كونه تعالى حيًا مريدًا عالمًا قادرًا. ولما ورد أن يقال: النهي عن الاستعلاء والأمر بالانقياد قبل إقامته ما يدل على رسالته حقًا يدل على الاكتفاء بالتقليد والدعوة إليه. أجاب عنه بأن لا تقليد. والحال أن رسول سليمان إلى بلقيس كان الهدهد ورسالة الهدهد معجزة، والمعجزة تدل على وجود الصانع وعلى صفاته وتدل على صدق مدّعي الرسالة، فلما كانت رسالة الهدهد دليلاً تامًا على التوحيد والنبوة لم يحتج إلى ذكر دليل آخر. روي أن نسخة الكتاب كانت هكذا: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى. أما بعد، فلا تعلوا عليّ وائتوني مسلمين. وكانت كتب الأنبياء جملاً لا يطيلون ولا يكثرون. ويجوز أن يكون الكتاب أطول من هذا القدر لكن الله تعالى ذكر ما هو المقصود منه وهو دعاؤها إلى التوحيد. **قوله**: (في أمري الفتى) أي الحادث عن قريب، والفتى الشاب والفتاة الشابة، والفتوى هي الجواب في الحادثة. والمعنى: أشيروا عليّ بما عندكم من الرأي والتدبير فيما حدث من الأمر بلفظ مشتق من الفتاء في السن وهو بلفظ الفتوى لجامع الحداثة. **قوله**: **(ليمالئوها)** أي ليعاونوها. يقال: مالأته على الأمر ممالأة أي ساعدته عليه مساعدة وتمالؤوا على الأمر أي اجتمعوا عليه وتعاونوا. فأجابها قومها بأن ذكروا لها قوتهم وشجاعتهم تعريضا منهم بالقتال إن أمرتهم بذلك ثم قالوا: ﴿والأمر إليك﴾ أي في القتال وتركه. ولما أحست

﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ تزييف لما أحست منهم من الميل إلى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية، وإشعار بأنها ترى الصلح مخافة أن يتخطى سليمان خططهم فيسرع إلى إفساد ما يصادفه من أموالهم وعماراتهم. ثم إن الحرب سجال لا يدري عاقبتها. ﴿وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ بنهب أموالهم وتخريب ديارهم إلى غير ذلك من الإهانة والأسر. ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ تأكيد لما وصفت لها حالهم وتقرير بأن ذلك من عادتهم الثابتة المستمرة، أو تصديق لها من الله عز وجل. ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ بيان لما ترى تقديمه للمصالحة والمعنى: إني مرسلة رسلاً بهدية أدفعه بها عن ملكي ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ من حاله حتى أعمل بحسب ذلك. روي أنها بعثت منذر بن عمرو في وفد وأرسلت معهم غلمانًا على زي الجواري وجواري على زي الغلمان وحقًا فيه درة غذراء وجزعة معوجة الثقب. وقالت: إن كان نبيًا ميّز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبًا مستويًا وسلك في الخرزة خيطًا. فلما وصلوا إلى معسكره ورأوا عظم شأنه تقاصر إليهم نفوسهم، فلما وقفوا بين يديه وقد سقبهم جبريل بالحال طلب الحق وأخبر عما فيه فأمر الأرضة فأخذت شعرة ونفدت في الدرة، وأمر دودة بيضاء فأخذت الخيط ونفذت في الجزعة، ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها، والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه. ثم رد الهدية.

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾ أي الرسول أو ما أهدت إليه. وقرىء «فلما جاؤوا». ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ خطاب للرسول ومن معه أو للرسول والمرسل على تغليب المخاطب.

منهم الميل إلى المحاربة رأت أن من الرأي الميل إلى الصلح والابتداء بما هو أحسن فزيفت أولاً ما ذكروه وأرتهم الخطأ فيه وقالت: ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية﴾ عنوة وقهرًا خربوها وقوله تعالى: ﴿وكذلك يفعلون﴾ من تمام قولها أرادت وهذه عادتهم المستمرة التي لا تتغير لأنها كانت ربيتٍ في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت. ويجوز أن ينتهي كلامها عند قولها: ﴿أذلة﴾ ثم صدقها الله تعالى فيما قالت فقال: ﴿وكذلك يفعلون﴾ أي وكما قالت هي تفعل الملوك. ثم قالت: الرأي المستقيم أن نبتدىء بإرسال رسل ملتبسين بهدية فننظر ﴿بم يرجع المرسلون﴾ وقوله: «بم» متعلق «بيرجع» لا بقوله: «ناظرة» لأن اسم الاستفهام له صدر الكلام. واعلم أن بلقيس كانت امرأة لبيبة حيث اختارت أن ترسل إليهم أي إلى سليمان وقومه هدية وأن تختبر بها أملك هو أم نبي وقالت: إن يكن ملكًا قبل الهدية ورضي بها وإن يكن نبيًا لم يقبل الهدية ولم يرض منا إلا بأن نتبعه على دينه، فذلك قولها ﴿فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ فإن هذا الكلام يدل على أنها لم تثق بالقبول وجوّزت الرد وأرادت أن

وقرأ حمزة ويعقوب بالإدغام وقرىء بنون واحدة وبنونين وحذف الياء. ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ من النبوة والملك الذي لا مزيد عليه. وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص بإسكان الياء، وبإسقاطها الباقون، وبإمالتها الكسائي وحده ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ فلا حاجة إلى هديتكم ولا وقع لها عندي ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦)﴾ لأنكم لا تعلمون إلا ظاهرًا من الحياة الدنيا فتفرحون بما يهدى إليكم حبًا لزيادة أموالكم، أو بما تهدونه افتخارًا على أمثالكم والإضراب عن إنكار الإمداد بالمال عليهم وتعليله إلى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها. ﴿ٱرْجِعْ﴾ أيها الرسول ﴿إِلَيْهِمْ﴾ إلى بلقيس وقومها ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ لا طاقة لهم

ينكشف غرض سليمان. **قوله:** (وقرأ حمزة ويعقوب بالإدغام) أي بإدغام نون الرفع في نون الوقاية، وأما الياء فإن حمزة يحذفها وقفًا ويثبتها وصلاً على قاعدته. والباقون بنونين على الأصل جمعوا بين المثلين ولم يدغموا لأن الثانية ليست بلازمة فإنها تزاد مع ضمير المتكلم. وأما الياء فإن نافعًا وأبا عمرو كحمزة يثبتانها وصلاً ويحذفانها وقفًا، وابن كثير يثبتها في الحالتين، والباقون يحذفونها في الحالتين. وروي عن نافع أنه يقرأ بنون واحدة خفيفة وياء على حذف النون الثانية التي تصحب ضمير المتكلم وحذف الأولى لحن لأنها علامة. ومعنى قوله: ﴿أتمدونني بمال﴾ أتزيدونني مالاً بهديتكم، وهذا استفهام إنكار أي لا أطلب زيادة في المال فكأنه قيل: لا أقبل هديتكم بل أردها عليكم. ثم علل هذا الإنكار بقوله: ﴿فما آتاني الله خير مما آتاكم﴾ ثم أضرب عن إنكار الإهداء وتعليله إلى ذمهم بالاغترار بالأمور العاجلة وغفلتهم عن الفضائل الروحانية والأمور الأخروية فقال: ﴿بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ كأنه قال: أنا لا أرضى بالهدية والمصانعة بل أنتم تفرحون بذلك لأن نظركم مقصور على الزخارف الدنيوية وفرحي بالنبوة والعلم والأمور الأخروية. قال تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته﴾ فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون. هذا على أن تكون الهدية في قوله: «بهديتكم» مضافًا إلى المهدي إليه فإن الهدية اسم لما يهدي أي يبعث إلى شخص تكرمًا، كما أن العطية اسم لما يعطي فتضاف تارة إلى المهدي وتارة إلى المهدى إليه يقال: هدية فلان فيراد أهداها فلان أو أهديت إليه. والمراد هنا الإضافة إلى المهدى إليه، والمعنى: بل أنتم بالإهداء إليكم تفرحون. ويجوز أن تجعل الهدية مضافة إلى المهدي ويكون المعنى: بل أنتم بهذه التي أهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بأنكم قدرتم على إهداء مثلها، فيكون وجه الإضراب حينئذ أنه لما قال: ﴿أتمدونني بمال﴾ وكان ذلك متضمنًا معنى أتظنونني أفرح بهديتكم والمعنى: إني لا أفرح بهديتكم أضرب عنه بقوله: ﴿بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾. **قوله تعالى:** (فلنأتينهم) جواب قسم محذوف وكذلك ﴿ولنخرجنهم﴾ أي فوالله

بمقاومتها ولا قدرة على مقاتلتها وقرىء «بهم». ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ﴾ من سبأ ﴿أَذِلَّةً﴾ بذهاب ما كانوا فيه من العز. ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ أسراء مهانون ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾ أراد بذلك أن يريها بعض ما خصه الله به من العجائب الدالة على عظيم القدرة، وصدقه في دعوى النبوة، ويختبر عقلها بأن ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم تنكره. ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾ فإنها إذا أتت مسلمة لم يحل أخذه إلا برضاها. ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ خبيث مارد ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ بيان له. لأنه يقال للرجل الخبيث: المنكر المعفر أقرانه وكان اسمه ذكوان أو صخرًا. ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ مجلسك للحكومة وكان يجلس إلى نصف النهار ﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ﴾ على حمله ﴿لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ لا اختزل منه شيئًا ولا أبدله.

﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ آصف بن برخيا وزيره أو الخضر أو جبريل أو ملك أيده الله به أو سليمان نفسه، فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وأن هذه الكرامة كانت بسببه. والخطاب في: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ للعفريت كأنه استبطأه فقال له ذلك، أو أراد إظهار معجزة في نقله فتحداهم أولاً

لنأتينهم، فإن قيل: كيف حلف سليمان على ذلك ولم يحفظ يمينه؟ فالجواب أنه معلق على شرط حذف لدلالة المقام عليه أي إن لم يأتوا مسلمين. وحقيقة قوله: ﴿لا قبل لهم﴾ لا مقابلة ولا طاقة عليها. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان وأخبروها الخبر قالت: قد عرفت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة، وبعثت إلى سليمان: أني قادمة إليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك. ثم ارتحلت إلى سليمان في اثني عشر ألف قائد تحت كل قائد مائة قائد تحت كل قائد ألوف، فلما قربت منه على مقدار فرسخ بينها وبين سليمان رأى سليمان وهجًا قريبًا أي توقد نار فقال: ما هذا؟ بلقيس قد نزلت بهذا المكان. فأقبل سليمان على جنوده حينئذ فقال: ﴿يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾ طائعين. وقد روي أنها لما خرجت إلى طاعة سليمان أمرت أن يجعل عرشها في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة وغلقت الأبواب ووكلت به حرسًا يحفظونه.

قوله: (لأنه يقال للرجل الخبيث) تعليل لكون «من» للتبيين فإن ما قبلها يجب أن يكون أعم من مدخولها وههنا كذلك. فإن العفر والعفرية والعفريت والعفرنية والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر أقرانه أي يلقيهم في التراب، ومن الشياطين الخبيث المارد. واشتقاقه من العفر وهو التراب. **قوله:** (أنا آتيك) يجوز أن يكون فعلاً مضارعًا، على وزن

ثم أراهم أنه يتأتى له مالاً يتهيأ لعفاريت الجن فضلاً عن غيرهم. والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة أو اللوح. و«آتيك» في الموضعين صالح للفعلية والاسمية. والطرف تحريك الأجفان للنظر فوضع موضعه. ولما كان الناظر يوصف بإرسال الظرف كما في قوله:

وكنت إذا أرسلت طرفك رائدًا لقلبك يومًا أتعبتك المناظر

وصف برد الطرف والطرف بالارتداد. والمعنى: إنك ترسل طرفك نحو شيء فقبل أن ترده أحضر عرشها بين يديك. وهذا غاية في الإسراع ومثل فيه. ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾ رأى العرش ﴿مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ حاصلاً بين يديه ﴿قَالَ﴾ تلقيًا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله تعالى. ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾ تفضل به عليَّ من غير استحقاق. والإشارة إلى التمكن من إحضار العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه، أو غيره والكلام في إمكان مثله قد مر في آية الإسراء. ﴿لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ﴾ بأن أراه فضلاً من الله بلا حول مني ولا قوة وأقوم بحقه. ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ بأن أجد نفسي في البين أو أقصر في أداء مواجبه ومحلهما النصب على البدل من الياء. ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأنه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها

أفعل نحو اضرب وأصله «أأتيك» بهمزتين فأبدلت الثانية ألفًا، وأن يكون اسم فاعل فالألف زائدة والهمزة أصلية على عكس الأول. **قوله:** (والطرف تحريك الأجفان للنظر) فالطرف بالنسبة إلى النظر كالنظر بالنسبة إلى الرؤية. فإن الناظر إذا أراد النظر إلى شيء حرك أجفانه نحو ذلك الشيء فهو إرسال الطرف. وإذا أراد الإمساك عنه رد الأجفان إلى مكانها الأول. فلما كان وضع الطرف موضع النظر عبارة عن امتداد النور من العين إلى المرئي، كان إغماض الجفن يوهم أن ذلك النور ارتد إلى العين. و«رائدًا» في البيت نصب على الحال من «طرفك» وجواب «إذا» «أتعبتك». والرائد الذي يتقدم القوم لطلب الكلأ لهم أي إذا جعلت عينك رائدًا لقلبك لطلب هواها تتعبك مناظرها وتوقعك في أشق المكاره. ثم إن الشاعر فصل ما أجمله في قوله «أتعبتك المناظر» بقوله في البيت الثاني:

رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

واختلف المفسرون في قوله: ﴿قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ على وجهين: الأول أنه أراد المبالغة في السرعة كما تقول لصاحبك: افعل ذلك في لحظة، وهذا قول مجاهد. والثاني أن يكون الكلام على ظاهره. فإن قيل: كيف يجوز أن ينقل العرش من ناحية اليمن إلى أرض الشام في هذا القدر من الزمان؟ وهو يقتضي إما القول بالحركة أو حصول الجسم

من وصمة الكفران. ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن شكره ﴿كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ بالإنعام عليه ثانيًا ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ بتغيير هيئته وشكله ﴿نَنظُرْ﴾ جواب الأمر. وقرىء بالرفع على الاستئناف. ﴿أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾ إلى معرفته، أو الجواب الصواب. وقيل: إلى الإيمان بالله ورسوله إذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الأبواب موكلة عليه الحراس. ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾ تشبيهًا عليها زيادة

الواحد دفعة واحدة في مكانين. أجيب عنه بأن المهندسين قالوا: كرة الشمس مثل كرة العرض مائة وأربعًا وستين مرة، ثم إن زمان طلوعها زمان قصير فإذا قسمنا زمان طلوع تمام القرص على زمان المقدار الذي بين الشام واليمن كانت تلك اللمحة كثيرًا. فلما ثبت عقلاً إمكان وجود هذه الحركة السريعة وثبت أنه تعالى قادر على كل الممكنات زال السؤال. قال المصنف في سورة الإسراء: والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة أن ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الأرض مائة ونيفًا وستين مرة، ثم إن طرفها الأسفل يصل موضع طرفها الأعلى في أقل من ثانية. وقد برهن في الكلام أن الأجسام متساوية في قبول الأعراض وأن الله قادر على الممكنات فيقدر أن يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي عليه السلام، أو فيما يحمله. والتعجب من لوازم المعجزات. روي أن آصف بن برخيا قال لسليمان: أرسل طرفك. فنظر نحو اليمن فدعا آصف فغار الكرسي تحت الأرض ونبع لدى كرسي سليمان قبل أن يرجع إليه طرفه. **قوله:** (نكروا لها عرشها) أي اجعلوه متنكرًا متغيرًا عن شكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه، فالتنكر التغيير والتنكير التغير. فلما أمر سليمان عليه الصلاة والسلام الشياطين بذلك نكسوه أي جعلوا أسفله أعلاه وبنوا فوقه قبابًا أخرى هي أعجب من تلك القباب، وجعلوا موضع الجوهر الأحمر أخضر وبالعكس. قيل: لما جاءت بلقيس خاف الجن أن تفشي أمرهم إلى سليمان لأنها كانت جنية وأن يتزوجها سليمان فتلد له ولدًا فلا ينفكون من التسخير، فاحتالوا لتنفيره عنها فقالوا: إن في عقلها شيئًا من الخفة، وإنها شعراء الساقين، وإن رجلها كحافر حمار. فلما سمع سليمان ذلك أمرهم بتنكير عرشها ليختبر بذلك عقلها وأمر الشياطين بأن يبنوا له صرحًا ممردًا أي قصرًا مملسًا من قارورة بيضاء تضطرب كأنها الماء لغاية صفائها ويجعلوا فيها تماثيل حيوانات الماء تسبح فيها ليقول لها عند مجيئها إليه: ادخلي الصرح لتكشف عن ساقيها حيث ما أراد دخولها بناء على ظن أنه ماء عظيم ليختبر بذلك حال ساقيها ورجليها. وقيل: أمر سليمان بتنكير العرش واتخاذ الصرح ليعارضها بمثل ما فعلت هي به في أمر الوصفاء والوصائف وتنكيرها إياهم وأمر الدرة العذراء والجزعة المعوجة الثقب، فاهتدى هو عليه الصلاة والسلام لنبوته ولم تهتد هي إليه فاستبان لها حاله بذلك فأطاعته وأسلمت. **قوله:** (تشبيهًا عليها) أي تلبيسًا من

في امتحان عقلها إذ ذكرت عنده بسخافة العقل. ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ ولم تقل هو لاحتمال أن يكون مثله وذلك من كمال عقلها. ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ من تتمة كلامها كأنها ظنت أنه أراد بذلك اختبار عقلها وإظهار معجزة لها فقالت: أوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة، أو المعجزة بما تقدم من الآيات. وقيل: إنه كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على إيمانها بالله ورسوله حيث جوزت أن يكون ذاك عرشها تجويزًا غالبًا وإحضاره ثمة من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله، ولا تظهر إلا على يد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أي وأوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما أنعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكرًا له.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي وصدّها عبادتها الشمس عن التقدم إلى الإسلام أو وصدّها الله عن عبادتها بالتوفيق للإيمان. ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾

الشبهة بمعنى الالتباس وقالت في الجواب: كأنه هو ولم تقل: هو هو ولا ليس هو. قال مقاتل: عرفته ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها ووقفت في محل التوقف لئلا تكذب، وذلك من كمال عقلها. فقيل لها: إنه عرشك فما أغنى عنك إغلاق الأبواب وتسليط الحراس عليه.

قوله تعالى: (وأوتينا العلم من قبلها) إن كان من كلام بلقيس يكون ضمير «قبلها» راجعًا إلى الحالة أو المعجزة الدال عليها السياق كأنها قالت: وأوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة بما شاهدناه من رسالة الهدهد ورد الهدية وسائر ما علمناه من قبل الرسل. وإن كان من كلام سليمان وأتباعه يكون ضمير «قبلها» راجعًا إلى بلقيس فكأن سليمان وقومه قالوا: إنها قد أصابت في جوابها وهي عاقلة وقد رزقت الإسلام ثم عطفوا على ذلك قولهم: وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة مثل علمها وغرضهم من ذلك شكر الله تعالى على أن خصهم بمزية التقدم في الإسلام. **قوله:** (وصدّها عبادتها الشمس) على أن يكون فاعل «صد» قوله: ﴿ما كانت تعبد﴾ بمعنى عبادتها. والظاهر أن هذه الجملة حينئذ تكون معطوفة على جملة ﴿وأوتينا العلم﴾ على أن تكون من كلام سليمان وأتباعه. وإن كانت من كلام بلقيس تكون هذه الجملة استئناف إخبار من الله بذلك. **قوله:** (أو وصدّها الله) على أن يكون فاعل «صد» ضمير الباري. وعلى هذا يكون قوله: ﴿ما كانت تعبد﴾ في محل النصب على إسقاط الخافض أي ومنعها الله عما كانت تعبد من دون الله وهو الشمس أي منعها عن عبادة الشمس. **قوله:** (إنها كانت) الجمهور على كسر همزة «أنها» استئنافًا وتعليلاً. وقرىء بالفتح على أنها بدل مما «كانت تعبد» على تقدير كونها

وقرىء بالفتح على الإبدال من فاعل صدّ على الأول أي صدّها نشؤها بين أظهر الكفار أو التعليل له. ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ﴾ القصر وقيل: عرصة الدار. ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ روي أنه أمر قبل قدومها فبنى قصر صحنه من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه حيوانات البحر، ووضع سريره في صدره فجلس عليه، فلما أبصرته ظنته ماء راكدًا فكشفت عن ساقيها. وعن ابن كثير رواية قنبل «سأقيها» بالهمز حملاً على جمعه سئوق واسؤق. ﴿قَالَ إِنَّهُ﴾ إن ما تظنينه ماء ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ مملس ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ من الزجاج ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بعبادتي الشمس. وقيل: بظني بسليمان فإنها حسبت أنه يغرقها في اللُّجَّة. ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ فيما أمر به عباده. وقد اختلف في أنه تزوجها أو زوّجها من ذي تبع

فاعل صد أي وصدها أنها كانت. أو على إسقاط لام العلة أي لأنها فهي قريبة من قراءة الجمهور. **قوله:** (وقيل عرصة الدار) أي قيل: الصرح الصحن المنكشف من غير سقف وهو سواء كان بمعنى القصر أو العرصة مأخوذ من التصريح بالشيء وهو كشفه وإظهاره. **قوله:** (حملاً على جمعه) يعني أنه سمع من العرب في جمع ساق سئوق واسؤق بالهمزة فأجرى عليه الواحد. قال ابن عباس: لما كشفت عن ساقيها ظهر قدم لطيف وساق حسن مدمج أي ممتلىء لكنه أشعر. قيل: إنه عليه الصلاة والسلام تزوجها وكره ما رأى من كثرة شعر ساقيها فسأل الإنس عما يذهب ذلك، قالوا: الموسى قالت بلقيس: إني لم يمسني حديدة قط. فكره سليمان الموسى وقال: إنها تقطع ساقها. فسأل الشياطين فقالوا: نحتال لك حتى يكون ساقها كالفضة الملساء فاتخذوا النورة والحمام من يومئذ. فلما أبصر سليمان ساقها وقدمها وعرف جمالها صرف بصره وقال: ﴿إنه صرح ممرد من قوارير﴾ وذلك لأنه لم يجز له النظر إلى ساقها بعدما تبين حال ساقها وإنما جاز قبل أن يتبين حاله، ولذلك أفادها بذلك حتى تستر ساقها. وتمريد البناء جعله مملسًا يقال: شجر أمرد وغلام أمرد أي لا ورق له ولا شعر. فلما قيل: إنه ليس بماء بل ﴿صرح ممرد من قوارير﴾ أرسلت ذيلها وسترت ساقها وتعجبت من ذلك واستحكم ما شاهدته من دلائل الوحدانية والنبوة فقالت نادمة على ثباتها على الكفر فيما تقدم من عمرها ومنشئة لعقد الإسلام بكمال الرغبة والإيقان: ﴿رب إني ظلمت نفسي﴾ فيما سبق من عمري ﴿وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ وقيل: أرادت بظلمها نفسها سوء ظنها بسليمان حيث حسبت أن سليمان أراد أن يقتلها بأن يغرقها في اللجة. قال محمد بن كعب القرظي: لما أبصرت بلقيس الصرح قالت: ما وجد ابن داود عذابًا يقتلني به إلا الغرق فلما وقفت على حقيقة الحال قالت: ظلمت نفسي حيث أسأت به الظن. **قوله:** (وقد اختلف في أنه تزوجها) والمشهور أنه تزوجها وأحبها حبًا شديدًا وأقرها

ملك همدان. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بأن اعبدوه. وقرىء بضم النون على اتباعها الباء. ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ففاجأوا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق. والواو لمجموع الفريقين. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا ﴿قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ قبل التوبة فتؤخرونها إلى نزول العقاب. فإنهم كانوا يقولون: إن صدق إيعاده تبنا حينئذ. ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ قبل نزوله ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ بقبولها فإنها لا تقبل حينئذ ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا﴾ تشاء منا ﴿بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ إذ تتابعت علينا الشدائد ووقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ﴾ سببكم الذي جاء منه شركم. ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ وهو قدره. أو عملكم المكتوب عنده ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾ تختبرون بتعاقب السراء

على ملكها فكان يزورها كل شهر مرة يقيم عندها ثلاثة أيام. وولدت له داود بن سليمان وأمر الجن فبنوا لها مدينة بسيلجين وقصر غمدان بصنعاء. وقيل: زوجها ذا تبع ملك همدان. فإنه قد روي أن بلقيس لما أسلمت قال لها سليمان: اختاري رجلاً من قومك حتى أزوجك إياه. فقالت: أو مثلي يا نبي الله ينكح الرجال وقد كان لي في قومي الملك والسلطان؟ قال: نعم إنه لا يكون في الإسلام إلا ذلك ولا ينبغي لك أن تحرمي ما أحلّ الله لك. قالت: فإن كان ولا بد فزوجني ذا تبع ملك همدان. فزوجها إياه وردها إلى اليمن ودعا زوبعة ملك جن اليمن وقال له: اعمل لذي تبع ما استعملك فيه. لم يزل يعمل له ما أراد إلى أن مات سليمان. فلما مات سليمان وعلمت الجن موته نادى زوبعة: يا معشر الجن قد مات سليمان فارفعوا رؤوسكم، فرفعوها وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع انقضاء ملك سليمان. فسبحان من لا انقضاء لدوام لاهوتيته وملكه. روي أن سليمان عليه السلام ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. وقد تمت هنا قصة داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام وقد ذكر قبل قصتهما قصة موسى عليه الصلاة والسلام. فالآن ذكر الله تعالى قصة ثالثة وهي قصة صالح عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا﴾.

قوله: (اطّيرنا) أصله «تطيرنا» وقرىء به فأدغمت التاء في الطاء وزيدت همزة الوصل ليتأتى الابتداء. والتطير التشؤم ببروج الطير وهو أن يقابلك مياسرة بأن يمر من ميامنك إلى مياسرك. والعرب تتطير بالبارح لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تنحرف، وتتيمن بالسانح وهو الذي يقابلك ميامنة بأن يمر من مياسرك إلى ميامنك. والمراد بالتطير في الآية مطلق التشؤم فإنه قد يستعمل في التشؤم بكل ما يتشاءم به وإن كان في الأصل عبارة عن التشاؤم بالطير. روي أنهم قحطوا بعد مبعث صالح عليه السلام لتكذيبهم إياه فنسبوه إلى مجيئه وتشاءموا به

والضراء والإضراب عن بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم إلى ذكر ما هو الداعي إليه.

﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ تسعة أنفس. وإنما وقع تمييزًا للتسعة باعتبار المعنى. والفرق بينه وبين النفر أنه من الثلاثة أو السبعة إلى العشرة، والنفر من الثلاثة إلى التسعة. ﴿يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي شأنهم الإفساد الخالص عن شوائب الصلاح. ﴿قَالُوا۟﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ أمر مقول أو خبر وقع بدلاً أو حالاً بإضمار «قد». ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ لنباغتن صالحًا وأهله ليلاً. وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض، وقرىء بالياء على أن «تقاسموا» خبر.

كما يتشاءمون بالطائر قال عليه الصلاة والسلام: ﴿طائركم عند الله﴾ أي السبب الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قضاؤه وقدره، وكل ما يصيب العبد من الخير والشر إنما يصيبه بقضاء الله وقدره ومشيئته وإرادته لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، لا مانع لما أعطاه ولا معطي لما منعه. أطلق الطائر على ما هو سبب حقيقي للخير والشر وهو قضاء الله تعالى وقدره تشبيهًا له بالطائر الذي هو سبب لهما في زعمهم. ويحتمل أن يكون الطائر مستعارًا لأعمالهم التي كانت سببًا لما أصابهم من الشدائد فإنها مكتوبة عند الله تعالى كما أن القضاء والقدر صفتان قائمتان به تعالى. **قوله**: (إلى ذكر ما هو الداعي إليه) وهو اختبار أنهم هل ينتبهون إلى أن ما أصابهم من حسنة فبفضل الله ورحمته وأن ما أصابهم من سيئة فبشؤم كسبهم. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ أي تختبرون بالخير والشر كقوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]. **قوله**: (وإنما وقع تمييزًا للتسعة باعتبار المعنى) يعني أن مميز ما فوق الثلاثة إلى العشرة يجب أن يكون مجموعًا. والرهط مفرد اللفظ ومع ذلك وقع تمييزًا للتسعة لكونه في معنى الجماعة كأنه قيل: تسعة أنفس. **قوله**: (أي شأنهم الإفساد الخالص) إشارة إلى فائدة قوله: ﴿ولا يصلحون﴾ بعد قوله: ﴿يفسدون في الأرض﴾ وهي أن المفسدين قد يجيء منهم الإصلاح في بعض الأوقات، وهؤلاء التسعة كان حالهم بخلاف ذلك إذ لم يكن منهم الإصلاح أصلاً. وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من أبناء أشرافهم وهم الذين اتفقوا على عقر الناقة ورأسهم قدار بن سالف وهو عاقر الناقة. وقوله: ﴿يفسدون﴾ صفة «تسعة» أو «رهط» فيكون في موضع الرفع أو الجر. **قوله**: (أمر) أي يجوز في «تقاسموا» أن يكون أمرًا أي قال بعضهم لبعض احلفوا على كذا. ويجوز أن يكون فعلاً ماضيًا وحينئذ يجوز أن يكون بدلاً من «قالوا» مفسرًا له، كأنه قيل: ما قالوا؟ فقيل: تقاسموا. ويجوز أن يكون حالاً من فاعل «قالوا» على إضمار «قد» أي قالوا ذلك متقاسمين. **قوله**: (وقرأ حمزة والكسائي) «لیبیتنه» بتاء الخطاب المضمومة وضم التاء

﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ فيه القراءات الثلاث ﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾ لولي دمه ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾ فضلاً إن تولينا إهلاكهم. وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك في قراءة حفص، فإن مفعلا قد جاء مصدرًا كمرجع. وقرأ أبو بكر بالفتح فيكون مصدرًا. ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ ونحلف إنّا لصادقون. أو والحال أنّا لصادقون فيما ذكرنا إذ الشاهد للشيء غير المباشر له عرفًا، أو لأنا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك: ما رأيت ثمة رجلاً بل رجلين. ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا﴾ بهذه المواضعة ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ بأن جعلناها سببًا لإهلاكهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ بذلك. روي أنه كان

الثانية. والباقون بنون المتكلم وفتح التاء. **قوله:** (ثم ليقولن) قرأه حمزة والكسائي بتاء الخطاب المفتوحة وضم اللام. والباقون بنون المتكلم وفتح اللام. وقرىء بياء الغيبة في الفعلين. فأما قراءة الأخوين فإن جعلنا «تقاسموا» فعل أمر فالخطاب واضح رجوعًا بآخر الكلام إلى أوله، وإن جعلناه ماضيا أو أمرًا فالأمر فيها واضح وهو حكاية إخبارهم عن أنفسهم. وأما قراءة الغيبة فيهما فظاهرة على أن يكون «تقاسموا» ماضيًا رجوعًا بآخر الكلام إلى أوله في الغيبة، وإن جعلناه أمرًا كان «ليبيتنه» جوابًا لسؤال مقدر كأنه قيل: كيف تقاسموا؟ فقيل: ليبيتنه. والبيات مباغتة العدو ومفاجأته بالقتل ليلاً. والمعنى: لنقتلنه بياتًا أي ليلاً ﴿وأهله﴾ أي قومه الذين أسلموا معه ﴿ثم لنقولن لوليه﴾ أي لولي دمه ﴿ما شهدنا مهلك أهله﴾ أي ما حضرنا هلاكهم أو موضع هلاكهم أو زمانه أو إهلاكهم أو موضع إهلاكهم أو زمانه ولا ندري من قتلهم. قرأ العامة «مهلك» بضم الميم وفتح اللام من الإهلاك، وحفص بفتح الميم وكسر اللام، وأبو بكر بفتح الميم واللام وكلاهما من الهلاك إلا أنه على قراءة أبي بكر لا يكون إلا مصدرًا لأن هلك من باب ضرب واسم الزمان والمكان من يهلك بكسر اللام لا يكون إلا مكسور اللام. وأما «مهلك» بكسر اللام فإنه يحتمل الثلاثة. وكذا «مهلك» بضم الميم وفتح اللام. تحالف القوم على أن يبيتوا صالحًا وأهله ثم ينكروا عند أوليائه أنهم فعلوا ذلك أو رأوه، وكان هذا مكرًا عزموا عليه. هذا على تقدير أن يكون تقاسموا فعلاً ماضيًا مفسرًا لنفس «قالوا» ولا يكون مقول القول. **قوله:** (ونحلف إنّا لصادقون) يعني أن جملة ﴿إنا لصادقون﴾ في محل النصب بنزع الخافض المتعلق بفعل محذوف معطوف على قوله: ﴿لنقولن﴾ أي ثم لنقولن كذا ونحلف إنا لصادقون فيما قلنا. أو على أنه حال من فاعل ﴿لنقولن﴾. ولما ورد أن يقال: كيف يكونون صادقين فيما قالوا وهو خبر غير مطابق للواقع وجحود لما فعلوه عمدًا؟ أجاب عنه بوجهين: الأول أن الكذب إنما يلزمهم أن لو أنكروا المباشرة ولم ينكروها بل أنكروا الشهود، وإنكاره لا يستلزم إنكار المباشرة ليلزم الكذب. والثاني أنهم إنما أنكروا شهود مهلك أهله وحده وهم صادقون فيه. سمى الله

لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا: زعم أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث. فذهبوا إلى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة. وهلك الباقون في أماكنهم بالصيحة كما أشار إليه قوله: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾ و«كان» إن جعلت ناقصة فخبرها «كيف» و«أنا دمرناهم» استئناف أو خبر محذوف لا خبر «كان» لعدم العائد. وإن جعلتها تامة «فكيف» حال. وقرأ الكوفيون ويعقوب «إنا دمرناهم» بالفتح على أنه خبر محذوف أو بدل من اسم «كان» أو خبر له و كيف» حال.

مواضعتهم على قتل صالح وأهله خفية مكرًا لكونها مكرًا في الحقيقة لأن المكر قصد الإضرار على طريق الغدر والحيلة، وسمى تدميره وإهلاكه إياهم وهم لا يشعرون على سبيل المجازاة على مكرهم مكرًا أيضًا تشبيهًا له بالمكر من حيث كونه إضرارًا في خفية لقوله: ﴿وهم لا يشعرون﴾ أو للمشاكلة. **قوله:** (في الحجر) وهو اسم مدينة ثمود قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الحجر: ٨٠] الراغب: الحجر ما سور بالحجارة وبه سمي حجر الكعبة. وديار ثمود. والشعب بالكسر ما انفلج بين الجبلين، وقيل: الطريق في الجبل.

قوله: (زعم أن يفرغ منا إلى ثلاث) وذلك أنهم لما عقروا الناقة أخبرهم صالح بنزول العذاب المستأصل عليهم عند انتهاء ثلاثة أيام فقالوا ذلك. قال ابن عباس: أرسل الله الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح عليه السلام يحرسونه فأتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلوهم. وهو قول الكلبي. وقال قتادة والسدي: دخلوا ليلاً في خرق جبل يفترصون فأرسل الله تعالى عليهم صخرة فسدت عليهم فم الخرق فهلكوا فيه، وأهلك الله تعالى سائرهم بصيحة جبريل. وقرأ الكوفيون «إنا دمرناهم» بفتح الهمزة والباقون بكسرها على الاستئناف. واختار المصنف قراءة «إنا» بكسر الهمزة وجوّز حينئذ أن تكون «كان» تامة وناقصة، وجوّز على تقدير كونها ناقصة أن تكون «أن» المكسورة مع ما في حيزها استئنافًا وأن تكون خبر مبتدأ محذوف، ولا ينافيه اقتضاؤها الصدارة لأنها إنما تقتضي أن تكون في صدر الجملة التي دخلت هي عليها، وهذه الصدارة حاصلة سواء جعلت خبر «أن» أو خبر «كان» إلا أنه لم يجوّز كونها خبر «كان» لأن المكسورة مع ما في حيزها جملة والجملة لا تكون خبرا بدون العائد، بخلاف المفتوحة فإنها مع ما في حيزها في تأويل المفرد فيصح كونها خبرًا بدون العائد وعلى تقدير كونها مستأنفة بحيث يتم الكلام قبلها. وذلك بأن تكون «كان» تامة و«عاقبة» فاعلها و«كيف» حالاً منها أي فانظر يا محمد على أي حال عاقبة أمرهم، أو بأن تكون ناقصة و«عاقبة» اسمها

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ خالية من خوى البطن إذا خلا أو ساقطة منهدمة من خوى النجم إذا سقط، وهي حال عمل فيها معنى الإشارة. وقرىء بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف. ﴿بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾ بسبب ظلمهم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ فيتعظون ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ صالحًا ومن معه ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة. ﴿وَلُوطًا﴾ واذكر لوطًا أو وأرسلنا لوطًا لدلالة ولقد أرسلنا عليه. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ بدل على الأول ظرف على الثاني. ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها أقبح، أو يبصرها بعضكم من بعض لأنهم كانوا يعلنون بها

و«كيف» خبرها ويجوز على تقدير أن تكون ناقصة ويتم الكلام قبل «أن» المكسورة أن يكون قوله: «إنا دمرناهم» بكسر الهمزة خبر مبتدأ محذوف أي وهي إنا دمرناهم على معنى: وتلك العاقبة إنا دمرناهم. وعلى قراءة الكوفيين بجواز أن يكون «إنا دمرناهم» خبر مبتدأ محذوف سواء جعل كان تامة أو ناقصة فإنه إن جعل «كان» تامة و«عاقبة» فاعلها و«كيف» حالاً منها جاز أن يكون «إنا دمرناهم» خبر مبتدأ محذوف كما إذا «كانت» ناقصة، وجاز أيضًا أن تكون بدلاً من «عاقبة» والمعنى: كيف كان تدميرنا إياهم بمعنى كيف حدث ووقع؟ ويجوز هذا الوجه على تقدير أن تكون «كان» ناقصة أيضًا كما أشار إليه بقوله: «أو بدل من اسم «كان» ولم يقل من فاعل «كان». ويجوز على تقدير كونها ناقصة أن يجعل «عاقبة» اسمها و«إنا دمرناهم» خبرها و«كيف» حالاً أي فانظر أي حال كان عاقبة مكرهم تدميرنا إياهم أجمعين، ولا يجوز على تقدير كون «كان» ناقصة و«عاقبة» اسمها و«كيف» خبرها أيضًا أن يكون «إنا دمرناهم» بدلاً من «كيف» لأن قوله: ﴿إنا دمرنا﴾ ليس معه حرف الاستفهام والبدل من الاستفهام يلزم فيه إعادة حرف الاستفهام نحو: كم مالك أعشرون أم ثلاثون؟ وكيف فلان أصحيح أم سقيم؟ ولو قلت: عشرون أو صحيح بغير إعادة حرف الاستفهام لم يجز. **قوله:** (واذكر لوطًا أو وأرسلنا لوطًا) يعني أن «لوطًا» منصوب إما «باذكر» مضمرة أو «بأرسلنا» المدلول عليه بما ذكر في القصة السابقة لأن قصة لوط معطوفة على قصة ثمود وقد ذكر في فاتحتها: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [النمل: ٤٥] فيقدر لها مثله «وإذ» بدل اشتمال من «لوطًا» على تقدير أن يكون «لوطًا» منصوبًا «باذكر» ولا يجوز أن يكون ظرفًا «لاذكر» لأن ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام إياه ليس في زمان قوله لقومه ﴿أتأتون الفاحشة﴾ أو ظرف «لأرسلنا» على تقدير أن يكون «لوطًا» منصوبًا به، ولا يجوز أن يكون بدلاً من «لوطًا» حينئذ إذ لا يستقيم أن يقال: «وأرسلنا وقت قوله». والفاحشة الفعلة القبيحة وأراد بها اللواطة باتفاق المفسرين. **قوله:** (أو يبصرها بعضكم من بعض) يعني ويجوز أن

فتكون أفحش. ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً﴾ بيان لإتيانهم الفاحشة، وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه، والتنبيه على أن الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر. ﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ اللاتي خلقن لذلك. ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ تفعلون فعل من يجهل قبحها أو يكون سفيهًا لا يميز بين الحسن والقبيح، أو تجهلون العاقبة. والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ يتنزهون عن أفعالنا أو عن الأقذار ويعدون فعلنا قذرًا.

يكون «تبصرون» من بصر العين لا على أن المعنى: وأنتم تبصرون ما تأتونه بل على أنه يبصر بعضكم فعل بعض. وإعلان المعصية معصية زائدة على إتيانها. **قوله:** (بيان) يعني أن قوله: ﴿أئنكم لتأتون الرجال﴾ عطف بيان لقوله: ﴿أتأتون الفاحشة﴾ لكونه أوضح في الدلالة على فعلتهم القبيحة وقوله: ﴿شهوة﴾ مفعول له أي أتأتون الرجال لقضاء الشهوة متجاوزين النساء، مع أنه تعالى إنما خلق الأنثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الأنثى للأنثى، فأتيانكم الرجال للشهوة مضاد لحكم الله تعالى وحكمته. **قوله:** (تفعلون فعل من يجهل قبحها الخ) جواب عما يقال: كيف وصفهم بالعلم أولاً حيث قال: ﴿وأنتم تبصرون﴾ أي تعلمون فحشها ثم وصفهم بعده بالجهل حيث قال: ﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾ فكيف يكون علمًا وجهلاً معًا؟ أجاب بثلاثة أجوبة: الأول أنه ليس المعنى أنتم تجهلون فحشها ليلزم التناقض بل المعنى تفعلون فعل من جهل فحشها مع علمكم بذلك، والثاني أن المراد بالجهل السفاهة والحماقة التي كانوا عليها، والثالث أن المراد تجهلون القيامة وعاقبة العصيان. **قوله:** (والتاء فيه) جواب عما يقال: «تجهلون» صفة «لقوم» وهو اسم ظاهر منزلة الغائب فينبغي أن تكون صفته بياء الغيبة لتطابق الصفة الموصوف. ومحصول الجواب: أن القوم وإن كان غائبًا باعتبار لفظه فهو مخاطب باعتبار معناه لكونه جاريًا على «أنتم» خبرًا عنه، فلما اجتمع فيه جهتا الغيبة والخطاب اعتبر جانب الخطاب لأن الأصل في الكلام إنما هو المتكلم والمخاطب والغائب متوسط بينهما. **قوله:** (يتنزهون عن أفعالنا) أي لا يوافقوننا فيها بل ينهون عنها ونحن لا نرضى بتركها فليس لنا حظوة إلا بإخراجهم من بيننا. قرأ الجمهور ﴿فما كان جواب قومه﴾ بنصب جواب على أنه خبر مقدم. وقرىء بالرفع والنصب أحسن، لأن «أن قالوا» في تأويل قولهم فهو أعرف من جواب قومه، لأن المضاف إلى المضمر أعرف من المضاف إلى المضاف إلى المضمر، ولأن «أن قالوا» لا يقبل التنكير بخلاف جواب قومه فإنه يقبله بأن يقال: جواب لقومه.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ (٥٧)﴾ قدرنا كونها من الباقين في العذاب ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ (٥٨)﴾ مر مثله.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ أمر رسوله بعد ما قصّ عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شأنه وما خص به رسله من الآيات الكبرى، والانتصار من العدى بتحميده والسلام على المصطفين من عبيده شكرًا على ما أنعم عليه وعلمه ما جهل من أحوالهم وعرفانًا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين. أو لوطًا بأن يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك. ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩)﴾ إلزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم. إذ من المعلوم أن لا خير فيما أشركوه رأسًا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير. وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء. ﴿أَمَّنْ﴾ بل أم من ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ التي هي أصول الكائنات ومبادىء المنافع. وقرىء «أمن» بالتخفيف على أنه بدل من الله. ﴿وَأَنزَلَ لَكُم﴾ لأجلكم ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾

قوله: (قدرنا كونها من الباقين) يريد أن المضاف مقدر في قوله: «قدرناها» لأن التقدير متعلق بغبورها وكونها من زمرة الباقين في العذاب لا بذاتها، فإنها إن بقيت مع جملة من بقي في القرية أهلكها الله بعذاب الائتفاك، وإن خرجت منها مع لوط عليه الصلاة والسلام هلكت بأن أصابها حجر في الطريق. والمتبادر من هذه الآية أن إمطار الحجارة غير مختص بشذاذ القوم بل هو أمر شامل لجميعهم وأن الباقين في القرى المؤتفكات أهلكوا بنوع آخر من العذاب أيضًا. **قوله:** (إلزام لهم) يعني أن الآية بظاهرها وإن دلت على أن المقصود الموازنة بينه تعالى وبين الأصنام واستعلام أنه تعالى خير لمن عبده أم الأصنام لعابديها، ولا وجه له ضرورة أن أحدًا من العقلاء لا يزن المخلوق العاجز بالخالق القادر على كل شيء في معنى الخيرية، بل المقصود إلزام المشركين والتهكم بهم وتسفيه رأيهم. بيّن الله تعالى أولاً إهلاك كفار الأمم السالفة ونجاة الموحدين المؤمنين، ثم خاطب رسوله ﷺ وأمره أن يحمد الله تعالى على هلاك المشركين السالفين ويسلم على المصطفى للتوحيد والإيمان من عبيده، أو خاطب لوطًا عليه الصلاة والسلام وأمره بذلك. ثم التفت إلى المشركين وخاطبهم على سبيل التبكيت والإلزام بقوله: ﴿آلله خير أم ما تشركون﴾ ومن قرأ «يشركون» بياء الغيبة حمله على ما قبله من قوله: ﴿وأمطرنا عليهم﴾ وما بعده من قوله: ﴿بل أكثرهم﴾ و«أم» في قوله: ﴿أم ما يشركون﴾ متصلة عاطفة بمعنى أيهما خير. و«ما» بمعنى «الذي» وقيل: مصدرية على حذف المضاف من الأول أي أتوحيد الله خير أم شرككم. و«أم» في قوله ﴿أمن﴾ منقطعة بمعنى «بل» والهمزة أشار إليه المصنف بقوله: «بل أم من» لعدم تقدم همزة الاستفهام وقصد

عدل به من الغيبة إلى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته، والتنبيه على أن إنبات الحدائق البهية المختلفة الأنواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره، كما أشار إليه بقوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا﴾ شجر الحدائق وهي البساتين من الأحداق وهو الإحاطة ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ أغيره يقرن به ويجعل له شريكًا وهو المتفرد بالخلق والتكوين؟ وقرىء «أإلٰهًا» بإضمار فعل مثل أتدعون أو أتشركون وبتوسيط مدة بين الهمزتين، وإخراج الثانية بين بين. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠)﴾ عن الحق الذي هو التوحيد. ﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ بدل من أم من خلق السمٰوات وجعلها قرارًا بإبداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتى استقرار الإنسان والدواب عليها. ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا﴾ وسطها ﴿أَنْهَارًا﴾ جارية ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالاً تتكون فيها المعادن

التسوية، و«من» موصولة مرفوعة المحل على الابتداء وخبرها محذوف والتقدير: بل أم من خلق السمٰوات والأرض خير؟ إضراب عن السؤال بأيهما خير إلى تقريرهم أي حملهم على الإقرار بأن من قدر على خلق العالم فهو خير من جماد لا يقدر على شيء، كأنه قيل: دعوا هذا السؤال ألستم تقرون بأنه تعالى خالق العالم فهو خير من جماد لا يقدر فهو استفهام تقرير. **قوله:** (**لتأكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى**) فإنه لو أخرج الكلام على مقتضى الظاهر وقيل: فأنبت به حدائق لأفاد الكلام اختصاص الإنبات به تعالى بحكم المقابلة بين الشركاء وخالق العالم، فلما التفت ونسب الفعل إلى ذاته تأكد ذلك الاختصاص حيث دل عليه بأمرين. **قوله:** (**من الأحداق وهو الإحاطة**) فإن الحديقة كل روضة وبستان عليه حوائط. وإنشاز محدقة أي محيطة به. والنشز المكان المرتفع. **قوله:** (**أغيره يقرن به**) يعني أنه استفهام إنكار بمعنى هل معه معبود سواه أعانه على خلق أصول الكائنات وإنزال ما ينبت به أرزاق المخلوقات؟ وليس له شريك في ذلك وإنما جاز الابتداء بالنكرة وهو إلٰه لتخصيصه بالعموم المستفاد من همزة الإنكار الداخلة على النكرة. **قوله:** (**يعدلون عن الحق**) على أنه من العدول. وقيل: هو من العدل بمعنى التسوية. والمعنى: بل هم، يعني كفار مكة، قوم يعدلون بالله غيره وهو الأصنام. **قوله:** (**بدل من أم من خلق**) فتكون «أم» فيه منقطعة ويكون معنى الهمزة التقرير كما في المبدل منه. **قوله:** (**خلالها**) يجوز أن يكون ظرفًا لجعل بمعنى خلق المتعدية إلى مفعول واحد، وأن يكون في محل المفعول الثاني لجعل على أن يكون بمعنى صيّر. **قوله:** (**جبالاً تتكون فبها المعادن**) بيان لوجه كون خلق الجبال في الأرض من جملة وجوه الأنعام. وذلك لأن أكثر العيون والأشجار والمعدنيات إنما تتكون في الجبال وفيما يقرب منها. والرواسي من الجبال الثوابت الرواسخ من رسا الشيء يرسو أي ثبت. ولم يذكر من منافع الجبال كونها حافظة للأرض عن الميلان كما قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ

وينبع من حضيضها المنابع، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والمالح، أو خليجي فارس والروم. ﴿حَاجِزًا﴾ برزخًا. وقد مر بيانه في الفرقان. ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ الحق فيشركون به. ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ المضطر الذي أحوجه شدة ما به إلى اللجأ إلى الله من الاضطرار، وهو افتعال من الضرورة. واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه إجابة كل مضطر. ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ ويدفع عن الإنسان ما يسوءه ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ خلفاء فيها بأن ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم. ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ الذي خصكم بهذه النعم العامة والخاصة. ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ أي تذكرون آلاءه تذكرًا قليلاً. و«ما» مزيدة. والمراد بالقلة العدم أو الحقارة المزيحة للفائدة. وقرأ أبو عمرو وروح بالياء، وحمزة والكسائي وحفص بالتاء وتخفيف الذال.

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ بالنجوم وعلامات الأرض والظلمات ظلمات الليالي أضافها إلى البر والبحر للملابسة، أو مشتبهات الطرق يقال: طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها. ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ يعني المطر. ولو صح أن السبب الأكثري في تكون الرياح معاودة الأدخنة الصاعدة من الطبقة الباردة

رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥] لأن تلك المنفعة فهمت من قوله تعالى: ﴿جعل الأرض قرارًا﴾ فإنها لا تكون مستقرًا للخلق إلا بكونها ساكنة سالمة من الاضطراب. **قوله:** (**أو خليجي فارس والروم**) الخليج من البحر ما تشعب منه. قال بعضهم: المراد بالبحرين بحر فارس وبحر الروم جعل الله تعالى بينهما جزيرة العرب حاجزًا، وسميت جزيرة لما جزر عنها الماء أي ذهب. وقال بعضهم: المراد بهما بحر الشام وبحر العراق. **قوله:** (**واللام فيه للجنس**) جواب عما يقال: إنه تعالى ذكر في جملة ما تفضل به على عباده أنه يجيب المضطر إذا دعاه، والمضطر اسم جنس محلى بلام الاستغراق فيفهم منه أنه يجيب كل مضطر دعاه وكم من مضطر يدعو فلا يجاب. وقرىء «يذكرون» بالياء مع الإدغام وبالتاء مع الإدغام وبدونه والحذف. وقرىء «تتذكرون» بتاءين و«قليلاً» صفة مصدر محذوف كما ذكر.

قوله: (**ولو صح أن السبب الأكثري الخ**) جواب عما يقال: لا نسلم أنه تعالى هو الذي يحرك الرياح ويرسلها فإن الفلاسفة قالت: الرياح إنما تتولد من الأدخنة المتصاعدة بتصعيد الحرارة إياها سواء كانت الحرارة حرارة الشمس أو حرارة النار، فإنها إذا صعدت أدخنة كثيرة إلى فوق فإذا وصلت إلى الطبقة الباردة وانكسرت ببرد ذلك الهواء لا محالة تثقل

لانكسار حرها وتمويجها الهواء، فلا شك أن الأسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله تعالى والفاعل للسبب فاعل للمسبب. ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يقدر على شيء من ذلك ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾ تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق ﴿أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ والكفرة وإن أنكروا الإعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليه. ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي بأسباب سماوية وأرضية ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يفعل ذلك ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ على أن غيره يقدر على شيء من ذلك. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ في إشراككم فإن كمال القدرة من لوازم الألوهية. ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ لما بيّن اختصاصه بالقدرة التامة الفائتة العامة اتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على أنه تعالى إن كان ممن في السمٰوات والأرض ففيها من يعلم

وتنزل فيحصل من نزولها تموج الهواء فيحدث الريح. وقوله: «ولو صح» إشارة إلى منع ما ذكروه وذلك أن الريح عند حركتها يمنة ويسرة ربما تقوى على قلع الأشجار وهدم الجدر، فلو كانت الريح عبارة عن الهواء المتموج بسبب حركة تلك الأجزاء الدخانية إلى أسفل حركة طبيعية وجب أن تهدم سقوف البيوت عند وقوع تلك الأجزاء عليها، لأن الحركة الهابطة طبيعية فتكون أقوى من الحركة العرضية التي هي الحركة يمنة ويسرة. ولا شك أن شيئًا من السقوف لا يسقط بسقوط الأجزاء الدخانية عليه فظهر به فساد ما ذكروه. ثم إنه تعالى لما عدد نعم الدنيا اتبع ذلك ذكر نعم الآخرة فقال: ﴿أم من يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ فإن نعم الآخرة لا تتم إلا بالإعادة بعد الإبداء والإبلاغ إلى حد التكليف وذلك لا يتم إلا بالأرزاق، فلذلك قال بعده: ﴿ومن يرزقكم من السماء والأرض﴾ ولما ورد أن يقال: كيف يمكن إلزام الكفرة بذكر نعمة الإعادة وما يترتب عليها وهم منكرون للإعادة أجاب عنه بأنهم وإن أنكروا إلا أنهم لما لم يكن لهم عذر في إنكارها من حيث قيام الأدلة القاطعة الدالة على إمكانها وكونها مقدورة لله تعالى واقتضت الحكمة وقوعها، نزلوا منزلة من أقرّ بها فتوجه إليهم الإلزام والتجهيل بذلك. ثم بيّن أن أمر الدين لا يبنى إلا على الحجة والبرهان ولا يصح بمجرد التقليد فقال: ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ وقرر ههنا ذكر الدلائل الدالة على كمال قدرة الله تعالى وفضله، وبيّن بعده أنه المختص بعلم الغيب ليثبت بمجموع الأمرين تفرده تعالى بالألوهية واستحقاق العبادة. فإن الإلٰه الحق هو الذي يحيط علمه بأعمال المكلفين من الطاعة والمعصية ويقدر على مجازاة كل أحد جزاء وفاقًا بحيث لا يزيد عقاب العاصي على قدر معصيته ولا يضيع شيئًا من طاعة المطيع. **قوله:** (والاستثناء منقطع) لعدم دخوله تعالى في قوله: ﴿من في السمٰوات والأرض﴾ والمستثنى المنقطع منصوب أبدًا عند الحجازيين

الغيب مبالغة في نفيه عنهم، أو متصل على أن المراد ممن في السمٰوات والأرض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها، فإنه يعم الله تعالى وأولي العلم من خلقه

فإنهم يقولون: ما جاءني أحد إلا حمارًا، ورفع المستثنى المنقطع في الآية مبني على لغة بني تميم فإنهم يقولون: ما في الدار أحد إلا حمار، ويجعلون المستثنى المنقطع في حكم المفرغ ويقولون: قولك: ما في الدار أحد إلا حمار أصله: ما فيها إلا حمار على أن يكون المستثنى منه المقدر أعم العام بمعنى ما في الدار شيء إلا حمار إلا أن المتكلم لما ظن أن المخاطب يستبعد خلو الدار من الآدمي ذكر الأحد من جملة إفراد المستثنى منه المقدر تأكيدًا لمنع كون الآدمي فيها، وأبقى إعراب المستثنى مرفوعًا على ما كان عليه في الأصل تنبيهًا على الأصل وقد كان المستثنى في الأصل مرفوعًا على الفاعلية فلما ذكر الأحد كان بدلاً منه. فعلى هذا الوجه لا يكون المستثنى المنقطع من قبيل المتصل حيث لم يعتبر دخول المستثنى في المستثنى منه الذي جعل بدلاً. وهو الذي يفهم من قول صاحب الكشاف يقولون: ما في الدار أحد إلا حمار كأن أحدًا لم يذكر إلا أن قوله بعد ذلك، أخرج المستثنى مخرج قوله إلا اليعافير بعد قوله: ليس بها أنيس، ليؤول المعنى إلى قولك: إن كان الله ممن في السمٰوات والأرض ففيها من يعلم الغيب يدل على أنه جعل المنقطع كالمتصل، وقدر دخوله في المستثنى منه ليشتمل الكلام على التعليق بالمحال ليفيد الكلام المبالغة في نفي علم الغيب عن أهل السمٰوات والأرض. وهذه المبالغة لا تحصل على تقدير النصب لأنه حينئذ يكون المعنى: لا يعلم من في السمٰوات والأرض الغيب لكن الله يعلمه فيكون نصبه على أنه اسم «لكن» وتفوت هذه المبالغة المبنية على تعليق علمهم الغيب بالمحال. **قوله: (أو متصل)** فلا يحتاج في رفع المستثنى إلى العدول عن مذهب الحجازيين إلى مذهب بني تميم، لأن المستثنى المتصل يجوز فيه النصب ويختار البدل في كلام غير موجب إذا كان المستثنى منه مذكورًا باتفاق الجمهور. والآية الكريمة من هذا القبيل. ووجه اندراجه تعالى في ﴿من في السمٰوات والأرض﴾ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وقول المتكلمين الله في كل مكان على معنى أن علمه في الأماكن كلها فكأن ذاته فيها. ورد صاحب الكشاف هذا الوجه بأنه يستلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة، وبيانه أن الظرفية المستفادة من قوله: ﴿من في السمٰوات﴾ حقيقة بالنسبة إلى غير الله تعالى ومجاز بالنسبة إليه تعالى ولا يجوز الجمع بينهما في كلمة واحدة عند أكثر العلماء، وإن قال به الإمام الشافعي رحمه الله كما في قولهم: القلم أحد اللسانين والخال أحد الأبوين، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] وجوّزه المصنف إما بناء على مذهبه وإما بناء على ما ذكره الإمام وهو قوله: لا يقال كونه تعالى في السمٰوات والأرض

وهو موصول أو موصوف. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ متى ينشرون مركبة من أي وآن. وقرئت بكسر الهمزة والضمير لـ «من» وقيل للكفرة.

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ لما نفي عنهم علم الغيب وأكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا محالة، بالغ فيه بأن أضرب عنه وبيّن أن ما انتهى وتكامل فيه أسباب علمهم من الحجج والآيات وهو أن القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا﴾ كمن تحير في أمر لا يجد عليه دليلاً. ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم. وهذا وإن اختص بالمشركين ممن في

مجاز وكونهم فيهن حقيقة وإرادة المتكلم بعبارة واحدة الحقيقة والمجاز غير جائز لأنا نقول: كونهم في السمٰوات والأرض كما أنه حاصل حقيقة وهو حصول ذواتهم في تلك الأمكنة كذلك حاصل مجازًا أيضًا وهو كونهم عالمين بتلك الأمكنة فإذا حملنا هذه الكونية على المعنى المجازي وهو الكون فيها بمعنى العلم دخل الرب سبحانه وتعالى فيه فصح الاستثناء.

قوله: (والضمير لمن) يعني أن قوله: ﴿وما يشعرون﴾ وصف لأهل السماء والأرض. نفى أولاً أن يكون لهم علم بالغيب ثم نفى عنهم الشعور بوقت البعث من بين جملة الغيب للدلالة على تفرده بعلمه. وقيل: ضمير «يشعرون» للكفرة الذين يسألون رسول الله ﷺ بقولهم: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٢] إنكارًا لأصل البعث، فوبخهم الله تعالى بقوله: ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ مع استواء الخلائق بأجمعهم في الجهل بوقت البعث. والمقصود توبيخهم على إنكار أصل البعث وقد أشار إليه المصنف بقوله: «وأكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا محالة» وهو أصل البعث إلا أنهم لما أنكروه بقولهم: أي وقت وقت إرسائها وإقامتها وبّخهم على إنكار وقت البعث بذلك إشعارًا بطريق إنكارهم له، وإشارة إلى أن الجهل بقرب وقته مما لا ينبغي فضلاً عن الجهل بأصله. **قوله:** (لما نفي عنهم) أيّ عن أهل السماء والأرض. وقوله: «بل أدرك» قراءة أبي بكر «أدرك» بتشديد الدال وأصله افتعل قلبت التاء دالاً وأدغمت. وفي التيسير قراءة ابن كثير وأبي عمرو «بل أدرك» بقطع الألف وإسكان الدال من غير ألف بعدها. والباقون بوصل الألف وتشديد الدال بعدها ألف. وهذا صريح في أن عاصمًا يوافق من قرأ «ادارك» من غير خلاف عنه فيكون من قرأ به خمسة نفر. والله أعلم. والمصنف اختار قراءة ابن كثير وأبي عمرو فإنهما قرآ «بل أدرك» بهمزة القطع كأكرم. وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم «ادارك» بهمزة الوصل وتشديد الدال المفتوحة بعدها ألف أصله تدارك أبدلت التاء دالاً وأدغمت الدال في الدال، واجتلبت همزة الوصل للابتداء فصار «ادارك» كاثاقل وجعل أدرك بمعنى بلغ وانتهى من قولهم: أدركت الفاكهة إذا

السمٰوات والأرض نسب إلى جميعهم كما يسند فعل البعض إلى الكل. والإضرابات الثلاث تنزيل لأحوالهم. وقيل: الأول إضراب عن نفي الشعور بوقت القيامة عنهم

بلغت وتكاملت نضجًا. وقدر مضافًا بعد قوله: «أدرك» حيث قال: وبيّن أن ما انتهى وتكامل فيه أسباب علمهم من الحجج وبين وجه الإضراب في قوله: ﴿بل أدرك علمهم﴾ مع كون ارتباطه بما قبله خفيًا من حيث إن مدلول الآية المتقدمة أنه تعالى وحده هو الذي يعلم الغيب ويعلم متى الساعة، ولا تظهر المناسبة بينه وبين الآية الدالة على أن أسباب علمهم بأن الآخرة والقيامة كائنة قد تكاملت واستحكمت حتى تتوسط بينهما كلمة الإضراب. ومحصول ما ذكره من المناسبة أن خلاصة ما سبق بيان عجزهم عن علم ما لا دليل عليه أصلاً وهو مطلق الغيب وخصوص وقت قيام الساعة. وخلاصة قوله: ﴿بل أدرك علمهم في الآخرة﴾ بيان عجزهم عن علم ما تعاضدت الأدلة على وقوعه لا محالة حيث لا يعلمونه كما ينبغي، فظهر وجه المناسبة بينهما وصحة الإضراب الثاني عن الأول. ثم قال: «والإضرابات الثلاث تنزيل لأحوالهم» أي من حالة سيئة دنيئة إلى ما هو أسوأ وأدنى منها، فإنه تعالى وصفهم أولاً بأنهم لا يشعرون وقت البعث أي لا يعلمون متى يوم القيامة، ثم بيّن أن حالهم أدون وأسوأ من هذا بأن قال: ﴿بل ادارك علمهم في الآخرة﴾ أي تكاملت أسباب علمهم بأن القيامة ستقوم وستقع وهم مع ذلك لا يعلمونه كما ينبغي. وهذه المرتبة أسوأ وأنزل من الحالة الأولى لأن أصل البعث ليس بغيب من حيث إنه تعاضدت الأدلة على حقية وقوعه فكأنه قيل: لا يعلمون الغيب بل ولا ما ليس بغيب، ولا شك أن الجهل بمثله اسوأ حالاً من الجهل بما هو غيب. ثم بيّن أن حالهم أسوأ حالاً من هذه المرتبة أي من الجهل بأن القيامة ستكون بقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا﴾ [النمل: ٦٦] أي هم مستقرون في جهلهم لا يطلبون التفصي منه بالتفكر في الدلائل المنجية من ظلمات الشكوك والأوهام فحالهم أسوأ حالاً من حال الجاهل المتردد الذي يطلب الحق والتوصل إلى الصواب. ثم بيّن أنهم أسوأ من هذا أيضًا بقوله: ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦] بمعنى أنه ليس لهم بصيرة يدركون بها دلائل وقوعها من حيث إن اشتغالهم باللذات النفسانية من هم البطن والفرج صيرهم كالبهائم والأنعام وأبطل استعدادهم للنظر والتفكر، وهذه الحالة أسوأ من الحالة الأولى. ولما ورد أن يقال: مضمون الإضرابات الثلاث على ما ذكرتم مختص بالمشركين المنكرين للبعث فكيف ترجع الضمائر المذكورة في قوله: ﴿علمهم﴾ و﴿بل هم منها في شك﴾ و﴿بل هم منها عمون﴾ إلى قوله: ﴿من في السمٰوات والأرض﴾ أجاب عنه بقوله: «وهذا وإن اختص بالمشركين ممن في السمٰوات والأرض». الخ. **قوله:** (وقيل الأول إضراب عن نفي الشعور بوقت القيامة) عطف على قوله: «بأن أضرب عنه» أي عن نفي علم الغيب عنهم أي وقيل

ووصفهم باستحكام علمهم في أمر الآخرة تهكمًا بهم. وقيل: أدرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم: أدركت الثمرة لأنها تلك غايتها التي عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم «بل ادارك» بمعنى تتابع حتى استحكم أو تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان إذا تتابعوا في الهلاك. وأبو بكر «أدرك» وأصلهما تفاعل وافتعل. وقرىء «أدرك» بهمزتين و«آأدرك» بألف بينهما و«بل أدرك» و«بل أتدارك» و«بلى أدرك» و«بلى أأدرك» و«أم أدرك» و«أم تدارك». وما فيه استفهام صريح أو مضمن من ذلك فإنكار، وما فيه «بلى» فإثبات لشعورهم وتفسير له بالإدراك على التهكم وما بعده إضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على أن شعورهم بها أنهم شاكون فيها، بل إنهم منها

في بيان المناسبة بين الآيتين. ووجه الإضراب الأول أن المراد على هذا الوجه التهكم وقوله: ﴿بل ادارك علمهم﴾ هو علمهم بأنهم ﴿إيان يبعثون﴾ وأن القيامة شيء يقع. وأما على الوجه الأول ففي الآية نفي أنهم لا يعلمون أن البعث كائن مع كثرة الدلائل عليه.

قوله: (وقيل أدرك بمعنى انتهى واضمحل) عطف من حيث المعنى على قوله: «بيّن أن ما انتهى وتكامل» الخ فإنه يتضمن تفسير الإدراك بالتكامل والاستحكام، وعلى هذا التفسير لا حاجة إلى تقدير المضاف. ثم فسر قراءة «ادارك» بوجهين أيضًا: أحدهما تدارك وتتابع حتى استحكم وثانيهما تتابع في الهلاك حتى انقطع.

قوله: (وأبو بكر أدرك) عطف على قوله «نافع» فهذه القراءة أيضًا من السبعة على رواية أبي بكر عن عاصم. ثم ذكر ثماني قراءات من الشواذ ثنتان «بأم» وثنتان أخريان «ببلى» والباقية «ببل». وصحح الزمخشري قراءة «بل أدرك» بقوله: بالتخفيف والنقل أي بتخفيف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام، وأصله ما قرأ به ابن كثير وأبو عمرو. ثم ذكر قراءة أخرى بقوله: «بل أدرك» بفتح اللام وتشديد الدال وأصله بل أدرك على سبيل الاستفهام. انتهى كلامه. فيكون أصله «أدرك» على وزن افتعل دخل عليه همزة الاستفهام فسقطت همزة الوصل فصار أدرك بهمزة مفتوحة بعدها دال مشددة ثم نقلت حركة الهمزة إلى اللام فصار «بل أدرك». ولم يذكر المصنف هذه القراءة بل ذكر إحدى عشرة قراءة ثم شرع في بيان معانيها فقال: «وما فيه استفهام صريح أو مضمن» كما في قراءة «أم أدرك» و«أم تدارك» فإن «أم» فيهما بمعنى «بل» والهمزة فإنكار لإدراك علمهم أي لانتهائه وتكامله. **قوله: (وما فيه بلى فإثبات لشعورهم)** فإنه لما قيل: بلى أدرك بعد قوله: ﴿وما يشعرون﴾ كان معناه بلى يشعرون. ثم فسر الشعور بإدراك علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكأنه قال: شعورهم بوقت الآخرة أنهم لا يعلمون كونها فيرجع إلى نفي الشعور على أبلغ ما يكون فقوله: «وتفسير له» إنما هو على قراءة «بلى أدرك» بغير همزة الاستفهام.

عمون أو ردّ وإنكار لشعورهم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾﴾ كالبيان لعمههم والعامل في «إذا» ما دل عليه «أئنا لمخرجون» وهو نخرج لا مخرجون لأن كلا من الهمزة وأن واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة في الإنكار. والمراد بالإخراج الإخراج من الأجداث أو من حال الفناء إلى الحياة. ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ من قبل وعد محمد عليه السلام. وتقديم «هذا» على «نحن» لأن المقصود بالذكر هو البعث وحيث أخر فالمقصود به المبعوث نظرًا إلى الاهتمام. ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ التي هي كالأسمار. ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ بتهديد لهم على التكذيب وتخويف بأن ينزل مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفًا للمؤمنين في ترك الجرائم.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ على تكذيبهم وإعراضهم. ﴿وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ﴾ في حرج صدر. وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان. وقرىء «ضيق» أي أمر ضيق. ﴿مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ من مكرهم فإن الله يعصمك من الناس ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ العذاب الموعود ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ تبعكم ولحقكم. واللام مزيدة للتأكيد أو الفعل مضمن معنى فعل يعدى باللام مثل دنا. وقرىء بالفتح وهو لغة فيه. ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ حلوله وهو عذاب يوم بدر. وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وإنما يطلقونه إظهارًا لوقارهم وإشعارًا بأن الرمزة منهم كالتصريح من غيرهم. وعليه جرى وعد الله تعالى ووعيده. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بتأخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة الإفضال وجمعهما فضول وفواضل. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون لجهلهم وقوعه. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ ما تخفيه. وقرىء بفتح التاء من كننت أي سترت ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾﴾ من عداوتك

وأما على قراءة «بلى آأرك» على الاستفهام فالمعنى حينئذ: بلى يشعرون متى يبعثون، بناء على أن «بلى» لإثبات شعورهم ويكون الاستفهام الذي بعدها لإنكار علمهم بوجود الآخرة وثبوتها، والمعنى: ما أدرك علمهم بنفس وقوع الآخرة فضلاً عن علمهم بوقت وقوعها على أن يكون المقصود من إنكار علمهم بنفس وقوع الآخرة نفي علمهم بوقت وقوعها بالطريق البرهاني. **قوله: (أو رّد وإنكار لشعورهم)** عطف على «إضراب عن التفسير» يعني أن قوله تعالى: ﴿بل هم في شك منها﴾ متعلق بالتفسير أو بالمفسر المستفاد من «بلى» وقوله: ﴿عمون﴾ جمع عم وهو أعمى القلب يقال: أعمى عليه الأمر إذا التبس، ورجل عمي القلب

فيجازيهم عليه. ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الرواية أو اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عافية وعاقبة. ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾ بين أو مبين ما فيه لمن يطالعه. والمراد اللوح أو القضاء على الاستعارة. ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ كالتشبيه والتنزيه وأحوال الجنة والنار وعزير والمسيح. ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى

أي جاهل. **قوله:** (وهما من الصفات الغالبة) جعلهما من قبيل الراوية دليل على أن ليس مراده من الصفات الغالبة الصفات التي غلبت عليها الاسمية لأن الراوية ليست من تلك المقولة لكونها من ألفاظ المبالغة بمعنى كثير الرواية، فينبغي أن يكون مراده الصفات الغالبة على آحاد جنسها من حيث القوة والكمال فتكون الغائبة والخافية بمعنى شديد الغيبوبة والخفية، وتكون التاء فيهما للدلالة على هذا المعنى كما في الراوية. ويحتمل أن لا يكونا صفتين بل يكونا اسمين لما يغيب ويخفى فتكون التاء فيهما كالتي في العافية والعاقبة من حيث كونهما اسمين بنيا على التاء مثلهما. ثم إنه تعالى لما قصّ أحوال الأنبياء مع أممهم وأنه دمر من خالفهم وعصاهم وأنجى من آمن بهم وأطاعهم وقال لكفار مكة على سبيل الإلزام والتبكيت ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩] وبيّن أنه خير بتفصيل ما يدل على قدرته الكاملة وآلائه المتكاثرة في تفرده بعلم الغيب والشهادة، وهدد منكري البعث بحملهم على النظر في أحوال المكذبين وما نزل بهم بشؤم تكذيبهم قال بعده: ﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾ تحريكًا للمشركين على اتباع القرآن. فإنه لما اشتمل على بيان الحكم والحق في أكثر ما اختلف فيه أهل الكتاب الذين هم في زمن رسول الله ﷺ ولم يجدوا مطعنًا في شيء مما قصه وبينه، وكان المشركون يرجعون إليهم في كثير من أمورهم، وعلموا عجزهم عن الطعن فيه ظهر لهم أن ما فيه من الشرائع وأصول القواعد الدينية كالتوحيد والحشر والنبوة وشرح صفات الله تعالى وبيان نعوت جلاله مطابق لما تقتضيه العقول السليمة وموافق لما في الكتب المتقدمة، وذلك يحرك لهم داعية القبول والاتباع. فإن قيل: إن بني إسرائيل يعلمون بأنفسهم ما اختلفوا فيه ولا يحتاجون في بيانه إلى القرآن. فالجواب. والله أعلم. أن المعنى أن هذا القرآن يبين لهم الحكم أو يبين لهم الحق في أكثر ما كانوا يختلفون فيه. وقيل: ذكر في مواضع من القرآن أن فيه بيان كل حكم حيث قال: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى﴾ [النحل: ٨٩] فما وجه قوله: يبين لهم الحكم في أكثر ما كانوا يختلفون فيه؟ وأجيب بأن المراد أنه يبين لهم أكثر ما اختلفوا فيه على طريق التنصيص والتصريح ويبيّن الباقي بطريقة الدلالة والإشارة، فإن البيان ضربان: صريح ودلالة.

﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ فإنهم المنتفعون به ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم﴾ بين بني إسرائيل ﴿بِحُكْمِهِۦ﴾ بما يحكم به وهو الحق أو بحكمته. ويدل عليه أنه قرىء «بحكمه» ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فلا يرد قضاؤه ﴿الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾﴾ بحقيقة ما يقضيه فيه وحكمته. ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ولا تبال بمعاداتهم ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره. ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ تعليل آخر للأمر بالتوكل من حيث إنه يقطع طمعه عن متابعتهم ومعاضدتهم رأسًا. وإنما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله: ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ فإن أسماعهم في هذه الحال أبعد. وقرأ ابن كثير «ولا يسمع الصم». ﴿وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ﴾ حيث الهداية لا تحصل إلا بالبصر. وقرأ حمزة «تهدي العمى» ﴿إِن تُسْمِعُ﴾ أي ما يجدي إسماعك ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ من هو في علم الله كذلك ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ مخلصون من أسلم وجهه لله.

قوله: (بما يحكم به وهو الحق) **جواب عما يقال: القضاء والحكم شيء واحد فقوله: «يقضي بحكمه» بمنزلة أن يقال: يقضي بقضائه أو يحكم بحكمه، فما معناه وفائدته؟ وتقرير الجواب أن الحكم بمعنى الحق المحكوم به أو بمعنى الحكمة. ويدل عليه قراءة من قرأ «بحكمه» جمع حكمة. قوله:** (فإن إسماعهم في هذه الحال أبعد) **بيان لفائدة التقييد بقوله:** ﴿إذا ولوا مدبرين﴾ **فإن الأصم إذا تولى مدبرًا ثم ناديته كان أبعد من الإسماع حيث انضم إلى صممه بعد المسافة. قوله:** (وقرأ ابن كثير ولا يسمع) **أي بفتح الياء التحتية ورفع الصم على الفاعلية. والباقون بالتاء المضمومة وكسر الميم والفاعل الضمير المستكن، وفيه نصب الصم والدعاء على أنهما مفعولاه. قوله تعالى:** (بهادي العمي عن ضلالتهم) **أي بمبعدهم عنها بالهدى كما يقال: سقاه عن العيمة أي أبعده عنها بالسقي والعيمة شهوة اللبن. ثم إنه تعالى تكلم فيما يتعلق بقيام الساعة فذكر أولاً من العلامات الواقعة عند قيامها دابة الأرض فقال:** ﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ **وأراد بالقول متعلقه ومدلوله وبوقوعه قربه من الوقوع بحيث يكون في حكم الواقع. والجساسة بالجيم المعجمة من يتجسس الحال ويتخبر خبرها ويتفحص عنها قيل: سميت الدابة جساسة لأنها تجس الكافر أي تطلبه. والزغب الشعرات الصفر على ريش الفرخ قيل في وصفها: إن لها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن إيل، وهو التيس الجبلي، وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير. وروي أن رأسها يبلغ السحاب وما بين قرنيها فرسخ للراكب. وروي أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج إلا ثلثها. وقيل: لا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة أيام. وروي: أن لها ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن زمانًا ثم تخرج قريبًا من مكة ثم تكمن**

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ إذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب. ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ وهي الجساسة. روي أن طولها ستون ذراعًا ولها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب. وروي أنه عليه الصلاة والسلام سئل من أين مخرجها فقال: «من أعظم المساجد حرمة على الله» يعني المسجد الحرام: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ من الكلام. وقيل: من الكلم إذ قرىء «تكلمهم». وروي أنها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه، وبالخاتم في أنف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه. ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ خروجها وسائر أحوالها فإنها من آيات الله تعالى. وقيل: القرآن. ﴿لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها أو حكايتها لقول الله. أو علة خروجها أو تكلمها على حذف الجار. قرأ الكوفيون «أن الناس» بالفتح وغير الكوفيين «إن الناس» بالكسر ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ يعني يوم القيامة ﴿مِّمَّن

دهرًا طويلاً، فبينا الناس في أعظم المساجد على الله حرمة يعني مكة لم تر عينهم إلا وهي في ناحية المسجد ما بين ركن الحجر الأسود وباب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط ذلك. وقيل: تخرج من الصفا ولا يخرج إلا رأسها وعنقها فيبلغ رأسها السحاب فيراه أهل المشرق والمغرب ثم تعود إلى مكانها ثم تزلزل الأرض في ذلك اليوم ست ساعات فيبيتون خائفين وإذا أصبحوا جاءهم الصريخ بأن الدجال قد خرج. قوله: (إذ قرىء تكلمهم) **بفتح التاء وسكون الكاف وضم اللام من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم. والجمهور على التشديد وهو من الكلام. ويجوز أن يكون من الكلم أيضًا ويكون بناء التفعيل لكثرة المحل كما في: غلقت الأبواب. قوله:** (وهو حكاية معنى قولها) **واعلم أنه قرأ الكوفيون «أن الناس» بفتح الهمزة والباقون بكسرها. ووجه القراءة بالكسر كون الكلام حكاية لقول الدابة إما لأن الكلام بمعنى القول، كأنه قيل: تقول لهم إن الناس، أو بإضمار القول أي تكلمهم وتقول لهم إن الناس، أو حكاية على تقدير أن يكون تكلمهم من الكلم بمعنى الجرح أي يقع عند ذلك حكاية منها لقول الله تعالى عند خروجها من الأرض، كأنه قيل: وتحدثهم قول الله تعالى:** ﴿إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ **ولما ورد أن يقال: لو كان الكلام حكاية من الله تعالى لقول الدابة لقيل إن الناس بخروجي وسائر أحوالي لا يوقنون. دفعه بقوله: «وهو حكاية معنى قولها» لأن قوله:** ﴿بآياتنا﴾ **يمنع كونه نفس قولها فينبغي أن يكون قولها هكذا: إن الناس كانوا لا يوقنون بخروجي وسائر أحوالي. لأن تلك الأحوال لما كانت من آيات الله تعالى كان كلامها بمعناه. قوله:** (أو علة خروجها أو تكلمها على حذف الجار) **أي لأن الناس. وهو توجيه لقراءة الكوفيين بفتح الهمزة. قوله:** (ويوم نحشر)

يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ بيان للفوج أي فوجًا مكذبين. و«من» الأولى للتبعيض لأن أمة كل نبي وأهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين. ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ يحبس. أولهم على آخرهم ليتلاحقوا، وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد أطرافهم. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ إلى المحشر ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾ الواو للحال أي أكذبتم بها بادي الرأي غير ناظرين فيها نظرًا يحيط علمكم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو التكذيب، أو للعطف أي أجمعتم بين التكذيب بها وعدم إلقاء الأذهان لتحققها. ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ أم أي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت إذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون أن يقولوا فعلنا غير ذلك. ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾ حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم في النار بعد ذلك. ﴿بِمَا ظَلَمُوا۟﴾ بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله. ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾ باعتذار لشغلهم بالعذاب.

منصوب باذكر مقدرًا أي واذكر يوم نجمع من كل أمة من أمم الأنبياء زمرة المكذبين بآياتنا المنزلة على أنبيائنا وبالآيات الدالة على وحدانيتنا في الأنفس والآفاق، فيحبس أولهم على آخرهم ليجتمعوا ثم يساقون إلى موضع الحساب حتى إذا جاؤوا إلى ذلك الموضع قال الله تعالى موبخًا لهم ومنكرًا عليهم ﴿أكذبتم بآياتي﴾ وهو استفهام توبيخ وإنكار. **قوله**: (أم أي شيء كنتم تعملـون) يريد أن «ماذا» بمنزلة اسم واحد وهو أي شيء منصوب المحل «بتعملون» الواقع خبرًا عن «كنتم». ويحتمل أن تكون «ما» استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء و«ذا» بمعنى الذي و«كنتم تعملون» صلة والموصول مع صلته خبر المبتدأ والعائد محذوف. والتقدير: أي شيء الذي كنتم تعملونه. و«أم» منقطعة والاستفهام الذي في ضمنه للتبكيت وإلزام الخصم بحمله على أن يقر بالذي سئل عنه أولاً على طريق التوبيخ والإنكار وبّخهم أولاً بقوله: ﴿أكذبتم بآياتي﴾ بادي الرأي ثم أضرب عنه إلى استفهام تقرير وتبكيت كأنه قيل: دعوا ما نسبته إليكم من التكذيب وقولوا لي أي شيء كنتم تعملونه غير التكذيب؟

قوله: (ووقع القول) عطف على قوله: ﴿قال أكذبتم بآياتي﴾ والقول بمعنى العذاب المقول الموعود للمكذبين وقوله بعد ذلك ظرف لقوله: «حل» أي حل بهم العذاب الموعود بعد أن خوطبوا خطاب التوبيخ والتبكيت وكبوا على وجوههم في النار ثم قال: ﴿فهم لا ينطقون﴾ كما قال في آية أخرى: ﴿هَـٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦] فكيف يقدر على النطق والاعتذار من استغرق في مقاساة عذاب الجحيم؟ وقال قتادة: كيف ينطقون ولا حجة لهم؟ وقيل: لا ينطقون لأن أفواههم مختومة. وقيل: لا ينطقون بما يكون لهم حجة أو عذر في الشرك والتكذيب ولا حجة لهم ولا عذر. ثم إنه

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم إلى تجويز الحشر وبعثة الرسل لأن تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون إلا بقدرة قاهر، وأن من قدر على إبدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على إبدال الموت بالحياة في مواد الأبدان، وأن من جعل النهار ليبصروا فيه سببًا من أسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم. ﴿أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ بالنوم والقرار ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ فإن أصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الإبصار حالاً من أحواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾ لدلالتها على الأمور الثلاثة. ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ في الصور أو القرن. وقيل: إنه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش إذا نفخ في البوق. ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من الهول. وعبّر عنه بالماضي لتحقق وقوعه. ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن لا يفزع بأن ثبت قلبه. قيل: هم جبريل

تعالى لما خوّفهم بأهوال القيامة ذكر كلامًا يصلح أن يكون دليلاً على التوحيد وعلى الحشر وعلى النبوة مبالغة في الإرشاد إلى الإيمان والمنع عن الكفر فقال: ﴿أو لم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرًا﴾ مضيئًا يبصر فيه. أما وجه دلالته على التوحيد فما ذكره بقوله: «لأن تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص» الخ وأما وجه دلالته على الحشر فما ذكره بقوله: «وأن من قدر على إبدال الظلمة بالنور» الخ وأما وجه دلالته على بعثة الرسل فما ذكره بقوله: «وأن من جعل النهار ليبصروا فيه سببًا من أسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم» وهو بعثة الرسل. **قوله**: (فإن أصله ليبصروا فيه) تعليل لكون التقابل مراعى من حيث المعنى في قوله: ﴿ليسكنوا﴾ و ﴿مبصرًا﴾ وإن كان الأول علة لجعل الليل أي خلقه والثاني حالاً من النهار من حيث الإعراب. ووجه التعليل أن المعنى: خلقنا الليل ليكون زمانًا لسكون أهله وخلقنا النهار ليكون زمانًا لإبصارهم، إلا أنه أسند الإبصار إلى النهار وجعل حالاً من أحواله اللازمة للمبالغة مثل صائم نهاره، ضرورة أن الإبصار لا يقوم بنفس النهار وإنما يقوم بأهله. فلما قيل: ﴿والنهار مبصرًا﴾ تعيّن أن المراد إبصار أهله فيه. وإنما أسند إلى نفس النهار للمبالغة في كونه ظرفًا لإبصار أهله. و «يوم ينفخ» منصوب باذكر مقدرًا وقيل: ناصبه متأخر عنه وهو قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ [النمل: ٨٩] ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ [النمل: ٩٠]. **قوله**: **(في الصور أو القرن)** يعني يحتمل أن يكون الصور جمع صورة كالصور يقال: صورة وصور وصور كما يقال: سورة وسور وسور، فحينئذ يكون النفخ في الصور عبارة عن نفخ الأرواح في صور الخلائق وأجسادهم. ويحتمل أن يكون لصور عبارة عن شيء يشبه القرن وأن إسرافيل ينفخ فيه بإذن الله، فإذا سمع الناس ذلك الصوت وهو في الشدة بحيث لا تتحمله طبائعهم يفزعون

وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل. وقيل: الحور والخزنة وحملة العرش. وقيل: الشهداء. وقيل: موسى لأنه صعق مرة. ولعل المراد ما يعم ذلك. ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ﴾ حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية أو راجعون إلى أمره. وقرأ حمزة وحفص «أتوه» على الفعل. وقرىء «أتاه» على توحيد لفظ الكل. ﴿دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ صاغرين. وقرىء «دخرين» ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ ثابتة في مكانها ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ في السرعة. وذلك لأن

عنده ويصعقون ويموتون. وإلى هذا القول ذهب أكثر المفسرين ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام: «كيف وصاحب الصور قد التقم القرن وحنا جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ». روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه سئل عن الصور، فقال: «هو القرن وأن عظم دائرته، أي فمه، مثل ما بين السماء والأرض فينفخ فيه نفخة فيفزع الخلق، فينفخ نفخة أخرى فيموت أهل السمٰوات والأرض فإذا كان وقت النفخة الثانية جمعت الأرواح كلها في الصور ثم ينفخ الأخرى فتخرج الأرواح كلها منه كالنحل والزنابير ويأتي كل روح إلى جسده وتمسك به». من قال النفخ ثلاث: إحداها للفزع وهو قوله: ﴿ففزع من في السمٰوات ومن في الأرض﴾ **ونفخة أخرى للموت وهو قوله:** ﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ **[الزمر: ٦٨] ونفخة ثالثة للبعث وهو قوله:** ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ **[الزمر: ٦٨] وقال بعضهم: إنما هي نفختان فالفزع والصعق كنايتان عن الهلاك، والنفخة الثانية للبعث. قال ابن عباس ومقاتل في قوله تعالى:** ﴿ففزع من في السمٰوات ومن في الأرض﴾ **أي ماتوا بشدة الخوف وفي قوله:** ﴿فصعق من في السمٰوات﴾ **الآية أي يبلغ منهم الفزع إلى أن يموتوا. ويحتمل أن لا يكون هناك قرن فضلاً عن أن ينفخ فيه حقيقة، ويكون ذكر النفخ فيه مستعارًا لمسارعة الموتى إلى الانبعاث من قبورهم عند سماع صوت الداعي تشبيهًا لانبعاثهم بمجرد سماع صوت الداعي بانبعاث الجيش عند سماع صوت الآلة من غير توقف ولا تخلف أحد منهم. قوله:** (حاضرون الموقف) **اختار قراءة «آتوه» على لفظ اسم الفاعل المضاف إلى مفعوله، فإن حمزة وحفصًا قرأ «آتوه» فعلاً ماضيًا والهاء في محل النصب على المفعولية، والباقون «آتوه» باسم فاعل مضاف إلى الهاء. قوله:** (ثابتة في مكانها) **يقال: جمد في مكانه إذا لم يبرح وقوله:** ﴿تحسبها جامدة﴾ **جملة حالية من فاعل «ترى» أو مفعوله لأن الرؤية بصرية وقوله: «وهي تمر» جملة حالية من مفعول «تحسبها جامدة». والمعنى: إنك إذا رأيت الجبال وقت النفخة الأولى ظننتها ثابتة في مكانها جدًا لعظمتها، لأن النظر لا يحيط بها وهي في الحقيقة تسير سيرًا سريعًا كالسحاب إذا ضربتها الريح فإن الأجسام الكبار إذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد من السمت والكيفية يظن من نظر إليها أنها واقفة، ألا ترى السماء لا تحس حركتها؟ قال تعالى:** ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾

الأجرام الكبار إذا تحركت في سمت واحد فلا تكاد تتبين حركتها. ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقدمة كقوله: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٢٢] وآيات أخرى. ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أحكم خلقه وسواه على ما ينبغي ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ عالم بظواهر الأفعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال:

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ إذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة بواحدة. وقيل: «خير منها» أي خير حاصل من جهتها وهو الجنة. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام «خبير بما يفعلون» بالياء والباقون بالتاء. ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾

[طه: ١٠٥] أي يقلعها عن أماكنها ويسيرها كما يسير السحاب بالريح حتى تقع على الأرض فتستوي بها.

قوله: (مصدر مؤكد لنفسه) **يعني أن قوله:** ﴿صنع الله﴾ **مفعول مطلق وجب حذف عامله لكونه تأكيدًا لمضمون الجملة المتقدمة التي لا محتمل لها غيره، فإن قوله:** ﴿وهي تمر مر السحاب﴾ **بل جميع ما تقدم من نفخ الصور المؤدي إلى الفزع العام وحضور الكل الموقف وما فعل بالجبال، إنما هو من صنع الله تعالى لا محتمل له غيره فلما كان هذا المصدر تأكيدًا لمضمون تلك الجملة ولم يكن لها محتمل غيره صار كأنه مؤكد لنفسه ووجب حذف ناصبه، لكون الجملة المتقدمة كالنائب عنه، والأصل صنع ذلك صنعًا فلما حذف العامل أضيف المصدر إلى فاعله لأنه لم يذكر في الجملة المتقدمة. وهذا التقدير يقتضي أن يقال: وهو مضمون الجملة المتقدمة بدون اللام الجارة والمعنى: وذلك المؤكد بهذا المصدر هو مضمون الجملة، كما وجد في بعض النسخ إلا أن الموجود في أكثر النسخ وهو لمضمون الجملة باللام فالمعنى على هذا أنه مصدر مؤكد لنفسه الذي هو الحدث المدلول عليه بلفظ عامله المحذوف، وهذا المؤكد مع مؤكده المحذوف مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة. قوله:** (وقيل خير منها أي خير حاصل من جهتها) **فيكون «خير» صفة بمعنى شيء فاضل مرغوب فيه وتكون «من» متعلق بمقدر وهي مع متعلقها المقدر في محل الرفع صفة لخير. وعلى الأول يكون «خير» اسم تفضيل بمعنى الأفضل و«من» متعلقة به. ولم يرض المصنف بهذا التوجيه لأن المتبادر من لفظ الخير كونه للتفضيل وكون كلمة «من» الواقعة بعده صلة له لا لمقدر. ومن ذهب إلى هذا التوجيه إنما ذهب إليه دفعًا لما يقال من أن الحسنة التي جاء بها العبد تتناول معرفة الله تعالى والإخلاص في الطاعات والثواب الذي هو الجنة إنما هو الأكل والشرب فكيف يجوز أن يقال: الأكل والشرب خير من معرفة الله تعالى؟ ولما جعل معنى الآية من جاء بالحسنات في الدنيا فله في الآخرة ثواب وخير يناله من أجل ما جاء به من تلك الحسنات، لم يرد ذلك. والمصنف اختار أن تحمل الآية على ما هو المتبادر منها**

يعني به خوف عذاب يوم القيامة وبالأول ما يلحق الإنسان من التهيب لما يرى من الأهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن. وقرأ الكوفيون بالتنوين لأن المراد فزع واحد من إفزاع ذلك اليوم «وأمن» يعدّى بالجار وبنفسه كقوله: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٩] وقرأ الكوفيون ونافع «يومئذ» بفتح الميم والباقون بكسرها ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ قيل بالشرك ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ فكبّوا فيها على وجوههم. ويجوز

وجعل ثواب الآخرة خيرًا من الحسنات التي جاء بها العبد في الدنيا لأن أجل حسناته هي معرفة الله تعالى وإخلاص العمل له، لأن المعرفة الضرورية الحاصلة في الآخرة ولذة النظر إلى وجهه الكريم أجل وأشرف من المعرفة النظرية الحاصلة في الدنيا، وأن ما جاء به من الأعمال الخالصة فانية مشوبة بأنواع التقصير واقعة بأنواع المشقة ومخالفة الهوى، وأفعال أهل الجنة سالمة من اللغو والتأثيم صافية عن كدر المشقة والتكليف وشأنهم حال استغراقهم فيما يشتهون من اللذائذ مشاهدة جمال من أنعم بها وتمجيد عظيم شأنه وعلو كبريائه والأنس بتقديسه وتمجيده طبعًا والتذاذًا لا فرضًا وتكليفًا، وليس حالهم كحال المتنعمين في الدنيا من الاشتغال بالنعمة عن المنعم فأي مناسبة بين أحوالهم في الجنة وأحوالهم في الدنيا؟ **قوله:** (**يعني به خوف عذاب يوم القيامة**) إشارة إلى دفع التدافع بين قوله: ﴿ففزع من في السموٰات ومن في الأرض﴾ وبين قوله: ﴿وهم من فزع يومئذ آمنون﴾ فإن من قرأ من «فزع يومئذ» بالإضافة يحمل الفزع على الفزع المختص بذلك اليوم وهو فزع العذاب الأليم والعقاب الدائم وأهل الجنة آمنون منه، وأما ما يلحق الإنسان من التهيب والرعب لما يرى من الأهوال والعظائم على ما عليه الجبلة البشرية فإنه يعم الكافر والمؤمن. وتنوين «يومئذ» عوض عن المضاف إليه فإن «إذ» تضاف إلى الجملة وقد حذفت ههنا وعوض عنها التنوين. وأشار المصنف بقوله: «يعني به خوف عذاب يوم القيامة» إلاّ أنه اختار قراءة من قرأ بإضافة «فزع» إلى «يوم» وأن الجملة التي أضيف إليها «إذ» في الأصل هي قامت القيامة والأصل يوم إذ قامت القيامة، وهو أحسن من أن يجعل التقدير: يوم إذ جاء بالحسنة أو يوم إذ ترى الجبال أو يوم إذ ينفخ في الصور. **قوله:** (**وقرأ الكوفيون بالتنوين**) للإفراد والتعظيم. وقرأ الآخرون بالإضافة. وعلى قراءة التنوين يكون «يومئذ» منصوبًا بالمصدر لكونه مؤولاً بأن مع الفعل تقديره: وهم من أن يفزعوا يومئذ أو بآمنون أي آمنون يومئذ، وعلى الإضافة يكون «يومئذ» مبنيًا على الفتح لكونه مضافًا إلى «إذ» وهو غير متمكن. **قوله:** (**وأمن يعدّى بالجار**) كما في هذه الآية فإن «من» فيها صلة «آمنون». **قوله:** (**فكبّوا فيها**) لأن ما يكب ويلقى في النار ليس وجوههم وحدها إلا أنه أسند الكب إليها إيذانًا بأنهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين. ووجه الإيذان أنه لما اكتفى بذكر الوجوه ومن المعلوم أنه لا يمكن إلقاء الوجوه في النار مع

أن يراد بالوجوه أنفسهم كما أريدت بالأيدي في قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٥] ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ على الالتفات أو بإضمار القول أي قيل لهم ذلك.

﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ أمر الرسول بأن يقول لهم ذلك بعد ما بين المبدأ والمعاد وشرح أحوال القيامة إشعارًا بأنه قد أتم الدعوة وقد كملت وما عليه إلا الاشتغال بشأنه والاستغراق في عبادة ربه. وتخصيص مكة بهذه الإضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها. وقرىء «التي حرمها» ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ خلقًا وملكًا ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ المنقادين أو الثابتين على ملة الإسلام ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ وأن أواظب على تلاوته لينكشف لي حقائقه في تلاوته شيئًا فشيئًا، أو اتباعه. وقرىء و«أتل عليهم» و«أن اتل». ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ باتباعه إياي في ذلك. ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ فإن منافعه عائدة إليه ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ بمخالتي ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ فلا علي من وبال ضلاله شيء إذ ما على الرسول إلا البلاغ وقد بلغت. ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ عليَّ نعمة النبوة، أو علي ما علمني ووفقني للعمل به ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ القاهرة في الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الأرض، أو في الآخرة ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ فتعرفون أنها آيات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ فلا تحسبوا أن تأخير عذابكم لغفلته عن أعمالكم. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بالياء. عن النبي عليه الصلاة والسلام: «من قرأ سورة طس كان

كون ما وراءها خارجًا عنها، علم أن الوجوه أصل في ذلك وأنها أول ما يلابس النار وأن ما وراءها تابع لها. **قوله:** (وقرىء التي حرمها) صفة للبلدة. وقرأ الجمهور «الذي» صفة للرب عز وجل. والكلام مسوق لتعظيم الرب تعالى لا لتوصيف البلدة فلذلك كانت قراءة العامة واضحة. والمعنى: جعلها الله تعالى مأمنًا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا يعضد أشجارها واللاجىء إليها آمن. والخلا بالقصر النبات ما دام رطبًا فإذا يبس فهو حشيش ومعنى لا يعضد: لا يقطع. **قوله:** (وأن أواظب على تلاوته) على أن يكون «أتلو» من التلاوة وهي القراءة. ثم جوّز كونه من التلو وهو الاتباع لأوامره ونواهيه كما قال: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ١٠٩]. **قوله:** (وقرىء واتل عليهم) أي هذا القرآن أمرًا له عليه الصلاة والسلام بتلاوته على أهل مكة وهو معطوف على الأمر المقدر قبل قوله: ﴿إنما أمرت﴾ فإن تقديره: قل للمشركين أمرت أن أخص الله تعالى وحده بالعبادة. وقد أشار إليه المصنف بقوله: «أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بأن يقول لهم ذلك». وإن قرىء «وأن اتل» يكون على حكاية لفظ الأمر و«أن» يجوز أن تكون مصدرية موصولة بالأمر وأن تكون

له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وكذب به وهود وصالح وإبراهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله».

مفسرة كما يقال: أمرته أن قم. والحمد لله. تمت وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا إلى يوم الدين.

سورة القصص

مكية وقيل إلا قوله: ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ إلى قوله: ﴿الجاهلين﴾ وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓمٓ (١) تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ (٢) نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ﴾ نقرأه بقراءة جبرائيل. ويجوز أن يكون بمعنى ننزله مجازًا. ﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ بعض نبئهما مفعول «نتلو» ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ محقين ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣)﴾ لأنهم المنتفعون به ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ استئناف مبين لذلك البعض. والأرض أرض مصر. ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ فرقًا يشيعونه فيما يريد أو يشيع بعضهم بعضًا في طاعته أو أصنافًا في

سورة القصص

مكية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (نقرأه بقراءة جبريل عليه الصلاة والسلام) **فيكون إسناد التلاوة من قبيل إسناد الفعل إلى السبب الآمر إسنادًا مجازيًا. وعلى الثاني يكون المجاز في المفرد ويكون «نتلو» استعارة تبعية حيث شبّه التنزيل بالتلاوة من حيث إن كل واحد منهما من قبيل التبليغ فاستعير اسم التلاوة للتنزيل استعارة أصلية ثم اشتق منه «نتلو». قوله:** (محقين) **إشارة إلى أن قوله «بالحق» في موضع الحال من فاعل «نتلو» كقوله تعالى:** ﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ **[المؤمنون: ٢٠] وقوله: «لقوم» متعلق بقوله: «نتلو» أي نتلوه لأجلهم. قوله:** (استئناف مبين لذلك البعض) **أي الذي أجمل من قوله:** ﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ **[القصص: ٣] كان**

استخدامه استعمل كل صنف في عمل، أو أحزابًا بأن أغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه. ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾ وهم بنو إسرائيل. والجملة حال من فاعل «جعل» أو صفة «شيعا» أو استئناف. وقوله: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ بدل منها وكان ذلك لأن كاهنًا قال له: يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك على يده. وذلك كان من غاية حمقه فإنه لو صدق لم يندفع بالقتل وإن كذب فما وجهه. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من أولاد الأنبياء لتخيل فاسد. ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أن نتفضل عليهم بإنقاذهم من بأسه. و«نريد» حكاية حال ماضية معطوفة على «أن فرعون علا» من حيث إنهما واقعان تفسيرًا للنبأ أو حال من يستضعف، ولا يلزم من مقارنة الإرادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز أن يكون تعلق الإرادة به حينئذ تعلقًا استقباليًا، مع أن منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز أن يجري مجرى المقارن. ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ مقدمين في أمر الدارين ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾ لما كان في ملك فرعون وقومه ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر والشام. وأصل التمكين أن تجعل للشيء مكانًا يتمكن فيه. ثم استعير للتسليط وإطلاق الأمر. ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم﴾ من بني

قائلاً قال وكيف نبأهما؟ فقيل: ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ **قوله:** (وذلك كان من غاية حمقه) قال الزجاج: والعجب من حمق فرعون أن هذا الكاهن إن كان عنده صادقًا فما ينفع القتل وإن كان كاذبًا فما معنى القتل؟ **قوله:** (أو حال من يستضعف) أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم أي ننعم عليهم بخلاصهم منه. وقدر «نحن» لتكون جملة اسمية يعني ليصح دخول الواو، فإن المضارع المثبت إذا وقع حالاً لا يدخله الواو ولما جوّز كونه حالاً ورد أن يقال: جعله حالاً يستلزم اجتماع المتنافيين وهما استضعاف فرعون إياهم وإرادة الله المنة عليهم لأن الله تعالى إذا أراد شيئًا كان ولم يتوقف إلى وقت آخر، فيلزم من مقارنة الإرادة للاستضعاف مقارنة المراد له وهما: اجتماع المتنافيين لأن إرادته تعالى أزلية مستمرة فتكون مقارنة لاستضعافه إياهم ويكون المراد حادثًا عند تعلق الإرادة به ولا استحالة في أن يريد الله تعالى حال استضعافه إياهم أن يمن عليهم بالخلاص في وقت قدره وقضاه، وإنما الاستحالة في أن تتعلق إرادته بخلاصهم حال الاستضعاف وذلك غير لازم من جعله حالاً.

وهذا الجواب لا يتأتى على مذهب المعتزلة فإنهم قالوا: إرادة الله تعالى حادثة لا في محل قائمة بذاتها لا بذاته تعالى، فيلزم من كون قوله: ﴿ونريد أن نمن﴾ حالاً من فاعل «يستضعف» أن تقارن الإرادة الاستضعاف ومقارنتها له تستلزم مقارنة المراد له على مذهب المعتزلة وهي اجتماع المتنافيين. والجواب عن مذهبهم ما أشار إليه بقوله: «مع أن منة الله

إسرائيل. ﴿مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾ من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم. وقرىء و«يرى» بالياء و«فرعون وهامان وجنودهما» بالرفع.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾ بإلهام أو رؤيا. ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ ما أمكنك إخفاؤه. ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ بأن يحس به ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ في البحر يريد النيل. ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ عليه ضيعة ولا شدة. ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ لفراقه ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ عن قريب

بخلاصهم» الخ وخلاصته أن الله تعالى لما أراد أن يمن على بني إسرائيل بعد هلاك فرعون ونجاتهم منه، وكانت تلك المنة قريبة الوقوع، جعلت كأنها واقعة مقارنة لاستضعافهم. **قوله:** (وقرىء ويرى بالياء) أي قرأ حمزة والكسائي و«يرى» بفتح الياء والراء مضارع «رأى» مسندًا إلى فرعون وما عطف عليه. فلذلك قرآ الأسماء الثلاثة بالرفع. وقرأ الباقون بضم النون وكسر الراء وفتح الياء بعدها مضارع «أرى» فلذلك نصب فرعون وما عطف عليه مفعولاً أولاً و«ما كانوا» هو ثاني المفعولين و«منهم» متعلق بفعل الرؤية أو الإراءة لا «بيحذرون» لأن ما بعد الموصول لا يعمل فيما قبله. **قوله:** (وأوحينا إلى أم موسى بإلهام أو رؤيا) ذهب عامة المفسرين إلى أن الوحي ههنا لم يكن بإرسال رسول إليها من الملائكة وإخبار لها بواسطتهم، لأنه لو كان وحي إرسال لكانت رسولاً وذلك لا يجوز كما قيل:

وما كانت رسولاً قط أنثى ولا عبد وشخص ذو افتعال

أي ولا رجل ذو كذب لأنه يجب تصديق النبي عليه الصلاة والسلام والكاذب لا يجب تصديقه. وكذا لا يجوز أن يكون العبد نبيًا لأن الرقبة أثر من الكفر والكفر لا يجوز على الأنبياء. وكذا لا يجوز أن تكون المرأة نبيًا فإن أهل السنة والجماعة اتفقوا على أن الذكورة شرط للرسالة لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم﴾ [يوسف: ١٠٩] وفيه بحث لأنه وإن جاز أن تلهم هي إرضاعه وإلقاءه في اليم كيف يجوز أن تلهم ﴿إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ فإنه لا سبيل إلى معرفة ذلك وعلمه إلا بطريق المشافهة والقول الصريح من أحد. ويجوز أن يوحى إليها بإرسال رسول يخبرها بذلك مشافهة ولا يستلزم ذلك كونها رسولاً كما في قصة مريم من أن جبريل عليه الصلاة والسلام أرسل إليها وقال لها: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩] فقد أوحي إليها بإرسال الملك إليها ولم تصر بذلك رسولاً، فلم لا يجوز أن يكون الوحي إلى أم موسى كذلك؟ وكانت أم موسى بنت لاوي بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام. **قوله:** (ولا تخافي عليه ضيعة ولا شدة) إشارة إلى الفرق بين الخوف والحزن. إذ الخوف غم يلحق الإنسان لمتوقع لم يقع بعد وهو بصدده، والحزن كالحزن لغتان بمعنى كالعدم والعدم غم يلحقه

بحيث تأمنين عليه. ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ روي أنها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني إسرائيل فعالجتها، فلما وقع موسى على الأرض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها عن السعاية، فأرضعته ثلاثة أشهر. ثم ألح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فأخذت له تابوتًا فقذفته في النيل. ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ تعليل لالتقاطهم إياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيهًا له بالغرض الحامل عليه. وقرىء حمزة والكسائي «حزنًا» ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ۝٨﴾ في كل شيء فليس ببدع منهم أن قتلوا ألوفًا لأجله ثم أخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون، أو مذنبين فعاقبهم الله تعالى بأن ربي عدوهم على أيديهم. فالجملة اعتراض لتأكيد خطئهم أو لبيان الموجب لما ابتلوا به. وقرىء «خاطين» تخفيف خاطئين أو «خاطين» الصواب إلى الخطأ ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ أي لفرعون حين أخرجته من التابوت. ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ﴾ هو قرة عين لنا لأنهما لما رأياه أخرج من التابوت أحباه، أو لأنه كانت له ابنة برصاء وعالجها الأطباء بريق حيوان بحري يشبه الإنسان

لواقع وهو فراقه والإخبار به فنهيت عنهما جميعًا وأومأت بالوحي إليها ووعدت ما يسليها ويسكن قلبها وهو قوله تعالى: ﴿إنا رادوه إليك﴾ **لتكوني أنت المرضعة** ﴿وجاعلوه من المرسلين﴾ **إلى أهل مصر والشام.**

قوله: (فليس ببدع منهم أن قتلوا ألوفًا) **روي أنه ذبح في طلب موسى تسعون ألف وليد سعوا في دفع قضاء الله تعالى بما لا طائل تحته، ثم أخطأوا في التقاط سبب هلاكهم وربوه بأيديهم وتبنوه وليس ذلك إلا لأن قدر الله تعالى كائن لا محالة وأن الحذر لا يغني من القدر. قوله:** (فالجملة اعتراض) **يعني أن قوله تعالى:** ﴿إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ **جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وأن قوله:** ﴿وقالت امرأة فرعون﴾ **معطوف على قوله:** ﴿فالتقطه آل فرعون﴾ **فقوله: «خاطئين» إن كان مأخوذًا من الخطأ ضد الصواب يكون الاعتراض لتأكيد خطاهم في الالتقاط فإن معنى** ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًا﴾ **فأخطأوا والتقطوا عدوهم فأكد هذا المعنى بالمعترضة. وإن كان مأخوذًا من الخطىء بمعنى الذنب يكون الاعتراض لبيان الموجب لما ابتلوا به كأنه قيل: إنهم خاطئين آثمين بالكفر والمعاصي فعوقبوا على ذلك بما جرى عليهم بسببه. قوله:** (هو قرة عين لنا) **يريد أن** ﴿قرة عين﴾ **خبر مبتدأ محذوف وقوله:** ﴿لي ولك﴾ **صفتان لقرة. روي أنه لما رآه أعوان قوم فرعون قالوا: هذا هو الذي تحذر منه فائذن لنا في قتله. فهمّ فرعون بذلك فقالت آسية:** ﴿قرة عين لي ولك لا تقتلوه﴾ **فإن الله تعالى أتانا به من أرض أخرى وليس من بني**

فلطخت برصها بريقه فبرئت. وفي الحديث: «إنه قال: لك لا لي، ولو قال: لي كما هو لك لهداه الله كما هداها». ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ خطاب بلفظ الجمع للتعظيم ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ فإن فيه مخايل اليمن ودلائل النفع. وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه إبهامه لبنًا وبرء البرصاء بريقه. ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ أو نتبناه فإنه أهل له. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ حال من الملتقطين أو من القائلة والمقول له أي وهم لا يشعرون أنهم على الخطأ في التقاطه، أو في طمع النفع منه والتبني له، أو من أحد ضميري «نتخذه» على أن الضمير للناس أي وهم لا يشعرون أنه لغيرنا وقد تبنيناه. ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ صفرًا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣] أي خلاء لا عقول فيها. ويؤيده أنه

إسرائيل وقالت: ﴿عسى أن ينفعنا﴾ **فلما قالت ذلك قال فرعون: عسى أن ينفعك أما أنا فلا أريد نفعه. قال وهب عن ابن عباس رضي الله عنهما: لو أن عدو الله قال موسى كما قالت امرأته آسية** ﴿عسى أن ينفعنا﴾ **لنفعه الله تعالى به ولكنه أبى للشقاء الذي كتبه الله عليه. ومعناه: أنه لو لم يكن مطبوعًا على قلبه لقال مثل قولها ولأسلم كما أسلمت. قال المفسرون: كانت آسية لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال لآسية: سميه. قالت: سميته موشى لأنا وجدناه في الماء والشجر فمو: هو الماء وشى: هو الشجر. قال الإمام: كان لفرعون بنت ولم يكن له ولد غيرها وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها إليه وكان بها برص شديد، وكان فرعون قد شاور الأطباء والسحرة في أمرها فقالوا: أيها الملك لا تبرأ هذه إلا من البحر يؤخذ منه شبه الإنس فتأخذ من ريقه فتلطخ به برصها فتبرأ من ذلك، وذلك في يوم كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس. فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون في مجلس كان له على شفير النيل ومعه آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على الشاطىء إذ أقبل النيل بتابوت تضربه الأمواج وتعلق بشجرة فقال فرعون: ائتوني به. فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه، فنظرت آسية فرأت نورًا في جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته وفتحته فإذا هي بصبي صغير في مهده، وإذا نور في عينيه. فألقى الله محبته في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون إلى ريقه فلطخت به برصها فبرئت وضمته إلى صدرها، فقالت الغواة من قوم فرعون: إنّا نظن أن هذا الذي نحذر منه رمي البحر خوفًا من ذبحه. فهمّ فرعون أن يقتله فاستوهبته امرأة فرعون وتبنته فترك قتله. قوله:** (أو من أحد ضميري نتخذه) **فتكون الجملة من كلام امرأة فرعون. وعلى تقدير كونه حالاً من «آل فرعون» أو من القائلة والمقول له يكون من كلام الباري. قوله:** (صفرًا من العقل) **أي حتى**

قرىء «فرغا» من قولهم: دماؤهم بينهم فرغ، أي هدرًا من الهم لفرط وثوقها بوعد الله تعالى أو لسماعها أن فرعون عطف عليه وتبناه. ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ﴾ أنها كادت لتظهر بموسى أي بأمره وقصته من فرط الضجرة أو الفرح بتبنيه. ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ بالصبر والثبات. ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ من المصدقين بوعد الله أو من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه. وقرىء «مؤسى» إجراء للضمة في جار الواو مجرى ضمتها في استدعاء همزها همزوا ووجوه، وهو علة الربط وجواب «لولا» محذوف دل عليه ما قبله. ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ﴾ مريم ﴿قُصِّيهِ﴾ اتبعي أثره وتتبعي خبره. ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ عن بعد. وقرىء «عن جانب» و«عن جنب» وهو بمعناه. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾ أنها تقص أو أنها أخته.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ ومنعناه أن يرتضع من المرضعات جمع مرضع أو

ذهلت عن الوحي الذي أوحي إليها ﴿أن ألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك﴾ وروي أنه جاءها الشيطان وقال لها: كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجر، فتوليت أنت إهلاكه فألقيته في البحر فأوقعه البحر في يد عدوه. **قوله:** (أو من الهم) عطف على قوله: «من العقل». والفرغ بكسر الفاء وسكون الراء والغين المعجمة الهدر. **قوله:** (إنها كانت لتظهر) يريد أن «أن» مخففة واللام فارقة فالباء في «به» مزيدة في المفعول أي لتظهره وتقول إنه ابنها، أو تقول: وابناه. وقوله: ﴿لولا أن ربطنا﴾ جوابه محذوف أي لأبدت كقوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤]. **قوله:** (من فرط الضجرة) مبني على كون قوله فارغًا بمعنى صفرًا من العقل وقوله: «أو الفرح» مبني على كونه بمعنى صفرًا من الهم، فكما أن فرط الضجرة يصح كونه مؤديًا إياها إلى إظهار أمر موسى فكذا الفرح بما سمعته من أن فرعون أحبه وأكرمه وتبناه يصح كونه مؤديًا إليه أيضًا، لا سيما وقد انضم إليه الاعتماد على تكفل الله تعالى بمصلحته. فإن قيل: كيف يكون فؤادها فارغًا من الهم والحزن والله تعالى يقول: ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ وهل يربط إلا على قلب الجازع المحزون؟ قلنا: الحصر ممنوع فإنه تعالى كما يربط على قلب الجازع الحزين يربط على قلب الواثق بوعد الله تعالى وضمانه. ومعنى الربط على القلب إلهامه الصبر وتقويته كما يربط على الشيء المتقلب ليقر ويطمئن. وقوله: ﴿لتكون من المؤمنين﴾ متعلق «بربطنا» أي ربطنا على قلبها لتكون من المصدقين بوعد الله تعالى وهو قوله: ﴿إنا رادوه إليك﴾ وقوله: «أو من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون» مرتبطًا بقوله: «أو الفرح بتبنيه».

قوله تعالى: (فبصرت به) أي أبصرته فإن بصر به وأبصره بمعنى واحد. **قوله:** (ومنعناه أن يرتضع) لما كان التحريم الحقيقي لكونه عبارة عن النهي واقتضاء ترك الفعل غير متصور

مرضع وهو الرضاع أو موضعه يعني الثدي. ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل قصها أثره. ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾ لأجلكم ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾ لا يقصرون في إرضاعه وتربيته. روي أن هامان لما سمعها قال: إنها لتعرفه وأهله فخذوها حتى تخبر بحاله. فقالت: إنما أردت ﴿وهم للملك ناصحون﴾ فأمرها فرعون بأن تأتي بمن يكفله فأتت بأمها وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال: من أنت منه فقد أبى كل ثدي إلا ثديك؟ فقالت: إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتي بصبي إلا قبّلني. فدفعه إليها وأجرى عليها فرجعت به إلى بيتها من يومها. وهو قوله: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بولدها ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ بفراقه ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ علم مشاهدة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

ههنا لكونه فرع التكليف جعل التحريم مستعارًا للمنع من الارتضاع بأن شبه المنع بالتحريم للمناسبة بينهما في التأدية إلى الامتناع، فأطلق عليه اسم التحريم واشتق منه «حرمنا». فإنه تعالى منعه أن يرتضع ثدي كل مرضع إما بأن أحدث في طبعه عليه الصلاة والسلام النفرة عن لبن سائر النساء فلذلك لم يرضع، أو أحدث في لبنهن من الطعم ما يتنفر منه طبعه، أو وضع في لبن أمه لذة فلما تعودها أي تعود موسى عليه الصلاة والسلام لبن أمه لا جرم كان يكره لبن غيرها. فإنه روي أن أمه قد أرضعته ثلاثة أشهر حتى عرف ريحها فلا يبعد أن لا يقبل لبن غيرها لذلك. والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع، أو مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي، أو مصدر بمعنى الرضاع. **قوله:** (يكفلونه لكم) أي يضمنون رضاعه والقيام بمصالحه لأجلكم. والنصح إخلاص العمل عن شائبة الفساد. **قوله:** (فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون) أي قالت: لا أعرف الغلام. وإنما قالت ذلك ليزول اضطراب الملك ويسكن قلبه فخلصت نفسها بهذه الكلمة من التهمة وأحسنت، وليس ببدع لأنها من بيت النبوة وأخت نبي لأبيه وأمه فحق لها أمثال ذلك. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما قالت أخته: ﴿هل أدلكم على أهل بيت﴾ قالوا لها: من هي؟ قالت: أمي قالوا: ولأمك لبن؟ قالت: نعم لبن هارون أخي. وكان هارون ولد في سنة لم تقتل فيها الولدان فقالوا: صدقت. **قوله:** (وأجرى عليها) وفي الكواشي: فدفعه إليها وأجرى أجرتها عليها وأخذتها لأنها مال حربي لا أنها أجرة حقيقة على إرضاعها ولدها فذهبت به إلى بيتها. وقيل: لما دفعه إليها لم يبق من آل فرعون أحد إلا أهدى إليها وأتحفها بالذهب والجواهر. **قوله:** (علم مشاهدة) أي علمًا بمشاهدة الموعود فإنها كانت عالمة قبل ذلك بطريق الوحي أن ما وعده الله تعالى إياها من أنه يرده إليها حق لكن ليس الخبر كالمعاينة. وصاحب الكشاف حمل الوعد على الوعد بجعله من المرسلين حيث قال: أنجز الله وعده في الرد فعندها ثبت

أن موعده حق فيرتابون فيه. أو أن الغرض الأصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع. وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون. ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ مبلغه الذي لا يزيد عليه نشؤه وذلك من ثلاثين إلى أربعين سنة، فإن العقل يكمل حينئذ. وروي أنه لم يبعث نبي إلا على رأس الأربعين ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ قدره أو عقله ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ أي نبوة ﴿وَعِلْمًا﴾ بالدين أو علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه، وهو أوفق لنظم القصة لأن الاستنباء بعد الهجرة في المراجعة. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وأمه ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ على إحسانهم ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ﴾ ودخل مصر آتيًا من قصر فرعون. وقيل: من منف أو حابين أو عين شمس من نواحيها.

واستقر في علمها أنه سيكون نبيًا فإن الله تعالى وعد أم موسى أمرين: رد موسى إليها وجعله من المرسلين، فحين حقق الأمر الأول استقر في علمها أنه تعالى يحقق الثاني أيضًا. قوله: (أو أن الغرض الأصلي) **عطف على قوله: «علم مشاهدة» يعني أن المراد من العلم إما العلم الحاصل بالمشاهدة أو أصل العلم. قوله:** (لا يزيد عليه نشؤه) **أي شبابه. والناشىء الحدث الذي جاوز حد الصغر يقال: نشأت في بني فلان نشأ إذا شببت فيهم. قوله:** (أو علم الحكماء) **عطف على قوله: «نبوة» يعني أن قوله:** ﴿حكمًا وعلمًا﴾ **يحتمل أن يراد به النبوة وما يعرف بها من العلوم والأخلاق. ويحتمل أن يراد به علم الحكماء وأخلاقهم فعلم موسى عليه الصلاة والسلام قبل أن يبعث نبيًا علمهم ويدل عليه قوله:** ﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ **لأنه تعالى جعل إيتاء الحكم والعلم مجازاة على إحسانه والنبوة لا تكون جزاء على العمل. وعلى تقدير أن يراد به النبوة ليس في الآية دليل على أن هذه النبوة كانت قبل قتل القبطي أو بعده، لأن الواو في قوله:** ﴿ودخل المدينة﴾ **لا تفيد الترتيب. وقد مر أنه لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج إلى مدين عشر سنين ثم عاد إليهم يدعوهم إلى الله ثلاثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين. قوله:** (وقيل من منف) **اسم مدينة من أرض مصر ومنف كماه وجور في وجوب منع صرفه لاجتماع التأنيث والعلمية والعجمة. يعني أنه اختلف في المدينة؛ فقيل: هي مصر وقيل: هي منف وقيل: قرية تدعى خابين على رأس فرسخين من مصر وقيل: عين شمس. وقوله:** ﴿على حين غفلة﴾ **في موضع الحال من فاعل «دخل» أي دخل كائنًا على حين غفلة أي مستخفيًا متجسسًا للخبر، أو من المدينة أي دخلها حال غرة أهلها واشتغالهم بعيدٍ لهم. وقيل: بين المغرب والعشاء وقيل: وقت الظهيرة عند المقيل، وليس في طرقها أحد لاشتغال أهلها بالقيلولة. و«من أهلها» صفة «الغفلة» أي غفلة صادرة من أهلها. واختلف في السبب الذي لأجله دخل موسى على حين غفلة من أهلها؛ فقيل: إنه كان يسمى ابن**

﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه. قيل: كان وقت القيلولة وقيل: بين العشاءين. ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ أحدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو إسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والإشارة على الحكاية. ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ فسأله أن يغيثه بالإعانة. ولذلك عدي بـ «على» وقرىء «استعانه» ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ فضرب القبطي بجمع كفه. وقرىء «فلكزه» أي فضرب به صدره ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ فقتله. وأصله

فرعون وكان يركب وينزل معه، فركب فرعون يومًا وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له إن فرعون قد ركب، فركب في أثره فأدركه المقيل بأرض منف فدخلها نصف النهار وليس في طرقها أحد، فذلك على حين غفلة من أهلها. وقيل: إن موسى عليه الصلاة والسلام لما بلغ أشده وآتاه الله الحكم والعلم وعلم أن فرعون وقومه على الباطل خالفهم في دينهم وفارقهم ولحق بشيعة له من بني إسرئيل يسمعون منه ويقتدون به، فلما عرف ذلك منه أخافوه وأخافهم فكان لا يدخل قرية فرعون إلا خائفًا، فدخلها يومًا على حين غفلة من أهلها. وقيل: ليس المراد من قوله: ﴿على حين غفلة من أهلها﴾ **حصول الغفلة في تلك الساعة بل المراد الغفلة عن ذكر موسى عليه الصلاة والسلام وأمره وذلك لأن موسى حين كان صغيرًا ضرب رأس فرعون بالعصا ونتف لحيته، فأراد فرعون قتله فقالت امرأته: هو صغير لا يعرف التمر من الجمر فجيء بجمرة فأخذها وطرحها في فيه فحصلت عقدة في لسانه فقال: لا أقتله ولكن اخرجوه عن الدار والبلد. فأخرج ولم يدخل عليهم حتى كبر والقوم نسوا ذكره، فدخل يومًا على حين غفلة من أهلها. ولا يهمنا ترجيح بعض الروايات على بعض إذ ليس في القرآن ما يدل على شيء منها.**

قوله: (والإشارة على الحكاية) **أي رجلين مقولاً فيهما هذا من شيعته وهذا من عدوه كقوله: جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط أي بمذق مقول فيه هذا القول. قوله:** (ولذلك) **أي ولكونه متضمنًا معنى الإعانة والنصرة عدي بـ «على». قوله:** (وقرىء فلكزه) **الوكز واللكز كلاهما بمعنى واحد وهو الضرب بجمع الكف على الصدر. وقيل: الوكز في الصدر واللكز في الظهر. وجمع الكف بالضم الكف المقبوضة الأصابع، وكان عليه الصلاة والسلام شديد البطش فلذلك لم يتحمل القبطي وكزه ومات. قيل: الإسرائيلي الذي أعانه موسى عليه الصلاة والسلام هو السامري والقبطي طباخ فرعون، وكان يسخر الإسرائيلي لحمل الحطب إلى مطبخ فرعون. قوله:** (فقتله) **بيان لحاصل المعنى فإن قضاء الشيء إتمامه والفراغ منه، وكل شيء أتممته وفرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه. فندم موسى عليه الصلاة والسلام على القتل الصادر منه وإن لم يكن قصده لقتله فدفنه في الرمل وقال مشيرًا إليه** ﴿هذا من عمل

فأنهى حياته من قوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [الحجر: ٦٦] ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ لأنه لم يؤمر بقتل الكفار أو لأنه كان مأمونًا فيهم، فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ. وإنما عده من عمل الشيطان وسماه ظلمًا واستغفر منه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم. ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ ظاهر العداوة ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتله ﴿فَٱغْفِرْ لِي﴾ ذنبي ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ باستغفاره ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لذنوب عباده ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ بهم.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ قسم محذوف الجواب أي اقسم بإنعامك عليّ بالمغفرة وغيرها لأتوبنّ. ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ أو استعطاف أي بحق

الشيطان﴾ من حيث إنه هيج غضبي وحملني على الوكز نسب الوكز والقتل إلى الشيطان من حيث كونه سببًا له. **قوله:** (وسماه ظلمًا) جواب عما يقال: قوله تعالى: ﴿وهذا من عدوه﴾ يدل على أن القبطي كان كافرًا حربيًا وكان دمه مباحًا فلم جعل قتله من عمل الشيطان وظلم به نفسه واستغفر منه؟ ومحصول الجواب أنه قتل قبل أن يؤذن له في قتل الكافر فكان زلة يستغفر منها المتقون على عادتهم وإن كانت محقرة صدرت خطأ.

قوله: (أي أقسم بإنعامك علي بالمغفرة) قدر متعلق الباء وجعل «ما» مصدرية وجعل إنعامه تعالى عليه بالمغفرة مقسمًا به. ولا أدري كيف علم أن الله تعالى غفر له وقد كان هذا قبل أن أوحى الله إليه. وعيّن أن الجواب المقدر هو قوله: «لأتوبن» أي لأرجعن عما فرط مني من الزلة. وجعل قوله: ﴿فلن أكون﴾ معطوفًا على الجواب المقدر فتكون الجملة الخبرية التي أكدت بالجملة القسمية هي المجموع من المعطوف عليه المقدر وما عطف عليه. **قوله:** (أو استعطاف) عطف على قوله: «قسم» جعل الاستعطاف قسيمًا للقسم، مع أن النحاة صرحوا بأن القسم على قسمين: قسم للاستعطاف وقسم لغير الاستعطاف وقالوا: القسم جملة إنشائية يؤكد بها جملة أخرى فإن كانت الأخرى خبرية فالقسم لغير الاستعطاف، وإن كانت طلبية فهو للاستعطاف. ولم يجعله المصنف والزمخشري قسمًا لأن القائل إذا قال: بالله لأفعلن كذا انعقدت اليمين على القائل، وأما لو قال: بالله أفعل كذا لا ينعقد اليمين لا على المتكلم ولا على المخاطب. فلذلك لم يجعلاه من القسم. ومن جعله قسمًا من القسم اعتبر الظاهر لأن صورته صورة القسم من حيث إنه يؤكد الطلب على المستعطف، وليس بقسم على الحقيقة لأن شرطه أن يؤكد به جملة خبرية موجبة أو منفية. ومن أمثلة قسم الاستعطاف قول إبراهيم بن هرمة:

بالله ربك إن دخلت فقل له هذا أبوه هرمة بالباب

إنعامك عليّ اعصمني فلن أكون معينًا لمن أدت معاونته إلى جرم. وعن ابن عباس: أنه لم يستثن فابتلي به مرة أخرى. وقيل: معناه بما أنعمت عليَّ من القوة أعين أوليائك فلن استعملها في مظاهرة أعدائك. ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ يترصد الاستقادة ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ يستغيثه مشتق من الصراخ ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ مبين الغواية لأنك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر. ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ لموسى والإسرائيلي لأنه لم يكن على دينهما، ولأن القبط كانوا أعداء بني إسرائيل. ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا

وعلى تقدير كون قوله: ﴿بما أنعمت عليّ﴾ **استعطافًا مؤكدًا لجملة طلبية مقدرة وهي اعصمني يكون قوله:** ﴿فلن أكون﴾ **جوابًا للأمر المقدر سببًا عنه. قوله: (وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه لم يستثن) تأييد لكون قوله:** ﴿بما أنعمت﴾ **قسمًا لا استعطافًا، لأن الابتلاء إنما يكون بالزلة لا بعدم كونه مجاب الدعوة. وقوله: «فابتلى به مرة أخرى» في اليوم الثاني. قال الإمام: هذا ضعيف لأنه في اليوم الثاني لم يبتل بإعانة المجرم بل ترك الإعانة، وإنما خاف منه ذلك العدو فقال:** ﴿أن تريد إلا أن تكون جبار﴾ **إلا أنه وقع منه ذلك.**

قوله: (وقيل معناه بما أنعمت عليّ من القوة الخ) فعلى هذا القول لا تكون الباء للقسم ولا للاستعطاف بل تكون للسببية أي بسبب ما أنعمت عليّ من القوة أشكرك فلن استعملها إلا في مظاهرة أوليائك لا أدع أحدًا من أعدائك يغلب أحدًا من أوليائك. ثم إن موسى عليه الصلاة والسلام لما قتل ذلك القبطي بالوكز أصبح أي صار خائفًا على نفسه من أن يظهر أنه هو القاتل ويستقاد أي يطلب أن يقتل قودًا. وتعريف المدينة للعهد والمعهود المدينة التي قتل فيها القبطي و«خائفًا» خبر «أصبح» و«في المدينة» متعلق به و«يترقب» بدل من «خائفًا» أو خبر ثانٍ ومفعول «يترقب» محذوف أي يترقب وينتظر المكروه. روي أن ولي الدم جاء فرعون وقال له: قد قتل بنو إسرائيل منا قتيلاً فخذ حقنا منهم. فقال له: أما علمت أن لا نقضي إلا بالبينة. فبينا هم يطوفون في طلب البينة إذا مر موسى من الغد فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونيًا آخر فاستغاثه على الفرعوني، فغضب عليه موسى فقال: ﴿إنك لغوي مبين﴾ **أي بيّن الغواية والضلال على أن الغوي فعيل بمعنى الغاوي، وقيل: إنه بمعنى المغوي والمعنى: إني وقعت بالأمس فيما وقعت فيه بسببك فالآن تريد أن توقعني في ورطة أخرى. فلما أراد موسى أن يبطش بالقبطي الذي هو عدو لموسى عليه الصلاة والسلام وللإسرائيلي فوثب عليه ليمنعه من أخذ الإسرائيلي وتسخيره ظن الإسرائيلي أنه عليه السلام أراد أن يبطش به بناء على أنه عليه الصلاة والسلام خاطبه بقوله:** ﴿إنك لغوي مبين﴾ **ورأى الغضب عليه فقال له:** ﴿يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس﴾ **فصار هذا القول منه سببًا لظهور أن القتل**

﴿بِٱلْأَمْسِ﴾ قاله الإسرائيلي لأنه لما سماه غويًا ظن أنه يبطش به، أو القبطي وكأنه توهم من قوله: إنه الذي قتل القبطي بالأمس لهذا الإسرائيلي. ﴿إِن تُرِيدُ﴾ ما نريد ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ تتطاول على الناس ولا تنظر العواقب ﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي أحسن. ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى إلى فرعون وملئه فهموا بقتله فخرج مؤمن من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ يسرع صفة «رجل» أو حال منه إذا جعل من «أقصى المدينة» صفة له لا صلة «لجاء» لأن تخصيصه بها يلحقه بالمعارق. ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ يتشاورون بسببك. وإنما سمي التشاور ائتمارًا لأن كلاً من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر ﴿فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ اللام للبيان وليس صلة للناصحين، لأن معمول الصلة لا يتقدم الموصول.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا﴾ من المدينة ﴿خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ لحوق طالب ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ خلصني منهم واحفظني من لحوقهم. ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ قبالة مدين قرية شعيب، سميت باسم مدين بن إبراهيم ولم يكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان. ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ توكلاً

الواقع أمس صدر من موسى عليه الصلاة والسلام حيث لم يطلع على ذلك إلا الإسرائيلي، فلما سمع القبطي قول الإسرائيلي علم أن موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني أمس فانطلق إلى فرعون وأخبره بذلك فأمر فرعون بقتل موسى. قوله: (أو القبطي) **عطف على الإسرائيلي أي توهم من قول موسى عليه الصلاة والسلام له:** ﴿إنك لغوي مبين﴾ **أنه الذي قتل القبطي بالأمس لأجله. قال الإمام: هذا هو الظاهر لقوله:** ﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى﴾ **فإن الظاهر أن ضمير «قال» هو «عدو لهما» وأيضًا فقوله:** ﴿أن تريد إلا أن تكون جبارًا في الأرض﴾ **لا يليق إلا بالقبطي الجافي. والجبار هو الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل ظلمًا لا ينظر في العاقبة. وقيل: هو المتعظم الذي لا يتواضع لأحد. قوله:** (إذا جعل من أقصى المدينة صفة له) **يعني أن «يسعى» مع كونه مؤخرًا عن النكرة إنما يكون حالاً منها إذا تخصصت بالصفة، فإن ذا الحال إذا كان نكرة وجب تقدم الحال عليه كما في قوله:**

لعزة موحشًا طلل قديم

قوله: (قرية شعيب) **هو شعيب بن نويب بن مدين بن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وكان لإبراهيم أربعة بنين: إسماعيل وإسحق ومدين ومداين وإليهما نسبت البلدتان مدين**

على الله وحسن ظن به. وكان لا يعرف الطرق، فعن له ثلاث طرق فأخذ في أوسطها وجاء الطلاب عقيبه فأخذوا في الآخرين. ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ وصل إليه وهو بئر كانوا يسقون منها ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ﴾ وجد فوق شفيرها ﴿أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ جماعة كثيرة مختلفين ﴿يَسْقُونَ﴾ مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ في مكان أسفل من مكانهم ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تمنعان أغنامهما من الماء لئلا تخلط بأغنامهم. ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ ما شأنكما تذودان ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ يصرّف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرًا من مزاحمة الرجال. وحذف المفعول لأن الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما ويدعوه إلى السقي لهما ثمة دونه. وقرأ أبو عمرو وابن عامر «يصدر» أي ينصرف وقرىء «الرعاء» بالضم وهو اسم جمع كالرخال. ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ كبير السن لا يستطيع أن يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارًا ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ مواشيهما رحمة عليهما. قيل: كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجرًا لا يقله إلا سبعة رجال أو أكثر، فأقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم. وقيل: كانت بئر أخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها. ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ

ومداين. قوله: (جماعة كثيرة مختلفين) الأمة جماعة يجمعهم أمر ما إما دين واحد أو زمان أو مكان واحد سواء كان الأمر الجامع حاصلاً لهم اختيارًا أو تسخيرًا. وأخذ اختلاف الناس من لام التعريف لأنه ليس للاستغراق وهو ظاهر، ولا للجنس لأن قوله: ﴿يسقون﴾ يغني عن بيان أن المراد بالأمة جنس الناس فثبت أنه للعهد. والمعهود عرفًا أن تكون الجماعة المجتمعة للاستقاء أناسًا مختلفين وفسر ﴿من دونهم﴾ بقوله: «في مكان أدون من مكانهم» ويجوز أن يفسر بسوى تلك الأمة والمراد بالامرأتين ابنتا شعيب عليه الصلاة والسلام. قيل: كبيرتهما اسمها صفراء والأخرى صفيراء. والرعاء جمع راعي كقيام جمع قائم قيل: الرعاء هم الذين يرعون المواشي، والرعاة هم الذين يرعون الناس وهم الولاة. قوله: (دونه) أي دون المفعول وبيانه. قوله: (وقرأ أبو عمرو وابن عامر يصدر) أي بفتح الياء وضم الدال أي يرجع يقال: صدر يصدر إذا رجع من الماء وهو لازم والمعنى: حتى ينصرف الرعاة، وقرأ الباقون بضم الباء وكسر الدال من الإصدار وهو متعد والمعنى: حتى يردوا ويصرفوا مواشيهم. والرخال بكسر الراء جمع رخل بكسر الخاء وهو الأنثى من ولد الضأن والرخال بضم الراء اسم جمع. قوله: (مع ما كان به من الوصب) وكيف لا وقد خرج عليه الصلاة والسلام من غير زاد ولا حذاء ولا ظهر، ولم يطعم في الطريق إلا ورق الشجر وسقط جلد قدميه في الطريق، وكانت خضرة البقل تتراءى في بطنه من الهزال ورقة البدن وجلده. قيل: لما سقت الرعاء مواشيهم ووضعوا صخرة على البئر كما هو عادتهم في كل سقية وكانت

﴿أَنزَلْتَ﴾ لأي شيء أنزلت ﴿إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ قليل أو كثير وحمله الأكثرون على الطعام ﴿فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ محتاج سائل ولذلك عدي باللام. وقيل: معناه إني لما نزلت إلي من خير الدين صرت فقيرًا في الدنيا. لأنه كان في سعة عند فرعون، والغرض منه إظهار التبجح والشكر على ذلك.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ أي مستحيية متخفرة. قيل: كانت الصغرى منهما. وقيل: الكبرى واسمها صفوراء أو صفراء وهي التي تزوجها موسى.

عادة ابنتي شعيب أن تسقيا من فضل مواشيهم، انتهى موسى عليه الصلاة والسلام إلى البئر وقد أطبقت عليها الصخرة الموصوفة فاقتلعها بنفسه ثم سقى لهما غنمهما. وفي رواية الكلبي أنه كان للبئر دلو يجتمع أربعون رجلاً حتى يخرجوها من البئر فأتى موسى الماء فسألهم أن يهبوه دلوًا من الماء فقالوا: إن شئت أعطيناك الدلو على أن تستقي أنت. فقال: نعم. فأخذ موسى الدلو فاستقى بها وحده فصب في الحوض ودعا فيه بالبركة فقربتا غنمهما فروى منه جميع الغنم. وقيل: إنه عليه الصلاة والسلام لما سمع قولهما رحمهما فاقتلع صخره من رأس بئر أخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها إلا جماعة من الناس. وقيل: في وجه الجمع بين قوله: ﴿وجد عليه أمة من الناس يسقون﴾ وبين كون موسى هو الذي رفع الحجر وحده عن رأس البئر أن معنى قوله: ﴿يسقون﴾ يريدون أن يسقوا إلا أنهم منتظرون لحضور الرعاة جميعًا ليتعاونوا على رفع الحجر فرفعه موسى عليه الصلاة والسلام وسقى لهما قبل اجتماع الرعاة وسقيهم وهو الأظهر.

قوله: (لأي شيء أنزلت إليّ من خير) جعل «ما» موصوفة بقوله: «أنزلت إلي من خير» ولما كان الوصف بالعام يفيد عموم الموصوف قال: «لأي شيء أنزلت» الخ وإلا فالظاهر أن يقال لشيء أنزلته إليّ. وفي الوجه الثاني جعل «ما» موصولة لأن «ما أنزلت» في الوجه الأول عبارة عن شيء غير معلوم لأن مطلوبه شيء من جنس الخير أي شيء كان بخلاف الثاني لأن ما أنزلت في ذلك الوجه عبارة عن خير الدين وتنكير «خير» في الوجه الأول للتعميم وفي الوجه الثاني للتعظيم. **قوله:** (ولذلك) أي ولأجل أن قوله: ﴿فقير﴾ ضمن معنى سائل وطالب عدي باللام فإن قوله: ﴿لما أنزلت﴾ متعلق «بفقير» وكان الأصل فيه أن يعدى بـ «إلى» وقيل: ليست اللام متعلقة بفقير حتى يحتاج إلى اعتبار التضمين لأن المعنى: إني وإن صرت فقيرًا في الدنيا إلا أن ذلك الفقر إنما أصابني لما أنزلت إليّ من الخير العظيم المتعلق بالدين وهو الخلاص من صحبة الظالمين. وقوله: لأنه كان في سعة عند فرعون» بيان لكون خروجه من عنده سببًا لفقره من جهة الدنيا، وقال ذلك رضى بالبدل وفرحًا به وشكرًا. **قوله:** (متخفرة) على لفظ اسم الفاعل من الخفر بالتحريك وهو شدة الحياء تقول

﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ﴾ ليكافئك ﴿أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ جزاء سقيك لنا. ولعل موسى إنما أجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعًا في الأجر. بل روي أنه لما جاءه قدم إليه طعامًا فامتنع عنه وقال: أنا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب: هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وإن من فعل معروفًا فأهدى بشيء لم يحرم أخذه. ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ يريد فرعون وقومه. ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ يعني التي استدعته ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ لرعي الغنم ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ تعليل جامع يجري مجرى الدليل على أنه حقيق بالاستئجار وللمبالغة فيه جعل «خير» اسمًا وذكر

منه: رجل خفر بكسر الفاء وجارية خفرة متخفرة أي مستحيية أشد الحياء. **قوله: (ولعل موسى عليه الصلاة والسلام)** جواب عما يقال: إنه سقى أغنامهما تقربًا إلى الله تعالى خالصًا لوجهه فكيف يليق أخذ الأجرة عليه فإن ذلك غير جائز في الشريعة. روي أنهما لما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس قال: ما أعجلكما! قالتا: وجدنا رجلاً رحمنا فسقى لنا. فقال لإحداهما: اذهبي فاستدعيه لي. فلما أتته وبلغت إليه رسالة أبيها تبعها موسى فألصقت الريح ثوبها بجسدها فوصفت جسدها لموسى لأن الريح كانت تجيء من خلفها، فجعل موسى يعرض عنها مرة ويغض بصره أخرى فناداها: يا أمة الله كوني خلفي واريني الطريق بقولك. وفي رواية: بحجر ترمين به إلى قدامي إن أخطأت الطريق. فلما دخل على شعيب وكان العشاء يهيأ قال له شعيب: اجلس يا شاب فتعش. فقال له موسى: أعوذ بالله. فقال له شعيب: ولم ذلك ألست بجائع؟ قال: بلى ولكني أخاف أن يكون عوضًا لما سقيت لهما وأنا من أهل بيت لا نبيع شيئًا من عمل الآخرة بملء الأرض ذهبًا. فقال له شعيب: لا والله يا شاب ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام. فجلس موسى يأكل. قال الضحاك: لما دخل عليه قال له: من أنت يا عبد الله؟ قال: أنا موسى بن عمران بن يصهر بن فاهت بن لاوي بن يعقوب. وذكر له جميع أمره من لدن ولادته وأمر القوابل والمراضع والقذف في اليم وقتل القبطي وأنهم يطلبونه ليقتلوه فقال له شعيب عليه الصلاة والسلام: ﴿لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ أي لا سلطان له بأرضنا ولسنا في مملكته. فإن قيل: إن المفسرين قالوا: إن فرعون يوم خرج على إثر موسى ركب في ألف ألف وستمائة ألف والملك الذي هذا شأنه كيف يعقل أن لا يكون في ملكه قرية على بعد ثمانية أيام من دار ملكه؟ والجواب أن هذا وإن كان نادرًا لكنه ليس بمحال. والقصص مصدر قص قصًا وقصصًا سمي به المقصوص. **قوله: (استأجره)** أي اتخذه أجيرًا ليرعى أغنامنا ثم قالت: ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ من قوي على العمل وأدّى الأمانة. **قوله: (وللمبالغة فيه الخ)**

الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أنه أمين مجرب معروف. وروي أن شعيبًا قال لها: وما أعلمك بقوته وأمانته؟ فذكرت إقلال الحجر وأنه صوب رأسه حين بلغته رسالته وأمره بالمشي خلفه.

﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي﴾ على أن تأجر نفسك مني أو تكون لي أجيرًا أو تثيبني من أجرك الله ﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾ ظرف على الأولين ومفعول به على الثالث بإضمار مضاف أي رعية ثماني حجج. ﴿فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا﴾ عملت عشر حجج ﴿فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾ فإتمامه من عندك تفضلاً لا من عندي

بيان لوجه العدول عن مقتضى الظاهر، فإن الظاهر أن يجعل ﴿القوي الأمين﴾ **اسم «أن» و«خير من استأجرت» خبرها وأن يؤتى بلفظ المضارع بدل «استأجرت»، فعكس جميع ذلك وجعل «خير من استأجرت» اسمًا وهو نكرة و«القوي الأمين» خبرًا وهو معرفة. وعبر عن الآتي بلفظ الماضي للمبالغة في الدلالة على أنه حقيق بالاستئجار وذلك لأن ما هو أعنى فهو للتقديم أولى، فإن شدة العناية والاهتمام لما كانت متعلقة بالخيرية قدمت وجعلت اسم «أن» ونظيره قول الشاعر:**

ألا إن خير الناس حيًا وهالكًا أسير ثقيف عندهم في السلاسل

يعني أن المناسب للمقام بيان أن موسى عليه الصلاة والسلام بخصوصه حقيق بالاستئجار لقوته وأمانته لكونها في صدد تعليل لاستئجار موسى بخصوصه، وذكرت في تعليله ما يدل على أن مطلق من وجد فيه القوة والأمانة حقيق بالاستئجار لتستدل بهذه المقدمة الكلية المسلمة على مدعاها وهو استحقاق موسى للاستئجار. قوله: (على أن تأجر نفسك مني) على أن يكون المفعول الثاني محذوفًا أي تأجر مني نفسك من قولهم: أجرت داري ومملوكي غيرممدود، وآجرت ممدودًا كلاهما بمعنى أكريتهما والأول أكثر. قوله: (أو تكون لي أجيرًا) من قولهم: أجرته إذا كنت له أجيرًا أو هو من يأجر بي أي يصير أجيري كما يقال: أبوته إذا كنت له أبًا. وعلى التقديرين يكون ﴿ثماني حجج﴾ **منصوبًا على الظرفية و** ﴿على أن تأجرني﴾ **في محل النصب على الحال من كاف** ﴿أنكحك﴾. **قوله: (أو تثيبني الخ) على أن يكون «تأجرني» من أجرك بمعنى أثابك. فإن أصل الأجر الثواب والعوض. وكان عليه الصلاة والسلام يعزي بأن يقول: أجركم الله الجنة. والمفعول الثاني فيه محذوف أي تأجرني العوض الجميل فيكون «ثماني حجج» حالاً ويجوز أن يكون مفعولاً به بتقدير رعية ثماني حجج لأن العمل هو الذي يقع به الإثابة لا نفس الزمان. قوله: (فإتمامه من عندك) إشارة إلى أن قوله:** ﴿فمن عندك﴾ **خبر مبتدأ محذوف والجملة جواب الشرط.**

إلزامًا عليك. وهذا استدعاء العقد لا نفسه، فلعله جرى على أجرة معينة وبمهر آخر أو برعية الأجل الأول ووعد له أن يوفي الآخر إن تيسر له قبل العقد. وكانت الأغنام للمزوجة مع أنه يمكن اختلاف الشرائع في ذلك. ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ بإلزام إتمام العشر أو المناقشة في مراعاة الأوقات واستيفاء الأعمال. واشتقاق المشقة من الشق فإن ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في إطاقته ورأيك في مزاولته. ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة. ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ﴾ أي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه. ﴿أَيَّمَا

والتزوج على رعي الغنم جائز بالإجماع لأنه من باب القيام بأمور الزوجة فلا مناقضة، بخلاف التزوج على الخدمة فإنه لا يجوز عندنا لما فيه من الهوان والذل. والزوج قوام عليها بالنص. والمراد بالقوامية المالكية وكونه مستخدمًا لها فلو جاز إمهار الخدمة لصارت مالكة مستخدمة ولصار هو مملوكًا خادمًا فعاد على موضوعه بالنقض.

قوله: (وهذا استدعاء العقد لا نفسه) **جواب عما يقال: كيف صح أن ينكحه إحدى ابنتيه من غير تمييز ونكاح المبهم لا يصح لأنه عقد موضوع لحل الاستمتاع؟ وهو إنما يرد على المعينة دون المبهمة وعلى تقدير تسليم أن المنكوحة معينة فالمهر غير معين لكونه رعية إحدى المدتين وهي غير معلومة. وأيضًا كيف تجوز الإجارة على رعية إحدى الأجلين من غير تعيين مدة العمل؟ وأيضًا كيف صح أن يمهرها إجارة نفسه في رعية غنم أبيها مع أن الصداق يجب أن يحصل للمنكوحة لا لأبيها باتفاق العلماء وذلك لأنه بدل يضع المرأة فيجب أن تكون منفعة الرعي حاصلة لها لا لأبيها؟ وأجاب عن الأول بأن قول شعيب ليس إنشاء لعقد النكاح حتى يجب تعيين النكاح بل هو مواعدة مع موسى عليه الصلاة والسلام. ذكر له أنه يريد شيئين: أحدهما إنكاح إحدى ابنتيه إياه وثانيهما أن يكون موسى أجير الرعي الغنم، ولا محذور في الإبهام عند المواعدة، والظاهر أن العقد جرى على المعينة. وعن الثاني بأن قوله:** ﴿على أن تأجرني ثماني حجج﴾ **ليس المقصود منه جعل عمله مهرًا لها بل المقصود أن يزوجها إياه بمهر آخر، فكان هناك عقدان مختلفان عقد الإجارة بالأجرة المعلومة وعقد النكاح بالمهر المعين، وعلى تقدير أن يكون العمل مهرًا لها فلا نسلم أن مدة العمل غير معلومة بل هي متعينة وهي الأجل الأول. غاية ما في الباب أن موسى وعد له أن يوفي الأجل الأخير إن تيسر له قبل العقد. وعن الثالث أن الأغنام للمنكوحة لا لأبيها ثم قال: ويجوز أن يكون النكاح جائزًا في تلك الشريعة بشرط أن تكون منفعة العمل في المدة المعلومة لولي المرأة كما يجوز في شريعتنا بشرط رعي غنمها في مدة معلومة. قوله:** (ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا) **إشارة إلى أن ذلك مبتدأ والإشارة به إلى ما تعاهدا عليه،**

﴿ٱلۡأَجَلَيۡنِ﴾ أطولهما أو أقصرهما ﴿قَضَيۡتُ﴾ وفيتك إياه. ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ﴾ لا يعتدي عليّ بطلب الزيادة فكما لا أطالب بالزيادة على العشر، لا أطالب بالزيادة على الثماني. أو فلا أكون معتديًا بترك الزيادة عليه كقولك: لا إثم عليّ، وهو أبلغ في إثبات الخيرة وتساوي الأجلين في القضاء من أن يقال: إن قضيت الأقصر فلا عدوان عليّ. وقرىء «أيما» كقوله:

تنظرت نصرًا والسماكين أيهما عليّ من الغيث استهلّت مواطره

وأي الأجلين ما قضيت فتكون «ما» مزيدة لتأكيد الفعل أي أيّ الأجلين جردت عزمي لقضائه. وقرىء «عدوان» بالكسر ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ من المشارطة ﴿وَكِيلٞ ٢٨﴾ شاهد حفيظ ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ﴾ بامرأته. روي أنه قضى أقصى الأجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرًا آخر ثم عزم على الرجوع.

والظرف الذي بعده خبره وأي في ﴿أيما الأجلين﴾ منصوب «بقضيت» و«ما» زائدة مؤكدة لإبهام أي وهي شرطية وجوابها فلا عدوان علي أي لا يعتدى عليّ في طلب الزيادة على ما أتممت ووفيت ومن المعلوم أنه لا يعتدى عليه بطلب الزيادة على أطول الأجلين، لكن جمع بين أطول الأجلين وأقصرهما ليعلم أن الوفاء بالأقصر كالوفاء بالأطول في أن طلب الزيادة عليه ظلم وعدوان كما أن طلب الزيادة على الأطول كذلك. **قوله:** (أو فلا أكون معتديًا) فعلى هذا يكون «علي» متعلقًا بمحذوف واقع في محل خبر «لا» أي ثابت عليّ، أو واقع عليّ. وكذا على الوجه الأول هو متعلق بمحذوف واقع في محل خبر «لا» لكن المعنيان مختلفان من حيث إن المراد بالعدوان على الأول اعتداء الغير عليه بطلب الزيادة وعلى الثاني اعتداؤه وظلمه على نفسه بارتكابه الإثم وهو ترك الزيادة عليه، فهو على الثاني بمعنى لا إثم عليّ. ولا يجوز أن يكون «عليّ» متعلقًا «بعدوان» وإلا لكان «عدوان» مشابهًا للمضاف من حيث إن كل واحد منهما عامل فيما بعده وما بعدهما متمم ومخصص لهما فكان يجب نصبه لما تقرر في النحو من أن اسم «لا» التي لنفي الجنس إذا كان مضافًا أو مشابهًا له يجب نصبه. **قوله:** (وهو أبلغ) أي النظم الواقع في التنزيل أبلغ في تقرير كونه مخيرًا بين الأجلين من أن يقال: إن قضيت الأقصى فلا عدوان عليّ، وإن كان مقتضى الظاهر أن يقال هكذا إذ لا يتصور عدوان غيره عليه ولا عدوانه على نفسه على تقدير أن يقضي أطول الأجلين حتى يجمع بينهما. ويقال: ﴿أيما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ﴾.

قوله: (تنظرت نصرًا والسماكين) أي انتظرت رجلاً مسمى بنصر والسماكين طلبًا لمعروفهما ولم أفرق بين نصر والسماكين في الجود، ولم أعلم أيهما استهلت مواطره عليّ

﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ أبصر من الجهة التي تلي الطور ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ بخبر الطريق ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ عود غليظ سواء كان في رأسه نار أو لم يكن. قال:

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر

وألقى على قيس من النار جذوة شديدًا عليها حرّها والتهابها

من الغيث. والسماكان نجمان: السماك الأعزل وهو الذي لا شيء بين يديه، والسماك الرامح وهو الذي بين يديه الكواكب وهل السحاب واستهل إذا انصب شديدًا. ونصر اسم الممدوح بالجود و«أيهما» بسكون الياء أصله «أيهما» فسكن الياء للضرورة و«من» في قوله: «من الغيث» للبيان. والمواطر جمع ماطرة أي سحابة ماطرة وقوله: «أيهما» الخ فيه حذف تقديره لا أعلم أيهما انصب عليّ. ولما رضي موسى بأن يرعى غنم شعيب هذه المدة بأجرة معلومة وعلق شعيب إنكاح إحدى ابنتيه إياه بالرعي المذكور بأن يرعى على أن ينكح هو ابنته إياه، وتم العقد الذي جرى بينهما أمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه. وكانت عصي الأنبياء عنده، فدخلت فأخذت عصا فأتته بها فلما رآها شعيب قال لها: ردي هذه العصا وائتيه بغيرها. فدخلت وألقتها وأرادت أن تأخذ غيرها فلم يقع في يدها إلا هي حتى فعلت ذلك سبع مرات فعلم شعيب أن لموسى شأنًا. واختلفوا في تلك العصا؛ فقيل: كانت من آس الجنة هبط بها آدم من الجنة فتوارثتها الأنبياء حتى وصلت إلى شعيب. وقيل: كانت تلك العصا استودعها إياه ملك في صورة رجل ولذلك لم يرض أن يعطيها لموسى وأمر ابنته أن تردها إلى موضعها وتأتي بغيرها. وقيل: ما كانت إلا عصا أخذها موسى عليه الصلاة والسلام من عرض واحد من جنس الشجر أي من جانب الشجر. وعلى القولين الأولين لما أخذها موسى من شعيب وأصبح قال له شعيب: سق هذه الأغنام إلى مفرق الطريق ثم خذ جانب يمينك وليس فيه عشب كثير، ولا تأخذ جانب يسارك وفيه عشب كثيرٌ لكن فيه تنين أخاف منه عليك وعلى ما معك من المواشي. فساق موسى المواشي إلى مفرق الطريق فأخذت نحو اليسار ولم يقدر موسى على ضبطها وسرحها في الكلأ. ونام موسى فخرج التنين فقامت العصا فصار لها شعبتان من حديد وحاربت التنين حتى قتلته وعادت إلى موسى، فلما انتبه موسى رأى العصا مخضوبة بالدم والتنين مقتولاً فارتاح لذلك وعاد إلى شعيب فمسّ الأغنام فإذا هي أمثل حالاً فسأله عن القصة فأخبره بها. ففرح بذلك شعيب وأراد أن يجزي موسى عليها فقال: كل ما ولدت الأغنام في هذه السنة من أولاد سود فهو لك. فكانت الأولاد في تلك السنة كلها سودًا فحازها كلها. وفي السنة الثانية شرط ذلك في البيض فولدت كلها بيضًا فحازها جميعًا. وفي السنة الثالثة قال: كل ما ولد له لونان

ولذلك بينه بقوله: ﴿مِنَ ٱلنَّارِ﴾ وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات. ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ تستدفئون بها ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ أتاه النداء من الشاطىء الأيمن لموسى ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾

سواد وبياض فهو لك. فكان الكل كذلك فحازها كلها. وعلم شعيب بذلك أن له عند الله منزلة. ولما قضى موسى الأجل استأذن شعيبًا في أن يخرج إلى مصر مع أهله ليصل أخاه وأخته وقرابته التي فيها، فأذن له فسار بأهله إليها فأظلمت عليه ليلة من الليالي في الصحراء وهبت ريح شديدة فرقت ماشيته وضل الطريق وأصابهم مطر وبرد شديد، وأخذ امرأته الطلق. فعند ذلك أبصر من جانب الطور نارًا فسار إليها ليطلب فيها من يدله على الطريق وهو قوله: ﴿لعلي آتيكم منها بخبر﴾ **فإنه يدل على أنه ضل الطريق وقوله: أو آتيكم منها بجذوة** ﴿من النار لعلكم تصطلون﴾ **يدل على أنه أصابهم برد شديد. وفي الجذوة ثلاث لغات: فتح الجيم وضمها وكسرها مع سكون الذال. وقرىء بهن جميعًا. وهي العود الغليظ سواء كان في رأسه نار أو لم يكن. وأورد بيتين استشهد بأولهما على أن الجذوة تطلق على العود الذي لم يكن في رأسه نار، وبالبيت الثاني على أنها تطلق على ما في رأسه نار. فالبيت الأول قوله:**

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر

والمراد بحواطب ليلى جواريها التي يطلبن لها الحطب. والجزل الحطب اليابس وما عظم منه أيضًا. والجذى جمع جذوة وفي الجمع أيضًا ثلاث لغات كما في مفرده. والخوار الضعيف من الخور وهو الضعف. والدعر الرديء من قولك: دعر العود بالكسر يدعر دعرًا فهو عود دعر أي رديء كثير الدخان. ومنه أخذت الدعارة وهي الفسق والخبث. والبيت الثاني قوله:

وألقى على قيس من النار جذوة شديدًا عليها حرّها والتهابها

أي أهلك قبيلة قيس بأن ألقى عليها نار الفتنة والعداوة. والجذوة في الآية هي التي في رأسها نار بقرينة قوله: ﴿لعلكم تصطلون﴾. **قوله:** (ولذلك) **أي ولصحة إطلاق الجذوة على العود الذي في رأسه نار بينها بقوله:** ﴿من النار﴾ **جعلها لشدة تشبث النار بها كأنها نار كلها.**

قوله: (أتاه النداء من الشاطىء الأيمن لموسى) **إشارة إلى أن كلمة «من» في قوله:** ﴿من شاطىء﴾ **لابتداء الغاية وأن الأيمن من اليمين المقابل لليسار لا من اليمن وهو البركة، وأنه صفة للشاطىء لا للوادي، وأن كون الشاطىء أيمن إنما هو بالنسبة إلى موسى وشاطىء**

متصل بالشاطىء أو صلة «النودي» ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ بدل من شاطىء بدل الاشتمال لأنها كانت نابتة على الشاطىء. ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ﴾ أي يا موسى ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٠)﴾ هذا وإن خالف ما في طه والنمل لفظًا، فهو طبقه في المقصود. ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ أي فألقاها فصارت ثعبانًا واهتزت، فلما رآها تهتز ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ في الهيئة والجثة أو في السرعة ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ منهزمًا من الخوف ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولم يرجع ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾ نودي: يا موسى.

﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ (٣١)﴾ من المخاوف فإنه لا يخاف لدي المرسلون ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ أدخلها ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ عيب

الوادي حافته وطرفه. **قوله:** (متصل بالشاطىء) من حيث إنه متعلق بمحذوف على أنه حال من الشاطىء. والبقعة قطعة من الأرض لا شجر فيها وصفت بكونها مباركة لأنه حصل فيها ابتداء الرسالة وتكليم الله تعالى إياه. **قوله:** (هذا وإن خالف ما في طه والنمل) قال تعالى في سورة طه: ﴿نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١١، ١٢] وقال في سورة النمل: ﴿نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل: ٨] وهما مخالفان لما في هذه السورة من حيث اللفظ إلا أن الجميع متوافقة في المقصود وهو فتح باب الاستنباء وسوق الكلام على وجه يؤدي إليه. قال الإمام: لا منافاة بين هذه الأشياء فهو تعالى ذكر الكل إلا أنه حكى في كل سورة بعض ما اشتمل عليه ذلك النداء. **قوله تعالى:** (وأن ألق) أي ونودي أن الق.

قوله: (أي فألقاها فصارت ثعبانًا واهتزت) أي تحركت. يريد أن هذه الجمل الثلاث مضمرة في الآية وصيرورتها ثعبانًا قد نص عليها في سورة الشعراء بقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء: ٣٢] ولما كان الثعبان اسمًا لما يكون عظيم الجثة من الحيات. والجان اسم للحية الصغيرة الدقيقة الملساء توهم أن يكون قوله: ﴿كأنها جان﴾ مناقضًا لقوله: ﴿فإذا هي ثعبان مبين﴾ فأشار إلى دفعه بقوله: «كأنها جان في الهيئة والجثة أو في السرعة» يعني أن التناقض إنما يكون أن لو قيل: إنها في نفسها جان ولم يقل هكذا بل الله تعالى شبهها بالجان فلا يكون هذا مناقضًا لانقلابها ثعبانًا عظيم الهيئة والجثة، إلا أن تشبيهها بالجان في الهيئة والجثة يقوي جانب المناقضة ظاهرًا، فوجب أن يكون مراده أنها تشبه الجان في الهيئة وقت انقلابها حية. ولا ينافيه تورمها وتزايد جرمها بعد ذلك إلى أن تبلغ غاية عظم الثعبان لأن مشابهتها بالجان في أول حالها وبالثعبان في مآلها ومنتهاها. وأما قوله: «أو في السرعة» فواضح إذ لا منافاة بين كونها في عظم الثعبان وجثته وبين كونها في سرعة الجان وخفته. **قوله:** (أدخلها) عبّر عن هذا المعنى بثلاث عبارات: إحداها في هذه السورة وهو قوله تعالى: ﴿اسلك يدك في جيبك﴾ وثانيتها قوله في سورة طه: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ

﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف الفزع بإدخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس، أو بإدخالهما في الجيب فيكون تكريرًا لغرض آخر وهو أن يكون ذلك في وجه العدو إظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة. ويجوز أن يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فإنه إذا خاف نشر جناحيه، وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه. ﴿مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ من أجل الرهب أي إذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدًا وضبطًا لنفسك. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر بضم الراء وسكون الهاء، وقرىء بضمهما، وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات. ﴿فَذَٰنِكَ﴾ إشارة إلى العصا واليد. وشدده ابن كثير وأبو عمرو ورويس. ﴿بُرْهَـٰنَانِ﴾

تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ [طه: ٢٢] وثالثتها قوله تعالى في سورة النمل: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾ [النمل: ١٢] أي في مدرعتك. والمدرعة ثوب من صوف يلبس بدل القميص ولا يكون له كم بل ينتهي كمه عند المرفقين ويقال لها زرنبانقة. وقيل: الجيب القميص. **قوله:** (بإدخال اليمنى تحت عضد اليسرى) فيكون ضم يديه إلى نفسه وإدخالهما في الجيب متغايرين من حيث العبارة والمعنى. أما إذا فسر ضم اليدين بإدخالهما في الجيب فلا يكون التغاير إلا في العبارة لا في المعنى. وجاز تكرير الفعل بالمعنى الواحد عند اختلاف الغرض، فإنه إذا كرر الفعل الواحد ليتعلق بكل غرض آخر صار كأن هناك فعلين باعتبار الغرضين كما في هذه الآية، فإن الغرض في قوله تعالى: ﴿اسلك يدك في جيبك﴾ خروج اليد بيضاء وظهور معجزة أخرى، وفي قوله: ﴿واضمم إليك جناحك﴾ إخفاء الرهبة والتجنب عن الغضاضة وهي الذلة والنقصان لدى العدو. فإنه تعالى لما قلب العصا حية فزع موسى عليه الصلاة والسلام واتقاها بيده أي جعل يده حاجرة بينه وبين المخوف فقال تعالى بعد أن أمره بإدخال يده في جيبه ﴿واضمم إليك جناحك﴾ فكأنه قال: إذا ألقيتها عند العدو إظهارًا للمعجزة فانقلبت حية هائلة مخوفة لا تتق بيديك، فإن ذلك غضاضة ونقصان عند العدو بل إذا ألقيتها فانقلبت حية ادخل يدك في جيبك ليحصل الأمران أحدهما إظهار الجرأة والتجنب عما هو غضاضة عليك والثاني إظهار معجزة أخرى. **قوله:** (ويجوز أن يراد بالضم التجلد والثبات) استعارة من حال الطائر حين صار ذلك اللفظ مثلاً في أمنه. شبّه الإنسان في حال ثباته وضبطه نفسه بالطير الآمن ثم أثبت له ما هو من لوازم المشبه به وهو ضم الجناح ليكون تخييلاً للاستعارة المكنية. **قوله:** (أي إذا عراك الخوف) أي أصابك عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك من أجل إصابة ذلك. جعل الرهب الذي كان يصيبه عند رؤية الحية سببًا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه إليه. عن مجاهد: أنه قال: كل من فزع فضم جناحه إليه ذهب عنه الفزع وقرأ الآية. **قوله:** (وقرىء بضمهما) أي في الشواذ. وقرأ حفص بفتح الراء

حجتان وبرهان فعلان لقولهم: أبرّه الرجل إذا جاء بالبرهان من قولهم: برّه الرجل إذا ابيض ويقال: برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء. وقيل: فعلال لقولهم برهن ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ مرسلاً بهما ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ فكانوا أحقاء بأن يرسل إليهم ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾ بها ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا﴾ معينًا. وهو في الأصل اسم ما يعان به كالدفء. وقرأ نافع «ردًا» بالتخفيف. ﴿يُصَدِّقُنِىٓ﴾ بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة. ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ ولساني لا يطاوعني عند المحاجة. وقيل: المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه أسند إليه إسناد الفعل إلى السبب. وقرأ عاصم وحمزة «يصدقني» بالرفع على أنه صفة والجواب محذوف.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ سنقويك به، فإن قوة الشخص بشدة اليد، على مزاولة الأمور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد. ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا﴾

وسكون الهاء، وباقي السبعة بفتحتين. **قوله:** (مرسلاً) تقدير لمتعلق قوله: ﴿من ربك إلى فرعون﴾ وانتصابه على أنه حال من كاف الخطاب في ﴿فذانك﴾ والعامل فيها معنى الإشارة أي أخاطبك بالإشارة إليهما مرسلاً من ربك إلى فرعون. ويحتمل أن يكون «من ربك» متعلقًا بمحذوف وهو صفة «برهانان» و«إلى فرعون» متعلقًا بمرسلاً المقدر المنصوب على الحالية في كاف «ربك» والعامل فيها ما في الإضافة من معنى الفعل «وردئا» حال من مفعول «أرسله» أي اجعله رسولاً معي إلى فرعون وقومه حال كونه معينًا. يقال: ردأته على عدوه إذا أعنته عليه ردءًا بالفتح، والردء بالكسر اسم لما يعان به فعل بمعنى مفعول كالدفء. والصبغ والشبع لما يدفأ به ويصبغ ويشبع فأطلق على المعين الذي يتبع غيره معينًا له تسمية للفاعل باسم ما يفعل به. وقرىء «يصدقني» بالرفع على الوصفية أي ردءًا مصدقًا وبالجزم جوابًا لأرسله وليس طريق تصديقه إياه أن يقول له: صدقت أو يقول للناس؛ صدق أخي موسى، لأنه لا يحتاج فيه إلى اختصاصه بزيادة الفصاحة لأن سحبان وباقلا فيه سواء وإنما طريق تصديقه أن يلخص الحق بلسانه ويجادل الكفار ببيانه وذلك يجري مجرى التصديق كما يصدق القول بالبرهان.

قوله: (فإن قوة الشخص بشدة اليد) يعني أن ﴿سنشد عضدك﴾ عبارة عن قوله: «سنقويك» فهو مجاز مرسل على طريق إطلاق السبب وإرادة المسبب بمرتبتين، فإن شدة العضد سبب مستلزم لشدة اليد وشدة اليد مستلزمة لقوة الشخص، فشدة العضد سبب لقوة الشخص في المرتبة الثانية فصح أن تطلق شدة العضد ويراد بها قوة الشخص على طريق المجاز المرسل.

غلبة أو حجة ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ باستيلاء أو حجاج ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ متعلق بمحذوف أي اذهبا بآياتنا، أو «بنجعل» أي نسلطكما بها أو بمعنى لا يصلون أي تمتنعون منهم، أو قسم جوابه «لا يصلون» أو بيان للغالبون في قوله: ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ بمعنى أنه صلة لما بينه أو صلة له على أن اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله أو سحر تعلمه ثم تفتريه على الله، أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر. ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ يعنون السحر أو ادعاء النبوة. ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾﴾ كائنا في أيامهم ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ

قوله: (غلبة أو حجة) يعني أن السلطان إما بمعنى التسلط والاستيلاء أو بمعنى الحجة والبرهان. سميت الحجة سلطانًا لكونها سببًا للتسلط والغلبة. **قوله:** (أو قسم جوابه لا يصلون) فيه تساهل لأن جواب القسم لا يتقدم عليه، وأيضًا لا تدخل الفاء في جواب القسم عند الجمهور. ولعل مراده أنه قسم حذف جوابه اعتمادًا على دلالة ما قبله عليه. **قوله:** (بمعنى أنه صلة لما بينه) كأنه قيل: بماذا نغلب؟ فأجيب ﴿بآياتنا﴾ فالباء متعلقة بمحذوف قدر بيانًا «للغالبون» ولا يتعلق بنفس «الغالبون» لأن اللام فيه موصولة بمعنى «الذي» ولا يتقدم ما في حيز الصلة عليها إلا أن يكون اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي، فحينئذ يجوز أن تتعلق الباء به. **قوله:** (سحر تختلقه) يريد أن يبين فائدة توصيف السحر بقوله: ﴿مفترى﴾ مع أنه قد علم كونه مفترى من تسمية المعجزة سحرًا، لأن من أظهر المعجزة يدّعي أنها أمر خارق للعادة خلقه الله تعالى على يده تصديقًا له في دعواه الرسالة، فمن سماها سحرًا لزمه أن يجعلها مفترى على الله فلا يظهر لتوصيف السحر به فائدة. فالمصنف فسر قوله: «مفترى» بثلاثة أوجه على الأولين يكون صفة مخصصة لقوله: «سحر» لأن كل سحر لا يكون كذلك، وعلى الثالث يكون صفة مؤكدة مثل ﴿نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣] الوجه الأول أن يكون مختلقًا مصنوعًا من قبله لم يسبقه أحد فيه من قولهم: فريت المزادة أي خلقتها وصنعتها وظاهر أن كل سحر لا يكون كذلك لأنه كم من سحر يصنعه أكثر السحرة بل جميعهم. والثاني أن يكون مسندًا إلى الله تعالى كذبًا ولا يكون كل سحر مفترى على الله تعالى، ويكون لفظ «هذا» إشارة إلى خصوص ما أظهره موسى عليه الصلاة والسلام مع قطع النظر عن أنه عليه الصلاة والسلام أظهره ليكون معجزة. والثالث أن يكون بمعنى مكذوب فيه أي في ادعاء أن حقيقة العصا قد انقلبت ثعبانًا مبينًا بل هو من قبيل التمويه والتلبيس كما هو شأن كل سحر. **قوله:** (كائنًا في أيامهم) إشارة إلى أن «في آبائنا» في محل النصب على أنه حال من هذا فأجمل موسى عليه الصلاة والسلام في جوابهم تلطفًا في الخطاب وإيثارًا لأحسن

عِندِهِۦ﴾ فيعلم أني محق وأنتم مبطلون. وقرأ ابن كثير «قال» بغير واو لأنه قال ما قاله جوابًا لمقالهم. ووجه العطف أن المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد. ﴿وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۗ﴾ العاقبة المحمودة. فإن المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الأصلية هي الجنة لأنها خلقت مجازًا إلى الآخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب، والعقاب إنما قصد بالعرض. وقرأ حمزة والكسائي «يكون» بالياء. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى. ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ نفى علمه

الوجوه في المجادلة معهم فقال: ﴿ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ **والمعنى: ما جئتكم به حق وهدى وليس بسحر وربي عالم بذلك وأنتم مبطلون. قوله:** (لأنه قال ما قاله جوابًا لمقالهم) **فإن الجملة الثانية إذا كانت كالمتصلة بالأولى لكونها جوابًا لسؤال اقتضته الأولى تنزل الأولى منزلة السؤال فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال لما بينهما من الاتصال ويسمى الفصل لكون الثانية جوابًا لسؤال اقتضته الأولى استئنافًا كما تسمى نفس الجملة الثانية بذلك. ووجه القراءة المشهورة أن المراد حكاية قولهم ذلك وقول موسى هذا بعطف إحداهما على الأخرى ليوازن الناظر بين القول والقول ويعرف فساد أحدهما وصحة الآخر فإن الواو تفيد جمع القولين في ذهن السامع، فيميز بين الصحيح والسقيم لأن كل شيء يتميز بضده. قوله:** (لأنها خلقت مجازًا إلى الآخرة) **يعني أن الدنيا خلقت موضع الجواز والمرور إلى الآخرة، والمقصود بالذات من الآخرة إنما هو الثواب والجنة والعقاب إنما حصل من سوء اختيار العصاة فالعاقبة الأصلية للدنيا هي الجنة لأن العاقبة السوأى لا اعتداد بها لأنها من نتائج إيثار اللذات العاجلة على الحظوظ الباقية، ومما يدل على أن المراد بالعاقبة العاقبة المحمودة قوله تعالى:** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ [الرعد: ٢٢، ٢٣] **فإن المراد الدار من الدنيا وقد صرح بأن عقباها الجنة. قوله:** (وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء) **أي من تحت للفصل بينه وبين اسمه ولكون تأنيث العاقبة غير حقيقي. وقرأ العامة «تكون» بالتاء الفوقية لتأنيث العاقبة فإنه اسم «كان» وله خبرها. قوله:** (نفى علمه بإله غيره دون وجوده) **أي لم ينف وجودًا له غيره بأن يقول: ليس لكم إله غيري بناء على أنه لم يكن عنده ما يقتضي الجرم بانتفائه وأثبت إلهية نفسه حيث قال:** ﴿من إله غيري﴾ **فكان عندما يقتضي الجرم بإلهيته. والظاهر أنه لا يريد بإلهية نفسه كونه خالقًا للسموات والأرض وما فيهما من الذوات والصفات، فإن العلم بامتناع ذلك مما لا يخفى على أحد فالشك في ذلك يقتضي زوال العقل بالكلية، فالمخذول كان يظن أن هذه الكواكب والأفلاك كافية في خلق أحوال هذا العالم السفلي فلا حاجة إلى إثبات صانع فلهذا قال:** ﴿ما علمت لكم من

بإله غيره دون وجوده، إذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه. ولذلك أمر ببناء الصرح ليصعد عليه ويطلع على الحال بقوله: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ كأنه توهم أنه لو كان لكان جسمًا في السماء يمكن الترقي إليه. ثم قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ أو أراد أن يبني له رصد يترصد منه أوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة. وقيل: المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقوله: ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٨] فإن معناه بما ليس فيهن. وهذا من خواص العلوم الفعلية فإنها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها، ولا كذلك العلوم الانفعالية. قيل: أول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك أمر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة ما فيه من تعظيم، ولذلك نادى هامان باسمه بـ «يا» في وسط الكلام.

إله غيري﴾ وكان يقول: لا يجب على الناس إلا أن يطيعوا ملكهم وينقادوا لأمره كما قيل:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سـراة إذا جـهـالـهـم سـاروا

وهذا هو المراد من ادعائه الإلهية لا كما يظن من أنه يدعي كونه خالقًا للسمٰوات والأرض إلا أن قوله هذا فيه نوع مناقضة لقول أصحابه في حق موسى ﴿ويذرك وآلهتك﴾ فإن من يزعم تفرده بالألوهية كيف يكون له آلهة؟ فكأنه قال: هذا الكلام لملئه وأشراف قومه بخصوصهم فإنه كان اتخذ للأتباع والسفلة أصنامًا يعبدونها وجعل للملأ عبادة نفسه فإنه لم ير الأتباع أهلاً لعبادة نفسه جعل لهم عبادة الأصنام من حيث إنه لم ير أنهم أهل لعبادته.

قوله: (ولذلك أمر ببناء الصرح) أي أمر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة حيث قال: أوقد لي على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه. والوجه في كون التعريض بتعليم الصنعة مبنيًا على التعظيم أن إيقاد النار على الشيء المسمى بالطين أمر هيِّن حقير يقدر عليه العجائز والصبيان، فيكون التعبير عن الأمر بطبخ الآجر الذي يكفي لبناء الصرح المذكور بقوله: أوقد لي على الطين مبنيًا على الإهانة بطبخه وعدم الاعتداد به، ولأن طبخ الآجر صنعة خسيسة لا يليق بالملوك وعظماء الناس أن يأمروا بها ويذكروا اسمها على ملأ الناس، فهذا معنى قوله: مع ما فيه من تعظيم». وكذلك كل واحد من نداء وزيره باسم العلم من غير تكنية وتلقيب وندائه بحرف «يا» الموضوع لنداء البعيد مع كون المنادى قريبًا وندائه في وسط الكلام مع أن العادة تقديم النداء على المنادى له مبني على التعظم والتجبر ودليل عليه. أما كون الأولين مبنيين على التعظم فظاهر وأما كون الثالث مبنيًا عليه فلأنه لو قدم

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ بغير استحقاق ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ بالنشور. وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ كما مر بيانه. وفيه فخامة وتعظيم لشأن الآخذ واستحقار للمأخوذين كأنه أخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم. ونظيره: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] ﴿فَٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ وحذر قومك عن مثلها ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ قدوة للضلال بالحمل على

النداء وقيل يا هامان أوقد لي، لزم أن يقدم ذكر هامان على ذكر نفسه ولم يرض به تعظمًا وتجبرًا. **قوله:** (كأنه أخذهم مع كثرتهم) روي أن جنوده يوم خرج خلف موسى كانوا ألف ألف وستمائة ألف. فإن أفعال العباد واقعة بأسباب ومرجحات تفيض عليهم من عنده تعالى وذلك إن كان نحو طاعة يسمى توفيقًا ولطفًا وإن كان نحو معصية يسمى خذلانًا وطبعًا. كذا ذكره في شرح المصابيح. **قوله:** (بالجمل على الإضلال) متعلق بقوله: ﴿وجعلناهم أئمة﴾ أي صيرناهم قدوة لأهل الضلال بأن حملناهم على إضلال أولئك. فالآية من جملة ما تمسك به أصحابنا في أنه تعالى خالق للخير والشر حيث ذكر فيها أنه تعالى جعلهم قادة ورؤساء يدعون أتباعهم إلى عمل يوجب النار من الكفر وأنواع المعاصي، كما ذكر في حق الرسل وأهل الخير أنه تعالى جعلهم أئمة يدعون إلى الحق والهدى حيث قال: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣] فدل ذلك على أنه كان من الله تعالى في حق أهل الخير صنع حتى صاروا بذلك أئمة الخير ولم يكن ذلك منه في حق أهل الشر والضلال. ولو كان الأمر كما زعمت المعتزلة من أن رعاية الأصلح واجبة عليه تعالى وهو منحة الألطاف لا منعها ولم يكن من الله تعالى عناية خاصة بالرسل وقادة الخير بل كان ذلك منه لكل كافر وفاسق، لما كان لقوله في حق أحد الفريقين ﴿جعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾ وفي حق الآخر ﴿جعلناهم أئمة يدعون إلى الهدى والصراط المستقيم﴾ وجه فدل ذلك على أنه كان منه في أحد الفريقين ما صاروا به أئمة الخير وفي حق الآخر ما صاروا به أئمة الشر. غاية ما في الباب أنه جعل كل فريق إمامًا يقتدى به فيما هو عليه من الطاعة والعصيان، فكانوا أئمة بحسب أعمالهم. فظن بذلك أن ما كان من الله تعالى إليهم فهو على السواء فيما بينهم وما كان بينهم من التفاضل ليس إلا بحسب تفاوت أعمالهم لا بأن الله تعالى جعل بعضهم أئمة الخير وبعضهم أئمة الشر، وليس كذلك لأن ما صدر عنهم من الخير والشر وإن كان سببًا لجعلهم أئمة فيما هم عليه من الخير والشر إلا أنه تعالى له

الإضلال. وقيل: بالتسمية كقوله: ﴿وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩] أو بمنع الألطاف الصارفة عنه. ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ إلى موجباتها من الكفر والمعاصي. ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ طردًا عن الرحمة أو لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون. ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ من المطرودين أو ممن قبح وجوههم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أقوام نوح وهود وصالح ولوط. ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ أنوارًا لقلوبهم تبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل. ﴿وَهُدًى﴾ إلى الشرائع التي هي سبل الله تعالى.

صنع في ذلك السبب فإن فعلهم لا يتحقق بلا إقدار الله تعالى إياهم عليهم بإعطاء الآلة والقدرة والاختيار ونحو ذلك. فمتى أضيف الجعل إليه تعالى نظر إلى كونه تعالى موجدًا لحقيقة الفعل والأسباب جميعًا، ولو أضيف إلى فعل العباد نظر إلى مجرد قيام الفعل بهم وكسبهم إياه من غير أن يكون لهم مدخل في أسباب وجوده، فكان إضافته إليه تعالى وقد وجد منه حقيقة الفعل والأسباب أولى من إضافته إليهم ولم يوجد منهم إلا الفعل دون الأسباب والله أعلم. **قوله**: (وقيل بالتسمية) أي قالت المعتزلة: الجعل محمول على التسمية كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩] وكما في قولهم: جعله بخيلاً وفاسقًا بمعنى سماه بخيلاً. فمعنى الآية وسميناهم أئمة دعاة إلى النار وقلنا إنهم كذلك. وهو معطوف على قوله: «بالحمل» وكذا «أو بمنع الألطاف» وهي الأمور المقربة إلى الله تعالى يعني الإتيان بالطاعة والاجتناب عن المعاصي، فإنه تعالى يمنعها عمن علم أنها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذي لا تغني عنه الآيات والنذر والقول بأنه تعالى خذلهم ومنع عنهم الألطاف لا ينافي مذهبهم من أن رعاية الأصلح واجبة عليه تعالى لأنهم يقولون إنما خذلوا ومنع عنهم الألطاف من جهة أنفسهم وهو تصميمهم على الكفر. **قوله**: (من المطرودين) على أنه من القبح بمعنى الإبعاد والطرد يقال: قبحه الله تعالى أي نحاه عن الخير. **قوله**: (أنوارًا لقلوبهم) يعني أن بصائر جمع بصيرة وهي نور القلب الذي يبصر به الرشد والسعادة كما أن البصر نور العين الذي تبصر به المحسوسات. و«بصائر» حال من «الكتاب» أي آتيناه الكتاب أنوارًا للقلوب أي مشبهًا بأنوار القلوب من حيث إن القلوب لو كانت خالية عن أنوار التوراة وعلومها لكانت عمياء لا تستبصر ولا تعرف حقًا من باطل فأوقع «بصائر» حالاً من «الكتاب» ليؤذن بشدة احتياج القوم إلى ما تنفتح به قلوبهم العمياء.

﴿وَرَحۡمَةً﴾ لأنهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر. وقد فسر بالإرادة وفيه ما عرفت.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ﴾ يريد الوادي أو الطور فإنه كان في شق الغرب من مقام موسى، أو الجانب الغربي منه. والخطاب لرسول الله ﷺ أي ما كنت حاضرًا. ﴿إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ﴾ إذ أوحينا إليه الأمر الذي أردنا تعريفه ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ

قوله: (ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر) يعني أن «لعل» للترجي إلا أنه لما كان مستحيلاً منه تعالى صرف إلى من يعرف حال الكتاب ويتمكن بسببه من إدراك الحق وقبوله، ومنهم من شبّه الإرادة بالترجي من حيث إن كل واحد منهما متعلق بأمر كائن فاستعار الترجي للإرادة أصالة ثم لعل تبعًا، ففسر قوله تعالى: ﴿لعلهم يتذكرون﴾ بقوله: «إرادة أن يتذكروا». قال القاضي عبد الجبار: وذلك يدل على إرادة التذكر من كل مكلف سواء اختار ذلك أم لم يختره، ففيه إبطال مذهب الجبرية الذين يقولون: ما أراد التذكر إلا ممن يتذكر فأما من لا يتذكر فقد كره ذلك منه. ونص القرآن دافع لهذا القول وهذه الدلالة مبنية على كون الترجي مستعارًا للإرادة وهو غير مسلم. وأشار المصنف بقوله: «وفيه ما عرفت» إلى أنه تعالى لو أراد من كل مكلف أن يتذكر بما فيه من المواعظ والبصائر لوجب أن لا يموت أحد على الكفر والضلال لئلا يلزم تخلف المراد عن إرادة الله تعالى.

قوله: (يريد الوادي) يعني أن «الغربي» صفة موصوف محذوف وهو الوادي أو الطور والتقدير: وما كنت بجانب الوادي الغربي من مقام موسى أو بجانب الطور الغربي منه. والوجه في ارتكاب الحذف أن «الغربي» لو جعل صفة للجانب وكان أصل الكلام: وما كنت بالجانب الغربي، لزم أن يكون إضافة الجانب إلى الغربي من إضافة الموصوف إلى صفته وهي ليست بجائزة عند البصريين لكونها في قوة إضافة الشيء إلى نفسه، فإن الصفة هي الموصوف في المعنى. فإنك إذا قلت: جاءني زيد الظريف فلفظ الظريف يدل على شيء متعين في نفسه حصلت له الظرافة إلا أنه مجهول من حيث كونه مدلول هذا اللفظ، فإذا أضفت زيدًا إلى الظريف لزم إضافة زيد إلى زيد. فلذلك ذهب البصريون إلى امتناع إضافة الموصوف إلى صفته والتجأوا في قوله تعالى: ﴿بجانب الغربي﴾ وقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦؛ الروم: ٣٠] وقوله: ﴿حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥] وقوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠٩] إلى تقدير موصوف محذوف وقالوا: تقديرها جانب المكان الغربي ودين الملة القيمة وحق الشيء اليقين ودار الساعة الآخرة، ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه. والكوفيون جوّزوا إضافة الموصوف إلى صفته مطلقًا. والمصنف بنى قوله: «أو الجانب الغربي منه» على مذهبهم حيث جعل الغربي صفة للجانب ولم يقدر موصوفًا آخر.

﴿ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾ للوحي إليه أو على الموحى إليه. وهم السبعون المختارون للميقات. والمراد الدلالة على أن إخباره عن ذلك من قبيل الإخبار عن المغيبات التي لا تعرف إلا بالوحي. ولذلك استدرك عنه بقوله: ﴿وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ﴾ أي ولكنا أوحيناه إليك لأنا أنشأنا قرونًا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت الأخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم، فحذف المستدرك وأقام سببه مقامه. ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا﴾ مقيمًا ﴿فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ﴾ شعيب والمؤمنين به ﴿تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ﴾ تقرأ عليهم تعلمًا منهم ﴿ءَايَـٰتِنَا﴾ التي فيها قصتهم ﴿وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾ إياك ومخبرين لك بها. ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا﴾ لعل المراد به وقت إعطائه التوراة. وبالأول حيثما استنبأه لأنهما المذكوران في القصة ﴿وَلَـٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن

قوله: (للوحي إليه أو على الموحى إليه) الأول على أن يكون الشاهد من الشهود بمعنى الحضور، والثاني على أن يكون من الشهادة. والمعنى: ما كنت حاضرًا في المكان الذي أوحينا فيه إلى موسى عليه الصلاة والسلام، ولا كنت من جملة الشاهدين للوحي إليه أو على الموحى إليه حتى يكون وقوفك على ما جرى من أمر موسى عليه الصلاة والسلام في ميقاته وإخبارك به من جهة المشاهدة. فإن قيل: لما قال: ﴿وما كنت بجانب الغربي﴾ ثبت أنه لم يكن شاهدًا لأن الشاهد لا بد وأن يكون حاضرًا فما الفائدة في إعادة قوله: ﴿وما كنت من الشاهدين﴾؟ فالجواب يظهر مما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت ما شهدت ما وقع فيه مما جرى على موسى، فإنه يجوز أن يكون هناك ولا يشهد ولا يرى ما كان فيه. **قوله**: (المختارون للميقات) الميقات هو الوقت المحدود المضروب للفعل، ثم استعير منه للمكان كما في قولهم: مواقيت الحج، وكما في هذا الموضع، لأن المراد المكان الذي عينه الله تعالى لمناجاة موسى عليه الصلاة والسلام ربه وتكليمه فيه. وقوله تعالى: ﴿تتلو عليهم﴾ يجوز أن يكون حالاً من الضمير في «ثاويًا» وأن يكون خبرًا ثانيًا أي لم تشاهد ما تقدمك من الأحوال فتخبر بها أهل مكة عن مشاهدة ولكنا أرسلناك إليهم رسولاً لتحيي آثارهم وتظهر سنتهم وأعلامهم وأنزلنا عليك هذه الأخبار، ولولا ذلك لما علمتها ولما أخبرت بها. والمقصود إثبات نبوته ﷺ بالمعجزة الدالة على صدقه في دعوى النبوة فكأنه قال: إن في إخبارك عن هذه الأشياء من غير حضور ولا مشاهدة ولا تعلم من أهله دلالة ظاهرة على نبوتك لأنه تعالى لا يطلع على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول. **قوله**: (لعل المراد به) يعني أنه تعالى لما بيّن قصة موسى عليه الصلاة والسلام قال لرسوله ﷺ ﴿وما كنت بجانب الغربي﴾ ثم قال: ﴿وما كنت ثاويًا في أهل مدين﴾ ثم قال: ﴿وما كنت بجانب الطور﴾ للدلالة على أنه عليه

﴿رَّبِّكَ﴾ ولكن علمناك رحمة. وقرئت بالرفع على هذه «رحمة» ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ متعلق بالفعل المحذوف ﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة، أو بينك وبين إسماعيل على أن دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني إسرائيل وما حواليهم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ يتعظون.

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ «لولا» الأولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة في سياقها، لأنها مما

الصلاة والسلام لما لم يكن حاضرًا في هذه المواضع التي جرى فيها على موسى ما جرى من الأحوال العظيمة، ثم أخبر بتلك الأحوال على ما جرت ووقعت من غير أن يشاهدها ويتعلمها من أحد ثبت به أنه رسول بعثه الله تعالى وعرّفه هذه الأحوال رحمة من ربه وتفضلاً منه عليه، فوجب أن تكون المواضع المذكورة وما جرى فيها من الأحوال أمورًا متغايرة. اختار المصنف في وجه مغايرتها أن يكون المراد بالأول حيث استنبأه في أثناء رجوعه من مدين إلى مصر، وبالثاني ما تقدم عليه من إقامته في مدين مع شعيب، وبالثالث وقت إعطائه التوراة بناحية الطور إذ جاء لميقات ربه مع السبعين فكلمه ربه وأعطاه الألواح وناداه ربه بقوله: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢] وأشار أولاً بقوله: «أو على الموحى إليه» إلى جواز أن يكون المراد بالأول حيث أنزل عليه التوراة فيكون المراد بالثالث حيث استنبأه في ليلة المناجاة والله أعلم. **قوله:** (متعلق بالفعل المحذوف) أي ولكن علمناك أو أرسلناك ﴿لتنذر قومًا ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ وهم العرب على رجاء تذكرهم واتعاظهم. فإن دعوة عيسى عليه الصلاة والسلام إن كانت مختصة ببني إسرائيل تكون العرب واقعة في فترة بين رسول الله ﷺ وبين إسماعيل عليه الصلاة والسلام، وإن تناوبتهم أيضًا يكونون في فترة بينه وبين عيسى عليه الصلاة والسلام فقوله: ﴿ما أتاهم من نذير﴾ في موضع نصب على أنه صفة «لقوما» و «ما» فيه نافية.

قوله: (لولا الأولى امتناعية) «لولا» الامتناعية هي التي تدل على امتناع القضية الثانية لوجود القضية الأولى، والقضية الثانية هي جوابها وهو محذوف ههنا. وهو: ما أرسلناك إليهم، وهي ههنا دلت على امتناع عدم الإرسال لوجود قولهم إذا أصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم على تقدير عدم الإرسال: ربنا هلا أرسلت إلينا رسولاً الخ وقوله: «أن تصيبهم» في موضع رفع بالابتداء وقوله: «فيقولوا» عطف على ما في حيز «أن» لولا أصابتهم مصيبة بسبب ما قدمته أيديهم من الشرك والمعاصي فقولهم: ﴿ربنا لولا أرسلت﴾ الخ ما أرسلناك يعني أن الحاصل على إرسال الرسل إزاحة عللهم بهذا القول. ولما كان أكثر الأعمال مزاولاً بالأيدي جعل كل عمل معبرًا عنه بأنه كسب اليد وإن كان من أعمال

أجيبت بالفاء تشبيهًا لها بالأمر مفعول «يقولوا» المعطوف على «تصيبهم» بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على أن القول المقصود بأن يكون سببًا لانتفاء ما يجاب به، وأنه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة الجواب محذوف، والمعنى: لولا قولهم إذا أصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا أرسلت إلينا رسولاً يبلغنا آياتك فنتبعها ونكون من المصدقين. ما أرسلناك أي إنما أرسلناك قطعًا لعذرهم وإلزامًا للحجة عليهم. ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ﴾ يعني الرسول المصدق بنوع من المعجزات. ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ يعني الرسول المصدق بنوع من المعجزات. ﴿مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرها اقتراحًا وتعنتًا ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ يعني أبناء جنسهم في الرأي والمذهب، وهم كفرة زمان موسى وكان فرعون عربيًا من أولاد عاد. ﴿قَالُوا۟ سِحْرَانِ﴾ يعنون موسى وهارون أو موسى ومحمدًا. ﴿تَظَـٰهَرَا﴾ تعاونا بإظهار تلك الخوارق أو بتوافق الكتابين.

القلوب، وهذا من الاتساع في الكلام، وجعل الأقل تابعًا للأكثر. وعطف المعاصي على الكفر في قوله: «بسبب كفرهم ومعاصيهم» إشارة إلى أن الكفار كما يعذبون بترك الإيمان يعذبون بارتكاب ما يعلم حرمته بالدلائل العقلية من الكبائر والصغائر. والفاء في قوله: «فيقولوا» عاطفة وفي قوله: «فنتبع» فاء جواب «لولا» التحضيضية فإنها مما أجيب بالفاء لكونها في حكم الأمر من حيث إن الأمر باعث على الفعل، والباعث والمحضض من واد واحد، والفاء تدخل في جواب الأمر فكذا في جواب ما هو في حكمه. **قوله:** (مفعول يقولوا) خبر بعد خبر لقوله: «والثانية». **قوله:** (وأنه لا يصدر عنهم الخ) أي المنبهة على أن ذلك القول لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة إليه والمقصود الجواب عما يقال: ما الفائدة في هذا التطويل أما يكفي أن يقال: لولا أن يقولوا هذا العذر لما أرسلناك؟ وتقرير الجواب أنه ارتكب هذا التطويل للدلالة على أنهم لو لم يعاقبوا وقد عرفوا بطلان دينهم لما قالوا ذلك القول، بل إنما يقولونه إذا لا سهم العقاب فيدل ذلك على أنهم لم يذكروا هذا العذر تأسفًا على كفرهم بل لأنهم ما أطاقوا العذاب. وفيه تنبيه على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم. **قوله:** (يعني أبناء جنسهم) يعني أن الكلام مسوق لتوبيخ أهل مكة بأنهم اقترحوا من الآيات ما ظهر به عنادهم فقالوا: ﴿لولا أوتي مثل ما أوتي موسى﴾ فكأنه تعالى قال: لو عذبناهم قبل الإرسال لقالوا هلا أرسلت إلينا رسولاً، وقد أرسلنا إلى أهل مكة فقالوا: ﴿لولا أوتي مثل﴾ الخ فقبل البعثة تعللوا بشبهة وبعد البعثة بأخرى، فليس شأنهم إلا الدفع والعناد. ثم قيل في حقهم لبيان أن اقتراحهم هذا ليس لطلب اليقين بل لمجرد التعنت والعناد، إذ لو كان لطلب اليقين لما كفروا بما أوتي موسى عليه الصلاة والسلام. وقوله: ﴿أو لم يكفروا بما

وقرأ الكوفيون «سحران» بتقدير مضاف أو جعلهما «سحرين» مبالغة. أو إسناد تظاهرهما إلى فعلهما دلالة على سبب الإعجاز. وقرىء «اظاهرا» على الإدغام ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي بكل منهما أو بكل الأنبياء. ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾ مما نزل على موسى وعليّ وإضمارهما لدلالة المعنى، وهو يؤيد أن المراد بالساحرين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. ﴿أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ إنا ساحران مختلفان. وهذا من الشروط التي يراد بها الإلزام والتبكيت. ولعل

أوتي موسى من قبل﴾ **الظاهر أن يكون ضمير «يكفروا» راجعًا إلى كفار مكة إلا أنهم لما لم يكفروا بما أوتي موسى حيث لم يكونوا موجودين في عصره بل الذين كفروا هم الذين كانوا في زمانه، جعل ضمير «لم يكفروا» راجعًا إلى أبناء جنسهم وجعلهم مع كفار مكة بمنزلة جماعة واحدة من حيث اشتراكهم في التعنت واللجاج. فلما كفر هؤلاء بما شاهدوه من آيات موسى عليه الصلاة والسلام فكفار مكة أولى بالكفر به لأنهم مثل أولئك في العناد بل هم أعتى وأطغى. أو هو توبيخ للعرب بالذات بناء على ما روي عن الحسن أنه قال: قد كان للعرب أصل في أيام موسى. فمعناه على هذا أو لم يكفر آباؤهم وقالوا في موسى وهارون** ﴿ساحران تظاهرا﴾. **قوله:** (بتقدير مضاف) أي هما ذوا سحرين. وعلى هذا كان ينبغي أن يفرد سحر لكنه ثنى تنبيهًا على التنويع. **قوله:** (أو إسناد تظاهرهما إلى فعلهما) أي إلى ما فعلوه وأظهروه من الكتابين وعلى الأولين يكون التظاهر مسندًا إلى نفس النبيين لأن الضمير في قولهم: ﴿هما ساحران﴾ راجع إليهما وعلى هذا يكون الضمير راجعًا إلى «كتابيهما» فيكون التظاهر مسندًا إلى الكتابين دلالة على سبب إعجاز القرآن. **قوله تعالى:** (وقالوا إنا بكل كافرون) معطوف على قوله: ﴿قالوا ساحران﴾ ولما اقترح المشركون تعنتًا وعنادًا بقولهم: ﴿لولا أوتي مثل ما أوتي موسى﴾ وأجاب الله تعالى عن اقتراحهم بقوله: ﴿أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل﴾ أي من قبل محمد عليه الصلاة والسلام أو من قبل هذا القول، بيّن كيفية كفرهم بما أوتي موسى من وجهين: الأول قولهم: ﴿ساحران تظاهرا﴾ والثاني قولهم: ﴿إنا بكل كافرون﴾ ثم إنه تعالى لما أجاب عن اقتراحهم ببيان أنهم متعنتون فيه أمر رسوله عليه الصلاة والسلام بأن يتحداهم بما يحقق عجزهم عنه ليكون ذلك حجة على صدقه في دعوى الرسالة فقال: ﴿قل فائتوا بكتاب من عند الله﴾ الآية وقوله: ﴿أتبعه﴾ مجزوم على أنه جواب الأمر وهو «فائتوا». وقرىء «أتبعه» بالرفع استئنافًا أي فأنا اتبعه.

قوله: (وهذا من الشروط التي يراد بها الإلزام والتبكيت) لأن مثل هذا الشرط إنما يذكر ممن يثق بأمره ويعتمد على صحته كقول العامل لمن أخر جعله: إن لم أعمل لك فقل اقطع

مجيء حرف الشك للتهكم بهم. ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ﴾ دعاءك إلى الإتيان بالكتاب إلا هدى فحذف المفعول له للعلم به، ولأن فعل الاستجابة يعدّى بنفسه إلى الدعاء، وباللام إلى الداعي فإذا عدي إليه حذف الدعاء غالبًا كقوله:

وداعٍ دعا يا مَن يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ إذ لو اتبعوا حجة لأتوا بها. ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ استفهام بمعنى النفي. ﴿بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ في موضع الحال للتأكيد أو التقييد فإن هوى النفس قد يوافق الحق. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك في اتباع الهوى. ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ اتبعنا بعضه بعضًا في الإنزال ليتصل التذكير، أو في النظم لتتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ فيؤمنون ويطيعون.

العمل. **قوله:** (فحذف المفعول) فإن استجاب بمعنى أجاب وهو يقتضي الدعاء البتة ويتعدى إليه، فإن قيل: فأين الدعاء من قبله عليه الصلاة والسلام؟ قلنا: هو أمره إياهم بقوله: ﴿فاتوا بكتاب من عند الله﴾ فإن الأمر بعث على الفعل ودعاء إليه. **قوله:** (ولأن فعل الاستجابة يعدّى بنفسه إلى الدعاء) فيقال: استجاب دعاءه وباللام إلى الداعي فيقال: استجاب له. فإذا عدي إلى الداعي كما في الآية حذف الدعاء غالبًا فلا يقال: استجاب له دعاءه إلا نادرًا فحذف الدعاء في الآية أيضًا اتباعًا للعرف الغالب. والأول كما في البيت:

(وداعٍ دعا يا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب)

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة لعل أبي المغوار منك قريب

أي رُبّ داعٍ دعا هل من مجيب إلى الندى، أي هل أحد يمنح المستمنحين، فلم يجبه أحد. وأورد البيت استشهادًا على تعديته إلى الدعاء بنفسه بناء على أن تقديره فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف فمعنى الآية: فإن لم يستجيبوا لك فيما تدعوه إليه ولم يأتوا بمثل التوراة والإنجيل والقرآن فاعلم أنما يتبعون أهواءهم، وأن ما ارتكبوه من الكفر لا حجة لهم فيه. ثم ذمهم على إيثارهم الهوى على الهدى بقوله: ﴿ومن أضل﴾ الآية وهذا من أعظم الدلائل على فساد التقليد وأنه لا بد من الحجة والاستدلال. **قوله:** (اتّبعنا بعضه بعضًا) يعني أن التوصيل بمعنى الوصل ضد القطع، وأصله من وصل الجبل. والمراد بهذا التوصيل إما التعاقب في النزول وإما التناوب والتعاضد ولعل بناء التفعيل للدلالة على كثرة الوصل وتكرره بأي معنى كان، ولا وجه لكونه للتعدية لأن الوصل أيضًا متعد.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ نزلت في مؤمني أهل الكتاب. وقيل: في أربعين من أهل الإنجيل اثنان وثلاثون جاؤوا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام. والضمير في «من قبله» للقرآن كالمستكن في ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾ أي بأنه كلام الله تعالى. ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾ استئناف لبيان ما أوجب إيمانهم به. ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ استئناف آخر للدلالة على أن إيمانهم به ليس مما أحدثوه حينئذ وإنما هو أمر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على دين الإسلام قبل نزول القرآن، أو تلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ مرة على إيمانهم بكتابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن. ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ بصبرهم وثباتهم على الإيمانين أو على الإيمان بالقرآن قبل النزول وبعده، أو على أذى من هاجرهم من أهل دينهم. ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه الصلاة والسلام: «أتبع الحسنة السيئة تمحها». ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ في سبيل الخير ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ﴾ تكرمًا ﴿وَقَالُواْ﴾ للاغين ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ متاركه لهم وتوديعًا أو دعاء لهم بالسلامة عما هم فيه ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ لا نطلب صحبتهم ولا تريدها ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ لا تقدر أن تدخله في الإسلام ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ فيدخله في الإسلام ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ بالمستعدين لذلك. والجمهور على أنها نزلت في أبي طالب فإنه لما احتضر جاءه رسول الله ﷺ وقال: «يا عم قل لا إلٰه إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله». قال: يا ابن أخي إني علمت إنك لصادق ولكني أكره أن يقال: جزع عند الموت ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ

قوله تعالى: (الذين آتيناهم) مبتدأ و«هم» مبتدأ ثانٍ و«يؤمنون» خبره والجملة خبر الأول وبه متعلق «يؤمنون» قدم على عامله لكونه عناية متعلقة ببيان إيمانهم به ولا يكن جعله للاختصاص لأنهم لو خصوا إيمانهم بهذا الكتاب فقط لزم كفرهم بما عداه وهو عكس المراد. **قوله:** (باعتقادهم صحته في الجملة) أي ولكونهم على دين الإسلام باعتقادهم صحته وإن لم يتدينوا به قبل ذلك. **قوله:** (نزلت في أبي طالب) روي أنه قال عند موته: يا معشر بني عبد مناف أطيعوا محمدًا وصدقوه تفلحوا وترشدوا. فقال ﷺ: «يا عم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك». قال: فما تريد يا ابن أخي؟ قال: «أريد منك كلمة واحدة لأنك في آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله». قال: يا ابن أخي قد علمت أنك صادق ولكني أكره أن يقال: جزع عند الموت ولولا ذلك لأقررت عينك بها ولكني على ملة أشياخي عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقصي». فقام

﴿نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ﴾ نخرج منها. نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف أتى النبي عليه الصلاة والسلام وقال: نحن نعلم بأنك على الحق ولكنا نخاف إن اتبعناك خالفنا العرب وإنما نحن أكلة رأس أن يتخطفونا من أرضنا. فرد الله عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ أولم نجعل مكانهم حرمًا ذا أمن بحرمة البيت الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه ﴿يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ﴾ يحمل إليه ويجمع فيه. وقرأ نافع ويعقوب رواية بالتاء. ﴿ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ من كل أوب ﴿رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا﴾ فإذا كان هذا حالهم وهم عبدة الأصنام فكيف نعرضهم للخوف والتخطف إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة التوحيد؟ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا. وقيل: إنه متعلق بقوله: «من لدنا» أي قليل منهم يتدبرون فيعلمون أن ذلك رزق من عند الله، إذ لو علموا لما خافوا غيره. وانتصاب «رزقا» على المصدر من معنى يجبى

عليه الصلاة والسلام من عنده باكيًا لما كان حريصًا على إسلامه لتكفله إياه في صباه وذبه عنه في كبره حتى قال أبو طالب لقريش حين هموا بقتله:

كذبتم وبيت الله لا تقتلونه ولما نطا عن حوله ونقاتل
ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وهذه الآية حجة لنا على المعتزلة في قولهم: إن الهدى هو البيان، وقد هدي الناس جميعًا ولكن لم يهتد البعض منهم بسوء اختيارهم. فهذه الآية دلت على أن وراء البيان ما سمي هداية وهو خلق الاهتداء وإعطاء التوفيق والقدرة التي هي داعية اكتساب الخير والاجتناب عن الشر إذ يفعل ما يشاء بحكمته لا يسأل عما يفعل. قوله: (أولم نجعل مكانهم حرمًا ذا أمن) إشارة إلى ما مر من أن أصل التمكين أن يجعل للشيء مكانًا يتمكن فيه، ولما تضمن معنى الجعل عدي بنفسه إلى قوله: «حرما» وأن قوله: «آمنا» فاعل بمعنى انتسب أي ذا أمن يكون كل من دخله آمنًا. ومن قرأ «تجبى» بتاء التأنيث اعتبر لفظ «ثمرات» ومن قرأ بالياء نزل الفاصل منزلة التاء واعتبر كون التأنيث غير حقيقي، والجملة صفة ثانية لحرما. والظاهر أن الرزق اسم بمعنى المرزوق فيكون في موضع الحال من «ثمرات» لتخصصها بالإضافة كنصبك الحال من النكرة المتخصصة بالصفة. ويجوز أن يكون مفعولاً له بمعنى سوقها إليه «رزقا» وأن يكون مصدرًا من غير لفظ الفعل لأن يجبى إليه بمعنى يرزق فإن قلت: فحينئذ يكون التقدير: يرزق الحرم ولا معنى له قلنا: يجوز أن يسند الرزق إلى الحرم مجازًا والأصل يرزق أهله. قوله: (جهلة لا يتفطنون له) أي لقدر ربوبية الله تعالى وعظمته حيث آمنهم ورزقهم بحرمة الحرم حال شركهم، فكيف لا يعصمهم من الخوف والقحط إذا

أو الحال من الثمرات لتخصصها بالإضافة. ثم بيّن أن الأمر على العكس فإنهم أحقاء بأن يخافوا من بأس الله على ما هم عليه بقوله:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ أي وكم من أهل قرية كانت حالهم كحالكم من الأمن وخفض العيش حتى أشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم. ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ﴾ خاوية ﴿لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ من السكنى إذ لا يسكنها إلا المارة يومًا أو بعض يوم أو لا يبقى من يسكنها ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ من شؤم معاصيهم ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ منهم لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم سائر متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض وبجعلها ظرفًا بنفسها كقولك: زيد ظني مقيم أو بإضمار زمان مضاف إليه أو مفعولاً على تضمين بطرت معنى أشرت ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾ وما

ضموا إلى حرمة الحرم التوحيد؟ فيكون الاستدراك متعلقًا بمضمون قوله: ﴿أو لم نمكن لهم حرمًا آمنًا﴾ **لا بقوله:** ﴿من لدنا﴾ **كما ذهب إليه صاحب الكشاف.**

قوله: (ثم بين أن الأمر بالعكس) أي بعدما رد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿أو لم نمكن لهم حرمًا آمنًا﴾ بيّن لهم أن الأمر بالعكس أي بعكس ما يظنون من أن الإيمان يستلزم الخوف من زوال نعمة الدنيا، فإن الإصرار على عدم قبول الإيمان هو الذي يزيل هذه النعمة لا الإقدام على الإيمان. **قوله:** (وخفض العيش) الخفض الدعة والرفاهية و«كم» في محل النصب بقوله: «أهلكنا» و«معيشتها» منصوب بنزع الخافض أي في معيشتها. والبطر الطغيان في النعمة وأن لا يحفظ حق الله تعالى فيها بصرفها فيما أمر به. **قوله تعالى:** (فتلك) مبتدأ و«مساكنهم» خبر و«لم تسكن» جملة حالية والعامل فيها معنى «تلك». ويجوز أن تكون خبرًا ثانيًا و«إلا قليلاً» أي إلا سكنى قليلاً وإلا زمانًا قليلاً. **قوله:** (وانتصاب معيشتها بنزع الخافض) كقوله: زيد ظني مقيم أي في ظني. جعل كل واحد من المعيشة والظن ظرفًا مبني على الاتساع، وليسا بظرفين حقيقة لأنهما مصدران والمصدر لا يكون ظرفًا للحدث، إلا أنه جعلت المعيشة كأنها زمان البطر والظن زمان الإقامة أو زمان الإخبار عن إقامة زيد، أو زمان الحكم به عليه، أو زمان إسناد القيام إلى زيد. وهذا معنى قول شرف الدين الطيبي: والعامل في ظني الأمر المنتزع من معنى الجملة كالإخبار والإسناد والحكم، وقد تقرر أن ظروف الزمان كلها تقبل النصب بتقدير «في» على اعتبار نزع الخافض بخلاف ظرف المكان فإنه لا يقبله إلا إذا كان مبهمًا أو محمولاً على المبهم، فإن اتسع بجعل المعيشة مكان البطر احتيج إلى اعتبار نزع الخافض، وإن جعلت زمان البطر تكون ظرفًا بنفسها أو بإضمار زمان مضاف إليها كقولك: آتيك خفوق النجم ومقدم الحاج أي بطرت أيام معيشتها ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وأعرب بإعرابه. **قوله:** (أو مفعولاً) أي أو بجعلها مفعولاً لبطرت

كانت عادته ﴿مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا﴾ في أصلها التي هي أعمالها لأن أهلها يكون أفطن وأنبل. ﴿رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ لإلزام الحجة وقطع المعذرة ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ بتكذيب الرسل والعتو في الكفر. ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ﴾ من أسباب الدنيا ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ تتمتعون وتتزينون به مدة حياتكم المنقضية ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ وهو ثوابه ﴿خَيْرٌ﴾ في نفسه من ذلك لأنه لذة خالصة وبهجة كاملة. ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ لأنه أبدي ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ فتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير. وقرأ أبو عمرو بالياء وهو أبلغ في الموعظة. ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ وعدًا بالجنة فإن حسن الوعد بحسن الموعود. ﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ مدركه لا محالة لامتناع الخلف في وعده. ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى

على تضمينه معنى كفرت، أو جهلت أي كفرت نعمتها، أو جهلت شكر معيشتها ثم حذف المضاف. قوله: (التي هي أعمالها) أي توابعها وسوادها وضمير «هي» يرجع إلى «القرى». قوله: (لأن أهلها) أي أهل أم القرى يكون أفطن وأنبل أي أكثر فطنة ونبالة، وهي الفضل والشرف يقال نبل فلان فهو نبيل أي شرف فهو شريف. فإن الرسل إنما تبعث غالبًا إلى الأشراف وهم غالبًا يسكنون المدن والمواضع التي هي أم ما حولها، فلذلك خصت أم القرى ببعثة الرسل فيها. ووجه اتصال قوله تعالى: ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً﴾ **بما قبله أنه تعالى لما قال:** ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها﴾ **توجه أن يقال: لم لم يَهلك الله تعالى الكفار قبل بعثة الرسل عليهم السلام مع أنهم كانوا مستغرقين في الكفر والبطر؟ وأن يقال: ولم لم يهلكهم بعد بعثته عليه الصلاة والسلام مع استغراقهم في الكفر بالله تعالى وتكذيب رسوله ﷺ ومعاداته؟ فأجاب الله تعالى عن الأول بقوله:** ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً﴾ **إلزامًا للحجة وقطعًا للمعذرة، وعن الثاني بقوله:** ﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ **أي أنفسهم بالشرك. وأهل مكة ليسوا كذلك فإن بعضهم قد آمن وبعضهم علم الله تعالى منهم أنهم سيؤمنون، وآخرون علم الله تعالى أنهم وإن لم يؤمنوا لكن يخرج من نسلهم من يكون مؤمنًا. اعلم أن الله تعالى رد أولاً على الذين** ﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ [القصص: ٥٧] **بقوله:** ﴿أولم نمكن لهم حرمًا آمنًا﴾ **ثم بيّن أن الأمر بالعكس، ثم شرع في إزاحة شبهتهم بوجه آخر فقال:** ﴿وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا﴾ **لأن حاصل شبهتهم إن قالوا تركنا الدين لئلا تفوت منا الدنيا فبيّن الله تعالى أن ذلك خطأ عظيم لأن ما عند الله خير وأبقى. قوله: (وهو أبلغ في الموعظة) لأن الالتفات من الخطاب إلى الغيبة يدل على أن حقهم أن يولي عنهم وأن لا يتوجه إليهم بالخطاب كأنهم منسلكون في سلك المجانين خارجون عن حد العقل**

السببية. ﴿كَمَن مَّتَّعْنَـٰهُ مَتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الذي هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع. ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾ للحساب أو العذاب. و«ثم» للتراخي في الزمان أو الرتبة. وقرأ نافع وقالون في رواية والكسائي «ثم هو» بسكون الواو تشبيهًا للمنفصل بالمتصل. وهذه الآية كالنتيجة للتي قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء. ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ عطف على «يوم القيامة» أو منصوب «باذكر» ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ أي الذين كنتم تزعمونهم شركائي، فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [صَ: ٨٥] وغيره من آيات الوعيد ﴿رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ﴾ أي هؤلاء هم الذين أغويناهم، فحذف الراجع إلى

بالكلية، فيكون أبلغ في الزجر والموعظة. ثم إنه تعالى لما رجح ثواب الآخرة على منافع الدنيا أكد هذا الترجيح بقوله: ﴿أفمن وعدناه﴾ على إيمانه ﴿وعدًا حسنًا﴾ هو الجنة وثوابها ﴿فهو لاقيه﴾ أي مصيبه ومدركه ﴿كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ والفاء في قوله: «أفمن وعدناه» للتعقيب والتقدير: بعد هذا التفاوت العظيم بين منافع الدنيا والآخرة. والمقصود أنهم لما قالوا: تركنا الدين للدنيا قال الله تعالى لهم: لو لم تحصل عقيب دنياكم مضرة العقاب لكان العقل يقتضي ترجيح منافع الدنيا على منافع الآخرة، كيف وهذه الدنيا يحصل بعدها العقاب الدائم؟ ثم إنه تعالى بيّن أنه يسأل الكفار يوم القيامة عن ثلاثة أشياء: أولها قوله: ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي﴾ وثانيها قوله تعالى: ﴿وقيل ادعوا شركاكم﴾ وثالثها قوله تعالى: ﴿ويوم يناديهم﴾ فيقول: ماذا أجبتم المرسلين فإن الكفار يعرفون يوم القيامة بطلان ما كانوا عليه وصحة التوحيد والنبوة بالضرورة فيقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ ﴿أين شركائي﴾ فظاهر أنهم يعتذرون حينئذ بأن الشياطين أو الرؤساء دعونا إلى عبادتها وحملونا على الغواية، فحكى الله تعالى ما يقوله الشياطين أو الرؤساء في جوابهم فقال: ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ الآية فإنهم اختلفوا في أن الذين حق عليهم القول من هم؟ فقال بعضهم: هم الرؤساء الدعاة إلى الضلالة وقال آخرون: هم الشياطين.

قوله: (أي هؤلاء هم الذين أغويناهم) يريد أن «هؤلاء» مبتدأ وقوله: «الذين أغوينا» صفة للخبر المحذوف و«أغويناهم» مستأنف و«أغوينا» صلة الذي حذف فيها العائد إلى الموصول. وأعربه صاحب الكشاف بأن جعل «هؤلاء» مبتدأ و«الذين أغوينا» صفته بحذف

الموصول ﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ أي أغويناهم فغووا غيًا مثل ﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾ [القصص: ٦٣] وهو استئناف للدلالة على أنهم غووا باختيارهم وأنهم لم يفعلوا بهم إلا وسوسة وتسويلاً. ويجوز أن يكون «الذين» صفة و«أغويناهم» الخبر لأجل ما اتصل به فأفاده زيادة على الصفة، وهو وإن كان فضلة لكنه صار من اللوازم. ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ﴾ منهم. ومما اختاروه من الكفر هوى منهم، وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف، وكذا: ﴿مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ أي ما كانوا يعبدوننا وإنما كانوا يعبدون أهواءهم. وقيل: «ما» مصدرية متصلة «بتبرأنا» أي تبرأنا من عبادتهم إيانا.

﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ﴾ من فرط الحيرة ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ لعجزهم عن الإجابة والنصرة ﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ لازبًا بهم ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾﴾ لوجه من

العائد وجعل «أغويناهم» خبرًا وجعل «كما غوينا» نعتًا لمصدر محذوف عامل ذلك المصدر مطاوع لذلك الفعل أي فغووا غيًا كما غوينا. ولم يرض به المصنف لأنه ليس في الخبر زيادة فائدة على ما في صفته، فإن قلت: قد وصف الخبر بقوله: ﴿كما غوينا﴾ وفيه زيادة ليست في الصفة والموصوف. أجيب بأن الزيادة في الظرف لا تصيره أصلاً في الجملة لأن الظروف فضلات. قال أبو البقاء: ولا يمتنع أن يكون «هؤلاء» مبتدأ و«الذين» صفته و«أغويناهم» الخبر لأنه يفيد فائدة زائدة على ما يستفاد من الصفة من أجل ما اتصل به وإن كان ظرفًا لأن الفضلات في بعض المواضع تلزم كقولك: زيد عمرو في داره، فإن في داره وإن كان ظرفًا لكنه لا بد منه ليعود من الجملة ضمير إلى المبتدأ فصار بذلك كأحد شطري الجملة. **قوله:** (أي أغويناهم فغووا غيًا مثل ما غوينا) حاصله أنه لا فرق بين غينا وغيهم في أن كل واحد منهما بالاختيار. أما غينا فلأنه ما كان لنا قاسر على ذلك ولا داع إليه بل هو وسوسة لنا وأما غيهم فلأنه ما كان لهم قاسر ألجأهم عليه بل غووا باختيارهم لأنه إغواءنا لهم لم يكن إلا وسوسة وتسويلاً لا قسرًا وإلجاء، فلا فرق بين غينا وغيهم في أن كل واحد منهما وقع بالاختيار. **قوله:** (أي ما كانوا يعبدوننا) إشارة إلى أن «إيانا» مفعول «يعبدون» قدم لأجل الفاصلة. وعلى تقدير أن تكون «ما» مصدرية لا بد من تقدير حرف «من» أي تبرأنا مما كانوا أي من عبادتهم إيانا كما أشار إليه المصنف.

قوله: (فدعوهم من فرط الحيرة) أي لا بناء على اعتقادهم أن الأصنام يشفعون لعابديهم ويخلصونهم مما أصابهم من العذاب لأن المشركين يعرفون بالضرورة يوم القيامة أن الحكم لله الواحد القهار وأنه لا يشفع أحد إلا بإذنه. قال الإمام: فالأقرب أن هذا على سبيل التقدير والفرض لأنهم يعلمون أنه لا فائدة في دعائهم لهم، فالمراد أنهم لو دعوهم لم يوجد منهم إجابة في النصرة وأن العذاب ثابت وكل ذلك على وجه التوبيخ.

الحيل. يدفعون به العذاب أو إلى الحق لما رأوا العذاب. وقيل: وللتمني أي تمنوا أنهم كانوا مهتدين ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ عطف على الأول فإنه تعالى يسأل أولاً عن إشراكهم به ثم عن تكذيبهم الأنبياء. ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ﴾ فصارت الأنباء كالعمى عليهم لا تهتدى إليهم. وأصله فعموا عن الأنباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على أن ما يحضر الذهن إنما يفيض ويرد عليه من خارج، فإذا أخطأه لم يكن له حيلة إلى استحضاره. والمراد بالأنباء ما عابوا به الرسل أو ما يعمها وإذا كانت الرسل يتتعتعون في الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون إلى علم الله تعالى، فما ظنكم بالضلال من أممهم؟ وتعدية الفعل بـ «على» لتضمنه معنى الخفاء. ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ لا يسأل بعضهم بعضًا عن الجواب لفرط الدهشة أو العلم

قوله: (يدفعون به العذاب) صفة لقوله: «لوجه من الحيل» ولو كان جواب «لو» لقيل: لدفعوا به العذاب بلفظ الماضي كما قال لما رأوا العذاب. والمقصود أن جواب «لو» محذوف هو قوله: «لما رأوا العذاب» وتقدير اللام لو كان يهتدون إلى الحق في الدنيا لما رأوا العذاب في الآخرة، أو لو كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب لدفعوه به لما رأوه. وعلى تقدير أن تكون «لو» للتمني يكون المعنى: ورأوا العذاب متمنين الاهتداء في الدنيا. **قوله:** (فإنه تعالى يسأل أولاً عن إشراكهم به) توبيخًا على عبادة غير الله تعالى بناء على توقع الإجابة والنصرة منهم، ثم على تكذيبهم الأنبياء تبكيتًا لهم بالاحتجاج عليهم بإرسال الرسل وإزاحة العلل، وذكر بينهما ما يقوله الشياطين أو الرؤساء بناء على أنهم إذا وبخوا بعبادة الآلهة كانوا يعتذرون بأنهم استغوونا وصدونا عن الهدى وزينوا لنا عبادتها، فحكى الله تعالى جواب الشياطين أو الرؤساء لهم بقولهم: أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل أنتم غويتم باختياركم، ثم عقبه بذكر ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم بآلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم. فهذا وجه ارتباط الكلام من قوله تعالى: ﴿ويوم يناديهم أين شركائي﴾ إلى قوله: ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾. **قوله:** (فصارت الإنباء كالعمى عليهم) إشارة إلى أن الإنباء استعارة بالكناية بأن شبهت في النفس بذوي الإرادة المتوجهين إلى شيء، وجعل إثبات العمى لها دليلاً عليه والعمى عمى العين يقال: عمى يعمي عمى إذا اختل عينه وقولهم: عمي عليه الخبر أي خفي مجاز من عمى البصر. فالأصل أن يسند العمى عن الإنباء إلى الكفار لكنه عكس مبالغة، فإن الأصل يوهم أن يتحقق الجواب في نفسه وأنهم لم يطلعوا عليه لخلل من قبلهم بخلاف العكس. **قوله:** (يتتعتعون في الجواب عن مثل ذلك) أي السؤال وذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩] والتعتعة في الكلام

بأنه مثله. ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ وجمع بين الإيمان والعمل الصالح ﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ (٦٧)﴾ عند الله. و«عسى» تحقيق على عادة الكرام أو ترج من التائب بمعنى فليتوقع أن يفلح. ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ لا موجب عليه ولا مانع له ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ أي التخير كالطيرة بمعنى التطير. وظاهره نفي الاختيار عنهم رأسًا والأمر كذلك عند التحقيق. فإن اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع لا اختيار لهم فيها. وقيل: المراد أنه ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف. ويؤيده ما روي أنه نزل في قولهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] وقيل: «ما» موصولة مفعول «ليختاروا» الراجع إليه محذوف. والمعنى: ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة أي الخير والصلاح. ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تنزيهًا له أن ينازعه أحد أو يزاحم اختياره اختيار. ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨)﴾ عن إشراكهم أو مشاركة ما يشركونه به.

التردد فيه من حصر أو عي. **قوله:** (فإن اختيار العباد مخلوق باختيار الله تعالى) لدخول اختيارهم في عموم قوله تعالى: ﴿يخلق ما يشاء﴾ فإن قوله: «ما يشاء» يتناول الأعيان والأعراض. وقد اتفق المسلمون على أنه تعالى شاء جميع ما يفعله العباد من جميع الخيرات والطاعات التي من جملتها اختيار الطاعة، فلما كان جميع ذلك مما شاءه الله تعالى لزم أن يوجد بخلق الله تعالى إذ أخبر أنه يخلق ما يشاء. فالآية حجة لنا على المعتزلة في مسائل خلق أفعال العباد لأنه إذا كانت الخيرة بمشيئة الله تعالى وجب كونها من مخلوقات الله تعالى بحكم هذه الآية.

قوله: (وقيل المراد) أي قيل: ليس المراد نفي الاختيار عنهم رأسًا بل المراد أنه ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه شيئًا من الأمور، بل الخيرة لله تعالى في جميع أفعاله وهو أعلم بوجوه الحكمة في جميع ما فعله فيكون قوله: ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ بيانًا لقوله: ﴿ويختار﴾ فلذلك لم يعطف عليه. ولما قال المشركون: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] واختاروا للرسالة الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف رد الله تعالى عليهم أنه يختار من يشاء لنبوته ورسالته أي فكما أن الخلق له فالاختيار للنبوة إليه، فليس لهم أن يختاروا على الله تعالى شيئًا من أفعاله. **قوله:** (وقيل ما موصولة) فعلى هذا يوقف على قوله: ﴿وربك يخلق ما يشاء﴾ ويبتدأ بقوله: ﴿ويختار ما كان لهم الخيرة﴾ بخلاف ما إذا كانت كلمة «ما» حرف نفي فإنه حينئذ يوقف على قوله: «وربك يخلق ما يشاء ويختار» ويبتدأ من قوله: ﴿ما كان لهم الخيرة﴾. **قوله:** (عن إشراكهم أو مشاركة ما يشركونه به) على الأول «ما» مصدرية وعلى الثاني موصولة بتقدير المضاف.

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ كعداوة رسول الله وحقده ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ كالطعن فيه ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ المستحق للعبادة ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا أحد يستحقها إلا هو ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ﴾ لأنه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ [الزمر: ٧٤] ابتهاجًا بفضله والتذاذًا بحمده. ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ في كل شيء ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ بالنشور ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ دائمًا من السرد وهو المتابعة. والميم مزيدة كميم دلامص. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بإسكان الشمس تحت الأرض أو تحريكها حول الأفق الغائر ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ﴾ كان حقه هل إله؟ فذكر بمن على زعمهم أن غيره آلهة. وعن ابن كثير «بضئاء» بهمزتين ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾ سماع تدبر واستبصار. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بإسكانها في وسط السماء أو تحريكها على مدار فوق الأفق ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ

قوله: (ابتهاجًا بفضله والتذاذًا بحمده) لا بناء على الأمر بالتكليف. ومما يدل على أن الحمد في الآخرة على وجه اللذة لا على وجه الكلفة ما روي عن جابر رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون». قالوا: فما بال الطعام؟ «قال: «جشاء وريح كريح المسك يلهمون التسبيح والتقديس كما يلهمون النفس». والإلهام أن يلقي الله تعالى في النفس أمرًا يبعثه على الفعل أو الترك وهو نوع من الوحي، فإن قوله عليه الصلاة والسلام: «يلهمون» يدل على أنهم لا يكلفون بهما. ثم إنه تعالى لما بيّن أنه المحمود في الأولى والآخرة لكونه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها فصل عقيب ذلك بعض ما يجب أن يحمد عليه مما لا يقدر عليه سواه فقال: ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدًا﴾ الآية ونبّه به أيضًا على هدم قاعدة الشرك ببيان انتفاء لازم الألوهية عما سواه وهو القدرة على كل شيء فيكون تقريرًا لقوله: ﴿لا إله إلا هو﴾. **قوله:** (كميم دلامص) وهو البراق يقال: دلصت الدرع تدلص من باب نصر أي صارت لينة براقة ويقال: درع دلاص وأدرع دلاص. فالواحد والجمع على لفظ واحد والميم زائدة في دلامص. وكذا في «سرمدًا» فوزنه فعملا. نبّه الله تعالى بهذه الآية على أن الليل والنهار نعمتان متعاقبتان على الزمان. ووجه ذلك أن المرء في الدنيا مضطر إلى أن يتعب لتحصيل ما يحتاج إليه ولا يتم ذلك إلا براحة وسكون بالليل ولا بد منهما في الدنيا، وأما في الجنة فلا نصب فيها ولا تعب فلا حاجة لأهلها إلى الليل ولذلك يدوم لهم الضياء واللذات. فبيّن بذلك أن القادر على ذلك ليس إلا الله تعالى فقوله تعالى: ﴿قل

ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِۖ﴾ استراحة من متاعب الأشغال. ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لأن الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه، ولا كذلك الليل حيث قال: ﴿تسكنون فيه﴾ ولأن منافع الضوء أكثر مما يقابله ولذلك قرن ﴿أفلا تسمعون﴾ وبالليل ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ لأن استفادته العقل من السمع أكثر من استفادة من البصر. ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ في النهار بأنواع المكاسب ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها. ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ تقريع بعد تقريع للإشعار بأنه لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك به، أو الأول لتقرير فساد آرائهم والثاني لبيان أنه لم يكن عن سند وإنما كان محض تشهي وهوى.

أرأيتم﴾ أي أخبروني يا أهل مكة. و«سرمدًا» مفعول ثانٍ لجعل إن كان بمعنى صير وحال إن كان بمعنى خلق وأنشأ. والظاهر أن يقال: هل إلـٰه، لأن المقام مقام إنكار إلـٰه يقدر على ذلك غير الله تعالى؟ لا مقام تعيين إلـٰه يقدر عليه غيره إلا أنه ذكر من بناء على زعمهم تعدد الإلـٰه فقيل في الرد عليهم لمن الألوهية تقتضي القدرة على كل شيء فأي شيء مما تزعمون أنه إلـٰه من دون الله يقدر على ما ذكرنا. **قوله**: (ولعله لم يصف الضياء) يعني أنه تعالى وصف الليل بقوله: ﴿تسكنون﴾ فكان المناسب أن يصف الضياء بما يقابل ما وصف به الليل ويقول: من يأتي بضياء تتصرفون فيه إن جعل الله الليل سرمدًا إلا أنه عدل عنه ولم يصف الضياء أصلاً للإيذان بأن الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه. ولو قيل: بضياء تتصرفون فيه لفهم أنه إنما يقصد لما يتوصل إليه ولا يقصد لنفسه، ولأنه لو وصف الضياء بما يقابل ما وصف به الليل لفهم أن منفعته منحصرة فيما وصف به وليس بمنحصرة فيه بل له منافع كثيرة، فأطلق الإيذان بذلك والاحتراز عن توهم الانحصار. **قوله**: (ولذلك) أي ولأجل كون منافع الضوء أكثرِ من منافع ما يقابله، قرن بالضياء ما يكون منفعته أكثر من منفعة ما يقارن الليل وهو البصر. وإنما قلنا إن منافع السمع أكثر من منافع البصر، لأن العقل لا يستفيد من البصر إلا صور المبصرات بخلاف السمع فإن العقل يدرك بواسطة السمع جميع أنواع المحسوسات بل المعقولات الصرفة إذا عبّر عنها بالعبارة الدالة عليها. **قوله**: (ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك) أي في خلق الليل والنهار بحيث يتعاقبان على وجه معيّن. بيّن الله تعالى بهذه الآية أن الحكمة في خلقهما هكذا: ثلاثة أشياء اثنان منها يترتبان على خلقهما بطريق اللف والنشر والثالث يترتب على خلقهما جميعًا فليس فيه اعتبار اللف.

قوله: (والثاني لبيان أنه) أي القول بالشركاء لم يكن عن سند بقرينة ما بعده فإن قوله:

﴿وَنَزَعْنَا﴾ وأخرجنا ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه ﴿فَقُلْنَا﴾ للأمم ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على صحة ما كنتم تدينون به. ﴿فَعَلِمُوا﴾ حينئذ ﴿أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ في الإلهية لا يشاركه فيها أحد ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ وغاب عنهم غيبة الضائع. ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ من الباطل. ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي وكان ممن آمن به. ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ فطلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت أمره أو تكبر عليهم أو ظلمهم. قيل: وذلك حين ملكه فرعون على بني إسرائيل، أو حسدهم لحالته لما روي أنه قال لموسى: لك الرسالة

﴿ونزعنا﴾ ﴿فقلنا﴾ معطوفان على قوله: ﴿يناديهم﴾ فيقول: أوتر فيهما لفظ الماضي لكونهما في حكم الواقع لتحقق وقوعهما وجعل المقام مقام ذكر الغيبة وجعل «ضل» مستعارًا بمعنى غاب بتشبيه ما غاب بالشيء الضائع الهالك من حيث تحقق اليأس من حضوره والانتفاع به. وإطلاق اسم الضال عليه على طريق إطلاق اسم الأسد على الشجاع. قوله: (شهيدًا وهو نبيهم) سمي النبي شهيدًا لأنه شهد ما عملوا وحضر ما كان منهم من التصديق والتكذيب والرد والقبول. قوله: (يصهر بن قاهث) عطف بيان لعمه فإن يصهر أبا قارون وعمران أبا موسى كانا أخوين ابني قاهث وكان كل واحد من موسى وقارون ابنًا لعم الآخر، لأن قارون كان ابن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحٰق بن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وموسى عليه الصلاة والسلام كان ابن عمران بن قاهث بن لاوي. وقيل: معنى كونه من قوم موسى عليه الصلاة والسلام أنه كان مؤمنًا وكان أقرأ بني إسرائيل للتوراة فنافق كما نافق السامري. وروي أن قارون كان من السبعين المختارين الذين سمعوا كلام الله عز وجل. والبغي تجاوز الحد في الظلم. وذكر المصنف في طريق بغيه أربعة أوجه: الأول أنه طلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت يده ولا يبعد فإن كثرة المال سبب للبغي والتكبر. والثاني أنه تكبر وتجبر وسخط عليهم. والثالث أن فرعون ملكه على بني إسرائيل فظلمهم. والرابع أنه حسدهم لما روي أن موسى عليه الصلاة والسلام لما قطع البحر وأغرق الله فرعون، وجعل الحبورة لهارون فحصلت له النبوة والحبورة، فكان له القربان والمذبح وكان لموسى الرسالة. غضب قارون من ذلك في نفسه فقال: يا موسى لك الرسالة ولهارون الحبورة وأنا في غير شيء لا أصبر أنا على هذا. فقال موسى: والله ما صنعت ذلك لهارون بل جعل الله له ذلك. فقال: لا أصدقك أبدًا حتى تأتيني بآية أخرى أعرف بها أن الله تعالى جعل ذلك لهارون. فأمر موسى عليه الصلاة والسلام رؤساء بني إسرائيل أن يجيء كل واحد منهم بعصا فجاؤوا بها فألقاها موسى في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكان يعبد الله فيها، وكان ذلك بأمر الله تعالى، ودعا موسى ربه أن يريهم بيان ذلك فباتوا يحرسون عصيهم فأصبحوا وإذا

ولهارون الحبورة وإنا في غير شيء إلى متى أصبر؟ ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾ من الأموال المدخرة ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾ مفاتح صناديقه، جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به. وقيل: خزائنه وقياس واحدها الفتح. ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ خبر إن والجملة صلة «ما» وهو ثاني مفعولي «أتى». وناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله. والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا. وقرىء «لينوء» بالياء على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ منصوب «بتنوء» ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقًا لأنه نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها، فإن العلم بأن ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال:

أشد الغمّ عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا

ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] وعلل النهي ههنا بكونه مانعًا من محبة الله تعالى فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ أي بزخارف الدنيا ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ من الغنى ﴿ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ بصرفه فيما يوجبها لك، فإن المقصود منه أن يكون وصلة إليها ﴿وَلَا تَنسَ﴾ ولا تترك ترك المنسي

بعصا هارون تهتز ولها ورق أخضر وكانت من شجرة اللوز فقال موسى: يا قارون أما ترى ما صنع الله لهارون فقال: والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر. فاعتزل قارون بأتباعه وكان كثير المال والتبع من بني إسرائيل فما كان يأتي موسى ولا يجالسه. **قوله:** (من الأموال المدخرة) الكنوز في الأصل عبارة عن الأموال المدفونة تحت الأرض، فشبهت الأموال المدخرة بها فأطلق عليها اسم الكنوز. **قوله:** (وقيل خزائنه) عطف على قوله: «مفاتح صناديقه» أي وقيل: مفاتحه خزائنه كما في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩] أي خزائنه. وقياس واحده مفتح بفتح الميم لأنه ليس اسم آلة بل هو اسم لمكان الفتح وكلمة «ما» في قوله: ﴿ما إن مفاتحه﴾ موصولة بمعنى «الذي» و«أن» مع اسمها وخبرها وما يتعلق به صلة «الذي» ولهذا كسرت «أن» والموصول مع صلته في محل النصب على أنه مفعول ثانٍ «لأتينا» والباء في قوله: ﴿لتنوء بالعصبة﴾ للتعدية كالهمزة في قولك: أناءه الحمل أي أثقله. والمعنى: إن المفاتح لتثقل العصبة الأقوياء، فكما يعدى ذهب تارة بالباء والأخرى بالهمزة، فكذا ناء بمعنى ثقل يتعدى بالهمزة فيقال: أناءه الحمل ويعدى أيضًا بالباء فيقال: ناء به أي أثقله. **قوله:** (وقرىء لينوء بالياء) أي من تحت بناء على أن يكون الضمير في مفاتحه لقارون وأن يكون المفاتح بمعنى الخزائن، فاكتسب المضاف من المضاف إليه التذكير كما يكتسب منه التأنيث في قولهم: ذهبت أهل اليمامة.

﴿نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ وهو أن تحصل بها آخرتك أو تأخذ منها ما يكفيك ﴿وَأَحْسِن﴾ إلى عباد الله ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ فيما أنعم عليك. وقيل: أحسن بالشكر والطاعة كما أحسن إليك بالإنعام. ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ بأمر يكون علة للظلم والبغي. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ لسوء أفعالهم.

قوله: (وهو أن تحصل بها آخرتك) فإن نصيب المرء من الدنيا أن يتوسل بها إلى سعادة الآخرة بأن يطلب الأجر بها ويقدمها لذلك وأما ما خلفه فهو نصيب غيره. وجوّز أن يكون المراد بنصيبه من الدنيا أن يتمتع بها في الوجوه المباحة.

قوله: (بأمر يكون علة للظلم والبغي) يعني أن المراد بالفساد في الأرض الظلم والبغي، ويكون ابتغاؤه بمباشرة ما يؤدي إليه كحب المال والجاه والركون إلى الدنيا وإيثار الحظوظ الفانية على اللذات الباقية. فإن من ابتلي بمثل هذه الرذائل لا يتحاشى عن الظلم والبغي كما قيل: حب الدنيا رأس كل خطيئة، وكل من عصى الله تعالى فقد طلب الفساد في الأرض من حيث إن شؤم المعصية ينقص بركة الأرض. وقيل في تفسيره قوله تعالى: ﴿ولا تبغ الفساد في الأرض﴾ أي لا تجعل نعمة الله تعالى عليك ذريعة إلى عصيانه وعونًا على مخالفة أمره ونهيه. وقيل: الفساد في الأرض ما كان عليه من الظلم والبغي وهو معنى ما وجد في بعض النسخ نهى له عما كان عليه من الظلم والبغي. وقيل: هذا الواعظ هو موسى عليه الصلاة والسلام وقيل: هو مؤمن قومه. كائنًا من كان فقد جمع في وعظه ما لو قيل: لم يكن عليه مزيد لكان حقًا لكنه أبى أن يقبل بل زاد عليه كفر النعمة فقال: ﴿إنما أوتيته على علم﴾ أي إنما أعطيت هذا المال كائنًا على علم وفضل علمه الله تعالى عندي فرآني أهلاً لذلك ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بسائر الفضائل، نظر إلى نفسه ورأى أن ما حصل له من هذه السعة إنما حصل له لفضله واستحقاقه ولم ينظر إلى منة الله تعالى عليه في ذلك فافتخر بها وادعاها لنفسه فهلك. وكذا كل من زين في عينه أفعاله وأقواله وأحواله وابتهج بها ولم يعرف حق من أنعم بها فإنه يهلك بشؤم صنعه، كما خسف بقارون لما ادّعى لنفسه فضلاً. فقوله: «على علم» حال من مرفوع «أوتيته» قيد به العامل للإشارة إلى علة الإتيان وبيان وجه استحقاقه له. وقال سعيد بن المسيب والضحاك: كان موسى عليه الصلاة والسلام يعلم الكيمياء أنزل الله تعالى عليه علمها من السماء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن نونيا ثلثه وعلم قارون ثلثه، فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه وكان ذلك سبب كثرة أمواله، لأنه كان يأخذ الرصاص فيجعله فضة والنحاس فيجعله ذهبًا. وقال عطاء: إنه أصاب كنزًا من كنوز يوسف عليه الصلاة والسلام. قيل: كلمة «ما» في قوله: ﴿إنما أوتيته﴾ ليست بكافة بل هي بمعنى «الذي» أي إن الذي أوتيته على علم وعندي

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال و«على علم» في موضع الحال وهو علم التوراة وكان أعلمهم بها. وقيل: علم الكيمياء. وقيل: علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب. وقيل: علم بكنوز يوسف. و«عندي» صفة له أو متعلق «بأوتيته» كقولك: جاز هذا عندي أي في ظني واعتقادي ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ﴾ تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لأنه قرأه في التوراة وسمعه من حفاظ التواريخ. أو ردّ لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم عنه أي: أعنده مثل ذلك العلم الذي ادّعى؟ ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين. ﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨﴾ سؤال استعلام فإنه تعالى مطلع عليها، أو معاتبة فإنهم يعذبون بها بغتة كأنه لما هدد قارون بذكر إهلاك من قبله ممن كانوا أقوى منه وأغنى، أكد ذلك بأن بيّن أنه لم يكن مما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة. ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ﴾ كما قيل: إنه خرج على بغلة شهباء عليه الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف

صفة لعلم. **قوله تعالى:** (وأكثر جمعًا) معناه أكثر جمعًا للمال أو أكثر جماعة وعددًا. وحاصل الجواب أن اغتراره بماله وقوته وجموعه من الخطأ العظيم فإنه تعالى إذا أراد إهلاكه لم ينفعه ذلك ولا ما يزيد عليه أضعافًا كثيرة. **قوله:** (**أو ردّ لادعائه العلم**) عطف على قوله: «تعجب وتوبيخ» الأول على أن يكون قوله: ﴿أولم يعلم﴾ إثباتًا من الله تعالى بعلمه بأن الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى، على أن يكون الاستفهام في ﴿أولم يعلم﴾ للإنكار لأن إنكار النفي نفي النفي، ونفي النفي إثبات. والثاني على أن يكون نفيًا لعلمه بذلك بناء على أن يكون الاستفهام للتقريع. **قوله:** (**سؤال استعلام**) أي لا يسألون ليعلم ذلك من قبلهم لأنه تعالى عالم بكل المعلومات فلا حاجة به إلى أن يسأل عن كيفية ذنوبهم وكميتها، ولا ينافيه أن يسألوا سؤال توبيخ وتقريع كما دل عليه قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣] ويحتمل أن يكون المراد بالسؤال المنفي سؤال المعاتبة ويكون المعنى: أنهم يدخلون النار بغير حساب ويعذبون فيها بذنوبهم بدون أن يناقشوا ويعاتبوا عليها وقوله تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾ ينبغي أن يحمل على وقت آخر حينئذ. **قوله:** (**كأنه لما هدد قارون الخ**) إشارة إلى وجه اتصال قوله: ﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ بما قبله. **قوله:** (**على بغلة شهباء**) وهي التي يغلب ما فيها من البياض على سوادها. والأرجوان قطيفة حمراء. وقيل: كل ما يكون لونه أحمر بناء على أن الأرجوان معرب أرغوان وهو شجر له نور أحمر وكل ما يشبهه فهو أرجوان.

على زيه. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ على ما هو عادة الناس من الرغبة. ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾ تمنوا مثله لا عينه حذرًا من الحسد. ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ من الدنيا ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ بأحوال الآخرة للمتمنين ﴿وَيْلَكُمْ﴾ دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضي ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ في الآخرة ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ مما أوتي قارون بل من الدنيا وما فيها. ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ الضمير فيه للكلمة التي تكلم بها العلماء، أو للثواب فإنه بمعنى المثوبة أو الجنة أو للإيمان والعمل الصالح فإنهما في معنى السيرة والطريقة. ﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ على الطاعات وعن المعاصي. ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ روي أنه كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد إلى أن يفضح موسى بين بني إسرائيل ليرفضوه، فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبًا فقال: من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنًا رجمناه. فقال قارون: ولو كنت قال ولو كنت قال إن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة، فاستحضرت فناشدها موسى بالله أن تصدق فقالت: جعل لي قارون جعلاً على أن أرميك بنفسي فخر موسى شاكيًا منه إلى ربه. فأوحي إليه أن مر الأرض بما شئت فقال: يا أرض خذيه فأخذته إلى ركبته ثم قال: خذيه فأخذته إلى وسطه ثم قال: خذيه فأخذته إلى عنقه ثم قال: خذيه فخسفت به. وكان قارون يتضرع إليه في هذه الأحوال فلم يرحمه فأوحى الله إليه: ما أفظك استرحمك مرارًا فلم ترحمه، وعزتي وجلالي لو دعاني مرة لأجبته، ثم قال بنو إسرائيل: إنما فعله ليرثه. فدعا الله حتى خسف بداره وأمواله. ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ﴾ أعوان مشتقة من فأوت رأسه إذا ميلته. ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فيدفعون عنه

قوله: (على زيه) وقيل: عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر. وفي المغرب الديباج الثوب الذي سداه ولحمته إبريسم. وقيل: اسم للنقش. **قوله:** (حذرًا من الحسد) وهو أن يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه، وهذا التمني مذموم بخلاف الغبطة وهي أن يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه. وما في الآية من هذا القبيل. **قوله تعالى:** (فخسفنا به) أي غيبناه في الأرض يقال: خسف المكان يخسف خسوفًا ذهب في الأرض، وخسف الله به الأرض أي غيبه فيها. **قوله:** (فبرطل بغية) أي أعطاها الرشوة. ومنه المثل البراطيل تنصر الأباطيل وهو جمع برطيل وهو في الأصل الحجر الطويل وأريد به ههنا الرشوة كما يقال: ألقمه الحجر إذا أسكته بالحجة. **قوله:** (مشتقة من فأوت رأسه) فوزنها فعة والهاء عوض عن اللام الساقطة بالإعلال. سميت الأعوان فئة لميلهم إلى صاحبهم بالمعاونة والنصرة. **قوله:**

عذابه. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ الممتنعين منه من قولهم: نصره من عدوه فانتصر إذا منعه منه فامتنع.

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ﴾ منزلته. ﴿بِٱلْأَمْسِ﴾ منذ زمان قريب. ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض. و«ويكأن» عند البصريين مركب من «وي» للتعجب و«كأن» للتشبيه والمعنى: ما أشبه الأمر أن الله يبسط وقيل: من «ويك» بمعنى ويلك، وأن تقديره: ويك أعلم أن الله. ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ فلم يعطنا ما تمنينا ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف بنا لأجله. ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا

(منذ زمان قريب) أي أول زمان قريب. والأمس في الأصل اسم لليوم الذي قبل يومك واستعير ههنا للزمان القريب. والمعنى: وصار القوم الذين تمنوا منزلته وما رزق من المال والزينة بالوقت القريب إلى زمان خسفه ما مضى يقولون الخ فإنه يعبر عن الصيرورة بأصبح وأمسى وأضحى.

قوله: (مركب من وى للتعجب) فإن القوم الذين شاهدوا قارون في زينته لما شاهدوا ما نزل به من الخسف تنبهوا لخطاهم في تمنيهم ﴿مثل ما أوتي قارون﴾ حيث علموا أن بسط الرزق لا يكون لكرامة الرجل على الله تعالى ولا ضيقه لهوانه فتعجبوا من أنفسهم كيف وقعوا في مثل هذا الخطأ. ثم ابتدأوا ﴿يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾ أي لمن يشاء من عباده بحسب مشيئته وحكمته أي يضيق على من يشاء بحكمته وقضائه ابتلاء وفتنة. والمعنى: ليس الأمر كما زعمنا من أن البسط يبتني على الكرامة والقبض على الهوان، بل الأشبه أن كل واحد من القبض والبسط مقتضى المشيئة الإلٰهية المستندة إلى الحكمة. وكذا الكلام في قولهم: ﴿ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ تعجبوا من تمنيهم مثل حال قارون ثم قالوا ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح. والهاء في «كأنه» ضمير الشأن. **قوله:** (وقيل من ويك) أي قال الكوفيون: «ويكأن» مركب من «ويك» و «أن» وأصل ويك ويلك الذي أصله الدعاء بالهلاك، ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرضي، وفتح «أن» لكونها مع ما في حيزها في موضع النصب بفعل محذوف وهو اعلم. فعلى هذا يكون معنى الآية الزجر والردع عن الجهل بأن كل واحد من القبض والبسط ليس إلا بمشيئة الله تعالى وحكمته والبعث على العلم بهذه القضية وهي أن الله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر. وهكذا الكلام في قوله: ﴿ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ فإن المقصود فيه أيضًا الزجر عن الجهل والبعث على العلم بأن الكافرين لا يفلحون. **قوله:** (لخسف بنا) قرأ حفص «لخسف» بفتح الخاء والسين أي لخسف الله تعالى بنا وأدخلنا في

يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ لنعمة الله أو المكذبون برسله وبما وعدوا لهم من ثواب الآخرة. ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ إشارة تعظيم كأنه قال: تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها و«الدار» صفة والخبر ﴿نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ غلبة وقهرًا ﴿وَلَا فَسَادٗا﴾ ظلمًا على الناس، كما أراد فرعون وقارون. ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ ما لا يرضاه الله ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ﴾ ذاتًا وقدرًا ووصفًا ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينًا لحالهم بتكرير إسناد السيئة إليهم. ﴿إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ أي إلاّ مثل ما كانوا يعملون، فحذف المثل وأقام مقامه «ما كانوا يعملون» مبالغة في المماثلة. ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه ﴿لَرَآدُّكَ

الأرض. والباقون بضم الخاء وكسر السين على بناء المفعول فقوله: «بنا» هو القائم مقام الفاعل. **قوله**: (إشارة تعظيم الخ) معنى التعظيم مستفاد من الإشارة بلفظ البعيد تنزيلاً لبعد درجة المشار إليه ورفعة محله منزلة بعد المسافة كما في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ١، ٢] فإن الأصل في أسماء الإشارة أن يشار بها إلى مشاهد محسوس قريب أو بعيد، إلا أنه قد يشار بها إلى محسوس غير مشاهد وإلى ما يستحيل إحساسه ومشاهدته بناء على تصييره كالمشاهد المحسوس وتنزيل الإشارة العقلية منزلة الحسية. وما نحن فيه من هذا القبيل. **قوله**: (كما أراد فرعون وقارون) يعني أن المراد من عدم إرادة العلو عدم إرادته كإرادة فرعون حيث استكبر عن الإيمان واستعلى على ما في الأرض من خلق الله تعالى ولا سيما على نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة، ومن عدم إرادة الفساد أن لا يريده كإرادة قارون لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [القصص: ٤] ولقول ناصح قارون ﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [القصص: ٧٧] وليس كل من يصدق عليه أنه أراد علوًا وفسادًا في الجملة محرومًا من سعادة دار الآخرة للنصوص الدالة على أن كل مؤمن من أهل الجنة، ومن جملتها قوله عليه الصلاة والسلام: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق ثلاثًا» وقال في الثالثة: «على رغم أنف أبي ذر» إلا أن الآية فيها زجر بليغ عن الخصلتين حيث لم يعلق الوعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما وميل القلب إليهما كما علق الوعيد بالركون إلى الظلمة دون نفس الظلم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣] وأيضًا فيها دلالة على أن إرادة ما ليس له من العلو والرفعة مما ينقص حظ المرء من سعادة الآخرة لما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: إن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه. فيدخل تحت الآية. وعن الفضيل بن عياض أنه قرأها ثم قال: ذهبت الأماني ههنا. يعني أن الآية تدل على وجوب

﴿إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أي معاد وهو المقام المحمود الذي وعدك أن يبعثك فيه، أو مكة التي اعتدّت بها على أنه من العادة ورده إليها يوم الفتح. كأنه لما حكم بأن العاقبة للمتقين وأكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى في الدارين. روي أنه لما بلغ جحفة في مهاجره اشتاق إلى مولده ومولد آبائه فنزلت. ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن

ترك التمني وإرادة ما ليس له من العلو والرفعة كما تدل على وجوب ترك إرادة الفساد. وكرر كلمة «لا» في قوله: ﴿ولا فسادًا﴾ ليفيد أن كل واحدة من الخصلتين على حدتها تمنع سعادة الآخرة وإن لم تجامع الأخرى. ثم إنه تعالى لما بيّن أن الدار الآخرة ليست إلا لمن اتقى عذاب الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه بيّن بعد ذلك ما يحصل لهم فقال: ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾ أي ذاتًا وقدرًا ووصفًا فإن ثواب المعرفة النظرية الحاصلة في الدنيا هي المعرفة الضرورية الحاصلة في الآخرة، ولذة النظر إلى وجهه الكريم جل جلاله ولا شك أن هذه خير من الأولى ذاتًا وكذا خير منها قدرًا لأن الثواب دائم والعمل منقض، وكذا وصفًا لأن العمل فعل العبد والثواب فعل الله تعالى. وقيل: فله خير حاصل من جهة ما جاء به من الحسنة لئلا يرد ما يقال: الحسنة التي جاء العبد بها يدخل فيها معرفة الله تعالى والإخلاص في العمل والثواب إنما هو الأكل والشرب فكيف يجوز أن يقال الأكل والشرب خير من معرفة الله تعالى؟ وقد مر هذا البحث في آخر سورة النمل. **قوله:** (أي معاد) إشارة إلى أن تنوين «معاد» للتعظيم والمعنى: إن الذي حملك على صعوبة هذا التكليف ليثيبك عليه ثوابًا لا يحيط به الوصف بأن يردك إلى معاد يخصك ولا يليق بغيرك من البشر وهو المقام المحمود الذي وعده الله تعالى أن يبعثه فيه بقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩] والظاهر أن المعاد ههنا بمعنى المصير والمنقلب لا بمعنى المتبادر منه وهو المكان الذي يكون المرء مدة فيه ثم يرجع إليه بعد أن فارق عنه لأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن في ذلك المقام مدة حتى يعود إليه. **قوله:** (أو مكة التي اعتدّت بها) أي صرت معتادًا بها وكانت موضع اعتيادك، على أن يكون المعاد اسم مكان من عاده بمعنى اعتاده وتعوده أي صار عادة له يقال: عود كلبه الصيد فتعوده واعتاده. قال الإمام: الأقرب أن يراد بالمعاد مكة لأن ظاهر المعاد أنه كان فيه وفارقه وحصل العود إليه وذلك لا يليق إلا بمكة. والمصنف جوّز أن يكون المراد بالمعاد مكة إلا أنه جعل المعاد حينئذ من العود بمعنى الاعتياد لأن مكة لم تكن مرجعًا له حينئذ إلا باعتبار ما يؤول إليه وكانت موضع اعتياده حقيقة ولا يصار إلى المجاز إلا إذا تعذرت الحقيقة. ووجه تنكيره حينئذ أن مكة في ذلك اليوم كانت معادًا له شأن ومرجعًا له اعتداد لغلبة رسول الله ﷺ عليها وقهره لأهلها ولظهور عز الإسلام وأهله وذل الشرك وحزبه. **قوله:** (لما بلغ جحفة) وهو موضع بين مكة

جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره «أعلم» ﴿وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ وما استحقه من العذاب والإذلال يعني به نفسه والمشركين، وهو تقرير للوعد السابق. وكذا قوله:

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي سيردك إلى معادك كما ألقي إليك الكتاب وما كنت ترجوه. ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ ولكن ألقاه رحمة منه. ويجوز أن يكون استثناء محمولاً على المعنى كأنه قال: وما ألقى إليك الكتاب إلا رحمة أي لأجل الترحم ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ بمدارتهم والتحمل منهم والإجابة إلى طلبتهم ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ عن قراءتها والعمل بها. ﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ

والمدينة وهو ميقات أهل الشام. فلما نزلت الآية هناك لم تكن مكية ولا مدنية وكانت من جملة ما يدل على نبوته ﷺ لأنه أخبر عن الغيب ووقع كما أخبر فتكون من جملة معجزاته.

قوله: (ومن منتصب بفعل يفسره أعلم) لا بنفس «أعلم» لأن اسم التفضيل لا يعمل في مظهر لعدم كونه بمعنى الفعل لأنه يدل على التفضيل والفعل لا يدل عليه، فما وقع في حيز معموله فإنه معمول لمضمر يدل عليه اسم التفضيل. لما وعد الله رسوله عليه الصلاة والسلام أن يرده إلى المعاد قال له قل للمشركين ﴿ربي اعلم من جاء بالهدى﴾ الآية تقريرًا للوعد السابق. **قوله:** (محمولاً على المعنى) فإن قوله: ﴿ما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب﴾ في معنى ما يلقى إليك عبّر عنه بقوله: ﴿ما كنت ترجو﴾ للمبالغة فإن نفي رجاء الإلقاء أبلغ من نفي الإلقاء فكأنه قيل: وما ألقي إليك الكتاب ﴿إلا رحمة﴾ أي في حال كونه رحمة أو إلا لأجل رحمة فيكون الاستثناء متصلاً مفرغًا ويكون المستثنى منه أعم الأحوال أو أعم العلل. ولا يجوز أن يكون الاستثناء باعتبار اللفظ لأنه إذا قيل: ما كنت ترجوه إلا رحمة لزم أن يكون عليه الصلاة والسلام راجيًا أن يلقى إليه الكتاب لأجل الرحمة، وظاهر أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن راجيًا له أصلاً. ثم إنه تعالى لما أظهر المنة عليه بإنزال القرآن عليه مع عدم رجائه إياه نهاه عن مظاهرة الكافرين وأن يلتفت إليهم ويسمع أقوالهم فيصدوه عن اتباع آيات الله يعني القرآن. قال الضحاك: ذلك حين دعوه إلى دين آبائه ليزوجوه ويقاسموه شطرًا من أموالهم. أي لا تلتفت إلى هؤلاء ولا تركن إلى قولهم فيصدوك. الخ قرأ العامة «يصدنك» بفتح الياء وضم الصاد من صده يصده. وقرىء بضم الياء وكسر الصاد من أصده بمعنى صده وهي لغة كليب قال شاعرهم:

أناس أصدوا الناس بالسيف عنهمو صدود السواقي عن أنوف الحوائم

﴿إِلَيْكَ﴾ وقرىء «بصدّنك» من أصدّ. ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ إلى عبادته وتوحيده ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾ بمساعدتهم ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ هذا وما قبله للتهييج وقطع أطماع المشركين عن مساعدته لهم ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ إلا ذاته فإن ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم. ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ في الخلق ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ للجزاء بالحق. عن النبي عليه الصلاة والسلام: «من قرأ سورة طسم القصص كان له من الأجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السمٰوات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقًا».

والحوائم العطاش من حام إذا عطش. **قوله:** (بمساعدتهم) فإن من ساعدهم بأن رضي بطريقتهم أو مال إليهم كان منهم. **قوله:** (فإن ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم) فإن الممكن لما استفاد الوجود من الخارج كان الوجود له كالثوب المستعار بالنسبة إلى الفقير، فكما لا يخرج الفقير باستعارة ذلك الثوب من الغني عن كونه فقيرًا في حد ذاته، فكذا الممكنات لا يخرجن عن كونها هالكة عارية عن الوجود في حد أنفسها. فظهر بهذا أن كل ما سواه من الممكنات هالك في الحال، فجاز أن تكون الجنة والنار مخلوقتين الآن كما يدل عليه قوله تعالى في صفة الجنة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وفي صفة النار ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] كما قال الله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥] مع كونهما هالكتين بهذا المعنى.

سورة العنكبوت

مكية وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١﴾ سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل على استقلاله بنفسه.

سورة العنكبوت
بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: (دليل على استقلاله بنفسه) بأن يكون حروفًا مسرودة على وجه التعداد لا محل لها من الإعراب لكونها جارية مجرى الأصوات المنبهة، فإن الحكيم إذا خاطب من هو في محل الغفلة أو من هو مشغول البال بمهم من المهمات فإنه يقدم على الكلام المقصود شيئاً غيره ليلتفت إليه المخاطب بسببه ويقبل بقلبه عليه. وذلك الشيء المقدم على المقصود قد يكون كلامًا له معنى مفهوم كقول القائل: اسمع مني واجعل بالك إليّ وانظر لي، وقد يكون شيئًا هو في معنى الكلام المفهوم كقولك: ازيد ويا زيد وألا يا زيد، وقد يكون ذلك المقدم على المقصود صوتًا غير مفهوم كمن يصفر خلف إنسان ليلتفت إليه وقد يكون ذلك الصوت بغير الفم كما يصفق الإنسان بيديه ليقبل السامع عليه. ثم إن توقع الغفلة كلما كان أتم والكلام المقصود كان أهم كان المقدم على المقصود أكثر ولهذا ينادي القريب بالهمزة فيقال: أزيد والبعيد بـ «يا» فيقال: يا زيد والغافل بألا فيقال: ألا يا زيد. ثم إن النبي عليه الصلاة والسلام وإن كان يقظان الجنان لكنه إنسان يشغله شأن عن شأن فكان يحسن من الحكيم تلك الحروف إذا لم يكن بحيث يفهم معناها فإنها حينئذٍ تكون أتم في إفادة المقصود الذي هو

أو بما يضمّ معه.

التنبيه من تقديم الحروف التي لها معنى، لأن تقديم الحروف إذا كان لإقبال السامع نحو المتكلم لسماع ما بعد ذلك، فإذا كان ذلك المقدم كلامًا مفهوم المعنى فربما يظن السامع أن مدلوله هو كل المقصود ولا كلام له بعد ذلك فيقطع الالتفات عنه، وأما إذا سمع منه صوتًا بلا معنى فإنه حينئذ يقبل عليه ولم يقطع نظره عنه ما لم يسمع غيره لجزمه بأن ما سمعه ليس هو المقصود. فتقرر أن تقديم الحروف التي لا معنى لها في الموضع الذي ذكرت على الكلام المقصود فيه حكمة بالغة. ثم اعلم أن حروف التهجي التي ذكرت في أوائل أكثر السور ذكر بعدها الكتاب أو التنزيل أو القرآن كقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ١، ٢] ﴿الٓمٓ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ١ ـ ٣] ﴿الٓمٓصٓ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف: ١، ٢] ﴿يسٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [يس: ١، ٢] ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص: ١] ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [ق: ١] ﴿الٓمٓ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [السجدة: ١، ٢] ﴿حمٓ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [غافر: ١، ٢] وآيات أخرى. ولم يذكر بعدها شيء من ذلك في ثلاث سور ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١] ﴿الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ [العنكبوت: ١، ٢] ﴿الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ [الروم: ١، ٢] والحكمة في افتتاح السور التي ذكر فيها بعد حروف التهجي القرآن أو التنزيل أو الكتاب بتلك الحروف المنبهة هي أن القرآن عظيم الشأن وكذا الإنزال والكتاب وإنزال الوحي له ثقل عظيم لا تطيق القوة الحيوانية ثقله. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥] فكل سورة في أوائلها ذكر القرآن أو الكتاب أو التنزيل قدم عليها منبه يوجب ثبات المخاطب لاستماعه. ثم اعلم أن التنبيه قد يحصل في القرآن بغير الحروف التي لا يفهم معناها كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ [الحج: ١] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ [التحريم: ١] لأنها أشياء هائلة عظيمة فإن تقوى الله حق تقاته أمر عظيم، فقدم عليها النداء الذي للبعيد الغافل عنها. وأما هذه السورة فافتتحت بالحروف وليس فيها الابتداء بالكتاب والقرآن لأن القرآن ثقله بما فيه من التكاليف والمعاني، وهذه السورة فيها ذكر جميع التكاليف لكونها مصدرة بقوله: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا﴾ يعني لا يتركون بمجرد ذلك بل يؤمرون بأنواع التكاليف فوجد فيها المعنى الذي وجد في السور التي فيها ذكر القرآن المشتمل على الأوامر والنواهي. **قوله:** (**أو بما يضم معه**) إما بأن تجعل هذه الألفاظ المفردة أسماء للحروف التي يتركب منها الكلام افتتحت السور بطائفة منها إيقاظًا لمن تحدى بالقرآن وتنبيهًا على أن المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم، فلو كان من عند غير الله تعالى لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الإتيان بما

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها، ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين أو ما يسد مسدهما كقوله: ﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ فإن معناه أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم: «آمنا» فالترك أول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم هو الثاني كقولك: حسبت ضربه للتأديب أو أنفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم: «آمنا» بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات، وأنواع المصائب في الأنفس والأموال ليتميز المخلص من المنافق والثابت في الدين من المضطرب فيه، ولينالوا بالصبر عليها عوالي الدرجات، فإن مجرد الإيمان وإن كان من خلوص لا يقتضي غير الخلاص عن الخلود في العذاب. روي أنها نزلت في ناس من الصحابة جزعوا من أذى المشركين. وقيل: في عمار وقد عذب في الله. وقيل: في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رماه عمار بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه أبواه وامرأته.

يدانيه. والمعنى: هذا المتحدي به مؤلف من جنس هذه الحروف أو المؤلف منها هو الذي تحديتم به وعجزتم عن الإتيان بما يدانيه. وإما بأن تجعل أسماء للقرآن أو السور ويكون المعنى: هذه ألم. وأيًا ما كان تكون هذه الألفاظ كلامًا مستقلاً منقطعًا عما بعدها كما هو مقتضى الاستفهام الواقع بعدها فإنه يقتضي صدر الكلام. **قوله:** (الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل) لما كان أفعال القلوب من جملة نواسخ الابتداء وجب أن تدخل على الجملة التامة للدلالة على أن جهة ثبوت مضمونها هل هي ظن أو علم ويقين، والواقع بعد فعل الحسبان ههنا هو الفعل المضارع المصدر «بأن» المصدرية وهذا الفعل مع ما في حيزه مؤول بمفرد لا جملة مؤلفة من المبتدأ والخبر حتى يستوفي فعل الحسبان مفعوليه لكن الجملة الفعلية المؤولة بالمفرد في محل النصب على أنها مفعول أول وقوله: ﴿أن يقولوا﴾ ثاني المفعولين فإن قوله مع كونه علة لتركهم غير مفتونين لكونه في تقدير لأن يقولوا، فهو يصح أن يكون خبرًا له كما في قولك: ضربه للتأديب، وخروجه مخافة الشر فإذا أردت أن تبين أن ثبوت مضمون هذه الجملة عنده على وجه الظن دون اليقين قلت: حسبت ضربه للتأديب. فكذا قوله: ﴿أن يقولوا آمنا﴾ خبر في الأصل ثم جعل مفعولاً ثانيًا لفعل الحسبان وقوله: ﴿وهم لا يفتنون﴾ من تمام قوله: ﴿أن يتركوا﴾ لكونه حالاً من المرفوع المستتر فيه.

قوله: (أو أنفسهم متروكين غير مفتونين) عطف على قوله: «تركهم غير مفتونين». والفرق بين الوجهين أن فعل الحسبان على الوجه الأول استوفى مفعوليه المتلازمين بمعنى أنه لا يجوز الاقتصار على أحدهما، وعلى الثاني حذف كلاهما اكتفاء بذكر ما يسد مسدهما.
قوله: (خزعوا) بالخاء المنقوطة من فوق بمعنى ضعفوا ويروى جزعوا.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ متصل «بأحسب» أو «بلا يفتنون». والمعنى أن ذلك سنة قديمة جارية في الأمم كلها فلا ينبغي أن يتوقع خلافه ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ فيتعلقن علمه بالامتحان تعلقًا حاليًا يتميز به الذين صدقوا في

قوله: (متصل بأحسب) **بأن يكون حالاً من فاعله لبيان علة إنكار الحسبان وتقرير جهة أشكاله، والمعنى: احسبوا ذلك وقد علموا أنه خلاف سنة الله تعالى** ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ **[الأحزاب: ٦٢؛ الفتح: ٢٣] والمقصود التنبيه على خطأهم في الحسبان. قوله:** (أو بلا يفتنون) **بأن يكون حالاً من فاعله لبيان أن لا وجه لتخصيصهم أنفسهم بعدم الافتتان. والمعنى: احسبوا أن لا يكونوا كغيرهم ولا يسلك بهم مسلك الأمم السابقة فيكون داخلاً في حيز متعلق الحسبان المنكر تخطئة لهم. قوله:** (فيتعلقن علمه بالامتحان) **أي فليمتحنهم بمشاق التكاليف وبأنواع السرآء والضرآء يبلو بذلك صبرهم بثبات أقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص، والراسخ في الدين من المضطرب، والمتمكن في العبادة من العابد على حرف فيتعلق علمه بوجود كل طائفة على ما هي عليه من الحال، كما علم قبل ذلك بأنه سيوجد موصوفًا بتلك الحال. ومقصود المصنف بهذا الكلام أن يجيب عما يقال: إنه تعالى عالم بجميع الكائنات فيما لم يزل فكيف قيل:** ﴿فليعلمن الله﴾ **وهو بظاهره يقتضي أن يكون علمه تعالى حادثًا متجددًا عن الامتحان لا قبله؟ قال الإمام: الآية محمولة على ظاهرها وذلك أن علم الله تعالى صفة يظهر فيها كل ما هو واقع كما هو واقع. فقبل التكليف كان الله سبحانه وتعالى يعلم أن زيدًا مثلاً سيطيع وعمرًا سيعصي، ثم وقت التكليف والإتيان يعلم أنه مطيع والآخر عاص، وبعد الإتيان يعلم أنه أطاع والآخر عصى ولا يتغير علمه في شيء من الأحوال وإنما المتغير المعلوم. ويتبين هذا بمثال من الحسيات وهو أن المرآة الصافية الصقيلة إذا عقلت بموضع وقوبل بوجهها جهة ثم عبر عليها زيد لابسًا ثوبًا أبيض فظهر فيها زيد في ثوب أبيض، ثم عبر عليها عمرو في لباس أصفر فظهر فيها كذلك فهل يقع في ذهن أحد أن المرآة في كونها حديدًا تغيرت أو كونها صافية صقيلة مدورة مقابلة إلى جهة فلانية تحولت وتبدلت؟ لا يقع في ذهن أحد تغيرها في شيء من هذه الأوصاف بل يقطع كل أحد بأن المتغير الأمور الخارجة عنها. فعلم الله تعالى في حكم تغيره وتجدده من هذا القبيل بل علمه تعالى أعلى وأجل فإن المرآة مخلوقة وعلمه تعالى أزلي قديم لكن يتجدد تعلقه على حسب تجدد المعلوم، فقوله:** ﴿فليعلمن الله الذين صدقوا﴾ **معناه أنه يقع ممن يعلم الله تعالى أنه سيطيع الطاعة فيعلم أنه مطيع بذلك العلم وقوله تعالى:** ﴿وليعلمن الكاذبين﴾ **يعني من قال: أنا مؤمن وكان كاذبًا فبفرض العبادات يظهر منه ذلك لأنه يقع ممن علم الله تعالى منه أنه سيعصي ولا يطيع**

الإيمان، والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم لذلك. وقيل: المعنى وليميزن أو ليجازين. وقرىء «وليعلمن» من الإعلام أي وليعرفنهم الناس أو وليَسِمَنَّهم بسِمة يعرفون بها يوم القيامة كبياض الوجوه وسوادها. ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الكفر والمعاصي

المخالفة والعصيان ليعلم أنه كاذب في دعوى الإيمان والطاعة لقيام شواهد كذبه فيها، فإن اللسان ترجمان القلب والأعضاء شهود على ما يدعيه المرء باللسان فمن ادّعى بلسانه الإيمان واستعمل الأركان على حسب ما يقتضيه الإيمان فقد صدقه شهوده في دعواه وتحقق ما في علمه تعالى من أنه سيطيع فعلمه بأنه قد أطاع، ومن لم يستعمل أركانه حسب ما يقتضيه إيمانه فقد كذبه شهوده وتحقق ما في علمه من أنه لا يطيع وعلمه تعالى بأنه من العصاة الكاذبين. وفي قوله: ﴿الذين صدقوا﴾ **بصيغة الفعل وقوله:** ﴿الكاذبين﴾ **بلفظ اسم الفاعل فائدة مع الاختلاف في اللفظ أدل على الفصاحة وهي أن اسم الفاعل يدل في كثير من المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه، والفعل الماضي لا يدل عليه كما يقال: فلان شرب الخمر وفلان شارب الخمر وفلان نفذ أمره وفلان نافذ الأمر، لا يفهم من صيغة الفعل التكرار والرسوخ ويفهم ذلك من اسم الفاعل. إذا ثبت هذا فنقول وقت نزول الآية كانت الحكاية عن قوم قريبي العهد بالإسلام في أوائل إيجاب التكليف وعن قوم مستديمين للكفر مستمرين عليه فقال في حق المؤمنين:** ﴿صدقوا﴾ **بلفظ الفعل أي وجد منهم الصدق وقال في حق الكافرين** ﴿الكاذبين﴾ **بالصيغة المنبئة عن الثبات والدوام. قوله: (لذلك) أي لكون المراد بالعلم تعلقه الحالي الذي هو سبب للتمييز والمجازاة فسر العلم بهما على طريق إطلاق اسم السبب وإرادة المسبب. وقيل: المعنى: فليميزن أو ليجازين فإن التمييز بين الشيئين والمجازاة على الشيء سبب عن تعلق العلم به فأقيم قوله:** ﴿ليعلمن الله﴾ **مقام ليميزن أو ليجازين.**

قوله: (ليعرفنهم الناس) على أن يكون أعلم من علمت بمعنى عرفت نقل إلى باب الأفعال فعدّي إلى مفعولين: أحدهما «الذين» والآخر محذوف وهو الناس، والمعنى: ليعرفن الله الناس الذين صدقوا من الكاذبين. قوله: (أو ليَسِمَنَّهم) على أن يكون أعلم من أعلم القصار الثوب فهو معلم بالكسر والثوب معلم بالفتح يقال: وسمه وسمًا إذا أثر فيه بكى أو علامة يعرف بها. والضمير في ليعرفنهم وليسمنهم للصادقين والكاذبين. قوله: (الكفر والمعاصي) ذكر أولاً أن الآية الأولى نزلت في ناس من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ثم أشار إلى أن هذه الآية نزلت في حق الكافرين كأنه قيل: أحسب الذين قالوا آمنا أن نكتفي منهم بالإيمان بدون الامتحان؟ أم حسب الكفار أن يعجزونا فتركوا لأجل ذلك الإيمان، فالكفار وإن لم يطمعوا في الفوت لإنكارهم البعث والجزاء أصلاً ورأسًا لكنهم نزلوا منزلة

فإن العمل يعم أفعال القلوب والجوارح. ﴿أَن يَسْبِقُونَاۚ﴾ أن يفوتونا فلا نقدر أن نجازيهم على مساويهم. وهو ساد مسد مفعولي «حسب و«أم» منقطعة والإضراب فيها لأن هذا الحسبان أبطل من الأول، ولهذا عقبه بقوله: ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٤﴾ أي بئس الذي يحكمونه أو حكمًا يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم.

﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ في الجنة وقيل: المراد بلقاء الله الوصول إلى ثوابه أو إلى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد قدم على

من عرف وصدق به وطمع في السبق أي الفوت، وذلك لغفلتهم وإصرارهم على المعاصي مع ظهور الدليل القائم على أنه لا بد من البعث والجزاء فأنكر عليهم ذلك الطمع والحسبان. فكان حاصل المعنى: أن الجزاء يلحقهم البتة لأنه لما أنكر حسبانهم السبق أي الفوت تبين أنهم لا يفوتون فلا محالة يلحقهم العذاب لأجل ثباتهم على الكفر والمعاصي فكيف لا يحترزون عنه؟ **قوله تعالى:** (أن يسبقونا) لما اشتمل على المسند والمسند إليه سد مسد مفعولي «حسب» والمعنى: أظن المسيئون أنهم يفوتوننا فلا نقدر على الانتقام منهم؟ وهو في قوة قولنا: أحسبوا أنفسهم فائتين؟ و«أم» منقطعة مقدرة بـ «بل» والهمزة والإضراب لأجل الانتقال لا لإبطال السابق لأن إنكار الحسبان الأول ليس بباطل إلا أن الحسبان الثاني أبطل وأولى بالإنكار، وذلك لأن صاحب الحسبان الأول يقرر أنه لا يمتحن لإيمانه وهذا يظن أنه لا يجازى بمساويه، والثاني أبطل لأنه خلاف ما يقتضيه العقل والنقل، والأول إنما يخالف النقل فقط ولم تجعل «أم» هذه متصلة متعادلة لهمزة الاستفهام في قوله: «أحسب الناس» لوجهين: أحدهما أن ما بعدها ليس مفرد أولاً في قوة المفرد، والثاني أنه لم يكن هنا ما يجاب به عن أحد الشيئين أو الأشياء. **قوله:** (أي بئس الذي يحكمونه) يريد أن ساء بمعنى بئس، وأن «ما» يجوز أن تكون موصولة بمعنى الذي و«يحكمون» صلتها والعائد محذوف، والموصول مع صلته في محل الرفع على أنه فاعل «بئس» فيكون فاعل بئس كالمعرف باللام، ويكون المخصوص بالذم محذوفًا أي بئس الحكم الذي يحكمونه حكمهم هذا. ويجوز أن يكون الفاعل مضمرًا مفسرًا بـ «ما» وهي في محل النصب على التمييز و«يحكمون» صفتها بحذف العائد، والمخصوص أيضًا محذوف والتقدير: بئس الحكم حكمًا يحكمونه حكمهم هذا حين ظنوا ذلك. قال الإمام: لما بيّن حسن التكليف بقوله: ﴿أحسب الناس أن يتركوا﴾ بيّن أن من كلف بشيء ولم يأتِ به يعذب وإن لم يعذب في الحال فسيعذب في الاستقبال، ولا يفوت الله شيء في الحال ولا في المآل. **قوله:** (وقيل المراد بلقاء الله تعالى) أي قال من ذهب إلى أن لقاء الله تعالى بمعنى إبصاره غير ممكن إن المراد بلقاء الله عز وجل الوصول إلى ثوابه أو إلى العاقبة بأن استعير اللقاء للوصول المذكور حيث شبّه الوصول باللقاء

سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على أحواله، فإما أن يلقاه ببشر لما رضي من أفعاله أو بسخط لما سخط منها ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ فإن الوقت المضروب للقائه ﴿لَأَتٍۚ﴾ لجاء. وإذا كان وقت اللقاء آتيًا كان اللقاء كائنًا لا محالة فليبادر ما يحقق أمله ويصدق رجاءه أو ما يستوجب به القربة والرضى. ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوال العباد ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾﴾

ثم ذكر اللقاء وأريد ذلك الوصول على الاستعارة التصريحية. ووجه الشبه بين الوصول واللقاء أن من وصل إلى ثواب الله تعالى أو إلى عاقبة مكثه في الدنيا من الموت والبعث والحساب والجزاء على حسب ما وعد له في الدنيا وقد انكشف له الأمر وتبيّن ما اعتد في الدنيا من أمور الآخرة وصفات الله تعالى ووحدانيته ووعده ووعيده فصار كأنه لقي الله تعالى وكلمه بهذه الأشياء وبيّنها له، فإن وصول الآثار المختصة بالشيء تقوم مقام الوصول إلى ذات الشيء ورؤيته أو صار حاله في وصوله إلى عاقبة مكثه في الدنيا كحال من لقيه سيده بالبشر وطلاقة الوجه أو بالسخط والعبوسة. **قوله**: (**فليبادر ما يحقق أمله**) مبني على ما اختاره من أن المراد بلقاء الله تعالى النظر إلى وجهه الكريم في الجنة. **قوله**: (**أو ما يستوجب به القربة**) مبني على ما قيل من أن المراد بلقاء الله تعالى الوصول إلى العاقبة على تمثيل حال الواصل إليه بحال من لقي سيده المطلع على أحواله. **قوله**: (**وإذا كان وقت اللقاء آتيًا كان اللقاء كائنًا لا محالة**) إشارة إلى جواب ما يقال وهو أن قوله: ﴿من كان يرجو﴾ شرط وجزاؤه ﴿فإن أجل الله لآت﴾ والمعلق بالشرط عدم عند عدم الشرط فيلزم منه أن من لا يرجو لقاء الله تعالى لا يكون أجل الله تعالى آتيًا له، والأجل آت لكل أحد لا محالة فما وجه جعل رجاء اللقاء شرطًا لإتيان الأجل؟ والشرط لا بد أن يكون سببًا للجزاء أو الإخبار به ولا تظهر السببية بأحد المعنيين هٰهنا. ومحصول الجواب أن قوله: ﴿فإن أجل الله لآت﴾ ليس بجزاء بل هو قائم مقام الجزاء فإن أصل الكلام من كان يرجو لقاء الله فليبادر للعمل الصالح الذي يحقق أمله، أو الذي يستحق به القربة والرضى فإن أجل الله لآت عن قريب إلا أنه أقيم ما هو السبب لأجل الجزاء وهو كون أجل الله آتيًا عن قريب مقام ذلك الجزاء المسبب، ثم علّل الأمر بمبادرة الأعمال الصالحة بقوله: ﴿وهو السميع العليم﴾ أي وهو المجازي لجميع صالحات أعماله، فإن العمل الصالح لا يخرج عن ثلاثة أقسام: أحدها عمل القلب كالتصديق والنية الخالصة وغيرهما وهو لا يرى ولا يسمع ولا يتعلق به إلا العلم، وثانيها عمل اللسان وهو يسمع، وثالثها عمل الأعضاء والجوارح وهو إن كان من قبيل المبصرات إلا أن علمه تعالى بذلك لما لم يكن باستعانة الآلة جعل من قبيل عمل القلب، وأشار إلى إحاطة علمه به بقوله: ﴿العليم﴾ وهاهنا لطيفة وهي أن من أتى بهذه الأعمال الصالحة جعل الله تعالى لمسموعه ما لا أذن سمعت ولمرئيه

بعقائدهم وأفعالهم ﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ لأن منفعته لها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ فلا حاجة به إلى طاعتهم. وإنما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ الكفر بالإيمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ أي أحسن جزاء أعمالهم. والجزاء الحسن أن يجازي بحسنة حسنة، وأحسن الجزاء هو أن يجازي الحسنة الواحدة بالعشر وزيادة ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ بإيتائه فعلاً ذا

ما لا عين رأت ولعمل قلبه ما لا خطر على قلب أحد كما ذكر في الخبر الوارد في وصف الجنة.

قوله: (على مضض الطاعة) أي على تعبها. وفي الصحاح: المضض وجع المصيبة يقال: أمضني الجرح إمضاضًا إذا أوجعك. وفيه لغة أخرى مضني الجرح. لما بيّن الله تعالى أن التكليف والامتحان حسن واقع بيّن أن نفعه يعود على المكلف وأنه تعالى غني عن العالمين، والحصر المذكور في الآية إضافي معناه أن جهاده لا يصل منه إلى الله نفع فلا يرد أن يقال: كيف يستقيم الحصر المذكور مع أن جهاد المرء قد ينتفع به غيره كما ينتفع الآباء بصلاح الأولاد وينتفع من سن سنة حسنة بفعل من استن بها؟ ثم إنه تعالى لما بيّن إجمالاً أن من عمل صالحًا فإنما يعمل لنفسه فصّل ذلك النفع بعض التفصيل فقال: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن﴾ **و «الذين» مبتدأ خبره جملة القسم المحذوف وجوابه أي والله لنكفرن، والتكفير إذهاب السيئة بالحسنة والمعنى: لنذهبن سيئاتهم حتى تصير بمنزلة ما لم تعمل. والعمل الصالح عندنا كل ما أمر الله تعالى فإنه صار صالحًا بأمره ولو نهى عنه لما كان صالحًا، فليس الصلاح والفساد من لوازم الفعل في نفسه. وقالت المعتزلة: ذلك من صفات الفعل ويترتب عليه الأمر والنهي، فالصدق عمل صالح في نفسه ويأمر الله تعالى به كذلك. فعندنا الصلاح والفساد والحسن والقبح يترتب على الأمر والنهي، وعندهم الأمر والنهي يترتب على الحسن والقبح. قوله: (أحسن جزاء أعمالهم) يريد أن المضاف محذوف أي أحسن جزاء الذي كانوا يعملونه يعني أن للعمل جزاء حسنًا وجزاء أحسن فهو تعالى يجزيهم الجزاء الأحسن. قوله: (بإيتائه) أي بإيتاء والديه يعني أن الباء صلة «وصينا» وحذف المضاف الذي هو المأمور به وأقيم المضاف إليه مقامه وأن «حسنًا» منصوب على أنه صفة لمفعول المصدر المحذوف إما بتقدير «ذا» أو بجعل نفس ذلك الفعل حسنًا للمبالغة. لما بيّن الله تعالى حسن التكليف وحرض المكلف له على طاعة مولاه فيما كلفه بقوله: إنما يجاهد**

حسن أو كأنه في ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجري مجرى أمر معنى وتصرفًا. وقيل: هو بمعنى قال، وقلنا له أحسن بوالديك حسنًا. وقيل: حسنًا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية قلنا أولهما أو أفعل بهما حسنًا، وهو أوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف عليّ بوالديه. وقرىء «حسنًا» حسانًا ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ بإلٰهيته عبر عن نفيها بنفي العلم بها إشعارًا بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وإن لم يعلم بطلانه فضلاً عما علم بطلانه ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ في ذلك فإنه لا

لنفسه وأنه يجزى بأحسن جزاء أعماله، حرّضه على طاعة والديه لكونهما سببًا بحسب الظاهر لوجوده وتربيته فقال: ﴿ووصينا الإنسان﴾ إلى آخره. **قوله:** (**وقيل هو بمعنى قال**) فيكون «حسنًا» منصوبًا لوقوعه موقع المصدر للفعل المحذوف الذي تعلق به قوله: ﴿بوالديه﴾ أو بكونه مصدرًا له بحذف الزوائد على أن يكون «وصينا» بمعنى قلنا. **قوله:** (**حسنًا**) منصوب على أنه مفعول به لفعل مضمر هو مقول قول مقدر مفسر للتوصية. **قوله:** (**أولهما**) أمر المخاطب من قولك: أوليته معروفًا أي أعطيته إياه يقال: أوليته الشيء فوليه. **قوله:** (**وهو أوفق لما بعده**) أي تقدير فعل الأمر أوفق لقوله: ﴿ولا تطعهما﴾ لأنه إذ كان التقدير أولهما «حسنًا» ولا تطعهما في الشرك إذا حملاك عليه يكون عطف الإنشاء على الإنشاء، بخلاف ما إذا جعل «وصينا» بمعنى أمرنا فعلى هذا يكون جملة قلنا أولهما كلامًا مستأنفًا كأنه لما قيل: وصينا الإنسان بوالديه قيل: ما تلك الوصية؟ فأجيب قلنا أولهما ولا تطعهما فلذلك حسن الوقف على قوله: ﴿بوالديه﴾. **قوله:** (**وقرىء حسنًا**) بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل. وقرىء «إحسانًا» كما في قوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [البقرة: ٨٣؛ النساء: ٣٦؛ الأنعام: ١٥١] وآيات أخرى. قيل: نزلت الآية في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما وأمه حمنة، فإنه لما أسلم وكان من السابقين الأولين قالت أمه: ما هذا الدين الذي أحدثته والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموت. فتعير أبد الدهر، ويقال لك: قاتل أمه. ثم إنها مكثت يومًا وليلة لم تأكل ولم تشرب فجاء سعد إليها وقال لها: يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ما تركت ديني فكلي واشربي وإن شئت فلا تأكلي. فلما آيست منه أكلت وشربت، فأنزل الله تعالى هذه الآية وأمره بالبر لوالديه والإحسان إليهما وأن لا يطيعهما في الشرك. أمر الله تعالى بالإحسان إلى الوالدين لكونهما سببًا ظاهرًا لوجود الولد بالولادة ولبقائه بالتربية المعتادة، كما أنه تعالى سبب حقيقي لوجوده بالإرادة ولبقائه بالإعادة للسعادة الدائمة. فأول ما يجب على العبد أن يحسن حاله مع مولاه ثم مع من أولده ورباه، فلذلك وصاه الله تعالى به بعد ما بيّن حسن التكليف ووقوعه ليتبين به صدق العبد من كذبه، وأن نفع المجاهدة إنما يرجع إليه وأنه يجزي المحسن بأحسن جزاء

طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا بد من إضمار القول إن لم يضمر. ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ مرجع من آمن منكم ومن أشرك ومن بر بوالديه ومن عق ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ بالجزاء عليه. والآية نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه حمنة فإنها لما سمعت بإسلامه حلفت أن لا تنتقل من الضح ولا تطعم وتشرب حتى يرتد ولبثت ثلاثة أيام كذلك، وكذا التي في لقمان والأحقاف ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾﴾ في جملتهم والكمال في سلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى أنبياء الله المرسلين، أو في مدخلهم وهي الجنة.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ بأن عذبهم الكفرة على الإيمان ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ ما يصيبهم من أذيتهم في الصرف عن الإيمان ﴿كَعَذَابِ

أعماله تحريضًا على طاعة مولاه. فهذا وجه اتصال الآية بما قبلها والله أعلم. **قوله:** (ولا بد من إضمار القول) بعد قوله: «حسنًا» على تقدير أن يكون «وصيناه» بمعنى أمرناه أي أمرناه بكذا وقلنا: إن جاهداك ليكون المعطوف جملة خبرية كالمعطوف عليه، ولا يلزم عطف الإنشاء على الإخبار ومن هذا يعلم أن الجملة الشرطية إنما تكون خبرية إذا لم يكن جزاؤها إنشاء وقوله: «إن لم يضمر قبل» يدل على أنه لا بد من إضمار القول على تقدير أن يكون وصى بمعنى قال وليس كذلك، لأن الجملة الشرطية الإنشائية حينئذٍ تكون معطوفة على الإنشائية المقدرة الناصبة لقوله: «حسنًا».

قوله: (من الضح) وهو الموضع الذي يقع عليه ضوء الشمس. وفي الحديث: «لا يقعد أحدكم بين الضح والظل فإنه مقعد الشيطان». **قوله تعالى:** (والذين آمنوا) يجوز أن يكون في محل الرفع على الابتداء أو في محل النصب على الاشتغال. قيل: الفائدة في إعادة ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أن ذكرهم أولاً لبيان حال المهتدين وثانيًا لبيان حال الهادين، ويدل عليه أنه تعالى قال أولاً: ﴿لنكفرن عنهم سيئاتهم﴾ وقال ثانيًا: ﴿لندخلنهم في الصالحين﴾ والمراد بهم الهداة لكون الصلاح المحض منصب الأنبياء عليهم السلام ولهذا قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩] هذا ما قيل والظاهر أن الأول ذكر لتقرير قوله: ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ [العنكبوت: ٦] والثاني ذكر تحريضًا للإنسان على قبول ما وصى به. وحاصل الأول وعد وتحريض على طاعة المولى فيما كلف به، والثاني وعد وتحريض على طاعة الوالدين في غير المعصية. ثم إن المكلفين ثلاثة أقسام: مؤمن ظاهر بحسن اعتقاده، وكافر مجاهر بكفره وعناده، ومذبذب بينهما يظهر الإيمان بلسانه ويضمر الكفر في فؤاده. فالله تعالى لمّا ذكر القسمين بقوله: ﴿فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ وبيّن أحوالهما بقوله: ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات﴾

ٱللَّهِ﴾ في الصرف عن الكفر ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ﴾ فتح وغنيمة ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ﴾ في الدين فأشركونا فيه والمراد المنافقون أو قوم ضعف إيمانهم فارتدوا من أذى المشركين ويؤيد الأول ﴿أَوَ لَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ من الإخلاص والنفاق ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بقلوبهم ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾ فيجازي الفريقين ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ الذي نسلكه في ديننا ﴿وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ إن كان ذاك خطيئة أو إن كان بعث ومؤاخذة. وإنما أمروا أنفسهم بالحمل عاطفين على أمرهم بالاتباع مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الأوزار عنهم إن كانت ثمة تشجيعًا لهم عليه. وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾ الأولى للتبيين والثانية مزيدة. والتقدير: وما هم بحاملين شيئًا من خطاياهم ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ

إلى قوله: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ ذكر القسم الثالث فقال: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله﴾ الآية. **قوله:** (ليقولن) قراءة العامة بضم اللام على إسناد الفعل إلى ضمير الجمع حملاً على معنى من بعد أن حمل على لفظها في ثلاثة ألفاظ. ويؤيد هذه القراءة قوله: «إنا كنا» وقرىء «ليقولن» بفتح اللام حملاً على لفظ من كان عليه حمل سابقًا في مواضع. فلما حكى الله تعالى قولهم وكذبهم بقولهم: ﴿أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين﴾ ذكر ما يكون وعدًا في حق أحد الفريقين ووعيدًا في حق الآخر فقال: ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا﴾ إلى آخره. **قوله:** (وإنما أمروا أنفسهم بالحمل) والحال أن الآمر غير المأمور وأمر الشخص نفسه غير معقول، والحاصل أن قوله: ﴿ولنحمل﴾ وإن كان على لفظ الأمر إلا أن مراد الكفار تعليق حمل خطايا المؤمنين باتباعهم سبيل الكفرة فكان الأصل أن يقال: اتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم على معنى إن اتبعتم سبيلنا نحمل خطاياكم إلا أنه عدل عنه إلى ما عليه النظم ليفيد المبالغة في تعليق حمل الخطايا بالاتباع، وفي الوعد بتخفيف الأوزار عنهم حيث أبرز الكلام في صورة أمر أنفسهم ولا شك أنه يدل على المبالغة في الالتزام. **قوله:** (وبهذا الاعتبار) أي وباعتبار كون المراد تعليق الحمل بالاتباع توجه عليهم الرد والتكذيب، إذ لو كان المراد حقيقة الأمر لما توجه عليهم ذلك لأن التصديق والتكذيب إنما يتوجهان على الخبر دون الإنشاء وقد كذبهم الله تعالى بقوله: ﴿وما هم بحاملين من خطاياهم﴾ إلى آخره مع أن العجز عن الإيفاء بالمضمون لا يوجب الكذب على تشبيه حالهم بحال الكاذبين من حيث إنهم ضمنوا بما لا يصح الضمان به كما أن الكاذب أخبر بما لا يصح الإخبار به. **قوله:** (من الأولى للتبيين والثانية زائدة) يعني أن قوله: ﴿من شيء﴾ مفعول لقوله: ﴿حاملين﴾ و ﴿من خطاياهم﴾ حال ﴿من شيء﴾ لأنه لما تقدم عليه انتصب

﴿أَثْقَالَهُمْ﴾ أثقال ما اقترفته أنفسهم ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ وأثقالاً أخر معها لما تسببوا له بالإضلال والحمل على المعاصي من غير أن ينقص من أثقال من تبعهم شيء ﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ سؤال تقريع وتبكيت. ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ من الأباطيل التي أضلوا بها ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ بعد المبعث. إذ روي أنه بعث على رأس أربعين ورعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فإن تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الألف من تخييل طول المدة إلى السامع فإن المقصود من القصة تسلية رسول الله ﷺ وتثبيته على ما يكابده من الكفرة واختلاف المميزين لما

حالاً والتقدير: وما هم بحاملين شيئًا من خطاياهم وهو المراد بقوله: «من الأولى للتبيين».

قوله: (من غير أن ينقص من أثقال من تبعهم شيء) إشارة إلى جواب ما يقال: إنه تعالى نفى الحمل أولاً حيث قال: ﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء﴾ ثم إنه أثبته ثانيًا حيث قال: ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم﴾ فما وجه الجمع بينهما؟ وتلخيص الجواب أنه ليس فيه إثبات ما نفى أولاً لأنهم لا يحملون من أوزار أتباعهم شيئًا، لأنه إذا حمل أحد عن آخر شيئًا لزم أن يخف حمل الآخر فإذا لم يخف حمله فلا يكون قد حمل عنه شيئًا بل يحملون أثقال ما اقترفوه بأنفسهم، وأثقالاً أخر بسبب أثقال غيرهم لقوله عليه الصلاة والسلام: «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من وزره شيء». ونظيره قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥]. **قوله:** (من الأباطيل التي أضلوا بها) قيل: تلك الأباطيل التي افتروا بها تحتمل ثلاثة أوجه: أحدها أن قوله: ﴿ولنحمل خطاياكم﴾ مبني على اعتقادهم أن لا خطيئة في الكفر والارتداد، ثم يوم القيامة يظهر لهم خلاف ذلك فيسألون عن ذلك الافتراء. وثانيها أن قولهم: ﴿ولنحمل خطاياكم﴾ مبني على اعتقادهم أن لا حشر فإذا جاء يوم القيامة ظهر خلاف ذلك، فيسألون ويقال لهم أما قلتم أن لا حشر. وثالثها أنهم لما قالوا: ﴿نحمل خطاياكم يوم القيامة﴾ يقال لهم: فاحملوا خطاياهم فلا يحملون فيسألون بأن يقال لهم فلم افتريتم؟

قوله: (بعد البعث) أي وقبل الطوفان. **قوله:** (ولعل اختيار هذه العبارة) مع أن الظاهر أن يقال: فلبث فيهم تسعمائة وخمسين سنة للدلالة على كمال القدرة، فإنه لو قال تسعمائة وخمسين لاحتمل أن يكون الكلام على المجاز بأن يراد بالعدد المذكور ما يقرب منه تنزيلاً ويجعل الأكثر بمنزلة الأقل، فلما عدل إلى ما عليه النظم لم يتوهم ذلك لأن الاستثناء إنما يذكر في العدد لتكميل العدد وبيان أن المراد كله. **قوله:** (واختلاف المميزين) حيث ميز

في التكرار من البشاعة. ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ طوفان الماء، وهو لما طاف بكثرة من سيل أو ظلام أو نحوهما ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ بالكفر ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ أي نوحًا ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ ومن أركبه معه من أولاده وأتباعه وكانوا ثمانين. وقيل: ثمانية وسبعين وقيل: عشرة نصفهم ذكور ونصفهم إناث ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾ أي السفينة أو الحادثة ﴿ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ يتعظون ويستدلون بها.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ عطف على نوحًا أو نصب بإضمار اذكر. وقرىء بالرفع على تقدير ومن المرسلين إبراهيم ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ظرف لأرسلنا أي أرسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وأمر الناس به. أو بدل منه بدل الاشتغال إن قدّر بأذكر ﴿وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما أنتم عليه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ الخير والشر وتميزون ما هو شر مما هو خير، أو كنتم تنظرون في الأمور بنظر العلم دون نظر الجهل. ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ وتكذبون كذبًا في تسميتها آلهة

العدد أولاً بالسنة وثانيًا بالعام، ثم إنه خص لفظ العام بالخمسين إيذانًا بأن نبي الله عليه الصلاة والسلام لما استراح من قومه بالإغراق طاب زمانه وصفا عيشه، فإن العرب تعبر عن الخصب بالعام وعن الجدب بالسنة. **قوله:** (أي السفينة أو الحادثة) قيل: كانت السفينة آية من وجوه: أحدها اتخذت قبل ظهور الماء ولولا أن الله تعالى أنبأ نوحًا بما سيكون وبطريق النجاة بفضل الله تعالى منه لما اشتغل باتخاذها فلا يحصل لهم النجاة. وثانيها أن نوحًا أمر بأخذ قوم معه ورفع قدر من القوت والبحر العظيم لا يتوقع أحد نضوبه، ثم إن الماء غيض قبل نفاد الزاد فلولا ذلك لما حصلت النجاة فهو بفضل الله تعالى لا بمجرد السفينة. وثالثها أن الله تعالى كتب سلامة السفينة من الرياح المزعجة والحيوانات المؤذية ولولا ذلك لما حصلت النجاة. **قوله:** (أي أرسلناه حين كمل عقله) كأنه جواب عما يقال: كيف يكون ظرفًا «لأرسلنا» والإرسال يكون قبل الدعوة؟ فكيف يجوز أن يقال: أرسلنا إبراهيم حين دعا قومه إلى عبادة الله تعالى وهو مرسل قبله؟ وحاصل الجواب ليس المراد بالأمر بعبادة الله تعالى ما يكون نتيجة الإرسال بل ما يكون نتيجة لكمال العقل وهو معرفة الحق ولم يكن الإرسال قبل ذلك. **قوله:** (إن قدّر بأذكر) ولا يجوز أن يكون بدلاً منه على تقدير كونه معمول «أرسلنا» وإلا لزم أن يكون الوقت مرسلاً. **قوله:** (أو كنتم تنظرون في الأمور بنظر العلم) أي بنظر البصيرة المؤدي إلى العلم فقوله تعالى: ﴿تعلمون﴾ على هذا الوجه بمعنى تنظرون وتتفكرون، فإن النظر سبب للعلم مستلزم له فأطلق اللازم وأريد الملزوم على سبيل الكناية، وجواب الشرط محذوف على الوجهين أي علمتم أنه خير لكم. **قوله:** (وتكذبون كذبًا) لأن خلق الكلام افتعاله من عند نفسه من غير أن يقصد الحكاية عن الواقع فيكون «تخلقون»

وادّعاء شفاعتها عند الله أو تعملونها وتنحتونها وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث زور وباطل. وقرىء «تخلقون» من خلق للتكثير و«تخلقون» من تخلق للتكلف وإفكًا على أنه مصدر كالكذب أو نعت بمعنى خلقًا ذا إفك. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ دليل ثانٍ على شرارة ذلك من حيث إنه لا يجدي بطائل. و«رزقًا» يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون أن يرزقوكم وأن يراد المرزوق وتنكيره للتعميم. ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ كله فإنه المالك له. ﴿وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾ متوسلين إلى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم بشكره أو مستعدين للقائه بهما فإنه ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾. وقرىء بفتح التاء. ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟﴾ وإن تكذبوني ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ من قبلي من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وإنما ضر أنفسهم حيث تسبب لما حلّ بهم من العذاب فكذا تكذيبكم ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾ الذي زال معه الشك وما عليه أن يصدق ولا يكذب. فالآية وما بعدها من جملة قصة إبراهيم إلى قوله «فما كان» جواب قومه. ويحتمل أن يكون اعتراضًا بذكر شأن النبي ﷺ وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفي قصته، من حيث إن مساقها لتسلية الرسول عليه الصلاة والسلام والتنفيس عنه بأن أباه

بمعني تكذبون فيكون انتصاب «إفكًا» على المصدرية وإن كان الخلق بمعنى العمل والإنشاء بمعنى وتعملون الأوثان يكون إفكًا مفعولاً له. وقرأ العامة «تخلقون» بضم التاء وكسر اللام المشددة مضارع خلق بالتضعيف للتكثير. وقرىء «تخلقون» بفتح التاء والخاء واللام المشددة مضارع تخلق للتكلف، والأصل تتخلقون بتاءين فحذفت إحداهما يقال: تخلق وتكذب إذا افتعل الكذب بالتكلف. وقرىء «إفكًا» بفتح الهمزة وكسر الفاء وهو إما مصدر كالكذب لفظًا ومعنى أي تكذبون كذبًا أو صفة لمصدر محذوف أي خلقًا وعملاً ذا إفك. **قوله:** (وتنكيره للتعميم) فإن النكرة في سياق النفي تفيد العموم أي لا يملكون شيئًا من الرزق. ثم عرف باللام الاستغراقية لتفيد أن الرزق كله لله تعالى. **قوله:** (وإن تكذبوني) إشارة إلى أن المخاطب بقوله: ﴿وأن تكذبوا﴾ هو قوم إبراهيم عليه السلام فإن هذه الآية إلى قوله: ﴿فما كان جواب قومه﴾ من جملة ما قاله إبراهيم عليه السلام لقومه ثم جوّز أن يكون خطابًا لقوم محمد عليه الصلاة والسلام، والمعنى: إن تكذبوه يا معشر قريش فقد كذب قبلكم أقوام هلكوا بسبب التكذيب فكيف لا تخافون أن يقع بكم ما وقع بمن قبلكم من المكذبين؟ فتكون هذه الجملة معترضة في أثناء قصة إبراهيم عليه السلام، والجملة الاعتراضية لا بد لها أن تتصل بطرفيها فبيّن وجه الاتصال ههنا بقوله: «من حيث إن سياق قصة إبراهيم لتسلية رسول الله ﷺ» وعلى إبراهيم خليله وعلى آلهما أجمعين: كأنه قيل: إنكم يا معشر قريش إن

خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال إبراهيم في قومه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ من مادة وغيرها. وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالتاء على تقدير القول. وقرىء ببدأ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ إخبار بالإعادة بعد الموت معطوف على «أولم يروا» إلا على «يبدىء» فإن الرؤية غير واقعة عليه. ويجوز أن يؤول الإعادة بأن ينشىء في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما ويعطف على «يبدىء» ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الإشارة إلى الإعادة أو إلى ما ذكر من الأمرين ﴿عَلَى

كذبتم محمدًا فقد كذب إبراهيم قومه وكذا سائر الأنبياء كذبهم أممهم، ولم يضر تكذيب أحد منهم نبيه لأن الرسل إنما أرسلوا إزاحة لحجج قومهم ولا يجب عليهم أن يصدقوا أممهم لأنهم لا يكلفون بفعل غيرهم. **قوله:** (كان ممنوا) أي مبتلى يقال: منوته ومنيته إذا ابتليته، فإن قيل: كيف تكون هذه الآية من جملة ما قاله إبراهيم لقومه مع أن قوله: ﴿فقد كذب أمم من قبلكم﴾ يأبى أن يكون من قصة إبراهيم عليه السلام لأن قوم إبراهيم لم يسبقهم إلا قوم نوح وهم أمة واحدة؟ قلنا: إن نوحًا عليه السلام بعث إلى جميع بني آدم ولا شك أنهم طوائف شتى، وأيضًا كان قبل نوح أقوام أخر كقوم إدريس وقوم شيت وآدم عليه السلام ولا يبعد أن يكون في أقوامهم من كذب نبيه، ولقد عاش إدريس عليه السلام في قومه ألف سنة إلى أن رفع إلى السماء وآمن به ألف إنسان بعدد سنيه وأعقابهم على التكذيب. **قوله:** (وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالتاء) على الخطاب لقوم إبراهيم بتقدير القول أي قال إبراهيم لقومه: أولـم تروا ولم يتعرض لاحتمال أن يكون خطابًا من الله لأهل مكة ولا يكون محكيًا بتقدير القول. وقرأ الباقون بياء الغيبة ردًا على الأمم المكذبة. وقرأ الجمهور «يبدي» بضم الياء من أبدى. وقرىء «يبدأ» مضارع بدأ.

قوله: (معطوف على أولم يروا) فإن قلت: أوليس هذا من عطف الخبر على الإنشاء؟ أجيب بأن الاستفهام فيه لما كان للإنكار وتقدير الرؤية كان إخبارًا من حيث المعنى أي قد رأوا ذلك وعلموه، فإن الرؤية غير واقعة عليه. فإن قلت: الإبداء كذلك لأنه كان قبل وجود الأمم، قلنا: اللام في الخلق للجنس وإبداء بعض الخلق مرئي وذلك يكفي في صحة رؤية إبداء الجنس. فإن قيل: علق الرؤية بالكيفية لا بنفس الخلق حيث قال: ﴿أو لم يروا كيف يبدىء﴾ ولم يقل: أو لم يروا كيف خلق، أو بدأ الخلق والكيفية غير معلومة. والجواب هذا القدر من الكيفية معلوم وهو أنه خلقه ولم يكن شيئًا مذكورًا وأنه خلقه من نطفة هي مخلوقة من غذاء متكون من ماء وتراب، وهذا القدر كافٍ في حصول العلم بإمكان الإعادة استدلالاً بالإبداء. وقد تقرر أن أمهات علوم القرآن ثلاثة: التوحيد والرسالة والحشر، ولما بيّن الأصل

ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ إذ لا يفتقر في فعله إلى شيء. ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ حكاية كلام الله لإبراهيم أو محمد عليهما السلام. ﴿فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ على اختلاف الأجناس والأحوال. ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ بعد النشأة الأولى التي هي الإبداء فإنه والإعادة نشأتان من حيث إن كلام اختراع وإخراج من العدم. والإفصاح باسم الله مع إيقاعه مبتدأ بعد إضماره في «بدأ»، والقياس الاقتصار عليه للدلالة على أن المقصود بيان الإعادة،

الأول وهو التوحيد وأشار إلى الأصل الثاني وهو الرسالة بقوله: ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ **شرع في بيان الأصل الثالث وهو الحشر. وقد جرت العادة الإلهية في كلامه المجيد على أن لا يفصل بعض هذه الأصول عن بعض وفي أي موضع جرى ذكر اثنين منها يذكر الثالث معهما، فلذلك ذكر الإعادة استدلالاً عليه بالإبداء فقال:** ﴿أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق﴾ **الآية. قوله: (حكاية كلام الله تعالى)** وليس من مقالة إبراهيم عليه السلام لقومه من عند نفسه على تقدير أن تكون الآيات المذكورة من قوله: ﴿وأن تكذبوا﴾ إلى قوله: ﴿فما كان﴾ جواب قومه من قصة إبراهيم عليه السلام ولا من مقالة سيد المرسلين ﷺ من عند نفسه على تقدير كونها معترضة واقعة في إثبات قصة إبراهيم عليه السلام تذكيرًا وإنذارًا لقريش، إذ لا وجه لهما أن يقولا من عند أنفسهما ﴿قل سيروا في الأرض﴾ بل الظاهر أنه كلام أحدهما لقومه على حكاية كلام الله تعالى لهم. ومقصود المصنف من هذا الكلام أن يجيب عما يقال: كيف يكون هذا من كلام أحدهما ولا يصح لواحد منهما أن يقول ذلك؟ محصول الجواب أنه لا يصح أن يقوله من عند نفسه إلا أنه يصح أن يقوله على حكاية كلام الله تعالى حكاه إبراهيم أو محمد عليهما الصلاة والسلام لقومه أي قال الله، قل لهم، وقد يحكي رسولنا كلام الله تعالى على هذا المنهاج، والمعنى: قل لمنكري البعث سيروا في الأرض شاهدوا كيف أنشأ الله تعالى جميع الكائنات بدءاً ومن قدر على إنشائها بدءًا أما يقدر على إعادتها؟ كما قال إبراهيم لقومه: ﴿إليه ترجعون﴾ ثم قال لهم: وإن تكذبوني فيما أخبرتكم به من البعث والجزاء فلا عليّ في تكذيبكم، ثم التفت عن خطابهم وقال على طريق التعجب من جهالة منكري البعث: أولم يروا منكرو البعث ما يدل على صحته وهو أنه تعالى أنشأ الكائنات بأسرها على وجه الإبداء، ثم أخبر بأنه يعيدهم لا محالة. أمره الله بأن يحتج على هؤلاء المنكرين بما ذكره من الدليل فقال له: ﴿قل سيروا﴾ هذا على تقدير كون الآيات المذكورة من قصة إبراهيم عليه السلام وقس عليه كونها معترضة في أثناء قصته.
قوله: (والقياس الاقتصار عليه) أي على الإضمار لأنه أبرز اسم الله تعالى في قوله: كيف يبدىء الله الخلق كان المناسب أن يضمر بعده أينما ذكر كما أضمر في قوله: ﴿ثم يعيده﴾ وفي قوله: ﴿كيف بدأ الخلق﴾. **قوله: (للدلالة على أن المقصود بيان الإعادة)** ووجه دلالة

وأن من عرف بالقدرة على الإبداء ينبغي أن يحكم له بالقدرة على الإعادة لأنها أهون. والكلام في العطف ما مر. وقرىء «النشاءة» كالرآفة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ لأن قدرته لذاته ونسبه ذاته إلى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الأخرى كما قدر على النشأة الأولى. ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ رحمته ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾﴾ تردون ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ ربكم عن إدراككم. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ إن فررتم من قضائه بالتواري في الأرض أو الهبوط في

الإفصاح عليه أنه إذا أبرز اسم الله تعالى وجعل مبتدأ يكون الكلام جملة اسمية مفيدة للثبوت والتأكيد بخلاف ما إذا أضمر. وقيل: ثم ينشىء مع أن إبراز الاسم الجامع يدل على إعادة جميع الأوصاف المعتبرة في الإبداء من العلم والقدرة والحكمة والرحمة فهو كاسم في إفادة هذا المعنى فكان بناء الحكم على الاسم الظاهر بمنزلة بنائه عليه. قوله: (والكلام في العطف ما مر) فكما أن قوله: ﴿ثم يعيده﴾ **ليس بمعطوف على قوله:** ﴿يبدىء الله﴾ **لكون الرؤية غير واقعة على الإعادة كما وقعت على الإبداء بل هو معطوف على جملة قوله:** ﴿أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق﴾ **فكذا قوله تعالى:** ﴿ثم الله ينشىء﴾ **ليس بمعطوف على قوله:** ﴿بدأ الخلق﴾ **لكون النظر غير واقع على الإنشاء الثاني بل هو معطوف على جملة** ﴿سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ **وكل واحد من المعطوف والمعطوف عليه داخل في حيز القول.**

قوله: (وقرىء النشاءة) بالمد قراءة ابن كثير وأبي عمرو، والباقون بالقصر وسكون الشين وهما لغتان كالرأفة والرآفة. وانتصاب «النشأة» على أنه مصدر محذوف الزوائد والأصل الإنشاءة أو على حذف العالم أي ينشىء فتنشئون النشأة. وفي الصحاح: أنشأه الله أي خلقه والاسم النشأة والنشاءة بالمد. ثم إنه تعالى لما ذكر النشأة الآخرة الواقعة بعد الموت ذكر ما يكون فيها وهو تعذيب أهل التكذيب والمعصية عدلاً وحكمة، وإثابة أهل الإثابة فضلاً ورحمة فقال: ﴿يعذب من يشاء ويرحم من يشاء﴾ **ثم قال:** ﴿وإليه تقلبون﴾ **مع أن هذه المسألة قد سبق إثباتها وتقريرها تقرير الأمر المجازاة، كأنه قيل: إن تأخر عنكم جزاء أعمالكم فلا تظنوا أنه فات فإن إليه إيابكم وعليه حسابكم وعنده مدخر ثوابكم وعقابكم، ثم قال:** ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ **من أراد تعذيبكم وتنفيذ قضائه فيكم بالهرب منه في الأرض ولا في السماء. والخطاب لبني آدم وهم من أهل الأرض وليس في وسعهم الهرب في السماء، والمقصود بيان امتناع الفوات على جميع التقادير ممكنًا كان أو مستحيلاً هذا إن حمل الأرض على الغبراء والسماء على الخضراء. ويجوز أن يراد بهما جهة السفل وجهة العلو. والمهاوي جمع مهوى وهو ما بين الجبلين ونحو ذلك، وقيل: هو ما بين الشيئين المنتصبين حتى يقال**

مهاويها والتحصن في السماء أو القلاع الذاهبة فيها. وقيل: ولا من في السماء كقول حسان:

أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ يحرسكم من بلا يظهر من الأرض من الأرض أو ينزل من السماء ويدفعه عنكم.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ بدلائل وحدانيته أو بكتبه ﴿وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ بالبعث ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾ أي ييأسون منها يوم القيامة، فعبّر عنه بالماضي للتحقق

لبعد ما بين المنكبين مهوى. والقلاع جمع قلعة بسكون اللام وهي الحصن على الجبل.

قوله: (وقيل ولا من في السماء) إن عصوا فالكلام على هذا محمول على حذف الموصول الاسمي وبقاء صلته فيكون الموصول المحذوف معطوفًا على «أنتم» أي ما أنتم بمعجزين في الأرض ولا من في السماء بمعجزين إن عصوا كقول حسان بن ثابت رضي الله عنه: شعر

(أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء)

أراد ومن يمدحه وينصره مساوٍ لمن يهجوه فأضمر «من» لأنه لولا ذلك لكان يمدحه عطفًا على «يهجو» فكان داخلاً في حيز صلة من يهجو فكان الهاجي والمادح شخصًا واحدًا فيختل المعنى، ولا يصح قوله سواء لأن الاستواء إنما يكون بين اثنين. قيل: إن أبا سفيان بن حرب هجا رسول الله ﷺ فعارضه حسان بن ثابت رضي الله عنه بقصيدة هذا البيت فيها ولما انتهى إلى قوله:

هجوت محمدًا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

قال له النبي ﷺ: «جزاك الله الجنة». ولما بلغ إلى قوله:

فإن أبي ووالدتي وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

قال له النبي ﷺ: «وقاك الله حر النار». ثم لما بلغ إلى قوله:

أتهجوه ولست له بكفؤ فشرّكما لخيركما فداء

قال من حضر: هذا ألطف بيت قالته العرب. وفيها:

هجوت مطهرًا برًا حنيفًا أمين الله سيمته الوفاء

قوله: (أي ييئسون منها يوم القيامة) جواب عما يقال: اليأس من الشيء مسبوق برجائه وتصوره، ومن كفر بالله تعالى وبالبعث والجزاء لا يرجو ولا يتصور رحمة الله لأنه

والمبالغة. أو آيسوا في الدنيا لإنكار البعث والجزاء ﴿وَأُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ بكفرهم. ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ قوم إبراهيم له. وقرىء بالرفع على أنه الاسم والخبر. ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل فيهم أو رضي به الباقون أسند إلى كلهم. ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ أي فقذفوه في النار فأنجاه الله منها بأن جعلها عليه بردًا وسلامًا. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ في إنجائه منها ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ هي حفظه من أذى النار وإخمادها مع عظمها في زمان يسير وإنشاء روض مكانها ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ لأنهم المنتفعون بالفحص عنها والتأمل فيها.

لا يتصور يوم البعث واللقاء فضلاً عن أن يتصور رحمته تعالى عند لقائه، فكيف يصح الحكم عليه بأنه يئس من رحمته؟ وتقرير الجواب الأول أنه ليس المراد أنهم يئسوا في الدنيا ليلزم ما قلت، بل هو كناية عن الوعيد والمعنى: إنه يحصل اليأس من رحمة الله تعالى يوم القيامة، والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه. وتقرير الجواب الثاني أن اليأس من رحمته تعالى عبارة عن عدم رجائها على طريق ذكر الملزم وإرادة اللازم والكفار آيسون من رحمته تعالى في الدنيا بمعنى أنهم لا يرجونها لما أنهم لما أنكروا البعث والجزاء امتنع منهم أن يرجوا الرحمة الواقعة يوم البعث. **قوله**: (وقرىء بالرفع) لأن جواب قومه معرفة فيصح كونه اسم «كان» إلا أن الجمهور نصبوه على أنه خبر «كان» قدم على اسمها لأن قوله: ﴿أن قالوا﴾ في تأويل المصدر المضاف إلى الضمير فيكون أعرف من جواب قومه لأن المضاف إلى الضمير أعرف من المضاف إلى المضاف إلى الضمير وأعرف الاسمين أولى أن يكون اسم كان».

قوله: (وكان ذلك قول بعضهم) جواب عما يقال: قوله: ﴿إلا أن قالوا اقتلوه﴾ يستلزم أن يكون الآمر نفس المأمور لأن ضمير «قالوا» عبارة عن قوم إبراهيم وكذا الضمير المرفوع في «اقتلوه» ولا وجه لكون القوم آمرين لأنفسهم بقتله. وتقرير الجواب أن الآمرين هم الأكابر والرؤساء والمأمورين هم الأتباع والأعوان، فليس هنا اتحاد الآمر والمأمور إلا أنه أسند أمر الأكابر إلى الكل تنزيلاً لرضى الأتباع بذلك منزلة الأمر، فقيل: فما كان جواب قومه إلا أن قالوا، موضع أن يقال: فما كان جواب الأكابر إلا أن قالوا. وكلمة «أو» في قولهم: ﴿أو حرقوه﴾ ليست للعناد لأنه لا يصح أن يقال: وإن لم تقتلوه فحرقوه لكون التحريق مشتملاً على القتل غير منافٍ له فيكون قولهم: ﴿اقتلوه أو حرقوه﴾ مثل أن يقال: هذا حيوان أو إنسان، ولا معنى له بل هي بمعنى «بل» كما في قولك: أعطه دينارًا أو دينارين، كأنه قيل: اقتلوه بل زيدوا على القتل وحرقوه. والفاء في قوله: ﴿فأنجاه الله من النار﴾ فصيحة أشار إليه المصنف بقوله: «أي فقذفوه في النار فأنجاه الله منها» وبيّن

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها. وثاني مفعولي «اتخذتم» محذوف، ويجوز أن يكون «مودة» المفعول الثاني بتقدير مضاف أو بتأويلها بالمودودة أي اتخذتم أوثانًا سبب المودة بينكم. وقرأها نافع وابن عامر وأبو بكر منونة ناصبة بينكم، والوجه ما سبق. وابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس مرفوعة مضافة على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هي مودودة أو سبب مودة بينكم. والجملة صفة أوثانًا أو خبر أن على أن «ما» مصدرية أو موصولة والعائد محذوف وهو المفعول الأول. وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرىء ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] وقرىء «إنما مودة بينكم» ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي يقوم التناكر والتلاعن بينكم أو بينكم وبين الأوثان على تغليب المخاطبين كقوله: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨٢] ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ يخلصونكم منها.

كيفية الإنجاء بقوله: «بأن جعلها عليه بردًا وسلامًا» فإن قيل: الحرارة للنار صفة لازمة ذاتية كالزوجية للأربعة فكيف يمكن أن تفارقها؟ فالجواب: إنّا لا نسلم أن الحرارة مقتضى ذات النار بل إنما هي بإرادة الفاعل المختار فجاز أن يزيل عنها تلك الكيفية فتبقى نورًا محضًا لا إحراق لها، كما أن الماء له كيفية البرودة لكن قد تزول عنه البرودة ويبقى ماء بلا برودة، فكذلك النار يجوز أن يزول عنها الإحراق وتبقى نورًا غير محرق. وقيل: كيفية إنجائه منها أنه تعالى خلق في إبراهيم كيفية استبرد معها النار. وقال بعضهم: ترك إبراهيم على ما هو عليه وترك النار على ما كانت عليه ومنع أذى النار عنه والكل ممكن والله تعالى قادر عليه، والبعد بحسب العادة لا ينافي الوقوع لأنه معجز والمعجز لا بد أن يكون خارقًا للعادة إلا أن قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ [الأنبياء: ٦٩] يؤيد ما ذكره المصنف حتى روي أنه لم ينتفع بالنار أحد يوم ألقي إبراهيم في النار لذهاب حرها. ثم إنه تعالى قال في حق سفينة نوح عليه السلام: ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً﴾ [العنكبوت: ١٥] وقال في إنجاء إبراهيم عليه السلام: ﴿إن في ذلك لآيات﴾ لأن الإنجاء بالسفينة شيء تسع له العقول ولم يكن فيها من الآيات إلا أنه تعالى أعلمه باتخاذها لوقت الحاجة فإنه لولاه لما اتخذها لعدم علمه بالغيب، وأما الإنجاء من النار ففيه آيات ذكرها المصنف. وقال تعالى في حق السفينة ﴿ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٥] وقال ههنا: ﴿آيات لقوم يؤمنون﴾ لأن السفينة بقيت أعوامًا ومر عليها طوائف الناس ورأوها فحصل العلم بها لكل أحد، بخلاف تبريد النار فإنه لم يبق فلم يظهر لمن بعده إلا بطريق الإيمان به بالفحص عنه والتأمل فيه.

....

قوله: (أي لتتوادوا بينكم) إشارة إلى أن «مودة» منصوب على أنه مفعول له للاتخاذ فتكون «ما» كافة «وأوثانًا» مفعول أول «لاتخذتم» ومفعوله الثاني محذوف و«من دون الله» حال من فاعل «اتخذتم» والمعنى: إنما اتخذتم أوثانًا آلهة من دون الله لتكون سبب التواد بينكم لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق الناس على مذهب ويجعلون ذلك سبب نجاتهم وتصادقهم.

قوله: (ويجوز أن يكون مودة المفعول الثاني) معطوف من حيث المعنى على قوله: «أي لتتوادوا» فإنه في معنى أنها مفعول له والمعنى: إنما اتخذتم أوثانًا سبب المودة بينكم أو مودودة بينكم من دون الله عز وجل.

قوله: (والوجه ما سبق) أي وجه انتصاب «مودة» كونها مفعولاً له أو مفعولاً ثانيًا بتقدير المضاف أو بتأويلها بمودودة و«بينكم» حينئذٍ يكون منصوبًا على الظرفية. فإن من أضاف «مودة» جعل «بينكم» اسمًا لا ظرفًا ومن نوّن «مودة» منصوبة أو مرفوعة جعل «بينكم» ظرفًا للمودة. ومن قرأ «مودة» بالرفع فلا يخلو إما أن يجعل «ما» كافة أو لا، فإن جعلها كافة رفع «مودة» على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هي مودة بينكم أو سبب مودة بينكم، وإن جعلها موصولة بمعنى الذي منصوبة المحل على أنها اسم «أن» و«اتخذتم» صلتها بحذف العائد الذي هو مفعول أول لاتخذتم و«أوثانًا» مفعوله الثاني جعل مودة خبر «أن» والتقدير أن الذي اتخذتموه أوثانًا مودة أو سبب مودة بينكم أو جعل نفس المودة مبالغة، وكذا إن جعلها مصدرية وحينئذٍ يجوز أن يقدر المضاف قبل اسم «أن» أو قبل خبرها والتقدير: أن سبب اتخاذكم أوثانًا مودة بينكم أو أن اتخاذكم أوثانًا سبب مودة أو مودود وجاز أن لا يقدر شيء ولا يؤول بل يجعل الاتخاذ نفس المودة.

قوله: (ومضافة بفتح بينكم) الإضافة للاتساع في الظرف كقولهم: يا سارق الليلة أهل الدار، وفتح «بينكم» لكونه مبنيًا بالإضافة إلى غير متمكن كما في قراءة من قرأ ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] بالفتح مع جعل «بينكم» فاعلاً. وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه «أوثانًا إنما مودة بينكم في الحياة الدنيا» أي إنما تتوادون على عبادتها أو تودونها في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يحدث بينكم التباغض والتعادي.

قوله: (في الحيوة) يجوز أن يتعلق «باتخذتم» و«بمودة» وبنفس «بينكم» لأنه بمعنى الفعل إذ التقدير اجتماعكم ووصلكم.

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ هو ابن اخته وأول من آمن به. وقيل: إنه آمن به حين رأى النار لم تحرقه ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ من قومي ﴿إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ إلى حيث أمرني ربي ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي يمنعني من أعدائي ﴿ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ الذي لا يؤمرني إلا بما فيه صلاحي. روي أنه هاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه إلى حران ثم منها إلى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم.

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ ولدًا ونافلة حين أيس من الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر إسماعيل ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ﴾ فكثر منهم الأنبياء ﴿وَٱلۡكِتَٰبَ﴾

قوله تعالى: (فآمن له لوط) عطف على قوله: ﴿وقال إنما اتخذتم﴾ أي صدقه لوط بعد هذه الدعوة بعد هذا التنبيه وإقامة الحجج من جملة من دعاهم إلى عبادة الله تعالى، ويلزم الوقف على لوط لأن قائل ما بعده إبراهيم عليهما السلام فلو وصل توهم أن يكون الفعل الثاني للوط فيفسد المعنى. **قوله:** (إلى حيث أمرني ربي) بالهجرة إليه. فإن قيل: إذا كان المراد هذا المعنى فلم اختير ما ورد عليه التنزيل مع أنه يوهم الجهة؟ فالجواب أنه اختير ذلك لكونه أدل على الإخلاص من أن يقال: إني مهاجر إلى حيث أمرني ربي، فإنه لو هاجر إليه لغرض نفسه يصدق أن يقول: إني مهاجر إلى حيث أمرني ربي ولا يصدق أن يقول: إني مهاجر إلى ربي لأنه لم يهاجر إليه خالصًا لوجهه وطلبًا لمرضاته، وإنما أمره الله تعالى بالمهاجرة من قومه لأن المقصود الكلي من بعثته إليهم إلزام الحجة عليهم وقطع معذرتهم، وقد حصل ذلك بأن بالغ إبراهيم عليه السلام في إرشادهم بتقرير الدلائل القاطعة وإزاحة شبههم الباطلة. فلما حصل اليأس الكلي من إيمانهم وجبت المهاجرة من بينهم لأنه لو بقي فيهم ودام على الإرشاد والدعوة لكان مشتغلاً بما لا طائل تحته، وإن سكت عن دعوتهم فربما قالوا إنه رضي بأفعالنا وأقرنا على ما نحن عليه، فلما كان بقاؤه فيهم لا يخلو عن مفسدة وجبت المهاجرة من بينهم، فهاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة فنزل فلسطين وهي قرية من قرى الشام ونزل لوط بسدوم ويقال لها المؤتفكة وهي على مسيرة يوم وليلة من فلسطين.

قوله: (ولدًا ونافلة) فالمعنى: وهبنا له إسحٰق ولدًا بعد إسماعيل ويعقوب نافلة حيث ولد من إسحٰق. **قوله:** (ولذلك) أي ولكون المقصود الامتنان عليه بهبة الولد والنافلة في كبر سنه لم يذكر إسماعيل مع أنه من أولاده، لأن إبراهيم عليه السلام كان ابن ست وثمانين سنة إذ ولدت هاجر له إسماعيل وكان ابن مائة سنة إذ ولدت له سارة إسحٰق عليه السلام وقد أتى عليها تسعون سنة وكان إسماعيل حينئذٍ ابن أربع عشرة سنة. **قوله:** (فكثر منهم الأنبياء) عليهم الصلاة والسلام قيل: إن الله تعالى لم يبعث نبيًا بعد إبراهيم إلا من نسله، فإن قيل:

يريد به الجنس ليتناول الكتب الأربعة ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ﴾ على هجرته إلينا ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بإعطاء الولد في غير أوانه، والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم، وانتماء أهل الملل إليه والثناء والصلاة عليه آخر الدهر. ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ لفي عداد الكاملين في الصلاح ﴿وَلُوطًا﴾ عطف على إبراهيم أو على ما عطف عليه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ الفعلة البالغة في القبح وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر، والباقون على الاستفهام، وأجمعوا على الاستفهام في

كيف جاءت النبوة في أولاد إسحٰق أكثر من النبوة في أولاد إسماعيل مع استوائهما في الانتساب إلى شيخ الأنبياء وكون إسماعيل أكبرهما سنًا؟ قال الإمام في جوابه: قسم الله تعالى الزمان من وقت إبراهيم عليه السلام إلى يوم القيامة قسمين: فالقسم الأول من الزمان بعث الله تعالى فيه أنبياء فيهم فضائل جمة وجاؤوا تترى واحدًا بعد واحد ومجتمعين في عصر واحد كلهم من نسل إسحٰق، ثم في القسم الثاني من الزمان أخرج من ذرية ولده الآخر وهو إسماعيل واحدًا جمع فيه جميع ما كان فيهم وأرسله إلى كافة الخلق وهو محمد المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام وجعله خاتم النبيين وإمام المرسلين. وقد دام الخلق على دين أولاد إسحٰق أكثر من أربعة آلاف سنة ولا يبعد أن يبقى الخلق على دين ذرية إسماعيل عليه السلام مثل ذلك المقدار. وعد في جملة ما آتاه الله من الأجر في الدنيا أنه كان أولاً لا جاه له ولا مال وهما غاية اللذة الدنيوية، ثم آتاه الله تعالى أجره من المال والجاه فكثر ماله حتى كان له من المواشي ما علم الله تعالى عدده حتى قيل إنه كان له اثنا عشر ألف كلب حارس بأطواق ذهب. وأما الجاه فإنه صار بحيث تقرن الصلاة عليه بالصلاة على سائر الأنبياء إلى يوم القيامة وصار معروفًا بشيخ المرسلين بعد أن كان خاملاً حتى قال قائلهم: سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم، وهذا الكلام لا يقال إلا فيمن كان مجهولاً بين الناس. **قوله:** (**عطف على إبراهيم أو على ما عطف عليه**) يجوز عطفه على «إبراهيم» سواء كان إبراهيم معطوفًا على «نوحًا» أو منصوبًا «باذكر» وأما كون قوله: و«لوطًا» معطوفًا على «نوحًا» فإنما يجوز على تقدير أن لا يكون و «إبراهيم» منصوبًا «باذكر» لأنه لو كان منصوبًا «باذكر» للزم أن يكون «اذكر» مع ما في حيزه فاصلاً بين المعطوف والمعطوف عليه. ويحتمل أن يكون قول المصنف هذا إشارة إلى الاختلاف في المعطوف الثاني أنه هل هو معطوف على المعطوف الأول أو على ما عطف عليه المعطوف الأول؟ وجه الأول قرب المعطوف من المعطوف عليه ووجه الثاني قرب المعطوف عليه من العامل. **قوله:** (**الفعلة البالغة في القبح**) وذلك لأن كل واحد من الشهوة والغضب صفتان قبيحتان لولا المصلحة الداعية إلى خلقهما لما خلقهما الله تعالى في الإنسان. والمصلحة في خلق الشهوة الفرجية هي بقاء النوع

الثانية ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٨﴾ استئناف مقرر لفاحشتها من حيث إنها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى أقدموا عليها لخبث طينتهم. ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ وتتعرضون للسابلة بالقتل وأخذ المال، أو بالفاحشة حتى انقطعت الطرق، أو تقطعون سبيل النسل بالإعراض عن الحرث وإتيان ما ليس بحرث. ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ في مجالسكم الغاصة. ولا يقال النادي إلا لما فيه أهله المنكر كالجماع والضراط وحل الإزار وغيرها من القبائح عدم مبالاة بها. وقيل: بالخذف ورمي البنادق. ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٢٩﴾ في استقباح ذلك أو في دعوة النبوة المفهومة من التوبيخ ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ بإنزال العذاب ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٣٠﴾ بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب وإشعارًا بأنهم أحقاء بأن يعجل لهم العذاب. ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ بالبشارة بالولد والنافلة ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ قرية سدوم والإضافة لفظية لأن المعنى على الاستقبال. ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ۝٣١﴾ تعليل لإهلاكهم بإصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر وأنواع المعاصي.

بتعاقب الأشخاص وذلك إنما يكون بوجود الولد وبقائه بعد الأب، فظهر به أن كل واحد من الزنى واللواطة فاحشة. فإن الزنى وإن كان مؤديًا إلى وجود الولد لكنه لا يؤدي إلى بقائه لأن المياه إذا اشتبهت لا يقرب الوالد ولده فلا يقوم بتربيته والإنفاق عليه فيضيع الولد ويهلك. فتبين أن الزنى ليس فيه مصلحة البقاء فلذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ [الإسراء: ٣٢] فإذا كان الزنى شهوة قبيحة خالية عين المصلحة مع أنه يفضي إلى وجود الولد تبين كون اللواطة فاحشة بطريق الأولى. **قوله:** (في مجالسكم الغاصة) أي الممتلئة بأهلها فإن النادي إنما يطلق على المجلس ما دام فيه القوم فإذا قاموا عنه لا يسمى ناديًا، وكل ما كان إسراره معصية فابداؤه أفحش وأقبح فلذلك قيل: من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له. والخذف بالخاء المعجمة رمي الحصاة بين الأصابع. روي عنه عليه الصلاة والسلام: «إنهم كانوا يخذفون أهل الأرض ويسخرون منهم» وقيل: كانوا يجلسون على الطرق وعند كل واحد قصعة فيها حصى فمن مر بهم خذفوه فمن أصابه منهم فهو أحق به فيأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم ولهم قاضٍ يقضي بينهم بذلك ومنه قولهم: هو أجور من قاضي سدوم. **قوله:** (لأن المعنى على الاستقبال) واسم الفاعل يعمل إذا كان للاستقبال فيكون «مهلكوا» مضافًا إلى معموله فتكون إضافته لفظية لما دعا على قومه بقوله: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ [المؤمنون: ٢٦ و٣٩؛ العنكبوت: ٣٠] استجاب الله دعاءه وأرسل ملائكة

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ اعتراض عليهم بأن فيها من لم يظلم أو معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبي بين أظهرهم. ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به، وأنهم ما كانوا غافلين عنه، وجواب عنه بتخصيص الإهلاك بمن عداه وأهله، أو تأقيت الإهلاك بإخراجهم منها. وفيه تأخير البيان عن الخطاب ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ الباقين في العذاب أو القرية. ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة أن يقصدهم قومه بسوء و«إن» صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ وضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته كقولهم: ضاقت يده وبإزائه: رحب ذرعه بكذا إذا كان مطيقًا له، وذلك لأن طويل الذراع ينال ما لا ينال قصير الذراع. ﴿وَقَالُوا﴾ لما رأوا فيه أثر الضجرة ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾ على تمكنهم منا ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ وقرأ حمزة وابن كثير

لإهلاك قومه وجعلهم مبشرين ومنذرين حيث جاؤوا إبراهيم وبشروه بذرية طيبة ثم قالوا: ﴿إنا مهلكوا أهل هذه القرية﴾ **وقدموا البشارة على الإنذار لكون البشارة إثر الرحمة والإنذار إثر الغضب ورحمة الله تعالى سابقة على غضبه. ثم إن إبراهيم لما سمع قول الملائكة** ﴿إنا مهلكوا﴾ **أظهر الإشفاق على لوط ونسي نفسه وما بشروه به ولم يظهر له فرحًا وقال:** ﴿إن فيها لوطًا﴾ **ثم إن الملائكة لما رأوا ذلك منه زادوا عليه وقالوا: إنك ذكرت لوطًا وحده ونحن ننجيه وننجي معه أهله. فانظر إلى شفقة كل واحد منهم في حق أهل الخير.**

قوله: (اعتراض عليهم) **يعني ليس مقصوده عليه الصلاة والسلام من إلقاء هذه الجملة الخبرية إلى الملائكة إفادة مضمونها لهم ولا إفادة كونه عالمًا بمضمونها، لأن كل واحد منهما معلوم عند الرسل بل الفائدة في إلقائها إليهم ما اقتضاه المقام من الاعتراض وإظهار الشفقة عليه. ولما كان منشأ اعتراضه قول الملائكة** ﴿إنا مهلكوا أهل هذه القرية﴾ **أجاب الملائكة عنه بما يحتمل أن يكون بيان تخصيص أو بيان توقيت، الأول مبني على كون قوله عليه الصلاة والسلام أن فيها لوطًا اعتراضًا والثاني مبني على كونه معارضة. قوله:** (صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما) **فإنه لو لم يذكر كلمة «أن» لكان معنى الكلام وجود الفعلين أي مجيء الرسل ومساءة لوط عليه السلام بسببهم مرتبًا أحدهما على الآخر فزيادة «أن» أكدت هذا المعنى بحيث صارا كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان. قوله:** (لأن طويل الذراع) **بيان لوجه كون طول الذراع وضيقه عبارتين عن القدرة والعجز وهو أنه من قبيل إطلاق السبب وإرادة المسبب. والذرع والذراع من المرفق إلى أطراف الأصابع. فإن لوطًا عليه السلام لم يعلم أنهم ملائكة بل ظن أنهم غرباء ضافوه وخاف عليهم من قومه وما كان منهم**

والكسائي ويعقوب «لننجينه» و«منجوك» بالتخفيف وأوفقهم أبو بكر في الثاني وموضع الكاف على المختار الجر ونصب «أهلك» بإضمار فعل أو بالعطف على محلها باعتبار الأصل. ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ عذابًا منها. سمي بذلك لأنه يقلق المعذب من قولهم: ارتجز إذا ارتجس أي اضطرب. وقرأ ابن عامر «منزلون» بالتشديد ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾﴾ بسبب فسقهم ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً﴾ هي حكايتها الشائعة أو آثار الديار الخربة. وقيل: الحجارة الممطورة فإنها كانت باقية بعد. وقيل: بقية أنهارها المسودة. ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق «بتركنا» أو «آية». ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ وافعلوا ما ترجون به ثوابه، فأقيم المسبب مقام السبب. وقيل: إنه من الرجاء بمعنى الخوف ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة وقيل: صيحة جبرائيل

بالغرباء من الفاحشة، لأنهم جاؤوا على صورة البشر في أحسن صورة. **قوله: (وموضع الكاف على المختار الجر)** بإضافة اسم الفاعل إليه. فلما لم يجز أن يعطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور من غير إعادة الخافض قيل في نصب و«أهلك» وجهان: أحدهما كونه منصوبًا بعامل مضمر أي ومنجون أهلك، وثانيهما بالعطف على المحل هذا عند سيبويه. وذهب الأخفش إلى أن الكاف في موضع النصب و«أن أهلك» منصوب بالعطف على محل الكاف لأن الإضافة في حكم الانفصال لكون اسم الفاعل للاستقبال، كما لو كان المضاف إليه اسمًا ظاهرًا نحو: منجو لوط، وسيبويه يفرّق بين المضمر والمظهر في الإضافة ويقول: الإضافة إلى المضمر في حكم الاتصال لشدة اتصال الضمير بخلاف الإضافة إلى المظهر، فإنها في حكم الانفصال فيجعل المضمر في محل الجر والمظهر في محل النصب. **قوله تعالى: (وإلى مدين)** أي وأرسلنا إلى مدين عطفًا على قوله: ﴿ولقد أرسلنا نوحًا﴾ فأقيم المسبب مقام السبب فإن الإيمان والطاعة سبب لرجاء ثواب اليوم الآخر فأمر بالمسبب وأريد الأمر بالسبب. **قوله تعالى: (ولا تعثوا في الأرض)** أي لا تفسدوا ما أوجده الله في الأرض بقصد إفساد التعبد والطاعة كالقتل بغير حق بخلاف قتل أهل الحرب والمرتد والقتل قصاصًا. **قوله تعالى: (فكذبوه)** فإن قيل: كيف يكذب شعيب في قوله: ﴿اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا﴾ ولا يكذب الآمر والناهي؟ قلنا: ما ذكره من الأمر والنهي يتضمن جملاً إخبارية فكأنه قال: الله واحد فاعبدوه، والحشر كائن فارجوه، والفساد محرم فلا تقربوه. فالتكذيب يرجع إلى الإخبارات الضمنية. فإن قيل: قال هنا وفي الأعراف ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف: ٧٨، ٩١؛ العنكبوت: ٣٧] وقال في هود: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾

لأن القلوب ترجف بها. ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ﴾ في بلدهم أو دورهم ولم يجمع لأمن اللبس. ﴿جَٰثِمِينَ ٣٧﴾ باركين على الركب ميتين. ﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ﴾ منصوبان بإضمار اذكر أو فعل دل عليه ما قبله مثل «أهلكنا». وقرأ حمزة وحفص ويعقوب و«ثمود» غير مصروف على تأويل القبيلة. ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ﴾ أي تبين لكم بعض مساكنهم أو إهلاكهم من جهة مساكنهم إذا نظرتم إليها عند مروركم بها. ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ من الكفر والمعاصي. ﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ السوي الذي بين الرسل لهم. ﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ٣٨﴾ متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا. أو متبينين أن العذاب لاحق بهم بإخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا. ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ﴾ معطوفون على «عادا» وتقديم «قارون» لشرف نسبه ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ٣٩﴾ فائتين بل أدركهم أمر الله من سبق طالبه إذا فاته ﴿فَكُلًّا﴾ من المذكورين ﴿أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ﴾ عاقبنا بذنبه ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا﴾ ريحًا عاصفًا فيها حصباء، أو ملكًا رماهم بها كقوم لوط ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ كمدين وثمود. ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ كقارون. ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ﴾ كقوم نوح وفرعون وقومه. ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم إذ ليس ذلك من عادته ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠﴾ بالتعريض للعذاب.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ﴾ فيما اتخذوه معتمدًا ومتكلاً.

[الحجر: ٧٣، ٨٣؛ المؤمنون: ٤١] والحكاية واحدة. قلنا: يجوز أن يجتمع على إهلاكهم سببان كل واحد منهما يصح أن يسند إليه هلاكهم. وقيل: إن جبريل عليه السلام صاح فتزلزلت الأرض من صيحته فرجفت قلوبهم، والإضافة إلى السبب لا تنافي الإضافة إلى سبب السبب. **قوله:** (في بلدهم) أي أرضهم أي لما لم يكن جثومهم في دار واحدة. بيّن لأفراد الدار وجهين: الأول أنه ليس المراد بالدار البيت بل هي بمعنى البلد والأرض وهي واحدة، والثاني أن المراد بالدار الديار وعبّر عنها بلفظ الواحد للأمن من الالتباس. **قوله:** (أو فعل دل عليه ما قبله) أي وهو منصوب بفعل مضمر دل عليه قوله: ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ فإنه في معنى أهلكناهم فذكر إهلاكهم يدل على إضمار أهلكنا أي وأهلكنا عادًا. **قوله:** (أي تبين لكم بعض مساكنهم أو إهلاكهم) يعني أن كلمة «من» للتبعيض إن كان تبين مسندًا إلى المساكن وللابتداء إن كان تبين مسندًا إلى مصدر أهلكنا المضمر. **قوله:** (فيما اتخذوه معتمدًا) يعني أن الآية من قبيل تشبيه الهيئة بالهيئة. شبّه حال من اتخذ الأصنام أولياء وعبدها

﴿كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ﴾ مما نسجته في الوهن والخور بل ذاك أوهن فإن لهذا حقيقة وانتفاعًا ما أو مثلهم بالإضافة إلى الموحد كمثله بالإضافة إلى رجل بنى بيتًا من حجر وجص. والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، والتاء فيه كتاء طاغوت، ويجمع على عناكيب وعناكب وعكاب وعكبه وأعكب. ﴿وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ﴾ لا بيت أوهن أو أقل وقاية للحر والبرد منه. ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١﴾ يرجعون إلى علم لعلموا أن هذا مثلهم أو أن دينهم أوهن من ذلك. ويجوز أن يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقًا للتمثيل. فيكون المعنى: وإن أوهن ما يعتمد به في الدين دينهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ﴾ على إضمار القول أي قل للكفرة إن الله يعلم. وقرأ البصريان ويعقوب بالياء

واعتمد عليها راجيًا نفعها وشفاعتها بحال العنكبوت التي اتخذت بيتًا لا يغني عنها في حر ولا برد ولا مطر ولا أذى. فإن البيت إنما يكون بيتًا بحائط يحول عن تطرق الشرور إلى ما فيه، وسقف مظل يدفع عنه الحر والبرد والذي لا يكون له ذلك فهو كالبيداء من حيث إنه لم يحصل للعنكبوت باتخاذه شيء من معاني البيت، فكذلك الكافر لم يحصل له باتخاذ الأوثان آلهة شيء من معاني الإله. وإنما قلنا: إنه من تشبيه المركب بالمركب لأن في كل واحد من الطرفين اتخاذًا ومتخذًا واتكالاً عليه، وعدم ترتب شيء من المعاني المطلوبة من المعتمد عليه على اتخاذه، فإن العنكبوت وإن انتفع بنسجه لكن تلك المنفعة ليست من المنافع المطلوبة من البيت. **قوله:** (أو مثلهم بالإضافة إلى الموحد إلى آخره) فعلى هذا تكون الآية من قبيل التشبيه المفرد والغرض إبراز تفاوت المتخذين والمتخذ مع تصوير توهين أمر أحدهما وإدماج تقوية الآخر.

قوله: (والتاء فيه كتاء طاغوت) في أنها زائدة لا لأجل التأنيث. **قوله:** (يرجعون إلى علم لعلموا أن هذا مثلهم) يعني أنه لا يجوز أن يكون متعلق العلم في قوله: ﴿لو كانوا يعلمون﴾ مضمون قوله: ﴿وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت﴾ لأن كل واحد يعلم وهن بيته فلا يصح نفي العلم عنه بالنسبة إلى حد ما، فلذلك نزل ﴿يعلمون﴾ منزلة اللازم، وأن جواب «لو» محذوف وهو قوله: لعلموا أن هذا مثلهم وأن دينهم أوهن من ذلك. ثم أشار إلى جواب أن يكون تعلق العلم بمفعوله مرادًا ويكون متعلقه مضمون قوله: ﴿وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت﴾ بأن يراد جعل بيت العنكبوت معنى مجازيًا هو ما اتخذوه معتمدًا في دينهم على طريق إطلاق اسم المشبه به على المشبه، فإن المقصد منه تشبيه حال المشرك بحال العنكبوت فأطلق اسم المشبه به على المشبه تحقيقًا للتشبيه المذكور فإنه قد تقرر أن الاستعارة لابتنائها على التشبيه تحقق التشبيه لا محالة. **قوله:** (وقرأ البصريان) أراد بهما أبا

حملاً على ما قبله و«ما» استفهامية منصوبة «بتدعون» و«يعلم» معلقة عنها، و«من» للتبيين أو نافية و«من» مزيدة، و«شيء» مفعول «تدعون» أو مصدرية و«شيء» مصدر أو موصولة مفعول «ليعلم» ومفعول «تدعون» عائده المحذوف. والكلام على الأولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الآخرين وعيد لهم ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ تعليل على المعنيين، فإن من فرط الغباوة إشراك ما لا يعد شيئًا بمن هذا شأنه، وأن الجماد بالإضافة إلى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم وإتقان الفعل الغاية كالمعدوم، وأن من هذا صفته قدر على مجازاتهم[1]﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ﴾ يعني هذا المثل ونظائره ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ تقريبًا لما بعد من أفهامهم ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا﴾ ولا يعقل حسنها وفائدتها ﴿إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ الذين يتدبرون الأشياء على ما ينبغي. وعنه عليه الصلاة والسلام أنه

عمرو وعاصمًا على التغليب. فإن المشهور أن عاصمًا كوفي لا بصري، وهما قد قرءا بياء الغيبة حملاً على ما قبله من لفظ الغيبة وهو قوله: ﴿مثل الذين اتخذوا﴾ والباقون بتاء الخطاب على إضمار القول. **قوله:** (وشيء مفعول تدعون) كأنه قيل: ما يدعون من دون الله ما يستحق أن يطلق عليه شيء فيكون تأكيدًا للتشبيه السابق وزيادة عليه لأنه بيّن بالتشبيه السابق وهن دين المشرك وضعفه وجعله ههنا عدمًا صرفًا لا يستحق لأن يسمى شيئًا. **قوله:** (وشيء مصدر) قيل: فيه نظر إذ يصير التقدير يعلم دعاء من شيء من الدعاء. **قوله:** (تعليل على المعنيين) أي سواء كان ما سبق تجهيلاً لهم أو وعيدًا. **قوله:** (يعني هذا المثل ونظائره) المثل الشبه وضرب المثل عبارة عن بيان الشبه بين المعاني المحتجبة عن الأفهام والأمور الجلية لذوي العقول والخواص تصويرًا لتلك المعاني وتقريبًا لفهمها، كما شبّه الله تعالى حال من اتخذ الشركاء معتمدًا ومتكلاً بحال العنكبوت فيما تنسجه وذلك لأن التشبيه يؤثر في النفس تأثيرًا مثل تأثير الدليل، فإنك إذا قلت لمن يغتاب: إنك بالغيبة كأنك تأكل لحم ميت لأنك وقعت في هذا الرجل وهو غائب، لا يفهم ما تقول ولا يسمعه حتى يجيب لك: كمن يقع في ميت يأكل منه وهو لا يعلم ما يفعله فلا يقدر على دفعه فقد كشفت قبح الغيبة بتصويرها بصورة ما جلا قُبحه. لما ضرب الله تعالى بالذباب وبيت العنكبوت مثلاً لحال المشركين قالت الجهلة منهم: إن الله لا يستحي أن يضرب المثل بالذباب والبعوضة والعنكبوت، ولم يعرفوا حسن التمثيل وفائدته فردّ الله تعالى عليهم وجهلهم فقال: وتلك الأمثال المضروبة في القرآن بكل شيء نضربها للناس تقريبًا لما بعد من أفهامهم فإن لم تكونوا كالأنعام تعقلوا حسنها وفائدتها وإلا فلا تهتدون إلى حسنها. **قوله:** (نضربها) يجوز أن يكون خبر «تلك» و«الأمثال» صفة أو بدل أو عطف بيان وأن يكون «الأمثال» خبرًا و«نضربها» حالاً أو خبرًا ثانيًا. ثم إنه تعالى لما بيّن إصرار الأمم السالفة على الكفر والضلال

تلا هذه الآية فقال: «العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه». ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ محقًا غير قاصد به باطلاً، فإن المقصود بالذات من خلقهما إفاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما أشار إليه بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ لأنهم المنتفعون بها ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ تقربًا إلى الله بقراءته وتحفظًا لألفاظه واستكشافًا لمعانيه. فإن القارىء المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له أول ما قرع سمعه. ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ بأن تكون سببًا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها من حيث إنها تذكر الله وتورث للنفس خشية منه. روي أن فتى من الأنصار كان يصلي مع رسول الله ﷺ الصلوات ولا يدع شيئًا من الفواحش إلا ركبه فوصف له فقال:

بيّن أن إصرارهم ذلك ليس لانعدام الآيات الدالة على وحدانية الإلٰه وكمال علمه وقدرته وحكمته، لأن خلق السمٰوات والأرض ملتبسًا بالحق والحكمة البالغة آية دالة على ما ذكر آية آية إلا أن هذه الآيات العظمى لا يجعلها مسرح النظر ومطرح الفكر ليستدل على وجود صانع حكيم يستحق لأن يعبد ويطاع في جميع ما أمر به ونهى عنه إلا من علم الله تعالى أنه يؤمن ويتقي، فإنه هو المنتفع بها دون من أعرض عنها وأبى واستكبر واتبع هواه وآثر اللذات العاجلة على السعادة الأبدية. ثم إنه تعالى لما بيّن أن من خالف الحق إنما يخالفه عنادًا واستكبارًا لا لمقصود في البيان والبرهان، أمر رسوله عليه الصلاة والسلام بالمواظبة على تلاوة ما أوحي إليه وإقامة الصلاة وخصهما من بين سائر العبادات بالأمر بهما لأن العبادات المختصة بالعبد ثلاث: قلبية وهي اعتقاد الحق، ولسانية وهي الذكر الحسن، وبدنية خارجية وهي العمل الصالح. لكن الاعتقاد لا يتكرر فإن من اعتقد شيئًا لا يمكنه أن يعتقده مرة أخرى بل يدوم ذلك الاعتقاد ويستمر إلى أن يطرأ عليه ضده، فلما لم يمكن تكرير العبادة القلبية أمر بتكرير التلاوة الجامعة لجميع الأذكار وبتكرير إقامة الصلاة التي هي معظم العبادات البدنية. **قوله**: (بأن تكون سببًا للانتهاء إلى آخره) جواب عما يقال: كم من مصل يرتكب الفحشاء وهي الفعلة القبيحة والمنكر وهو ما ينكره الشرع والعقل ولا تنهاه صلاته عنهما. وتقرير الجواب أن الصلاة التي يصليها المرء بلا رياء ولا سمعة بأن يصليها خالصًا لوجهه الكريم مناجيًا له بأنواع التذلل والتواضع لا جرم تذكر الله تعالى وتورث النفس خشية منه تعالى فتكون سببًا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وبعد الفراغ منها أيضًا إلى أن يطرأ عليه شيء من الغفلة. ثم إن الصلاة متكررة واحدة بعد واحدة فيدوم ذلك التذكر والخشية وبدوامه يدوم الامتناع عن المعاصي. فجعل الصلاة ناهية على طريق إسناد الحكم إلى سبب سببه فإن الصلاة سبب للتذكر والخشية وهما سببان لانتهاء العبد عن المعاصي.

«إن صلاته ستنهاه». فلم يلبث إلا أن تاب ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ولا الصلاة أكبر من سائر الطاعات وإنما عبر عنها به للتعليل بأن اشتمالها على ذكره هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات، أو لذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم به أحسن المجازاة.

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ إلا بالخصلة التي هي أحسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح. وقيل: هو منسوخ بآية السيف إذ لا مجادلة أشد منه وجوابه أنه آخر الدواء وقيل: المراد به ذوو العهد منهم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ بالإفراط في الاعتداء والعناد، أو بإثبات الولد وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] أو بنبذ العهد ومنع الجزية ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ هو من المجادلة بالتي هي أحسن. وعن النبي ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم. وقولوا آمنا بالله وملائكته وبكتبه ورسله. فإن قالوا باطلاً لم

قوله: (للتعليل) أي للإشارة إلى أن علة كونها أفضل من سائر الطاعات اشتمالها على ذكر الله تعالى بحيث تصير كأنها نفس الذكر. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يطع الصلاة وطاعة الصلاة أن ينتهي عن الفحشاء والمنكر». قال الحسن وقتادة: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه. وقد قيل: من كان مراعيًا للصلاة جره ذلك إلى أن ينتهي عن السيئات يومًا. وقد روي أنه قيل للنبي ﷺ: إن فلانًا يصلي بالنهار ويسرق بالليل. فقال: «صلاته تردعه». ثم إنه تعالى لما بيّن طريق إرشاد المشركين وأنهم يحق إيذاؤهم وتنسب إلى الضلالة آباؤهم عند المناظرة معهم ودعوتهم إلى الإسلام، بيّن بعده طريق إرشاد أهل الكتاب فقال: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ فإنهم لما وحدوا وآمنوا بإنزال الكتب وإرسال الرسل والحشر والحساب والجزاء وجاؤوا بكل حسن سوى الاعتراف برسول الله ﷺ أي لا تخاشن معهم في المناظرة بتجهيلهم وتجهيل آبائهم الأقدمين واستركاك عقولهم واكتفائهم بمجرد تقليد السفهاء ونحو ذلك، فلا تجادل معهم في أمر الدين إلا بأحسن المجادلة وهو أن تبحث معهم بإزالة شبههم وتبيين الحق لهم بإقامة الحجة والبرهان وتلاوة القرآن. **قوله:** (بالإفراط في الاعتداء والعناد) فسر الظلم بالإفراط لأن الكافر إذا وصف بالظلم يراد به ذلك. **قوله:** (وجوابه أنه آخر الدواء) يعني أنها لا تعارض هذه الآية لأن المجاملة في المجادلة إنما هي في حق من لم يظلم منهم بالإفراط في الاعتداء. وآية السيف في حق من ظلم وأفرط بمنع الجزية والإقدام على المحاربة. **قوله:** (عليه الصلاة والسلام لا تصدقوا أهل الكتاب)

تصدقوهم وإن قالوا حقًا لم تكذبوهم». ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك الإنزال ﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وحيًا مصدقًا لسائر الكتب الإلٰهية وهو تحقيق لقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ هم عبد الله بن سلام وأضرابه، أو من تقدم عهد رسول الله ﷺ من أهل الكتاب ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ ومن العرب أو أهل مكة أو ممن في عهد الرسول من الكتابيين ﴿مَن يُؤْمِنُ [illegible]﴾ [illegible] اءة ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ مع ظهورها وقيام الحجة عليه ﴿إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾ إلا المتوغلون في الكفر فإن جزمهم يمنعهم عن التأمل فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالإضافة إلى الرسول ﷺ كما أشار إليه بقوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ فإن ظهور هذا الكتاب الجامع لأنواع العلوم الشريفة على أمي لم

أي فيما يحدثونكم من الكتاب وهو من تمام الحديث في بعض الروايات نهى عن تصديقهم، لأن الله تعالى أخبر أنهم كتبوه بأيديهم وقالوا: هذا من عند الله ووجه النهي عن تكذيبهم ظاهر. **قوله:** (ومثل ذلك الإنزال أنزلنا) يريد أن ذلك إشارة إلى ما بعد اسم الإشارة وهو الإنزال الذي يدل عليه أنزلنا. والمراد به إنزال قوله: ﴿وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم﴾ والكاف في «كذلك» كلفظ المثل في قولك: مثل لا يبخل أي مثل ذلك الإنزال العجيب الشأن الداعي إلى الإيمان بجميع الكتب المنزلة وإلى التوحيد أنزلناه. ولما كان من شأن الكتاب الكامل العجيب الإنزال أن يكون موصوفًا بما يفيده فضيلة ومزيد شرف بالنسبة إلى سائر الكتب الإلٰهية بيّن كونه عجيب الإنزال في كل مقام بما يناسبه، وبيّن ههنا بقوله: «وحيًا مصدقًا لسائر الكتب الإلٰهية» لسبق قوله: ﴿وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم﴾ فظهر بما ذكرنا وجه قوله: «وهو تحقيق لقوله: ﴿فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به﴾ فإنه لما كان كتابًا كاملاً عجيب الإنزال لكونه وحيًا مصدقًا لسائر الكتب الإلٰهية لزم أن يؤمن به أهل الكتاب لما شاهدوا فيه من دلائل تدل على أنه كتاب سماوي ووحي إلٰهي. والفاء في قوله: ﴿فالذين آتيناهم﴾ لتفريع إيمانهم على كونه كتابًا كاملاً عجيب الإنزال». واختلف المفسرون في أن المراد بقوله: ﴿فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء﴾ فقال بعضهم: هم الذين سبقوا على عهد رسول الله ﷺ من أهل الكتاب، فيكون المراد بقوله: ﴿ومن هؤلاء﴾ الذين هم في زمان رسول الله عليه الصلاة والسلام كعبد الله بن سلام وأصحابه. قيل: هذا أقرب يعني إن صرف قوله: ﴿ومن هؤلاء﴾ إلى أهل الكتاب أولى لأن الكلام فيهم ولا ذكر للمشركين ههنا إذ كان الكلام بعد الفراغ من ذكرهم والإعراض عنهم لإصرارهم على كفرهم. وقال آخرون: المراد بالأول مؤمنو أهل الكتاب وبقوله: ﴿ومن هؤلاء﴾ العرب أو

يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة، وذكر اليمين زيادة تصوير للمنع ونفي للتجوز في الإسناد. ﴿إِذًا لَّارْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝٤٨﴾ أي لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعلة تعلمه أو التقطه من كتب الأقدمين. وإنما سمّاهم مبطلين لكفرهم أو لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الإعجاز المتكاثرة. وقيل: لارتاب أهل الكتاب لوجدانهم نعتًا على خلاف ما في كتبهم فيكون إبطالهم باعتبار الواقع دون المقدر.

﴿بَلْ هُوَ﴾ بل القرآن ﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ يحفظونه لا يقدر أحد عن تحريفه ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٤٩﴾ إلا المتوغلون

أهل مكة. ثم إنه تعالى لما وصف القرآن بكونه كتابًا كاملاً عجيب الإنزال وبيّن من آمن به ذكر أن من لم يؤمن به إنما لا يؤمن لتوغله في الكفر من حيث إن توغله في الكفر يمنعه عن التأمل في دلائل حقيته وإعجازه. ثم بيّن كونه معجزة بالإضافة إليه عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب﴾ أي من قبل إنزال القرآن عليه من كتاب وهو مفعول «تتلو» و«من» زائدة في المفعول أي ما كنت قارئًا كتابًا قبل ذلك ﴿ولا تخطه بيمينك﴾ أي ولا تكتب الآن بيمينك كتابًا، وكذا كان صفته في التوراة والإنجيل أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب. **قوله:** (وذكر اليمين) جواب عما يقال: ما فائدة ذكر اليمين مع أن الكتابة إنما تزاول باليمين؟ فذكر له فائدتين: الأولى زيادة تصوير كونه كاتبًا كما وصف الطائر بقوله: يطير بجناحيه لذلك، والثانية دفع التجوز في الإسناد فإن الفعل كثيرًا ما يسند إلى سبب الأمر فلما قيل: ﴿بيمينك﴾ اندفع ذلك الاحتمال.

قوله: (وإنما سمّاهم مبطلين) مع أنه عليه الصلاة والسلام لو كان قارئًا كاتبًا وقال مشركو مكة: لعله تعلمه أو التقطه من كتب الأقدمين لكانوا صادقين محقين في الذهاب إلى هذا الاحتمال. وحاصل الجواب الأول أنهم مبطلون الآن لكفرهم به عليه الصلاة والسلام مع كونه أميًا، وليس المراد أنهم مبطلون على تقدير كونه عليه الصلاة والسلام قارئًا كاتبًا. وحاصل الجواب الثاني أنه ليس المراد أنهم مبطلون في الذهاب إلى هذا الاحتمال على تقدير كونه قارئًا كاتبًا بل المراد أنهم مبطلون في الارتياب في كون القرآن وحيًا إلٰهيًا مع كثرة وجوه إعجازه سوى كون الموحى إليه أميًا. **قوله:** (فيكون إبطالهم باعتبار الواقع دون المقدر) لأنهم لا يكونون مبطلين في ارتيابهم على تقدير كونه عليه الصلاة والسلام قارئًا كاتبًا لأن ارتيابهم حينئذٍ يكون عن دليل إلا أنه سماهم مبطلين وإن لم يكونوا مبطلين على ذلك التقدير لكونهم مبطلين في الواقع حيث ارتابوا مع وجدانهم نعته عليه الصلاة والسلام على وفق ما في كتبهم وهو كونه أميًا. **قوله:** (بل القرآن) بل فيه للإضراب عن بيان كونه منزلاً إنزالاً عجيبًا إلى بيان ما هو أهم منه وهو كونه آيات بينات الإعجاز محفوظة في صدور العلماء بحيث لا يقدر أحد

في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل إعجازها حيث لم يعتدوا بها ﴿وَقَالُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى. وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص «آيات» ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ينزلها كيف يشاء لست أملكها فآتيكم بما تقترحونه ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ ليس من شأني إلا الإنذار وإبانته بما أعطيت من الآيات ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ آية مغنية عما اقترحوه. ﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا

على تحريفه. و«بينات» صفة «آيات» و«في صدور» صفة ثانية أي هو آيات بينات الإعجاز محفوظات في صدور العلماء وكل واحد من كونه آيات بينات الإعجاز، وكونه محفوظًا في صدور حفاظه بحيث يتلوه كثير من الأمة عن ظهر القلب من خصائص القرآن، فإن سائر الكتب لم تكن ألفاظها معجزات وما كانت تقرأ إلا من المصاحف نظرًا فيها فإذا طبقت لم تعرف الأمة من كتابهم شيئًا. وقد ورد في صفة هذه الأمة «قرابينهم نفوسهم وأناجيلهم صدورهم». والأناجيل جمع إنجيل وهو اسم كتاب عيسى عليه الصلاة والسلام. والمعنى: أنهم يقرؤون كتاب الله عن ظهر قلوبهم وهو مثبت محفوظ في صدورهم كما كان كتاب النصارى مثبتًا في أناجيلهم. قال الله تعالى قبل بيان كون الآيات القرآنية معجزة بالإضافة إليه عليه الصلاة والسلام ببيان كونه أميًا ﴿وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون﴾ وقال بعد بيان ذلك ﴿إلا الظالمون﴾ مع أنه لا تنافي بين الكلامين لأن الكافر ظالم إلا أن المناسب في مقام إرشاد أهل الكتاب وتنفيرهم عن تكذيب القرآن لفظ الكافرين، لأن أهل الكتاب تميزوا عن المشركين بأن آمنوا بجميع ما يجب الإيمان به من التوحيد وإرسال الرسل وإنزال الكتب والحشر والجزاء سوى الإيمان برسالة سيد المرسلين وحقية كتابه، فهم يدعون الإيمان ويستنكفون عن الكفر فالمناسب في دعوتهم إلى الإيمان أن يقال لهم: إنكم قد حصل لكم مزايا الإيمان فلا تبطلوها بإنكار آيات الله تعالى مع ظهوره حقيتها بقيام الحجة عليها فتكونوا كافرين بخلاف مقام التقريع عليهم بإصرارهم على التكذيب بعد ما تبين كونها معجزة بالإضافة إليه عليه الصلاة والسلام، فإن المناسب بذلك المقام لفظ نفي عن الشرك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] فكأنه قيل: إن جحدتم بالآيات القرآنية بعد ما تبين كونها معجزة لمبلغها لزمكم إنكار الرسالة والكتب المنزلة بأسرها، إذ لا طريق إلى الإقرار بها سوى الاعتداد بالمعجزة، فمن لم يعتد بالمعجزة لزمه أن يلتحق بالمشركين ويكون من جملة الظالمين بالإشراك. ثم إنه تعالى لما بيّن طريق المجادلة مع أهل الكتاب في دعوتهم إلى الإيمان عاد إلى حكاية ما تعنت به كفار مكة باقتراح آيات كما جاءت بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى أممهم فقال: ﴿وقالوا﴾ يعني كفار مكة ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ فأرشد نبيه عليه الصلاة والسلام إلى أن يقول في جوابهم أولاً إنما الآيات عند الله وليس من

عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية ثابتة لا يضمحل بخلاف سائر الآيات، أو يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ في ذلك الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة مبينة ﴿لَرَحْمَةً﴾ لنعمة عظيمة ﴿وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ وتذكرة لمن همه الإيمان دون التعنت. وقيل: إن ناسًا من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ بكتف كتب فيها بعض ما يقول اليهود فقال: «كفى بها ضلالة لقوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم». فنزلت. ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ بصدقي وقد صدقني بالمعجزات، أو بتبليغي ما أرسلت به إليكم ونصحي ومقابلتكم إياي بالتكذيب والتعنت. ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فلا يخفى عليه حالي وحالكم. ﴿وَٱلَّذِينَ

شأني إلا إنذار أهل المعصية بالنار بما أعطيت من الآيات، ثم أنكر عليهم ذلك الاقتراح ببيان أن القرآن آية فوق الكفاية وأتم من كل معجزة تقدمتها فإن تلك المعجزات وجدت ما دامت، فإن قلب العصا حية وإحياء الموتى وإخراج الناقة من الحجر الصلد لم يبق لنا منه أثر فلو أنكر أحد شيئًا من ذلك لم يمكن إثباته له إلا بالكتاب. وأما القرآن فإنه آية باقية في كل مكان وزمان لا تزول ولا تضمحل كسائر آيات الأنبياء التي اضمحلت بعدما اختصت بمكان دون مكان فلو أنكره واحد يقال له: فأت بآية مثله. **قوله:** (متحدين) حال من ضمير «عليهم» والتحدي أن تعارض فعل الغير وتفعل مثل فعله على وجه المنازعة في الغلبة. وقيل في تفسير الآية: أولم يكفهم يعني اليهود إنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك، فعلى هذا يكون القائلون: ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ اليهود وتكون «هذه» أيضًا متعلقة بحال أهل الكتاب.

قوله: (وقيل إن ناسًا من المسلمين) وفي التيسير روي أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كان في يده ورق فيه شيء مكتوب من كتبهم فقال النبي ﷺ: «ما هذا»؟ قال: كتبته من كتابهم لازداد علمًا إلى علمي. فتغير وجه رسول الله ﷺ وقال: «امتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى كفى بقوم حمقًا وضلالاً أن يرغبوا عما أتاهم به نبيهم إلى غيره». فأنزل الله تعالى هذه الآية. ولم يرض المصنف بهذا القول واختار أن يكون المعنى أولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه من الآيات، وذلك لأن الظاهر من النظم أنه جواب لقولهم: ﴿لولا أنزل﴾ وعلى ذلك القول يكون تصديقًا له عليه الصلاة والسلام وإنكارًا لهم في التجائهم إلى غير ما أتى به نبيهم فلذلك عبر عنه بقوله: «وقيل».

قوله: (شهيدًا بصدقي) على أن تكون الآية جوابًا لكعب بن الأشرف وأصحابه حين قالوا: يا محمد من يشهد لك بأنك رسول الله؟ وقوله: «أو بتبليغي ما أرسلت به» على أن

﴿ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ وهو ما يعبد من دون الله ﴿وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ﴾ منكم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ بقولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] ﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ لكل عذاب أو قوم ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ عاجلاً ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾ فجاءة في الدنيا كوقعة بدر، أو الآخرة عند نزول الموت بهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ بإتيانه.

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب أو هي كالمحيطة بهم الآن لإحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم. واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الإحاطة، أو للجنس فيكون استدلالاً بحكم الجنس على حكمهم.

﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ ظرف «لمحيطة» أو مقدر مثل: كان كيت وكيت ﴿مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ من جميع جوانبهم ﴿وَيَقُولُ﴾ الله أو بعض الملائكة بأمره لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون.

﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ أي جـــزاءه ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ أي إذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم إظهار دينكم فهاجروا إلى حيث يتمشى لكم ذلك. وعنه عليه السلام: «من فر بدينه من أرض إلى أرض ولو كان شبرًا استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليهما السلام». والفاء جواب شرط محذوف إذ المعنى: إن أرضي واسعة إن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فاخلصوها في غيرها. ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ تناله لا محالة ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ للجزاء، ومن هذا عاقبته ينبغي أن يجتهد في الاستعداد له. وقرأ أبو بكر بالياء.

يكون المقصود من الايات تهديد المعاندين من أهل الكتاب كما يقول الصادق إذا كذب وقد أتى بكل ما يدل على صدقه ولم يصدق: الله يعلم صدقي وتكذيبك أيها المعاند وهو على ما أقول شهيد يحكم بيني وبينك. ثم بيّن كونه كافيًا ببيان كونه عالمًا جميع الأشياء فقال: ﴿يعلم ما في السمٰوات والأرض﴾ إلى آخره. **قوله:** (هم الخاسرون في صفقتهم) إشارة إلى أن قوله: ﴿والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله﴾ استعارة بالكناية بأن شبه ما فعلوه من اختيار الضلالة على الهدى بعقد المبايعة وقوله: ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ استعارة

....

تخييلية قرينة للمكنية. ولما هدّدهم الله تعالى بقوله: ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ قال نصر بن الحارث: اللهم امطر علينا حجارة من السماء كما قال أصحاب الأيكة ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الشعراء: ١٨٧] إظهارًا لقطعهم بعدم العذاب واستهزاء منهم وتكذيبًا لمن هددهم به.

قوله: (ستحيط بهم) يعني أن اسم الفاعل بمعنى الاستقبال لكن جيء بالجملة الاسمية مؤكدة «بأن» ولام الابتداء للإيذان بأن وعد الله تعالى ووعيده كالمتحقق في الحال لتحقق وقوعه البتة. ويحتمل أن يكون اسم الفاعل بمعنى الحال ويكون المعنى أن جهنم لمحيطة بهم في الدنيا باعتبار أن أسباب إحاطتها من الكفر والمعاصي محيطة بهم في الحال فنزل المسبب أيضًا منزلة الواقع في الحال.

قوله: (وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام) خص إبراهيم عليه الصلاة والسلام لكونه هاجر من كوثى إلى الشام فرارًا بدينه حيث قال: ﴿إني مهاجر إلى ربي﴾ ومحمد سيد المرسلين هاجر إلى المدينة حيث تعذر عليه رعاية ما أمر به في أمر الدين وأمر المؤمنين بالهجرة من الموضع الذي لا يمكنهم فيه عبادة الله، وكذلك يجب على كل من كان في بلدة تعمل فيها المعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث يمكنه أن يعبد الله فيه حق عبادته.

قوله: (فإياي) منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وهو ﴿فاعبدون﴾ تقديره فاعبدوا إياي فاعبدون فاستغنى بالثاني عن إظهار الأول، ولا يجوز انتصابه بالفعل الظاهر لاشتغاله عنه بالضمير الذي بعده. ذهب صاحب الكشاف إلى أن قوله تعالى: ﴿فإياي فاعبدون﴾ جواب شرط محذوف وجعل تقديم المفعول عوضًا عن الشرط المحذوف مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص. ثم إنه تعالى لما أمر المؤمنين بالمهاجرة إلى أرض يمكنهم فيها رعاية وظائف العبادة صعب عليهم ترك الأوطان ومفارقة الإخوان، فخوّفهم الله تعالى بالموت ليهون عليهم الهجرة. والمعنى لا محيص لأحد من الموت والمعاد بعده فلا بد من التزود لذلك وذلك بإخلاص العبادة لله تعالى بعد توحيده على رجاء أن يثاب عليه، فإن لم يتيسر ذلك في مكان فلا بد من المهاجرة منه إلى مكان تيسر ذلك. ثم ذكر ثواب من هاجر فقال: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ يعني المهاجرين و«الذين» يجوز أن يكون في محل الرفع على الابتداء أو في محل النصب على الاشتغال. وعلالي جمع علية وهي الغرفة ووزنها فعيلة مثل صديقة وأصلها عليوة فأبدلت الواو ياء وأدغمت.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ لننزلنهم ﴿مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ علالي. وقرىء «لنثوينهم» أي لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب «غرفًا» لإجرائه مجرى «لننزلنهم» أو بنزع الخافض أو تشبيه الظرف الموقت بالمبهم. ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨)﴾ وقرىء «فنعم» والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله. ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على أذية المشركين والهجرة للدين إلى غير ذلك من المحن والمشاق. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩)﴾ ولا يتوكلون إلا على الله ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لا تطيق حمله لضعفها أو لا تدخره وإنما تصبح ولا معيشة عندها

قوله. (وقرىء لنثويهم) بثاء مثلثة ساكنة بعد النون وياء مفتوحة بعد الواو من الثواء وهو الإقامة، يقال: ثوى الرجل إذا أقام وأثويته إذا أنزلته منزلاً يقيم فيه. وهذه قراءة حمزة والكسائي. وقرأ الباقون «النبوئنهم» بباء موحدة مفتوحة بعد النون وهمزة مفتوحة بعد الواو من المباءة وهي الإنزال أي لننزلنهم من الجنة غرفًا، وانتصاب «غرفًا» على قراءة الأخوين إما على أنه مفعول به على تضمين أثوى معنى أنزل لأن ثوى لازم فيعدى بالهمزة إلى واحد ويتعدى إلى اثنين باعتبار التضمين، وإما على الظرفية بتشبيه الظرف المحدود بالمبهم كما في قوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦] أي بإسقاط الخافض اتساعًا أي في غرف، وإما على قراءة الباقين فهو منصوب على أنه مفعول ثان لأن بوأ يتعدى إلى اثنين قال تعالى: ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١] وقوله: ﴿تجري﴾ صفة «لغرفا». **قوله**: (وقرىء فنعم) بزيادة الفاء على أن الفاء لعطف الجملة على الجملة التي قبلها لا لتفيد أن مضمون الجملة التي بعدها واقع عقيب مضمون الجملة التي قبلها من غير أن يتخلل بينهما زمان فاصل كما في نحو: قام زيد فقعد عمرو بل هي للدلالة على أن المذكور بعدها كلام مرتب على ما قبلها في الذكر لا أن مضمونها عقيب مضمون ما قبلها في الزمان كما في قوله تعالى: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٩] فإن ذكر ذم الشيء أو مدحه بعد جري ذكره والمخصوص بالمدح محذوف، والتقدير: نعم أجر العاملين خالصًا لوجه الله الغرف الموصوفة حذف لدلالة ما قبله عليه. **قوله تعالى**: (وكأين من دابة) «كأينْ» كلمة مركبة من كاف التشبيه وأي التي تستعمل استعمال «من» ولما ركبتا جعل المركب بمعنى «كم» الخبرية. و«كأين» مبتدأ ولا تحمل صفتها و«الله يرزقها» خبره و«من دابة» تمييز أي وكم من نفس دبت على وجه الأرض عقلت أو لم تعقل لا تطيق أن تحمل رزقها لضعفها عن حمله مع احتياجها إلى الغذاء مثلكم أي لا تدخر شيئًا من الرزق لغد إنما تصبح فيرزقها الله من حيث لا تحتسب. قيل: لا يدخر شيء من الحيوان قوتًا إلا ابن آدم والفارة والنملة، ويقال: إن للعقعق مخابىء إلا أنه ينسى خبيئته.

﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ ثم إنها مع ضعفها وتوكلها وإياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في أنه لا يرزقها وإياكم إلا الله، لأن رزق الكل بأسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة. فإنهم لما أمروا بالهجرة قال بعضهم: كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة؟ فنزلت: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقولكم هذا ﴿ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ بضميركم.

قوله: (لا يرزقها وإياكم إلا الله) **استفاد الحصر من تقديم الجلالة وبناء الفعل عليه، فإن مثل هذا التركيب يفيد الاختصاص كما ذكره الزمخشري في سورة الرعد في قوله:** ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾ [الرعد: ٢٦؛ القصص: ٨٢؛ العنكبوت: ٦٢] وآيات أخرى.. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خرجنا مع النبي عليه الصلاة والسلام حتى دخلنا بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من الثمر ويأكل فقال: «يا ابن عمر ما لك لا تأكل»؟ فقلت: لا أشتهيه يا رسول الله. قال: «أنا أشتهيه وهذا صبح رابعة لم أطعم طعامًا ولم أجده». فقلت: إنّا لله والله المستعان. قال: «يا ابن عمر لو سألت ربي لأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر أضعافًا مضاعفة ولكني أجوع يومًا وأشبع يومًا، فكيف بك يا ابن عمر إذا عمرت وبقيت في حثالة من الناس يجتنون رزق سنة ويضعف منهم اليقين». فوالله ما برحنا حتى نزلت: ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها﴾ الآية. وقال عليه السلام: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا». **قوله:** (لأن رزق الكل بأسباب) فإنه تعالى لو لم يخلق النبات لم يكن للبهائم رزق، وأيضًا ليس الغذاء بمجرد الابتلاع بل لا بد في صيرورة الغذاء أجزاء من المتغذي بتحوله لحمًا وعظمًا وشحمًا من أن يخلق الله تعالى فيه قوة جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة وغيرها من القوى التي لا تحصل إلا بمحض قدرة الله تعالى وإرادته. فإذا تقرر أن رزق الكل بأسباب هو المسبب لها وحده ثبت أنه تعالى هو الذي يرزق الدواب كلها ومباشرة الأسباب وسلوك طريق الاكتساب لا يمنعان التوكل وكذا جمع ما اكتسبه وإعداده لوقت الحاجة لا يقدح في التوكل بل الذي يقدح فيه أن يكون اعتماده على ما في يده وعلى ما يتيسر له من طرائق اكتسابه، وأما من تمسك بالأسباب وسلك سبيل الاكتساب اتباعًا لسنة الله تعالى في ترزيق العباد حيث جرت عادته في إفاضة الخيرات على الاستفاضة والطلب من قاضي الحاجات بالتسبب لما جعله سببًا لنيل المرادات مع الاعتقاد بأنه تعالى قادر على أن يرزقه من غير كد واهتمام وعلى أن يجعل سعيه في تمسك الأسباب ضائعًا غير مؤدي إلى المراد فهو متوكل على العزيز العلام حيث كد وسعى معتمدًا عليه لا على عمله واجتهاده. ثم إنه تعالى لما خاطب المؤمنين وأمرهم بالمهاجرة إلى أرض يتسهل لهم فيها عبادة الله قال على سبيل التعجب من كفار مكة ﴿ولئن سألتهم من خلق السمٰوات والأرض﴾ ذكر في السمٰوات والأرض خلقهما وفي الشمس والقمر

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ المسؤول منهم أهل مكة ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد واجب الوجود. ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك. ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾ يحتمل أن يكون الموسع له والمضيق عليه واحدًا على أن البسط والقبض على التعاقب، وأن لا يكون على وضع الضمير موضع من يشاء وإبهامه لأن من يشاء مبهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ يعلم مصالحهم ومفاسدهم. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ معترفين بأنه الموجد للممكنات بأسرها أصولها وفروعها. ثم إنهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من ذلك ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

تسخيرهما لأن الحكمة لا تتم بمجرد خلق الشمس فإن الشمس لو كانت مخلوقة بحيث تستقر في موضع واحد لما حصل الليل والنهار ولا الصيف والشتاء فإذن الحكمة في تحريكهما وتسخيرهما. ثم إنه تعالى لما بيّن إيجاد الذوات بقوله: ﴿خلق السمٰوات والأرض﴾ وبيّن إيجاد الصفات بقوله: ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ ذكر الرزق لأن كمال الخلق ببقائه وبقاء الإنسان بالرزق كأنه قيل: المعبود إما أن يعبد لاستحقاقه العبادة فالأصنام ليست كذلك بل المستحق لها هو الله تعالى، وإما لكونه عظيم الشأن فالله تعالى خالق السمٰوات والأرض هو المنفرد بعظم الشأن فله العبادة، وإما لكونه ولي الإحسان فالله الذي يرزق الخلق هو المنفرد بالفضل والإحسان فله العبادة ﴿فأنى يشركون﴾. **قوله:** (ويقدر له) أي يضيق فإن القدر والقتر بمعنى واحد وهو التضييق. **قوله:** (**يحتمل أن يكون الموسع له والمضيق عليه واحدًا**) هذا الاحتمال هو الظاهر لأن «من» في قوله: ﴿من يشاء﴾ موصولة أريد بها من أفراد الإنسان من تعين بكونه شاء الله التوسع له ولو غايره لما رجع ضمير «يقدر له» عليه ولما كان التوسع والتضيق متضادين لا يجتمعان في محل واحد في زمان واحد وجب أن يكون اجتماعهما فيه على سبيل التعاقب. وأما اختلافهما ذاتًا مع وجوب كون الضمير راجعًا إلى عين ما ذكر أولاً وهو من تعلق به مشيئة التوسيع فبعيد لأن مفهوم من يشاء البسطلة وإن كان مبهمًا من حيث تناوله الافراد المندرجة تحته لا إبهام فيه من حيث تناوله الموسع له والمضيق عليه المختلفين ذاتًا حتى يكون الضمير الراجع إليه مبهمًا مثله متنًا. ولا للمضيق عليه، إلا أن يقال المراد بقوله: «لأن من يشاء مبهم» أن مفهوم من يشاء مع قطع النظر عن تعلقه بالمفعول المحذوف يتناول الموسع له والمضيق عليه فإن ذاتًا تعلق به المشيئة كما يصدق على من تعلقت المشيئة بالتوسيع له يصدق أيضًا على من تعلقت بالتضييق عليه، فيكون الضمير الراجع إليه مبهمًا مثله فيختلف الموسع له والمضيق عليه ذاتًا

على ما عصمك من مثل هذه الضلالة أو على تصديقك وإظهار حجتك. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣)﴾ فيتناقضون حيث يقرون بأنه المبدىء لكل ما عداه ثم يشركون به الصنم. وقيل: لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم.

﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ إشارة تحقير وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة؟ ﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ إلا كما يلهي ويلعب به الصبيان ويجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين. ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ لهي دار الحياة

مع رجوع الضمير إلى «من يشاء»، كما إذا قيل: يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لمن يشاء فإنه إذا قيل: ويقدر لمن يشاء لا يشتبه عند أحد أن المبسوط له غير المقدور عليه، فكذا إذا قيل: و«يقدر له» لأنه في قوة ذلك لأن من يشاء مبهم بالتوجيه الذي ذكرنا فيكون ضميره أيضًا كذلك، فصلح لإبهامه أن يراد به غير الأول. ثم إنه تعالى لما قال: ﴿الله يبسط الرزق﴾ ذكر اعترافهم بذلك فقال: ﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء﴾ الآية لأن تنزيل الماء سبب لوجود الرزق فالاعتراف بأن موجد السبب هو الله تعالى اعتراف بأن موجد المسبب أيضًا هو الله فهو اعتراف بأن الرازق هو الله تعالى.

قوله: (على ما عصمك من مثل هذه الضلالة) وهي ضلالة المناقضة بين اعترافهم بأن موجد الممكنات بأسرها أصولها وفروعها هو الله عز وجل وبين إشراكهم به تعالى ما لا يقدر على شيء. **قوله:** (أو على تصديقك) من إضافة المصدر إلى مفعوله أي أو على تصديق الله تعالى إياك بحملهم على الإقرار بما هو حجة عليه المستلزم لتبكيتك إياهم بالحجة. **قوله:** (فيتناقضون) يعني أن كلمة «بل» للإضراب عن الأول والأخذ فيما هواهم فإنه تعالى ذكر أولاً أنهم أقروا بما يدل على التوحيد ويناقض سلوكهم طريق الشرك، ثم انتقل إلى ما هو أهم وهو بيان أنهم مسلوبو العقول فلا يبعد عنهم مثل هذه الجهالة والمناقضة فهو إضراب عن إظهار جهلهم الخاص إلى بيان أن شأنهم الجهل مطلقًا، فعلى هذا يكون قوله: ﴿قل الحمد لله﴾ اعتراضًا بين المنتقل منه والمنتقل إليه، وعلى الثاني يكون جملة الإضراب من تتمة قوله: ﴿الحمد لله﴾ ومعنى الإضراب أنهم إذا لم يفطنوا بتلك المناقضة الظاهرة فأولى أن لا يفطنوا أنك لم حمدت الله تعالى عند اعترافهم بذلك. **قوله:** (إشارة تحقير) فإنه قد ينزل قرب الدرجة ودناءة المنزلة منزلة قرب المسافة فيشار إليه بلفظ القريب كقول الكفرة في حق إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٦] واللهو ما يتلذذ به الإنسان ويجعله مشتغلاً به معرضًا بسببه عما بهم ويلهيه ساعة ثم ينقضي. **قوله:** (لهي دار الحياة) جواب عما يقال: كيف أطلق الحيوان بمعنى الحياة أو بمعنى النامي الحساس على الدار الآخرة مع أنها ليست عبارة عن الحياة ولا بنام حساس؟ وتقرير الجواب

الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها، أو جعلت في ذاتها حياة للمبالغة. والحيوان مصدر حي سمي به ذو الحياة وأصله حييان فقلبت الياء الثانية واوًا وهو أبلغ من الحياة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحياة ولذلك اختيرعليها ههنا. ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ لم يؤثروا عليها الدنيا التي أصلها عدم الحياة والحياة فيها عارضة سريعة الزوال. ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ متصل بما دل عليه شرح حالهم أي هم على ما وصفوا به من الشرك فإذا ركبوا البحر ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ كائنين في صورة من أخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون إلا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ فاجؤوا المعاودة إلى الشرك ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ اللام فيه لام كي أي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة. ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾ باجتماعهم على عبادة الأصنام وتوادهم عليها، أو لام الأمر على التهديد. ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ عاقبة ذلك حين يعاقبون ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ يعني أهل مكة ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ أي جعلنا بلدهم مصونًا من النهب والتعدي آمنًا أهله من القتل والسبي. ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ يختلسون قتلاً وسبيًا إذ كانت العرب حواليهم في تغاور وتناهب. ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾ أبعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه إلا الله بالصنم أو الشيطان؟ ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ حيث أشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام، أو الاختصاص على طريق المبالغة.

أن الحيوان مصدر بمعنى الحياة والكلام على تقدير مضاف أو جعلت هي في ذاتها حياة للبالغة فإن ما فيها من الحياة لما كانت حياة مستمرة دائمة لا موت فيها صارت كأنها في ذاتها حياة. **قوله:** (متصل بما دل عليه إلى آخره) يعني الفاء عاطفة لدخولها على الجملة المدلول عليها بما ذكر قبلها. **قوله:** (كائنين في صورة من أخلص دينه لله) يعني أن تسميتهم مخلصين تهكم بهم من حيث إنهم ليسوا مخلصين حقيقة حيث إن الذي ألجأهم إلى أن ذكروا الله تعالى خاصة وتركوا ما سواه خوف الغرق والهلاك. وفي الآية مضمر وتقدير الكلام فإذا ركبوا في الفلك وهاجت الرياح واضطربت الأمواج وكادت تغرق بهم دعوا الله ودل على هذا المحذوف ذكر التنجية بعده. **قوله:** (اللام فيه لام كي) أي يشركون ليكون إشراكهم كفرًا بنعمة الإنجاء والمعنى: إنه لا فائدة لهم في الإشراك إلا الكفر والتمتع بما يستمتعون به في العاجلة من غير أن يترتب عليه نصيب في الآخرة. ثم إنه تعالى لما ذكر أن المشركين يخصون ربهم بالدعاء والتضرع عندما وقعوا في الخوف الشديد من أمواج البحر ثم يعودون إلى الشرك القديم وقت الخلاص منه بالخروج إلى البر، ذكر حالهم عند غاية الأمن

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن زعم أن له شريكًا ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ﴾ يعني الرسول أو الكتاب وفي «لما» تسفيه لهم بأن لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا إلى التكذيب أول ما سمعوه. ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ تقرير لثوائهم كقوله:

ألستم خير من ركب المطايا

أي ألا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب، أو لاجترائهم أي ألم يعلموا أن في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤوا هذه الجرأة؟ ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾ في حقنا. فإطلاق المجاهدة ليعم جهاد

وهو إشراكهم بالله الذي جعل لهم حرمًا آمنًا يأمنون فيه على نفوسهم وأموالهم فإن أخوف أحوال الإنسان حال كونه في بحر متلاطم الأمواج فيضطر حينئذٍ إلى التوحيد وإخلاص الدين له، فمعاده إلى الشرك بعدما نجاه الله تعالى إلى البر إذا كان قبيحًا فشركه في حرم الله تعالى الذي ليس في بلاد الله تعالى ما يدانيه في كونه مأمنًا في غاية القبح، فلذلك أنكر عليهم بقوله: ﴿أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون﴾ **ثم بالغ في وجه الإنكار بأن بيّن أن مجرد الشرك نهاية الظلم ولا أحد أظلم من المشرك فكيف إذا كان الإشراك في مقام يجب أن يكون العبد فيه أحسن حالاً منه في سائر البلاد. «وإنما قلنا الشرك نهاية الظلم لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه سواء أمكن وضعه فيه أو امتنع، فمن وضع شيئًا في موضع لا يمكن أن يكون ذلك موضعه يكون أظلم لأن عدم الإمكان أقوى من عدم اللياقة، وكذا تكذيب الحق ظلم ومن كذبه أول ما سمعه من غير توقف وتأمل يكون أظلم. قوله: (ألستم خير من ركب المطايا) وأندى العالمين بطون راح.**

النـدى الجود يقال: رجل ندى أي جواد وفلان أندى من فلان إذا كان أكثر خيرًا منه. قيل: لما بلغ الشاعر هذا البيت من قصيدته وكان الخليفة متكئًا استوى جالسًا فرحًا وقال: من مدحنا فليمدحنا هكذا وأعطاه مائة من الإبل. ولو كان مقصود الشاعر بقوله: «ألستم» الاستفهام لما أعطاه الخليفة مائة من الإبل بل الهمزة فيه للإنكار دخلت على النفي فأفادت إثبات الخيرية وتقريرها. فكذا في الآية كانت لإقرار ثوائهم فيها وكان المعنى: الأيثوون في جهنم وألا يستحقون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا التكذيب على الله تعالى.

قوله: (أو لاجترائهم) عطف على قوله: «لثوائهم» أي وهو تقرير لاجترائهم. ثم إنه تعالى لما فرغ من إقامة دلائل التوحيد وبطلان الشرك وتقريع المشركين وتهديدهم بتقرير ثوائهم في جهنم شرع في تثبيت المؤمنين على ما هم عليه من المجاهدة مع كل ما يجب

الأعادي الظاهرة والباطنة بأنواعه ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ سبل السير إلينا والوصول إلى جنابنا، أو لنزيدنهم هداية إلى سبيل الخير وتوفيقًا لسلوكها لقوله: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧] وفي الحديث: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ بالنصرة والإعانة. قال عليه الصلاة والسلام: «من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين».

مجاهدته من النفس الأمارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين فقال: ﴿والذين جاهدوا فينا﴾ **أي جدوا وبذلوا وسعهم في حقنا ولأجلنا ووجهنا خالصًا لنهدينهم سبيل السير إلينا والوصول إلى جنابنا، فإن من جاهد في الله حق جهاده وهو صرف الافتقار إلى الله تعالى بالانفصال عن كل شيء سوى الله انكشف عنه الحجب النفسانية وحجب عالم الأكوان كلها وتجلّى له أسرار الملكوت وأنوار عالم الغيب، ومن اجتهد برفض العادات البشرية ومخالفة الأهواء الطبيعية وتهذيب ظاهره عن المخالفات المنهية بملازمة الأعمال السنية وباطنه عن الأخلاق الردية بالتحلي بالأخلاق المرضية انفتح له سبيل السير إلى الله بالقوة القدسية والقابلية الملكية واللطافة الروحانية فإنه بقدر الجد تكتسب المعالي. وإلى الله أبتهل في أن يخلصني من طريقة الذين يقولون ما لا يفعلون ويوفقني للسعي والاجتهاد في تهذيب الأخلاق وإصلاح الأعمال إنه قريب مجيب. وقيل: معنى الهداية ههنا التثبيت عليها والزيادة منها فإنه تعالى يزيد المجاهدين هداية كما أنه يزيد الكافرين ضلالة. تم ما يتعلق بسورة العنكبوت. والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه الحائزين فضله. وهذا أوان الشروع في إيراد ما يتعلق بسورة الروم.**

سورة الروم

مكية إلا قوله: ﴿فسبحان الله﴾ وهي ستون أو تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ② فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرض العرب منهم لأنها الأرض المعهودة عندهم، أو في أدنى أرضهم من العرب واللام بدل من الإضافة. ﴿وَهُم مِّنۢ

سورة الروم

وهي مكية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

افتتحت هذه السورة الكريمة بحروف التهجي مع أنه لا يفهم منها معنى يقصد تبليغه لتنبيه السامع وإيقاظه حتى يقبل على استماع ما يلقى إليه بقلب حاضر، فإنه لما ذكر في أول هذه السورة ما هو معجزة لرسول الله ﷺ وهو إخباره عن الغيب الذي هو غلبة الروم على فارس في بضع سنين افتتحت بهذه الحروف لينتبه السامع فيقبل بقلبه على استماع ما يلقى إليه بعدها. **قوله**: (لأنها) أي لأن أرض العرب هي الأرض المعهودة عندهم يعني أن اللام في لفظ الأرض إن كانت للعهد فالمراد بها أرض العرب لأن أرضهم هي المعهودة عندهم، والمعنى: غلبت فارس الروم في أقرب أرض العرب إلى الروم فقوله: «أرض العرب منهم» أي من الروم ومن في منهم صلة أدنى يقال: دنا منه أي قرب منه، والمراد بأدنى أرض العرب من الروم أطراف الشام. وإن كانت اللام فيه بدلاً من المضاف إليه يكون المعنى: غلبت الروم في أدنى أرض الروم من العرب وضمير «أرضهم» يعود إلى الروم، فإن قلت:

﴿بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول. وقرىء «غلبهم» وهو لغة كالحلب والحلب ﴿سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ روي أن الفرس غزوا الروم فوافوهم بأذرعات وبصرى. وقيل: بالجزيرة وهي أدنى أرض الروم من الفرس فغلبوا عليهم. وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا: أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم ولنظهرن عليكم. فنزلت. فقال لهم أبو بكر: لا يقرن الله أعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين. فقال له أبي بن خلف: كذبت اجعل بيننا أجلاً أناحبك عليه. فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الأجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله ﷺ فقال: «البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فزايده في الخطر وماده في الأجل» فجعلاها مائة قلوص إلى تسع سنين. ومات أبيّ من جرح رسول الله ﷺ بعد قفوله من أحد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فأخذ أبو بكر الخطر من ورثة أبيّ وجاء به إلى رسول الله ﷺ فقال: «تصدق به». واستدل به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب، وأجيب بأنه كان قبل تحريم القمار. والآية من دلائل النبوة لأنها إخبار عن الغيب. وقرىء «غلبت» بالفتح و«سيغلبون» بالضم ومعناه أن الروم غلبوا على ريف

جعلت الأرض التي غلبت الروم فيها للعرب تارة وللروم أخرى فما وجهه؟ قلت: يجوز أن تكون تلك الأرض مسكنهم جميعًا بأن يسكن فيها البعض من كل فريق فجاز إضافتها تارة إلى العرب وأخرى إلى الروم. **قوله:** (من إضافة المصدر إلى المفعول) والمعنى: وهم أي الروم من بعد مغلوبيتهم سيغلبون فارس في بضع سنين. وأذرعات موضع بالشام وبصرى أيضًا موضع بالشام والجزيرة موضع بعينه وهي ما بين دجلة والفرات، وليس المراد بها جزيرة العرب وحدها على ما روي عن الأصمعي أنها من أقصى عدن إلى ريف العراق طولاً ومن جدة وما والاها إلى أطراف الشام عرضًا. وسبب تسميتها جزيرة إحاطة البحار والأنهار العظام بها كبحر الحبشة وبحر فارس ودجلة والفرات. **قوله:** (وقيل بالجزيرة وهي أدنى أرض الروم من فارس) فعلى هذا يكون قوله: ﴿في أدنى الأرض﴾ بمعنى في أدنى أرض الروم من فارس كما روي عن مجاهد أنه قال: هي أرض الجزيرة وهي أدنى أرض الروم إلى فارس فتكون اللام في الأرض عوضًا عن المضاف إليه. **قوله:** (وشمتوا بالمسلمين) أي فرحوا بانفعال المسلمين وتخزينهم فإن الشماتة عبارة عن الفرح ببلية العدو وهي من باب علم. وسبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون أنه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون أن يغلب فارس الروم لأن أهل فارس كانوا مجوسًا أميين، والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث كسرى جيشًا إلى الروم فاستعمل

الشام والمسلمون سيغلبونهم. وفي السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا يكون إضافة الغلب إلى الفاعل. ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُ﴾ من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين، ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين أي له الأمر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شيء منهما إلا بقضائه. وقرىء «من قبل ومن بعد» من غير تقدير مضاف إليه كأنه قيل: قبلاً وبعدًا أي أولاً وآخرًا. ﴿وَيَوۡمَئِذٖ﴾ ويوم يغلب الروم ﴿يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِ﴾ من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما أخبروا به

عليهم رجلاً يقال له شهربًا، وبعث قيصر جيشًا واستعمل عليهم رجلاً يدعى بحلس. فالتقيا بأذرعات وبصرى وهي أدنى أرض الشام إلى أرض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق ذلك عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين: إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون كأهل فارس، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم. فأنزل الله تعالى هذه الآيات لبيان أن الغلبة لا تدل على الحق بل الله تعالى قد يريد أن يزيد في ثواب المحق فيبتليه ويسلط عليه الأعادي، وقد يختار تعجيل العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قبل يوم الميعاد. والمناحبة المراهنة. والقلائص جمع قلوص وهي من النوق الشابة. وهذه المناحبة كانت قبل تحريم القمار وهو الظاهر لأن السورة مكية وتحريم الخمر والميسر من آخر الآي نزولاً.

قوله: (من قبل كونهم غالبين إلى آخره) يعني أن جمهور القراء قرؤوا «من قبلُ ومن بعدُ» مبنيان على الضمة من حيث إنهما لما قطعا عن الإضافة مع كونها منوية مرادة صارا كبعض الاسم في عدم استحقاق الإعراب، فلا بد من تقدير المضاف إليه فقدره بقوله: «من قبل كونهم غالبين ومن بعد كونهم مغلوبين» بناء على أن كلاً من الوقتين أعني وقت كونهم مغلوبين ووقت كونهم غالبين بالنسبة إلى الآخر له اعتبار القبلية والبعدية، فإن الروم كانوا في أول الأمر مغلوبين وفي ثاني الحال صاروا غالبين فكونهم مغلوبين قبل كونهم غالبين، وكونهم غالبين بعد كونهم مغلوبين. وقد كان لله الأمر في أول الوقتين وفي آخرهما أي حين غلبوا وحين يغلبون، وعبّر عن أول الوقتين بقوله: «من قبل كونهم غالبين لكون وقت مغلوبيتهم قبل كونهم غالبين» وعبر عن ثاني الوقتين بقوله: «ومن بعد كونهم مغلوبين لكون وقت غلبتهم بعد ذلك». **قوله:** (وقرىء من قبل ومن بعد) مجرورين منونين لأنه إذا لم يكن المضاف إليه المحذوف منوياً يكون اسمًا برأسه فيعرب على حسب اقتضاء العامل كقول الشاعر:

فساغ لي الشراب وكنت قبلاً أكاد أغصّ من ماء الفرات

المشركين وغلبتهم في رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم. وقيل: بنصر الله المؤمنين بإظهار صدقهم أو بأن ولى بعض أعدائهم بعضًا حتى تفانوا.

﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾ فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء أخرى. ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم ينصرهم أخرى. ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لنفسه لأن ما قبله في معنى الوعد ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ لامتناع الكذب عليه. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ وعده ولا صحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم. ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها. ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ التي هي غايتها والمقصود منها. ﴿هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ لا تخطر ببالهم. و«هم» الثانية تكرير للأولى أو مبتدأ و«غافلون» خبره والجملة خبر الأولى. وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله: «لا يعلمون» تقريرًا لجهالتهم وتشبيهًا لهم بالحيوانات المقصور إدراكها من الدنيا على بعض ظاهرها، فإن من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها وأفعالها وأسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهرًا. وأما باطنها فإنها مجاز إلى الآخرة ووصلة إلى نيلها وأنموذج لأحوالها وإشعارًا بأنه لا فرق بين

قوله: (في رهانهم) هو مصدر بمعنى المراهنة والمناحبة والغالب فيهما يستحق السبق وهو بفتحتين الخطر الذي يتراهن عليه ويوضع بين أهل السباق ويقال: أخطر المال إذا جعله خطر أبين المتراهنين. **قوله:** (وقيل بنصر الله المؤمنين) عطف على قوله: «بنصر الله» من له كتاب وهو الروم على من لا كتاب له وهو فارس. **قوله:** (لأن ما قبله في معنى الوعد) فإن قوله تعالى: ﴿سيغلبون﴾ ﴿ويومئذٍ يفرح المؤمنون﴾ وعد من الله تعالى بالنصرة فأكده بقوله ﴿وعد الله﴾ وعامله مضمر أي وعدهم الله ذلك وعدًا. ثم قدر معنى هذا المصدر بقوله: ﴿لا يخلف الله وعده﴾ أي فيظهر الروم على فارس ﴿ولكن أكثر الناس﴾ يعني كفار مكة ﴿لا يعلمون﴾ وعده حيث ينكرون الرسالة والوحي. **قوله:** (وهو على الوجهين منادى على تمكن غفلتهم عن الآخرة) يعني أن هذا الكلام سواء كانت «هم» الثانية تكريرًا للأولى وكان «غافلون» خبرًا للأولى أو كانت مبتدأ ما بعدها خبرها وكانت الجملة خبر الأولى يدل على اختصاص الغفلة عن الآخرة بهم، وأن الغفلة لا تثبت ولا تستقر إلا فيهم وهو معنى تمكنها فيهم. وقوله: «المحققة» صفة غفلتهم والمراد بالجملة المتقدمة قوله: «يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا». وأشار إلى أن هذه الجملة بدل من قوله: «لا يعلمون» وكل واحد من قوله تقريرًا وتشبيهًا وإشعارًا منصوب على أنه مفعول له لقوله: «المبدلة». علّل إبدال قوله: ﴿يعلمون﴾ من قوله: ﴿لا يعلمون﴾ بثلاث علل: الأولى تقرير جهالتهم المدلول عليها

عدم العلم والعلم الذي يختص بظاهر الدنيا ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أو لم يحدثوا التفكر فيها، أو أولم يتفكروا في أمر أنفسهم فإنها أقرب إليهم من غيرها ومراءة يجتلي فيها للمستبصر ما يجتلي له في الممكنات بأسرها ليتحقق له قدرة مبدعها على إعادتها من قدرته على إبدائها ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بقول أو علم محذوف يدل عليه الكلام. ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ تنتهي عنده ولا تبقى بعده ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ﴾ بلقاء جزائه عند انقضاء قيام الأجل المسمى أو قيام الساعة ﴿لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ جاحدون يحسبون أن الدنيا أبدية وأن الآخرة لا تكون.

بالمبدل منه فإن من لا يتجاوز علمه عن بعض ظاهر الدنيا ولا يتعلق بالبعض الآخر فضلاً عن أن يتعلق بأمر الدين وأحوال الآخرة لا يكون إلا جاهلاً، وقوله: «تشبيهًا» وإن كان في صورة العلة الثانية إلا أن المقصود منه بيان وجه كون جملة البدل تقريرًا لجهالتهم ووجه كون الإبدال مشعرًا بما ذكره أن قوله: «يعلمون» لما أقيم مقام قوله: «لا يعلمون» وجعل سادًا مسده علم منه أنه لا فرق بين عدم العلم وبين علمهم.

قوله: (أولم يحدثوا التفكر فيها) على أن يكون قوله: «في أنفسهم» ظرفًا للتفكر والمعنى: أوَلم يشغلوا قلوبهم الفارغة عن الفكر بالفكرة الصالحة، والتفكر وإن لم يكن إلا في القلوب إلا أنه زيد قوله: «في أنفسهم» لزيادة تصوير حال المتفكرين كما قيل: ولا تخطه بيمينك وأبصره بعينه وأضمره في نفسه ونحو ذلك وتكون جملة ﴿ما خلق الله السمٰوات﴾ إلى آخره متصلة بما قبلها في محل النصب بقوله: ﴿أولم يتفكروا﴾ والمعنى: أولم يتفكروا في قلوبهم أن ما خلق الله السمٰوات والأرض إلا بالحق بإضمار أن الخفيفة ويكون التفكر واقعًا في خلقهما بالحق وإضمار «أن» للوصل جائز كما في قوله تعالى في هذه السورة ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ [الروم: ٢٤] أي أن يريكم البرق كذا في التيسير، وحينئذٍ يحتاج إلى إضمار «في» أيضًا. والأظهر ما ذكره المصنف من كونه متعلقًا بقول أو علم محذوف والتقدير: أوَلم يتفكروا فيقولوا أوَ فيعلموا أن ما خلق الله السمٰوات الخ. فعلى هذا لا يكون المتفكر فيه مذكورًا بخلاف الاحتمال الثاني الذي ذكره بقوله: «أوْ أوَلم يتفكروا في أمر أنفسهم» على أن يكون قوله «في أنفسهم» مفعولاً به غير صريح ليتفكروا لا ظرفًا له كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الأعراف: ١٨٥] والمعنى هلاً تفكروا في أمر أنفسهم التي هي أقرب إليهم من سائر المخلوقات وهم أعلم بأحوالها وهي كلمة استبطاء كأنه قيل: ينبغي لهم أن يتفكروا فيها ليتضح لهم كمال قدرة الله تعالى، فإن من تفكر في تشريح بدن الإنسان وما أودع فيه من غرائب التدبير الإلٰهي حصل له العلم القطعي بأنه تعالى فاعل مختار كامل العلم والقدرة، وأن من يكون كذلك يكون منزهًا عن الشركاء والأنداد وإلا كان عاجزًا عند

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ تقرير لسيرهم في أقطار الأرض ونظرهم إلى آثار المدمرين قبلهم ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كعاد وثمود. ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ وقلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها. ﴿وَعَمَرُوهَا﴾ وعمروا الأرض ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ من عمارة أهل مكة إياها فإنهم أهل وادٍ غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها. وفيه تهكم بهم من حيث إنهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم أضعف حالاً فيها إذ مدار أمرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتصرف في أقطار الأرض بأنواع العمارة وهم ضعفاء ملجئون إلى واد لا نفع له. ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾

إرادة شريكه ضد ما أراده، وأيضًا حصل له العلم بحقيقة الحشر والجزاء لأنه إذا تفكر في نفسه يرى قواه صائرة إلى الزوال وأجزاءه مائلة إلى الانحلال فيقطع بأنه سيفنى عن قريب، فلو لم يكن له حياة أخرى لكان خلقه على هذا الوجه عبثًا كما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥] وهذا ظاهر لأنه من بالغ في تدبير شيء سيفنى عن قريب بالكلية وصوره أحسن تصوير واعتنى في انتظام أحواله أبلغ ما يمكن من الاعتناء مع علمه بأنه عن قريب يصير كأن لم يكن شيئًا مذكورًا يضحك منه ويتعجب من سفاهته. فمن تفكر في شأن نفسه على هذا الوجه علم أنه تعالى خلقه للبقاء ولا بقاء إلا بالحشر والإحياء، فظهر أن تفكر الإنسان في أمر نفسه يؤديه إلى القطع بأن العالم له إله واحد قادر على الإبداء والإعادة فيكون قوله: ﴿ما خلق الله السمٰوات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ جملة مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها ذكرت بعد إقامة دليل الأنفس استدلالاً بدليل الآفاق فمعنى الآية على هذا الوجه: أولَم يتفكروا في خلق السمٰوات والأرض فيعلموا أن الله تعالى لم يخلقها عبثًا ولا جزافًا، ولكن ليعتبر بها عباده وليستدلوا بها على وحدانيته وكمال قدرته، وأنه إنما خلقها لمنافع عباده بلاغًا لهم في دار التكليف عونًا لاكتساب ما يسعدهم في دار الجزاء وهو معنى قوله: ﴿بالحق﴾ والباء فيه إما سببية أو حالية أي ما خلقها إلا للحق أو ملتبسة بالحق مقرونة به لا باطلاً ولا عبثًا خاليًا عن حكمة بالغة ولا لتبقى خالدة، وإنما خلقها مؤجلة بأجل مسمى ونفوس البشر مندرجة في مفهوم قوله: ﴿وما بينهما﴾ ثم إنه تعالى لما أرشد إلى ما يؤدي إلى العلم بحقيقة الآخرة وأن السمٰوات والأرض وما بينهما جميعًا مخلوقة للانتهاء إلى أجل مسمى هدد الغافلين عن الآخرة المصرين على الكفر وتكذيب الأنبياء بقوله: ﴿أولم يسيروا في الأرض﴾ وهو استفهام تقرير لمسيرهم ونظرهم إلى آثار المدمرين قبلهم. وبعد تقرير ذلك ذكر أن أهل مكة أولى بالهلاك لأن من تقدم من عاد وثمود كانوا أشد من أهل مكة قوة وأكثر مالاً وعمارة ولم ينفعهم قواهم ولم يمنعهم من

بالمعجزات أو الآيات الواضحات ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٩﴾ حيث عملوا ما أدى إلى تدميرهم. ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ أي ثم كان عاقبتهم العقوبة السوأى أو الخصلة السوأى، فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى أن يكون تلك عاقبتهم وأنهم جوزوا بمثل أفعالهم. والسوأى تأنيث الأسوء كالحسنى أو مصدر كبشرى نعت بها. ﴿أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٠﴾ علة أو بدل أو عطف بيان «للسوأى» أو خبر كان والسوأى مصدر أساؤوا أو مفعوله بمعنى. ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة أن طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الآيات واستهزؤوا بها. ويجوز أن تكون «السوأى» صلة الفعل و«إن كذبوا» تابعها والخبر محذوفًا للإبهام والتهويل وأن يكون «أن» مفسرة لأن الإساءة إذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول. وقرأ ابن عامر والكوفيون «عاقبة» بالنصب على أن الاسم «السوأى» و«إن كذبوا» على الوجوه المذكورة. ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ ينشئهم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ يبعثهم ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝١١﴾ للجزاء والعدول إلى الخطاب للمبالغة في

الهلاك أموالهم وحصونهم. **قوله**: (أو الآيات الواضحات) أي دلائل الحق وبراهينه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: بالحلال والحرام والحدود والأحكام. **قوله تعالى**: (فما كان الله ليظلمهم) قبله مضمر تقديره فلم يؤمنوا فأهلكوا فما ظلمهم الله بتعذيبهم من غير ذنب. و«ثم» في قوله ثم كان لترتيب الأخبار. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو «عاقبة الذين» مرفوعًا على أنه اسم «كان» وتذكير «كان» مبني على أن تأنيث عاقبة غير حقيقي، و«السوأى» خبر «كان». واختار المصنف هذه القراءة حيث قال: «ثم كان عاقبتهم العقوبة أو الخصلة السوأى» وقوله: ﴿إن كذبوا﴾ إما علة بتقدير لام العلة أي لأن كذبوا أو باء السببية أي بأن كذبوا، وإما بدل أو عطف بيان للسوأى. ولا شك أن التكذيب خصلة سوأى وعقوبة سوأى فيصح أن يكون بدلاً أو عطف بيان للعقوبة السوأى والخصلة السوأى. فمعنى الآية: ثم كان التكذيب آخر أمرهم أي ماتوا على ذلك فجازاهم الله تعالى بذلك على إساءتهم حيث طبع على قلوبهم حتى ماتوا على التكذيب. ويحتمل أن يكون قوله: «إن كذبوا» خبر «كان» وحينئذٍ يكون «السوأى» مصدرًا بمعنى الإساءة منصوبًا بأساؤوا أو يكون مفعول «أساؤوا» لتضمنه معنى اقترفوا، والمعنى: ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة التي هي أسوأ الخطايا أن طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الآيات واستهزؤوا بها، فإن السوأى تأنيث الأسوء بمعنى الأقبح. ثم ذكر احتمالاً آخر وهو أن يكون «السوأى» مفعول «أساؤوا» أيضًا و«أن كذبوا» عطف بيان له أو بدلاً منه ويكون الخبر محذوفًا للإبهام والتهويل، والمعنى: ثم كان عاقبة

المقصود. وقرأ أبو عمرو وأبو بكر وروح بالياء على الأصل. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾ يسكتون متحيرين آيسين يقال: ناظرته فأبلس إذا سكت وأيس من أن يحتج، ومنه: الناقة المبلاس التي لا ترغو. وقرىء بفتح اللام من أبلسه إذا أسكته.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ﴾ ممن أشركوهم بالله ﴿شُفَعَٰٓؤُا۟﴾ يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه. ﴿وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ يكفرون بآلهتهم حين يئسوا منهم. وقيل: كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب في المصحف شفعاء وعلماء بني إسرائيل بالواو والسوأى بالألف قبل الياء إثباتًا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾ أي المؤمنون والكافرون لقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ﴾ أرض ذات أزهار وأنهار ﴿يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾ يسرون سرورًا تهللت له وجوههم. ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ مدخلون لا يغيبون عنه. ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ إخبار في معنى

الذين اقترفوا الخطيئة السوأى وهي التكذيب والاستهزاء ما لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره في الشدة والفظاعة. ثم إنه تعالى لما ذكر أن عاقبة المسيء العقوبة السوأى قرر ذلك ببيان أن المخلوقات بأسرها يحشرون بعد الموت ثم إليه يرجعون للجزاء. ثم بيّن ما يكون وقت الرجوع إليه بقوله: ﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون﴾ أي ينقطع كلامهم وحجتهم ويبقون آيسين من كل خير ساكتين متحيرين. **قوله**: (التي لا ترغو) من الرغاء وهو صوت ذات الخف يقال: رغا البعير يرغو رغاء إذا صوت. وأبلست الناقة إذا لم ترغ من شدة الضبعة وهي شدة شهوة الناقة للفحل. **قوله**: (يكفرون بآلهتهم) على أن الباء في قوله: «بشركائهم» صلة «كافرين» وما قيل بعده على أن الباء للسببية. **قوله**: (وكتب في المصحف شفعواء وعلمواء بني إسرائيل بالواو) قبل الألف على لغة من يميل الألف إلى الواو، وعلى هذه اللغة كتب الصلوة والزكوة والربوا. ثم إن الألف المكتوبة على صورة الواو وإن كانت في الآخر جمع بينها وبين الواو في الرسم كما في الربوا وعلمواء بخلاف الألف المتوسطة كما في الصلوة والزكوة. **قوله**: (لقوله فأما الذين) وجه الاستدلال أن الفاء فيه لتفصيل ما أجمل بقوله: «يتفرقون».

قوله: (تهللت) أي تلألأت ولمعت. قال الراغب: الحبر الأثر المستحسن ومنه ما روي أنه يخرج من النار رجل ذهب حبره وسبره أي جماله وبهاؤه والتحبير التحسين. والفاء في قوله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا﴾ لتفصيل ما أجمل في قوله: ﴿يومئذٍ يتفرقون﴾ أسند

الأمر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الأوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته، أو دلالة على أن ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من أهل السمٰوات والأرض. وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لأن آثار القدرة والعظمة فيهما أظهر، وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار من عشيت العين إذا

التفرق إلى فريقي المؤمنين والكافرين على الإجمال ثم فصل حالهما وبيّن مصيرهما بما هو وعد في حق أحدهما ووعيد في حق الآخر، ثم فرع على هذا الوعد والوعيد قوله: ﴿فسبحان الله﴾ الآية فإن الفاء فيه فاء الجزاء لشرط محذوف وإلا لم يكن للكلام وجه ارتباط بما قبله كأنه قيل: إذا تقرر عندكم مصير كل واحد من الفريقين واتضح عاقبة المؤمنين من أهل طاعته المقبلين إليها فسبحوا الله تعالى تسبيحًا في هذه الأوقات. وهذا معنى قول المصنف: «أن قوله تعالى فسبحان الله في معنى الأمر بتنزيه الله تعالى» ولم يجعله أمرًا حقيقة بأن يكون المصدر منصوبًا بفعل الأمر لكونه مصدرًا بفاء الجزاء والأمر بل الجمل الإنشائية مطلقًا لا يصح تعليقها بالشرط لأن الإنشاء إيقاع المعنى بلفظ يقارنه، ولو جاز تعليقه للزم تأخره عن زمان التلفظ وأنه غير جائز. وإنما المعلق بالشرط هو الإخبار عن إنشاء التمني والترجي وإنشاء المدح والذم والاستفهام ونحوها، فإذا قلت: إن فعلت فعل كذا غفر الله لك أو فنعم ما فعلت، كان المعنى: فقد فعلت ما تستحق بسببه أن يغفر لك أو أن تمدح بسببه. إلا أن الجملة الإنشائية أقيمت مقامه للمبالغة في الدلالة على الاستحقاق. فمعنى الآية: إذا كان الأمر كما تقرر فأنتم تسبحون الله تعالى في الأوقات المذكورة وهو في معنى الأمر بالتسبيح فيها. وكذا قوله تعالى: ﴿وله الحمد﴾ إخبار في معنى الأمر بالثناء عليه فكأنه قيل: إذا تقرر ذلك فعليكم بتسبيح الله تعالى وتحميده اللذين يوصلان إلى الوعد وينجيان من الوعيد. وقوله: «التي تظهر فيها قدرته» إشارة إلى وجه تخصيص هذه الآية بالتنزيه وقوله: «وتتجدد فيها نعمته» إشارة إلى وجه تخصيصها بالثناء. **قوله: (أو دلالة)** عطف على قوله: «إخبار في معنى الأمر» لا على مجرد كونه إخبارًا لما بينّا أن كونه جواب الشرط يستلزم كونه إخبارًا البتة، وإنما الاحتمال في كونه في معنى الأمر أو لمجرد الدلالة على أن ما يحدث فيها من الدلائل الدالة على تنزيهه تعالى عن سمات العجز والإمكان واستحقاقه الحمد والثناء بكل لسان من ألسن الملائكة والإنس والجان. **قوله: (لأن آثار القدرة والعظمة فيهما أظهر)** من حيث إنه يتبدل فيهما أحد الضدين بالآخر كتبدل الظلمة بالنور وبالعكس وكتبدل ما يشبه الحياة بما يشبه الموت وبالعكس. وأصبح وأمسى من الأفعال الناقصة إلا أن قوله: «تمسون» و «تصبحون» في الآية من الأفعال التامة بمعنى تدخلون في المساء وتدخلون في الصباح، وكذا تظهرون أي تدخلون في الظهيرة. **قوله: (وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح)**

نقص نورها، والظهيرة التي هي وسطه لأن تجدد النعم فيهما أكثر. ويجوز أن يكون «عشيًا» معطوفًا على «حين تمسون» وقوله: «وله الحمد في السمٰوات والأرض» اعتراضًا. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الآية جامعة للصلوات الخمس «تمسون» صلاة المغرب والعشاء و«تصبحون» صلاة الفجر و«عشيا» صلاة العصر و«تظهرون» صلاة الظهر. ولذلك زعم الحسن أنها مدنية لأنه كان يقول: كان الواجب بمكة ركعتين في أي وقت اتفقت، وإنما فرضت الخمس بالمدينة. والأكثر على أنها فرضت بمكة. وعنه عليه الصلاة والسلام: «من سره أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل: ﴿فسبحان الله حين تمسون﴾» الآية وعنه عليه الصلاة والسلام: «من قال حين يصبح ﴿فسبحان الله حين تمسون﴾ إلى قوله: ﴿وكذلك تخرجون﴾ أدرك ما فاته في ليلته. ومن قال: ﴿حين يمسي﴾ أدرك ما فاته في يومه». وقرىء «حينًا تمسون وحينًا تصبحون» أي تمسون فيه وتصبحون فيه. ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كالإنسان من النطفة والطائر من البيضة ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ النطفة والبيضة أو يعقب الحياة بالموت وبالعكس. ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك الإخراج ﴿تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾ من قبوركم فإنه أيضًا تعقيب الحياة بالموت. وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء.

وتخصيص الحمد بالعشي والظهيرة مبني على كون قوله: «وعشيا» معطوفًا على قوله: «في السمٰوات والأرض» لأنه لو كان معطوفًا على قوله: «تمسون» كما ذهب إليه عامة المفسرين لكانت الأوقات المذكورة بأسرها أوقات التسبيح ولكان المعنى: سبحوه حين تمسون وحين تصبحون وعشيًا وحين تظهرون، وحينئذٍ يكون قوله: «وله الحمد» اعتراضًا بين المعطوف والمعطوف عليه، وفائدة الاعتراض التنبيه على أنهم إنما يسبحون في هذه الأوقات بتمكين الله تعالى إياهم وتوفيقه لهم فعليهم أن يحمدوا الله تعالى إذا سبحوه كما قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٧]. **قوله:** (وعن ابن عباس رضي الله عنهما) عطف من حيث المعنى على قوله: «في معنى الأمر بتنزيه الله تعالى» فإنه بمنزلة أن يقال: المراد بالتسبيح التنزيه وهذا المعطوف بمنزلة أن يقال: المراد به الصلاة بطريق تسمية الشيء باسم ما فيه. وما بعده من الأحاديث تؤيد كون التسبيح على أصل معناه فإنه إذا قيل: سبح فلا يكون إلا أنه قال: سبحان الله وكذا كبر وحوقل معناهما قال: الله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله. **قوله:** (وقرىء حينًا) بالتنوين فتكون الجملة بعده صفة له بحذف العائد كما في قوله تعالى: ﴿وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ [لقمان: ٣٣] أي لا يجزي فيه. ثم إنه تعالى بيّن استحقاقه للتحميد والتسبيح ببيان أنه يخرج أحد الضدين من الآخر وبيان أن الإبداء والإعادة متساويان بالنسبة إلى قدرته فقال: ﴿يخرج

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ أي في أصل الإنشاء لأنه خلق أصلهم منه. ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ ثم فاجأتم وقت كونكم بشرًا منتشرين في الأرض.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ لأن حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال، أو لأنهن من جنسهم لا من جنس آخر. ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ لتميلوا إليها وتألفوا بها فإن الجنسية علة للضم والاختلاف سبب للتنافر. ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم﴾ أي بين الرجال والنساء أو بين أفراد الجنس. ﴿مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ بواسطة الزواج حالة الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوانات نظمًا لأمر المعاش، أو بأن تعيش الإنسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج إلى التواد والتراحم. وقيل:

الحي من الميت﴾ إلى آخره فهذه الآية كالدليل على قوله الله: ﴿يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم: ٢٧]. **قوله تعالى:** (ومن آياته) خبر مقدم لقوله: ﴿إن خلقكم﴾ أي ومن آياته الدالة على كمال قدرته المستلزم لوحدانيته وتفرده في الألوهية خلق أصلكم من تراب ثم بثكم ونشركم على وجه الأرض. و«ثم» للتراخي الرتبي بيّن بثهم وانتشارهم في الأرض وبيّن كونهم مخلوقين من أصل واحد. و«إذا» المفاجأة للدلالة على أن ذلك البث والانتشار لم يكن بعد انقضاء زمان مديد منذ زمان خلق أصلكم. **قوله:** (تنتشرون) صفة لبشر لأن المراد به الجنس.

قوله: (لأن حواء خلقت من ضلع آدم عليه الصلاة والسلام) أي من عظم جنبه جعل ضمير لكم وأنفسكم متناولاً لآدم عليه الصلاة والسلام ولمن بعده من آباء النساء فهم أموات لا يصلحون للخطاب بطريق تغليب الأحياء على الأموات، إذ مقابلة الجمع بالجمع تقتضي انقسام الآحاد على الآحاد غير مرعي في هذا التوجيه والظاهر أنه جعل ذلك الأصل أكثريًا لا كليًا. **قوله:** (أو لأنهن من جنسهم) يعني أن قوله: «من أنفسكم» بمعنى من جنسكم كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] ويدل عليه قوله: ﴿لتسكنوا إليها﴾ فإن سكون النفس وميل القلب لا يتوقف على كون المسكون إليه منفصلاً منه وإنما يتوقف على الاتحاد في الجنس فإن الجنسين المختلفين لا يسكن أحدهما إلى الآخر. **قوله:** (حالة الشبق وغيرها) لف ونشر على ترتيب قوله: ﴿مودة ورحمة﴾ فإن كل واحد من الزوجين يود صاحبه حال شبابهما وغلبة شهوتهما ويعطف عليه ويرحمه حال كبرهما رعاية لحق قدم المصاحبة وإن انقطعت حاجة نفسه إليه، فإن العطف الواقع في تلك الحال ليس بسبب المحبة وإنما هو بسبب الرحمة. **قوله:** (أو بأن تعيش الإنسان إلى آخره) ناظر إلى قوله: «أو بين أفراد الجنس» مع قطع النظر عن علاقة الأزواج.

المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد لقوله: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ [يس: ٤٤؛ ص: ٤٣] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ فيعلمون ما في ذلك من الحكم ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ لغاتكم بأن علم كل صنف لغة أو ألهمه وضعها وأقدره عليها، أو أجناس نطقكم وأشكاله فإنه لا تكاد تسمع منطقين

قوله: (لقوله ورحمة منا) قال تعالى في حق عيسى عليه السلام: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ [مريم: ٢١] والمراد بها عيسى عليه السلام جعله الله تعالى آية ورحمة. **قوله تعالى:** (إن في ذلك) أي فيما ذكر من خلق الأزواج وجعل المودة والرحمة بين الزوجين ﴿لآيات لقوم يتفكرون﴾ في عظمة الله تعالى وقدرته فإنه تدبير عجيب في بقاء نوع الإنسان بتعاقب أشخاصه. وفي ضمن هذا التدبير خلق البشر السوي من شيء يسير من المني وتربيته في بطن أمه تسعة أشهر من غير خادم يخدمه ويقوم بمصالحه، ثم إخراجه من بطن أمه مع سلامة نفسه وأمه آيات عجيبة تدل على كمال عظمة الله تعالى وقدرته. فإن ذلك لو كان من عند غير الله لأفضى إلى هلاك الأم وهلاك الولد أيضًا فإن الولد لو سلّ من موضع ضيق بغير إعانة الله تعالى لمات. **قوله تعالى:** (ومن آياته) الدالة على وحدانيته وقدرته على البعث والإحياء خلق السمٰوات ورفعها في الهواء وإقرارها فيه من غير عمد، وخلق الأرض وبسطها وإقرارها على الماء أو على الريح وكانت العرب مقرين بأن الله تعالى هو المنفرد بخلقهما فبكتهم الله تعالى بأن من قدر على خلقهما وعلى ما فيهما من عجائب الصفة وبدائع الخلقة فلا يكون إلا منفردًا بالألوهية والربوبية قادرًا على إحياء الموتى ومجازاتهم على الإحسان والإساءة. وفسر اختلاف الألسنة باختلاف اللغات لأن أنفس الألسنة ليست مختلفة بل هي على هيئة واحدة. **قوله:** (بأن علم كل صنف لغة) على أن تكون اللغات بأسرها توقيفية لا اصطلاحية كما ذهب إليه الجمهور. وقوله: «أو ألهمه» وضعها على أن تكون اصطلاحية. ثم إن التعليم لا يتوقف على تقدم اللغة وجريان الاصطلاح عليها وإلا لتوقف ذلك الاصطلاح على لغة متقدمة واصطلاح سابق وهلم جراً فإما أن يدور أو يتسلسل، بل طريق التعليم أن يخلق الله تعالى في كل صنف علمًا ضروريًا بتلك الألفاظ وبتلك المعاني وباختصاص كل لفظ من تلك الألفاظ بواحد من تلك المعاني والضروري ههنا بمعنى الأولى الحاصل بمجرد التفات العقل من غير أن يتوقف على شيء آخر من حدس أو تجربة أو إلهام، وهو إلقاء المعنى في القلب سواء ألقاه الله بالذات أو بواسطة الملك فالعلم الضروري بأي لفظ موضوع لأي معنى مقابل بل لما يحصل بالإلهام. **قوله:** (أو أجناس نطقكم) أي ويحتمل أن يكون المراد باختلاف الألسنة اختلاف الكيفيات العارضة للأصوات والألفاظ المنطوقة مع اتحاد اللغة، فإنك لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد ولا في جهارة ولا في حدة ولا

متساويين في الكيفية. ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ بياض الجلد وسواده أو تخطيطات الأعضاء وهيئاتها وألوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى أن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما والأمور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ لا تكاد تخفى على عاقل من ملك أو إنس أو جن. وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما، أو منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار. فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين إشعارًا بأن كلاً من الزمانين وإن اختص بأحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة، ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه.

لين ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا أسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق وأحواله، وكذا اختلاف ألوانهم وصورهم وهيئاتهم مع أنهم ولد رجل واحد وامرأة واحدة وأن أصل الكل واحد وهو الماء والتراب، فاختلاف النغمات واللغات وتفاوت الألوان والكيفيات بحيث لا يشبه وجه وجهًا على اتحاد الصورة ولا تشبه نغمة نغمة على اتحاد الآلة دليل واضح على كمال قدرته ونفاذ مشيئته ولطف حكمته. فإن تمايز الأقارب والأجانب وتعارف أصحاب المعاملات بعضها مع بعض يتوقف على ما ذكر من الاختلاف فإنه لو اتفقت الأفراد الإنسانية بحسب العوارض والمشخصات لوقع الاشتباه والالتباس بينهم ولأدى إلى تعطيل الأمور الجمة والمصالح الكثيرة.

قوله: (وحلاها) جمع حيلة بمعنى الصفة. **قوله:** (لاستراحة القوى النفسانية) وهي بحسب القسمة الأولى قوتان، محركة ومدركة، والمحركة اثنتان: شهوية تجذب بها النفس ما يلائمها وغضبية تدمع بها ما لا يلائمها، والمدركة عشر: خمس منها الحواس الظاهرة وخمس منها الباطنة: الحس المشترك الذي يجتمع فيه صور جميع المحسوسات، والخيال الذي هو خزانة الحس المشترك، والوهم الذي به تدرك النفس المعاني الجزئية، والمتصرفة التي هي مناط التركيبات والتحليلات ويتعلق بها استنباط الصنائع العجيبة والأفكار الغريبة، والذاكرة وهي خزانة الصور الوهمية كما أن الخيال خزانة الصور الحسية. وللنفس قوى أخر لا مدركة ولا محركة وتسمى القوى الطبيعية وهي سبع: الغاذية التي تتصرف في مادة الغذاء وتوصل الأغذية إلى أعضاء المتغذي، والنامية، والمولدة، والجاذبة، والهاضمة، والماسكة، والدافعة. وللنفس ثلاث قوى سوى هذه القوى المذكورة. وهي: روح حيواني، وروح طبيعي، وروح نفساني. والروح الحيواني هو البخار اللطيف الحاصل من غليان الدم الكائن في تجويف الصنوبري، وذلك البخار مثبت في الجانب الأيسر من اللحم الصنوبري، والذي

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ سماع تفهم واستبصار فإن الحكمة فيه ظاهرة. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ مقدر «بأن» كقوله شعر:

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

انفصل منه واتصل بالكبد يسمى روحًا طبيعيًا ويتعلق به أحوالِ المعدة والطبخ والأفعال النباتية، والذي يتصاعد منه إلى جانب الدماغ بواسطة الشرايين يسمى روحًا نفسانيًا وتنوط به الأفعال الحيوانية وهو لغاية لطافته يسري وينفذ في جميع العروق والأعضاء والله أعلم. ولا شيء من القوى الطبيعية تتعطل بالنوم حتى يكون النوم استراحة لها لكنها تتقوى بسببه بخلاف القوى النفسانية فإن أكثرها يتعطل بالنوم فيكون النوم سببًا لاستراحتها، ولما لم يكن النوم مختصًا بالليل لكون القيلولة وقت الظهيرة عادة أكثر الناس وكذا لم يكن طلب المعاش مختصًا بالنهار لوقوعه في الليل أيضًا، قدم احتمال أن لا تكون الآية من قبيل اللف والنشر حيث قال: «منامكم في الزمانين وطلب معاشكم فيهما» ثم ذكر احتمال كون الآية من باب اللف حيث ذكر في تفسيرها ما يدل على اختصاص كل واحد من الزمانين بواحد من الفعلين فقال: «أو منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار» فخص كل واحد من الفعلين بزمان على حدة واقتصر على عطف أحد الفعلين على الآخر ولم يعطف أحد الزمانين على الآخر بل خص كل زمان بما وقع فيه من الفعل ليظهر أن النظم وارد على طريق اللف ثم قال: «فلف» أي ذكر الزمانين، ثم ذكر ما وقع في كل واحد منهما من غير تعين أن ما وقع في كل واحد منهما أي فعل من الفعلين المذكورين اعتمادًا على كون التعيين معلومًا للسامع. فإن اللف عبارة عن ذكر متعدد مع ذكر ما لكل من آحاد ذلك المتعدد من غير تعيين اعتمادًا على أن السامع يرد ما لكل من آحاد المتعدد المذكور إلى ما هو له ثم قال: «ويؤيد الاحتمال الثاني قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الإسراء: ١٢] وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١٠ ـ ١١]. قوله: (فإن الحكمة فيه) أي في جعل الزمانين محلاً للفعلين ظاهرة أشار به إلى وجه تخصيص هذه الآية بقوله: ﴿لقوم يسمعون﴾ والآية السابقة بقوله: ﴿لقوم يتفكرون﴾ قوله: (مقدر بأن) المصدرية حتى تكون مع ما في حيزها مبتدأ وما قبلها خبره على وفق نظائره، ولما حذفت «أن» بطل عملها وعاد الفعل مرفوعًا كما في قوله:

(ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى)

ويروى برفع «أحضر» ونصبها. وحسن حذف «أن» فيه لدلالة ما بعده عليه وهو قوله:

(وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي)

أو الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقوله: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، أو صفة لمحذوف تقديره: آية يريكم بها البرق كقوله:

فما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح

﴿خَوْفًا﴾ من الصاعقة للمسافر ﴿وَطَمَعًا﴾ في الغيث للمقيم. ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فإن إراءتهم تستلزم رؤيتهم أوله على تقدير مضاف نحو: إراءة خوف وطمع، أو تأويل الخوف والطمع بالإخافة والإطماع كقولك: فعلته رغمًا للشيطان أو على الحال مثل: كلمته شفاها. ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف ﴿فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ بيبسها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ يستعملون عقولهم في استنباط أسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ قيامهما بإقامته لهما وإرادته لقيامهما في حيزهما المعين من غير مقيم محسوس. والتعبير

وقد ينزل الفعل بنفسه منزلة المصدر كما في قوله:

تسمع بالمعيدي خير من أن تراه

أي سماعك به. وهو مثل يضرب للرجل الذي له صيت في الناس فإذا رأيته أزريته. قيل: المعيدي تصغير معدى منسوب إلى معد خففت الدال استثقالاً للجمع بين التشديد وبين ياء التصغير. فتقدير الآية على تقدير أن ينزل الفعل منزلة المصدر أي ومن آياته اراءتكم البرق، ووجه كونها آية أن السحاب ليس فيه إلا الماء والهواء وخروج النار منهما بحيث تحرق الجبال في غاية البعد فلا بد له من خالق قادر على جميع ما يشاء. ثم ذكر لارتفاع «يريكم» وجهًا ثالثًا وهو كونه صفة لمحذوف والتقدير: ومن آياته آية يريكم الله تعالى بها البرق فحذف الموصوف وعائده كما في قول الشاعر:

(فما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح)

أي فمنها تارة أموت فيها. **قوله:** (على العلة لفعل يلزم المذكور) لا لنفس الفعل المذكور لأن شرط انتصاب المفعول له أن يكون فعلاً لفاعل الفعل المعلل، والله تعالى منزه عن الخوف والطمع فاحتيج إلى أن يقال في تأويل الآية: يريكم البرق فترونه خوفًا وطمعًا على طريقة إقامة عاقبة الفعل مقام علته. **قوله:** (قيامهما بإقامته لهما وإرادته لقيامهما في حيزهما) فإن السماء وإن كانت تتحرك حركة وضعية إلا أنها ثابتة في حيزها لا تخرج عنه ولا يميل بعض جوانبها بل تثبت على الهيئة التي خلقت عليها من غير عمد ترونها، وكذا

بالأمر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الآلة. ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ عطف على أن تقوم على تأويل المفرد كأنه قيل: ومن آياته قيام السمٰوات والأرض بأمره ثم خروجكم من القبور إذا دعاكم دعوة واحدة فيقول: أيتها الموتى اخرجوا. والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق إرادته بلا توقف واحتياج إلى تجشم عمل بسرعة ترتب إجابة الداعي المطاع على دعائه. و«ثم» إما لتراخي زمانه أو لعظم ما فيه و«من الأرض» متعلق «بدعًا» كقوله: دعوته من أسفل الوادي فطلع إلى لا يتخرجون لأن ما بعد إذا لا يعمل فيما قبلها، و«إذا» الثانية للمفاجأة ولذلك نابت مناب الفاء في جواب الأولى.

﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون عليه ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد هلاكهم ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ والإعادة أسهل عليه من الأصل بالإضافة إلى قدركم والقياس على أصولكم وإلا

الأرض مع غاية ثقلها تثبت في مكانها ولا تنزل ولا تتسفل وما يمسكهما إلا الله القادر على ما يشاء. ولم يفسر قوله تعالى: ﴿بأمره﴾ بأن يقول أي بقوله لهما قوما في حيزكما مع أنه هو الأوفق لقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] لأن كون الأمر سببًا لقيام الجمادات أو تكونها لا يخلو عن بعد فجعل الأمر بالقيام مجازًا عن الإقامة وإرادة القيام بأن شبّه تكون الكائنات عند تعلق الإرادة بتكونها بامتثال المأمور المطيع لأمر الآمر المطاع، فعبّر عن تعلق الإرادة بالأمر للمبالغة في الدلالة على كمال القدرة والاستغناء عن مزاولة الآلة وليس هناك أمر أصلاً حتى يقال الأمر الذي للتكوين مستلزم للإرادة بالاتفاق بيننا وبين المعتزلة بخلاف الأمر الذي للتكليف فإنه مستلزم للإرادة عندهم. قوله: (عطف على أن تقوم على تأويل المفرد) يعني أن ما بعد كلمة «ثم» جملة شرطية عطفت على المفرد إقامة لها مقام المفرد لإفادتها فائدة المفرد على أسلوب قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] فإنه في معنى وأمن داخله. وفائدة هذا الأسلوب الإشعار بأنه مع كونه آية مستقلة خارجة من عداد ما سبق من الآيات حكم مقصود بذاته مع قطع النظر عن كونه آية. قوله: (ولذلك نابت مناب الفاء في جواب الأولى) لاشتراكهما في الدلالة على التعقيب.

قوله: (منقادون لفعله فيهم) يعني أن المراد بالقنوت الانقياد فيدل على جميع ما أراد الله تعالى في حقهم وما فعل بهم من الإحياء والإماتة والصحة والسقم والحركة والسكون وغير ذلك، لا الانقياد برعاية ما كلفوا به من امتثال الأوامر والاجتناب عن المعاصي وهو دليل على وحدانيته لأن جميع الكائنات لما كانوا منقادين لإرادته ومشيئته ثبت أنه لا شريك

فهما عليه سواء، ولذلك قيل: الهاء للخلق. وقيل: أهون بمعنى هين. وتذكير هو لأهون أو لأن الإعادة بمعنى أن يعيد ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ﴾ الوصف العجيب الشأن كالقدرة العامة والحكمة التامة، ومن فسره بقول لا إلـه إلا الله أراد به الوصف بالوحدانية. ﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾ الذي ليس لغيره ما يساويه أو يدانيه. ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يصف به ما فيهما دلالة ونطقًا. ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ القادر الذي لا يعجز عن إبداء ممكن وإعادته ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ الذي يجري الأفعال على مقتضى حكمته. ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ منتزعًا من أحوالها التي هي أقرب الأمور إليكم. ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ من

له أصلاً لأن الشريك يكون منازعًا للشريك الآخر في مقتضى إرادته، ثم استدل على الأصل الآخر وهو القدرة على الحشر والإعادة بقوله: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾. **قوله:** (ولذلك) **أي ولعدم كون شيء أسهل من شيء بالنسبة إلى قدرة الله تعالى وأن كل واحد من الإبداء والإعادة مساوي للآخر بالنسبة إليه تعالى. قيل: ضمير «عليه» للخلق أي والعود أهون على الخلق. وهذا على تقدير أن يكون أهون للتفضيل فإنه يدل على كون الإعادة أهون عليه من الإبداء وليس كذلك، وأما إذا كان صفة بمعنى هين كقوله: الله أكبر فحينئذٍ لا حاجة إلى التوجيه لأنه لا يدل على كون بعض الممكنات أهون من بعض بالنسبة إلى قدرته تعالى.**
قوله: (أي الوصف العجيب الشأن) **استعير لفظ المثل من معناه العرفي وهو القول السائر المشبه مضربه بمورده للوصف العجيب تشبيهًا له بالمثل السائر لأنه لا يضرب إلا ما فيه غرابة وأمر عجيب. وقوله: «في السمٰوات» متعلق بما تعلق به قوله: «وله» أو بمحذوف على أنه حال من «الأعلى» أو من «المثل». ومعنى ثبوته له تعالى في السمٰوات والأرض أنه تعالى عرف ووصف به فيهما على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل. ثم إنه تعالى لما استدل على وحدانيته بقوله:** ﴿وله من في السمٰوات والأرض﴾ **شرع في بيانها بالمثل فقال عز من قائل:** ﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم﴾ **أي بيّن الله لكم أيها المشركون مثلاً أي شبهًا لحالكم التي هي إثبات الشريك لله تعالى وذلك الشبه منتزع من أحوال أنفسكم ومن الأحوال التي لا ترضونها في حقكم، ضربه لتقريب الأمر من إفهام المشركين ثم بيّن ذلك المثل فقال:** ﴿هل لكم مما ملكت أيمانكم﴾ **و«من» في قوله: «من أنفسكم» لابتداء الغاية وهو في موضع الصفة لمثلاً أي مثلاً مأخوذًا منها. و«من» في قوله: «مما ملكت» للتبعيض والجار والمجرور في محل النصب على أنه حال من «شركاء» لأنه في الأصل نعت نكرة هي شركاء والتقدير: هل لكم شركاء كائنون مما ملكته إيمانكم فلما قدم عليها انتصب على الحال و«من» في قوله: «من شركاء» مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي فإنها لا تزاد في الإثبات إلا عند الأخفش والجار مع المجرور في محل الرفع على أنه مبتدأ و«لكم» خبره قدم عليه**

ممااليككم ﴿مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ من الأموال وغيرها ﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ فتكونون أنتم وهم فيه شرع يتصرفون فيه كتصرفكم مع أنهم بشر مثلكم وأنها معارة لكم. و«من» الأولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي. ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ أن يستبدوا بتصرف فيه ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ كما تخاف الأحرار بعضهم من بعض ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك التفصيل ﴿نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نبينها فإن التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ يستعملون عقولهم في تدبر الأمثال.

وقوله: ﴿فأنتم فيه سواء﴾ جملة من مبتدأ وخبر في موضع فعل وفاعل وهما فتستووا وقوله: «فيه» متعلق «بسواء» ومحلها النصب على جواب الاستفهام الذي بمعنى النفي كأنه قيل: هل لكم من كيت وكيت فتستووا». والمعنى أنهم لا يملكون فيساووكم هذا ما ذكره أبو البقاء بقوله: ﴿فأنتم فيه سواء﴾ جملة اسمية في موضع نصب جواب الاستفهام أي هل لكم فتستووا. انتهى كلامه بعبارته. وفيه نظر لأنه كيف يجوز أن تجعل الجملة الاسمية حالة محل الجملة الفعلية ويحكم على موضع الاسمية بالنصب بإضمار ناصب وهذا لا يجوز إلا أن يقال: إن الحكم بهذه الجملة الاسمية جواب الاستفهام المذكور قبله وهذا كلام حق.

قوله تعالى: (فأنتم فيه سواء) أي هل أنتم ومماليككم في شيء تملكونه أنتم سواء؟ وليس كذلك ولما لم يكن لله تعالى شريك في شيء كان لا يملك الذي تدعون إلٰهيته شيئًا أصلاً فلا يعبد لعظمته ولا لمنفعة تصل إليكم منه. وقوله تعالى: ﴿تخافونهم﴾ فيه وجهان: أحدهما أنه خبر ثان «لأنتم» تقديره: فأنتم مستوون معهم فيما رزقناكم خائفون كخوف بعضكم بعضًا أيها الأحرار السادات، والمراد نفي الأشياء الثلاثة أعني الشركة والاستواء مع العبيد وخوفهم إياهم. وليس المراد نفي ثبوت الشركة ونفي الاستواء والخوف كما هو أحد الوجهين في قولك: ما تأتينا فتحدثنا بمعنى ما تأتينا محدثًا بل تأتينا ولا تحدثنا بل المراد نفي الجميع كما تقدم. والوجه الثاني أن تخافونهم في محل النصب على أنه حال من ضمير الفاعل في سواء أي فأنتم فيه مستوون خائفين عبيدكم خيفة مثل خيفتكم الأحرار الذين هم أمثالكم إذا كان بينكم وبينهم شركة فإذا لم ترضوا أن يشارككم عبيدكم في المال فكيف تشركون بالله من هو مصنوع له؟ واعلم أن المثل لا بد أن يشابه الممثل به من وجه ويخالفه من وجه آخر ووجه المشابهة ههنا ظاهر، وأما وجه المخالفة فقد أشير إليه في الآية بوجوه: الأول أشير إليه بقوله: «من أنفسكم» أي من نسلكم مع حقارة أنفسكم ونقصانها وعجزها وجلالته تعالى وعظمته وقدرته وكماله وأشير إلى الثاني بقوله: «مما ملكت إيمانكم» أي من عبيد لكم عليهم ملك اليد الطاري القابل للنقل والزوال أما النقل فبالبيع وغيره وأما الزوال

. ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ بالإشراك ﴿أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ جاهلين لا يكفهم شيء فإن العالم إذا اتبع هواه ربما ردعه علمه. ﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ فمن يقدر على هدايته ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم من آفاتها. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ فقومه له غير ملتفت أو ملتفت عنه وهو تمثيل

فبالعتق، فمملوكه تعالى لا خروج له عن الملك بوجه من الوجوه فإذا لم يجز أن يكون مملوك يمينكم شريكًا لكم مع أنه يجوز أن يصير مثلكم من جميع الوجوه بل هو في الحال مثلكم في الأدمية حتى أنكم ليس لكم تصرف في روحه وآدميته بقتل وقطع وليس لكم منعهم من العبادة وقضاء الحاجة، فكيف يجوز أن يكون مملوك الله تعالى الذي لا يتصور خروجه عن ملك الله تعالى وهو مملوك له من جميع الوجوه شريكًا له؟ وأشير إلى الثالث بقوله: «من شركاء فيما رزقناكم» يعني في الذي هو في الحقيقة ليس لكم بل هو لله ومن رزقه حقيقة فإذا لم يجز أن يكون لكم شريك فيما هو لكم من حيث الاسم وفي ظاهر الأمر فكيف يجوز أن يكون له تعالى شريك فيما هو له حقيقة بل كل شيء فهو لله تعالى وما تدعون إلٰهيته لا يملك شيئًا أصلاً فلا يعبد لعظمته ولا لمنفعة تصل إليكم منه، وأما قولكم «هؤلاء شفعاؤنا» فليس كذلك لأنه إذا لم يكن لما ملكت أيمانكم مع مساواته إياكم في الحقيقة والصفة حرمة عندكم كحرمة الأحرار، فكيف يكون حال المماليك الذين لا مساواة بينهم وبين المالك الحق بوجه من الوجوه، هل يتصور أن يكون لهم حرمة عند المالك المطلق؟ وإلى هذا أشير بقوله تعالى: ﴿تخافونهم كخيفتكم﴾ ثم إنه تعالى لما بيّن بطلان الشرك بما ضربه من المثل بعد بيان دلائل الوحدانية وبعدما بين حسن ذلك التمثيل بقوله: «وكذلك نفصل» أي مثل ذلك التفصيل العجيب والبيان الغريب نبين الآيات قال: ﴿بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم﴾ أي لكن الذين أشركوا اتبعوا أهواءهم فيما ذهبوا إليه من الشرك من غير دليل جهلاً بما يجب عليهم، ثم بيّن أن ذلك بإرادة الله تعالى حيث قال: ﴿فمن يهدي من أضل الله﴾ أي هؤلاء أضلهم الله فلا هادي لهم فلا يحزنك شأنهم، ثم قال: إذا بان لك بطلان الشرك بما أوضحنا لك من الآيات ﴿فأقم وجهك للدين حنيفًا﴾ أي غير ملتفت يمينًا وشمالاً، هذا على أن يكون «حنيفًا» حالاً من فاعل «أقم» أو غير ملتفت عنه على أن يكون حالاً من «الدين». والحنيف من الحنف وهو الاعوجاج في الرجل بأن تقبل إحدى إبهامي رجليه على الأخرى والرجل أحنف، وقد سمي المسلم المستقيم في أمر الدين حنيفًا بطريق تسمية أحد الضدين باسم الآخر تلميحًا كما يسمى الغراب أعور، أو لكونه مائلا إلى الدين الحق في كل حال وكل وقت. **قوله**: (وهو تمثيل) لأن الدين هو الإقبال على طاعة الله تعالى بالجنان واللسان والأركان، وهو ليس من قبيل الأعيان الخارجية حتى يتصور تقويم

للإقبال والاستقامة عليه والاهتمام به. ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ خلقته نصب على الإغراء أو المصدر لما دل عليه ما بعده ﴿ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ خلقهم عليها وهو قبولهم للحق وتمكنهم من إدراكه أو ملة الإسلام، فإنهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم إليها.

الوجه إليه حقيقة فلذلك جعله من قبيل التمثيل بمعنى أنه شبه إقبال القلب على الدين وثباته عليه واهتمامه برعاية حدوده وأركانه بإقبال الشخص إلى موضع معين وقصده إياه وتقويم وجهه إلى سمته معتقدًا بأنه لو انحرف عنه ضل عن مقصده فعبر عن المشبه باسم المشبه به وهو التقويم ثم اشتق منه أقم.

قوله: (نصب على الإغراء) أي الزموا فطرة الله أو عليكم فطرة الله أو على المصدر أي المصدر المؤكد لمضمون الجملة كقوله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨] و﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٨٨] أي فطركم الله فطرة. فسر الفطرة بالخلقة ثم بيّن أن المراد بها أحد ثلاثة أوجه فتكون الخلقة على جميع تلك الوجوه بمعنى ما خلق عليه المكلف. الوجه الأول أن تكون الفطرة عبارة عن قبولهم الحق وتمكنهم من إدراكه، فإنه تعالى خلق المكلفين على الجبلة السليمة والطبع المتهيىء لقبول الدين الحق وهو التوحيد والطاعة فلو تركوا عليها لاستمروا على لزومها لأن هذا الدين موجود حسنه في العقول ويقتضيه النظر الصحيح، ولا يعدل عنه أحد إلا بآفة عارضة كالتقليد وإغواء شياطين الإنس والجن، فمن سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام: «كل من يولد يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جذعاء حتى تكونوا أنتم تجذعونها؟ قالوا: يا رسول الله أفرأيتم من يموت وهو صغير؟ قال: الله أعلم بما كانوا يعملون». قال الإمام القاشاني في تأويلاته: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠] أي الوصف الأعلى بالفردانية في الوجود والوحدة الذاتية وما أحسن قول مجاهد في معناه: هو لا إله إلا الله فأقم وجهك للدين التوحيد، والوجه هو الذات الموجودة مع جميع لوازمها وعوارضها وإقامته للدين تجريده عن كل ما سوى الحق قائمًا بالحق والوقوف مع الحق غير ملتفت إلى نفسه ولا إلى غيره، حنيفًا مائلاً منحرفًا عن الأديان الباطلة التي هي طريق الأغيار والأنداد لمن أثبت غيره بإشراكه بالله ﴿فطرة الله﴾ أي الزموا فطرة الله وهي الحال التي فطرت الحقيقة الإنسانية عليها من الصفاء والتجرد في الأزلي وهي الدين القيم أزلاً وأبدًا لا يتغير ولا يتبدل عن الصفاء الأزلي ومحض التوحيد الفطري، وتلك الفطرة الأزلية ليست إلا من الفيض الأقدس الذي هو عين الذات من وقع عليها لم يمكن انحرافه عن التوحيد واحتجابه عن الحق، وإنما يقع الانحراف والاحتجاب من غواشي النشأة وعوارض الطبيعة عند الخلق والتربية والعادة. أما الأول فلقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي: «كل عبادي

وقيل: العهد المأخوذ من آدم وذريته. ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ لا يقدر أحد أن يغيره أو ما ينبغي أن يغير. ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الدين المأمور بإقامة الوجه له أو الفطرة إن فسرت بالملة ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ المستوي الذي لا عوج فيه. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ استقامته لعدم تدبرهم.

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ راجعين إليه من أناب إذا رجع مرة بعد أخرى. وقيل: منقطعين إليه من الناب وهو حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله أو في «أقم» لأن الآية

خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بي غيري». وأما الثاني فلقوله عليه الصلاة والسلام: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه» لا أن تتغير تلك الحقيقة في نفسها عن الحالة الذاتية فإنه محال وذلك معنى قوله: ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ **تلك الحقيقة. انتهى كلامه قدس سره. والوجه الثاني أن تكون الفطرة عبارة عن الدين الذي هو ملة الإسلام فإن الدين والملة متحدان بالذات مختلفان بالاعتبار فإن كل واحد منهما عبارة عما شرعه الله تعالى لعباده وسنه لهم على لسان أنبيائه ليتوصل به إلى أجل ثوابه، إلا أن ذلك يسمى ملة باعتبار أنه تعالى أنزل في حقه ما يمليه العباد ويكتبونه ويتدارسونه فيما بينهم لأن الملة من أمللت الكتاب أي أمليت، ويسمى دينًا باعتبار طاعة العباد لمن سنه وانقيادهم لأمره من قولهم: دان له أي ذل وأطاع، والناس مفطورون على ملة الإسلام ضرورة أنهم مخلوقون على قبول ما تطابقت الأدلة العقلية على حقيته وصدقه والاتصاف به فكانوا مخلوقين على الإسلام إلى أن صرفهم عنه صارف، فالظاهر على هذا الوجه أن يكون فطرة الله منصوبًا على الإغراء إذ ليس لقولنا: فطرهم الله فطرة هي الإسلام وجه ظاهر. والوجه الثالث أن يراد بالفطرة العهد المأخوذ عليهم بقوله تعالى:** ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] **وكل مولود في العالم على ذلك الإقرار وهي الحنيفة التي وقعت الخلقة عليها وإن عبد غيره. ت ل الله تعالى** ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] **وقالوا:** ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٣] **ولكن لا عبرة بالإيمان الفطري في أحكام الدنيا وإنما يعتبر الإيمان الشرعي المأمور به المكتسب بالإرادة والعقل، ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام بقوله: «يهودانه وينصرانه» جعله في حكم أبويه مع وجود هذا الإيمان الفطري فيه؟ قوله: (لا يقدر أحد أن يغيره) على تقدير أن يراد بفطرة الله خلقهم قابلين للتوحيد ودين الإسلام، فإن خلقهم على هذه القابلية أمر تعلق به قضاء الله تعالى وإرادته فمن يقدر على تغييره. قوله: (أو ما ينبغي أن يغير) على تقدير أن يراد بها الإسلام أو الإقرار الفطري فيكون «لا تبديل» نفيًا في معنى النهي. قوله: (إذا رجع مرة بعد أخرى) مبني على أن همزة أناب أفعل من النوبة. قوله: (من الناب) وهو السن**

خطاب للرسول والأمة لقوله: ﴿وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ غير أنها صدرت بخطاب رسول الله ﷺ تعظيمًا له. ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف أهوائهم. وقرأ حمزة والكسائي «فارقوا» بمعنى تركوا دينهم الذي أمروا به ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ فرقًا تشايع كل إمامها الذي أصل دينها. ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ مسرورون ظنًا بأنه الحق. ويجوز أن يجعل «فرحون» صفة «كل» على أن الخبر «من الذين فرقوا». ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾ شدة ﴿دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ راجعين إليه من دعاء غيره ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ خلاصًا من تلك الشدة. ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ فاجأ فريق منهم الإشراك بربهم الذي عافاهم ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ اللام فيه للعاقبة. وقيل: للأمر بمعنى التهديد لقوله: ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ غير أنه التفت فيه مبالغة وقرىء «وليتمتعوا» ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ عاقبة تمتعكم. وقرىء بالياء على أن تمتعوا ماضٍ.

فكأن القائل جعل همزة أناب للصيرورة بمعنى صار ذا ناب وجعله كناية عن التقوى بالانقطاع إليه تعالى. **قوله تعالى:** (ولا تكونوا من المشركين) قيل: إنه متصل بما قبله والمعنى: فأقيموا الصلاة ولا تتركوها فشؤم تركها قد يفضي إلى الكفر. قال محمد بن أسلم الطوسي: بلغني عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «من ترك صلاة متعمدًا فقد كفر» وقد كان بلغني عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «إذا روي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله تعالى فإن وافق كتاب الله تعالى فاقبلوه، وإن خالفه فردوه». فطلبت صحة الحديث الأول في القرآن ثلاثين سنة حتى وجدته في هذه الآية. كذا في التيسير. **قوله:** (ويجوز أن يجعل فرحون صفة كل) والتقدير: كل حزب فرحون بما لديهم كائنون من الذين فرقوا دينهم وجعلوه أديانًا مختلفة على حسب اختلاف أديانهم. وإنما رفع «فرحون» على أنه صفة «كل» وإن كان الشائع في مثله أن يكون تابعًا للمضاف إليه لأن كلاً كأسماء العدد في أن الوصف الذي يجيء بعدها ينبغي أن يكون للمضاف إليه فإنك تقول: جاءني ثلاثة رجال كاملين ولا تقول: كاملون. ثم إنه تعالى وبخ هذه الفرق المختلفة الأديان بقوله ﴿وإذا مس الناس ضر﴾ أي شدة كالمرض والقحط ونحوهما يعني أنهم يتفقون عند إصابة الضر في دعاء رب العالمين راجعين إليه من دعاء غيره.

قوله: (اللام فيه للعاقبة) أي لم يترتب على إشراكهم سوى الكفر بنعمة الإنجاء من تلك الشدة. ثم إنه تعالى أضرب عن تقريعهم على إشراكهم حال الرخاء وإنابتهم إليه حال الشدة إلى تقريعهم بوجه آخر وهو اتخاذهم الدين من غير حجة تدل على صحته فقال: ﴿أم

﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ حجة وقيل: ذا سلطان أي ملكًا معه برهان. ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ تكلم دلالة كقوله: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩] أو نطق ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ (٣٥)﴾ بإشراكهم وصحته أو بالأمر الذي بسببه يشركون به وألوهيته ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾ نعمة من صحة وسعة ﴿فَرِحُوا۟ بِهَا﴾ بطروا بسببها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ شدة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بشؤم معاصيهم ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٣٦)﴾ فاجؤوا القنوط من رحمته. وقرأ أبو عمرو والكسائي بكسر النون ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣٧)﴾ فيستدلون بها على كمال القدرة

أنزلنا عليهم سلطانًا﴾ فإن أم» فيه منقطعة والهمزة التي في ضمنها للإنكار أي أنزلنا عليهم حجة تتكلم أي تدل وتشهد بإشراكهم به أي بالله تعالى وصحته. ويحتمل أن تكون «أم» متصلة ويقدر عديلها قبلها والتقدير: أيشركون بمجرد التشهي واتباع الهوى أم أنزلنا عليهم سلطانًا فهم لذلك معذورون في الشرك في الرخاء مع إضلالهم في الشدة. **قوله:** (أو بالأمر الذي) على أن تكون «ما» في قوله: ﴿بما كانوا﴾ موصولة وأن يكون المراد بالسلطان ملك معه برهان لأن نفس الحجة لا تتكلم بالأمر الذي بسببه يشركون، فإن المراد بالأمر دليلهم الذي أشركوا بسببه، ثم ذكر من جملة قبائحهم بطرهم عند النعمة ويأسهم عند الشدة فقال: ﴿وإذا أذقنا الناس﴾ يعني الكفرة ﴿رحمة فرحوا بها﴾ فرح البطر وتركوا الشكر ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ أي أمر يسوءهم من قحط ومجاعة ﴿بما قدمت أيديهم﴾ أي بسبب معاصيهم سواء كسبوها بأيديهم أم لا، وقيّدها باليد إقامة للأكثر مقام الكل واتباعًا للأقل بالأكثر، لأن أكثر المعاصي يقع باليدين لم يذكر الله تعالى ما يكون سببًا لإذاقة الرحمة وذكر سبب إصابة السيئة إياهم، لأن الأول تفضل من الله تعالى ورحمة محض لا يقتضيه شيء من أعمال العبد بخلاف الثاني فإنه مقتضى العدل فإنه تعالى يجازي المعصية بما يماثلها من العقوبة. فإن قيل: الفرح بالنعمة مأمور به لقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس: ٥٨] فكيف ذمهم ههنا على الفرح بالرحمة؟ أجيب بأن المأمور به الفرح برحمة الله تعالى من حيث إنها مضافة إليه والمذموم ههنا هو الفرح بنفس الرحمة حتى لو كان المطر مثلاً من عند غير الله تعالى لكان فرحهم به مثل فرحهم إذا كان من الله، ولا شك أن قصر النظر على نفس النعمة مقتضى البهيمية بخلاف الفرح الناشىء من تذكر المنعم إياها وملاحظة أن المنعم نظر إليه بعين الرأفة ونظر الرضى وفرق بين الفرحين. ثم إنه تعالى أنكر على فرحهم حال الرخاء وقنوطهم حال البلاء فقال: ﴿أولم يروا أن الله يبسط﴾ أي كيف يفرحون ويقنطون حالي السراء والضراء أو لا يعلمون أن ضر المرء ليس لهوانه على الله تعالى ولا سعته لكرامته عليه

والحكمة ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ كصلة الرحم. واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به. ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ ما وظف لهما من الزكاة والخطاب للنبي ﷺ أو لمن بسط له ولذلك رتب على ما قبله بالفاء. ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ ذاته أو جهته أي يقصدون إياه بمعروفهم خالصًا أو جهة التقرب إليه لا جهة أخرى. ﴿وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾ حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم.

لكنه تعالى يمتحن عباده بما يشاء من العسر واليسر، فعلى العبد أن يشكر حال السراء ويصبر على الضراء ويشتغل بالافتقار إليه في الحالين لا أن ينقطع عنه ويتعلق بالنعمة ولا أن ييأس من رحمته حال النقمة. قوله: (كصلة الرحم) **يعني أنه ليس المراد بحق ذي القربى حقًا كان له عليك بل المراد به حاجته عندك من المواصلة بالبر كما في قوله تعالى: ﴿مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ [هود: ٧٩] أي حاجة. قال قتادة: إذا كان لك ذو قرابة فلم تصله من مالك ولم تمش إليه برجلك فقد قطعته. وقال الزجاج: وكأن فرائض المواريث نسخت هذا. واحتج أبو حنيفة رحمه الله بهذه في وجوب النفقة للمحارم من ذوي القرابة إذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب. وعن الإمام الشافعي رضي الله عنه: لا نفقة بالقرابة إلا على الولد والوالدين والمسكين إذا وقع في ورطة الحاجة حتى بلغ الشدة يجب على من له مقدرة دفع حاجته وإن لم يكن ممن تجب عليه الزكاة، وكذلك من انقطع في مفازة ومع آخر دابة يمكنه أن يوصله بها إلى من يلزمه ذلك. واختلف في ابن السبيل؛ فقيل: المراد به المنقطع عن ماله فيعان حتى يصل إلى ماله. وقيل: المراد به الضيف الذي ينزل به فيحسن إليه إلى أن يرجع ويرتحل. وقيل: أراد بحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما في آية الصدقة. قوله:** (وجوب النفقة للمحارم) **أراد به المحارم بسبب القرابة، فإن مجرد المحرمية لا توجب النفقة بالإجماع كالمحرمية بسبب الرضاع والمصاهرة كما لا يوجبها مجرد القرابة بدون المحرمية فإن من كان ذا رحم ولم يكن محرمًا كأولاد العم والخال لا تجب النفقة لهم. قوله:** (وهو غير مشعر به) **لأن الظاهر أنه أمر بتوفير حقهم من الصلة فإن صلة الرحم من الواجبات المؤكدة، وحمله على الأمر بالإنفاق مع أن الظاهر كونه أمرًا بتوفير حقهم من الصلة لا وجه له ولا سيما أن المراد بإيتاء المساكين وابن السبيل التصدق عليهما بالإنفاق مع أن تخصيص ذوي القربى بذي الرحم المحرم تخصيص بلا مخصص. قوله:** (ولذلك) **أي ولكون الخطاب لما ذكر رتب قوله: «فآت» على ما قبله بالفاء، فإن الخطاب على تقدير كونه للنبي ﷺ يدخل فيه أمته إذا لم يكن الحكم المخاطب به من خصائصه عليه الصلاة والسلام ويكون تخصيصه عليه الصلاة والسلام بالخطاب تعظيمًا له، فكأنه قيل: إذا**

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ زيادة محرمة في المعاملة أو عطية يتوقع بها مزيد مكافأة. وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من إعطاء ربوًا ﴿لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ ليزيد ويزكو في أموالهم. ﴿فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه. وقرأ نافع ويعقوب «لتربوا» أي لتزيدوا أو لتصيروا ذوي ربوا ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ تبتغون به وجهه خالصًا ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾

علمتم أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لا ينبغي لكم التوقف في الإحسان إلى المحتاجين فإنه تعالى إذا شاء أن يبسط لكم الرزق فظاهر أنه لا ينتقص بالإنفاق، وإن شاء أن يضيق عليكم فلا يزداد بالإمساك فلا يحصل لكم بالإمساك إلا دناءة البخل.

قوله: (أو عطية يتوقع بها مزيد مكافأة) فإن حمل الربا على هذه العطية لا يخلو عن بعد لأن نفس تلك العطية ليست بزيادة وإنما الزيادة ما يتوقع بها فلا يكون معطيها مؤتيًا للربا فضلاً عن أن يكون إعطاؤه ليربو في أموال الغير بل يكون آخذًا بخلاف من أعطى أكلة الربا فضلاً خاليًا عن العوض فإنه معطي للربا ليربو أي ليزيد في أموال من أخذه شيئًا، فحمل الربا المذكور في الآية على الزيادة المحرمة ظاهر إلا أنه لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ومن عامة أهل التأويل أن المراد بالربا هنا هدية الرجل يهديها ليثاب أكثر منها اقتفى المصنف أثرهم فسمى مهديها مؤتيًا للربا. ولعل إطلاق اسم الربا عليها لكونها سببًا لأخذ الربا كما ورد في الحديث: «المستغزر يثاب من هبته» وهو الذي يطلب أكثر مما يهدي، فإن الغزارة الكثرة، قوله: «يثاب» أي يعوض ويجازى، فعلى هذا يكون قوله: «ليربو» مسندًا إلى ضمير الربا بمعنى العطية والمعنى: ليزيد ذلك الربا في جذب أموال الناس وجلبها، وقوله: ﴿فلا يربو عند الله﴾ أي ليس له أجر ثابت عند الله. قال أهل التأويل: هذا ربا حلال لا وزر فيه إلا أنه إنما يباح في حق عامة الناس، وأما في حق النبي عليه الصلاة والسلام فلا يربو لقوله تعالى في حقه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦] أي لا تعط لتعطى أكثر منه ابتغاء لثواب الدنيا ولكن أعط ابتغاء لثواب الآخرة. وقرأ عامة القراء «آتيتم» بالمد بمعنى أعطيتم. وقرأ ابن كثير «أتيتم» مقصورًا وهو يؤول من حيث المعنى إلى القراءة المشهورة لأنه يقال: آتى معروفًا وأتى قبيحًا إذا فعلهما. وقرأ نافع ويعقوب «لتربوا» بضم التاء الفوقانية وسكون الواو على الخطاب أي لتزيدوا أو تصيروا ذوي زيادة من أموال الناس. وقرأ الآخرون بفتح الياء التحتانية ونصب الواو وجعلوا الفعل مسند إلى ضمير الربا أي ليزداد. قوله: (تريدون وجه الله) صفة زكاة فلا بد فيه من ضمير يعود إلى الموصوف أي تريدون بها، أو حال من فاعل «آتيتم». والمقصود من التقييد الإشارة إلى أن الاعتبار بالقصد والنية لا بنفس الفعل والظاهر أن يقال: فأنتم المضعفون ليوافق قوله: ﴿وما آتيتم﴾ ...

ذوو الأضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار، أو الذين ضعفوا أثوابهم أو أموالهم ببركة الزكاة. وقرىء بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظمًا للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم، كأنه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفًا لحالهم أو للتعميم كأنه قال: فمن فعل ذلك فأولئك هم المضعفون. والراجع منه محذوف إن جعلت «ما» موصولة تقديره: المضعفون به أو فمؤتوه أولئك هم المضعفون. ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ أثبت له لوازم الألوهية ونفاها رأسًا عما اتخذوه شركاء له من الأصنام وغيرها مؤكدًا بالإنكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق،

التفت إلى الغيبة فقيل: ﴿فأولئك هم المضعفون﴾ لكونه أمدح لهم من أن يقال: أنتم المضعفون لما فيه من تشهير أمرهم بين خواص خلقه وإظهار الرضى عنهم بحسن صنيعهم، فكأنه قال لملائكته وخواص خلقه: فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم المضعفون، ولو قيل: فأنتم المضعفون لما حصل التشهير المذكور لكونه كلامًا جاريًا بينهم وبين الله تعالى. **قوله:** (ذوو الاضعاف) فيكون بناء أفعل لصيرورة الفاعل ذا ضعف كما في: اعقر بمعنى صار ذا عقر وأقوى وأيسر بعنى صار ذا قوة ويسار، وعلى الثاني للتعدية كما في نحو: أخرجته. **قوله:** (وتغييره عن سنن المقابلة) فإن مقابلته بقوله: ﴿وما آتيتم من ربا﴾ تستدعي أن يقال في خبره: فيربو ويزداد عند الله. وعدل عن عبارة الربا إلى عبارة الضعف وعن نظم الفعلية إلى نظم الاسمية المفيدة للحصر للمبالغة في بيان ثوابه. **قوله:** (أو للتعميم) فإنه لو قيل: فأنتم المضعفون لم يكن الحكم إلا على ذوات المخاطبين، ولو أورد بدل «أنتم» اسم الإشارة لكان المشار إليه المخاطبين لا من حيث ذواتهم بل من حيث كونهم مؤتين للزكاة فيكون المعنى: من فعل ذلك فأولئك هم المضعفون. **قوله:** (إن جعلت ما موصولة) فإنه يجوز أن تكون شرطية وموصولة، ويصح دخول الفاء في الجواب على الوجهين. فإن كانت شرطية كان محلها النصب «بآتيتم» وإن كانت موصولة كانت في موضع رفع بالابتداء وعائدها محذوف أي والذي آتيتموه ويكون قوله: ﴿فأولئك هم المضعفون﴾ خبرًا أي جملة خبرية. وهذه الجملة لا بد فيها من العائد إلى المبتدأ فإن كان الالتفات فيه للتعظيم يكون تقدير الكلام: فأولئك هم المضعفون به وإن كان للتعميم يكون التقدير: فمؤتوه أولئك هم المضعفون، على أن مؤتوه مبتدأ ثانٍ وأولئك ثالث وهم المضعفون خبر الثالث والجملة خبر الثاني والثاني مع خبره خبر الموصول. ثم إنه تعالى ذكر دليل القدرة وفرع عليه صحة الحشر واستدل بذلك على تفرده بالألوهية فقال: ﴿الله الذي خلقكم﴾ الآية فقوله: «الله» مبتدأ خبره «الذي خلقكم» مع ما عطف عليه، والمعنى: الله فاعل هذه الأفعال الخاصة التي لا يقدر

ثم استنتج من ذلك تقدسه عن أن يكون له شركاء فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ ويجوز أن يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم، لأنه بمعنى من أفعاله و«من» الأولى والثانية تفيد أن شيوع الحكم في جنس الشركاء والأفعال، والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها مستقلة بالتأكيد لتعجيز الشركاء.

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق

أحد على شيء منها غيره، ومن المعلوم أن من قدر على الإبداء قدر على الحشر والإعادة، ومن قدر على جميع ذلك يكون منزهًا عن الشركاء والأنداد كما دل عليه بقوله: ﴿هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء﴾ وقوله: «من شركائكم» خبر مقدم و«من» فيه للتبعيض و«من يفعل» هو المبتدأ و«من ذلكم» متعلق بمحذوف لأنه حال «من شيء» بعده فإنه في الأصل صفة له فلما قدم عليه انتصب حالاً، و«من» الثالثة مزيدة في المفعول به لأنه في حيز النفي المستفاد من الاستفهام والمعنى: ليس من شركائكم من يفعل شيئًا من ذلكم على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق. **قوله:** (ويجوز أن يكون الموصول) أي ويجوز أن يكون قوله: «الذي خلقكم» صفة للمبتدأ ويكون الخبر قوله: «هل من شركائكم» والرابط لهذه الجملة بالمبتدأ قوله: «من ذلكم» لأن معناه من أفعالكم المختصة به لأن المشار إليه بذلكم هو الخلق والرزق والإماتة والإحياء ومن المعلوم أنها من أفعال الله تعالى. **قوله:** (تفيد أن شيوع الحكم في جنس الشركاء والأفعال) وذلك لأن الاستفهام فيه في معنى النفي. ومن المعلوم أن كلمة «من» الواقعة في سياق النفي تفيد الشيوع والعموم فالأولى تفيد شيوع الحكم في جنس الشركاء، والثانية تفيد شيوعه في جنس الأفعال فالمعنى: ليس شيء من جنس الشركاء من يفعل شيئًا من جنس الأفعال المختصة به تعالى.

قوله: (والموتان) وهو بضم النون موت عام يقع في المواشي وقيل: في الناس والدواب. والحرق والغرق كل واحد منهما بفتحتين على وزن الشفق اسم بمعنى الإحراق والإغراق. والإخفاق الخيبة يقال: أخفق الرجل إذا غزا ولم يغتم وأخفق الصائد إذا رجع ولم يصد شيئًا وطلب حاجة فأخفق. والغاصة جمع غائص وهو من ينزل في البحر على اللؤلؤ. وكثرة الغرق وإخفاق الغاصة مثالان لما ظهر في البحر من الفساد على أن المراد بالبحر البحر المعهود. قيل: فساد البحر يكون بقلة المطر فإنه إذا قل المطر قل الغوص لأن الأصداف تفتح أفواهها إذا مطر فما وقع فيها من ماء السماء فهو اللؤلؤ، فظهر به أن قلة المطر كما تفسد البر تفسد البحر. وقيل: المراد به ههنا المدائن والقرى التي كانت على شاطئ نهر أو بحر، وبالبر البرية التي ليست عند نهر أو بحر. قال السدي: البر كل قرية من قرى العرب بائنة من البحار كمكة والمدينة والبحر كالكوفة والشام والبصرة. وقيل: كانت

وإخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار، أو الضلالة والظلم. وقيل: المراد بالبحر قرى السواحل وقرى البحور ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ﴾ بشؤم معاصيهم أو بكسبهم إياه. وقيل: ظهر الفساد في البر بقتل قابيل أخاه، وفي البحر بأن جلندي كان يأخذ كل سفينة غصبًا. ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟﴾ بعض جزائه فإن تمامه في الآخرة واللام للعلة أو للعاقبة. وعن ابن كثير ويعقوب «نذيقهم» بالنون ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ عما هم عليه. ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ ليشاهدوا مصداق ذلك ويتحققوا صدقه. ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾

العرب تسمي الأمصار بحرًا. قيل: من أذنب ذنبًا يكون جميع الخلائق من الإنس والدواب والوحوش والطيور والذر خصماءه يوم القيامة لأنه تعالى يمنع المطر بشؤم المعصية فيتضرر بذلك أهل البحر والبر جميعًا. روي عن شقيق الزاهد أنه قال: من أكل الحرام فقد خان جميع الناس. قيل: أول فساد البر كان من قابيل حيث قتل أخاه هابيل، وأول فساد البحر كان من جلندي الملك حيث كان يأخذ كل سفينة غصبًا. قال الضحاك: كانت الأرض خضرة مونقة لا يأتي ابن آدم شجرة إلا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبًا وكان لا يفسد الأسد البقر والغنم، فلما قتل قابيل هابيل اقشعر ما في الأرض وشاكت الأشجار وصار ماء البحر ملحًا زعاقًا وقصد الحيوان بعضه بعضًا. **قوله**: (أو الضلالة والظلم) عطف على قوله: «كالجدب والموتان» أي ويجوز أن يراد بالفساد الظاهر في البر والبحر فساد الأفعال والأخلاق كالظلم والضلالة، كما جاز أن يراد به فساد أسباب المعاش كالجدب ونحوه مما فعله الله بهم بشؤم معاصيهم. فكلمة «ما» في قوله ﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ على الثاني موصولة والباء سببية أشار المصنف إليه بقوله: «بشؤم معاصيهم» وعلى الأول مصدرية أشار إليه بقوله: «بكسبهم إياه» واللام في قوله تعالى: ﴿ليذيقهم﴾ على الثاني للتعليل والمعنى: فعل الله بهم ما ظهر من فساد أسباب المعاش كالجدب ونحوه ليذيقهم بهذا الفساد ومحق البركات بعض جزاء ما عملوا. وعلى الأول للعاقبة فإن ما ظهر من الفساد في أفعالهم وأخلاقهم ليس غرضهم من كسبه أن يذيقهم الله تعالى وبال ما كسبوا، لكن لما ترتب ذلك على كسبهم إياه ترتب العلة الغائية على معلولها دخل عليه لام العلة كما في قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] ثم إنه تعالى لما هدد المفسدين ببيان أن المعصية سبب لتعجيل بعض العقوبة في الدنيا عقبه بقوله: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١١] وآيات أخرى. لتشاهدوا مصداق ذلك فإن أهل مكة لو سافروا منها إلى الشام لشاهدوا بلاد عاد وثمود وقوم لوط ونحوها وعلموا أنه تعالى أهلكهم بما كسبت أيديهم وخرب ديارهم وأذاقهم بعض جزاء أعمالهم القبيحة في الدنيا وهو أعلم بما يفعل بهم

استئناف للدلالة على أن سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم، أو كان الشرك في أكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ البليغ الاستقامة. ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ﴾ لا يقدر أن يرده أحد، وقوله: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ متعلق «بيأتي» ويجوز أن يتعلق بمرد لأنه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق إرادته القديمة بمجيئه. ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يتصدعون أي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ أي وباله وهو النار المؤبدة. ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ يسوون منزلاً في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص. ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ﴾ علة ليمهدون أو ليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للإشعار بأنه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ فإن فيه إثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتأكيد اختصاص الصلاح بهم المفهوم من ترك ضميرهم إلى التصريح

في العقبى. **قوله**: (استئناف للدلالة على أن سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم) فمعنى الاستئناف على هذا أنه تعالى أهلكهم جميعًا بفشو الشرك فيما بينهم، وأنه تعالى أهلك العامة بسبب الشرك وحده وإن لم يتفق الكل عليه إلا أنه لما شاع وغلب فيهم جعل الكل في حكم المشرك وهلكوا جميعًا بسببه كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]. **قوله**: (أو كان الشرك في أكثرهم إلى آخره) فمعنى الاستئناف على هذا أنهم أهلكوا جميعًا بما كسبت أيديهم ولم يهلك أحد من غير معصية إلا أن سبب هلاك أكثرهم هو الشرك الظاهر وسبب هلاك الباقين ما دون الشرك من المعاصي كاعتداء أصحاب السبت ونحوهم. ثم إنه تعالى لما بيّن أن المعاصي سبب لسخط الله تعالى في الدنيا أمر رسوله عليه الصلاة والسلام بأن يستقيم على الدين القويم تثبيتًا للمؤمنين على ما هم عليه إلا أنه تعالى خاطب به سيدهم تعظيمًا له ولكونه عليه الصلاة والسلام واسطة بينه تعالى وبين الأمة. **قوله**: (كما قال من كفر فعليه كفره) يعني أنه بيان لوجه التفرق ببيان أنه تعالى غني عنهم وعن أعمالهم. **قوله**: (والاقتصار) جواب عما يقال: إذا كان علة «ليصدعون» كان ينبغي أن يذكر جزاء الكافرين أيضًا. **قوله**: (فإن فيه إثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين) فإن عدم محبة الكافر كما يتضمن محبة ضده وإرادة اللطف والإكرام به يتضمن أيضًا بغض الكافر وإرادة الانتقام منه. ولا شك أن بغضه تعالى لأحد وإرادته الانتقام منه كمال العقوبة ومؤدي إلى أسوإ الجزاء والعياذ بالله، فاكتفى بهذه الدلالة الضمنية عن التصريح بجزاء الكافرين.

قوله: (وتأكيد اختصاص الصلاح بهم) أصل الاختصاص يفهم من تقييد «من» بقوله:

بهم تعليل له، وقوله: «من فضله» دال على أن الإثابة تفضل محض وتأويله بالعطاء أو الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ﴾ الشمال والصبا والجنوب فإنها رياح الرحمة، وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا» وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على إرادة الجنس. ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ يعني المنافع التابعة لها. وقيل: الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها أو الروح الذي هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات أو عليها باعتبار المعنى أو على يرسل بإضمار فعل معلل دل عليه. ﴿وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ يعني تجارة البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ ولتشكروا نعمة

﴿عمل صالحًا﴾ **وتأكيده يفهم من وضع الظاهر موضع الضمير في قوله:** ﴿ليجزي الذين آمنوا﴾ **فإن مقتضى الظاهر أن يقال: ليجزيهم، فلما وضع الموصول موضع الضمير وجعل الصلاح صلة له أكد به اختصاص الصلاح بهم وتمييزهم به عن أضدادهم فقصد بهذا التأكيد تعليل إثبات البغض للكافرين وإثبات المحبة للمؤمنين، وكونه علة لمجازاة المؤمنين من فضلة ظاهر وأما كونه علة لبغض الكافرين فلكون اختصاص الصلاح بالمؤمنين يتضمن فساد الكافرين** وهو علة لبغضهم والانتقام منهم. **قوله:** (**وتأويله بالعطاء أو الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر**) طعن لصاحب الكشاف، ووجه الطعن أن الفضل اسم لما يتفضل به من غير استحقاق واستيجاب والإثابة كذلك عند أهل السنة، فإنه تعالى لا يجب عليه شيء وأن المكلف لا يستحق أن يثاب بعمله مع أنه سبق من نعم الله تعالى عليه ما لم يتهيأ له القيام بشكر واحدة منها فضلاً عن أن يقوم بشكر كلها ويستحق بعد ذلك أجرًا زائدًا عليها بخلاف العقوبات فإنها إنما تصل إلى العبد بحسب استحقاقه لها عدلاً، والمعتزلة ذهبوا إلى وجوب إثابة المطيع على حسب الاستحقاق ولم يتأت لهم القول بأن أصل الإثابة تفضل، فلذلك فسره صاحب الكشاف بما يتفضل به عليهم بعد توفية الواجب من الثواب أو أراد من عطائه.
قوله: (الشمال والصبا) الرياح أربع: الجنوب والشمال والصبا والدبور، فريح الشمال تجيء من ناحية القطب، والجنوب تقابلها، والصبا تخرج من جانب المشرق، والدبور تقابلها والنكباء ما بين الريحين. **قوله:** (يعني المنافع التابعة لها) أي لبشارتها بالمطر أو لنفس الرياح فتكون من قبيل التعميم بعد التخصيص ثم للتخصيص بعد التعميم، والأول أظهر وأولى.
قوله: (والعطف على علة محذوفة) أي يرسل الرياح مبشرات ليبشركم بها وليذيقكم أو على مبشرات باعتبار المعنى، فإن تقييد الفعل بالحال يدل على كونها علة له كأنه قيل: ليبشركم وليذيقكم. وعلى التقديرين يكون حرف الجر متعلقًا بقوله: ﴿أن يرسل﴾ فإن جعل من قبيل

الله فيها. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ بالتدمير ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ إشعارًا بأن الانتقام لهم وإظهارًا لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم. وعنه عليه الصلاة والسلام: «ما من امرىء مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقًا على الله أن يرد عنه نار جهنم». ثم تلا ذلك. وقد يوقف على «حقًا» على أنه متعلق بالانتقام. ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ﴾ متصلاً تارة ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ في سمتها ﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾

عطف الجملة على الجملة وكان تقدير الكلام: ويرسلها ليذيقكم ولكذا وكذا كان الجار متعلقًا بالفعل المضمر المعلل «التجري». ووجه دلالة قوله: ﴿ولتجري الفلك﴾ على إضمار الفعل أن جريان الفلك وابتغاء الفضل ليسامر تبين على إرسال الرياح حال كونها مبشرات بل على إرسالها مطلقًا، فلما لم يتعلق بالفعل المقيد قدر فعل آخر يتعلق به «ليذيقكم» وقوله تعالى: ﴿بأمره﴾ إشارة إلى أن الفلك لا تجري بطبع الريح بناء على أنها قد تكون عاصفة وقد لا تكون ملائمة للمقصد، فحينئذٍ لا بد من إرسال السفن والإحسان بحبسها. وعلى التقديرين: لا تجري الفلك بنفسها ولا بالرياح بل إنما تجري بإرادة الله تعالى وجعله الريح موافقة للمقصد. ثم إنه تعالى لما بالغ في تعديد دلائل الوحدانية والقدرة التامة على البعث والجزاء، ثم أصر من أصر على الشرك والتكذيب سلى رسوله عليه الصلاة والسلام على وجه يتضمن التهديد والوعيد للمكذبين فقال: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم﴾ والفاء في قوله: ﴿فانتقمنا من الذين أجرموا﴾ فصيحة تفصح أن في الكلام مطويًا، وتقدير الكلام: فجاؤوهم بالبينات أي بالدلائل الواضحة على صدقهم في دعوى الرسالة فصدقت طائفة منهم رسولها وآمنت به وكذبه الآخرون وأجرموا فانتقمنا من الذين أجرموا بأن أهلكناهم وأنجينا من آمن منهم بالرسل ولا شك أن إهلاك أعدائهم وإنجاءهم من شر أعدائهم ومما أصابهم من العذاب نصر عزيز لهم، فلذلك قال الله تعالى: ﴿وكان حقًا علينا نصر المؤمنين﴾ حيث أنجاهم مع الرسل وأهلك المكذبين. وقيل في تفسيره: وكان حقًا علينا نصر المؤمنين حيث جعل العاقبة للمؤمنين كقوله: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨] وقيل: معناه وكان حقًا علينا نصر المؤمنين بالحجج التي أعطاهم إياها أي كان حقًا علينا إعطاء الحجج لهم ونصرهم ومعونتهم بالحجج، وأورد الحديث لتأكيد أن اسم «كان» هو نصر المؤمنين وأن المعنى: دمرنا المجرمين نصرة للمؤمنين وإظهارًا لكرامتهم وعلى تقدير أن يوقف على «حقًا» يكون اسم «كان» ضمير الانتقام وهو خلاف ما يدل عليه الحديث لأنه عليه الصلاة والسلام ذكر أنه «كان حقًا على الله تعالى أن يرد عنه نار جهنم» واستدل عليه بقوله تعالى: ﴿وكان حقًا علينا نصر المؤمنين﴾. **قوله**: (في سمتها) أي في

سائرًا وواقفًا مطبقًا وغير مطبق من جانب دون جانب إلى غير ذلك. ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ قطعًا تارة أخرى. وقرأ ابن عامر بالسكون على أنه مخفف أو جمع كسفة أو مصدر وصف به. ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ في التارتين ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ يعني بلادهم وأراضيهم ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ بمجيء الخطب ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾ المطر ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ تكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم. وقيل: الضمير للمطر أو السحاب، أو الإرسال. ﴿لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾ لآيسين.

جهة السماء وجوهًا لا في نفسها كقوله: ﴿وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]. **قوله: (مطبقًا)** من قولهم: طبق الغيم تطبيقًا إذا أصاب مطره جميع الأرض ومطر طبق أي عام. والكسفة القطعة من الشيء وتجمع على كسف بفتح السين مثل حكمة وحكم. والكسف بالسكون يجوز أن يكون مخففًا منه ويجوز أن يكون صيغة أخرى لجمع كسفة. قال الجوهري: يقال: الكسف والكسفة واحد. وقال الأخفش: من قرأ «كسفًا من السماء» جعله واحدًا ومن قرأ «كسفًا» جعله جمعًا. والكسف بالفتح مصدر كسفت البعير إذا قطعت عرقوبه وكذلك كسفت الثوب إذا قطعته، ولم يذكر كون الكسف بالكسر مصدرًا.

قوله: (تكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر) لا خفاء في دلالة التكرير على التأكيد ووجه دلالته على بعد عهدهم بالمطر أنه لما صرفت العناية إلى بيان قبلية الإبلاس وتقدمه على نزول المطر بتكرير ما يدل على القبلية دل ذلك على طول عهدهم بالمطر واستحكام شدتهم وحيرتهم من فقدان المطر، فيكون استبشارهم بنزول المطر على قدر اغتمامهم بفقدانه. حكي أن آدم عليه السلام ناجى ربه يومًا فقال: إلٰهي أشهد أنك عدل تحب العدل لا تظلم في حكم تحكم به على خلقك أصلاً ولا تجور فيما تقضي، فما الحكمة فيما قضيت عليّ من الهوان بعد أن أكرمتني بكرامة لم تكرمها أحدًا قبلي؟ فأوحى الله تعالى إليه: من لم يذق ألم البعد لم يجد طعم القرب، ومن لم يجد طعم القرب استخف به ومن استخف بقربي ووصلي فقد استوجب الحرمان. **قوله:** (وقيل الضمير للمطر) عطف على قوله: «تكرير للتأكيد» فإن الضمير حينئذٍ يكون للتنزيل، ومن لم يجعله تكريرًا جعل القول الثاني مضافًا إلى ضمير المطر، وقد كان الأول مضافًا إلى تنزيله فلا تكرير لأن تنزيل المطر قبل نزوله. والمعنى: كانوا مبلسين قبل تنزيل المطر الواقع قبل نزوله. وقيل: الضمير للسحاب لأنه اسم جنس يجوز تذكيره وتأنيثه أو لإرسال الريح أي كانوا مبلسين من قبل أن ينزل عليهم المطر من قبل إرسال الريح أو من قبل نشر السحاب، لأن بعد الإرسال وبعد السحاب يعرف الخبير أن الريح فيها مطر وإن لم ينزل بعد، فقبل تنزيل المطر إنما يكون

﴿فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ أثر الغيث من النبات والأشجار وأنواع الثمار، ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص. ﴿كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ وقرىء بالتاء على إسناده إلى ضمير الرحمة ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ يعني الذي قدر على إحياء الأرض بعد موتها ﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ لقادر على إحيائهم فإنه إحداث لمثل ما كان في مواد أبدانهم من القوى كما أن إحياء الأرض إحداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية. هذا ومن المحتمل أن يكون من الكائنات الراهنة ما يكون من مواد ما تفتتت وتبددت من جنسها في بعض الأعوام السالفة. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ لأن نسبة قدرته إلى جميع الممكنات على سواء. ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ فرأوا الأثر أو الزرع فإنه مدلول عليه بما تقدم. وقيل: السحاب لأنه إذا كان مصفرًا لم يمطر. واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط، وقوله: ﴿لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾ جواب

الخلق مبلسين قبل إرسال الريح وبسط السحاب. ثم إنه تعالى لما ذكر أن الودق يصيب بلاد المبلسين وأراضيهم فيستبشرون به ويفرحون فرحًا يظهر أثره في بشرات وجوههم طعمًا في الخصب قال: ﴿فانظر إلى أثر رحمة الله﴾ أي فانظر يا من أنكر البعث وشاهد حياة الأرض لسبب نزول الغيث من خلال السحاب إلى أثر الغيث النازل وإلى أنه تعالى ﴿كيف يحيي الأرض﴾ بأنواع النبات ﴿بعد موتها﴾ أي بعد يبسها وجفافها. فالمراد برحمة الله ههنا المطر سمي المطر رحمة تسمية للمسبب باسم سببه، لأنه إنما يتكون ويصل إلى الخلق بسبب رحمة الله تعالى إياهم، والمراد بأثر تلك الرحمة ما يترتب على نزول المطر من النبات والأشجار وأنواع الثمار. وقرأ العامة «كيف يحيي» بياء الغيبة على إسناد الفعل إلى الله تعالى أو إلى أثر الرحمة عند من قرأ «أثر» بالإفراد» ومن قرأ بلفظ الجمع جعل «يحيي» مسندًا إليه تعالى وقرىء «تحيي» بتاء التأنيث على إسناده إلى ضمير الرحمة. **قوله**: (ومن المحتمل) عطف على قوله: «كما أن إحياء الأرض إحداث لمثل ما كان فيها من القوى» يعني أنه قول حقيق بالأخذ والقبول، فإن إحياء الأرض عبارة عن إعادة مثل ما كان فيها من القوى إلا أنه لا ينافي ذلك أن يكون من الكائنات الراهنة أي الثابتة المتجددة ما يكون من مواد الأشياء المتفتة في بعض الأعوام السالفة التي من جنس الكائنات الراهنة بأن يحدث الله تعالى في تلك المواد مثل ما كان فيها من القوى والصور الزائلة منها. ثم إنه تعالى لما بيّن أنهم عند تأخير الخير يكونون مبلسين وعند ظهوره يكونون مستبشرين ذكر بعده أنهم لو أصابت زرعهم ريح مفسدة لكفروا النعمة السابقة وجحدوها ولم يعطوا شيئًا من الأموال حقه فقال: ﴿ولئن أرسلنا ريحًا﴾ الآية قال تعالى أولاً الله الذي يرسل الرياح على طريق الإخبار وقال ههنا ﴿ولئن أرسلنا ريحًا﴾ بطريق الفرض والتقدير لأن الرياح النافعة من رحمته وهي متواترة وهو

سد مسد الجزاء، ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآيات ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رأيهم، فإن النظر السوي يقتضي أن يتوكلوا على الله ويلتجئوا إليه بالاستغفار إذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته، وأن يبادروا إلى الشكر والاستدامة بالطاعة إذا أصابهم برحمته ولم يفرطوا في الاستبشار وأن يصبروا على بلائه إذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه. ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ وهم مثلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم. ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾ قيد الحكم به ليكون أشد استحالة، فإن الأصم المقبل وإن لم يسمع الكلام تفطن منه بواسطة الحركات شيئًا. ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ سماهم عميًا لفقدهم المقصود الحقيقي من الإبصار أو لعمي قلوبهم. ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ فإن إيمانهم يدعوهم إلى تلقي اللفظ وتدبر المعنى. ويجوز أن يراد بالمؤمن المشارف للإيمان. ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾ لما تأمرهم به.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ أي ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف أساس أمركم كقوله: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] أو خلقكم من أصل ضعيف وهو النطفة.

تعالى رؤوف بالعباد ليس من شأنه الإفراط في التعذيب فلذلك ترى الرياح النافعة تهب في الليالي والأيام وفي البراري والآكام وريح السموم لا تهب إلا في بعض الأزمنة وفي بعض الأمكنة. وعبّر عن الريح النافعة بلفظ الجمع وعن الضارة بلفظ الواحد، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا» وذلك لأن النافعة كثيرة الأنواع والأفراد والضارة لا تهب إلا نادرًا. **قوله:** (ولذلك) أي ولكونه سادًا مسد الجزاء فسر بالاستقبال لأن كل واحد من الشرط والجزاء لا بد أن يكون مستقبلاً وإن كان على لفظ الماضي. **قوله:** (ناعية على الكفار) أي شاهدة عليهم مفضحة إياهم بما ذكر من الفضائح يقال: نعى عليه هفواته إذا شهره بها. ثم إنه تعالى لما أعاد من دلائل الآفاق قوله: ﴿وهو الذي يرسل الرياح﴾ الآية أعاد دليلاً من دلائل الأنفس أيضًا وهو خلق الآدمي فقال: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف﴾. **قوله:** (أي ابتدأكم ضعفاء) أي خلقكم أول ما خلقتم في حال كونكم أجنة وأطفالاً ضعفاء لا تقوون على شيء ولا يقوى شيء منكم على شيء، فصار كأن الضعف مبتدأ تكوينكم ومادة خلقتكم، فكلمة «من» لابتداء الغاية جعل حالة الضعف أساس أمرهم ومبدأ جبلتهم والضعف على حقيقته، وكون الإنسان مخلوقًا منه مجاز فإنه لما كان في بدء أمره ضعيفًا جعل كأنه خلق من الضعف. وعلى تقدير أن يكون المعنى خلقكم من أصل ذي ضعف وهو النطفة يكون الضعف مجازًا، وكون الإنسان مخلوقًا منه حقيقة. فعلى تقدير كون قوله: ﴿خلقكم من ضعف﴾ بمعنى ابتدأكم ضعفاء يكون قوله: ﴿ثم جعل من بعد

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٍ قُوَّةٗ﴾ وذلك إذا بلغتم الحلم أو تعلق بأبدانكم الروح. ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ﴾ إذا أخذ منكم السن. وفتح عاصم وحمزة الضاد في جميعها والضم أقوى لقول ابن عمر رضي الله عنه: قرأتها على رسول الله ﷺ من ضعف فأقرأني من ضعف. وهما لغتان كالعقر والعقر والتنكير مع التكرير لأن المتأخر ليس عين المتقدم. ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ من ضعف وقوة وشيبة وشبيبة. ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ٥٤﴾ فإن الترديد في الأحوال المختلفة مع إمكان غيره دليل العلم والقدرة. ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ القيامة سميت بها لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا، أو لأنها تقع بغتة وصارت علمًا لها بالغلبة كالكوكب للزهرة. ﴿يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ﴾ في الدنيا أو في القبور أو فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم. وفي الحديث: «ما

ضعف قوة﴾ بمعنى ثم جعلكم من بعد الضعف أقوياء تقوون على أشياء كثيرة ثم جعلكم من بعد تلك القوة والقدرة ضعفاء شيوخًا لا تقدرون على شيء مما تقدرون عليه قبل، وعلى تقدير كونه بمعنى خلقكم من أصل ذي ضعف يكون معنى ما بعده ثم خلق من بعد الضعف الكائن في ذلك الأصل قوة بتعلق الروح به وصيرورته إنسانًا يقوى على ما لا يقوى عليه ذلك الأصل ثم جعله شيخًا فانيًا كما قال: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ﴾ [الحج: ٥].

قوله: (والتنكير) أي تنكير ما ذكر ثانيًا وهو الذي دفع به تكرير الأول لأجل أن المتأخر ليس عين المتقدم، فإن النكرة إذا أعيدت معرفة تكون الثانية عين الأولى، وههنا لما لم تكن الثانية عين الأولى أعيدت نكرة، وهذا ظاهر على تقدير أن يكون الضعف الأول بمعنى الضعيف أو بتقدير المضاف والثاني على أصل معناه وليس بظاهر على الأول إلا أن يكون المراد بالضعف المخلوق منه ضعف المخاطبين كما يشعر به قوله: «ابتدأكم ضعفاء» وتنظيره بقوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء: ٢٨] وبالضعف الثاني جنس الضعف وحقيقته. **قوله:** (فإن الترديد في الأحوال المختلفة الخ) إشارة إلى وجه مناسبة قوله: ﴿وهو العليم القدير﴾ بتقديم العليم على القدير بعد تخصيصهما بالذكر. ثم في الآية دلالة على صحة البعث من حيث إن من قدر على أن يرد الحي في آخر حياته إلى أول حاله فغير بعيد أن يرده بعد موته إلى ما كان عليه في أول أمره. **قوله:** (لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا) يعني أن ساعات الدنيا أجزاء من أجزاء الزمان وسمي ما وقع في آخر ساعة من ساعات الدنيا ساعة بطريق تسمية الحال باسم المحل مجازًا، أو لأن الساعة بمعنى السرعة والبغتة كما يقول المستعجل: افعله في ساعة، والقيامة لما كانت بحيث تقع بغتة وفجأة سميت ساعة. ولما ذكر الله دلائل قدرته التامة واستدل بذلك على صحة البعث وقال:

بين فناء الدنيا والبعث أربعون». وهو محتمل للساعات والأيام والأعوام. ﴿غَيْرَ سَاعَةٍۚ﴾ استقلوا مدة لبثهم إضافة إلى مدة عذابهم في الآخرة أو نسيانًا. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق ﴿كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ يصرفون في الدنيا ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ من الملائكة أو الإنس ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ في علمه أو قضائه أو ما كتبه لكم أي أوجبه أو اللوح أو القرآن، وهو قوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ﴾ ردوا بذلك ما قالوه وحلفوا عليه. ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ الذي أنكرتموه ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ أنه حق لتفريطكم في النظر. والفاء لجواب شرط محذوف تقديره: إن كنتم منكرين البعث فهذا يومه أي فقد

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الروم: ٥٠] ذكر حال المشركين الذين ينكرون البعث كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾ فقال: ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون﴾ أي يحلفون. **قوله:** (وهو محتمل للساعات) روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون» فقيل: أربعون يومًا؟ قال أبو هريرة رضي الله عنه: أبيت وقيل: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت. وقيل: أربعون سنة؟ قال: أبيت. قال صاحب الكشاف: وهذا الوقت الذي ذكر في الحديث وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم. **قوله:** (استقلوا مدة لبثهم الخ) قيل: إنهم حلفوا بذلك كاذبين بدليل قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم: ٥٥]. قال الكلبي: كذبوا في قولهم: ﴿غير ساعة﴾ كما كذبوا في الدنيا بأن قالوا: لا بعث ولا حساب ولا جزاء يقال: أفك فلان إذا صرف عن الصدق وعن الخير أيضًا، فيكون المعنى كما صرفوا عن الصدق في حلفهم صرفوا عن الإيمان في الدنيا. **قوله:** (في علمه أو قضائه) الجوهري: الكتاب الفرض والحكم والقدر وقيل: الكاتب عندهم العالم. قال تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطور: ٤١؛ القلم: ٤٧] والكتب الجمع وجواب أولي العلم والإيمان للكفار بقولهم: ﴿لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾ يدل على أن مراد الكفرة ما لبثوا في القبور غير ساعة لأن لبثهم في الدنيا لم يكن منتهيًا إلى يوم البعث، واللبث لا يوصف به الفاني وهم فيما بين النفختين قد تفانوا، رد المؤمنين بالبعث العالمون به ما قاله المشركون وحلفوا عليه بأن قالوا لهم لقد لبثتم مدة طويلة إلى أن حضر يوم البعث وانقضت أيام الدنيا والمدة التي بين النفختين، ثم وصلوا ذلك الرد بتقريعهم على إنكار البعث فقالوا: ﴿فهذا يوم البعث﴾ وهو جواب شرط محذوف يدل عليه الكلام، كأنه قيل: إن كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث أي فقد تبين بطلان قولكم. ومثل هذه الفاء ما في قول الشاعر:

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ... من البلاد فقد جئنا خراسانا

تبين بطلان إنكاركم ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ وقرأ الكوفيون بالياء لأن المعذرة بمعنى العذر أو لأن تأنيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما. ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾ لا يدعون إلى ما يقتضي إعتابهم أي إزالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا إليه في الدنيا من قولهم: استعتبني فلان فأعتبته أي استرضاني فأرضيته. ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ ولقد وصفناهم فيه بأنواع الصفات التي هي في الغرابة كالأمثال مثل صفة المبعوثين يوم القيامة وما يقولون وما يقال لهم، وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب أو بينا لهم من كل مثل ينبئهم عن التوحيد والبعث وصدق الرسول. ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ من آيات القرآن ﴿لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم. ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ يعنون الرسول والمؤمنين ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ مزورون.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الطبع ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها، فإن الجهل المركب يمنع إدراك الحق ويوجب تكذيب المحق ﴿فَٱصْبِرْ﴾ يا محمد على أذاهم ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بنصرتك وإظهار دينك على الدين كله. ﴿حَقٌّ﴾ لا بد من إنجازه ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ ولا يحملنك على الخفة والقلق ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ بتكذيبهم وإيذائهم فإنهم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك. وعن يعقوب تخفيف النون. وقرىء و«لا

والمعنى: إن صح ما قلتم من أن خراسان أقصى المراد بنا فقد جئناها. فإن المخاطبين وعدوا الشاعر وأتباعه أنهم مكلفون بالسير للغزو إلى خراسان ولا يكلفون أبعد من ذلك، فإذا بلغتم خراسان فليس عليكم مجاوزته للغزو بل إن أردتم القفول فلا نمنعكم فلكم ذلك. فيقول الشاعر: إن صح قولكم ذلك فنخبركم أنّا قد بلغنا خراسان ونطلب منكم أن لا تكلفونا مجاوزة ذلك. **قوله:** (لا يدعون إلى ما يقتضي إعتابهم) أي لا يقال لهم: ارضوا ربكم بتوبة. يقال: عتب عليه يعتب ويعتب عتبًا أي وجد عليه وغضب ويقال: عتبته إذا أزلت عتبه وغضبه، واستعتبني فلان فأعتبته أي استرضاني فأرضيته. **قوله:** (مثل صفة المبعوثين) كما قال: ﴿ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى﴾ وقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الروم: ١٢، ١٣] وقال: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ [الروم: ٤٤] ويقولون خالفين: ﴿مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥] ويقال لهم: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾ [الروم: ٥٦] ﴿فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون﴾ فهذه هي الصفات العجيبة الثابتة لهم يوم القيامة. ويحتمل أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿من كل مثل﴾ الدلائل العجيبة الدالة على التوحيد والبعث وصدق

يستحقنك» أي لا يزيغوك فيكونوا أحق بك من المؤمنين. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليلته».

الرسول ﷺ. تم هنا ما يتعلق بسورة الروم وهذا أوان الشروع فيما يتعلق بسورة لقمان وهي مكية.

سورة لقمان

مكية وقيل: إلا الآية ﴿وهي الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة﴾ فإن وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف لأنه لا ينافي شرعيتهما بمكة. وقيل: إلا ثلثًا من قوله: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة إقلام﴾ وهي أربع وثلاثون آية وقيل: ثلاث وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ سبق بيانه في يونس ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الإشارة ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر أو الخبر المحذوف.

سورة لقمان

عليه السلام

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (سبق بيانه في يونس) أي قد سبق بيان أول هذه السورة في سورة يونس هكذا ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١] قال المصنف في تفسيرها: تلك إشارة إلى ما تضمنته السورة أو القرآن من الآي، والمراد من الكتاب أحدهما. ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم أو لأنه كلام حكيم أو محكم آياته لم ينسخ شيء منها. انتهى كلامه هناك. فالظاهر على هذا أن يكون «الم» اسمًا لهذه السورة أو القرآن ويكون مبتدأ بتقدير المضاف أي آيات الم ويكون «تلك» مبتدأ ثانيًا أشير به إلى المضاف المقدر و«آيات الكتاب» خبر للمبتدأ الثاني والجملة خبر الأول والتقدير: آيات الم آيات الكتاب الحكيم، واحتيج إلى تقدير المضاف ليصح الإخبار بقوله: ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ بيان لإحسانهم أو تخصيص لهذه الثلاثة من شعبه لفضل اعتداد بها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ ما يلهي عما يعني كالأحاديث التي لا أصل لها والأساطير التي لا اعتبار فيها والمضاحك وفضول الكلام. والإضافة بمعنى «من» وهي تبيينية إن أراد بالحديث المنكر، وتبعيضية إن إراد به الأعم منه. وقيل: نزلت في النضر بن الحارث اشترى كتب الأعاجم وكان يحدث بها قريشًا ويقول: إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بحديث رستم وإسفنديار والأكاسرة. وقيل: كان يشتري القيان ويحملهن على معاشرة من أراد الإسلام ومنعه عنه. ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه أو قراءة كتابه. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح

قوله: (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) صفة كاشفة للمحسنين، كما أن الموصول مع صلته صفة كاشفة للألمعي في قوله:

الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

فتكون اللام في المحسنين لتعريف الجنس أي للذين يعملون الحسنات ليكون ما بعده موضحًا له وعلى قوله: «أو تخصيص لهذه الثلاثة من شعب الإحسان» يكون تعريف المحسنين للاستغراق والمعنى: هدى للذين يعملون جميع ما يحسن اعتقاد أو عملاً. ثم خص منهم القائمين بهذه الثلاث من بين شعب ما يحسن لفضل اعتداد بها ويرى من هذا التعبير أن يكون الموصول مع صلته صفة مخصصة مميزة للموصوف وليس كذلك، لأن الصفة المخصصة ما تدل على بعض الأحوال الخارجة عن مفهوم الموصوف كما في قولك: زيد التاجر حضر، والصفة ههنا ليست بخارجة عن مفهوم المحسنين بالمعنى المذكور فينبغي أن تكون صفة مادحة وهي ما تدل على أشرف المعاني الفاضلة الداخلة في مفهوم الموصوف كالصفات الجارية على اسم الله تعالى اختار أن يكون «هم» الأولى مبتدأ و«يوقنون» خبره و«بالآخرة» متعلقًا به و«هم» الثانية تكريرًا للأولى لفائدتين: الأولى التأكيد اللفظي والثانية جبر النقصان الحاصل بتحلل الفاصل بين المبتدأ وخبره. ثم إنه تعالى لما بيّن أن القرآن كتاب حكيم يشتمل على آيات حكيمة بيّن حال من يكفر به ويتركه ويشتغل باللهو من الحديث واللهو كل باطل ألهى عن الخير فيكون أعم من الحديث لأن الباطل الذي يلهي عن الخير قد يكون حديثًا وقد يكون غير حديث، فإضافته إلى الحديث من إضافة العام إلى الخاص للبيان فقوله: ﴿من يشتري لهو الحديث﴾ معناه من يشتري اللهو الذي هو الحديث. فلما كانت الإضافة لبيان أن المراد باللهو الحديث وجب أن يقيد الحديث بالمنكر لأن غير المنكر منه لا

الياء بمعنى: ليثبت على ضلاله ويزيد فيه ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بحال ما يشتريه أو بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن. ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ ويتخذ السبيل سخرية. وقد نصبه حمزة والكسائي ويعقوب وحفص عطفًا على «ليضل». ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾ لإهانتهم الحق باستئثار الباطل عليه ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبرًا لا يعبأ بها ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ مشابهًا حاله بحال من لم يسمعها ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ مشابهًا من في أذنيه ثقل لا يقدر أن يسمع والأولى حال من المستكن في «ولي» أو «مستكبرًا» والثانية بدل منها أو حال من المستكن «في لم يسمعها» ويجوز أن يكونا استئنافين. وقرأ نافع «في أذنيه» ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ اعلمه بأن العذاب يحيقه لا محالة. وذكر البشارة على التهكم. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ أي لهم نعيم جنات، فعكس للمبالغة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال من الضمير في «لهم» أو «من جنات» والعامل ما تعلق به اللام ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ مصدران مؤكدان الأول لنفسه والثاني لغيره لأن قوله: «لهم جنات» وعد وليس كل وعد حقًا ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾

يكون لهوًا وإن كانت الإضافة بمعنى «من» التبعيضية لا يحتاج إلى تقييد الحديث بالمنكر منه لأن اللهو القولي الباطل بعض من مطلق الحديث، فيصح أن تجعل «من» تبعيضية مع بقاء الحديث على إطلاقه بخلاف جعلها بيانية فإنه مستلزم أن يراد بالحديث المنكر لأن مدخول «من» البيانية يجب أن يكون أخص من المبين فلا بد أن يصدق المبين على كل فرد من مدخولها، ولا يكون إلا بأن يكون الحديث منكرًا. والحاصل أنه لما كان كل واحد من اللهو والحديث أعم من الآخر من وجه جاز أن يكون إضافة اللهو إلى الحديث بمعنى «من» التبعيضية أو البيانية، فباعتبار عموم اللهو تكون «من» للبيان وباعتبار عموم الحديث تكون للتبعيض. والأكاسرة جمع كسرى على خلاف القياس، وكسرى لقب ملوك الفرس. والقيان جمع قينة وهي الأمة مغنية كانت أو غير مغنية. من قرأ «ليضل عن سبيل الله» بضم حرف المضارعة جعل المعنى ليضل غيره ولا شك أن من أضل غيره فقد ضل هو بنفسه. ومن قرأ بفتح الياء جعل معناه ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصد عنه ويزيد فيه فإن المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه. **قوله تعالى:** (بغير علم) حال من فاعل «يشتري» ومن قرأ «ويتخذها» بنصب الذال عطفًا على «ليضل» جعله علة كالذي قبله ومن قرأ مرفوعًا بالعطف على «يشتري» جعله صلة. ولما كانت كلمة «من» مفرد اللفظ مجموع المعنى حمل قوله: «أولئك لهم» على معناه فجمع وقوله: «وإذا تتلى عليه» على لفظه فأفرد. وأصل كأن المخففة كأنه والضمير ضمير الشأن. **قوله:** (لهم جنات وعد) وقوله: «وعد الله» أكد مضمون هذه الجملة التي لا محتمل لها من جميع المصادر إلا كونه وعدًا فكان تأكيدًا لنفسه

الذي لا يغلبه شيء فيمنعه عن إنجاز وعده ووعيده ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ الذي لا يفعل إلا ما تستدعيه حكمته.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ استئناف وقد سبق في الرعد ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً شوامخ ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ كراهة أن تميل بكم، فإن بساطة أجزائها تقتضي تبدل أحيازها وأوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته أو لشيء من لوازمه بحيز ووضع معينين. ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ من كل صنف كثير المنفعة. وكأنه استدل بذلك على عزته التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ هذا الذي ذكر مخلوقه فماذا خلق آلهتكم حتى استحقوا مشاركته؟ و«ماذا» نصب «بخلق» أو «ما» مرتفع بالابتداء وخبره «ذا» بصلته و«أروني» معلق عنه ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ إضراب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالضلال الذي لا يخفى على ناظر. ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنهم ظالمون بإشراكهم. ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ يعني لقمان بن

كما في قولك: له عليّ ألف درهم اعترافًا. وقوله: «حقًا» أكد مضمون تلك الجملة أيضًا إلا أن مضمونها له محتمل غير الحقيقة لأن كل وعد من حيث هو وعد ليس بحق فكأن تأكيدًا لغيره. ثم إنه تعالى لما وصف نفسه بأنه هو العزيز الحكيم بيّن ذلك بقوله: ﴿خلق السمٰوات بغير عمد ترونها﴾ فالعمد جمع عماد وهو الأسطوانة سميت عمادًا لكونه ما فوقها يعتمد عليها.

قوله: (بغير عمد) حال من «السمٰوات» وقوله: «ترونها» صفة «العمد» والضمير الذي فيه راجع إلى العمد أي بغير عمد مرئية وإن كان هناك عمد غير مرئية هي قدرة الله تعالى وإرادته. ويحتمل أن يكون «ترونها» جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب جيء بها لبيان أن السمٰوات خلقت بغير عمد فيكون الضمير المنصوب فيها راجعًا إلى السمٰوات، كأنه لما قيل ﴿خلق السمٰوات بغير عمد﴾ قيل: وما الدليل عليه؟ فأجيب: ترونها غير معمودة كما تقول لصاحبك: أنا بلا سيف ولا رمح تراني. **قوله:** (شوامخ) أي شواهق مرتفعات. والرواسي من الجبال الثوابت الرواسخ واحدتها راسية من رسا الشيء يرسو أي ثبت. **قوله:** (وماذا نصب بخلق) على أن يكون «ماذا» بمنزلة اسم واحد وهو أي شيء فيحكم على موضعه بحسب ما يقتضيه العامل وهو ههنا محله النصب، وعلى الثاني تكون «ذا» بمعنى الذي. و «ما» للاستفهام والتقدير: أروني ما الذي خلقوا

باعورا من أولاد آزر ابن أخت أيوب أو خالته، وعاش حتى أدرك داود وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه. والجمهور على أنه كان حكيمًا ولم يكن نبيًا، والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها. ومن حكمته أنه صحب داود شهورًا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما أتمها لبسها وقال: نعم لبوس الحرب أنت. فقال: الصمت حكم وقليل فاعله. وأن داود قال له يومًا: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت في يد غيري، فتفكر داود فيه فصعق صعقة، وأنه أمره مولاه بأن يذبح شاة ويأتي بأطيب مضغتين منها فأتى باللسان والقلب ثم بعد أيام أمره بأن يأتي بأخبث مضغتين منها فأتى بهما أيضًا فسأله عن ذلك فقال: هما أطيب شيء إذا طابا وأخبث شيء إذا خبثا. ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ لأن أشكر أو أي أشكر، فإن إيتاء الحكمة في معنى القول ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأن نفعه عائد إليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها. ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾ لا يحتاج إلى الشكر ﴿حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ حقيق بالحمد وإن لم يحمد، أو محمود نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال. ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ﴾ أنعم أو أشكم أو ماتان. ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ﴾ تصغير إشفاق. وقرأ ابن كثير «يا بني» بإسكان الياء، وقنبل

«فما» مبتدأ والموصول مع صلته خبره والعائد محذوف أي ما الذي خلقه الذين من دونه. **قوله:** (ومن حكمته) قيل: أول ما سمع من حكمته أن مولاه دخل الكنيف يومًا فأطال فيه المكث فلما خرج قال له: لا تطل المكث في الخلاء فإن طول المكث فيه يورث الباسور. واتفق العلماء على أنه كان حكيمًا ولم يكن نبيًا إلا عكرمة فإنه قال: إنه كان نبيًا. وقد تفرد بهذا القول، فعلى قوله يكون المراد بالحكمة هنا النبوة. روي عن النبي عليه الصلاة والسلام: «أنه لم يكن نبيًا ولكن كان عبدًا كثير التفكر حسن اليقين أحب الله فأحبه». **قوله:** (لأن أشكر) على أن تكون «أن» مصدرية موصولة بفعل الأمر كقولك: أمرتك أن أقم أي بالقيام، فكذا ههنا «أتيناه الحكمة لأن أشكر» أي للشكر، والظاهر أنها مفسرة لأن إيتاء الحكمة لكونه في معنى التعليم والتلقين يتضمن معنى القول والمعنى: أشكر لله تعالى فيما أعطاك من الحكمة بالتوحيد والطاعة له. وقد نبه الله تعالى على أن الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي في حق المخلوقين هو عبادة الله تعالى وشكر نعمه حيث فسر إيتاء الحكمة بالبعث على الشكر ثم قال: ومن يشكر إنعام الله تعالى بالطاعة له فنفع شكره يرجع إليه ومن كفر نعم الله عليه بترك التوحيد والطاعة له، فإن الله غني عن شكر خلقه وعبادتهم. **قوله تعالى:** **(وإذ قال لقمان)** أي واذكر حين قال لقمان لابنه وهو يعظه الجملة حال من لقمان أي قال واعظًا له. **قوله:** (**يا بني تصغير إشفاق وقرأ ابن كثير يا بني لا تشرك بإسكان الياء وقنبل**

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [لقمان: ١٧] بإسكان الياء، وحفص فيهما وفي: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ﴾ [لقمان: ١٦] بفتح الياء والبزي مثله في الأخير. وقرأ الباقون في الثلاثة بكسر الياء. ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ قيل: كان كافرًا فلم يزل به حتى أسلم. ومن وقف على «لا تشرك» جعل «بالله» قسمًا. ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ لأنه تسوية بين من لا نعمة إلا منه ومن لا نعمة منه.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا﴾ ذات وهن أو تهن وهنًا. ﴿عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي تضعف ضعفًا فوق ضعف فإنها لا تزال يتضاعف ضعفها. والجملة في موضع الحال. وقرىء بالتحريك يقال: وهن يهن وهنًا ووهن يوهن وهنًا. ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى

يا بني أقم الصلاة بإسكان الياء وحفص فيهما وفي يا بني إنها إن تك بفتح الياء والبزي مثله في الأخير وقرأ الباقون في الثلاثة بكسر الياء) اعلم أن قوله: ﴿يا بني﴾ مذكور في القرآن في ستة مواضع: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ [هود: ٤٢] في هود ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ﴾ [يوسف: ٥] في يوسف ﴿يا بني لا تشرك﴾ ﴿يا بني إنها﴾ ﴿يا بني أقم الصلاة﴾ في لقمان ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ﴾ [الصافات: ١٠٢] في الصافات. فقرأ حفص بفتح الياء في المواضع الستة. وقرأ شعبة بفتح الأول وكسر الخمسة الباقية. وقرأ البزي بإسكان أول لقمان وكسر الخمسة الباقية. وقرأ قنبل بإسكان أول لقمان وآخرها وكسر الأربعة الباقية. وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي بكسر الياء مشددة في الجميع.

قوله تعالى: (ووصينا الإنسان) قيل: هذا كلام معترض في قصة لقمان إلى قوله: ﴿بما كنتم تعملون﴾ كما قال المصنف: «والآيتان معترضتان» الخ ثم عاد الكلام إلى قصته. وقيل: هو متصل كله بإضمار القول أي وقلنا له أي للقمان ﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ أي ببر والديه ثم نبه على المعنى الموجب لبرهما فقال: ﴿حملته أمه وهنًا﴾ فلا محل لهذه الجملة من الإعراب لأنها جملة مستأنفة لبيان علة التوصية وقوله: ﴿وهنًا﴾ مصدر منصوب على أنه حال من «أمه» بتقدير ذات وهن. ويحتمل أن يكون منصوبًا بالفعل المقدر أي تهن وهنًا وهذه الجملة المركبة من الفعل المقدر وما في حيزه حال من فاعل الفعل السابق وقوله تعالى: ﴿على وهن﴾ صفة لوهنًا أي فوق وهن آخر وهي يتزايد ضعفها ويتضاعف بحسب تزايد ثقل الحمل، وليس المراد بقوله: ﴿وهنًا على وهن﴾ وهنين اثنين بل المراد التكرار والكثرة.
قوله: (وقرىء بالتحريك) أي بفتح الهاء فيهما فاحتمل أن يكونا لغتين كالشعر والشعر، وأن يكون مفتوح الهاء مصدر وهن بكسر الهاء فإنه يقال: وهن يهن وهنًا مثل وعد يعد وعدًا، ووهن يوهن وهنًا مثل وجل يوجل وجلاً.

عَامَيْنِ﴾ وفطامه في انقضاء عامين، وكانت ترضعه في تلك المدة. وقرىء «وفصله» وفيه دليل على أن أقصى مدة الرضاع حولان. ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ تفسير «لوصينا» أو علة له أو بدل من «والديه» بدل الاشتمال. وذكر الحمل والفصال في البين اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصًا. ومن ثمة قال عليه الصلاة والسلام لمن قال له: من أبر؟ قال: «أمك ثم أمك ثم أمك» ثم قال بعد ذلك: «ثم أباك» ﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾

قوله: (وفطامه) وهو أن يفصل الولد عن الأم كيلا يرضع. الجوهري: فطام الصبي فصاله عن أمه ويطلق الفطم على القطع فيقال: فطمت الحبل وفطمت الرجل عن عادته أي قطعته. ولما كان قوله: «وفصاله» مبتدأ وقوله: «في عامين» خبره كان المعنى: وفصاله يقع في عامين وليس فيه تعيين مدة الرضاع فلذلك فسره بقوله: «وفطامه في انقضاء عامين» على معنى أن انقضاءهما هو الغاية التي لا يتجاوز عنها الإرضاع، والأمر فيما بين العامين موكول إلى اجتهاد الأم إن علمت أنه يقوى على الفطام فلها أن تفطمه ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وبه استشهد الإمام الشافعي على أن مدة الرضاع سنتان لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائها من وقت الولادة وهو مذهب أبي يوسف ومحمد رحمهما الله. وأما عند أبي حنيفة فمدة الرضاع ثلاثون شهرًا استدلالاً بقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] حيث جعل المدة المذكورة مدة لكل واحد من الحمل والفصال، لكن قول عائشة رضي الله عنها: لا يبقى الولد في رحم أمه أكثر من سنتين ولو بفلكة مغزل، بيّن أن أكثر مدة الحمل سنتان لأن مثله لا يعرف قياسًا بل سماعًا من الشارع وبه يثبت النسخ وبقيت المدة المذكورة في حق الفصال، فلما كانت مدة الرضاع عنده ثلاثين شهرًا قيل: إن هذه الآية عنده لبيان الرضاع المستحق على الأم لا لبيان المدة التي ينتهي حكم الرضاع عندها. **قوله:** (تفسير لوصينا) لأن التوصية في معنى القول إلا أن الموصى به هو بر الوالدين فالظاهر أن تفسير التوصية ببرهما بالترغيب في شكرهما بأن يقال: أن اشكر لوالديك لكونهما سببًا ظاهريًا لوجودك وتربيتك إلا أنهُ تعالى لما كان سببًا حقيقيًا لوجود الكائنات وتربيتها وكان شكر الوالدين والاعتراف بحقهما عليه من حيث إن نعمة الله تعالى ظهرت من جهتهما كانت الوصية ببر الوالدين في الحقيقة عبارة عن البعث على شكره تعالى بالتوحيد والعبادة له وشكر الوالدين ببرهما لمقابلة إحسانهما إليه، فلذلك فسرت الوصية ببر الوالدين بقوله: ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾ **قوله:** (أو علة له) أي وصيناه ببر الوالدين لشكرنا ولشكر والديه. قال سفيان بن عيينة في هذه الآية: من صلى صلاة الخمس فقد شكر الله تعالى، ومن دعا لوالديه في إدبار الصلوات الخمس فقد شكر والديه، فإن كان بدلاً من والديه يكون التقدير: ووصينا الإنسان

فأحاسبك على شكرك وكفرك. ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ باستحقاقه الإشراك تقليدًا لهما. وقيل: أراد بنفي العلم به نفيه. ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في ذلك ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ صحابًا معروفًا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم. ﴿وَٱتَّبِعْ﴾ في الدين ﴿سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ بالتوحيد والإخلاص في الطاعة. ﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ مرجعك ومرجعهما. ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ بأن أجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما. والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان تأكيدًا لما فيها من النهي عن الشرك كأنه قال: وقد وصينا بمثل ما وصى به. وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فإنهما مع أنهما تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز أن يستحقا في الإشراك، فما ظنك بغيرهما؟ ونزولهما في سعد بن أبي وقاص وأمه مكثت لإسلامه ثلاثًا

بأن اشكر لي. وعلى التقادير الثلاثة يكون قوله: ﴿حملته أمه وهنًا على وهن وفصاله في عامين﴾ جملة معترضة بين المفسر والمفسر أو بين العلة والمعلول أو بين البدل والمبدل منه تأكيدًا للتوصية في حقها خاصة، فظهر بهذا جواب ما يقال: وهو أنه تعالى أوصى ببر الوالدين ثم بيّن ما يوجب بر الأم ولم يتعرض لبيان ما يوجب بر الأب. وتقرير الجواب أن الأب وإن حمل الولد في صلبه سنين ورباه بكسبه سنين إلا أن ما تحملته الأم من المشقة أشد وأبلغ فلذلك أكد التوصية في حقها خصوصًا بعد التوصية ببرهما معًا. روي أن صحابيًا قال: قلت يا رسول الله من أبر؟ قال: «أمك» قال: قلت: ثم من؟ قال: «أمك» قال: قلت: ثم من؟ قال: «أمك» قال: قلت: ثم من؟ قال: «أباك». ثم الأقرب فالأقرب. ثم أشار إلى أن خدمتهما وطاعتهما إنما تكون واجبة ما لم يكن فيها ترك طاعة الله تعالى، وإن أفضت إليه فلا تجوز طاعتهما حيث قال: ﴿وإن جاهداك﴾ الآية.

قوله: (أراد بنفي العلم به نفيه) والمعنى على أن تشرك بي ما ليس لك به علم بشيء. عبّر عن هذا المعنى بنفي العلم به لأن العلم بوجود الشيء لازم في وجوده من حيث إن ما لا يكون موجودًا في نفسه لا يعلم بكونه موجودًا فعبّر بنفي اللازم عن نفي الملزوم. ولم يرض المصنف به لأن علم المخلوق بوجود الشيء ليس بلازم لوجوده في نفسه بل اللازم له هو العلم الفعلي **قوله:** (مكثت لإسلامه ثلاثًا) فإن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما أسلم وكان من السابقين الأولين وكان بارًا بأمه قالت له أمه: ما هذا الدين الذي أحدثته والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموت، فتعير بذلك أبد الدهر ويقال لك قاتل أمه. ثم إنها مكثت ثلاثًا لا تطعم ولا تشرب حتى فتحوا فاها بعود. وروي أن سعدًا قال: لو كان لها سبعون نفسًا فخرجت واحدة فواحدة لما ارتددت إلى الكفر. فلما علمت أنه لا يرتد عن دينه حذرًا من هلاكها رضيت بأن تأكل

لم تطعم فيها شيئًا ولذلك قيل من أناب إليه أبو بكر رضي الله عنه فإنه أسلم بدعوته.

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ﴾ أي إن الخصلة من الإساءة أو الإحسان إن تك مثلاً في الصغر كحبة الخردل. ورفع نافع «مثقال» على أن الهاء ضمير القصة و«كان» تامة وتأنيثها لإضافة المثقال إلى الحبة كقوله:

كما شرقت صدر القناة من الدم

وتشرب. **قوله:** (ولذلك) أي ولكونهما نزلتا في سعد. قيل: المراد بقوله تعالى: ﴿من أناب إلي﴾ أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فإن أبا بكر حين أسلم أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا له: قد صدقت هذا الرجل وآمنت به؟ قال: نعم هو صادق فآمنوا به. ثم جاء بهم إلى النبي ﷺ حين أسلموا. فهؤلاء لهم سابقة الإسلام أسلموا بإرشاد أبي بكر رضي الله عنه، فلما كان سبيله الثبات على التوحيد والإيمان ودعوة من كان خارجًا عن تلك السبيل إليها قال تعالى: ﴿واتبع سبيل من أناب إلي﴾ **قوله:** (أي إن الخصلة) يعني ضمير «أنها» عبارة عن الخصلة أو الفعلة التي يأتي بها المكلف واسم «تك» مستتر فيه راجع إلى ما يرجع إليه ضمير «أنها» و«مثقال» منصوب على أنه خبر «كان» والفاء في قوله: «فتكن» لإفادة اجتماع الشرطين في التحقق على سبيل التعاقب، كأن لقمان لما نهى ابنه عن الشرك قال له ابنه: يا أبت تزعم أنه تعالى مطلع على ما يفعله الإنسان من الخير والشر فيجازيه جزاء وفاقًا إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، فإن فعلت ما فعلته من الفعلة حيث لا يراني أحد كيف يعلم الله تعالى؟ فقال له أبوه: يا بني إن الفعلة إن تك في الصغر كحبة الخردل مثلاً ومع صغرها تكون خفية في موضع حصين كالصخرة لا تخفى على الله تعالى. ومن قرأ «مثقال» مرفوعًا جعل ضمير «أنها» للقصة وجعل قوله: «إن تك» تامة لا تحتاج إلى الخبر ورفع «مثقال» على أنه فاعل «كان» التامة وأنث فعله مع أن المثقال مذكر من حيث إنه اكتسب التأنيث بإضافته إلى حبة، كما أنث الصدر لإضافته إلى القناة في قول الشاعر:

وتشرق بالقول الذي قد أذعته **(كما شرقت صدر القناة من الدم)**

الشرق الشجي والغصة يقال: شرق بريقه أي غص به وانسد حلقه بحيث لا ينزل ولا يخرج. وذاع الخبر يذيع ذيعًا وذيوعًا أي انتشر وأذاعه نشره. عبّر بذم شخص أذاع خبرًا وكان من حقه أن يخفيه. نقل الإمام محيي السنة عن بعض الكتب أن قوله: ﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة﴾ الآية آخر كلمة تكلم بها لقمان فلما تكلم بها لقمان انشقت مرارته من هيبتها نعمات روح الله تعالى روحه.

أو لأن المراد به الحسنة أو السيئة ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ في أخفى مكان وأحرزه كجوف صخرة، أو أعلاه كمحدب السمٰوات، أو أسفله كمقعر الأرض. وقرىء بكسر الكاف من وكن الطائر إذا استقر في وكنته. ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ يحضرها فيحاسب عليها. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ يصل علمه إلى كل خفي. ﴿خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ عالم بكنهه ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ تكميلاً لنفسك. ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ تكميلاً لغيرك ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ من الشدائد سيما في ذلك ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الإشارة إلى الصبر أو إلى كل ما أمره. ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ مما عزمه الله من الأمور أي قطعه قطع إيجاب مصدر أطلق للمفعول. ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل من قوله: فإذا عزم الأمر أي جد. ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تمله عنهم ولا تولهم وصفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو داء يعتري البعير فيلوي منه عنقه. وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي و«لا تصاعر» وقرىء و«لا تصعر» والكل واحد مثل علاه وأعلاه وعالاه ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي فرحًا. مصدر وقع موقع

قوله: (كجوف صخرة أو أعلاه إلى آخره) إشارة إلى دفع ما يقال من أن الصخرة لا بد أن تكون في السمٰوات أو في الأرض، فما يكون في الصخرة لا بد أن يكون في إحداهما لا محالة فما وجه عطفهما بكلمة أو؟ وتقرير الجواب أن المراد بالصخرة ما يكون على وجه الأرض وبما في السمٰوات ما يكون في محدبها وبما في الأرض ما يكون في معقرها فيتحقق الانفصال. وقيل: هذه الصخرة ليست في السمٰوات ولا في الأرض بل هي تحت سبع أرضين عليها ملك قائم. وقيل: عليها النور. قيل: خلق الله تعالى الأرض على حوت وهو النون الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١] والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة، وهي الصخرة التي ذكرها لقمان وهي ليست في السمٰوات ولا في الأرض والصخرة على الريح. ثم إنه لما نهى ابنه عن الشرك وخوّفه بعلم الله تعالى وقدرته أمره بما يتفرع على الإيمان بالله وحده وابتدأ بالأمر بإقام الصلاة وعلم منه أن الصلاة كانت في سائر الملل غير أن هيئاتها اختلفت. **قوله:** (مصدر أطلق للمفعول) فيكون العزم بمعنى المعزوم أي المقطوع الذي قطعه الله وأوجبه، ثم أضيف إلى الأمور إضافة بمعنى «من» التبعيضية أي المقطوع من الأمور وإن جعل العزم بمعنى العازم أي الموجب القاطع يكون إسناد العزم إلى الأمر مع أن العازم هو الشارع لا الأمر المشروع للمبالغة في وجوبه والإشارة إلى أنه لكونه متضمنًا للحكم والمصالح الجملة كأنه أوجب نفسه. وذكر لانتصاب «مرحًا» ثلاثة أوجه: الأول أنه مصدر واقع موقع الحال أي لا تمش مرحًا فرحًا. والثاني أنه مفعول مطلق لفعله المحذوف أي لا

الحال أو تمرح مرحًا أو لأجل المرح وهو البطر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ علة للنهي وتأخير الفخور مقابل للمصعر خده، والمختال للماشي مرحًا ليوافق رؤوس الآي.

﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ توسط فيه بين الدبيب والإسراع. وعنه عليه الصلاة والسلام: «سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن». وقول عائشة: رضي الله عنها كان إذا مشى أسرع. فالمراد ما فوق دبيب المتماوت. وقرىء بقطع الهمزة من أقصد الرامي إذا سدد سهمه نحو الرمية. ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ وأنقص منه وأقصر ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾

تمش تمرح مرحًا والجملة حال من فاعل تمش. والثالث أنه مفعول له والمعنى: لا يكن غرضك في المشي البطالة والفرح كما يمشي كثير من الناس كذلك لا لكفاية مهم ديني أو دنيوي كقول عمر رضي الله عنه:

يا فارغًا مهملاً ما لي أريتك لا ... في أمر دنيا ولا في أمر آخرة

ويشهد بصحة هذا التوجيه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال: ٤٧] أي ولرؤية الناس إياهم. **قوله:** (علة للنهي) يعني أن الآية من قبيل اللف والنشر فإن عدم محبته تعالى المختال علة لقوله: ﴿لا تمش في الأرض مرحًا﴾ وعدم محبته الفخور علة لقوله: ﴿ولا تصعر خدك﴾ إلا أنه لم يراع في النشر ترتيب اللف رعاية لفواصل الآي. والاختيال مشية التكبر والفخر ذكر المناقب للتطاول بها على السامع. **قوله:** (وقول عائشة رضي الله عنها) جواب عما يقال: كل واحد من قوله تعالى حكاية عن لقمان ﴿واقصد في مشيك﴾ ومن الحديث المروي يدل على أن سرعة المشي ليس من دأب المؤمنين، وقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها نظرت إلى رجل كاد يموت تهافتًا وتضاعفًا فقالت: ما لهذا؟ فقيل: إنه من القراء. فقالت: كان عمر رضي الله عنه سيد القراء وكان إذا مشى أسرع، وإذا قال أسمع، وإذا ضرب أوجع. فقد أسندت سرعة المشي إلى عمر رضي الله عنهما، فظاهرهما متنافيان. وتقرير الجواب أن الإسراع المذموم هو ما يكون متجاوزًا حد القصد في المشي وهو الإسراع المفرط، والذي أسند إلى عمر رضي الله عنه ليس كذلك بل المراد به ما فوق دبيب المتماوت وهو الذي يرى من نفسه الموت وليس بميت كالمتمارض الذي يظهر من نفسه المرض وليس بمريض. **قوله:** (وأنقص منه) أي أنقص شيئًا منه، فإن الظاهر أن مفعول «اغضض» محذوف و«من صوتك» صفة له و«من» للتبعيض. ويجوز أن يكون «من صوتك» مفعول «اغضض» على أن تكون «من» زائدة على مذهب الأخفش، ويؤيده قوله تعالى: ﴿يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾ [الحجرات: ٣].

أوحشها ﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ والحمار مثل في الذم سيما نهاقه ولذلك حسنه فيقال: طويل الأذنين، وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوته. ثم إخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لأن المراد تفضيل الجنس في النكير دون الآحاد، أو لأنه مصدر في الأصل. ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بأن جعلنا أسبابًا محصلة

قوله: (والحمار مثل في الذم) يعني أنه إذا أطلق على غير مسماه الحقيقي إنما يطلق عليه على طريق الذم البليغ والشتيمة تشبيهًا له بأصل مسماه في أخس أوصافه وهي البلادة والعراء من خواص الآدمية، فكان جاريًا مجرى المثل السائر الذي يضرب في مقام الذم والتهجين، وكذا نهاقه فإنه أيضًا غاية في ذم ما أطلق عليه من الصوت. **قوله:** (ولذلك) أي ولكون مسماه في غاية الدناءة والحقارة يحترزون عن التصريح باسمه بل يكنون عنه بقولهم: طويل الأذنين كما يكنون عن الأشياء المستقذرة.

قوله: (وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوته الخ) إشارة إلى أن قوله: ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ جملة مستأنفة جيء بها لتعليل الأمر بغض الصوت كأنه قيل له: لم أغض الصوت؟ فأجيب بأنك إذا رفعت صوتك كنت بمنزلة الحمار في أخس أحواله أي كان صوتك بمنزلة النهاق في نفرة الطباع عنه مع خلوه عن الفائدة. ثم ترك المشبه وأداة التشبيه واقتصر على ذلك المشبه به على طريق الاستعارة التصريحية للمبالغة في ذم المشبه وتهجينه وفي حث المخاطب على غض صوته والاحتراز عن رفعه. **قوله:** (وتوحيد الصوت) يعني أن الحمير جمع حمار فينبغي أن يعبر عن الصوت المضاف إليها بلفظ الجمع أيضًا لأن صوت الجماعة لا يكون واحدًا إلا أنه وحد المضاف إما لأنه مصدر في الأصل فواحده يفيد لفظ الجمع منه، أو لأنه ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس ويقصد تفضيله على أصوات سائر الأجناس التي لها صوت حتى يجمع بل المراد تفضيل صوت هذا الجنس على أصوات غيره، فيكون المراد من المضاف الجنس فلا وجه لجمعه فوجب توحيده. فإن قيل: إذا كان المراد تفضيل جنس الصوت المقيد بالإضافة إلى جنس الحمير كان ينبغي أن يوحد المضاف إليه أيضًا. قلنا: الجمع المحلى بالألف يضمحل عنه معنى الجمعية ويراد به الجنس فإنه إذا قيل: العصبة كل من يأخذ بقية الفرائض يكون المعنى: من يأخذ ما بقي من جنس الفريضة وهي السهم المقدر ضرورة أن اجتماع الفروض في المسألة ليس شرطًا في العصوبة، فكذا لفظ الحمير يراد به الجنس لا الآحاد. ثم إنه تعالى لما استدل على عزته وحكمته بقوله: ﴿خلق السمٰوات بغير عمد ترونها﴾ الآية ومهد به قاعدة التوحيد ثم بكت المشركين بقوله: ﴿هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه﴾ ثم أضرب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالضلال المبين ثم أورد قصة لقمان للدلالة على ما

لمنافعكم ﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بأن مكنا من الانتفاع به بوسط أو بغير وسط ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه. وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة. وقرىء «واصبغ» بالإبدال وهو جار في كل سين اجتمع فيها الغين

أمر به ونهى عنه وليس مما يتوقف معرفته على الوحي والنبوة بل كل ذلك على وفق الحكمة ونتيجة الفكرة، فوجب على العاقل أن يهتدي بمجرد فكره الصحيح ونظره الصائب وإن لم يهتد بذلك فبإرشاد النبي المؤيد بالمعجزات الباهرة ومن لم يهتد بشيء من ذلك فهو ملحق بالحيوانات العجم وأضل سبيلاً. انتقل بعد ذلك إلى الاستدلال على وحدانيته تعالى بوجه آخر وهو كونه موليًا للنعمة كلها ظاهرة وباطنة فإن الملك كما يخدم لعظمته وإن لم ينعم يخدم لنعمته أيضًا، فلما بيّن أنه المعبود لعظمته بخلقه السمٰوات بلا عمد وإلقائه في الأرض رواسي وذكر بعض النعم بقوله: ﴿وأنزلنا من السماء ماء﴾ **ذكر بعده عامة النعم فقال:** ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السمٰوات وما في الأرض﴾ **الآية أي ألم تعلموا العلم الذي يقوم مقام رؤية العين أنه سخر لأجلكم وذلك ما في السمٰوات بأن جعله أسبابًا لحصول ما تحتاجون إليه من المهمات وسهّل لكم الانتفاع بتلك الأسباب على حسب مشيئته وإرادته وسخر ما في الأرض أيضًا بأن مكّنكم من الانتفاع به بوسط أو بغير وسط. والنعمة في الأصل الحالة الطيبة التي تستلذها الإنسان فأطلقت الأمور اللذيذة الملايمة للطبع المؤدية إلى تلك الحالة الطيبة ونعم الله تعالى وإن كانت لا تحصي أشخاصها لكنها تنحصر في جنسين دنيوي وأخروي: والأول قسمان: موهبي وكسبي والموهبي قسمان: روحاني كنفخ الروح فيه وإشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق، وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة من الصحة وكمال الأعضاء. والكسبي هو تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالأخلاق والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال. والثاني أن يغفر ما فرط منه ويرضى عنه في أعلى عليين مع الملائكة المقربين أبد الآبدين، هذا ما ذكره المصنف في سورة الفاتحة. وإسباغ النعم توسيعها وإتمامها يقال: سبغت النعمة سبوغًا إذا تمت. روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة؟ فقال: «يا ابن عباس أما ما ظهر فالإسلام وما سوى الله تعالى من خلقك وما أفاض عليك من الرزق، وأما ما بطن فستره مساوي عملك ولم يفضحك بها. يا ابن عباس إن الله تعالى يقول: ثلاثة جعلتهن للمؤمن ولم تكن له صلاة المؤمنين عليه من بعد انقطاع عمله وجعلت له ثلث ماله أكفر عنه خطاياه به والثالث سترت عليه مساوىء عمله فلم أفضحه بشيء منها ولو أبديتها عليه لنبذه أهله فمن سواهم». وقيل: الظاهرة شهادة أن لا إلٰه إلا الله باللسان، والباطنة الاعتقاد**

أو الخاء أو القاف كصلخ وصقر وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص «نعمه» بالجمع والإضافة ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ﴾ في توحيده وصفاته ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ مستفاد من دليل ﴿وَلَا هُدًى﴾ راجع إلى رسول ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ أنزله الله بل بالتقليد كما قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ وهو منع صريح من التقليد في الأصول ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ﴾ يحتمل أن يكون الضمير لهم ولآبائهم ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ إلى ما يؤول إليه من التقليد أو الإشراك. وجواب «لو» محذوف مثل لاتبعهم والاستفهام للإنكار والتعجيب.

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بأن فوض أمره إليه وأقبل بشر أشره عليه من أسلمت المتاع إلى الزبون. ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدي باللام فلتضمن معنى الإخلاص ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عمله ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ تعلق بأوثق ما

بالفردانية بالجنان. وقيل: الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته. روي أن موسى عليه الصلاة والسلام قال: يا رب دلني على أخفى نعمتك على عبادك قال: أخفى نعمتي عليهم النفس. وروي أن أيسر ما يعذب به أهل النار الأخذ بالأنفاس.

قوله: (وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص نعمه) بفتح العين على أنه جمع نعمة مضاف إلى هاء الضمير فقوله: «ظاهرة» حال منها. وقرأ الباقون «نعمة» بسكون العين وتنوين تاء التأنيث على أنه اسم جنس في معنى الجمع كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤؛ النحل: ١٨] فقوله: «ظاهرة» بعده نعت لها. ثم إنه تعالى لما بيّن ما تفضل به على عباده وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ذكر بعده أن منهم من يجادل في توحيده وإخلاص طاعته فقال: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ قيل: نزلت في النضر بن الحارث وأبي بن خلف وأشباههما الذين كانوا يجادلون النبي عليه الصلاة والسلام في وحدانيته تعالى وصفاته من غير علم مستفاد من دليل العقل، ومن غير هداية حاصلة من قبل صاحب الوحي، ومن غير كتاب منزل من رب العالمين. ثم إذا قيل لهؤلاء المجادلين الذين لا تمسك لهم أصلاً: هلموا إلى كتاب الله تعالى واتبعوه تهتدوا، أعرضوا عن كلام الله تعالى وقالوا: بل نتبع كلام آبائنا. ومن المعلوم أن بين كلام الله تعالى وكلام العلماء بونًا عظيمًا فكيف ما بين كلام الله وكلام الجهال؟ **قوله:** (من التقليد أو الإشراك) من قبيل اللف والنشر الأول على أن يكون الضمير لهم والثاني على أن يكون لآبائهم. **قوله:** (من أسلمت المتاع إلى الزبون) أي أسلمته إلى الحريف أي العامل الذي يشارك في الحرفة والعمل يعني أن أسلم إذا عدّي بـ «إلى» كان بمعنى سلم وإن عدّي باللام كما في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١١٢] فذلك باعتبار تضمنه معنى الإخلاص. فمعنى الآية: ومن أسلم وجهه

يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن أراد أن يترقى شاهق جبل فتمسك بأوثق عرى الحبل المتدلي منه. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ إذ الكل صائر إليه ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾ فإنه لا يضر في الدنيا والآخرة. وقرىء فلا «يُحزنك» من أحزن وليس بمستفيض ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ في الدارين ﴿فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾ بالإهلاك والتعذيب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾﴾ فمجاز عليه فضلاً عما في الظاهر ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ تمتيعًا قليلاً أو زمانًا قليلاً فإن ما يزول بالنسبة إلى ما يدوم قليل. ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ يثقل عليهم ثقل الأجرام الغلاظ أو نضم إلى الإحراق الضغط ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ لوضوح الدليل المانع من إسناد الخلق إلى غيره بحيث اضطروا إلى إذعانه. ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على إلزامهم وإلجائهم إلى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ أن ذلك يلزمهم ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا يستحق العبادة فيهما غيره. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن حمد الحامدين ﴿ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ المستحق للحمد وإن لم يحمد.

لله من جعل ذاته ونفسه سالمًا لله تعالى خالصًا له. **قوله:** (وهو تمثيل للمتوكل) أراد التشبيه لا الاستعارة التمثيلية لذكر كل واحد من طرفي التشبيه غايته أنه لم يذكر أداة التشبيه للمبالغة فيه. والوثقى تأنيث الأوثق وأوثق العرى جانب الله تعالى لأن كل ما عداه هالك منقطع وهو باق لا انقطاع له. ثم ذكر ما يدل على وجوب إسلام الوجه إلى الله تعالى فقال: ﴿وإلى الله عاقبة الأمور﴾ فإن من تعين لتدبير عاقبة الأمور كيف لا يسلم المرء نفسه إليه؟ **قوله:** (وليس بمستفيض) فإن اللغة الشائعة هي الثلاثي. الجوهري: حزن الرجل بالكسر فهو حزن وحزين، وأحزنه غيره وحزنه أيضًا مثل أسلكه وسلكه، ومحزون يبنى عليه قال البزدوي: حزنه لغة قريش وأحزنه لغة تميم وقد قرىء بهما. انتهى كلامه. **قوله تعالى:** (ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) بأن نسلط عليهم ملائكة غلاظاً شداداً يعذبونهم أغلظ عذاب فيختارون دخول النار عن اضطرار فرارًا من عذاب هؤلاء الملائكة الذين يعذبونهم بمقارع من نار، فإن الإكراه إنما ينافي الرضى دون الاختيار فإن المضطر يعرف الشرين ويختار أهونهما. قيل: وفيه وجه آخر لطيف وهو أنهم لما كذبوا الرسول ثم تبين لهم الأمر وقع عليهم من الخجالة ما يكون دخول النار أهون عليهم من الوقوف بين يدي ربهم بمحضر الأنبياء مع تلك الخجالة فيختارون دخولها عن اضطرار. **قوله:** (يثقل عليهم ثقل الأجرام) يعني أن الغليظ صفة مشبهة تنبىء عن الثقل والكثافة أو عن التراكم والانضمام. وعلى التقديرين لا يوصف به العذاب حقيقة وإنما يوصف به الأجرام والأجسام، فتوصيف العذاب به تخييل لتشبيه العذاب الواقع عليهم بالجرم

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ ولو ثبت كون الأشجار أقلامًا. وتوحيد شجرة لأن المراد تفصيل الآحاد. ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ والبحر المحيط بسعته مداد ممدودًا بسبعة أبحر فأغنى عن ذكر المداد يمده، لأنه من مد الدواة

الثقيل أو بالأجرام المتلاصقة المتطابقة الواقعة بعضها على بعض استعارة بالكناية، وعلى التقديرين يكون إثبات الغلظة له سواء كانت بمعنى الثقل أو الانضمام تخييلاً لتلك الاستعارة المكنية. ثم إنه تعالى بيّن استحقاق المشركين للعذاب الغليظ ببيان أن كفرهم أقبح وجوه الكفر من حيث إنهم ينكرون ما اضطروا إلى الإقرار به فإن اعترافهم بأن خالق السمٰوات والأرض وما فيهما وما بينهما هو الله تعالى يستلزم الاعتراف بأن لا يستحق العبادة إلا الله، ومع هذا يناقضون أنفسهم بالإشراك. ثم أمر رسوله ﷺ بأن يحمد الله تعالى على ظهور صدقه وكذب مكذبيه باعترافهم على أنفسهم بالكذب والضلال، ثم قرر ما أقروا به من تفرده تعالى بالخالقية بتقرير أن ما فيهما من الجواهر والإعراض لله تعالى ملكًا وملكًا فكيف يكون شيء منها شريكًا له؟ فقال: ﴿لله ما في السمٰوات والأرض﴾ ثم لما تبين أن أنفس السمٰوات والأرض وجميع ما فيهما محتاج إلى الله تعالى من جميع الوجوه ثبت أنه تعالى هو الغني المطلق والحميد المطلق فإن كل محتاج يحمد من يدفع حاجته بلسان الحال أو المقال فمن كان غنيًا مطلقًا يكون حميدًا مطلقًا. **قوله:** (**ولو ثبت كون الأشجار أقلامًا**) إشارة إلى أن ما بعد «لو» واقع موقع المفرد لكونه فاعلاً لفعل مقدر لأن لو تطلب الفعل لفظًا أو تقديرًا فقولك: لو أنك قائم تقديره: لو وقع قيامك، والفاعل يجب أن يكون مفردًا فلذلك فتحت كلمة «أن» الواقعة بعد «لو» وما في قوله تعالى: ﴿ولو أن ما في الأرض﴾ موصولة في محل النصب على أنها اسم «أن» و «أقلام» خبرها و «من شجرة» في محل النصب على أنه حال من المنوي في قوله «في الأرض». **قوله:** (**وتوحيد شجرة**) مع أن الظاهر أن يقال: «من شجر» بلفظ اسم الجنس الدال على العموم لأن المراد بما في قوله: «ما في الأرض» العموم بدليل الإخبار عنه بالأقلام، فالوجه أن يبين باسم الجنس إلا أنه بيّن بلفظ شجرة الدال على الوحدة لأن المراد تفصيل آحاد شجرة شجرة إلى أن لا يبقى من جنس الشجرة آحاد كثيرة بل ولا شجرة واحدة إلا وقد برئت أقلامًا. وهذا المعنى إنما يستفاد من إيراد الشجرة، وإن قيل: من شجر لدل على أنه لا يبقى جنس من أجناس الشجر إلا برى أقلامًا فلا يدل على أن يتناول الحكم لكل فرد وهذا قريب مما قيل إن استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع.

قوله: (**ممدودًا بسبعة أبحر**) بأن يكون سبعة أبحر مدادًا للبحر المحيط الذي فرض كونه بسعته مدادًا وهو النفس الذي يكتب به ويقال له المركب. **قوله:** (**يمده**) معناه يصير

وأمدها، ورفعه للعطف على محل «أن» ومعموليها و«يمده» حال أو للابتداء على أنه مستأنف أو الواو للحال. ونصبه البصريان بالعطف على اسم «إن» أو إضمار فعل يفسره

مدادًا له يزيده وينصب فيه من بعده أي من خلفه والمقصود كما يتوقف على أن يفرض كون أشجار الأرض أقلامًا يتوقف أيضًا على أن يفرض كون البحر المحيط ممدودًا بسبعة أبحر مدادًا. فعلى هذا كان الظاهر أن يقال: والبحر مدادًا يمده من خلفه سبعة أبحر، لكن لم يذكر المداد اكتفاء بذكر ما يدل عليه وهو قوله: «يمده» فإنه من مد الدواة وأمدها إذا صب فيها المداد فيكون البحر الأعظم بمنزلة الدواة والأبحر التي خلفه بمنزلة المداد له. وفي الآية اختصار يسمى حذف الإيجاز لدلالة السياق على المحذوف وتقدير الكلام: ولو أن أشجار الأرض أقلام والبحر يمد بسبعة أبحر وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الأقلام والمداد. ونظير هذه الآية في اشتمالها على حذف الإيجاز قوله تعالى: ﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦] أي فحلق رأسه لدفع ما به من الأذى ففدية. قال الإمام: قوله: ﴿سبعة أبحر﴾ ليس لحصر الأبحر في سبعة بل المراد الإشارة إلى كثرة المدد ولو كان ألف بحر، وخصت السبعة بالذكر من بين أسماء الأعداد لكونها عددًا يحصر أكثر المعدودات. ألا ترى أن كل أحد لا يخرج عن زمان ومكان والزمان منحصر في سبعة أيام والمكان منحصر في سبعة أقاليم، وأن الكواكب السيارة سبعة وكانت السمٰوات سبعًا والأرضون سبعًا وأبواب جهنم سبعًا وكانت أبواب الجنة ثمانية لأنها الحسنى وزيادة فالزيادة هي الثامن. ولما كانت السبعة عددًا يحصر معظم الموجودات وأكثرها عبّر بها عن مجرد الكثرة من غير اعتبار انحصار المعدود في مرتبتها حتى أن العرب يجعلون السبعة نهاية العدد ويزيدون عند الثامن واوًا يقول القراء لها واو الثمانية ويزعمون أن العدد تم بالسبعة، وأن الواو المذكورة بعدها للاستئناف. والمراد بالكلمات عند المفسرين معلومات الله تعالى ولما كان معلومه لا يتناهى كانت الكلمات التي يعبر بها عنه لا تتناهى أيضًا. **قوله:** (ورفعه للعطف) يعني أن قوله تعالى و «البحر». قرأ أبو عمرو ويعقوب بالنصب والباقون بالرفع. وفي الرفع وجهان: الأول كونه معطوفًا على محل «أن» ومعموليها فإن «أن» مع اسمها وخبرها في محل الرفع على أنه فاعل فعل مقدر يقتضيه ويدل عليه كلمة «لو» فيجوز أن يرفع البحر أيضًا بالعطف عليه وقوله: «يمده» جملة حالية من «البحر» وتقدير الكلام: ولو ثبت كون الأشجار أقلامًا وثبت كون البحر مدادًا ممدودًا بسبعة أبحر. والثاني أن يكون «البحر» مبتدأ و «يمده» الخبر والظاهر أن الواو حينئذٍ حالية والمعنى: ولو أن الأشجار أقلام في حال كون البحر ممدودًا، ولم يحتج إلى ضمير رابط بين الحال وصاحبها استغناء عنه بالواو كما في قولك: خرجت والجيش قادم. وجوّز المصنف كونها استئنافية. وفي النصب أيضًا

يمده. وقرىء «تمده» و«يمده» بالتاء والياء ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ بكتبها بتلك الأقلام بذلك المداد وإيثار جمع القلة للإشعار بأن ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ لا يخرج عن علمه وحكمته أمر والآية جواب لليهود سألوا رسول الله ﷺ أو أمروا وفد قريش أن يسألوه عن قوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] وقد أنزل التوراة وفيها علم كل شيء. ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلا كخلقها وبعثها إذ لا يشغله شأن عن شأن لأنه يكفي لوجود الكل تعلق إرادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ يسمع كل مسموع ﴿بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ يبصر كل مبصر لا يشغله إدراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ﴾ كل من النيرين يجري في فلكه. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى منتهى معلوم الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر. وقيل: إلى يوم القيامة. والفرق بينه وبين قوله: ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: ١٣؛ الرعد: ١٢؛ الزمر: ٥] أن الأجل ههنا منتهى الجري وثمة غرضه حقيقة أو مجازًا وكلا المعنيين حاصل في الغايات.

وجهان: الأول أن يكون معطوفًا على اسم «أن» وهو «ما» وخبره «يمده» والتقدير: ولو أن البحر يمده على معنى ولو وقع هذان والثاني أن يكون من باب ما أضمر عامله على شريطة التفسير. **قوله**: (وقرىء تمده ويمده) أي قرىء بتاء التأنيث لإسناد الفعل إلى سبعة. وقرىء بالياء من تحت مضمومة وكسر الميم من أمده وهما لغتان بمعنى. **قوله**: (والآية جواب) قال المفسرون: نزل بمكة قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥] إلى قوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] فلما هاجر رسول الله ﷺ أتاه أحبار اليهود فقالوا: يا محمد بلغنا أنك تقول: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ أفعنيتنا أم قومك؟ قال عليه الصلاة والسلام: «كلا قد عنيت». قالوا: ألست تتلو فيما جاءك أنا أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء فقال عليه الصلاة والسلام: «هي في علم الله قليل وقد آتاكم ما أن علمتم به انتفعتم». قالوا: يا محمد كيف تزعم هذا وأنت تقول: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية جوابًا لهم. فعلى هذا تكون الآية مدنية. وقيل: إنما أمر اليهود وفد قريش أن يسألوا رسول الله ﷺ وهو بعد بمكة فسأله الوفد بمكة، فنزلت في مكة. **قوله تعالى**: (ما خلقكم ولا بعثكم) جواب لكفار قريش حين قالوا: إن الله تعالى خلقنا أطوارًا نطفة علقة مضغة لحمًا فكيف يبعثنا خلقًا جديدًا في ساعة واحدة؟ **قوله**: (وثمة غرضه حقيقة أو مجازًا) أي إن قيل:

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٩﴾ عالم بكنهه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الذي ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري بها. ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ بسبب أنه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته أو الثابت إلـٰهيته. ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ المعدوم في حد ذاته لا يوجد ولا يتصف إلا بجعله أو الباطل إلـٰهيته. وقرأ البصريان والكوفيون غير أبي بكر بالياء. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٣٠﴾ مترفع على كل شيء ومتسلط عليه. ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ بإحسانه في تهيئة أسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول إنعامه. والباء للصلة أو الحال. وقرىء «الفلك» بالتثقيل و«بنعمات الله» بسكون العين وقد جوّز في مثله الكسر والفتح والسكون. ﴿لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ دلائله ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ﴾ على

يجري لأجل مسمى يكون إدراك الأجل غرضًا مطلوبًا من الجري حقيقة إن قلنا إن كل واحد من الكواكب السيارة والأفلاك له شعور وحركة إرادية أو مجازًا مبنيًا على تشبيه عاقبة الشيء بالعلة الحاملة إن قلنا إنها جمادات لا شعور لها ولا غرض.

قوله تعالى: (وأن الله بما تعملون خبير) قرأ أبو عمرو في رواية بياء الغيبة، والباقون بتاء الخطاب. والظاهر أن الخطاب للمشركين وأن الآية احتجاج عليهم وتهديد ووعيد لهم وقوله: «ألم تر» خطاب عام والمراد من الرؤية العلم الجلي المنزل منزلة الرؤية، والمشركون وإن لم يعلموا إحاطة علم الله تعالى بتفاصيل أعمال عباده إلا أنهم نزلوا منزلة من يعلم بها لتمكنهم من العلم بها بأدنى التفات لكثرة دلائل العلم بها ووضوحها. **قوله:** (إشارة إلى الذي ذكر) أي ذكره الله تعالى من عجائب صنعه واعتراف المشركين باختصاصه تعالى بخلقها ووصف نفسه بأنه عزيز كامل القدرة لا نهاية لمقدوراته، وأنه حكيم كامل العلم لا نهاية لمعلوماته، وأنه هو الغني الحميد، وأنه سميع بصير، وأنه بما يعملون خبير، وأنه عليم بذات الصدور، وبعد إجراء تلك الصفات على الذات المتميزة بها أشار إليها من حيث ثبوتها لموصوفها بقوله ذلك وحكم بأنها إنما ثبتت له لأنه هو الإلـٰه الثابت إلـٰهيته لما تقرر في العقول أن هذه الصفات لوازم الألوهية المساوية لها وإن تحقق الملزوم يستلزم تحقق لوازمه، فاستدل في الآية بتحقق لوازم الألوهية على كونه تعالى ثابتًا في ذاته أو ثابتًا آلهيته. **قوله:** (وقد جوّز في مثله) أي قيل: كل ما كان على فعلة يجوز في جمعه ثلاث لغات: فعلات بسكون العين، وفعلات بفتحها، وفعلات بكسرها نحو: سدرة وسدرات وسدرات وسدرات. **قوله:** (لكل صبّار) أي على مشاق التفكر في إصابة الحق شكور بصرف القوى الفكرية إلى

المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الآفاق والأنفس. ﴿شَكُورٍ (٣١)﴾ يعرف النعم ويتعرف مانحها، أو للمؤمنين فإن الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر. ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾ علاهم وغطاهم. ﴿مَوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾ كما يظل من جبل أو سحاب أو غيرهما. وقرىء «كالظلال» جمع ظلة كقلة وقلال ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد. ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ مقيم على الطريق القصد الذي هو التوحيد، أو متوسط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار. ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ غدار فإنه نقض للعهد الفطري أو لما كان في البحر. والختر أشد الغدر. ﴿كَفُورٍ (٣٢)﴾ للنعم ﴿يَا أَيُّهَا

ما خلقت هي لأجله مع قطع النظر عن كونه مؤمنًا أو لا. **قوله**: (**فإن الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر**) وذلك أن التكاليف نصفان: أفعال وتروك، والتروك صبر عن المألوف والأفعال شكر على المعروف. ذكر الله تعالى أولاً آية سماوية حيث قال: ﴿ألم تر أن الله يولج الليل في النهار﴾ ثم ذكر آية أرضية فقال: ﴿ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله﴾ التي هي الريح الملائمة لجريها ليريكم بإجرائها بنعمته بعض آياته ثم قال: ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ يستدلون بها على كمال علمه وقدرته ووحدانيته ويعترفون بها من غير أن يقعوا في شدة تلجئهم إلى الاعتراف بها. ثم وصف الكفار بقوله: ﴿وإذا غشيهم موج كالظلل﴾ حين ركبوا البحر أنابوا إلى الله تعالى ودعوه مخلصين له الدين حين علموا أنه لا منجي لهم غيره. والظلل جمع ظلة وكذا الظلال كقلة وقلل وقلال. وحد الموج وشبهه بالظلل أي بالأمور التي تظلل كالجبال والسحب المتراكمة وغيرهما للدلالة على عظم الموج وكثرته وارتفاعه بحيث ينفصل منه وقت انحداره إلى جانب السفل أمثال الظلل. **قوله**: (**مقيم على الطريق القصد**) أي العدل السوي فقوله تعالى: ﴿فمنهم مقتصد﴾ أي عدل في الوفاء في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له، فالمعنى: فمنهم من ثبت على إيمانه. وههنا مضمر وهو قوله: ومنهم من ينقض العهد اكتفى عنه بقوله: ﴿وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور﴾ والختار الكفور موازن للصبار الشكور لفظًا ومقابل له معنى، فإن الصبار الشكور يتذكر ما فيه من الآيات حالة الرخاء من غير أن يلجئه إليه شيء من الشدائد، والختار الكفور وإن اضطر إلى الاعتراف بالحق حالة الضرورة إلا أنه إذا أنجاه الله تعالى من الغرق وانتهى إلى البر ينقض العهد ويعود إلى ضلاله القديم. وروي عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه قال: لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وقال: «اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة»، عكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن خطل ومقيس بن ضبابه وعبد الله بن سعيد بن أبي سرح. فأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم ريح عاصف فقال

ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ لا يقضي عنه. وقرىء «لا يجزىء» من أجزأ إذا أغنى والراجع إلى الموصوف محذوف أي لا يجزى فيه. ﴿وَلَا مَوْلُودٌ﴾

أهل السفينة: اخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئًا ههنا فقال عكرمة: لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص فما ينجيني في البر أيضًا غيره. ثم قال: اللهم إن لك عهدًا إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمدًا حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفوًا كريمًا. فسكنت الريح فجاء وأسلم وحسن إسلامه. ثم إنه تعالى لما ذكر الدلائل من أول السورة إلى هنا ختم السورة بما يحملهم على التفكر في تلك الدلائل والاهتداء بها إلى ما يؤديهم إلى حسن العاقبة وينجيهم من شدائد يوم القيامة فقال: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾ ولا تخالفوا شيئًا مما أمر به ونهي عنه وأكد الأمر بتقواه بقوله تعالى: ﴿واخشوا يومًا﴾ أي عقاب يوم وقوله: ﴿لا يجزي والد عن ولده﴾ صفة لقوله: «يومًا» والعائد محذوف أي فيه ومعناه: لا يقضي عنه شيئًا من الحقوق الثابتة عليه ولا ينفعه بشيء لما كان بعض الأقرباء يتحمل عن البعض الآخر ما يتوجه إليه من المكاره والشدائد بالوصلة التي كانت بينهم في الدنيا والمنافع التي كان ينفع بعضهم بعضًا بها في الدنيا، أخبر الله تعالى أن ذلك كله ينقطع في الآخرة لهول ذلك اليوم واشتغال كل امرىء بنفسه ولا ينفع أحد صاحبه وخاصة ما ذكر من الولد لوالده والوالد لولده فإن ما بينهما من القرابة القريبة تستدعي أن يجتهد كل واحد منهما ويبذل وسعه وطاقته في دفع ما يلحق الآخر من المكاره للشفقة والمحبة التي جعلت فيما بينهم، ومع ذلك فقد أخبر الله تعالى أنه لا ينفع أحدهما صاحبه لاشتغاله بنفسه، كما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «كل نسب وسبب فهو منقطع إلا نسبي وسببي». ونسبه دينه الذي دعانا إليه وعلمناه وسببه شفاعته يوم القيامة فأخبر أن ذلك كله منقطع إلا هذين، فإنه من تمسك بدينه فإنه يشفع له يوم القيامة فيما فرط وقصر وأما من لم يقبل دينه ولم يجبه إلى ما دعاه فإنه ليس له شيء من هذين وقد انقطع عنه باقي الأنساب والأسباب أيضًا. وقال بعضهم: هذه الآية في الكفار وأما المؤمنون فينفع الوالد ولده والولد والده في الآخرة يدفع الأب إلى ابنه فضل عمله، وكذلك الولد إلى أبيه لقوله تعالى: ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ [النساء: ١١] وقال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] وقد روي في الأحاديث: «الشفاعة للأخيار» ويبعد أن يستنفع الأجانب دون الأقارب. والله أعلم.

قوله: (وقرىء لا يجزىء من أجزأ إذا أغنى) على بناء أفعل من المهموز اللام يقال: أجزأت عندك مجزى فلان ومجزأ فلان ومجزاة فلان أي أغنيت عنك مغناه. وأجزأت عنك شاة لغة في جزت أي قضت وأدت فإن جزى غير مهموز بمعنى قضى. **قوله: (ولا مولود**

عطف على والد أو مبتدأ خبره. ﴿هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ وتغيير النظم للدلالة على أن المولود أولى بأن لا يجزي، وقطع طمع من توقع من المؤمنين أن ينفع أباه الكافر في الآخرة. ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالثواب والعقاب ﴿حَقٌّ﴾ لا يمكن خلفه ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ الشيطان بأن يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي.

عطف على والد) فيه بحيث لأن المولود حينئذٍ يكون فاعل قوله: «لا يجزىء» ويكون قوله: «هو جاز عن والده» صفة للمولود فيلزم أن يكون المولود جازيًا عن والده في الدنيا وغير جاز عنه فكيف يجتمع فيه المتنافيان؟ والجواب أن اللازم من التوصيف كون المولود جازيًا عن والده في الدنيا والمنفي كونه جازيًا عنه يوم القيامة ولا منافاة بينهما لاختلاف الزمان. **قوله:** (أو مبتدأ) ويجوز الابتداء بالنكرة الواقعة في سياق النفي كقولك: ما أحد خير منك. والمبتدأ مع خبره جملة معطوفة على قوله: ﴿لا يجزى والد عن ولده﴾. **قوله:** (وتغيير النظم) فإن قوله: ﴿ولا مولود﴾ إن كان معطوفًا على والد كان الظاهر أن يقال: ولا ولد عن والده، فغير لفظ الولد إلى المولود ووصف بكونه جازيًا عن والده في الدنيا للدلالة على أن الولد الصلبي الذي شأنه أن يقضي حقوق أبيه في الدنيا لا يقضي عنه شيئًا من الحقوق يوم القيامة فضلاً عن سائر الأولاد، فإن الولد يقع على الولد الصلبي وولد الولد بخلاف المولود فإنه لا يطلق إلا على الولد الصلبي، فتخصيص المولود بالذكر لقوة قرابته يدل على أنه أولى بأن لا يجزي أي أولى بأن يبين أنه لا يجزي وإن كان قوله: «ولا مولود» مبتدأ وما بعده خبره فقد غيرت الجملة المعطوفة إلى ما هو آكد من المعطوف عليه، فإن الاسمية آكد من الفعلية لا سيما إذا توسطت كلمة «هو» بين المبتدأ والخبر ومع ذلك فقد غير لفظ الولد إلى لفظ المولود ووجه التغيير ما ذكر من أن الدلالة على أنه أولى ببيان حكمه وقطع طمع من توقع أن ينفع أباه الكافر. **قوله:** (بالثواب والعقاب) على أن يكون قوله تعالى: ﴿إن وعد الله حق﴾ لتحقق اليوم المذكور على معنى اخشوا يومًا هذا شأنه وهو كائن لا محالة لوعد الله تعالى بمجيئه ووعده حق. ويحتمل أن يكون تحقيقًا لعدم أن يجزي أحد عن أحد على معنى أنه لا يجزي والد عن ولده لأن الله تعالى قد وعد بأن ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤؛ فاطر: ١٨؛ الزمر: ٧] ووعد الله حق فلا يجزي أحد عن أحد، ولما كان الموعود حقًا واقعًا لا محالة وكان الاغترار بزخارف الدنيا وزينتها والاغترار بحلم الله تعالى وإمهاله صارفًا عن التزود لذلك اليوم، نهى الله تعالى عن الاغترار بهما فقال تعالى: لا يغرنكم شيء منهما واجتهدوا فيما يسعدكم. والغرة بالله عبارة عن أن يتمادى الرجل على المعصية ويتمنى المغفرة، والغرور بالضم مصدر وبالفتح صيغة مبالغة كشكور ويسمى

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ علم وقت قيامها لما روي أن الحارث بن عمرو أتى رسول الله ﷺ فقال: متى قيام الساعة؟ وإني قد ألقيت حياتي في الأرض فمتى السماء تمطر؟ وحمل امرأتي ذكر أم أنثى؟ وما أعمل غدا؟ وأين أموت؟ فنزلت. وعنه عليه الصلاة والسلام: «مفاتح الغيب خمس» وتلا هذه الآية. ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ في إبانة المقدر له والمحل المعين له في علمه. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد. ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ أذكر أم أنثى أتام أم ناقص ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من خير أو شرور بما تعزم على شيء وتفعل خلافه. ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ كما لا تدري في أي وقت تموت. روي أن ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه فقال الرجل: من هذا؟ قال: ملك الموت. فقال: كأنه يريدني، فمر الريح أن تحملني وتلقيني بالهند ففعل. فقال الملك: كان دوام نظري إليه تعجبًا منه إذ أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك. وإنما جعل العلم لله والدراية للعبد لأن فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين، ويدل على أنه إن عمل حيلة وأنفد فيها وسعه لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليلاً عليه؟ وقرىء «بأية أرض» وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في «كلتهن» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ يعلم الأشياء كلها. ﴿خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها. وعنه عليه الصلاة والسلام: «من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقًا يوم القيامة وأعطي من الحسنات عشرًا عشرًا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر».

الشيطان غرورًا إذ من شأنه وحرفته أن يغر. **قوله:** (لأن فيها معنى الحيلة) فإن الدراية هي العلم مع تكلف وحيلة ولهذا لم يجيزوا إطلاق اسم الداري على الله تعالى ولما قال تعالى: ﴿واخشوا يومًا لا يجزي والد عن ولده﴾ وذكر أنه كائن لا محالة حيث قال: ﴿إن وعد الله حق﴾ كأن قائلاً قال: فمتى يكون اليوم؟ فأجيب بأن العلم بوقت قيام الساعة مما لم يحصل لغير الله تعالى فحقكم أن تعتقدوا بقيامها وتتزودوا لها. **قوله:** (وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في قولهم كلتهن) يعني أن تأنيث أي لغة ضعيفة كتأنيث «كل» لأن أيًا اسم مبهم لازم الإضافة والجمع بين التاء والإضافة لا يخلو عن بشاعة لما فيه من الفصل بين المضاف والمضاف إليه بأجنبي وهو تاء التأنيث، فاللغة الشائعة أن يقال: أيهن وكلهن فإن أنث كان حقها أن تقطع عن الإضافة نحو: أية سلكوا إلا أنه قرىء «بأية أرض» بالإضافة تشبيهًا لها بكل في قولهم: كلتهن. تم ما يتعلق بسورة لقمان بحمد الله تعالى وحسن توفيقه وهذا أوان الشروع في توضيح سورة آلم السجدة.

سورة السجدة

مكية وهي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١﴾ إن جعل اسمًا للسورة أو القرآن فمبتدأ خبره. ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ على أن التنزيل بمعنى المنزل، وإن جعل تعديد الحروف كان «تنزيل» خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره. ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ فيكون ﴿مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ حالاً من الضمير في «فيه» لأن المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر. ويجوز أن يكون خبرًا ثانيًا و«لا ريب فيه»

سورة آلـمّ السجدة

وهي مكية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (وإن جعل تعديد الحـرف) لينتبه السامع ويقبل نحو المتكلم ويسمع ما يلقى إليه بقلب حاضر، والسامع ههنا وإن كان يقظان الجنان لكنه إنسان يشغله شأن عن شأن، فكان يحسن من الحكيم أن يقدم على الكلام المقصود حروفًا كالمنبهات ليلتفت المخاطب بسببها إليه ويقبل بقلبه عليه، ثم يشرع في المقصود فلا يكون لتلك الحروف محل من الإعراب لعدم تركبها مع العامل. فحينئذٍ يكون «تنزيل الكتاب» خبر مبتدأ محذوف تقديره؛ الذي يتلى عليك منزل الكتاب أي كتاب منزل، ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ثم أضيف للبيان كما في جرد قطيفة ونحوه مما أضيفت الصفة فيه إلى موصوفها و«لا ريب فيه» خبر ثان أو حال من «الكتاب» و «من رب» متعلق «بتنزيل». **قوله:** (حالاً من الضمير في فيه)

حال من «الكتاب» أو اعتراض والضمير في «فيه» لمضمون الجملة ويؤيده قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ فإنه إنكار لكونه من رب العالمين. وقوله: ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ فإنه تقرير له. ونظم الكلام على هذا: أنه أشار أولاً إلى إعجازه ثم رتب عليه أن تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه، ثم أضرب عن ذلك إلى ما يقولون فيه على خلاف ذلك إنكارًا له وتعجيبًا منه. فإن «أم» منقطعة، ثم أضرب عنه إلى إثبات أنه الحق المنزل من الله. وبيّن المقصود من تنزيله فقال: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ إذ كانوا أهل الفترة. ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾ بإنذارك إياهم.

فيتعلق بمحذوف ولا يجوز حينئذٍ أن يتعلق بتنزيل لأن المصدر قد أخبر عنه فلا يعمل فيما بعد الخبر. **قوله: (والضمير في فيه لمضمون الجملة)** يعني على تقدير كونه اعتراضًا بين المبتدأ والخبر لتأكيد مضمون الجملة يكون الضمير لمضمونها كأنه قيل: لا ريب في ذلك أي في كونه منزلاً من رب العالمين. وأما على تقدير أن يكون «تنزيل» مبتدأ و «لا ريب فيه» خبره فالضمير حينئذٍ يكون راجعًا إلى تنزيل الكتاب وأيد كونه اعتراضًا بأمرين: الأول قوله: ﴿أم يقولون﴾ والثاني قوله: ﴿بل هو الحق﴾ ثم بيّن وجه انتظام الكلام على تقدير كون «لا ريب فيه» اعتراضًا بأنه تعالى أشار إلى إعجاز الكتاب المنزل بافتتاح السورة «بآلٓمٓ» على سبيل التعديد. قال المصنف في أول سورة البقرة: ثم إن مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي يتركب منها افتتحت السورة بطائفة منها إيقاظًا لمن تحدى بالقرآن وتنبيهًا على أن المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم، فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الإتيان بما يدانيه وليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلاً بنوع من الإعجاز، فإن النطق بأسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فأما من الأمي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة. إلى هنا كلامه.
قوله: (فإن أم منقطعة) علة لكون الإضراب إلى ما يقولون فيه إنكارًا له، فإن «أم» المنقطعة متضمنة لهمزة الاستفهام الذي لا محل له في هذا الموضع سوى الإنكار أثبت أولاً أن تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه، ثم أضرب عن إثبات أن تنزيله من رب العالمين وليس الإضراب لإبطال الكلام السابق بل بمعنى ترك الأول والأخذ فيما هو أهم فكأنه قيل: اترك هذا الذي ذكرنا من كونه رب العالمين وانظر في كلمتهم الحمقاء وتعجب منها. ثم أضرب عن ذلك أيضًا فكأنه قال: بل لا تلتفت إلى قولهم وانظر إلى كونه حقًا واستغرق أوقاتك في التفكر فيه وتبليغه والعمل بما فيه. وقوله: «من ربك» حال من «الحق» وعامله محذوف وهو العامل في «لتنذر» أيضًا ويجوز أن يتعلق «لتنذر» بعامل آخر أي أنزله لتنذر كما يشعر به قول المصنف. وبيّن المقصود من تنزيله فقال: «لتنذر»

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى

وقوله: «قوما» مفعول أول للإنذار وقوله: «ما آتاهم» جملة منفية في محل النصب على أنها صفة «قوما» والمفعول الثاني للإنذار محذوف أي لتنذرهم العذاب إن أصروا على كفرهم ولم يؤمنوا بك وبكتابك. فإن أنذر يتعدى إلى اثنين قال تعالى: ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾ [فصّلت: ١٣] ويحتمل أن تكون كلمة «ما» في قوله: «ما أتاهم» موصولة في محل النصب على أنها المفعول الثاني للإنذار والتقدير: لتنذر قومًا العقاب الذي أتاهم من نذير من قبلك على أن «من نذير» متعلق «بأتاهم» أي أتاهم العقاب على لسان نذير من قبلك، وكذا الحال في قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يٓس: ٦] أي لتنذر قومًا العقاب الذي أنذره آباؤهم فـ «ما» مفعوله في الموضعين. والمراد بالقوم أهل الفترة وهم الذين كانوا بين عيسى عليه الصلاة والسلام ومحمد عليه الصلاة والسلام، ومعنى عدم إتيان النذير إليهم أنهم ضيعوا شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام وضلوا بالكلية باتباع الأهواء الفاسدة فاقتضت الحكمة الإلـٰهية أن يرسل إليهم رسولاً يدعوهم إلى التوحيد والطاعة وينذرهم عذاب الله تعالى إن أصروا على الضلالة، وما أتاهم من نذير مع احتياجهم إلى إتيانه حيث لم يبق على وجه الأرض عالم يهديهم وينتفع بهدايته فبقوا على ذلك سنين متطاولة فلم يأتهم رسول قبل بعثة رسول الله عليه الصلاة والسلام، فكانوا قومًا ما أتاهم من نذير بعد الضلال الذي حدث بانطماس الشريعة المتقدمة. وقيل: المراد بالقوم العرب فإنهم أمة أمية لم يأتهم نذير قبل رسول الله ﷺ وهذا بعيد، فإنهم كانوا من أولاد إبراهيم عليه الصلاة والسلام وجميع أنبياء بني إسرائيل أولاد أعمامهم وكيف يتجاسر على أن يقال: إنه تعالى ترك قومًا من ابتداء نشأتهم إلى زمان نبينا ﷺ بلا دين ولا شرع؟ وإن أريد بالعرب طائفة مخصوصة منهم وهي أهل العصر الواقع قبل عصر النبوة لزم تخصيص العام بلا مخصص، لأن القوم الموصوفين بأنه ما أتاهم من نذير من قبلك يعم جميع أهل العصر الواقع قبل بعثة النبي ﷺ سواء كان من مشركي العرب أو من أهل الكتاب فحمله على العرب خاصة تخصيص بلا دليل. والترجي المستفاد من قوله تعالى: ﴿لعلهم يهتدون﴾ من جهة رسول الله ﷺ كما كان ذلك من جهة موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ [طٰه: ٤٤] فالمعنى: لتنذرهم راجيًا أنت اهتداءهم. ثم إنه تعالى لما بيّن حقيقة الرسالة والتنزيل وبيّن ما على الرسول من الدعاء إلى التوحيد وإقامة البرهان عليه قال: ﴿الله الذي خلق السمٰوات﴾ فقوله: «الله» مبتدأ والموصول مع صلته خبره، وقد اتفق المشركون على أنه تعالى لا شريك له في خلقها فكذا لا شريك له في الألوهية.

﴿ٱلْعَرْشِ﴾ مرّ بيانه في الأعراف. ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ ما لكم إذا جاوزتم رضى الله أحد ينصركم ويشفع لكم، أو ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم، على أن الشفيع متجوز به للناصر فإذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا ناصر ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ بمواعظ الله. ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ

قوله: (مر بيانه في الأعراف) وهو قوله: «في ستة أيام» أي في ستة أوقات كقوله: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ﴾ [الأنفال: ١٦] أو مقدار ستة أيام فإن المتعارف في اليوم زمان من طلوع الشمس إلى غروبها ولم يكن حينئذٍ، وفي خلق الأشياء مدرجة مع القدرة على إيجادها دفعة دليل الاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الأمور. فلما كان تعالى منزهًا عن الاستقرار والتمكن جعل الاستواء على العرش كناية عن نفاذ قدرته وتصرفه في مخلوقاته، لأن الجلوس على العرش من لوازم الملك والاستيلاء فأطلق اللازم وأريد به الملزوم. والاستواء على العرش من جملة المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله عند بعض العلماء حتى قيل: تأويله الإيمان به وأن يفوض العلم بأن المراد منه ما هو إلى الله قال:

ورب العرش فوق العرش لكن ... بلا وصف التمكن واتصال

قوله: (ما لكم إذا جاوزتم رضى الله تعالى) لما كان ظاهر اللفظ يدل على أنه ليس لنا ولي ولا شفيع غير الله فإن ولينا وشفيعنا هو الله تعالى وحده، والله تعالى منزه عن أن يكون شفيعًا ليستشفع به إلى أحد. ولذلك رد النبي ﷺ على أعرابي قال: استشفع بالله إليك. أشار المصنف إلى أن ذلك المعنى إنما يفهم إذا كان قوله من دون الله بمعنى من غير الله وليس كذلك، بل المعنى ما لكم مجاوزين لله أي مجاوزين رضاه وامتثال أمره وطاعته ولي ولا شفيع فيكون «من دونه» حالاً من «كم» في «لكم» والعامل معنى الاستقرار الذي تعلق به لكم أي ما استقر لكم مجاوزين رضى الله وامتثال أمره شفيع يشفع لكم وناصر ينصركم. وفي الكلام حذف مضاف أي من دون رضاه ومن استعمال دونه في معنى المجاوزة قول الشاعر:

يا نفس ما لك دون الله من واق

أي ما لك إذا جاوزت وقاية الله أحد يقيك. ثم أشار إلى توجيه آخر بقوله: أو ما لكم سواه ولي ولا شفيع وتقريره: سلمنا أن معنى من دون الله من غير الله لكن إنما يفهم ذلك المعنى المهروب منه أن لو كان الشفيع على أصل معناه وليس كذلك بل هو بمعنى الناصر، لأن الشفاعة تستلزم النصرة فأطلق الملزوم وأريد اللازم فيكون «من دونه» حالاً «من ولي ولا شفيع» قدم على ذي الحال لكونه نكرة فإن قيل: كيف قدم على ذي الحال المجرور وقد صرح ابن الحاجب في الكافية بأن الحال لا يتقدم على ذي الحال المجرور في الأصح؟

﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة آثارها إلى الأرض ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ ثم يصعد إليه ويثبت في علمه موجودًا ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ في برهة من الزمان متطاولة يعني بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع. وقيل: يدبر الأمر بإظهاره في اللوح فينزل به الملك ثم يعرج إليه في زمان هو كألف سنة لأن مسافة نزوله وعروجه مسيرة ألف سنة، فإن ما بين السماء

فالجواب أن حرف الجر هنا زائد لا اعتداد به ووجه اتصال قوله تعالى: ﴿ما لكم من دونه من ولي﴾ **بما قبله أنه لما نزل قوله تعالى:** ﴿الله الذي خلق السمٰوات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ **الآية قال بعض المشركين: نحن معترفون بأن خالق السمٰوات والأرض واحد هو الله تعالى إلا أن هذه الأصنام صور ملائكة مكرمين عند الله نرجو منهم أنهم شفعاؤنا فقال الله تعالى: إذا علمتم أنه لا إلٰه غيره فاعلموا أنه لا نصرة من غير الله ولا شفاعة إلا بإذن الله، فعبادتكم لهذه الأصنام باطلة ضائعة لأنهم ليسوا بخالقيكم ولا ناصريكم ولا شفعائكم لأن من بلغ في القدرة وعلو الشأن إلى أن تمكن من خلق هذه الأجسام العظام والتصرف فيها كيف شاء هل يكون عند هذا الملك العظيم الشأن لهؤلاء الأصنام المكونة قدر وحرمة حتى ترجوا منها نصرة وشفاعة وتدبير الأمر النظر في دابره وعاقبته والتفكر فيه؟ قوله: (يدبر أمر الدنيا) أي شأنها وحالها والأمور التي تقع فيها. والمراد بتدبير أمرها القضاء السابق الذي هو الإرادة الأزلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص، جعل القضاء مبتدأ من جانب السماء لكون المقضى منوطًا بأسباب سماوية منتهيًا إلى الأرض لانتهاء آثار تلك الأسباب إلى الأرض وعروج أمر الدنيا إليه تعالى مجاز عن ثبوته في علمه تعالى موجودًا، وعطف عروج الأمر على تدبيره بكلمة «ثم» وقدر زمان العروج بألف سنة من سني الدنيا استطالة لما بين التدبير والوقوع لا للتعيين والتوقيت. قوله: (في برهة من الزمان) أي في مدة متطاولة منه.**

قوله: (وقيل يدبر الأمر بإظهاره في اللوح) على أن يكون المراد بالأمر أمر الوحي وتدبيره إظهاره في اللوح وأن يكون قوله: «من السماء» متعلقًا بمحذوف أي فينزل به بعض ملائكته من السماء إلى الأرض فيلقى ذلك إلى الذي أمر بإلقائه إليه من الرسل، ثم يعرج ذلك الملك إليه أي إلى الموضع الذي أمر بالعروج إليه من السماء في يوم كان مقداره في نزول الملك إلى الأرض وعروجه منها إلى السماء ألف سنة مما تعدون من أيامكم في الدنيا. واستطالة نفس اليوم عبارة عن امتداد مسافة نزول الملك وعروجه بكونها مسيرة ألف سنة، فإنه لو سار أحد من بني آدم فيها لم يقطعها إلا في ألف سنة والملائكة يقطعونها في يوم واحد من أيام الدنيا بل في ألطف ساعة منها. فالتدبير عبارة عن كتبه الوحي في اللوح

والأرض مسيرة خمسمائة سنة. وقيل: يقضي قضاء ألف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الألف لألف آخر. وقيل: يدبر الأمر إلى قيام الساعة ثم يرجع إليه الأمر كله يوم القيامة. وقيل: يدبر المأمور به من الطاعات منزلاً من السماء إلى الأرض بالوحي ثم لا يعرج إليه خالصًا كما يرتضيه إلا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والأعمال الخلص

المحفوظ وإظهاره فيه للملائكة الموكلين به حتى إذا رأوا أنه قد وجد ذلك في اللوح عرفوا أنه تعالى أراد أن ينزلوا به إلى نبيه في الأرض فيفعلون ذلك ثم يعرجون إلى مكانهم الذي كانوا فيه والعروج بحسب الظاهر، وإن كان مسندًا إلى ضمير الأمر، إلا أنه عروج الملك المأمور بتبليغ ذلك الأمر وكذا ضمير «إليه» يرجع بحسب الظاهر إليه تعالى إلا أن المراد عروج الملك إلى مكانه الذي في السماء. وقيل: الضمير «إليه» يرجع إلى السماء المذكور قبله وهو يذكر ويؤنث قال تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨]. **قوله:** (وقيل يقضي قضاء ألف سنة) على أن يدبر بمعنى يقضي وأن الأمر أمر الدنيا وأحوالها الواقعة في يوم واحد من أيام الله تعالى وهو ألف سنة. كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] وأن قوله تعالى: «من السماء» متعلق بمحذوف أي فينزل به الملك من السماء إلى الأرض ثم يعرج بعد الألف لإنزال قضاء ألف آخر وقوله «في يوم» تنازع فيه الفعلان فأعمل فيه الفعل الثاني وهو «يعرج» وحذف ظرف الفعل الأول لدلالة الثاني عليه. والمصنف أشار إليه بقوله: «يقضي قضاء ألف سنة» أي يقضى ما قضى وقوعه في ألف سنة، وعبّر عن الفعلين بلفظ المضارع الدال على الاستمرار التجددي للدلالة على أن شأنه تعالى الاستمرار على أن يقضي ما قضى وقوعه في يوم واحد مقداره ألف سنة فينزل به الملك فيوقعه في الأوقات المقدرة له ثم يعرج في انقضاء ذلك اليوم ليوم آخر وهلم جرًا إلى أن تقوم الساعة. **قوله:** (وقيل يدبر الأمر) أي يقضي شأن الدنيا وما قضى وقدر فيها من الأمور وقوله: «من السماء إلى الأرض» بيان الأمر أي يدبر الأمر الذي مبدأه من السماء ومنتهاه إلى الأرض وهذا كما تقول: من السماء إلى الأرض في قبضة قدرة الله تعالى ومن المشرق إلى المغرب كله لله تعالى، وأشار بقوله: «إلى قيام الساعة» إلى أن قوله: «في يوم» غير متعلق بالتدبير وأنه غير مقيد بالظرف المذكور بعده بل هو قيد للعروج، والمعنى: ثم يرجع إليه جميع ما قضي وقدر يوم القيامة ليحكم فيه ويميز ما هو الحق منه من الباطل ويثيب المحق ويعاقب المبطل ووصف يوم القيامة بأن مقداره ألف سنة لأن يومًا من أيام الآخرة كألف سنة من أيام الدنيا. **قوله:** (وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلاً) يعني قيل: إن المراد بالأمر المأمور به من الطاعات والأعمال الصالحة وتدبيرها الأمر بها والترغيب فيها بالوحي وتعديته بـ «من» و«إلى» لتضمنه معنى ينزل وأن قوله: ﴿ثم يعرج إليه في يوم

وقرىء يعرج ويعدون ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ فيدبر أمرهما على وفق الحكمة. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾﴾ على العباد في تدبيره وفيه إيماء إلى أنه تعالى يراعي المصالح تفضلاً وإحسانًا.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ خلقه موفرًا عليه ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة، وخلقه بدل من كل بدل الاشتمال. وقيل: علم كيف يخلقه من قوله: قيمة المرء ما يحسنه أي يحسن معرفته أو خلقه مفعول. وقرأ نافع والكوفيون بفتح

كان مقداره ألف سنة﴾ **ليس المراد به تعيين مدة العروج بذلك الوقت بل المراد به تقليل الأعمال الصالحة والعاملين بها، لم يرض المصنف بشيء من هذه الأقوال المذكورة لكثرة ما فيها من التكلف بالنسبة إلى ما ارتضاه. قيل في التلفيق بين قوله تعالى في هذه السورة: ﴿في** يوم كان مقداره ألف سنة﴾ **وبين قوله في سورة أخرى** ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] **أن الأول في وصف عروج الملائكة من الأرض إلى السماء والثاني في وصف عروجهم من الأرض إلى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل عليه الصلاة والسلام، فإن مسافة ما بينها وبين الأرض خمسون ألف سنة بسير بني آدم، ثم إن جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه يقطعونها في يوم واحد من أيام الدنيا. وقيل: ألف سنة وخمسون ألف سنة كلها في القيامة يكون على بعضهم الحول كخمسين ألف سنة وعلى بعضهم أقصر منها كألف سنة حتى جاء في الحديث: «إنه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا». وقيل: لا يكون على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر. ويحتمل أن يكون هذا عبارة عن بيان ما فيه من الشدائد والأهوال لا تحديده بذلك. وروي أن ابن عباس رضي الله عنهما سئل عن هذه الآية وهو قوله: «خمسين ألف سنة» فقال ابن عباس: أيام سماها الله تعالى لا أدري ما هي وأكره أن أقول في كتاب الله تعالى ما لا أعلم. قوله: (وقرىء يعرج) على البناء للمفعول والأصل يعرج به ثم حذف الجار فارتفع الضمير واستتر. وقرىء «تعدون» بتاء الخطاب وياء الغيبة.**

قوله: (وفيه إيماء إلى أنه تعالى يراعي المصالح تفضلاً) اتفق المسلمون على أنه تعالى لا يفعل فعلاً خاليًا عن حكمة ومصلحة؛ إلا أن لك الحكمة لازمة للفعل وليست حاملة له على الفعل عندنا خلافًا للمعتزلة. **قوله:** (وخلقه بدل من كل) يعني أن ابن كثير وأبا عمرو وابن عامر قرؤوا «خلقه» بسكون اللام على أنه بدل اشتمال من كل شيء والضمير عائد على كل شيء. **قوله:** (وقيل علم كيف يخلقه) عطف على قوله: «خلقه» موفرًا عليه ما يستعد فإن المعنى حينئذٍ حسن هيئة كل شيء وصورته بأن خلقه مشتملاً على جميع ما يليق به فيكون «كل شيء» مفعولاً به و«خلقه» بدلاً منه بمعنى أحسن خلق كل شيء وإن كان أحسن

اللام على الوصف فالشيء على الأول مخصوص بمنفصل، وعلى الثاني بمتصل ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ﴾ يعني آدم ﴿مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾ ذريته سميت به لأنها تنسل منه أي تنفصل ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨﴾ ممتهن ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ قومه بتصوير أعضائه على ما ينبغي ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ أضافه إلى نفسه تشريفًا وإشعارًا بأنه خلق عجيب وأن له شأنًا له مناسبة ما إلى الحضرة الربوبية ولا حد من عرف نفسه عرف ربه». ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ خصوصًا لتسمعوا وتبصروا وتعقلون ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩﴾ تشكرون شكرًا قليلاً ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي صرنا ترابًا مخلوطًا بتراب الأرض لا نتميز منه، أو غبنا. وقرىء «ضللنا»

الشيء بمعنى علمه يكون المعنى: علم كل شيء قبل أن يخلقه أنه كيف يخلقه وكيف يكون إذا خلقه فيكون «كل شيء» مفعولاً أولاً و«خلقه» مفعولاً ثانيًا. ومن كون الإحسان بمعنى العلم قول من قال:

وقيمة المرء ما قد كان يحسنن ... والجاهلون لأهل العلم أعداء

أي ما قد كان يعلمه ويحسن علمه بأن يعرفه معرفة حسنة بتحقيق وإتقان لا مطلق العلم. وقيل: معناه أن من زاد علمه زاد في صدور الناس قدره وقيمته وكل من نقص علمه نقص عند الناس جاهه وحشمته. **قوله**: (فالشيء على الأول) يعني أن خلقه سواء جعل بدلاً أو مفعولاً ثانيًا لا بد من تخصيص الشيء لأنه تعالى لم يخلق كل شيء فضلاً عن أن يحسن خلقه أو يحسنه ويتم زينته. والمخصص على الأول الدليل المنفصل وهو العقل فإنه يدل على أن المراد الموجودات الممكنة وعلى الثاني الدليل المتصل وهو الوصف أعني خلقه. **قوله**: (لأنها تنسل منه أي تنفصل) يقال: نسل الطائر ريشه ينسل وينسل نسلاً أي أسقطه، ونسل الوبر وريش الطائر بنفسه يتعدى ولا يتعدى. **قوله تعالى**: (وجعل لكم) التفات من ضمير الغائب المفرد في قوله: «ثم جعل نسله» الخ إلى الخطاب ولم يخاطبهم قبل ذلك لأن الخطاب إنما يكون مع الحي فلما قال: ﴿ونفخ فيه من روحه﴾ خاطبه بعد ذلك وقال: ﴿وجعل لكم﴾. **قوله**: (تشكرون شكرًا قليلاً) إشارة إلى أن قوله: «قليلاً» صفة مصدر محذوف للفعل المذكور بعده و«ما» زائدة لتأكيد القلة. **قوله تعالى**: (وقالوا أئذا ضللنا) معطوف على ما سبق منهم، فإن المشركين كانوا ينكرون الوحدانية والرسالة. وقد أشير إلى الثاني بقوله تعالى: ﴿أم يقولون افتراه﴾ وإلى الأول بقوله: ﴿الله الذي خلق السمٰوات﴾ وقد تقرر أن معظم مقاصد القرآن العظيم تمهيد أصول ثلاثة وتقرير دلائلها: التوحيد والرسالة والحشر؛ وأنه تعالى كلما ذكر أصلين من هذه الأصول الثلاثة يذكر الأصل الثالث معهما. وههنا قد ذكر الرسالة بقوله: ﴿تنزيل الكتاب﴾ إلى قوله: ﴿لتنذر قومًا ما أتاهم من نذير من

بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم إذا أنتن. وقرأ ابن عامر «إذا» على الخبر والعامل فيه ما دل على ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ وهو أنبعث أو يجدد خلقنا وقرأ نافع والكسائي ويعقوب «أنا» على الخبر، والقائل أُبيّ بن خلف وإسناده إلى جميعهم لرضاهم به ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث أو بتلقي ملكُ الموت وما بعده ﴿ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾﴾ جاحدون.

قبلك﴾ وذكر الوحدانية بقوله: ﴿الله الذي خلق السمٰوات﴾ إلى قوله: ﴿وجعل لكم السمع والأبصار﴾ ثم ذكر الأصل الثالث وهو الحشر بقوله: و﴿قالوا أئذا ضللنا﴾ أي ضعنا وهلكنا بأن صرنا ضائعين وهالكين بأن صرنا ترابًا مخلوطًا بتراب الأرض لا نتميز منه كما يضيع اللبن في الماء يقال: ضل الشيء يضل ضلالاً أي ضاع وهلك وأضله غيره أي أضاعه وأهلكه ويقال أيضًا: ضل الشيء إذا غاب وخفي مكانه وتقول: ضللت بعيري إذا ذهب منك، وضللت المسجد والدار إذا لم تعرف موضعهما، وكذلك كل شيء مقيم لا يهتدي له. فقولهم: ﴿أئذا ضللنا في الأرض﴾ أي غبنا فيها بسبب الدفن. وقرأ العامة «ضللنا» بضاد معجمة ولام مفتوحة والمضارع منه بكسر العين وهي اللغة الشائعة. وقرىء «ضللنا» بكسر اللام والمضارع منه يضل بفتح العين وهي أيضًا لغة. وقرىء «صللنا» بصاد مهملة ولام مفتوحة وبكسر اللام أيضًا وهما لغتان يقال: صل اللحم يصل ويصل الفتح الصاد وكسرها بمعنى أنتن وتغيرت رائحته. وقرأ عاصم وحمزة «أئذا ضللنا في الأرض» «أئنا» بالجمع بين الاستفهامين بهمزتين للمبالغة في إنكارهم للبعث. وقرأ ابن عامر «إذا ضللنا» بهمزة مكسورة على الخبر «أئنا» بهمزتين قال: لأنهم كانوا يقرون بالموت ويشاهدونه وإنما أنكروا البعث فيكون الاستفهام في البعث دون الموت. وقرأ نافع والكسائي ويعقوب «أئذا ضللنا أنا» بجعل أولى الكلمتين استفهامًا والثانية خبرًا اكتفاء بالهمزة الأولى عن الثانية. **قوله**: (والعامل فيه) أي في «إذا» محذوف ولا يجوز أن يعمل فيه قوله: «خلق جديد» لأن ما بعد «أن» وهمزة الاستفهام لا يعمل فيما قبلهما.

قوله: (بالبعث) متعلق بقوله: «بلقاء ربهم» وليس ببيان له وإلا لما بقي للإضراب وجه لأن كفرهم بالبعث قد ذكر في أول الآية. ووجه الإضراب أنه تعالى ذكر إنكارهم للبعث بناء على استبعادهم دخوله تحت قدرة الله تعالى كما يدل عليه قولهم: ﴿أئذا ضللنا في الأرض﴾ ثم أضرب عنه بما معناه ليس إنكارهم للبعث مبنيًا على استبعادهم قدرة الله تعالى عليه لما أقيم عليهم من الدلائل الدالة على قدرة الله تعالى عليه، وإنما أنكروه لكفرهم بلقاء الله تعالى أي بلقاء ما وعد الله تعالى من اجتماع الخلائق في موقف الحساب وتفرقهم على حسب أعمالهم إلى دار الثواب أو العقاب فأنكروا ما يفضي إليه من البعث والإحياء. فعلى هذا كان

﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم﴾ يستوفي نفوسكم لا يترك منها شيئًا أو لا يبقي منكم أحدًا -والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرًا كتقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته. ﴿مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ بقبض أرواحكم وإحصاء آجالكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ للحساب والجزاء ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ من الحياء والخزي ﴿رَبَّنَآ﴾ قائلين بنا ﴿أَبْصَرْنَا﴾ ما وعدتنا ﴿وَسَمِعْنَا﴾ من تصديق رسلك ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ إذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب «لو» محذوف وتقديره: لرأيت أمرًا فظيعًا ويجوز أن يكون للتمني

الظاهر أن يكون قوله: «أو بتلقي ملك الموت» معطوفًا على قوله: «بالبعث» ويكون كل واحد منهما بيانًا لطريق لقاء الرب ولقاء موعده إلا أن عطف قوله: «وما بعده» على تلقي ملك الموت يأبى ذلك لأن لقاء ما يلقونه بعد تلقي الملك هو نفس لقاء ما وعده الرب لا طريق لقائه. فينبغي أن يجعل قوله: «بالبعث» وما عطف عليه بيانًا أو بدلاً من قوله تعالى: ﴿بلقاء ربهم﴾ تفسيرًا له ويجعل الكفر بالبعث مغايرًا لإنكار البعث المدلول عليه بقوله: «أنبعث» أو يجدد خلقنا إذا ضللنا فإن إنكار الشيء يكفي فيه مجرد استبعاده والكفر به إنما يكون للقطع بعدم وقوعه. فترتيب النظم أنه تعالى ذكر أولاً أنهم قالوا ذلك استبعادًا للبعث، ثم أضرب عنه بقوله: بل هم كافرون بالبعث قاطعون بعدم وقوعه أو بقوله: بل هم كافرون بتلقي ملك الموت وما يكون بعده من أمور الآخرة بأسرها لا بالبعث وحده. ويؤيد هذا المعنى أنهم خوطبوا بقوله تعالى: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت﴾ وتوفي الحق واستيفاؤه أخذه وافيًا تامًا من غير نقصان، واستيفاء النفس وهي الروح أن تقبض كلها ولا يترك منها شيء أولاً يبقى من أصحاب الأرواح أحد كتب عليه الموت. روي أن ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما أحب من غير مشقة فهو يقبض أنفس الخلق من مشارق الأرض ومغاربها وله أعوان من ملائكة الرحمة وأعوان من ملائكة العذاب، فإذا قبض أرواح المؤمنين دفعها إلى ملائكة الرحمة وإذا قبض أرواح الكافرين دفعها إلى ملائكة العذاب. **قوله:** (ويجوز أن يكون للتمني) لأن كلمة «لو» للتقدير والتمني فيه معنى التقدير لأن المتمني لا يخلو من تقديره وطلب حصوله ولما كان في التمني معنى التقدير استعملت كلمة «لو» للتمني كما في قوله عليه الصلاة والسلام للمغيرة حين خطب امرأة: «لو نظرت إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما» أي يكون بينكما المحبة والاتفاق. والأدم الإلفة والاتفاق يقال: أدم الله بينكما أدمًا أي ألف وأصلح، وعلى تقدير كون «لو» للتمني لا تقتضي جوابًا كما هو المشهور. ثم إن التمني يستحيل أن يكون منه تعالى فلا بد أن يكون لرسول الله ﷺ كما أن الترجي له عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى: ﴿لعلهم يهتدون﴾ بيّن الله تعالى أن

والمضي فيها. وفي «إذ» لأن الثابت في علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى مفعول لأن المعنى لو يكون منك رؤية في هذا الوقت أو يقدر ما دل عليه صلة إذ. والخطاب للرسول ﷺ أو لكل أحد ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ ما تهتدي به إلى الإيمان والعمل الصالح بالتوفيق له. ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ ثبت

له ﷺ أن يتمنى رؤيتهم على تلك الصفة الفظيعة لما تجرع منهم أنواع الأذية والخلاف فكان عليه الصلاة والسلام حقيقًا بأن يتمنى ذلك. **قوله**: (والمضي فيها وفي إذ) يعني أن كلمة «لو» إذا لم تكن للتمني بل كانت لوقوع الشيء لوقوع غيره فيما مضى إذا دخلت على المضارع تصرفه إلى الماضي، وكذا كلمة «إذ» ظرف لما مضى فمدلول الكلام أن يكون نكس المجرمين رؤوسهم واقعًا فيما مضى وأن يفرض وقوع رؤية المخاطب إياهم على تلك الحالة الفظيعة فيما مضى. ولا شك أن النكس أمر استقبالي لم يقع بعد فلا وجه لدخول «إذ» عليه كما لا وجه لفرض وقوع الرؤية المتعلقة بالنكس المترقب فيما مضى، إلا أن الثابت في علم الله تعالى لما كان بمنزلة الواقع كان نكس رؤوسهم بمنزلة الواقع فيما مضى فصح دخول كلمة «إذ» عليه وصح فرض كون المخاطب رائيًا في ذلك الوقت إن لم يقدر «لترى» مفعول أو فرض وقوع الرؤية المتعلقة به أي بالنكس فيما مضى إن قدر «لترى» مفعول يدل عليه صلة «إذ». ثم إن المجرمين لما قالوا حين شاهدوا ما وعده الله تعالى من البعث والحساب ﴿ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحًا﴾ قال تعالى في جوابهم ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ أي رشدها وتوفيقها للإيمان والعمل الصالح، فإن كل فعل من أفعال العباد يقع بسبب يرجحه ويفيض عليه من عند الله تعالى وذلك السبب إن كان نحو طاعة يسمى توفيقًا ولطفًا، وإن كان نحو معصية يسمى خذلانًا وطبعًا. وتقرير الجواب أن الرجوع إلى الدنيا إنما ينفعكم أن لو شئت توفيقكم للإيمان والعمل الصالح ولو شئت ذلك فيكم لهديتكم وأنتم في الدنيا، ولما لم أهدكم فيها تبين أني ما أردت إيمانكم وصلاحكم فلا فائدة لكم في الرجوع إلى الدنيا وهو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩] وكقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥] فإنه تعالى إنما يوفق للإيمان والطاعة من علم منه اختيار ذلك وأما من علم منه اختيار الكفر والمعصية فإنه تعالى يخذله ويطبع على قلبه. وهذا صريح في الدلالة على صحة مذهب أهل السنة فإنهم يقولون: إن الله تعالى ما أراد إيمان الكافر وما شاء منه إلا الكفر، والمعتزلة يقولون: شاء الله تعالى أن يهدي كل نفس وآتى كل نفس ما تهتدي به لكنها لم تهتد. فهذه الآية حجة عليهم ويقولون في الجواب عنها في توجيهها: المراد بالآية ولو شئنا إيتاء كل نفس هداها على طريق القهر والجبر لفعلنا ذلك، لكنا بنينا الأمر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا

قضائي وسبق وعيدي وهو ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ وذلك تصريح بعدم إيمانهم لعدم المشيئة المسبب عن سبق الحكم بأنهم من أهل

الكفر على الإيمان فحقت كلمة العذاب على الكافرين. ونحن نقول هذا التأويل فاسد لأنهم زعموا أنه تعالى شاء من الكافر أن يهتدي وآتاه ما به يهتدي إلا أنه لم يهتد ولم تنفذ فيه مشيئة الله تعالى فكيف يقدر ويملك أن يشاء مشيئة تقهرهم وتجبرهم على الاهتداء؟ وأيضًا يقال لهم: إن الإيمان والتوحيد في حال الجبر والقهر لا يكون إيمانًا لأن الإكراه يرفع الفعل عن فاعله ويحوله عنه إلى المكره. روي عن الحسن أنه قال: خطبنا أبو هريرة رضي الله عنه على منبر رسول الله ﷺ وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليعتذرن الله تعالى إلى آدم عليه الصلاة والسلام ثلاث معاذير، يقول الله تعالى: يا آدم لولا أني لعنت الكذابين وأبغضت الكذب والخلف وأعذب عليه لرحمت اليوم ولدك أجمعين من شدة ما أعددت لهم من العذاب، ولكن حق القول مني لئن كذبت رسلي وعصي أمري لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين. ويقول الله تعالى: يا آدم اعلم أني لا أدخل من ذريتك النار أحدًا ولا أعذب منهم بالنار أحدًا إلا من قد علمت بعلمي أني لو رددته إلى الدنيا لعاد إلى شر ما كان فيه ولم يرجع ولم يعتب، ويقول الله تعالى: يا آدم قد جعلتك حكمًا بيني وبين ذريتك قم عند الميزان فانظر ما يرفع إليك من أعمالهم فمن رجح منهم خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة حتى تعلم أني لا أدخل منهم النار إلا من كان ظالمًا». فقوله تعالى: ﴿ولكن حق القول مني﴾ تقديره: ولكن لم أشأ إيتاء توفيق الإيمان لكل نفس فبقي بعض منهم غير موفق للإيمان والطاعة، فاختار الكفر والعصيان فسبق قضائي وسبق وعيدي في حقهم وهو قوله تعالى لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [صٓ: ٨٥] من كفار الفريقين لاختيارهم الكفر والتكذيب وفي قوله تعالى: ﴿من الجنة والناس﴾ دلالة على أنه تعالى قد عصم ملائكته من عمل يستحقون به جهنم وأنهم مبرؤون من دخول النار، وهذا يقتضي أن لا يكون إبليس من الملائكة وهو الصحيح. وقوله تعالى: ﴿أجمعين﴾ تأكيد لاجتماع الفريقين في كونهما مالئين لجهنم المدلول عليه بعطف الناس على الجنة بواو الجمع ولا يلزم منه دخول كل أحد من آحاد الفريقين النار لأن المراد اجتماع الجنسين في أن يملأ بهما جهنم لا استغراق آحادهما في ذلك كما إذا قلت: ملأت الكيس من الدراهم والدنانير جميعًا فإنه لا يقتضي أن لا يبقى درهم خارج عن الكيس.

قوله: (وذلك تصريح بعدم إيمانهم لعدم المشيئة) لأن «لو» لانتفاء الثاني لانتفاء الأول الذي هو المشيئة وكون عدم المشيئة مسببًا عن سبق الحكم بأنهم من أهل النار مبني على أن قوله تعالى: ﴿ولكن حق القول مني﴾ جيء به تعليلاً لعدم المشيئة كأنه قيل: لو شئنا إيتاء

النار، ولا يدفعه جعل ذوق العذاب مسببًا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله:

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ فإنه من الوسائط والأسباب المقتضية له. ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ تركناكم من الرحمة أو في العذاب ترك المنسي. وفي استئنافه وبناء الفعل على «أن» واسمها تشديد في الانتقام منهم. ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ كرر الأمر للتأكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بأفعالهم السيئة من التكذيب والمعاصي، كما علّله بتركهم تدبر أمر العاقبة والتفكر فيه دلالة على أن كلاً منهما يقتضي ذلك. ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا﴾ وعظوا بها ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾ خوفًا من عذاب الله. ﴿وَسَبَّحُوا﴾ نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث. ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ حامدين له خوفًا من عذاب الله وشكرًا على ما وفقهم للإسلام وآتاهم الهدى. ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ عن الإيمان والطاعة كما

كل نفس هداها لآتيناها ذلك لكن لم نؤتها ذلك لعدم مشيئتنا إياه ولم نشأ ذلك لثبوت الحكم وسبق الوعيد بأن من أهل الفريقين من هو أهل النار وهم الذين ثبت في علمه تعالى أنهم يختارون الحظوظ العاجلة على السعادات الباقية ويتركون التفكر في العاقبة ترك الشيء المنسي. **قوله**: (ولا يدفعه جعل ذوق العذاب الخ) جواب عما يقال: إن الآية تدل على أن جميع ما هم عليه من سوء الحال مستند إلى القضاء السابق المتعلق بشقاوتهم لأنه يفهم منه أن عدم إيمانهم يستند إلى سبق الحكم بأنهم من أهل النار فيلزم منه أن يكون ذوق العذاب مستندًا إلى الحكم المذكور، فكيف جعل مستندًا إلى نسيانهم العاقبة أليس هما متدافعين؟ وتقرير الجواب أنه لا تدافع بينهما لأن نسيان العاقبة من العلل المتوسطة لذوق العذاب واستناده إلى النسيان لا ينافي استناده بالآخرة إلى الحكم المذكور، فإنه تعالى إنما قضى وحكم بذلك لعلمه بأنه يترك تفكر العاقبة ترك الشيء المنسي، فإن قيل: النسيان معفو عنه لقوله عليه الصلاة والسلام: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان» فكيف يؤاخذهم الله تعالى بسبب نسيانهم؟ فالجواب أنه ليس المراد بالنسيان المذكور بقوله: بما نسيتم نسيان السهو والغفلة إذ لا تبعة بما فعل في حال السهو والغفلة، ولأن النسيان إنما يكون بطريان الجهل على ما علم سابقًا والمشركون لم يعتقدوا حقيقة البعث حتى يلحقهم نسيان بل المراد به عدم التذكر به مع ظهور براهينه فإن من انهمك في اتباع الشهوات وأعرض عن التفكر في العاقبة والتزود لها بالإيمان والطاعة مع وضوح دلائلها ووفور دواعي التهيؤ لها بمنزلة من علمها ثم نسيها، فلذلك عبّر عن تذكرها والتفكر فيها بلفظ النسيان إشارة إلى كونهم منكرين لأمر ظاهر. وقوله: «إنا نسيناكم بمعنى جازيناكم» جزاء نسيانكم ويسمى

يفعل من يصر مستكبرًا ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ ترتفع وتتمنى ﴿عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ الفرش ومواضع النوم ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ داعين إياه ﴿خَوْفًا﴾ من سخطه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته. وعن النبي ﷺ في تفسيرها: «قيام العبد من الليل» وعنه عليه الصلاة والسلام: «إذا جمع الله الأولين والآخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولي بالكرم، ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل، ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعًا إلى الجنة ثم يحاسب سائر الناس». وقيل: كان من الصحابة يصلون من المغرب إلى العشاء فنزلت فيهم. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ في وجوه الخير.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم﴾ لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ﴿مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾

جزاء النسيان نسيانًا على طريق المشاكلة كما يسمى جزاء السيئة سيئة في قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] أو بمعنى تركناكم ترك الشيء المنسي فيكون استعارة تبعية. ثم إنه تعالى لما ذكر أن المشركين ينكرون البعث ويقولون: ﴿أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد﴾ وأنهم لا يؤمنون بآيات الله تعالى أي بالقرآن ثم أجابهم بأن ذلك كائن لا محالة، ثم وصف حالهم الفظيعة في موقف الحساب ذكر المؤمنين بعد ذكر ذلك فقال: ﴿إنما يؤمن بآياتنا﴾ أي بالقرآن المتدبرون لها المستمعون إلى مواعظها بحيث إذا قرىء عليها القرآن ووعظوا به خروا سجدًا لله على وجوههم تذللاً وتعظيمًا لآياته.

قوله تعالى: (تتجافى جنوبهم) يجوز أن يكون مستأنفًا وأن يكون حالاً وكذلك «يدعون» وإن جعل «يدعون» حالاً احتمل أن يكون حالاً ثانية وأن يكون حالاً من الضمير في «جنوبهم». **قوله:** (سيعلم أهل الجمع) مقول قول مقدر أي ينادي قائلاً سيعلم. **قوله:** (فيسرحون) أي يرسلون. يقال: سرحت فلانًا إلى موضع كذا أي أرسلته إليه. قيل: نزلت الآية في الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الأخيرة والفجر في جماعة قال عليه الصلاة والسلام: «من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة، ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة». والمشهور منه صلاة الليل لقوله عليه الصلاة والسلام: «أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل». وقال عليه الصلاة والسلام: «إن في الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام».

مما تقر به عيونهم. وعنه عليه الصلاة والسلام: «يقول الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه اقرؤوا إن شئتم ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾» وقرأ حمزة ويعقوب «أخفي» على أنه مضارع أخفيت. وقرىء «نخفى» و«أخفى» والفاعل في الكل هو الله تعالى: و«قرات أعين» لاختلاف أنواعها. والعلم بمعنى المعرفة. و«ما» موصولة أو استفهامية معلق عنها الفعل. ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ أي جزوا جزاء أو أخفى للجزاء، فإن إخفاءه لعلو شأنه. وقيل: هذا القوم أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم. ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ﴾ خارجًا من الإيمان ﴿لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ في الشرف والمثوبة تأكيد

قوله: (مما تقر به عيونهم) على أن القرة مصدر وصف به الثواب الذي تقر بسببه عيونهم ولا تلتفت إلى غيره من القرار، فإن القلب إذا اطمأن بالشيء ورضي به لا يبقى للعين طموح والتفات إلى غيره فتقر. قال الجوهري: القرار في المكان الاستقرار فيه تقول منه: قررت بالمكان بالكسر أقر قرارًا، وقررت أيضًا بالفتح أقر قرارًا وقرورًا، وقررت به عينًا قرة وقرورًا فيهما، ورجل قرير العين وقد قرت عينه تقر وتقر نقيض سخنت، وأقر الله عينه أي أعطاه حتى تقر فلا تلمح إلى من هو فوقه ويقال: تبرد دمعة عينه ولا تسخن فإن السرور له دمعة باردة وللحزن دمعة حارة. فالقرة بالضم البرودة والقر بالضم البرد، ويوم قر وليلة قرة أي باردة، والقرتان الغداة والعشي. **قوله:** (عليه الصلاة والسلام بله ما أطلعتهم عليه) من جملة قوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن الله تعالى. و«بله» اسم فعل بمعنى دع واترك. **قوله:** (وقرأ حمزة ويعقوب أخفى) بضم الهمزة وسكون الياء على لفظ المضارع المرفوع المسند إلى ضمير المتكلم وحده. وقرىء «نخفي» بضم نون العظمة. وقرىء «أخفى» ماضيًا مبنيًا للفاعل وهو الله تعالى. وقرأ العامة «أخفى» على لغة الماضي المبني للمفعول ومن ثمة فتحت ياؤه. وقرأ الجمهور «قرة أعين» بإفراد قرة لكونها مصدرًا والمصدر اسم جنس والأصل فيه أن لا يجمعوا. وقرىء «قرات أعين» على لفظ الجمع بالألف والتاء على أن يراد بالقرة نوع من القرار و«ما» موصولة والمعنى: فلا تعلم نفس الشيء الذي أخفي لهم ومن قرة حال من «ما» أو استفهامية. فعلى قراءة من قرأ ما بعدها فعلاً ماضيًا تكون «ما» في محل الرفع بالابتداء والفعل الذي بعدها الخبر، وعلى قراءة من قرأه مضارعًا تكون مفعولاً مقدمًا. **قوله:** (جزوا جزاء) يعني أن جزاء منصوب إما على أنه مصدر لفعله المحذوف أو على أنه مفعول له لقوله: «أخفى» فإن إخفاء الجزاء عن الأعين والأسماع والقلوب لعلو شأنه فكأنه قيل: فلا تعلم نفس أي ثواب عظيم أعد لهم جزاء. بقي الكلام في أن الثواب كيف يكون جزاء لعمل العبد مع أن إخلاص العمل لله عز وجل للنعم الواصلة

وتصريح. والجمع للحمل على المعنى ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ فإنها المأوى الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة. وقيل: المأوى جنة من الجنان ﴿نُزُلًۢا﴾ سبق في آل عمران ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ بسبب أعمالهم أو على أعمالهم. ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ مكان جنة المأوى للمؤمنين. ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ عبارة عن خلودهم فيها ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ إهانة لهم وزيادة في غيظهم ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والأسر.

منه تعالى إليه قبل العمل كالتخليق والترزيق وغيرهما، والثواب الواصل منه تعالى إليه بعد العمل إنما هو تفضل محض وعطية مبتدأة وليس جزاء للعمل السابق، إلا أنه تعالى سماه جزاء تشبيهًا بالجزاء في وقوعه بعد العمل وإظهارًا لكرمه وسبق رحمته حيث لم يعتد بما أنعم به عليه سابقًا ولم يطلب من العبد أن يشكره بمقابله ذلك وجعله تفضلاً محضًا بل وعد الجزاء والثواب بمقابلة إحسان العبد وقال له: كلما عملت حسنة ضاعفت لك أجرًا وثوابًا. ثم إذا عرف أن هذا من فضل الله تعالى وكرمه فالواجب من جانب العبد أن يقول: فعلى جزاء نعم الله السابقة ولا استحق به جزاء فإذا أثابه الله تعالى يقول: الذي أتيت به كان جزاء وهذا ابتداء إحسان من الله تعالى يستحق بذلك ثناء وشكرًا، فيأتي بمقابلته حسنة وطاعة فيقول الله تعالى بمقتضى كرمه وفضله: إني أحسنت إليه جزاء فعله الأول وما فعلته أولاً إنما فعلته تفضلاً لا أطلب شكره فيجازيه ثالثًا فيشكر العبد ثالثًا فيجازيه رابعًا. وعلى هذا لا تنقطع المعاملة بين الرب والعبد. ثم إنه تعالى لما بيّن فظاعة المجرمين ونكس رؤوسهم في موقف الحساب ووصف ثواب المؤمنين وما أخفي لهم من قرة أعين قال: ﴿أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا﴾ ثم صرح بأنهما لا يستويان ثم فصل طريق امتياز أحدهما عن الآخر بقوله: ﴿أما الذين آمنوا﴾ الآية والنزل ما أعد للنازل من طعام وشراب وصلة وانتصابه على الحال من «جنات» والعامل فيها الظرف قال الشاعر:

وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وقوله تعالى في حق المؤمنين لهم بلام التمليك زيادة إكرام لهم لأن من قال لغيره: اسكن هذه الدار يكون محمولاً على العارية وله استردادها، وإذا قال له: هذه الدار لك يكون محمولاً على نسبة الملكية إليه وليس له استردادها. ألا ترى أنه تعالى لما قال لآدم: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥؛ الأعراف: ١٩] أخرجهما منها ولو قال: لكما الجنة لما أخرجهما، ولما لم يكن للمؤمنين الخروج من الجنة في الآخرة قال لكم الجنة ولهم جنات. ثم إنه تعالى لما هددهم بالعذاب الأكبر الذي هو عذاب النار

﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ لعل من بقي منهم ﴿يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ يتوبون عن الكفر. روي أن الوليد بن عقبة فاخر عليًا يوم بدر. فنزلت هذه الآيات. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ فلم يتفكر فيها و«ثم» لاستبعاد الإعراض عنها مع فرط وضوحها وإرشادها إلى أسباب السعادة بعد التذكير بها عقلاً كما في بيت الحماسة:

ولا يكشف الغماء إلا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها

وعدهم بعذاب الدنيا أيضًا فقال: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى﴾ أي الأقرب فإن عذاب الدنيا قريب ﴿دون العذاب الأكبر﴾ يعني به عذاب الآخرة الذي هو أكبر من عذاب الدنيا لكونه شديدًا مديدًا بخلاف عذاب الدنيا. **قوله:** (**فنزلت هذه الآيات**) أي من قوله تعالى: ﴿أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا﴾ قال الوليد بن عقبة لعلي رضي الله تعالى عنه: إلى كم تهددني، فوالله إني لأحد منك سنانًا وأشجع منك جنانًا وأبسط منك لسانًا واملأ منك حشوًا في الكتيبة فقال له عليّ: اسكت يا فاسق. فأنزل الله تعالى هذه الآيات تصديقًا لعلي رضي الله عنه. فإن قيل: ما وجه الترجي المستفاد من قوله تعالى: ﴿لعلهم يرجعون﴾ والترجي محال على الله تعالى؟ فالجواب أن المعنى: ولنذيقنهم إذاقة من يرجى رجوعهم إلى الإيمان كما أن قوله: ﴿إنا نسيناكم﴾ معناه تركناكم كما يترك الناسي حيث لا يلتفت إليه أصلاً، ويجوز أن يكون المعنى: ولنذيقنهم العذاب إذاقة من رآه لعلهم يرجعون بسببه. ثم إنه تعالى لما هدّد الفاسقين وأوعدهم بعذاب الدارين بيّن استحقاقهم لذلك بقوله: ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه﴾ فإن مجرمي مكة قد ذكروا بمواعظ القرآن ولم يتفكروا فيها ولم يؤمنوا بها فلا أحد أظلم منهم فاستحقوا بذلك لأن ينتقم منهم.

قوله: (**بعد التذكير بها**) ظرف الإعراض وقوله: «**عقلاً**» متعلق بالاستبعاد تمييز له. والغماء الكربة الشديدة التي تغطي أهلها. والمراد بها ههنا شدة اقتحام الحرب أي لا يكشف الأمر العظيم إلا رجل كريم يرى قحم الموت ثم يتوسطها. وإنما قال: ابن حرة ليهيجه ويحرضه على الزيارة. والمعنى: إن زيارة غمرات الموت بعد رؤيتها مستبعدة مستنكرة في العقل والعادة وهو مع ذلك يزورها بعد استيقانه بأنها غمرات الموت والزيارة بعد اليقين مما يستبعد، وفي إيثار لفظ الزيارة وإشعاره بأنه يلاقيها لقاء معظم لمحبوبه مبالغة على مبالغة جعل ثم للاستبعاد لا للتراخي: إما زمانًا فظاهر لأنه لا وجه لأن يقال في مقام المدح إنه يرى غمرات الموت ثم يمكث زمانًا طويلاً متفكرًا ثم يزورها لأنه ذم له، وإما رتبة فلأنه لا يستقيم أن يقال: إن الأعراض أرفع درجة من التذكير وكذا لا يصح أن يقال في البيت: إن

﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ فكيف ممن كان أظلم من كل ظالم ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ كما آتيناك ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ﴾ في شك ﴿مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ من لقائك الكتاب لقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النمل: ٦] فإنا آتيناك من الكتاب مثل ما آتيناه منه فليس ذلك ببدع لم يكن قط حتى ترتاب فيه، أو من لقاء موسى الكتاب، أو من لقائك موسى. وعنه عليه السلام: «رأيت ليلة أسري بي موسى عليه السلام رجلا آدم طوالاً جعدًا كأنه من رجال شنوءة». ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ أي المنزل على موسى ﴿هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ﴾ الناس إلى ما فيه من الحكم والأحكام. ﴿بِأَمْرِنَا﴾ إياهم به أو بتوفيقنا لهم ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ وقرأ حمزة والكسائي ورويس «لما صبروا» أي لصبرهم على الطاعة أو عن الدنيا ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ لإمعانهم فيها النظر.

الزيارة أرفع رتبة من رؤية غمرات الموت. **قوله:** (من لقائك الكتاب) على أن اللقاء مصدر أضيف إلى مفعوله والمقصود تقرير رسالته عليه الصلاة والسلام وتحقيق أن ما معه من الكتاب وحي سماوي وكتاب إلٰهي لا كما زعمه المشركون من أن البشر لا يوحى إليه ولا يتلقى الكتاب من لدن حكيم عليم، كأنه قيل: لست بدعا من رسول أوتي الكتاب ألا ترى إلى موسى عليه الصلاة والسلام قد بعث رسولاً وأوتي الكتاب وهو بشر مثلك فلا تشك في كونك رسولاً مؤيدًا بالكتاب السماوي؟ فإنه تعالى لما قرّر الأصول الثلاثة: الرسالة والتوحيد والحشر، عاد إلى الأصل الذي بدأ به وهو الرسالة المذكورة في قوله: ﴿لتنذر قومًا ما أتاهم من نذير﴾ والآدم من الناس الأسمر، والطوال بالضم الطويل ويقال: رجل جعد لمن لم يكن شعره مسترسلاً، وشعر سبط وسبط أي مسترسل غير جعد. وشنوءة حي من أحياء اليمن وكانت الجعودة غالبة فيهم. روي أن التوراة إنما جعلت هدى لبني إسرائيل خاصة دون بني إسماعيل ولما أشار بقوله: و﴿جعلنا منهم أئمة يهدون﴾ إلى أن منهم من لم يهتد به فضلاً عن أن يهدي الناس إلى ما فيه قال: ﴿إن ربك هو يفصل بينهم﴾ ثم إنه تعالى لما أعاد ذكر الرسالة بقوله: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ أعاد ذكر التوحيد بقوله: ﴿أوَلم يهد لهم﴾ الآية أي ألم ينبه ولم يهد لأهل مكة كثرة من أهلكناهم من القرون الماضية إلى أن مخالفة الرسول تؤدي إلى الهلاك العاجل وأن اتباعه فيما دعا إليه من التوحيد والطاعة واجب على الأمة، وقوله تعالى: ﴿يمشون في مساكنهم﴾ حال من ضمير «لهم». ثم إنه تعالى لما بيّن الرسالة والتوحيد بيّن الحشر بقوله: ﴿ويقولون متى هذا الفتح﴾ والمراد بالفتح إما القضاء والفصل بالحكومة بين المحق والمبطل، وإما نصر المؤمنين وإظهارهم على الكفار لأن المؤمنين كانوا يقولون يبعث الله تعالى الخلائق أجمعين ويحكم بين المطيع والعاصي فيثيب المطيع ويعاقب

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل ﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٥)﴾ من أمر الدين ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل عليه ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ﴾ أي كثرة من أهلكناهم من القرون الماضية، أو ضمير الله بدلالة القراءة بالنون ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ يعني أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم. وقرىء «يمشون» بالتشديد ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (٢٦)﴾ سماع تدبر واتعاظ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ التي جرز نباتها أي قطع وأزيل لا التي لا تنبت لقوله: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾ وقيل: اسم موضع باليمن. ﴿تَأْكُلُ مِنْهُ﴾ من الزرع ﴿أَنْعَامُهُمْ﴾ كالتبن والورق ﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾ كالحب والثمر ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ (٢٧)﴾ فيستدلون به على كمال قدرته وفضله ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ﴾ النصر أو الفصل بالحكومة من قوله: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا﴾ [الأعراف: ٨٩] ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٨)﴾ في الوعد به ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٢٩)﴾ وهو يوم القيامة فإنه يوم نصر المؤمنين على الكفرة والفصل بينهم. وقيل: يوم بدر أو يوم فتح مكة. والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فإنه لا ينفعهم إيمانهم حال القتل ولا يمهلون، وانطباقه جوابًا عن سؤالهم من حيث

العاصي فيقولون: متى هذا الفتح والحكم؟ وكذا كان المؤمنون يقولون إن الله تعالى سيفتح لنا على المشركين ويظهر دين الإسلام وينصرنا الله ويظهرنا عليكم فقالوا: متى هذا الفتح والنصرة؟ وقيل: المراد به يوم فتح مكة وقيل: يوم بدر. وقد قتل بعض من بني كنانة يوم فتح مكة على يد خالد بن الوليد وقوله: ﴿لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ ظاهر على تقدير أن يراد بيوم الفتح يوم القيامة لأن الإيمان المقبول هو الذي يكون في دار الدنيا ولا يقبل بعد خروجهم منها ﴿ولا هم ينظرون﴾ أي لا يمهلون بالإعادة إلى الدنيا ليؤمنوا فيقبل إيمانهم. ومن حمل يوم الفتح على يوم بدر أو يوم فتح مكة قال: معناه لا ينفع الذين كفروا إيمانهم إذا جاءهم العذاب وقتلوا لأن إيمانهم حال القتل إيمان اضطرار وقد قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥] ﴿ولا هم ينظرون﴾ أي يمهلون بتأخير العذاب عنهم ولما فتحت مكة هرب قوم من بني كنانة فلحقهم خالد بن الوليد فأظهروا الإسلام فلم يقبل منهم خالد وقتلهم فذلك قوله تعالى: ﴿لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ والله أعلم. قوله: (وانطباقه جوابًا) مبتدأ ومن حيث المعنى خبره يعني أنهم سألوا عن وقت الفتح وقوله تعالى: ﴿قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون﴾ لا يطابق ظاهر السؤال لكنه مطابق لمعنى سؤالهم وما أرادوا منه، فإنهم أرادوا به استعجال الفتح تكذيبًا له

المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم، فإنهم لما أرادوا به الاستعجال تكذيبًا واستهزاء أجيبوا بما يمنع الاستعجال. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تبال بتكذيبهم. وقيل: هو منسوخ بآية السيف. ﴿وَانتَظِرْ﴾ النصرة عليهم ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ الغلبة عليك. وقرىء بالفتح على معنى أنهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم، أو أن الملائكة ينتظرونه. عن النبي ﷺ: «من قرأ آلم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك أعطي من الأجر كأنما أحيى ليلة القدر» وعنه عليه السلام: «من قرأ آلم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام».

واستهزاء وأجيبوا بأن قيل لهم: لا تستعجلوا به ولا تستهزئوا فإن في وقوعه ما يسوءكم ويجعلكم نادمين على استعجاله والاستهزاء به. وقوله تعالى: ﴿فأعرض عنهم﴾ **معطوف على قوله:** ﴿قل يوم الفتح﴾ **فإنهم لما كذبوا ما أخبروا به من نصرة المؤمنين عليهم أو من حشر الخلائق أجمعين والحكم بينهم بتمييز المحق من المبطل ومجازاة كل واحد منهما على حسب حاله واستعجلوه على سبيل الاستهزاء، قال تعالى له عليه الصلاة والسلام: أجبهم بأن تقول لهم: لا تستعجلوا فإن في وقوعه ضررًا عظيمًا لكم. ثم أعرض عنهم وانتظر وقوع ما أخبروا به من النصر والفصل بالحكومة. وقرأ العامة «أنهم منتظرون» بكسر الظاء على لفظ اسم الفاعل. وقرىء «منتظرون» بفتح الظاء. فعلى هذا التفسير لا وجه لأن يقال: إنه منسوخ بآية السيف إذ لا منافاة بينهما. روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة** ﴿آلم تنزيل﴾ ﴿وهل أتى على الإنسان﴾. **تم هنا ما يتعلق بسورة آلم تنزيل السجدة والآن أوان الشروع فيما يتعلق بسورة الأحزاب وهي مدنية.**

سورة الأحزاب

مدنية وهي ثلاث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ ناداه بالنبي وأمره بالتقوى تعظيمًا له وتفخيمًا لشأن التقوى. والمراد به الأمر بالثبات عليه ليكون مانعًا له عما نهى عنه بقوله: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أي فيما يعود بوهن في الدين. روي أن أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم، وقام معهم ابن أبي

سورة الأحزاب

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (وتفخيمًا لشأن التقوى) فإن تعظيم المنادي ذريعة إلى تعظيم شأن المنادى له.
قوله: (والمراد به الأمر بالثبات عليه) جواب عما يقال: المشتغل بالشيء لا يؤمر به فلا يقال للجالس مثلاً: اجلس فكيف أمره عليه الصلاة والسلام بالتقوى وهو مشتغل بها؟ وتقرير الجواب: المشتغل بالشيء إذا أمر به لا يكون المطلوب إحداث أصل الفعل لأنه طلب تحصيل الحاصل بل يكون المطلوب الثبات عليه بالجد والاهتمام وعدم الميل إلى ما ينافيه. والموادعة المصالحة وترك الحرب. روي في نزول هذه الآية أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي واسمه عمرو بن سفيان قدموا المدينة بعد قتال أحد، فنزلوا على عبد الله بن أبي رأس المنافقين وجد بن قيس وكان رسول الله ﷺ أعطاهم الأمان على أن يكلموه فكلموه بما شق عليه فقال عمر رضي الله عنه: ائذن لي يا رسول الله

ومعتب بن قشير وجد بن قيس فقالوا له: ارفض ذكر آلهتنا وقل إن لها شفاعة وندعك وربك. فنزلت. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالمصالح والمفاسد ﴿حَكِيمًا ۝١﴾ لا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة. ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ كالنهي عن طاعتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾ فموح إليك ما يصلحه ويغني عن الاستماع إلى الكفرة. وقرأ أبو عمرو بالياء على أن الواو ضمير الكفرة والمنافقين أي إن الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وكل أمرك إلى تدبيره ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾ موكولاً إليه الأمور كلها ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ أي ما جمع قلبين في جوف، لأن القلب معدن الروح الحيواني المتعلق بالنفس الإنساني أولاً ومنبع القوى بأسرها وذلك يمنع التعدد. ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ وما جمع الزوجية والأمومة في

في قتلهم. فقال عليه الصلاة والسلام: «قد أعطيتهم الأمان فأخرجهم من المدينة» فقال لهم عمر: اخرجوا في لعنة الله تعالى وغضبه. فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين﴾ أي من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة. **قوله: (وقرأ أبو عمرو بالياء)** أي بياء الغيبة، والباقون بتاء الخطاب كقوله: ﴿يا أيها النبي﴾ لأن المراد هو وأمته أو خوطب بلفظ الجمع تعظيمًا له كما في قوله:

فإن شئت حرمت النساء سواكمو

قوله: (لأن القلب معدن الروح الحيواني المتعلق بالنفس الإنساني) الروح الحيواني هو البخار اللطيف المتكون من غليان الدم الحاصل في جوف اللحم الصنوبري المثبت في الجانب الأيسر منه، وينفصل من هذا البخار قسم ويتوجه إلى جانب الكبد وذلك القسم يسمى روحًا طبيعيًا ويتعلق به أحوال المعدة وطبخ الأغذية والأفعال النباتية، وقسم آخر يتصاعد إلى الدماغ بواسطة الشرايين ويسمى روحًا نفسانيًا ويتعلق به الأفعال الحيوانية وهذا القسم لغاية لطافته يسري إلى جميع أطراف البدن وعروقه وأعضائه وتتعلق به النفس الناطقة الإنسانية أولاً وبواسطته تتعلق بالبدن. **قوله: (وذلك يمنع التعدد)** أي وكون القلب معدنًا للروح الحيواني ومنبع القوى بأسرها يمنع تعدد القلب من حيث إن تعدده يستلزم التناقض، وهو أن يكون كل واحد منهما محتاجًا إليه ومستغنى عنه فإن كون كل واحد منهما قلبًا يستلزم كونه أصلاً لسائر القوى، وكون الآخر قلبًا يستلزم أن لا يكون الأول أصلاً له كما أن يكون إحدى العلتين علة تامة تستلزم كونها محتاجًا إليها، وكون الأخرى كذلك يستلزم كون الأولى مستغنى عنها. هذا على تقدير أن يفعل بكل واحد منهما مثل ما يفعله بالآخر، وأما

امرأة ولا الدعوة والبنوة في رجل، والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم من أن اللبيب الأريب له قلبان ولذلك قيل لأبي معمر، وقيل لجميل بن أسد الفهري ذو القلبين، والزوجة المظاهر منها كالأم ودعى الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي

إن فعل بأحد منهما ما يفعله بالآخر فحينئذ يلزم أن يكون الإنسان راضيًا كارهًا موقنًا شاكًا في حالة واحدة وهو محال. قوله: (ولا الدعوة والبنوة) الدعوة بفتح الدال مصدر يراد به الدعاء إلى الطماع، وبكسرها يستعمل في التبني وادعاء النسب. والأدعياء جمع دعي بمعنى مدعو فعيل بمعنى مفعول وأصله دعيو فأدغم وجمع على أدعياء على خلاف الأصل، لأن أفعلاء إنما يكون جمعًا لفعيل المعتل اللام إذا كان بمعنى فاعل نحو: تقي وأتقياء وغني وأغنياء. وأما إن كان فعيلاً معتل اللام إلا أن بمعنى مفعول فكان القياس أن يجمع على فعلى كقتيل وقتلى وجريح وجرحى. ونظير هذا في الشذوذ قولهم: أسير وأسرى والقياس أسراء وقد سمع فيه الأصل. فقوله تعالى: ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم**﴾ معناه ما جعل من تبنيتموه أبناءكم نسخ الله تعالى به التبني. وكان الرجل في الجاهلية يتبنى رجلاً فيدعوه الناس إليه ويرث ميراثه وكان النبي عليه الصلاة والسلام أعتق زيد بن حارثة وتبناه، فلما تزوج النبي ﷺ أم المؤمنين زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون؟ تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك. فأنزل الله تعالى هذه الآية ونسخ التبني بها.**
والـلب والعقل واللبيب العاقل وكذا الأريب من الأرب وهو الدهاء وجودة الرأي. وكان كل واحد من أبي معمر وجميل رجلاً لبيبًا حافظًا لما يسمعه من الوقائع مكثر الرواية الحوادث الماضية، وكان لا يمر في طريق من طرق البلدان إلا ويعرفه بعد سنين متطاولة وكانت قريش تقول في حقهما: إنهما ما يحفظان هذه الأشياء إلا ولهما قلبان، وكانا يدعيان بذلك وكان أبو معمر يقول: لي قلبان أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد ﷺ. وروي أنه انهزم يوم بدر فمر بأبي سفيان وهو معلق إحدى نعليه بيده والأخرى في رجله فقال له أبو سفيان: ما فعل الناس؟ فقيل: هم ما بين مقتول وهارب فقال له: ما لي أرى إحدى نعليك في رجلك والأخرى في يدك؟ فقال: ما ظننت إلا أنهما في رجلي فعلم الناس يومئذٍ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده.

قوله: (والزوجة المظاهر منها) منصوب بالعطف على اللبيب أي ومن أن الزوجة المظاهر منها كالأم وإن دعى الرجل ابنه. وكان الظهار طلاقًا في الجاهلية وكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها تجنب المطلقة، فرد الله تعالى ما زعمته العرب من كونه طلاقًا مزيلاً للنكاح إلا أنه قرر كونه موجبًا لأصل الحرمة وجعل تلك الحرمة موقتة إلى أداء الكفارة، كما يجيء في سورة المجادلة من أنه تعالى نهى عن الظهار وجعله منكرًا من القول وزورًا وأوجب الكفارة

عتيق رسول الله ﷺ ابن محمد: أو المراد نفي الأمومة والبنوة عن المظاهر منها. والمتبنى ونفي القلبين لتمهيد أصل يحملان عليه والمعنى: كما لم يجعل الله قلبين في جوف لإدائه إلى تناقض وهو أن يكون كل منهما أصلاً لكل القوى وغير أصل، لم يجعل الزوجة والدعي اللذين لا ولادة بينهما وبينه أمه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة. وقرأ أبو عمرو و«اللاي» بالياء وحده على أن أصله اللاء بهمزة فخففت. وعن الحجازيين مثله. وعنهما وعن يعقوب بالهمزة وحده. وأصل «تظهرون» تتظهرون فأدغمت التاء الثانية في الظاء. وقرأ ابن عامر «تظاهرون» بالإدغام، وحمزة والكسائي بالحذف، وعاصم «تظاهرون» من ظاهر. وقرىء «تظهرون» من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من الظهور. ومعنى الظهار أن يقول للزوجة: أنت عليّ كظهر أمي، مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك، وتعديته بـ «من» لتضمنه معنى التجنب لأنه كان

على من ظاهر من امرأته. **قوله: (أو المراد نفي الأمة الخ)** عطف على قوله: «والمراد رد ما كانت العرب» يعني أن المراد من الآية إما نفي كل واحد من الأمور الثلاثة التي زعمتها العرب أو نفي الأخيرين منها. ونفي الأول إنما هو ليقاس عليه انتفاؤهما من حيث اشتراك الجميع في كونه تقولاً محضًا لا حقيقة له. **قوله: (وقرأ أبو عمرو واللاي)** يعني أن جمع قولنا التي فيه ثلاث لغات قرىء بهن. فقرأ الكوفيون وابن عامر «اللائي» ههنا وفي سورة الطلاق بياء ساكنة بعد همزة مكسورة وهو الأصل في هذه اللفظة. وقرأ أبو عمرو «اللاي» بياء ساكنة بعد ألف محضة أصله اللائي فحذفت الهمزة تخفيفًا فبقيت الياء الساكنة. ومن قرأ بهمزة مكسورة بدون الياء حذف الياء اكتفاء عنها بالكسرة. **قوله: (وأصل تظهرون)** بفتح التاء والظاء والهاء وتشديد الظاء والهاء بغير ألف بينهما فإنها قراءة الجمهور أصله «تتظهرون» بتاءين فأدغمت الثانية في الظاء كما في تذكرون. وقرأ ابن عامر «تظاهرون» بفتح التاء والهاء وتشديد الظاء وألف بعدها مضارع تظاهر وأصله تتظاهرون بتاءين فأدغمت الثانية وكذا في الماضي إلا أنه أتى بهمزة الوصل بعد الإدغام فيه ليمكن الابتداء فصارا ظاهر. وحمزة والكسائي «تظاهرون» بتخفيف الظاء والأصل أيضًا تتظاهرون بتاءين حذفت إحداهما. وعاصم «تظاهرون» بضم التاء وكسر الهاء وتخفيف الظاء وألف بعدها مضارع ظاهر. وقرىء «تظهرون» بضم التاء وفتح الظاء المخففة وتشديد الهاء المكسورة مضارع ظهر بتضعيف العين. وقرىء «تظهرون» بفتح التاء والهاء وسكون الظاء مضارع ظهر مخففًا ثلاثيًا. وقوله: «من الظهور» بيان لكون البناء مأخوذًا من الفعل الثلاثي ببيان مصدره وليس المقصود أن من قرأ «تظهرون منهن» يجعله مأخوذًا من الظهور لتصريحه بأن الأفعال المستعملة في الظهار كلها مأخوذة من الظهر على طريق أخذ اللفظ من لفظ آخر كما يقال: لبى المحرم يعني قال

طلاقًا في الجاهلية، وهو في الإسلام يقتضي الطلاق أو الحرمة إلى أداء الكفارة كما عدّي إلى «بها» وهو بمعنى حلف. وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فإن ذكره يقارب ذكر الفرج، أو للتغليظ في التحريم فإنهم كانوا يحرمون إتيان المرأة وظهرها إلى السماء. والأدعياء جمع دعى على الشذوذ وكأنه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى كل ما ذكر أو إلى الأخير ﴿قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ لا حقيقة له في الأعيان كقول الهاذي ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ ما له حقيقة عينية مطابقة له ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤﴾ سبيل الحق ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾ انسبوهم إليهم وهو إفراد للمقصود من أقواله الحقيقة. وقوله: ﴿هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ تعليل له والضمير لمصدر «ادعوا» و«أقسط» أفعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقًا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ في الصدق. ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ﴾ فتنسبوهم إليهم ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ فهم إخوانكم في الدين ﴿وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ وأولياؤكم فيه فقولوا هذا أخي ومولاي بهذا التأويل ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ ولا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك

لبيك وأمّن بمعنى قال آمين وسبّح أي قال سبحان الله، وإن كان الأصل والأكثر في الاستعمال أن يعبر بالألفاظ عن المعاني لا عن اللفظ ومدلول نحو قولك: أظهر وأظاهر وظهر وظهر كلها ألفاظ، فإن معنى الجميع أنه قال لزوجته: أنت عليّ كظهر أمي. **قوله:** (**كما عدي آلى بها وهو بمعنى حلف**) وحلف لا يتعدى بـ «من» إلا أنه لما تضمن معنى التجنب من قربان زوجته مدة الإيلاء عدي بـ «من». **قوله:** (**وذكر الظهر للكناية عن البطن**) يعني أن قصد المظاهر أن يحرم عليه قربان امرأته بتشبيه قربانها بقربان أمه. والمرأة إنما يؤتى لها من قبل بطنها فكان الظاهر أن يقول المظاهر: أنت عليّ كبطن أمي في الحرمة إلا أنه كنى عن البطن بالظهر احترازًا عن ذكر البطن الذي ذكره قريب من ذكر الفرج. ووجه الكناية التي هي ذكر اللازم وإرادة الملزوم كون الظهر عمود البطن ولازمًا له في قيامه. **قوله:** (**أو للتغليظ في التحريم**) فإن قربان الأم من جانب ظهرها لما كان أغلظ في الحرمة كان تشبيه الزوجة بظهر الأم أغلظ في تحريمها عليه. وكان أهل المدينة يقولون: إذا أتيت المرأة ووجهها إلى الأرض جاء الولد أحول.

قوله: (**إشارة إلى كل ما ذكر الخ**) إذ يصدق على كل واحد منها أنه قول بالفم فحسب إذ ليس شيء منها إخبارًا عن الواقع فيكون من قبيل أصوات الحيوانات من حيث إن شيئًا منها ليس حكاية عن الواقع ﴿والله يقول الحق﴾ أي يقول القول المطابق للواقع ويهدي سبيل الحق أي أفرد من جملة أقواله الحقة ما هو المناسب لهذا المقام فقال: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ وكانت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يدعون زيد بن محمد إلى أن نزلت هذه الآية فلما

مخطئين قبل النهي أو بعده على النسيان أو سبق اللسان. ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم، أو ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾ لعفوه عن المخطىء. واعلم أن التبني لا عبرة له عندنا. وعند أبي حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذي يمكن إلحاقه به.

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ في الأمور كلها فإنه لا يأمرهم ولا يرضى منهم إلا بما فيه صلاحهم ونجاحهم، بخلاف النفس فلذلك أطلق فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم، وأمره أنفذ فيهم من أمرها وشفقتهم عليه أتم من شفقتهم عليها. روي أنه عليه الصلاة والسلام أراد غزوة تبوك فأمر الناس بالخروج فقال ناس: نستأذن آباءنا وأمهاتنا فنزلت. وقرىء «وهو أب لهم» أي في الدين فإن كل نبي أب لأمته من حيث إنه أصل فيما به الحياة الأبدية ولذلك صار المؤمنون إخوة. ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالأجنبيات ولذلك قالت

نزلت قالوا زيد بن حارثة. **قوله:** (ولكن الجناح فيما تعمدت) يعني أن كلمة «ما» يجوز فيها وجهان: أحدهما أن تكون مجرورة المحل عطفًا على «ما» المجرورة قبلها بـ «في» والتقدير: ولكن الجناح فيما تعمدت، والثاني أن تكون مرفوعة المحل على الابتداء وخبرها محذوفًا. **قوله:** (لعفوه عن المخطىء) علة لكونه تعالى رحيمًا للمخطىء بمغفرته فإن المغفرة هي أن يستر القادر قبيح من تحت قدرته حتى أن العبد إذا ستر عيب سيده مخافة عقابه لا يقال إنه غفر لسيده. والرحمة أن يميل إلى المرحوم بالإحسان إليه بمجرد عجز المرحوم من غير توقع عوض من قبله فإذا ذكرت المغفرة قبل الرحمة يكون المعنى: أنه ستر عيبه ثم رآه مفلسًا عاجزًا فرحمه وأعطاه ما كفاه. ولما كان هذا المعنى غير مناسب في هذا المقام إذ لا وجه لأن يحمل الكلام على أنه تعالى غفور للمخطىء متفضل عليه بعد ستر خطأه بالإحسان الزائد على المغفرة فلذلك جعل ذكر الرحمة للإشارة إلى علة عفوه عن المخطىء والإحسان إليه بناء على عجزه عن الاحتراز عما ارتكبه لنسيانه أو لسبق لسانه. **قوله:** (وعند أبي حنـ... يوجب عتق مملوكه) سواء كان المملوك معروف النسب أو مجهوله، وسواء كان أصغر سنًا من المتبني بحيث يولد مثله لمثله أو لا. وعند صاحبيه لا يعتق إذا كان المملوك أكبر سنًا من المتبني ووافقا الإمام الشافعي في هذه المسألة. **قوله:** (منزلات منزلتهن) يعني أنه من باب التشبيه البليغ حذفت فيه أداة التشبيه للمبالغة. ووجه الشبه وجوب تعظيمهن وحرمة نكاحهن. قال تعالى: ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدًا﴾ وهن فيما وراء ذلك كالأجانب، وليس المراد التشبيه في جميع أحكام الأمهات ألا ترى أن النظر إليهن والخلوة بهن حرام كما في الأجانب قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾

عائشة: لسنا أمهات النساء. ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ وذوو القرابات ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٍ﴾ في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الإسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين. ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ في اللوح أو فيما أنزل وهو هذه الآية أو آية المواريث أو فيما فرض الله تعالى. ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ بيان لأولي الأرحام أو صلة لأولي أي الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق

[الأحزاب: ٥٣] ولا يقال لبناتهن هن أخوات للمؤمنين ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام زوج بناته لعلي وذي النورين رضي الله عنهم أجمعين. ولا يقال أيضًا لأخواتهن وأخواتهن أخوال المؤمنين وخالاتهم حتى تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر وهي أخت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. وهذا معنى ما روى مسروق أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها: يا أمه فقلت: لست لك بأم إنما أنا أم رجالكن. فتريد أن معنى الآية التشبيه في بعض الأحكام وهو كونهن محرمات على الرجال كحرمة أمهاتهم. **قوله: (وهو نسخ لما كان في صدر الإسلام)** وهو أن يكون التوارث مبنيًا على كون المتوارثين متوافقين في الهجرة أو في التعاون والتناصر في الدين، فمن وجد فيه هذه الصفة وإن كان من الأجانب يرجح على القريب المؤمن الذي لم توجد فيه هذه الصفة ويقصد بذلك تألف قلوبهم على التناصر في الدين وتحمل مشاق الهجرة كما يتألف قلوب قوم بإعطائهم سهام من الصدقات. ثم نسخ ذلك بقوة الإسلام وكثرة أهله كان أساس في أول الإسلام يتوارثون بالهجرة لكونها من آكد أسباب الديانة والمواخاة إذ هي اجتماع على نصرة دين الله تعالى. ثم بعد ذلك توارثوا بالإيمان مع القرابة لكون ذلك اجتماعًا على نصرة الدين بجمع الله تعالى. **قوله: (أو فيما فرض الله تعالى)** على أن الكتاب مصدر بمعنى المكتوب وهو المفروض من كتب إذا فرض وأوجب. الجوهري: الكتاب الفرض والحكم والقدر قال تعالى: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [النساء: ٢٤] أي فرض الله تعالى عليكم فرضًا وقوله: ﴿في كتاب الله﴾ يجوز أن يتعلق «بأولى» لأن أفعل التفضيل يعمل في الظرف، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من الضمير في «أولى» والعامل فيه معنى «أولى» وقوله: ﴿من المؤمنين﴾ يجوز فيه وجهان: أحدهما أن تكون كلمة «من» بيانية جيء بها بيانًا لأولي الأرحام والمعنى: وأولو الأرحام الذين هم المؤمنون والمهاجرون أولى بالميراث من الأجانب فتكون صلة أفعل محذوفة، وثانيهما أن «من» فيه هي التي تجر المفضول كالتي في قولك: زيد أفضل من عمرو والمعنى: وأولو الأرحام أولى بالميراث من المؤمنين والمهاجرين الأجانب وقوله: ﴿إلا أن تفعلوا﴾ يجوز أن يكون استثناء متصلاً بأن يكون استثناء من أعم ما يقدر الأولوية فيه من النفع كأنه قيل: القريب أولى من الأجنبي في كل نفع من ميراث وهبة وصدقة وهدية ونحو ذلك إلا في الوصية، فإن المراد

الهجرة. ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ استثناء من أعم ما يقدر الأولوية فيه من النفع، والمراد بفعل المعروف التوصية أو منقطع. ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦﴾ كان ما ذكر في الآيتين ثابتًا في اللوح أو القرآن. وقيل: في التوراة.

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ﴾ مقدرًا باذكروا ميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القويم ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ﴾ خصّهم بالذكر لأنهم مشاهير أرباب الشرائع وقدم نبينا تعظيمًا له. ﴿وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٧﴾ عظيم الشأن أو مؤكدًا باليمين والتكرار لبيان هذا الوصف. ﴿لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ﴾ أي فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة الأنبياء الذين صدقوا عهدهم عما

بالمعروف هنا الوصية فالأجنبي أحق بالوصية من القريب فإن القريب لا يستحق شيئًا من تركة الميت بجهة الوصية وإنما يستحقه بجهة الإرث، وذلك أن الله تعالى لما نسخ التوارث بالولاية في الدين وبالهجرة أباح أن يوصي للذين يتولونه ما أحب من الثلث. ويجوز أن يكون استثناء منقطعًا بناء على أن المراد بما فيه من الأولوية هو التوارث فيكون الاستثناء من خلاف الجنس المدلول عليه بمعجز الكلام ومعناه، كأنه قيل: لا تورثوا غير أولي الأرحام لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفًا جائز وهو أن توصوا لمن أحببتم من هؤلاء بشيء فيكون له ذلك بالوصية لا بالميراث، وعدي تفعلوا بـ «إلى» لأنه في معنى تسدوا وتزلوا أي تعطوا وتسوقوا. وفي الحديث: «من أزلت إليه نعمة فليشكرها».

قوله: (كان ما ذكر في الآيتين) جعل ذلك إشارة إلى نسخ ما ذكر في قوله تعالى: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ وفي قوله: ﴿النبي أولى بالمؤمنين﴾ تحقيقًا وتقريرًا لمضمونهما، ولو جعل إشارة إلى نسخ التوارث بالهجرة والولاية وجعله منوطًا بالرحم والقرابة لكان له وجه ظاهر. ثم إنه تعالى لما أكد ما ذكره في الآيتين ذكر أن المقصود من بعثة الأنبياء وأخذ عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القويم أن يسأل الصادقين عن صدقهم والكاذبين عن كذبهم فيجازي كل فريق بما يستحقه لتحريض المكلفين على قبول أحكامه فقال: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ والمراد بالميثاق المأخوذ منهم إرسالهم وأمرهم بتبليغ ما أوحي إليهم أخذ من كل واحد منهم عهده بذلك حين أرسله. فسر الصادقين أولاً بالأنبياء الذين صدقوا الله في عهدهم وجعل المسؤول عنه ما قالوه لقومهم أو تصديق القوم إياهم. **قوله: (لأنهم مشاهير أرباب الشرائع)** وآدم عليه الصلاة والسلام وإن كان أقدم الأنبياء إلا أن المقصود الأولى من خلقه عمارة الدنيا ببث الأولاد فيها ونبوته كانت من قبيل إرشاد الآباء الأولاد إلى التوحيد وحسن المعاشرة، ولهذا لم يكن في زمانه إهلاك قوم ولا تعذيب بخلاف الأنبياء المذكورين في الآية فإنهم أصحاب الكتب والشرائع وأولو العزم من الرسل.

قالوه لقومهم، أو تصديقهم إياهم تبكيتًا لهم، أو المصدقين لهم عن تصديقهم فإن مصدق الصادق صادق، أو المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين أشهدهم على أنفسهم عن صدقهم عهدهم. ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾ عطف على أخذنا من جهة أن بعثة الرسل وأخذ الميثاق منهم لإثابة المؤمنين، أو على ما دل عليه ليسأل كأنه قال: فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ يعني الأحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر ألفًا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ ريح الصبا ﴿وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ الملائكة. روي أنه لما

وقدم النبي ﷺ لقوله: كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث وقوله: تبكيتًا لهم مفعول له لقوله: ليسأل الله الأنبياء يعني أن الحكمة في السؤال مع أنه تعالى عالم بأنهم صدقوا الله تعالى فيما عاهدوا عليه وبالذي أجاب به قومهم تبكيت قومهم. وفسره ثانيًا بالمصدقين لهم وبيّن أنهم إنما سموا صادقين لأن من قال للصادق صدقت أكان صادقًا في قوله. وفسره ثالثًا بالمؤمنين وبيّن أنهم سموا صادقين لأنهم صدقوا عهدهم أي صدقوا الله في عهدهم فحذف الجار كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا﴾ [الفتح: ٢٧] أي في الرؤيا وجعل المسؤول عنه صدقهم في عهدهم وشهادتهم التي صدرت عنهم حين أشهدهم على أنفسهم فإن قولهم بلى شهادة منهم على ربوبية الله تعالى وعهد على الثبات عليها يسألهم الله تعالى عن صدقهم ليدعوا أنهم صادقون فتشهد لهم الأنبياء بأنهم صدقوا عهدهم وشهادتهم، فيتبين صدقهم على رؤوس الأشهاد فيفوزون بسعادة الأبد. ولما كان أخذ ميثاق الأنبياء مؤديًا إلى سؤال المؤمنين عن صدقهم في عهدهم وكان ذلك السؤال مؤديًا إلى تبين صدقهم بين أهل الموقف، وكان تبين ذلك مستلزمًا بحكم الوعد الإلهي لإثابتهم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت كان خلاصة الكلام ومدلوله أخذنا منهم ميثاقهم ليسأل الله عن صدق المؤمنين فيتبين صدقهم، وإذا تبين ذلك أثاب المؤمنين وأعدّ للكافرين. فهذا معنى قول المصنف: «قوله تعالى واعد عطف على ما دل عليه ليسأل» وكان أصل الكلام أخذنا ميثاقهم ليسأل المؤمنين عن صدقهم والكافرين عن تكذيبهم فاستغنى عن الثاني يذكر مسببه وهو قوله: «واعد» فإن سؤال كل واحد من الفريقين سبب لتبين حاله على رؤوس الأشهاد المستلزم لإثابة أحدهما وتعذيب الآخر **قوله:** (**عطف على أخذنا**) أي على ما دل عليه «أخذنا» فإن بعثة الرسل وأخذ الميثاق منهم بتبليغ الرسالة إلى الأمم ودعوتهم إلى الدين القويم إنما هو لإثابة المؤمنين، فكأنه قيل: إن الله تعالى أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه لإثابة المؤمنين وأعدّ للكافرين. **قوله:** (**وكانوا زهاء اثني عشر ألفًا**) أي قدرها لما ذكر الله تعالى في أول السورة قوله: ولا تطع الكافرين والمنافقين وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً،

سمع بإقبالهم ضرب الخندق على المدينة، ثم خرج إليهم في ثلاثة آلاف والخندق بينه وبينهم، ومضى على الفريقين قريب شهر لا حرب بينهم إلا الترامي بالنبل والحجارة. حتى بعث الله عليهم صبًا باردة في ليلة شاتية فأخصرتهم وسفت التراب في وجوههم، وأطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض، وكبرت الملائكة في جوانب المعسكر فقال طليحة بن خوليد الأسدي أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء. فانهزموا من غير قتال ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ من حفر الخندق وقرأ البصريان بالياء أي بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة. ﴿بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ رائيًا.

ذكر شأن الكفار والمنافقين مع أهل الإسلام وما يدل على وجوب التوكل على الله وكفايته في الأمور كلها فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله﴾ الآية وذكر النعمة شكرها. وغطفان أبو قبيلة وهو غطفان بن سعد بن قيس بن غيلان، وقيس أبو قبيلة من مضر وهو قيس غيلان، والصباريح تجيء من قبل المشرق والدبور من قبل المغرب، والنبل السهام العربية وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها. **قوله:** (فأخصرتهم) أي أبردتهم. والخصر بالتحريك البرد وقد خصر الرجل إذا آلمه البرد في أطرافه. وسفت التراب سفيًا أي ذرته وطيرته. والذاريات الرياح.

قوله: (فالنجاء) أي الزموا النجاء من قولك: نجوت نجاء أي أسرعت والهمزة فيه منقلبة عن واو كما في كساء. أقبلت قريش في أيام الخندق في عشرة آلاف من الأحابيش وهم الجماعات المتفرقة اجتمعوا على أمر واحد من بني كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان، وخرج غطفان معهم في ألف ومن تبعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصين وعامر بن الطفيل من هوازن، ومعهم يهود قريظة والنضير، وحين سمع رسول الله ﷺ بإقبالهم أشار عليه سلمان رضي الله عنه بحفر الخندق على المدينة، ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين وضرب معسكره والخندق بينه وبين العدو وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الآكام واشتد الخوف ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا الترامي بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر. روي أن شابًا قال لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله هل رأيت رسول الله ﷺ؟ قال: أي والله لقد رأيت. قال: والله لو رأيناه لحملناه على رقابنا وما تركناه يمشي على الأرض. وقال له حذيفة: يا ابن أخي أفلا أحدثك عني وعنه؟ قال: بلى. قال: والله لو رأيتنا يوم الخندق وما بنا من الجهد والجوع والخوف ما لا يعلمه إلا الله لما قلت ذلك، قام رسول الله ﷺ فصلّى ما شاء الله من الليل فقال: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله رفيقًا لي في الجنة» فوالله ما قام منا أحد مما بنا من الخوف والجهد والجوع. ثم صلى ما شاء الله ثم قال: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله رفيقًا لي في الجنة». فقال

﴿إِذْ جَآءُوكُم﴾ بدل من إذ جاءتكم ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾ من أعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ من أسفل الوادي من قبل المغرب قريش ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصًا ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ رعبًا فإن الرئة تنتفخ من شدة الروع فترتفع بارتفاعها إلى رأس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب. ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾ الأنواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب أن الله منجز وعده في إعلاء دينه أو ممتحنهم، فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكي عنهم. والألف مزيدة في أمثاله تشبيهًا للفواصل بالقوافي وقد أجرى نافع وابن عامر وأبو بكر فيها الوصل مجرى

حذيفة: فوالله ما قام منا أحد مما بنا من الخوف والجهد والجوع. فلما لم يقم أحد دعاني فلم أجد بدًا من إجابته قلت: لبيك. فقال: «اذهب فجئني بخبر القوم ولا تحدثن شيئًا حتى ترجع». قال: فأتيت القوم وإذا ريح الله وجنوده تفعل بهم ما تفعل ما يستمسك لهم بناء ولا تثبت لهم نار ولا تطمئن لهم قدر. وإني كذلك إذ خرج أبو سفيان من رحله ثم قال: يا معشر قريش لينظر أحدكم من جليسه. قال الراوي: يخوفهم أن يكون عليهم عيون من المسلمين. قال حذيفة: فبدأت بالذي إلى جنبي فقلت: من أنت؟ قال: أنا فلان. ثم دعا أبو سفيان براحلته فقال: يا معاشر قريش فوالله ما أنتم بدار مقام لقد هلك الخف والحافر وأخلفتنا بنو قريظة، وهذه الريح لا يستمسك لنا معها شيء ولا تثبت لنا نار ولا تطمئن قدر فارتحلوا فإني مرتحل. ثم عمد فركب راحلته وإنها لمعقولة ما حل عقالها إلا بعد ما ركبها قال: فقلت في نفسي: لو رميت عدو الله فقتلته، كنت صنعت شيئًا فوترت قوسي ثم وضعت السهم في كبد القوس وأنا أريد أن أرميه فأقتله فذكرت قول رسول الله ﷺ: «لا تحدثن شيئًا حتى ترجع» قال: فحططت القوس ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ وهو يصلّي، فلما سمع حسي فرج بين رجليه فدخلت تحته وأرسل عليّ طائفة من مرطه فركع وسجد ثم قال: «ما الخبر»؟ فأخبرته. فقال عليه الصلاة والسلام: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور». فانهزموا بغير قتال كفى الله المؤمنين القتال والحمد لله رب العالمين. **قوله: (الأنواع من الظن)** يعني جمع الظن مع أنه مصدر فحقه أن لا يجمع من حيث إنه قصد به ظنون مختلفة ظن كل فريق على حسب اختلاف يقينهم قوة وضعفًا. وتعريف الظنون يحتمل أن يكون للاستغراق مبالغة بمعنى تظنون كل ظن لأن كل أحد يظن شيئًا عند اشتداد الأمر، ويحتمل أن يكون للعهد أي ظنونهم المعهودة لأن المعهود عن المؤمن ظن الخير بالله كما قال عليه الصلاة والسلام: «ظنوا بالله خيرًا». ومن الكافر الظن السوء قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [ص: ٢٧]. **قوله: (والألف مزيدة في أمثاله)** كقوله: وأطعنا الرسولا

الوقف ولم يزدها أبو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقًا وهو القياس ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل. ﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ من شدة الفزع. وقرىء «زلزالاً» بالفتح ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ من الظفر وإعلاء الدين ﴿إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ وعدًا باطلاً. قيل: قائله معتب بن قشير قال: يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقًا ما هذا إلا وعد غرور. ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾

وقوله: فأضلونا السبيلا. قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر بإثبات الألف فيها وصلاً ووقفًا موافقة للرسم لأنهن رسمن في المصحف بالألف، وأيضًا فإن هذه الألف تشبه هاء السكت في كونها مزيدة لبيان الحركة، وهاء السكت تثبت وقفًا للحاجة إليها وقد ثبتت وصلاً إجراء للوصل مجرى الوقف فكذلك هذه الألف. وقرأ أبو عمرو وحمزة بحذفها في الحالتين لأنها لا أصل لها، والباقون بإثباتها وقفًا وحذفها وصلاً إجراء للفواصل مجرى القوافي في ثبوت ألف الإطلاق كما في قوله:

أقلّي اللوم عاذل والعتابا وقولي إن أصبت لقد أصابا

فكما زادوا الألف في القافية زادوها في الفاصلة أيضًا تشبيهًا لرؤوس الآيات بأواخر الأبيات من حيث إن كل واحدة منهما مقطع الكلام، ولأن هذه الألف كهاء السكت وهي تثبت وقفًا وتحذف وصلاً فكذا الألف. وقوله تعالى: «هنالك» منصوب «بابتلى» أي في ذلك المكان البعيد وهو الخندق وبعده لكونه موضع الشدة والبلاء، أو في تلك الحال والزمان على أن يكون «هنالك» ظرف زمان اختبر المؤمنون أي الذين أظهروا الإيمان ليتبين المخلص من المنافق والابتلاء من الله تعالى ليس لإبانة الأمر له بل لإظهاره لغيره من الملائكة والأنبياء، كما أن السيد إذا علم من عبده المخالفة وعزم على معاقبته على تمرده وعصيانه وعنده غيره فإنه يأمر ذلك العبد بأمر بمحضر من عنده عالمًا بأن يخالفه لكي يتبين الأمر عند الغير فتقع العاقبة على أحسن الوجوه حيث لا يذهب وهم أحد أنه ظلم عبده. **قوله: (ما هذا إلا وعد غرور)** وهو الإطماع فيما لا مطمع فيه، وهذا تفسير للظنون وبيان لظن من يرى كثرة العدو وضيق الأمر بالمسلمين فيقول: لو كان الله يريد أن ينصرهم لما بلغ الأمر هذا المبلغ بل الظاهر أنه يستأصلهم في هذا الموضع، وما وعده الله ورسوله من نصرة المؤمنين وإعلاء الدين وفتح مدائن كسرى وقيصر ليس إلا وعد غرور، وكيف لا ونحن لا نأمن من أن نذهب الخلاء؟ روي أنه عليه الصلاة والسلام ضرب بالمعول في الخندق ضربات أضاءت له منها قصور الشام واليمن والعراق فيبشر بأنها ستفتح عليهم وهم حينئذٍ في جهد شديد وخوف عظيم فقال بعض من المنافقين: يعدنا محمد بهذا ونحن لا نستطيع أن نبرز للخلاء. **قوله: (ضعف اعتقاد)**

يعني أوس بن قيظي واتباعه. ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ﴾ أهل المدينة. وقيل: هو اسم أرض وقعت المدينة في ناحية منها ﴿لَا مُقَامَ لَكُمۡ﴾ لا موضع قيام لكم ههنا وقرأ حفص بالضم على أنه مكان أو مصدر من أقام. ﴿فَٱرۡجِعُواْ﴾ إلى منازلكم هاربين. وقيل: المعنى لا مقام لكم على دين محمد ﷺ فارجعوا إلى الشرك وأسلموه لتسلموا، أو لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارًا ليمكنكم المقام بها. ﴿وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ﴾ الرجوع ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ﴾ غير حصينة، وأصلها الخلل. ويجوز أن يكون تخفيف العورة من عورت الدار إذا اختلت وقد قرئت بها. ﴿وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ﴾ بل هي حصينة. ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ١٣﴾ أي ما يريدون بذلك إلا الفرار من القتال.

﴿وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم﴾ دخلت المدينة أو بيوتهم. ﴿مِّنۡ أَقۡطَارِهَا﴾ من جوانبها. وحذف الفاعل للإيماء بأن دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه. ﴿ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ الردة ومقاتلة المسلمين.

إشارة إلى أن الذين في قلوبهم مرض غير المنافقين، لأن المنافق كافر لا اعتقاد له بخلاف الذين في قلوبهم مرض فإنهم مؤمنون معتقدون إلا أنهم ضعاف القلوب واليقين لا بصيرة لهم في الدين. فالمؤمنون الذين أظهروا الإيمان ثلاثة أقسام: المخلصون الثبت القلوب وضعاف القلوب والمنافقون.

قوله: (فارجعوا إلى منازلكم هاربين) وذلك أن رسول الله ﷺ خرج مع أصحابه عام الخندق حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع جبل بالمدينة والخندق بينهم وبين القوم فقال هؤلاء المنافقون الذين يئسوا من نصرة رسول الله ﷺ: ليس لكم ههنا موضع قيام لكثرة العدو غلبتهم فارجعوا إلى منازلكم ولا مقام لكم على دين الإسلام فارجعوا إلى الشرك واسلموا الرسول عليه الصلاة والسلام، أي اجعلوه مخذولاً يقال: أسلمه أي خذله، ولا مقام لكم بيثرب ما دمتم على الإسلام. **قوله: (وأصلها الخلل)** الجوهري: العورة كل خلل يتخوف منه في ثغر أو حرب، وعورات الجبال شقوقها، والعورة بكسر الواو صفة مشبهة يقال: عور المنزل يعور عورًا وعورة وجعل تخفيف عورة. **قوله: (دخلت المدينة أو بيوتهم)** وهم فيها من قولك: دخلت على فلان داره فالرجل مدخول عليه والدار مدخولة، وهي في الحقيقة مدخول فيها لأن الدار ونحوها من الظروف المحدودة لا تقبل النصب بتقدير في بل لا بد من التصريح بكلمة في إلا أن ما بعد دخلت حمل على المكان المبهم توسعًا. والمقصود أن «دخلت» فعل ماض مبني للمفعول والقائم مقام الفاعل المنوي فيه راجع إلى المدينة أو إلى البيوت والأصل: ولو دخل الأحزاب المدينة أو البيوت عليهم أي وهم فيها إلا أنه حذف الفاعل وبنى الفعل للمفعول للإيماء بأنه ليس المقصود بيان خصوص الفاعل بل المقصود بيان

﴿لَآتَوْهَا﴾ لأعطوها. وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤوها وفعلوها ﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ﴾ بالفتنة أو بإعطائها ﴿إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾ ريثما يكون السؤال والجواب. وقيل: وما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد إلا يسيرًا. ﴿وَلَقَدْ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ يعني بني حارثة عاهدوا رسول الله يوم أحد حين فشلوا ثم تابوا أن لا يعودوا لمثله. ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾ عن الوفاء به مجازي عليه. ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ فإنه لا بد لكل شخص من حتف أنف أو قتل في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم. ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ أي وإن نفعكم الفرار مثلاً فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع إلا تمتيعًا أو زمانًا قليلاً. ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ أي أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة فاختصر الكلام، كما في قوله: متقلدًا سيفًا ورمحًا، أو

الحكم المرتب على الدخول من الفتنة وهي الشرك والكفر في قول الجميع كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣؛ الأنفال: ٣٩] والمعنى: فلو دخلت البيوت أو المدينة من جميع نواحيها ثم سئل أهلها الفتنة لم يمتنعوا من إعطائها ولو كانوا على معاندة المشركين وموافقة المؤمنين اعتقادًا وإخلاصًا، وكان استئذانهم للرجوع لمجرد حفظ البيوت لأبوا عن المسارعة إلى إجابة المشركين في سؤال الارتداد والكفر بعد ما فات عنهم حفظ البيوت لأن من فعل فعلاً لغرض لا يفعله بعد فوت ذلك الغرض، ولو كانوا صادقين في قولهم إن رجوعنا عنك لحفظ بيوتنا لما رجعوا عنه بعد ما سلطت الأحزاب على بيوتهم وأخذوها، وليس كذلك فإنها لو دخلوها الأحزاب وأخذوها منهم لرجعوا عنك أيضًا فليس رجوعهم عنك إلا بسبب كفرهم وحبهم الفتنة. **قوله: (ريثما يكون السؤال)** تفسير ليسيرًا أي مقدارًا من الزمان يقع فيه السؤال والجواب، وهو مصدر راث على خبرك يريث ريثًا أي أبطأ و «ما» مصدرية و «كان» تامة فالمعنى: زمان حصول السؤال والجواب. **قوله: (من حتف أنف)** الحتف الموت يقال: مات فلان حتف أنفه إذا مات من غير قتل ولا ضرب، ولا يبنى منه فعل. ثم إنه تعالى لما هددهم بقوله: ﴿وكان عهد الله مسؤولاً﴾ أي مسؤولاً عنه أخبر أن الفرار لا يزيد في آجالهم وأن الأمور مقدرة لا يمكن الفرار مما قدره الله تعالى لأنه كائن لا محالة، وإن فررتم فمتعتم بتأخر الأجل فليس ذلك لنفع الفرار في تأخيره بل ذلك لعدم تمام المدة المقدرة للحياة فلا تمتعون بعد الفرار إلا لاستيفاء مدة آجالكم لأن ما هو زائل قليل وما هو آت قريب. **قوله: (أي وإن نفعكم الفرار)** إشارة إلى أن في الكلام حذفًا وأن «إذا» جواب وجزاء لذلك المحذوف. ثم لما بيّن أن الفرار من قدرة الله تعالى لا ينفع الفار علله بأنه تعالى ينفذ إرادته لا محالة فلا يوجد من ينازعه في نفاذ إرادته فكيف ينفع الفرار؟

حمل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى المنع، ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ ينفعهم ﴿وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ يدفع الضر عنهم ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾

فقال: ﴿قل من ذا الذي يعصمكم من الله﴾ أي من عذاب الله تعالى والمعنى: من ذا الذي يمنعكم من الله إن أراد بكم سوءًا كالهزيمة والمغلوبية أو أراد بكم رحمة كالنصرة والغلبة. ولما ورد أن يقال: عطف قوله: «أو أراد بكم رحمة» على قوله: «إن أراد بكم سوءًا» يستلزم أن يكون المعنى: من ذا الذي يعصمكم من رحمة الله إن أراد بكم رحمة، والعصمة لا تكون من الرحمة ولا تكون إلا من السوء. أشار إلى الجواب عنه بقوله: «أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة» يعني أن الكلام من قبيل ما حذف فيه المعطوف مع إبقاء العاطف كما في قوله:

يا ليت زوجك في الوغى متقلدًا سيفًا ورمحا

أي وحاملاً رمحًا لأن الرمح لا يتقلده المرء. وأجاب ثانيًا بأنّا سلمنا أن قوله أو أراد بكم رحمة معطوف على المذكور قبله لكن لا نسلم أنه باطل لأن المعنى: من ذا الذي يمنعكم من الله إن أراد بكم سوءًا أو رحمة. وقوله تعالى: ﴿ولا يجدون لهم من دون الله وليًا ولا نصيرًا﴾ تقرير لقوله: ﴿من ذا الذي يعصمكم من الله﴾ أي ليس لكم قريب ينفعكم ولا نصير ينصركم ويدفع عنكم السوء إذا أتاكم. ثم إنه تعالى هدد المعوقين الذين يخوفون من كان في معسكر رسول الله ﷺ ويقولون: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس يبتلعهم أبو سفيان وحزبه بمرة فخلوه وتعالوا إلينا. يقال: عاقه إذا صرفه عن الوجه الذي يريده ونقل إلى بناء التفعيل للتكرير والتكثير. وثبطه على الأمر أي شغله عنه. قال مقاتل: المعوقون هم المنافقون والقائلون هم اليهود أرسلوا إلى إخوانهم من المنافقين أيام الخندق يخوفونهم بأبي سفيان ومن معه ويقولون لهم: تعالوا إلينا وما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيدي أبي سفيان ومن معه فإنهم إن قدروا عليكم هذه المرة لم يستبقوا منكم أحد. أو قيل: المعوقون طائفة من المنافقين والقائلون لإخوانهم طائفة أخرى منهم تخوف كل واحدة منهما المؤمنين من حرب أبي سفيان وأصحابه لكثرتهم وقلة المؤمنين. وفي تقدير المصنف نوع إشارة إلى أن المراد منهما طائفة من المنافقين وأن عطف أحدهما على الآخر من قبيل عطف الصفات كما في قوله:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

وقوله: «من ساكني المدينة» بيان لقوله: «لإخوانهم» نبه به للدلالة على أن المراد بالإخوة الاشتراك في سكنى المدينة وإلا فالمعوقون هم المنافقون والمراد بإخوانهم جماعة

المثبطين عن رسول الله ﷺ وهم المنافقون. ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ من ساكني المدينة ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ قربوا أنفسكم إلينا وقد ذكر أصله في الأنعام. ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٨﴾ إلا إتيانًا أو زمانًا أو بأسًا قليلاً، فإنهم يعتذرون ويثبطون ما أمكن لهم أو يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون إلا قليلاً، لقوله: ﴿مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٠] وقيل: إنه من تتمة كلامهم ومعناه: ولا يأتي أصحاب محمد حرب الأحزاب ولا يقاومونهم إلا قليلاً.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بخلاء عليكم بالمعاونة أو النفقة في سبيل الله أو الظفر والغنيمة. جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل يأتون أو المعوقين أو على الذم. ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ في أحداقهم ﴿كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ﴾ كنظر المغشي عليه أو كدوران عينه، أو مشبهين به، أو مشبهة بعينه. ﴿مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ من معالجة سكرات الموت خوفًا ولواذًا بك. ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ﴾ وحيزت الغنائم

الأنصار الذين هم بمعزل عن النفاق، فإنه قد روي أن عبد الله بن أبي وأصحابه أقبلوا على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبي سفيان وبمن معه قالوا: لئن قدروا عليكم لم يستبقوا منكم أحدًا ما ترجون من محمد ما عنده خير ما شأنه إلا أن يقتلنا ههنا انطلقوا بنا إلى إخواننا ـ يعني اليهود ـ فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين إلا إيمانًا واحتسابًا.

قوله: (وقد ذكر أصله في الأنعام) في تفسير قوله: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ [الأنعام: ١٥٠] أي احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند أهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم فيقال للجماعة: هلموا والنساء هلممن وأصله عند البصريين هالم من لم إن قصد حذفت الألف لتقدير السكون في اللام فإنه الأصل فيها، وعند الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة بإلقاء حركتها على اللام وهو بعيد، لأن هل لا تدخل الأمر ويكون متعديًا كما في هذه الآية ولازمًا كما في قوله: «هلم إلينا». هذا ما ذكره المصنف في سورة الأنعام إلا أن كلامه في هذه السورة يدل على أنه متعد في هذه السورة أيضًا وحذف مفعوله وهو «أنفسكم». **قوله: (فإنهم يعتذرون ويثبطون)** يعني أن هؤلاء القائلين لإخوانهم لا يخرجون مع المؤمنين ولا يأتون موضع الحرب إلا قليلاً ويجمعون بين الوصفين ما أمكن لهم فهم مثبطون لغيرهم ومتخلفون في أكثر الأحوال بأنفسهم يتعللون في الاشتغال عن القتال وقت حضورهم مع المؤمنين. **قوله: (جمع شحيح)** على غير القياس لأن قياس الذي عينه ولامه من جنس واحد أن يجمع على أفعلاء نحو: خليل وأخلاء وعزيز وأعزاء وصحيح وأصحاء، وقد سمع أشحاء وهو القياس لما وصفهم الله تعالى بالبخل وصفهم بالجبن أيضًا فقال: ﴿فإذا جاء

﴿سَلَقُوكُم﴾ ضربوكم ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ ذربة يطلبون الغنيمة. والسلق البسط يقهر باليد أو باللسان. ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ نصب على الحال أو الذم. ويؤيده قراءة الرفع وليس بتكرير لأن كلاً منهما مفيد من وجه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟﴾ إخلاصًا ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ فأظهر بطلانها إذ لم يثبت لهم أعمال فتبطل، أو أبطل تصنعهم ونفاقهم. ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ الإحباط ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ هينًا لتعلق الإرادة به وعدم ما يمنعه

الخوف رأيتهم ينظرون إليك﴾ فقوله: «ينظرون» حال من مفعول «رأيتهم» لأن الرؤية بصرية وتدور إما حال ثانية وإما حال من فاعل «ينظرون» وقوله: «كالذي» إما صفة بتقدير المضاف إما لمصدر «ينظرون» أو لمصدر «تدور» المحذوفين أي ينظرون إليك نظرًا كنظر الذي أو تدور أعينهم كدوران عين الذي، وإما حال من فاعل «ينظرون» أو «من أعينهم» مشبهين بالذي أو مشبهة بعين الذي قرب من حالة الموت وغشيته سكراته فذهب عقله وشخص بصره فلا تطرف كذلك هؤلاء تشخص أبصارهم وتحار أعينهم لما يلحقهم من الخوف وينظرون إليك بهذ الهيئة لواذًا بك أي التجاء إليك وعياذًا يقال: لاذ به أي لجأ إليه وعاذ به. **قوله**: (ضربوكم) أي آذوكم ورموكم في حالة الأمن والحداد جمع حديد يقال: سلقه بالكلام سلقًا إذا آذاه وهو شدة القول باللسان. والذرب الحاد من كل شيء. عن قتادة: قال بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون: أعطونا فإنا شهدنا معكم القتال وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه ولستم أحق بالغنيمة منا، فهم عند قسمة الغنيمة أشح قوم وعند البأس أجبن قوم. **قوله**: (لأن كلاً منهما مفيد من وجه) فإن المراد بالأول الشح بمعاونة المؤمنين ونصرتهم أو الشح بالإنفاق في سبيل الله أو بظفر المؤمنين، وبالثاني الشح على الخير أي المال والغنيمة. والثاني حال من فاعل «سلقوكم» ولما كان الإحباط يتعلق بالعمل المعتبر شرعًا ومن لم يكن مخلصًا في إيمانه لا تعتبر أعماله شرعًا لإبطانه الكفر في قلبه فلا يلحقها الإحباط والإبطال أول قوله تعالى: ﴿فأحبط الله أعمالهم﴾ بوجهين: مبنى الأول أن يراد بالأعمال ما يكون على صورة الطاعة والقربة وإحباطه إظهار بطلانه وبيان أنه لا حكم له ولا أثر فإن الإحباط عبارة عن الإعدام والإهدار والأعمال لكونها من قبيل الأعراض معدومة في أنفسها وبقاؤها إنما هو ببقاء حكمها وآثارها، وما كان منها مقرونًا بالكفر والنفاق لا يكون له فائدة واعتبار فهو معدوم حقيقة وحكمًا، فقوله تعالى: ﴿فأحبط الله أعمالهم﴾ معناه فأظهر الله تعالى كونها ضائعة لا فائدة لها. ومبنى الثاني أن لا يكون المراد بأعمالهم ما عملوه تصنعًا ونفاقًا حتى يقال إنه لا اعتبار لها ولا فائدة في أصل حدوثها فكيف يلحقها الإحباط، بل المراد بها نفس تصنعهم ونفاقهم فإنهم أرادوا به أن يحصل لهم بذلك قدر وجاه عند المؤمنين فأحبط الله ذلك التصنع حيث لم يترتب عليه ما أرادوا به.

عنه. ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ۖ﴾ أي هؤلاء لجبنهم يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا إلى داخل المدينة. ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾ كرة ثانية ﴿يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾ تمنوا أنهم خارجون إلى البدو وحاصلون بين الأعراب ﴿يَسْـَٔلُونَ﴾ كل قادم من جانب المدينة ﴿عَنْ أَنۢبَآئِكُمْۖ﴾ عما جرى عليكم ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم﴾ هذه الكرة ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال ﴿مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا (٢٠)﴾ رياء وخوفًا من التعيير.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ خصلة حسنة من حقها أن يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد أو هو في نفسه قدوة يحسن التأسي به كقولك: في البيضة عشرون منا حديدًا أي هي في نفسها هذا القدر من الحديد. وقرأ عاصم بضم

قوله: (ففروا إلى داخل المدينة) عطف على «يظنون» ولفظ الماضي للمبالغة في بيان جبنهم فكأن طائفة منهم فروا عقيب انهزام الأحزاب بناء على ظن أنهم لم يذهبوا ولم ينهزموا. **قوله تعالى:** (بادون) جمع باد وهو المقيم بالبادية يقال: بدا يبدو بداوة إذا خرج إلى البادية وقوله: «يسألون» يجوز أن يكون مستأنفًا وأن يكون حالاً من فاعل «يحسبون» والعامة على سكون السين بعدها همزة. ونقل عن أبي عمرو وعاصم نقل حركة الهمزة إلى السين وحذفها كقوله: ﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة: ٢١١] وقرىء «يساءلون» بتشديد السين والأصل يتساءلون فأدغم أي يسأل بعضهم بعضًا عجبًا مما فعل محمد وأصحابه وما فعل بهم فيتعرفون حالكم لا بالمشاهدة. **قوله:** (خصلة حسنة من حقها أن يؤتسى بها) إشارة إلى أن الإسوة بكسر الهمزة وضمها وإن كان اسمًا موضوعًا موضع المصدر وهو الائتساء بمعنى الاقتداء إلا أنه استعمل ههنا بمعنى ما من حقه أن يؤتسى به. قرأ عاصم «أسوة» بضم الهمزة حيث وقعت هذه اللفظة والباقون بكسرها وهما لغتان كالقدوة والقدوة لفظًا ومعنى. يقال: ائتسى فلان بفلان أي اقتدى به. وظاهر المفهوم لقد كان لكم فيه قدوة أي اقتداء والمراد لقد كان لكم فيه ما من حقه أن يقتدى به. وأسوة اسم «كان» وفي الخبر وجهان: أحدهما هو «لكم» و«في رسول الله» متعلق بما تعلق به «لكم» أو بمحذوف على أنه حال من «أسوة» إذ لو تأخر لكان صفة، وثانيهما أن الخبر هو «في رسول الله ولكم» على ما تقدم في رسول الله ﷺ. **قوله:** (أو هو في نفسه قدوة) على أن تكون كلمة «في» تجريدية وتجرد من نفسه الزاكية ما هو قدوة كما في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِۖ﴾ [فصلت: ٢٨] مع أن الجنة في نفسها دار الخلد جرد منها أخرى مثلها في كونها دار الخلد. والمراد بالأسوة الحسنة الثابتة في رسول الله عليه الصلاة والسلام الثبات في الحرب ونصرة دين الله والصبر على ما يصيبه من الشدائد والمكاره كما فعل عليه الصلاة والسلام، إذ كسرت رباعيته وجرح وجهه الكريم

الهمزة وهو لغة فيه. ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾ أي ثواب الله أو لقاءه ونعيم الآخرة، أو أيام الله واليوم الآخر خصوصًا. وقيل: هو كقولك: أرجو زيد أو فضله. فإن اليوم الآخر داخل فيها بحسب الحكم والرجاء يحتمل الأمل والخوف، و«لمن كان» صلة لحسنة أو صفة لها. وقيل: بدل من «لكم». والأكثر على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه.

وقتل عمه وأوذي بضروب من الأذى فواساكم مع ذلك كله بنفسه فافعلوا أنتم كذلك في نصرة دينه وإظهار شرعه واستنوا بسنته. **قوله: (أي ثواب الله)** احتيج إلى تقدير المضاف لأن الذات من حيث إنه ذات لا يؤمل ولا يخاف فلا يتعلق به الرجاء سواء بمعنى الأمل أو الخوف، فإن كان المقدر ثوابه أو لقاءه أو ما أعده للمتقين من نعيم الآخرة يكون الرجاء بمعنى الأمل، وإن كان التقدير يرجو أيام الله أي شدائده يكون عطف اليوم الآخر عليه من قبيل عطف الخاص على العام ويكون الرجاء بمعنى الخوف. **قوله: (وقيل هو كقولك)** في أن عطف اليوم الآخر على الجلالة وإن ذكر الجلالة تمهيد لما ذكر الله بعده من تفسير المبهم وتفصيل المجمل فإن الذات من حيث إنها ذات لما لم يتعلق بها الرجاء كان كقولك: رجوت زيدًا مشتملاً على نوع من الإجمال والإبهام في الدلالة على المعنى المراد فأزيل ذلك الإبهام بالعطف فكان معنى الآية لمن كان يرجو ثواب الله إلا أنه وضع اليوم الآخر موضع ثوابه لأن ثواب الله تعالى يقع فيه فعبّر به عن الثواب الواقع فيه على طريق إطلاق اسم المحل على الحال، وعليه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠٧] أي في الجنة وقوله: «لمن كان» متعلق بنفس «حسنة» أو بمحذوف على أنه صفة لحسنة أي حسنة كائنة لمن كان. **قوله: (والأكثر على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه)** أي لا يبدل منه الظاهر بدل الكل. قال ابن الحاجب: ولا يبدل ظاهر من مضمر بدل الكل إلا من ضمير الغائب نحو: ضربته زيدًا وهو مذهب جمهور البصريين، وأجازه الكوفيون والأخفش تمسكًا بقوله:

بكم قريش كفينا كل معضلة وأم نهج الهدى من كان ضليلا

والظاهر أن مقصود المصنف الاعتراض على صاحب الكشاف حيث جعله بدلاً من ضمير المخاطب بإعادة الجار، إلا أنه إنما يتجه على تقدير أن يجعل بدل الكل من الكل وليس بلازم لجواز أن يكون المراد أنه بدل بعض من كل لأن المخاطب بقوله: «لكم» أعم مما كان يرجو الله وغيره، وخصص ذلك العموم بإبدال قوله: «لمن كان يرجو الله» من «لكم» كقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ٧٥] ولا يلزم أن يكون مراده التشبيه في كونه بدل الكل من الكل لجواز أن يكون مراده تشبيهه في أن الظاهر بدل من المجرور بإعادة الجار فلا يتوجه عليه اعتراض المصنف.

﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية إلى ملازمة الطاعة، فإن المؤتسي بالرسول من كان كذلك. ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ بقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ [البقرة: ٢١٤] الآية وقوله عليه الصلاة والسلام: «سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم». وقوله عليه الصلاة والسلام: «إنهم سائرون إليكم بعد تسع أو عشر». ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ وظهر صدق خبر الله ورسوله أو صدقًا في النصرة والثواب كما صدقًا في البلاء وإظهار الاسم للتعظيم. ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ فيه ضمير لما رأوا أو الخطب أو البلاء. ﴿إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾ بالله ومواعيده ﴿وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ لأوامره ومقاديره.

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ من الثبات مع الرسول والمقاتلة لإعلاء الدين من صدقني إذا قال لك الصدق، فإن المعاهد إذا وفى بعهده فقد صدق فيه. ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ نذره بأن قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر. والنحب النذر استعير للموت لأنه كنذر لازم في رقبة كل حيوان. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ الشهادة كعثمان وطلحة ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟﴾ العهد ولا غيروه ﴿تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ شيئًا من التبديل. روي أن طلحة ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حتى أصيبت يده فقال عليه الصلاة والسلام: «أوجب طلحة». وفيه تعريض لأهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ تعليل للمنطوق والمعرض به. فكأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء لعاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم. أو المراد به التوفيق للتوبة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ لمن تاب.

قوله: (كثيرًا) صفة مصدر محذوف أي ذكرًا كثيرًا. ثم إنه تعالى لما ذكر أحوال المنافقين والذين في قلوبهم مرض ضعف اليقين وصف حال المؤمنين الخلص حين لقاء الأحزاب فقال: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا﴾ الخطب أو هذا البلاء ﴿ما وعدنا الله﴾ تعالى في سورة البقرة بقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤] وعد الله المؤمنين بهذه الآية أن يزلزلوا الكفار ويخوفوهم تخويفًا شديدًا ووعد أيضًا أن يكونوا منصورين عليهم، فلما رأوهم قالوا: ﴿هذا ما وعدنا الله﴾ على لسان رسوله وكذا وعدهم رسول الله ﷺ بمضمون هذه الآية فقال: إن الأحزاب سائرون إليكم تسعًا أو عشرًا أي آخر تسع ليال أو عشر، فلما رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا ذلك

....

﴿وما زادهم﴾ ما رأوه أو مجيئهم ﴿إلا إيمانًا﴾ أي تصديقًا بوعد الله وتسليمًا لأمره وقضائه. **قوله:** (كحمزة ومصعب) روي أن الآية نزلت في عثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين، فمن قضى منهم نحبه حمزة ومصعب وأنس بن النضر ومن ينتظر عثمان وطلحة. وفي الحديث: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة» لأنه طعن كثيراً.

قوله: (عليه الصلاة والسلام أوجب طلحة) أي أوجب لنفسه الجنة لأنه وقى النبي ﷺ فصارت يده شلاء بذلك فاستحق الجنة بسببه. **قوله:** (من صدقني إذا قال لك الصدق) اعلم أن صدق يتعدى إلى اثنين: إلى أحدهما بنفسه وإلى الثاني بحرف الجر ويجوز حذفه ومنه المثل: صدقني سن بكره أي في سن بكره، وقوله تعالى: ﴿صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ يجوز أن يكون من هذا القبيل والمعنى: صدقوا الله فيما عاهدوا الله عليه. وإليه أشار المصنف بقوله: «وإن المعاهد إذا وفى بعهده فقد صدق فيه». ويحتمل أن يكون قوله: ﴿ما عاهدوا الله عليه﴾ هو الذي عدى إليه الفعل بنفسه كالذي في قولك: صدقني زيد وكذبني عمرو أي قال لي الصدق وقال لي الكذب، ويكون المعاهد عليه مصدوقًا مجازًا كأنهم قالوا للشيء المعاهد عليه: لنوفين لك وقد فعلوا فيكون «ما» بمعنى الذي فلذلك عاد إليه الضمير في عليه. وقوله تعالى ﴿وصدق الله ورسوله﴾ من تكرير الظاهر تعظيمًا له ولأنهما لو أعادهما مضمرين وقال: وقد صدقا للزم أن يجمع بين اسم الباري واسم رسوله في لفظة واحدة، وقد شنع عليه الصلاة والسلام على من قال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له: «بئس الخطيب القوم أن يقول ومن يعصهما بل ومن يعص الله فقد غوى» قصدًا إلى تعظيم الله تعالى. **قوله:** (وظهر صدق خبر الله) لما كان الصدق من أوصاف الخبر وأن صدق المتكلم عبارة عن صدقه فيما أخبر به، وجب أن تؤول الآية إما بتقدير المضاف أو بتقدير ما يعدى إليه صدق المتكلم بكلمة «في». **قوله:** (تعليل للمنطوق) وهو عدم تبديل المؤمنين الذين صدقوا فيما عاهدوا الله عليه والمعرض به هو تبديل أهل النفاق ومرض القلب، وهذا القول منه إشارة إلى جواب ما يقال كون عدم تبديل العهد مؤديًا إلى جزائهم بصدقهم ظاهر، فيصح تعليله بقوله: ﴿ليجزي الله الصادقين﴾ ولا يصح أن يكون سببًا مؤديًا إلى عذاب المنافقين فكيف قيل ﴿ويعذب المنافقين﴾ عطفًا على «يجري» فلما اعتبر في الكلام منطوقًا ومعرضًا به وجعل الأول علة للمنطوق والثاني للمعرض به اندفع الإشكال، فإن تبديل أهل النفاق مذكور بطريق التعريض من حيث إن الكلام في قوة أن يقال: وما بدلوا كتبديل أهل النفاق. **قوله:** (فكأن المنافقين الخ) إشارة إلى جواب ما يقال: تعذيب أهل

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني الأحزاب. ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ متغيظين ﴿لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ﴾

النفاق كيف يكون علة حاملة لهم على التبديل، ومن المعلوم أنهم ما قصدوا بالتبديل أن يعذبوا؟ وتقرير الجواب أن العاقبة المترتبة على التبديل شبهت بالغرض والعلة الحاملة فاستعملت لها لام العلة مجازًا واللام الداخلة على علة المنطوق وإن صح كونها لام العلة الحاملة بناء على أن المخلصين قصدوا بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى إلا أنه يجب جعلها لام العاقبة لئلا يلزم استعمال اللفظ الواحد في معنيين مختلفين. وهذا التقرير مبني على أن يكون قوله تعالى: ﴿ليجزي الله﴾ متعلقًا بقوله: ﴿وما بدلوا﴾ منطوقًا ومفهومًا أي وما بدلوا كتبديل أهل النفاق ليجزي أهل الصدق بصدقهم وأهل النفاق بنفاقهم. ويحتمل أن يكون متعلقًا بقوله: «من المؤمنين رجال صدقوا» فإنه يدل على أن بعضًا ممن أظهر الإيمان لم يصدقوا ولم يوفوا بالعهد فيكون تعليلاً للمنطوق والمعرض به أيضًا ومفعول قوله: «إن شاء» محذوف وكذا جواب الشرط وهو تعذيبهم، والمعنى: يعذب المنافقين إن شاء تعذيبهم بأن يميتهم على النفاق عذبهم أو يقبل توبتهم إن تابوا وأخلصوا، فإن توبة الله تعالى على العبد عبارة عن رجوعه عن تعذيب من تاب ورجع عن المعصية فتكون التوبة عليهم مشروطة بتوبتهم كما أن تحتم تعذيبهم مشروط بموتهم على النفاق من غير توبة. فإن قيل: من مات على النفاق يتحتم تعذيبه بالنصوص القاطعة فكيف يصح تعليق تعذيبه على المشيئة؟ قلنا: المعلق على المشيئة حقيقة هو ما يستلزم ذلك التعذيب وهو الموتة على النفاق وبذلك الاعتبار يظهر كون قوله: «أو يتوب عليهم» مقابلاً لما قبله كأنه قيل: يعذبهم إن لم يتوبوا أو يقبل توبتهم إن تابوا، فإن عطفه على «يعذب» وهم أن تكون التوبة عليهم لأجل نفاقهم كما أن تعذيبهم لذلك ولما كان قوله تعالى: «أو يتوب عليهم» مشعرًا بأنه تعالى يقبل توبتهم ما داموا منافقين كما أنه تعالى يعذبهم على نفاقهم ما داموا عليه لئلا يضيع اعتبار وصف النفاق في التوبة عليهم وفي العذاب لهم، ومن المعلوم أنه تعالى لا يتوب على المنافق ما دام منافقًا. أجاب عنه أولاً بأن الكلام من قبيل قولك: المحدث يجب عليه الوضوء أي بشرط إرادته أداء الصلاة، وثانيًا بأن المعنى أو يوفقهم للتوبة إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: (ورد الله الذين) معطوف من حيث المعنى على قوله: ﴿ليجزي الله الصادقين﴾ فإن اللام فيه لام العاقبة فكأنه قيل: فكأن عاقبة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه أن جزاهم الله بصدقهم ورد أعدائهم متغيظين، وهذا الرد من جملة جزائهم على صدقهم. والباء في قوله تعالى: «بغيظهم» للمصاحبة فيكون حالاً بمعنى متغيظين كالتي في قوله تعالى: ﴿تَنبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] أي ملتبسة. والغيظ غضب كائن للعاجز يقال: غاظه فهو مغيظ ولا يقال: أغاظه، وتداخل الحالين أن تعمل الحال الأولى في الثانية فيكون الحالان

غير ظافرين. وهما حالان بتداخل أو بتعاقب. ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ بالريح والملائكة. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا﴾ على إحداث ما يريده ﴿عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ غالبًا على كل شيء. ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ ظاهروا الأحزاب. ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني قريظة ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ من حصونهم، جمع صيصه وهي ما تحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك. ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ الخوف. وقرىء بالضم ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾ وقرىء بضم السين. روي أن جبرائيل أتى رسول الله ﷺ صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب فقال: أتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة وأنا عامد إليهم. فأذن في الناس أن لا يصلوا العصر إلا ببني قريظة، فحاصرهم إحدى وعشرين أو خمسًا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم: «تنزلون على حكمي» فأبوا فقال: «على حكم سعد بن معاذ». فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبّر النبي ﷺ وقال: «حكمت بحكم الله فوق سبعة أرقعة». فقتل منهم ستمائة أو أكثر وأسر منهم سبعمائة.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾ مزارعهم ﴿وَدِيَٰرَهُمْ﴾ حصونهم ﴿وَأَمْوَٰلَهُمْ﴾ نقودهم ومواشيهم وأثاثهم. روي أنه عليه الصلاة والسلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الأنصار فقال: «إنكم في منازلكم». فقال عمر: أما تخمس كما خمست يوم بدر؟ فقال:

لشيئين مختلفين لفظًا وتعاقبهما أن يكونا لشيء واحد. **قوله تعالى: (وكفى الله المؤمنين القتال)** أي لم يحوجهم إلى قتال في دفع عدوهم. وكفى يتعدى إلى مفعولين يقال: كفاه مؤنته كفاية. **قوله: (يعني قريظة)** وكانوا ذمة لرسول الله ﷺ فنقضوا العهد وصاروا يدًا واحدة مع المشركين على رسول الله ﷺ. فلما هزم الله المشركين يوم الخندق بالريح والملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذٍ إلا أنه تعالى لما أرسل الريح عليهم كثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم فخافوا وانهزموا فأمر الله تعالى رسوله بالمسير إلى قريظة، فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام وقد وضع رسول الله ﷺ لامته أي درعه واغتسل واستحم فقال: «قد وضعت اللامة وما وضعناها بعد». ثم قال له: إن الله يأمرك أن لا تصلي العصر إلا ببني قريظة فنادى رسول الله ﷺ بذلك في المسلمين فخرجوا إليه. وقوله عليه الصلاة والسلام: «تنزلون على حكمي» يجوز أن يكون بمعنى الاستفهام حذف منه حرف الاستفهام ويجوز أن يكون خبرًا بمعنى الأمر أي انزلوا. **قوله: (فوق سبعة أرقعة)** أي سبع سمٰوات يقال: لكل سماء رقيع والجمع أرقعة، ويقال أيضًا الرقيع اسم سماء الدنيا سمى كل سماء باسمها. والمعنى «إن هذا الحكم مكتوب في اللوح المحفوظ الذي هو فوق السمٰوات. وكان السبب في رضى بني قريظة بحكم سعد بن معاذ أنه كان من الأوس وكان بنو قريظة موالي الأوس وحلفاءهم فظنوا

«لا إنما جعلت هذه لي طعمة». ﴿وأرضًا لم تطئوها﴾ كفارس والروم. وقيل: خيبر وقيل: كل أرض تفتح إلى يوم القيامة. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ فيقدر على ذلك. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ السعة والتنعم فيها ﴿وَزِينَتَهَا﴾ وزخارفها ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أعطكن المتعة. ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ طلاقًا من غير ضرار وبدعة. روي أنهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت. فبدأ بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فأنزل ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ [الأحزاب: ٥٢] وتعليق التسريح بإرادتهن الدنيا وجعلها قسيمًا لإرادتهن الرسول يدل على أن المخيرة إذا اختارت زوجها لم تطلق خلافًا لزيد والحسن ومالك وإحدى الروايتين عن علي.

منه أن يسعى لهم بخير ويحكم بما لا يكرهون. **قوله: (أعطكن المتعة)** وهي درع وخمار وملحفة على حسب حال الزوج من السعة والإقتار إلا أن يكون لها نصف مهر أقل من ذلك فيجب لها الأقل منهما. وتجب المتعة لمطلقة لم توطأ ولم يسم لها مهر وتستحب لمن طلقت بعد وطء سمي لها مهرًا ولم يسم، لا لمن سمي لها مهر وطلقت قبل وطء فإن نصف المسمى إنما وجب لها على سبيل المتعة. قال الإمام: وجه تعلق الآية بما قبلها أن مكارم الأخلاق منحصرة في شيئين: التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله وإليه أشار عليه الصلاة والسلام بقوله: «الصلاة وما ملكت أيمانكم» فالله تعالى لما أرشد نبيه إلى ما يتعلق بجانب التعظيم وبدأ بالزوجات لكونهن أولى الناس بالشفقة ولهذا قدمهن في النفقة. روي أنه عليه الصلاة والسلام قسم غنائم بني قريظة بين أصحابه وعائشة رضي الله تعالى عنها تنظر وكان له عليه الصلاة والسلام الخمس في كل غنيمة فقالت عائشة في نفسها: اليوم يوم خماري ومقنعي. وصرف النبي ﷺ الخمس أيضًا إلى الناس فلم يحصل لعائشة شيء فجادلت رسول الله ﷺ في ذلك وأبو بكر رضي الله عنه حاضر فرفع يده إليها ليلطمها فمنعه رسول الله ﷺ وقال: «دعها فإنها صبية» ثم وضع يده على كتفها وقال: «اخرج يا شيطان منها». وقيل: قال: «اخرج يا خبيث من هذه الطاهرة» فقامت وقالت: والذي بعثك بالحق لقد خرج. ونزلت هذه الآية في عتابهن وفيها تخييرهن وهو انتظام حسن. وقيل: انتظامها بما قبلها أنه نوع أذى كان منهن في حقه عليه الصلاة والسلام والأول كان أذى في حقه عليه الصلاة والسلام من الكفار والمنافقين. وقيل: سبب نزولها أن نساء النبي عليه الصلاة والسلام سألنه شيئًا من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة وأذينه بغيرة بعضهن على بعض، فأمر عليه الصلاة والسلام باعتزالهن وآلى أن لا يدخل عليهن شهرًا فصعد إلى غرفة له فمكث فيها ولم يخرج إلى أصحابه. ثم لما مضى شهر أنزل الله هذه الآية وأمره بتخيير

ويؤيده قول عائشة: خيّرنا رسول الله ﷺ فاخترناه فلم يعد طلاقًا. وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق. وقيل: لأن الفرقة كانت بإرادتهن كاختيار المخيرة نفسها فإنها طلقة رجعية عندنا، وبائنة عند الحنفية. واختلف في

نسائه. وكان تحته عليه الصلاة والسلام يومئذٍ تسع نسوة خمس من قريش: عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت أبي أمية وسودة بنت زمعة، وغير القرشيات: زينب بنت جحش الأسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية وجورية بنت الحارث المصطلقية. فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله ﷺ بعائشة وكانت أحبهن إليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله تعالى ورسوله والدار الآخرة وتابعها سائر نسوته. ظاهر الآية يدل على أنه عليه الصلاة والسلام خيّرهن بين أن يخترن الدنيا وبين أن يخترن الله ورسوله إلا أنهن إن اخترن الدنيا وزينتها فارقهن، وليست بصريحة في أن ذلك كان تفويض الطلاق إليهن حتى يقع بنفس اختيارهن أنفسهن فلذلك اختلف العلماء في هذا الخيار؛ هل كان ذلك تفويض الطلاق إليهن حتى يقع بنفس اختيارهن من غير تطليق الزوج إياهن أولاً؟ فذهب الأكثرون إلى أنه لم يكن تفويض الطلاق وإنما خيرهن على أنهن إذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى: ﴿فتعالين أمتعكن وأسرحكن﴾ ويدل عليه أنه لم يكن جوابهن على الفور فإنه عليه الصلاة والسلام قال لعائشة: «لا تعجلي حتى تستشيري أبويك». وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور. وذهب آخرون إلى أنه كان تفويض طلاق ولو اخترن أنفسهن كان طلاقًا، فإن الرجل إذا خير امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء ولو اختارت نفسها يقع طلقة واحدة بائنة عندنا ورجعية عند الشافعية. وقال زيد بن ثابت: إذا اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وإن اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال الإمام مالك. وروي عن عليّ أيضاً أنها إذا اختارت زوجها يقع طلقة واحدة رجعية وإن اختارت نفسها فطلقة بائنة. وأكثر العلماء على أنها إذا اختارت زوجها لا يقع شيء.

قوله: (وقيل لأن الفرقة) أي قيل في جواب ما يقال: إن حق التمتيع أن يؤخر عن التسريح لكونه مسببًا عن التسريح وحق المسبب أن يتأخر عن سببه أن الفرقة لم تقع بتسريحه عليه الصلاة والسلام إياهن حتى يقال: التسريح سبب للتمتيع فكان حقه أن يقدم، بل الفرقة وقعت بإرادتهن الدنيا بدل إرادة الله ورسوله وتلك الإرادة هي سبب التمتيع فهو مذكور في موقعه وأصل تعال أن يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المنخفض يطلب بذلك أن يرتفع إلى مكانه ثم كثر حتى استوت الأمكنة، واستعماله في طلب الإقبال مطلقًا حتى يقوله من في المكان المنخفض لمن في المكان المرتفع يريد أن يقول: انزل إلي. **قوله:**

وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرىء «أمتعكن» و«أسرحكن» بالرفع على الاستئناف.

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ يستحقر دونه الدنيا وزينتها. و«من» للتبيين لأنهن كلهن كن محسنات. ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ﴾ بكبيرة ﴿مُّبَيَّنَةٍ﴾ ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وأبي بكر، والباقون بكسر الياء ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ ضعفي عذاب غيرهن أي مثليه لأن الذنب منهن أقبح فإن زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه، ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد. وعوتب الأنبياء بما لا

(وقرىء أمتعكن) قرأ العامة «أمتعكن وأسرحكن» بجزمهما على أن قوله: «فتعالين» جواب الشرط وقوله: «أمتعكن» جواب لهذا الأمر. وقرىء برفعهما على الاستئناف وقوله: «سراحًا» اسم أقيم مقام التسريح كما أقيم نباتًا موضع إنباتًا في قوله: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧]. **قوله:** (وإن كنتن تردن الله ورسوله) أي تردن ما أمر الله به ورضيه رسوله والدار الآخرة أي الجنة وثوابها، فإن الله أعد للمحسنات منكن ولم يقل «لكن» مع أن المقام موضع الضمير إيذانًا بأن كل الإحسان في إيثار مرضاة الله تعالى ورسوله على مرضاة أنفسهن، و«من» للتبيين لا للتبعيض لأن كلهن محسنات. والعظيم في الأجسام ما امتدت أبعاده في جهة الطول والعرض والعمق جميعًا حتى لو امتد بعده الكائن في جهة الطول فقط يقال له طويل، ولو امتد ما في جهة عرضه يقال له عريض، ولو امتد ما في جهة عمقه يقال له عميق، ولا يقال للجسم عظيم إلا إذا امتدت أبعاده الكائنة في جميع جهاته الثلاث. وشبّه أجر الآخرة به في ارتفاع شأنه في الجهات الثلاث في لطافة ذاته وصفاء جوهره وفي خلوه عن وجوه المشقة والتعب في تحصيله وعن وجوه الضرر في تناوله وفي دوامه وعدم انقطاعه فهو أجر عظيم بخلاف أجر الدنيا. قال المفسرون: لما اخترن الله ورسوله رفع الله محلهن وأجل قدرهن بتمييزهن عن سائر النسوة في العقوبة على المعصية والأجر على الطاعة حيث قال: ﴿يا نساء النبي من يأت منكم بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب﴾ فإن زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والرتبة وزيادة النعمة على العاصي من المعصى، وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي ولا لأحد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة، فإن الله تعالى جعلهن زوجات نبيه في الدنيا والآخرة وشاهدن أفعاله وأقواله وأحواله بالليل والنهار فتكون المعصية منهن أقبح منها في غيرهن. ولما كانت المعصية أقبح كان عذابها أشد وأزيد ولذلك فضل حد الأحرار على حد العبيد إظهارًا لشرف الحرية. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: المراد بالفاحشة ههنا النشوز وسوء الخلق. وقيل: هو كقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾

يعاتب به غيرهم. وقرأ البصريان «يضعف» على البناء للمفعول ورفع «العذاب» وابن كثير وابن عامر «نضعف» بالنون وبناء الفاعل ونصب «العذاب» ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي وكيف وهو بسببه.

﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ﴾ من يدم على الطاعة ﴿لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ ولعل ذكر الله للتعظيم، أو لقوله: ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضى النبي ﷺ بالقناعة وحسن المعاشرة. وقرأ حمزة والكسائي و«يعمل» بالياء أيضًا حملاً على لفظ و«يؤتها» بالياء أيضًا على أن فيه ضمير اسم الله ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ في الجنة زيادة على أجرها.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ أصل أحد بالمد بمعنى الواحد، ثم وضع في النفي العام مستويًا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى: لستن كجماعة

[الزمر: ٦٥] وقيل: المراد به العصيان. **قوله: (وقرأ البصريان يضعف)** بضم الياء وفتح الضاد والعين المشددة ورفع «العذاب» لقيامه مقام الفاعل. وابن كثير وابن عامر نضعف بنون العظمة وتشديد العين مكسورة على بناء الفاعل ونصب «العذاب» لأنه مفعول به. وقرأ الباقون «يضاعف» على بناء المفعول من المفاعلة ورفع «العذاب» لقيامه مقام الفاعل. ولما بنى الله تعالى تضاعف عذابهن على تقدير المعصية وتضاعف ثوابهن على تقدير القنوت وهو الطاعة وليس المراد إحداثها وهو ظاهر قال المصنف: ومن يدم على الطاعة.

قوله: (للتعظيم أو لقوله وتعمل صالحًا) لا معنى لكلمة أو ههنا فلذلك لم توجد في بعض النسخ لأن المقصود الاستدلال على أن ذكر الله للتعظيم ببيان أن طاعة الله تعالى قد فهم من قوله وتعمل صالحًا، فينبغي أن يكون ذكر الله تعالى لفائدة أخرى حذرًا من التكرار فحمله على التعظيم لكونه هو المناسب للمقام. واللام في قوله: «مرة على الطاعة» للعهد والمعهود طاعة الله تعالى. وقرأ الجمهور «يا نساء النبي من يأت» و«من يقنت» بالياء من تحت حملاً على لفظ «من» و«تعمل» بالتاء من فوق حملاً على معنى «من» لأن المراد بها مؤنث و«نؤتها» بنون العظمة على طريق الالتفات من الغيبة إلى التكلم. وفيه لطيفة وهي أنه عند ذكر إيتاء الأجر صرح بذكر المؤتي وهو الله عز وجل، وعند ذكر العذاب لم يصرح بالمعذب فقال: «يضاعف» إشارة إلى كمال الرحمة والكرم. وقرأ حمزة والكسائي و«يعمل» و«يؤت» بالياء من تحت فيهما لما ذكره المصنف. **قوله: (والمعنى لستن كجماعة)** حمل «أحدًا» على الجماعة ليطابق من قصد تفضيلهن بالمفضل عليهم فإن نساء النبي ﷺ جماعة فجعل المشبه بهن جماعة للمطابقة المذكورة في الجمع.

واحدة من جماعات النساء في الفضل ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ مخالفة حكم الله ورضى رسوله ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ فلا تجئن بقولكن خاضعًا لينًا مثل قول المريبات ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ فجور. وقرىء بالجزم عطفًا على محل فعل النهي على أنه نـهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول. ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ حسنًا بعيدًا عن الريبة ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ من وقر يقر وقارًا من قر يقر، حذفت الأولى من رائى أقررن ونقلت همزتها إلى القاف فاستغنى بها عن همزة الوصل، ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت أقر وهو لغة فيه. ويحتمل أن يكون من قار يقار إذا اجتمع.

قوله: (مثل قول المريبات) هن اللاتي يوقعن الرجال في الريبة والتهمة من جمالهن. وصف قولهن بكونه خاضعًا لينًا للإشارة إلى أن الباء في قوله تعالى: ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ للتعدية. **قوله تعالى: (إن اتقيتن)** في جوابه وجهان: أحدهما أنه محذوف لدلالة ما تقدم عليه أي إن اتقيتن مخالفة حكم الله ورضى رسوله فلستن كأحد. قال صاحب التيسير في تفسيره: أي هذه الخصلة لكن إن اتقيتن المعاصي ومخالفة الله ورسوله والرغبة في الدنيا وزينتها، فلا يكن الكلام إذا كلمتن الرجال من وراء الحجاب كما يكلم الإنسان من يخضع له بالطاعة وينقاد له فيما يريد. والوجه الثاني أن يكون جوابه قوله: «فلا تخضعن» وإغلاظ القول لغير زوجها معدود في جملة محاسن خصال النساء في الجاهلية والإسلام كما عد منها بخلهن بالمال وجبنهن. وفيه دليل على أنه ينبغي للمرأة إغلاظ القول إذا خاطبت محرمًا لها بالمصاهرة، ألا ترى أن الله تعالى أوصى أمهات المؤمنين به وهن عليهم محرمات على التأبيد؟ وقرأ العامة «فيطمع» بالنصب على أنه جواب النهي بالفاء وقرىء بالجزم وكسر العين لالتقاء الساكنين عطفًا على محل النهي لأنه ليس بمجزوم بل هو مبني لاتصال النون به فجزم المعطوف عليه ليس إلا بالنظر إلى محله فالمعنى: لا تخضعن بالقول فلا يطمع أهل الفجور في موافقتكن له. **قوله: (من وقر يقر وقارًا)** إذا سكن رثبت واستقر أصله أو قرن حذفت الواو تبعًا للمضارع فاستغنى عن همزة الوصل فصار قرن بكسر القاف على وزن علن والمعنى: كن أهل وقار وسكون واطمئنان وهي قراءة العامة، أو من قر بالمكان يقر بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع وهي اللغة الفصيحة فأصله أقررن. ولما احتيج إلى التخفيف لاجتماع حرفين من جنس واحد نقلت حركة الراء الأولى إلى القاف فاجتمع ساكنان فحذفت إحداهما ثم حذفت همزة الوصل للاستغناء عنها فصار قرن على وزن فعن أو فلن. ومن قرأ بفتح القاف يحتمل أن يجعله من قررت في المكان أقر فيه بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر أصله أقررن فاعل كما سبق. ويحتمل أن يجعله أمرًا من قار يقار كخاف يخاف إذا اجتمع ومنه القارة وهي اسم قبيلة سموا قارة لاجتماعهم واتفاقهم، فقيل: في الأمر

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ ولا تتبختَرن في مَشيَتِكن ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ تبرّجًا مثل تبرّج النساء في أيام الجاهلية القديمة. قيل: هي ما بين آدم ونوح. وقيل: الزمان الذي وُلد فيه إبراهيم كانت المرأة تلبَس درعًا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال. والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. وقيل: الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الإسلام والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق في الإسلام، ويعضده قوله عليه السلام لأبي الدرداء «إن فيك جاهلية» قال: جاهلية كفر أو إسلام؟ قال «جاهلية كفر». ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ في سائر ما أمَركنّ به ونهَاكن عنه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ الذنب المدنّس لعرضكم، وهو تعليل لأمرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك

منه: قرن كخفن على وزن فلن وهذا وجه ظاهر إلا أن المقام مقام الأمر بالوقار والسكون أو بالاستقرار في البيوت والأمر بالاجتماع فيها لا يناسب المقام. **قوله:** (ولا تتبخترن) اختار أن يكون التبرج التبختر وهو المشي المنبىء عن الغنج والدلال. وقيل: التبرج إظهار الزينة وإبراز المحاسن للرجال. وعن الزجاج قال: التبرج إظهار المرأة زينتها وما تستدعي به شهوة الرجال. وعن قتادة: هو مشية في تغنج وتكسر. **قوله:** (ويعضده) أي يعضدان الجاهلية تطلق على جاهلية الفجور والفسوق في الإسلام كما تطلق على جاهلية الكفر. ووجه التقوية أن أبا الدرداء رضي الله تعالى عنه سأل فقال: أجاهلية كفر أم جاهلية إسلام؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «بل جاهلية كفر»، فعلم بذلك أن الجاهلية تتحقق فيهما. والمعنى: ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الإسلام تتشبهن بها بأهل جاهلية الكفر. قيل: وهذا القول أشبه لأنهم كانوا يتخذون البغايا فيفعلن لهم ذلك. **قوله:** (وأطعن الله ورسوله) تعميم بعد التخصيص. وخص الأولين أي اعتناهما بالذكر لكونهما أصلاً للطاعات البدنية والمالية ومن اعتنى بهما جرتاه إلى كل طاعة. **قوله:** (الذنب المدنس لعرضكم) إشارة إلى أن الرجس مستعار للذنب وأن وجه الشبه بينهما كون كل واحد منهما سببًا للتدنس، فالرجس يدنس نحو الثوب والبدن والذنب يدنس العرض، وجعل التطهير ترشيحًا للاستعارة من حيث إنه ملائم للمستعار منه. **قوله:** (وهو تعليل لأمرهن ونهيهن) بيان وجه العدول عن خطاب المؤمنات اللاتي هن أزواج النبي ﷺ إلى خطاب المذكور حيث قال: «ليذهب عنكم» و«يطهركم» كأنه قيل: إنما أمرتكن ونهيتكن لأن إرادتي الأزلية قد تعلقت بتطهير أهل بيت رسول الله ﷺ من الذنوب والمعاصي.

قوله: (ولذلك) أي ولكونه تعليلاً على طريق الاستئناف عم الحكم بإذهاب الرجس والتطهير من المعاصي من عدا أزواجه عليه الصلاة والسلام حيث عبّر عن جميع أهل بيته

عمم الحكم. ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ نصب على النداء أو المدح ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ من المعاصي ﴿تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها. وتخصيصُ الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضي الله عنهم، لِما روي أنه عليه الصلاة والسلام خرج ذات غدوة وعليه مِرْط مرحّل من شعر أسود فجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه، ثم جاء علي فأدخله فيه، ثم جاء الحسن والحسين فأدخلهما فيه ثم قال: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت». والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون إجماعهم حجةً ضعيفٌ لأن التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها، والحديث يقتضي أنهم أهل البيت لا أنه ليس غيرهم.

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ من الكتاب الجامع بين الأمرين وهو تذكير بما أنعم عليهن من حيث جعَلهن أهلَ بيت النبوة ومَهبَط الوحي. وما شاهدن من بُرحاء الوحي مما يوجب قوة الإيمان والحرص على الطاعة حَثًّا على الانتهاء والائتمار فيما كُلِّفنَ به. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ يعلم ويدبّر ما يصلح في الدين، ولذلك خيّركن ووَعَظكن. أو يعلم مَن يصلح لنبوته ومَن يصلح أن

عليه الصلاة والسلام من الذكور والإناث بطريق التعبير عن الذكور خاصة على تغليب الذكور على الإناث حيث قيل: عليكم أهل البيت. فإن أهل البيت يتناول أولاده وأزواجه والحسن والحسين منهم وكذا علي رضوان الله عليهم أجمعين لأنه كان من أهل بيته بسبب معاشرته أهل بيت النبي ﷺ وقرابته إياه. وقيل: المراد بأهل البيت ههنا أزواج النبي ﷺ لأنهن في بيته، ولما تقدم وما تأخر من خطابهن وإنما ذكر الخطاب في قوله: «عنكم» و«يطهركم» لأن النبي ﷺ كان فيهن فغلب المذكر. وقال آخرون ومنهم الشيعة: أزواجه عليه الصلاة والسلام ليست من أهل بيته بل المراد بأهل بيته علي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. **قوله:** (**وتخصيص الشيعة**) مبتدأ وقوله: «والاحتجاج» عطف عليه و«ضعيف» خبره. **قوله:** (**والمرط المرحل**) إزار خز فيه علم. **قوله:** (**من الكتاب الجامع بين الأمرين**) يعني أن عطف الحكمة على آيات الله من قبيل عطف الصفات فإن الكتاب كما أنه آيات دالة على صدق مدعي النبوة من حيث إنه معجز بنظمه العجيب الشأن فإنه أيضًا حكمة من حيث كونه مشتملاً على العلوم النظرية وطريق الإصابة في القول والعمل. **قوله:** (**وهو تذكير**) إشارة إلى أن المراد بقوله: «واذكرن ما يتلى» تلاوة القرآن وذكره باللسان. وقيل: المراد ذكره بالقلب بتدبر أسراره ولطائفه واللفظ صالح للكل. وبرحاء الوحي شدة الأذى. **قوله:** (**يعلم ويدبر ما يصلح في الدين**) على أن يكون المقصود تقرير آية التخيير وما بعدها وقوله: «أو يعلم من يصلح لنبوته» على أن يكون تقرير لما ذكر من أول السورة إلى هنا.

يكون أهل بيته. ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله. ﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ المصدقين بما يجب أن يصدّق. ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ المداومين على الطاعة ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ في القول والعمل ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ على الطاعات وعن المعاصي ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم. ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ بما وجب في مالهم ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ الصومَ المفروض ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ عن الحرام ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ بقلوبهم وألسنتهم ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ لما اقترفوا من الصغائر لأنهن مكفرات ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ على طاعتهم. والآية وعدلهن ولأمثالهن على الطاعة والتدرّع بهذه الخصال. روي أن أزواج النبي عليه الصلاة والسلام قلن: يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا خير نذكر به؟ فنزلت. وقيل: لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المسلمين: فما نزل فينا شيء. فنزلت. وعطف الإناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري، وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري، ولذلك ترك في قوله: «مسلمات» «مؤمنات» وفائدته الدلالة على أن إعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات. ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ وما صح له. ﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾ أي قضى رسول الله ﷺ وذكر الله لتعظيم أمره والإشعار بأن قضاءه قضاء الله لأنه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة فأبت هي وأخوها عبد الله. وقيل: في أم كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي ﷺ فزوجها من زيد. ﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ أن يختاروا من أمرهم شيئًا بل يجب عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعًا لاختيار الله ورسوله.

قوله: (المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم) وقيل: المراد به الخشوع في الصلاة ومن الخشوع أن لا يلتفت. **قوله: (والحافظات)** أي والحافظات لها. ترك مفعول الثاني لدلالة الأول عليه وكذا في قوله الذاكرات. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فتوضئا وصليا كتبا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات». وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء جبريل عليه السلام إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقال: يا محمد قل سبحان الله والحمد لله ولا إلـٰه إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد ما علم وزنة ما علم وملء ما علم، فإنه من قالها كتب الله له بها ست خصال كتب من الذاكرين الله كثيرًا. وكان أفضل من ذكره بالليل والنهار وكان له غرسًا في الجنة، وتحاتت عنه خطاياه كما تحات ورق الشجرة اليابسة وينظر الله إليه

....

ومن نظر الله إليه لم يعذبه. **قوله: (روي أن أزواج النبي ﷺ)** هذا على تقدير أن يكون قوله تعالى: ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ الآية متقدمًا في النزول على قوله: ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء﴾ وقوله: «لما نزل فيهن ما نزل» مبني على أن يكون مؤخرًا عنه فيه. **قوله: (وعطف الإناث على الذكور الخ)** يعني أنه تعالى ذكر عشرة أوصاف وجعل كل من اتصف بكل واحد منها زوجين باعتبار الذكورة والأنوثة فصار أصناف من اتصف بها عشرين صنفًا باعتبارهما، وعطف إناث كل صنف ممن اتصف بتلك الخصال العشر على ذكورها كعطف المسلمات على المسلمين والمؤمنات على المؤمنين، وعلى هذا عطف أيضًا كل صنف من الزوجين المتعاطفين على الصنف الآخر منهما كعطف مجموع المؤمنين والمؤمنات على مجموع المسلمين والمسلمات. والفرق بين العطفين المذكورين أن عطف الإناث على الذكور من قبيل عطف الذوات المختلفة بالذكورة والأنوثة بعضها على بعض بعد اشتراكها في الاتصاف بوصف واحد وفي مثل هذا العطف يجب توسيط العاطف، وأما عطف مجموع الزوجين من صنف على المجموع من صنف آخر فهو من قبيل عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان المعنى: أن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات العشر أعد الله لهم ونظيره في دعاء صلاة الجنازة: اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا إلى آخر المزدوجات الأربع، ولا يجب تخلل العاطف بين المختلفين وصفًا كما في قوله تعالى: ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ [التحريم: ٥] لكنه تخلل في هذه الآية للدلالة على أن إعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات كأنه قيل: إن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات العشر أعد الله لهم. **قوله: (بنت عمته)** بدل من بنت جحش وأميمة عطف بيان لعمته فأبت زينب عن قبول كون زيد بن حارثة زوجًا لها لكونها قرشية وبنت عمة رسول الله ﷺ وهو معتق من الموالي، ولعل زيدًا امتنع أيضًا من تزويجها لإبائها منه فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾ الآية والمراد بالمؤمن عبد الله بن جحش. ويكفي في ارتباط الآية بما قبلها أنه تعالى قال أولاً: ﴿وأطعن الله ورسوله﴾ ومدح بعد ذلك المطيعين والمطيعات لله ورسوله فبين في هذه الآية وجوب طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ووعيد من عصى الله ورسوله.

قوله: (وقيل في أم كلثوم) وهي أول من هاجرت من النساء وهبت نفسها للنبي عليه الصلاة والسلام فقال عليه الصلاة والسلام: «قد قبلت» وزوجها زيدًا فسخطت هي وأخوها وقالا: إنّا أردنا رسول الله ﷺ فزوجنا عبده. فعلى هذا القول المراد بقوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾ أم كلثوم وأخوها وعلى الأول زينب وأخوها. **قوله: (إذا قضى الله ورسوله أمرًا)** أي حكمًا أو اتقنا أمرًا من أمور أنفسهم. والخيرة اسم من الاختيار ويدل عليه

والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الأول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث إنهما في سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم. وقرأ الكوفيون وهشام «يكون» بالياء. ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ بين الانحراف عن الصواب.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بتوفيقه للإسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه. ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة. ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ زينب. وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أبصرها بعد ما أنكحها إياه فوقعت في نفسه فقال: «سبحان الله مقلب القلوب» وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن ذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فأتى النبي ﷺ وقال: أريد أن أفارق صاحبتي. فقال: «ما لك أرابك منها شيء»؟ قال: لا والله ما رأيت منها إلا خيرًا ولكنها لشرفها تتعظم عليّ. فقال له: «أمسك عليك زوجك». ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ في أمرها فلا تطلقها ضرارًا وتعللاً بتكبرها. ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ وهو نكاحها إن طلقها أو إرادة طلاقها ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ تعييرهم إياك به ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ إن كان فيه ما يخشى. والواو للحال.

قوله: أن يختاروا من أمرهم شيئًا لأن «أن» مع الفعل في معنى المصدر. وقوله: «والخيرة» ما يتخير يدل على أن الخيرة بمعنى المختار كما في قوله: ﴿محمد خيرة الله﴾ أي مختاره والمقصود بيان أنه قد يكون بمعنى المختار إلا أنه في الآية بمعنى الاختيار وجمع ضمير «لهم» مع كونه راجعًا إلى المؤمن بتنوين الوحدة لأنه لما وقع في سياق النفي صار بمعنى كل مؤمن ومؤمنة في الدنيا، وجمع الثاني أي جمع ضمير «أمرهم» مع كونه راجعًا إلى الله ورسوله لتعظيم المرجع إليه والمعنى: ليس لواحد منهم أن يريد غير ما أراده الله تعالى ورسوله ويمتنع عما أراده الله ورسوله. **قوله:** (وقرأ الكوفيون) أن يكون بالياء من أسفل لكون تأنيث الخيرة غير حقيقي وللفصل أيضًا. والباقون بالتاء من فوق اعتبار اللفظ الخيرة. **قوله:** (وأنعمت عليه بما وفقك الله فيه) من الاعتقاق والتبني والاختصاص فإن ذلك مسند إليه عليه الصلاة والسلام من حيث صدوره منه ومسند إليه تعالى من حيث كون ذلك الصدور بتوفيق الله تعالى إياه لذلك. روي أنه عليه الصلاة والسلام أتى زيدًا لحاجة فأبصر زينب قائمة وكانت بيضاء جميلة جسيمة من أتم نساء قريش فوقع في قلبه منها شيء فقال: «سبحان الله مقلب القلوب» وانصرف فسمعت زينب الخ. **قوله:** (أرابك) يجوز أن تكون الهمزة فيه للاستفهام وأن تكون همزة أفعل كأكرم وأخرج، يقال: رابه الدهر وأرابه أي أقلقه. **قوله:** (والواو للحال) أي الواو في قوله: «وتخفي» للحال وكذا الواو في كل واحد من قوله: ﴿وتخشى الناس﴾ ومن قوله: ﴿والله أحق أن تخشاه﴾ الأول حال من فاعل تقول وقوله: «وتخشى الناس» حال من الضمير في «تخفى» وقوله: «والله أحق» حال من الضمير في

وليست المعاتبة على الإخفاء وحده فإنه وحده حسن، بل على الإخفاء مخافة قاله الناس

«تخشى». وهذه الأحوال متداخلة إلا أن كل واحد من «تخفى» وتخشى» مضارع مثبت والواو في المضارع المثبت إنما تكون للحال بتقدير المبتدأ أي وأنت تخفي وأنت تخشى كما في قولك: قمت واصك وجهك والمعنى على هذا: تقول لزيد: أمسك عليك زوجك مخفيًا في نفسك إرادة أن لا يمسكها وتخفي ذلك خاشيًا قاله الناس وتخشى الناس حقيقًا في ذلك بأن تخشى الله. ويحتمل أن تكون الواوان الأولان للعطف على تقول كأنه قيل: واذكر إذ كتب تجمع بين قولك أمسك عليك زوجك وإخفاء خلافه وخشيت الناس والله أحق أن تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك، وليس المعنى أنه عليه الصلاة والسلام خشي الناس ولم يخش الله تعالى بل المعنى أنه تعالى أحق أن تخشاه وحده ولا تخشى أحدًا معه وأنت تخشاه وتخشى الناس أيضًا فاقصر خشيتك على الله تعالى كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩] قال عمر وابن مسعود وعائشة رضي الله عنهم: ما نزل على رسول الله آية أشد من هذه الآية. وقالت عائشة رضي الله عنها: لو كتم النبي ﷺ شيئًا من الوحي لكتم هذه الآية. أرادت من شدتها عليه. وروي عن علي بن الحسين زين العابدين رضي الله عنهم أجمعين أنه قال في هذه الآية: كان الله تعالى قد أعلم نبيه عليه الصلاة والسلام أن زينب ستكون من أزواجه وأن زيدًا سيطلقها، فلما جاء زيد وقال: إني أريد أن أطلقها قال له: ﴿أمسك عليك زوجك﴾ فعاتبه الله تعالى وقال له: لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك. وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء. ولعل الحكمة في ذلك أنه كان من حكم العرب أن من تبنى ولدًا كان كولده من صلبه في التوريث وحرمة نكاح امرأته على الأب المتبني، فأراد الله تعالى أن يبطل حكمهم بقول النبي عليه الصلاة والسلام وفعله ليكون أنجع في قلوبهم وأقطع لعادتهم، وأخبر الله رسوله أن زينب ستكون من أزواجك فزوجها لزيد أنهما يتفرقان بعد مدة فزوجها أنت لنفسك ليتقرر عندهم بطلان حكم العرب، وكان عليه الصلاة والسلام يخفيه في نفسه إلى أن يظهره الله تعالى في وقته. ولما وقع هذا النكاح ومضت مدة ووقعت بينهما خشونة فجاء زيد يشكوها إلى النبي عليه الصلاة والسلام ويذكر رفعتها عليه وسوء خلقها معه فقال له: ﴿أمسك عليك زوجك﴾ أي جاملها وبالخلق الحسن عاملها ولا تطلقها ﴿واتق الله﴾ يا زيد في رعاية حقوق النكاح عاتبه الله على ذلك بقوله: ﴿وتخفي في نفسك﴾ يا محمد ﴿ما الله مبديه﴾ أي مظهره وهو ما أعلمك الله من أنك تتزوجها إذا طلقها زيد برضاها واختياره وانقضت عدتها ﴿وتخشى الناس﴾ أي تكره مقالة الناس أنه تزوج امرأة ابنه ﴿والله أحق أن تخشاه﴾ فتفعل ما أباحه لك وأذن لك فيه. **قوله**: (فإنه وحده حسن) أي إخفاء الميل إلى

وإظهار ما ينافي إضماره، فإن الأولى في أمثال ذلك أن يصمت أو يفوض الأمر إلى ربه. ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ حاجة بحيث ملّها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها. ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ وقيل: قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل: لا حاجة لي فيك. وقرىء «زوجتكها». والمعنى: إنه أمر بتزوجها منه أو جعلها زوجته بلا واسطة عقد، ويؤيده أنها كانت تقول لسائر نساء النبي ﷺ: إن الله تولى إنكاحي وأنتن زوجكن أولياؤكن. وقيل: كان السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بيّن على قوة إيمانه. ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ علة للتزويج، وهو دليل على أن حكمه وحكم الأمة واحد إلا ما خصه الدليل. ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أمره الذي يريده. ﴿مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ مكونًا لا محالة كما كان تزويج زينب.

نكاحها إن طلقها زوجها، وإخفاء إرادة طلاقها حسن لظهور قبح أن يقول له: طلقها فإني أريد نكاحها، فإن الأولى له أن يصمت عند ذلك أو يقول له: أنت أعلم بشأنك حتى لا يخالف ظاهره باطنه فإن اللائق للأنبياء موافقة الظاهر الباطن.

قوله: (بحيث ملّها) الملال السآمة وانقطاع الرغبة وقوله: «ولم يبق له فيها حاجة» عطف تفسير لملاله منها. عن الزجاج قال: معنى قضاء الوطر في اللغة بلوغ منتهى ما في النفس من الشيء يقال: قضى وطرًا منها إذا بلغ ما أراد من حاجته فيها من الوقائع. واعتبر في قضاء وطره منها تطليقه إياها وانقضاء عدتها لأن الزوجة ما دامت في نكاح الزوج لا يكون الزوج قاضيًا الوطر بالكلية لبقاء التمكن من استيفاء حاجته منها، وكذا إذا كانت في العدة يكون له بها تعلق لكونه في صدد تعوق براءة رحمها من الشغل فلا يكون قاضيًا وطره منها بعد، فإذا طلقت وانقضت عدتها استغنى عنها ولم يبق له تعلق بها فحينئذٍ قد قضى منها الوطر. **قوله: (أو جعلها زوجته بلا واسطة عقد)** روي أنه عليه الصلاة والسلام أرسل رسولاً يخطبها لنفسه فقالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أوامر ربي. فقامت إلى مسجدها فنزل القرآن ودخل عليها رسول الله ﷺ من غير إذن. وقال الشعبي: كانت زينب تقول للنبي ﷺ: إني لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن: جدي وجدك واحد، وإني أنكحنيك الله في السماء، وأن السفير لجبريل. **قوله: (وقيل كان السفير في خطبتها)** بكسر الخاء والمنوي في «كان» ضمير زيد. ذكر في الكشاف أنها لما اعتدت قال رسول الله ﷺ: «ما أجد أحدًا أوثق في نفسي منك أخطب لي زينب». قال زيد: فانطلقت فإذا هي تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها حين علمت أن رسول الله ﷺ ذكرها، فحوّلت لها ظهري وقلت: يا زينب أبشري أن رسول الله ﷺ يخطبك. ففرحت وقالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أوآمر ربي، فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن ﴿زوجناكها﴾ وجاء رسول

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان، ومنه فروض العسكر لأرزاقهم. ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ سن ذلك سنة ﴿فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾ من الأنبياء وهو نفي الحرج عنهم فيما أباح لهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ قضاء مقضيًا وحكمًا مبتوتًا.

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ صفة للذين خلوا، أو مدح لهم منصوب أو مرفوع. وقرىء «رسالة الله» ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ تعريض بعد تصريح. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ كافيًا للمخاوف أو محاسبًا فينبغي أن لا يخشى إلا منه. ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها، ولا ينتقض عمومه بكونه أبًا للطاهر والطيب والقاسم وإبراهيم لأنهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم. ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ وكل رسول أبو أمته لا مطلقًا، بل من حيث إنه شفيق ناصح لهم واجب التوقير

الله ﷺ حتى دخل عليها بغير إذن. ولما بيّن الله تعالى أن الأمر الذي أراده لتزويج زينب من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كائن لا محالة بيّن أنه لا حرج عليه في هذا الإنكاح فقال: ﴿ما كان على النبي من حرج﴾ أي من إثم وضيق. **قوله:** (سنة الله) مصدر مؤكد لفعله المحذوف أي سن الله ذلك سنة كصنع الله ووعد الله، بيّن به أن انتفاء الحرج عن هذا النبي فيما فرض الله له سنة قديمة له تعالى في حق جميع من مضى من الذين يبلغون رسالات الله، وقرر هذا الحكم بأنه أمر أراده الله وكان أمر الله قضاه مقضيًا يقع لا محالة، كما قرر تزويج زوجة دعيه عليه الصلاة والسلام إياه بقوله: ﴿وكان أمر الله مفعولاً﴾ وقوله: ﴿الذين يبلغون﴾ يحتمل أن يكون مجرور المحل على أنه صفة قوله: ﴿الذين خلوا﴾ وأن يكون في محل الرفع بتقدير المبتدأ أو في محل النصب بتقدير أعني أو أمدح.

قوله: (تعريض بعد تصريح) فإنه تعالى صرح بقوله: ﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ أي أنه عليه الصلاة والسلام يخشى الله تعالى ويخشى الناس أيضًا ثم قال: ﴿والله أحق أن تخشاه﴾ وحده ولا تخشى أحدًا معه. وتوصيف الرسل المتقدمة بأنهم يخشون الله ولا يخشون أحدًا إلا الله تعريض له عليه الصلاة والسلام بأنه يخشى الناس أيضًا. **قوله:** (كافيًا للمخاوف أو محاسبًا) الأول على أن يكون حسيبًا من قولك: حسبك درهم أي كفاك حتى صيرك قائلا حسبي، والثاني على أن يكون من قولك: حسبته أحسبه بالضم حسبًا وحسابًا إذا عددته أي وكفى بالله حافظًا لأعمال خلقه مجازيًا بها فهو الأحق أن يخشى دون خلقه. ثم إنه عليه الصلاة والسلام لما تزوج زينب قال الناس: إن محمدًا تزوج امرأة ابنه، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ يعني أنه ليس بأب لزيد فتحرم

والطاعة عليهم، وزيد منهم وليس بينه وبينه ولادة. وقرىء «رسول الله» بالرفع على أنه خبر محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر أي ولكن رسول الله من عرفتم أنه لم يعش له ولد ذكر. ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وآخرهم الذي ختمهم أو ختموا به على قراءة عاصم بالفتح، ولو كان له ابن بالغ لاق منصبه أن يكون نبيًا كما قال عليه الصلاة

عليه امرأته، وعبّر عن هذا النفي بما دل عليه كتابه حيث قيل: ﴿من رجالكم﴾ **للمبالغة فيه وهو عليه الصلاة والسلام وإن كان أبًا للحسن والحسين رضي الله عنهما إلا أنهما لم يبلغا مبلغ الرجال حينئذٍ كما لم يبلغه أبناؤه الصلبية ولئن بلغاه لكانا من رجاله عليه الصلاة والسلام لا من رجالهم، وأيضًا المنفي كونه عليه الصلاة والسلام أبًا صلبيًا للرجال وليس أبا صلبيًا لولدي ولده. ولعل وجه الاستدراك في قوله تعالى:** ﴿ولكن رسول الله﴾ **أنه تعالى لما نفى كونه عليه الصلاة والسلام أبًا لهم على الحقيقة كان ذلك مظنة أن يتوهم أن ليس بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم ما يوجب تعظيمهم إياه وانقيادهم وعدم اعتراضهم عليه في شيء مما فعله، فدفعه ببيان أن حقه آكد من حق الأب الحقيقي وكان قوله:** ﴿من رجالكم﴾ **مظنة أن يتوهم كونه عليه السلام أبًا أحد من رجال نفسه الذين ولدوا منه فدفعه بعطف قوله:** ﴿وخاتم النبيين﴾ **على قوله:** ﴿رسول الله﴾ **فإنه يدل على أنه عليه الصلاة والسلام لا يكون أبًا لواحد من رجال نفسه أيضًا، لأنه لو بقي له ابن بالغ بعده لكان اللائق به أن يكون نبيًا بعده فلا يكون هو عليه الصلاة والسلام** خاتم النبيين. **روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يريد لو لم يختم به النبيون لجعلت له ولدًا يكون نبيًا بعده على ما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل قصر أحسن بنيانه وترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة لا يعيبون منه سوى خلو موضعها، فكنت أنا موضع تلك اللبنة ختم بي البنيان وختم بي الرسل».**

قوله: (وآخرهم الذي ختمهم) على أن خاتم بكسر التاء وهي قراءة من عدا عاصمًا من القراء. **وقرأ عاصم بفتح التاء وهو اسم لما به يختم ويطبع ويقال له الطابع أيضًا. وفي** الصحاح: **الطبع الختم وهو التأثير في الطين ونحوه، والطابع بالفتح الخاتم والطابع بالكسر لغة فيه. فمن قرأ و«خاتم» بكسر التاء أراد أنه عليه الصلاة والسلام فاعل الختم حيث ختم النبيين، ومن قرأ بفتحها أراد أنه عليه الصلاة والسلام آخر النبيين لا نبي بعده حيث ختموا به وتم به بنيان النبوة واعتبر به كما يعتبر الكتاب بالخاتم، ولما كان عليه الصلاة والسلام آخر النبيين صار بمنزلة الخاتم بالنسبة إليهم حيث ختموا به فسمي** خاتم النبيين. **قوله: (وقرىء رسول الله بالرفع) والعامة على تخفيف «لكن» ونصب «رسول» ونصبه إما على إضمار «كان» لدلالة كان السابقة عليها أي ولكن كان، وإما بالعطف على «أبا أحد» والأول أولى لأن**

والسلام في إبراهيم حين توفي: «لو عاش لكان نبيًا» ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لأنه إذا نزل كان على دينه مع أن المراد أنه آخر من نبيء. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ فيعلم من يليق بأن يختم به النبوة وكيف ينبغي شأنه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱذْكُرُوا ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ يغلب الأوقات ويعم أنواع ما هو عليه من التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد. ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ أول النهار وآخره خصوصًا، وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الأوقات لكونهما مشهودين كإفراد التسبيح من جملة الأذكار لأنه العمدة فيها. وقيل: الفعلان موجهان إليهما. وقيل: المراد بالتسبيح الصلاة. ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾ بالرحمة

«لكن» ههنا ليست بعاطفة لأجل الواو فالأليق بها أن تكون هي التي تدخل على الجمل كـ «بل» التي ليست بعاطفة. وقرىء «الكن» بتشديد النون على أن «رسول الله» اسمها وخبرها محذوف. قوله: (يغلب الأوقات) كما قال مجاهد رضي الله عنه: الذكر الكثير هو أن لا تنساه أبدًا. وقال مقاتل: هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير على كل حال بأن يقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإن هذه الكلمات يتكلم بهن صاحب الجنابة والغائط والحدث والحيض والنفاس. قوله: (وتخصيصهما بالذكر) مع أن المقصود الأمر بتسبيحه على الدوام بقرينة قوله: ﴿وسبحوه﴾ بعد قوله: ﴿اذكروا الله ذكرًا كثيرًا﴾ من قبيل التخصيص بعد التعميم إظهارًا لشرف الخاص وإيماء بأنه لغاية فضله وزيادة شرفه لم يتناوله العام المذكور قبله، فاحتيج إلى ذكره على حدة وهي النكتة في كل ما هو من هذا القبيل. ولما كان المراد بالذكر الكثير الذكر على الدوام من غير تخصيصه بوقت دون وقت كان المراد بالتسبيح المندرج تحته التسبيح في كافة الأوقات أيضًا إلا أنه خص طرفي النهار بالذكر للدلالة على فضلهما وتمحيصًا لما جرى بينهما يقال: محصت الذهب بالنار إذا أخلصته مما يشوبه. قوله: (وقيل الفعلان) أعني اذكروه وسبحوه، وهو عطف على ما قبله من حيث المعنى فإنه فسر الفعل الأول بما معناه اذكروه في عموم الأوقات والأحوال بما يعم أنواع ما هو أهله، ثم جعل قوله: ﴿بكرة وأصيلاً﴾ ظرفًا لقوله: ﴿سبحوه﴾ فقط. قال الزمخشري: إنه من قبيل ضم ووصل يوم الجمعة. ولم يرض به لأن حمل الذكر على ما يعم أنواعه وحمل كثرته على وقوعه في كافة الأوقات والأحوال. ثم ذكر التسبيح وطرفي النهار بخصوصهما إظهار لمزيد فائدة بليغة لا توجد فيما قاله الزمخشري. قوله: (وقيل المراد بالتسبيح الصلاة) فالمعنى: صل لله بالغداة والعشي. قال الكلبي: أما بكرة فصلاة الفجر وأما أصيلاً فصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هود: ١١٤] وكقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ [الروم: ١٧]

﴿وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم، والمراد بالصلاة المشترك وهو العناية بصلاح أمركم وظهور شرفكم مستعار من الصلا. وقيل: الترحم والانعطاف المعنوي مأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو سبب للرحمة من حيث إنهم مجابو الدعوة. ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ من ظلمات الكفر والمعصية إلى نور الإيمان والطاعة. ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ حتى اعتنى بصلاح أمرهم وإنافة قدرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين.

الآيتين. **قوله**: (مستعار من الصلا) **لما فسر الصلاة المسندة إليه تعالى بالرحمة وإلى الملائكة بالاستغفار وورد عليه أن يقال: كيف يصح إرادة معنيين مختلفين بلفظ واحد؟ أشار إلى جوابه بأن الصلاة المدلول عليها بقوله تعالى: ﴿يصلي﴾ عبارة عن معنى مجازي هو القدر المشترك بين المعنيين المذكورين وهو العناية بصلاح أمر اللسان وظهور شرفه، وهذا المعنى المشترك يصح أن يسند إليه تعالى وإلى الملائكة إلا أن العناية المسندة إليه تعالى هي الرحمة وأما ما أسند إلى الملائكة هو الاستغفار فليس هنا إرادة معنيين مختلفين بلفظ واحد.** ووجه كون هذا القدر المشترك معنى مجازيًا للصلاة أن الصلاة اسم موضوع موضع المصدر وهو التصلية فإن القياس أن يقال: صلى تصلية ولا يقال كذا بل صلى صلاة، وتصلية العصا مثلاً عبارة عن إصلاحها وتقويمها يقال: صليت العصا بالنار إذا لينتها بها وقومتها فشبهت العناية بصلاح أمر الإنسان وظهور شرفه بتصلية العصا فسميت باسم المشبه به على سبيل الاستعارة.

قوله: (وقيل الترحم) معطوف على قوله و «هو العناية» أي وقيل: الأمر المشترك بين رحمة الله تعالى واستغفار الملائكة هو الترحم والانعطاف المعنوي. أطلق لفظ الصلاة على هذا المعنى المشترك بينهما تشبيهًا له بالصلاة التي هي الانعطاف الصوري بالركوع والسجود، ولفظ الصلاة مجاز في الانعطاف الصوري أيضًا لكونه مأخوذًا من الصلا وهو العظم الذي عليه الإليتان يقال: صلى صلاة أي حرك صلويه، ثم نقل لفظ الصلاة إلى الأذكار المعهودة والأركان المخصوصة لأن المصلي ينعطف ويتحرك في ركوعه وسجوده ويحرك صلويه فيهما فلما كان لفظ الصلاة مجازًا مرسلاً في الأذكار المعهودة كان مجازًا في الانعطاف المعنوي في المرتبة الثانية، والانعطاف قدر مشترك بين الرحمة والاستغفار يطلق على كل واحد منهما على سبيل الحقيقة وهو قوله: «واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم» ثم أشار بقوله: «سيما وهو سبب الرحمة» إلى جواز أن يكون الترحم والانعطاف المعنوي حقيقة في الرحمة مجازًا في الاستغفار. سمي استغفار الملائكة ترحمًا لكونه سببًا للرحمة من حيث

﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول أي يحيون ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ يوم لقائه عند الموت أو الخروج من القبر أو دخول الجنة. ﴿سَلَامٌ﴾ إخبار بالسلامة من كل مكروه وآفة. ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ هي الجنة. ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو أهم. ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ على من بعثت إليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة. ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ إلى الإقرار به وبتوحيده وما يجب الإيمان به من صفاته. ﴿بِإِذْنِهِ﴾

إنهم مجابو الدعوة فيكون لفظ الصلاة مجازًا في الترحم بالمعنى الأعم المتناول لرحمة الله تعالى حقيقة ولدعاء المؤمنين بالرحمة في حقهم، فإن الملائكة لما قالوا: اللهم صل على المؤمنين جعلوا كأنهم فاعلو الرحمة في حقهم لكونهم مستجابي الدعوة، فليس لفظ الصلاة مستعملاً فيما هو رحمة الله تعالى حقيقة وفيما هو رحمة مجازًا وهو استغفار الملائكة ودعاؤهم، بل هو مستعمل في الترحم المتناول لهما على طريق عموم المجاز. فلفظ الصلاة ليس فيه جمع بين الحقيقة والمجاز بل هو مستعمل في الترحم الذي هو معنى مجازي له وذلك الترحم متناول لما هو رحمة الله تعالى حقيقة ولما هو رحمة مجازًا على طريق عموم المجاز. **قوله:** (**يحيون**) يجوز أن يعظمهم الله تعالى بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر أنواع التعظيم، فقد ورد في الخبر أن الله تعالى يقول: السلام عليكم مرحبًا بعبادي المؤمنين الذين أرضوني في دار الدنيا باتباع أمري. وروي أيضًا أن الله تعالى يقول: سلام عليكم عبادي أنا عنكم راض فهل أنتم عني راضون؟ فيقولون بأجمعهم: يا ربنا كل الرضى كل الرضى. وقيل: تحييهم الملائكة على أبواب الجنة بالسلام إذا دخلوها من كل باب. وقيل: يحييهم بذلك ملك الموت عند قبض أرواحهم لا يقبض روح مؤمن إلا سلم عليه. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا جاء ملك الموت لقبض أرواح المؤمنين قال: ربك يقرئك السلام. وقيل: تسلم عليهم الملائكة حين يخرجون من قبورهم تبشرهم بالجنة. ويجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى فاعله على معنى يحيي بعضهم بعضًا في الجنة ويقول: أمن لنا ولكم من كل مكروه. **قوله:** (**يوم لقائه عند الموت أو الخروج من القبر أو دخول الجنة**) جعل لقاء أحد هذه الثلاثة لقاء الله تعالى، لأن الإنسان في حال حياته غير مقبل بكليته على الله تعالى وكيف وهو حال نومه غافل عنه؟ وفي أكثر أوقات يقظته مشغول عنه بتحصيل أمور دنياه بخلاف هذه الأحوال فإنه لا شغل لأحد فيها يلهيه عن ذكر الله تعالى فهي في حكم لقاء الله تعالى حقيقة. **قوله:** (**ولعل اختلاف النظم**) حيث عطف الجملة الفعلية على الاسمية فإن التعبير عن مضمون الجملة الفعلية التي يكون فيها ماضيًا مثبتًا أبلغ في بيان ثبوتها من الاسمية الدالة على مجرد الثبوت. ثم إنه تعالى لما بيّن أنه أخرج المؤمنين من ظلمات الكفر

بتيسيره وأطلق له من حيث إنه من أسبابه وقيد به الدعوة إيذانًا بأنه أمر صعب لا يتأتى إلا بمعونة من جانب قدسه. ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ يستضاء به في ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره أنوار البصائر. ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ على سائر الأمم أو على أجر أعمالهم، ولعله معطوف على محذوف مثل: فراقب أحوال أمتك. ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم. ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ إيذاءهم إياك ولا تحتفل به، أو إيذاءك إياهم مجازاة أو مؤاخذة على كفرهم ولهذا قيل: إنه منسوخ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فإنه يكفيكهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ موكولاً إليه الأمر في الأحوال كلها. ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلاً منها بخطاب يناسبه: فحذف مقابل الشاهد وهو الأمر بالمراقبة لأن ما بعده كالتفصيل له، وقابل المبشر بالأمر ببشارة المؤمنين، والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار، والمبالاة بأذاهم، والداعي إلى الله بتيسيره بالأمر بالتوكل عليه، والسراج المنير بالاكتفاء به فإن من أناره الله تعالى برهانًا على جميع خلقه كان حقيقًا بأن يكتفي به عن غيره.

والمعصية إلى أنوار الإيمان والطاعة برحمته وبسبب دعاء الملائكة واستغفارهم وقرر ذلك بقوله: ﴿وكان بالمؤمنين رحيمًا﴾ أشار إلى أن معظم رحمته في حقهم إرسال رسول الله ﷺ إليهم فقال: ﴿إنا أرسلناك شاهدًا﴾ على أمتك وعلى جميع الأمم بتبليغ الرسالة والتصديق منهم والتكذيب مقبولاً قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل ﴿ومبشرًا﴾ بالجنة لمن صدقك ﴿ونذيرًا﴾ أي منذرًا لمن كذبك بالنار. **قوله**: (وأطلق له) أي أطلق لفظ الإذن وأريد التيسير والتسهيل بطريق إطلاق اسم السبب على المسبب، فإن الدخول في حق الغير متعذر فإذا صودف الإذن تسهل وتيسر. فلما كان الإذن سببًا لتيسر ما تعذر صح أن يراد به التيسير مجازًا وإنما صرف عن ظاهره وحمل على المجاز لأنه قد فهم من قوله: ﴿إنا أرسلناك﴾ أنه عليه أفضل الصلاة والسلام مأذون له في الدعاء إلى الله وتوحيده وطاعته فلو لم يحمل على المجاز لما بقي له فائدة. **قوله**: (وقيد به الدعوة) فإن قوله: «بإذنه» حال من المنوي في «داعيًا» أي ملتبسًا بإذنه أو صفة مقيدة له وقوله تعالى: ﴿وسراجًا منيرًا﴾ من قبيل التشبيه البليغ وقول المصنف: «يستضاء به ويقتبس من نوره» بيان لوجه الشبه. **قوله**: (أو على أجر أعمالهم) على أن المراد بالفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب الموعود لهم بمقابلة أعمالهم. **قوله**: (ولعله معطوف على محذوف) حذف اعتمادًا على دلالة المقام لأنه تعالى وصفه بخمس صفات وكلفه بمقابلة كل واحدة منها بتكليف على حدة، ولما لم يذكر ما يقابل قوله: «شاهدًا» مع أنه قد ذكر ما يقابل سائر الصفات علم أنه ملحوظ في

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ تجامعوهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾ أيام يتربصن فيها بأنفسهن ﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾ تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك: كلته فاكتاله، أو تعدونها والإسناد إلى الرجال للدلالة على أن العدة حق الأزواج كما أشعر به فما لكم. وعن ابن كثير «تعتدونها» مخففًا على إبدال إحدى الدالين بالتاء، أو على أنه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة. وتخصيص

الكلام وإن لم يذكر لنكتة، فصح العطف عليه وأن العطف من جملة ما يدل على كونه ملحوظًا معتبرًا في الكلام. فكأنه قيل: أرسلناك شاهدًا ومبشرًا فراقب وبشر الخ. عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمر وقلت له: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة؟ قال: والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحذرًا للمؤمنين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة بل يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ويفتح به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا. ثم إنه تعالى لما ذكر في إرشاد رسوله عليه الصلاة والسلام وتأديبه ما يتعلق بجانبه تعالى فقال: ﴿يا أيها النبي اتق الله﴾ ثم ذكر ما يتعلق بجانب من تحت يده من أزواجه بقوله: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ ذكر في إرشاد المؤمنين ما يتعلق بجانبه تعالى فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا﴾ ثم ذكر ما يتعلق بجانب من تحت أيديهم فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات﴾. **قوله**: (تجامعوهن) والخلوة الصحيحة بها تقوم مقام المساس عند الحنفية وهي أن يخلو بها من غير أن يكون في أحد الزوجين مانع شرعي كالإحرام والصوم الفرض والحيض، أو مانع حسي كالمرض، أو مانع عقلي بأن يكون هناك شخص يمتحي منه الزوج. فلو خلا بها على هذا الوجه ثم طلقها قبل الدخول بها يجب على الزوج المهر كاملاً وعليها العدة احتياطًا، وأما إذا خلا بها مع أحد الموانع المذكورة ثم طلقها قبل الدخول فعليه نصف المهر وعليها العدة احتياطًا.

قوله: (من عددت الدراهم فاعتدها) أي استوفى عدتها فقوله: ﴿تعتدونها﴾ تفتعلونها من العدد على أن بناء افتعل للاتخاذ بنفسه والمعنى: فما لكم عليهن من أيام يتربصن فيها بأنفسهن تستوفون أنتم عددها بالأقراء أو الأشهر فقوله: «تعتدونها» صفة «العدة». **قوله**: (أو تعدونها) على أن يكون افتعل بمعنى فعل كما يقال: صبر واصطبر وكذا عد واعتد. **قوله**: (على إبدال إحدى الدالين بالتاء) كراهة اجتماع حرفي التضعيف كما في: تقضي البازي، فتكون القراءتان بمعنى واحد لكونهما من الاعتداد وإن كان من الاعتداء بمعنى الظلم يكون

المؤمنات دون الكتابيات، والحكم عام للتنبيه على أن من شأن المؤمن أن لا ينكح إلا مؤمنة تخيرًا لنطفه وفائدة، ثم إزاحة ما عسى يتوهم أن تراخي الطلاق ريثما يمكن الإصابة كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أي إن لم تكن مفروضًا لها فإن الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة وهي سنة. ويجوز أن يؤوّل التمتيع

التقدير: فما لكم عليهن من عدة تعتدون فيها، فإن الزوج المطلق إن ألزمها العدة ومنعها من أن تنكح زوجًا آخر فقد ظلمها بغير حق، فضمير «تعتدونها» للعدة أجري اللفظ مجرى المفعول به حيث لم يقدر كلمة في اتساعًا كما في قولك: الذي سرته أي سرت فيه يوم الجمعة وفي قوله: ويوم شهدناه سليمًا وعامرًا. **قوله:** (والحكم عام) فإن من نكح كتابية ثم طلقها قبل المسيس فليس له عليها من عدة كما في المؤمنة فلا وجه بحسب الظاهر لتخصيص المؤمنات بالذكر، وحاصل الجواب أن مفهوم المخالفة إنما يثبت أن لو لم يكن للتخصيص فائدة سواه وهنا له فائدة سواه وهي التنبيه على ما ذكر. **قوله:** (تخيرًا لنطفه) أي اختيارًا واصطفاء لها. **قوله:** (وفائدة ثم الخ) جواب عما يقال: ما الفائدة في الإتيان بكلمة «ثم» مع أن حكم من طلقت على الفور بعد العقد كذلك. **قوله:** (أي إن لم تكن مفروضًا لها) يعني أن الأمر للوجوب ولا تجب المتعة إلا لمن لم يسم لها مهر. وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هذا إذا لم يكن سمي لها صداق فإنه تجب لها المتعة إن طلقت قبل المسيس، وإن كان قد فرض لها صداق فلها نصف الصداق ولا متعة لها. **قوله:** (ويجوز أن يؤول) بأن لا يكون الأمر بالتمتيع مشروطًا بأن لا تكون مفروضًا لها بل يكون في حق من طلقت قبل الدخول مطلقًا سواء سمي لها أو لم يسم بأن يؤول قوله فمتعوهن بإعطاء ما يستمتعن به وهو يتناول المتعة المتعارفة ونصف المفروض، أو بأن يحمل الأمر على ما يعم الإيجاب والندب فإن من سمي لها مهر حين العقد إن طلقت قبل وطء يستحب تمتيعها بشيء زائد على نصف المسمى. والمذكور في كتب الحنفية أن المطلقات أربع: مطلقة لم توطأ ولم يسم لها مهر فتجب لها المتعة وهي درع وخمار وملحفة، ومطلقة لم توطأ وقد سمي لها فهي التي لم تستحب لها المتعة بل يجب لها نصف المسمى، ومطلقة قد وطئت ولم يسم لها مهر، ومطلقة قد وطئت وسمي لها مهر فهاتان يستحب لهما المتعة. فالحاصل أنه إذا وطئها يستحب لها المتعة سواء سمي لها مهر أو لم يسم لأنه أوحشها بالطلاق بعدما سلمت إليه المعقود عليه وهو البضع فيستحب أن يعطيها شيئًا زائدًا على الواجب وهو المسمى في صورة التسمية ومهر المثل في صورة عدم التسمية، وإن لم يطأها ففي صورة التسمية تأخذ نصف المسمى من غير تسليم البضع فلا يستحب لها شيء آخر وفي صورة عدم التسمية تجب المتعة لأنها لم تأخذ شيئًا.

بما يعمهما أو الأمر بالمشترك. بين الوجوب والندب فإن المتعة سنة للمفروض لها. ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ﴾ أخرجوهن من منازلكم إذ ليس لكم عليهن عدة ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ من غير ضرار ولا منع حق. ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لأنه مرتب على الطلاق، والضمير لغير المدخول بهن.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن لأن المهر أجر على البضع وتقييد الإحلال له بإعطائهن معجّلةً لا لتوقف الحل عليه بل لإيثار الأفضل له كتقييد إحلال المملوكة بكونها مسبيّةً بقوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ فإن المشتراة لا يتحقق بدءُ أمرِها وما جرى عليها، وتقييد القرائب بكونها

قوله: (ولا يجوز تفسيره) أي تفسير السراح الجميل بالطلاق السني وهو أن يطلق غير الموطوءة طلقة واحدة ولو في زمان حيض، وأن يفرق طلقات الموطوءة في ثلاثة أطهار لا وطء فيها إن كانت ممن تحيض، أو في ثلاثة أشهر إن كانت آيسة أو صغيرة أو حاملاً فإن الأشهر في حقهن قائمة مقام الحيض. **قوله:** (لأنه مرتب على الطلاق) من حيث كونه معطوفًا على ما هو مرتب على الطلاق وهو قوله: «فمتعوهن» وغير المدخول بها بعدما طلقت لا تكون محلاً للطلاق لزوال علقة النكاح بالكلية بطلاقها قبل الدخول فامتنع تفسيره بالطلاق. ثم إنه تعالى قال على سبيل الامتنان لنبيه ﷺ ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك﴾ أي نساءك اللاتي أعطيت مهورهن. والمراد بالإيتاء وهو الإعطاء حقيقة الأداء وقد يطلق على مجرد القول والالتزام كما في قوله تعالى: ﴿حتى يعطوا الجزية﴾ أي يلتزموها وغيره عليه الصلاة والسلام ممن له أكثر من أربع نسوة أمره أن يترك ما زاد على الأربع وقد أحل الله تعالى للنبي ﷺ إمساك التسع ولم يأمره بالفرقة عما زاد على الأربع. وأيضًا قد اختار له عليه الصلاة والسلام ما هو الأفضل والأولى من المحللات كما اختار للمؤمنين نكاح المؤمنات لكونه الأولى لهم، ألا ترى أنه تعالى وصف الأزواج المحللة له عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿اللاتي آتيت أجورهن﴾ وبكونهن مهاجرات معه وبكونهن من أقاربه من جهة أبيه أو أمه ووصف المملوكات منهن بقوله: ﴿مما أفاء الله عليك﴾ فإن تسمية المهر وأداءه أفضل من تركها. وكذا الجارية إذا كانت مسبية مالكها وخطبة سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب تكون أحل وأطيب ممن تشتري من أهل الجلب، لأنها لو لم تكن مما غنمه الله من دار الحرب احتمل أن تكون من سبي خبثه بأن سبيت من أهل العهد والذمة، وكذا المهاجرة أفضل من غيرها لأن الهجرة حينئذ كانت من فروض الأعيان، وكذا قرائب النبي عليه الصلاة والسلام من جهة أبيه أو أمه أقرب منه في الكفاءة من غيرها. فتوصيف المحللات بهذه الصفات ليس لبيان انحصارها فيما وجد فيه إحدى الصفات بل للامتنان بأن

مهاجرات معه في قوله: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة، ويعضده قول أم هانىء بنت أبي طالب: خَطَبني رسول الله ﷺ فاعتذرتُ إليه فعَذَرني، ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحَل له لأني لم أُهاجر معه وكنتُ من الطُلقاء. ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ نصب بفعل يفسره ما قبله أو عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد «بإن» التي للاستقبال فإن المعنى بالإحلال الإعلام بالحل أي أعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرًا إنِ اتُّفق ولذلك نكّرها. (واختلف في اتفاق ذلك، والقائل به ذكر أربعًا: ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الأنصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم. وقرىء «أن» بالفتح أي لأن وهبت أو مدة إن وهبت كقولك: أجلس هاد أم

المسوق إليه عليه الصلاة والسلام منها إنما هو أولاها وأفضلها. **قوله: (فاعتذرت إليه)** قيل: اعتذرت إليه عليه الصلاة والسلام بأن قالت: إني مصبية أي ذات صبية. والطلقاء جمع طليق وهو فعيل بمعنى مفعول وهو الأسير إذا أطلق عنه أساره أي قيده وخلى سبيله. ولما فتح عليه الصلاة والسلام مكة عنوة صار أهلها غنيمة وملكًا فأعتقهم رسول الله ﷺ فسموا طلقاء. **قوله: (نصب بفعل يفسره ما قبله)** أي ويحل لك امرأة مؤمنة أو عطف على مفعول «أحللنا» أي وأحللنا لك امرأة موصوفة بهذين الشرطين. قال أبو البقاء: وقد أورد هنا قوم وقالوا: «أحللنا» ماض و «إن وهبت» وهو صفة المرأة مستقبل فأحللنا في موضع جوابه وجواب الشرط يكون ماضيًا في المعنى. ثم قال: وهذا ليس بصحيح لأن معنى الإحلال ههنا الإعلام بالحل إذا وقع الفعل على ذلك كما تقول: أبحت لك أن تكلم فلانًا إن سلم عليك. انتهى. يعني ليس المعنى: إن وهبت لك نفسها في المستقبل أحللناك إياها فيما مضى بل المعنى: إن وهبت فاعلم أنّا أحللناها لك. **قوله: (ولذلك نكرها)** أي ولأجل أن الإحلال كان على تقدير أن تتفق الهبة نكر امرأة، إذ لو كانت الواهبة متحققة لكانت متعينة فكان المناسب التعريف. **قوله: (واختلف في اتفاق ذلك)** أي اختلف في أنه عليه الصلاة والسلام هل كانت عنده امرأة من التي وهبت نفسها له؟ فقال عبد الله بن مسعود ومجاهد: لم يكن عنده عليه الصلاة والسلام امرأة وهبت نفسها له ولم يكن عنده امرأة إلا بعقد نكاح أو ملك يمين، وقوله تعالى: ﴿إن وهبت نفسها﴾ على طريق الشرط والجزاء. وقال آخرون: بل كانت عنده موهوبة فقيل: هي زينب بنت خزيمة الأنصارية وقيل: هي ميمونة بنت الحارث وقيل: هي أم شريك بنت جابر من بني أسد وقيل: هي خولة بنت حكيم من بني سليم. **قوله: (أو مدة إن وهبت)** على أن تكون «أن» مع الفعل في حكم المصدر الذي حذف معه الزمان المضاف كما في قولك: ترتحل صياح الديك ونظيره في كون المصدر المؤول محذوفًا معه المصدر

زيد جالسًا. ﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ شرط للشرط الأول في استيجاب الحل فإن هبتها نفسها منه لا توجب له حلها إلا بإرادته نكاحها، فإنها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب إلى الغيبة بلفظ النبي مكررًا ثم الرجوع إليه في قوله: ﴿خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾ إيذان بأنه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لأجله، واحتج به أصحابنا على أن النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لأن اللفظ تابع للمعنى، وقد خص عليه الصلاة والسلام بالمعنى فيخص باللفظ. والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه

قولك: اجلس ما دام زيد جالسًا بمعنى مدة دوامه جالسًا. قوله: (شرط للشرط الأول) أي قيد له ولذلك يقال في إعرابه إنه حال من الأول لأن الحال قيد لعامله، ولهذا اشترط الفقهاء أن يتقدم الشرط الثاني على الأول في الوجود فلو قال: إن أكلت إن ركبت فأنت طالق فلا بد أن يتقدم الركوب على الأكل لتتحقق الحالية والتقييد، إذ لو لم يتقدم لخلا جزء من الأكل غير مقيد بركوب جعل الأكل شرطًا لطلاقها وجعل ركوب نفسه شرطًا لكون الأكل مستلزمًا لطلاقها، فلما كان الشرط الأول بمنزلة جزاء الشرط الثاني وجب أن يكون الشرط الثاني متقدمًا في الوجود على الأول لأن الشرط مقدم على الجزاء في الوجود حتى لو وجد الشرطان على الترتيب الذي تلفظ به لا ينحل اليمين ما لم يوجد الأول بعده ثانيًا. فكأنه قيل: وأحللنا لك امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها لك أي إن ملكت نفسها إياك بالنكاح بلفظ الهبة من غير مهر حال إرادتك ومحبتك أن تنكحها على أن يكون استنكح بمعنى نكح كما يقال: نكر واستنكر وعجل واستعجل وعجب واستعجب كما أشار إليه بقوله: «إلا بإرادته نكاحها» فينبغي أن يكون قوله بعد هذا و «الاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه» بيانًا لمعنى بناء الاستنكاح لغة لا بيانًا لما أريد به في نظم الآية، إذ ليس لأن يقال إن أراد النبي أن يطلب نكاحها وإن يرغب فيه معنى ظاهر، فلذلك فسر الإمام النسفي قوله تعالى: ﴿إن أراد النبي أن يستنكحها﴾ بقوله: إن أحب أن ينكحها كما يقال: نكر واستنكر.

قوله: (واحتج به أصحابنا) يعني أن قوله تعالى: ﴿خالصة لك﴾ لما دل على أن حصول التزوج وحل ما يتفرع عليه من الاستمتاع بلفظ الهبة من خصائصه عليه الصلاة والسلام لأن اختصاصه بمعنى الهبة وحكمها يستلزم اختصاصه باللفظ أيضًا. قال الإمام: قوله: ﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾ قال الإمام الشافعي رحمه الله: معناه إباحة الوطء بالهبة وحصول التزوج بلفظها من خصائصك. وقال أبو حنيفة: معناه تلك المرأة صارت خالصة لك زوجة ومن أمهات المؤمنين لا تحل لغيرك أبدًا بالتزويج. ثم قال: ويمكن أن يقال: فعلى هذا يكون التخصيص بالواهبة لا فائدة فيه لأن أزواجه عليه الصلاة والسلام كلهن خالصات له بهذا المعنى. انتهى كلامه. وقال علماؤنا رحمهم الله: إن النكاح ينعقد بلفظ

وخالصة مصدر مؤكد أي خلص إحلالها وإحلال ما أحللنا لك على القيود المذكورة خلوصًا لك أو حال من الضمير في «وهبت» أو صفة لمصدر محذوف أي هبة خالصة. ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ من شرائط العقد ووجوب المهر بالوطء حيث لم يسم والقسم. ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ من توسيع الأمر فيها أنه كيف ينبغي أن يفرض عليهم. والجملة اعتراض بين قوله: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على أن الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا بمجرد قصد التوسيع عليه، بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس أخرى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما يعسر التحرز عنه ﴿رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾ بالتوسعة في مظان الحرج. ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ تؤخرها وتترك مضاجعتها ﴿وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن

الهبة إذا طلب الزوج منها النكاح حتى لو طلب منها التمكين من الوطء فقالت: وهبت نفسي منك وقبل الزوج يكون نكاحًا، واستدلوا عليه بأن الآية قد دلت على إحلال الواهبة وصحة نكاحها بلفظ الهبة وقد تقرر أنه عليه الصلاة والسلام وأمته سواء في الأحكام إلا ما خصه الدليل، ولا دلالة لقوله تعالى: ﴿خالصة لك﴾ على كون صحة النكاح بلفظ الهبة من خصائصه عليه الصلاة والسلام لما مر من أن معناه من كون الواهبة من أمهات المؤمنين لا تحل لأحد بعده أبدًا، فلو وهبت نفسها من أحد بغير مهر وقبل الآخر بمحضر الشهود يصح النكاح ولها مهر مثلها. **قوله:** (**أي خلص إحلالها**) أي إحلال من وهب نفسها بلا مهر على أن يكون الخلوص من صفة المرأة الواهبة نفسها فقط. **قوله:** (**أو إحلال ما أحللنا لك على القيود المذكورة**) وهي الأصناف الأربعة المذكورة بعد قوله تعالى: ﴿إنا أحللنا لك﴾ والمراد بالقيود المذكورة كون الأزواج أعطيت مهورهن معجلة وكون المماليك مسبيات وكون الأقارب مهاجرات وكون المرأة المؤمنة واهبة نفسها له عليه الصلاة والسلام، فعلى هذا تكون صفة الخلوص متعلقة بالأصناف الأربعة المتقدمة. فإن قيل: ما وجه كون المسبيات والمهاجرات ومن عجلت مهورهن خالصة له عليه الصلاة والسلام مع كونهن محللات لغيره عليه الصلاة والسلام؟ قلنا: ليس المراد بالخلوص خلوص إحلالهن مطلقًا بل المراد خلوص إحلالهن على القيود المذكورة كما أشار إليه المصنف بقوله: «على القيود المذكورة» فإنه متعلق بقوله: «أو إحلال» فإنهنّ أحلت في حقه عليه الصلاة والسلام بهذه القيود وهي إيتاء الأجور والإيفاء والهجرة والهبة، وأما في حق غيره عليه الصلاة والسلام فإنهن أحلت غير مقيدات بهذه القيود والمصدر قد يجيء على وزن فاعلة نحو عاقبة وكاذبة قال تعالى: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ٢] أي كذب وقد يجيء على وزن فاعل نحو قاعد في قوله:

أقاعدًا والركب قد سارا

تَشَآءُ﴾ وتضم إليك وتضاجعها أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء. وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص «ترجي» بالياء والمعنى واحد. ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾ طلبت ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾

وكذا خالصة في الآية فإنه يجوز أن يكون مصدرًا مؤكدًا لفعله المحذوف كوعد الله والتقدير خلص خلوصًا. ويحتمل أن يكون انتصابه على أنه حال من فاعل «وهبت» أي «إن وهبت نفسها» حال كونها خالصة لك لا تحل لأحد غيرك في الدنيا والآخرة أو على أنه حال من «امرأة» لأنها وصفت فتخصصت وهي بمعنى الأول وإليه ذهب الزجاج. ثم إنه تعالى لما بيّن أنه أحل له عليه الصلاة والسلام الأصناف الأربعة الموسومة بما فيهن من القيود المخصوصة قال بعده: ﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم﴾ أي على المؤمنين والمعنى: إنه تعالى قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الأزواج والإماء وعلى أي وجه وصفة يجب أن يفرض عليهم ففرضه كذلك حيث فرض عليهم أن يقتصروا على الأربع وحرم عليهم الزيادة عليها، وأن ينكحوا الحرة على الأمة وجوّز أن يزيدوا عليها في الجواري المملوكة وإن كثرن، وفرض عليهم أن لا يتزوج الرجل امرأة إلا بولي وشهود ومهر بخلاف النبي عليه الصلاة والسلام فإنه تعالى أحل له الواهبة نفسها منه بغير مهر وبغير ولي ولم يوجب عليه أن يقتصر على الأربع بناء على أنه تعالى علم الحكمة في اختصاصه عليه الصلاة والسلام بما خصه الله تعالى به ففعل ذلك. وقوله تعالى: ﴿لكيلا يكون عليك حرج﴾ متصل بقوله: ﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾ والمعنى: خلص إحلال ما أحللنا لك على القيود المذكورة خلوصًا لك لينفي الحرج عنك في دينك ودنياك، أما الأول فلأنه تعالى اختار له عليه الصلاة والسلام ما هو أفضل وأولى للاختيار وهي من سمى لها مهر وعجل هو لها ومن كانت مهاجرة ومن المماليك من كانت مسبية، وأما الثاني فلأنه تعالى أحل له أجناس المنكوحات وزاد له الواهبة نفسها من غير مهر وفي توسيعه عليه الصلاة والسلام بهذه الملاك المباحة عون له على القيام بما أمر به.

قوله: (وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء) على أن «أرجى» أفعل من الناقص. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر «ترجىء» بالهمزة. وفي الصحاح: أرجيت الأمر آخرته يهمز ولا يهمز فيقال: أرجأت الأمر وأرجيته بمعنى أخرته. نزلت الآية في أنه تعالى أباح للنبي عليه الصلاة والسلام مضاجعة نسائه ومعاشرتهن كيف شاء من غير حرج عليه تخفيفًا له وتفضلاً، وأباح له أن يجعل لمن أحب منهنّ يومًا أو أكثر أو يعطل من يشاء منهن فلا يأتيها. وقد كان القسم والتسوية بينهن واجبًا عليه فلما نزلت هذه الآية سقط عنه ذلك وصار الاختيار إليه فيهن، فأرجأ عليه الصلاة والسلام بعضهن وآوى إليه بعضهن، وكان ممن آوى إليه: عائشة رضي الله عنها وحفصة وزينب وأم سلمة فكان يقسم بينهن سواء

طلقت بالرجعة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في شيء من ذلك ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ ذلك التفويض إلى مشيئتك أقرب إلى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعًا، لأنه حكم كلهن فيه سواء ثم إن سويت بينهن وجدن ذلك تفضلاً منك وإن رجحت بعضهن علمن أنه بحكم الله فتطمئن نفوسهن. وقرىء «تقر» بضم التاء و«أعينهن» بالنصب و«تقر» على البناء للمفعول وكلهن توكيد نون يرضين. وقرىء بالنصب تأكيدًا لهن ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ فاجتهدوا في إحسانه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بذات الصدور ﴿حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾ لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بأن يتقى.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾ بالياء لأن تأنيث الجمع غير حقيقي. وقرأ البصريان بالتاء ﴿مِنۢ بَعْدُ﴾ من بعد التسع وهو في حقه كالأربع في حقنا، أو من بعد اليوم حتى لو

وأرجأ منهن خمسًا: أم حبيبة وميمونة وسودة وصفية وجويرية فكان يقسم لهن ما يشاء وقيل: ما أخرج واحدة منهن عن القسم مع أنه تعالى فوض أمر القسم إليه بل كان يسوّي بينهن في القسم إلا سودة فإنها تركت حقها في القسم وجعلت يومها لعائشة رضي الله عنها. و«من» في قوله تعالى: ﴿ومن ابتغيت﴾ يجوز أن تكون شرطية في محل النصب لما بعدها وقوله: ﴿فلا جناح عليك﴾ جوابها والمعنى: ومن طلبتها من النسوة اللاتي عزلتهن فليس عليك في ذلك جناح. ويجوز أن تكون في محل الرفع على الابتداء وحذف العائد وعلى هذا يجوز أن تكون «من» موصولة وأن تكون شرطية. وقوله: ﴿فلا جناح عليك﴾ إما خبر أو جواب ولا بد حينئذٍ من ضمير راجع إلى اسم الشرط والتقدير: والتي ابتغيتها فلا جناح عليك في ابتغائها وطلبها. **قوله:** (أقرب إلى قرة عيونهن) اختار المصنف قراءة الجمهور وهي أن تقرأ بالفتحات الثلاث على بناء الفاعل وهو أعينهن من قرت عينه تقر قرة وقرورًا بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر نقيض سخنت تسخن، فإن السرور له دمعة باردة والحزن له دمعة حارة أو نقيض طمحت وارتفعت إلى ما هو فوقه ولم تستقر. فالمعنى على الأول ذلك أقرب إلى أن تبرد أعينهن أي إلى أن يصرن مسرورات وأن تطيب أنفسهن لأنهن إذا علمن أن هذا جاء من الله كان أطيب لأنفسهن وأقل لحزنهن، وعلى الثاني ذلك أقرب إلى أن تستقر أعينهن فلا تطمح إلى ما هو فوقه. وقرىء «أدنى أن تقر أعينهن» بضم التاء وكسر القاف وإسناد الفعل إلى ضمير المخاطب ونصب أعينهن على المفعولية من أقر الله عينه أي أعطاه حتى استقرت عينه أو بردت. وقرىء أيضًا «أن تقر» على بناء المفعولية ورفع «أعينهن» لقيامه مقام الفاعل. وقرأ العامة كلهن بالرفع على أنه تأكيد نون يرضين التي هي ضمير الفاعل. وقرىء بالنصب على أنه تأكيد لمفعول «آتيتهن». **قوله:** (من بعد التسع) لما

ماتت واحدة لم يحل له نكاح أخرى. ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ﴾ فتطلق واحدة وتنكح مكانها أخرى. و«من» مزيدة لتأكيد الاستغراق. ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾ حسن

بنى بعد على الضم علم أنه قطع عن الإضافة وأن المضاف إليه محذوف منوي. وذكر المصنف في تعيين المضاف إليه احتمالين: الأول أنه التسع اللاتي اخترن الله ورسوله والثاني أنه يوم نزول الآية. وأشار إلى أن الفرق بين الاحتمالين أن يكون المقصود من الآية على الاحتمال الأول بيان أن التسع في حقه عليه الصلاة والسلام نصابه من الأزواج فلا يحل له أن يتجاوز النصاب وإن جاز له نكاح امرأة أخرى على تقدير أن تموت واحدة من التسع، وعلى الاحتمال الثاني يكون المقصود قصره عليه الصلاة والسلام على هؤلاء التسع اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة بدل الحياة الدنيا وزينتها حين خيّرهن رسول الله ﷺ بحيث لو ماتت واحدة منهن لم يحل له نكاح أخرى. وقال الإمام: والأولى أن يقال: لا تحل لك النساء من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما تؤتيهن من الوصول والهجران والنقص والحرمان. انتهى كلامه. يريد أن الآية لما نزلت بعدما خيّرهن رسول الله ﷺ فاخترن الله ورسوله كان المناسب أن يكون المضاف إليه المقدر ما ذكره لكونه أدل على أنه تعالى إنما حرم عليه النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن شكرًا لهن على حسن صنيعهن. وقول المصنف: «أو من بعد اليوم» خلاصة ما ذكره الإمام. وقوله تعالى: ﴿ولا أن تبدل﴾ أصله ولا أن تتبدل بهن بمعنى تستبدل يقال: استبدل الشيء بغيره وتبدل به إذا أخذه به كأنه قيل: ولا أن تأخذ بمقابلتهن أحدًا من الأزواج بأن تطلق واحدة منهن وتنكح مكانها أخرى، فحرم عليه طلاق النساء اللواتي كن عنده إذ جعلهن أمهات المؤمنين وحرمهن على غيره حين اخترنه. وقيل: كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يقول الرجل للرجل: بادلني بامرأتك وأبادلك بامرأتي تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي، فأنزل الله عز وجل: ﴿ولا أن تبدل بهن من أزواج﴾ يعني أن تبادل بأزواجك غيرك بأن تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته. ثم استثنى من هذا الحكم ﴿إلا ما ملكت يمينك﴾ أي لا بأس في أن تبادل بجاريتك ما شئت وأما الحرائر فلا. ويؤيد هذا القول ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: دخل عيينة بن حصين على النبي ﷺ بغير إذن وعنده عائشة رضي الله عنها فقال له النبي ﷺ: «يا عيينة أين الاستئذان»؟ قال: يا رسول الله ما استأذنت على رجل قط ممن مضى منذ أدركت. ثم قال: من هذه الحميراء التي إلى جنبك؟ فقال: «هذه عائشة أم المؤمنين». فقال عيينة: أفلا أنزلك عن أحسن الخلق؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد حرم ذلك» فلما خرج قالت عائشة: من هذا يا رسول الله؟ قال: «هذا أحمق مطاع وأنه على ما ترين لسيد قومه». **قوله تعالى:** (ولو أعجبك حسنهن) كقوله عليه الصلاة والسلام: «أعطوا

الأزواج المستبدلة وهو حال من فاعل «تبدل» دون مفعوله وهو من «أزواج» لتوغله في التنكير وتقديره مفروضًا إعجابك بهن. واختلف في أن الآية محكمة أو منسوخة بقوله: ﴿ترجيء من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء﴾ على المعنى الثاني فإنه وإن تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولاً. وقيل: المعنى لا يحل لك النساء من بعد الأجناس الأربعة اللاتي نص على إحلالهن لك ولا أن تبدل بهن أزواجًا من أجناس أخر. ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ استثناء من النساء لأنه يتناول الأزواج والإماء. وقيل: منقطع. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾ فتحفظوا أمركم ولا تتخطوا ما حد لكم.

السائل ولو على فرس» أي اعطوه في كل حَال ولو على هذه الحال المنافية. فمعنى الآية ليس لك أن تطلق أحدًا من نسائك وتنكح بدلها أخرى في كل حال ولو في حال أنك أعجبك حالها.

قوله: (لتوغله في التنكير) والحال من النكرة لا يجوز تأخيرها عن ذي الحال. قيل: فيه نظر لأنه إذا كان في الحال واو جازتا خيّرها عن ذي الحال النكرة لأن الواو ترفع التباسها في الصفة بناء على أنه لا يجوز توسيط الواو بين الصفة والموصوف. واختلفوا في أنه عليه الصلاة والسلام هل أبيح له النساء من بعد بأن نسخت هذه أو هي محكمة؟ قالت عائشة رضي الله عنها: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء. وقال أنس: مات على التحريم. ثم قال الزهري: قبض رسول الله ﷺ وما نعلمه يتزوج النساء. قال ابن عباس رضي الله عنهما إنه عليه الصلاة والسلام ملك بعد هؤلاء مارية فكان الأمر موسعًا عليه فيهن كما هو موسع على أمته. **قوله: (وقيل المعنى)** عطف على قوله: «من بعد التسع» قيل لأبي بن كعب: لو مات نساء النبي عليه الصلاة والسلام أكان يحل له أن يتزوج؟ قال: وما يمنعه من ذلك؟ قيل: أما يمنعه قوله تعالى: ﴿لا تحل لك النساء من بعد﴾ قال: إنما أحل الله ضربًا من النساء بقوله: ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك﴾ الآية ثم قال: لا يحل لك من بعد أي من بعد هؤلاء الأصناف المذكورة فله أن يتزوج من نساء قومه المهاجرات ما شاء ولو ثلاثمائة. والفرق بين القولين أن الآية على القول الأول فيها حكمان: تحريم الزيادة على التسع وتحريم التبديل، وعلى الثاني فيها حكم واحد وهو تحريم غير ما نص عليه من الأجناس الأربعة المذكورة في قوله تعالى: ﴿إنا أحللنا لك﴾ الخ وقوله: ﴿ولا أن تبدل بهن﴾ تأكيد لذلك فيجوز له أن يزيد على العدد المذكور وأن يتبدل بكلهن أو بعضهن أزواجًا أخر من جنس ما نص عليه، ولم يرض به المصنف لأن تخلل العاطف بين التأكيد والمؤكد غير معهود. **قوله: (استثناء من النساء)** فيجوز أن يكون في محل النصب على أصل الاستثناء، أو في محل الرفع على البدلية وهو المختار، ولم يرض بكون الاستثناء منقطعًا

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ إلا وقت أن يؤذن لكم أو إلا مأذونًا لكم ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ متعلق «بيؤذن» لأنه متضمن معنى يدعى للإشعار بأنه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وإن أذن كما أشعر به قوله: ﴿غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ غير منتظرين وقته أو إدراكه وهو حال من فاعل «لا تدخلوا» أو المجرور في «لكم». وقرىء بالجر صفة لطعام فيكون جاريًا على غير من هو له بلا إبراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين. وقد أمال حمزة والكسائي «أناه» لأنه مصدر أنى الطعام إذا أدرك. ﴿وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟﴾ تفرقوا ولا

لابتنائه على أن تحمل النساء على الأزواج حتى يكون استثناء الإماء من خلاف الجنس وهو خلاف الظاهر. **قوله:** (إلا وقت أن يؤذن لكم) على أن يكون «أن» مع الفعل في معنى الظرف قائمًا مقامه على خلاف ما اشتهر عند النحاة من أن «أن» المصدرية لا تقع موقع الظرف فلا يقال: آتيك إن يصيح الديك، وإنما يجوز ذلك في المصدر الصريح نحو: آتيك صياح الديك أي وقت صياحه. **قوله:** (أو إلا مأذونًا لكم) على أن يكون «أن» مع الفعل في موضع النصب على الحال والمعنى على الأول: لا تدخلوا منازله التي فيها نساؤه في وقت من الأوقات إلا وقت كذا، وعلى الثاني لا تدخلوا منازله على أي حال من الأحوال إلا حال كذا. **قوله:** (غير منتظرين وقته) على أن يكون الآني اسمًا بمعنى الوقت فيجمع على أناء قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ﴾ [طه: ١٣٠] أي ساعته فحينئذٍ يحتاج إلى تقدير المضاف أي أنى أكله أو تقديمه إليكم لأن الزمان لا يضاف إلى العين بل يضاف إلى الحدث. **قوله:** (أو إدراكه) على أن يكون الآني مصدرًا تقول: أنى يأني أني مثل قلى يقلي قلى يقال: أنى الطعام أنى بمعنى أدرك إدراكًا والنظر قد يكون بمعنى الانتظار قال تعالى: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] أي انتظرونا. ووجه كون قوله تعالى: ﴿غير ناظرين إناه﴾ مشعرًا بما ذكره أنه لما نهى عن الدخول في جميع الأحوال إلا في حال عدم انتظار الداخل وقت تناول الطعام دل ذلك على أن الدخول على الطعام من غير دعوة لا يحسن، وإن أذن فإن الداخل بالإذن إذا نهى عن الانتظار لإدراك الطعام كيف يحسن للمستأذن في الدخول على الطعام أن يستأذن ويدخل عليه من غير دعوة؟ **قوله:** (وهو حال من فاعل لا تدخلوا) ووقع الاستثناء على الوقت والحال معًا كأنه قيل: لا تدخلوا بيوت النبي عليه الصلاة والسلام في وقت من الأوقات، كما نهوا عن الدخول من غير دعوة وإذن نهوا أيضًا عن انتظار وقت الطعام وتحينه ليدعوا إليه فيدخلوا إلا وقت الإذن أي لا تدخلوها في حال من الأحوال إلا غير ناظرين أو من المجرور في «لكم» والعامل على هذا أن يؤذن. **قوله:** (وقرىء بالجر) يعني أن العامة قرؤوا «غير ناظرين» بالنصب على الحال وفي ذي الحال وجهان كما تقدم. وقرىء بالجر

تمكثوا. والآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه مخصوصة بهم وبأمثالهم وإلا لما جاز لأحد أن يدخل بيوته بالإذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم. ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ لحديث بعضكم بعضًا أو لحديث أهل البيت بالتسمع له عطف على «ناظرين» أو مقدر بفعل محذوف أي ولا تدخلوا ولا تمكثوا مستأنسين. ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ اللبث ﴿كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ﴾ لتضييق

على أنه صفة لطعام على رأي الكوفيين فإنهم يجوزون أن يستتر الضمير في اسم الفاعل الجاري صفة على غير من هي له كما جاز في الفعل نحو: مررت برجل تضربه ولا يجب أن يقال: تضربه أنت لعدم اللبس، فيجوّزون أيضًا أن يقال: دعينا إلى طعام غير منتظرين تقديمه إلينا لعدم اللبس. وعند البصريين لا يجوز ذلك بل يجب أنْ يقال: غير منتظرين نحن فإنهم يقولون: يجب إظهار الضمير الذي في ناظرين بأن يقال: إلى طعام غير ناظرين إناه أنتم.

قوله: (لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله) أي ينتظرون وقت تناول الطعام يقال: تحين الوارش إذا انتظر وقت الأكل ليدخل. والوارش الداخل على القوم وهم يأكلون ولم يدع مثل الواغل في الشراب. ولما كان مدلول الآية تحريم الدخول في جميع الأوقات إلا وقت الإذن إلى الطعام وتحريم لبث من دخل بالإذن إلى الطعام بعد الطعام لأجل قضاء مهم فيلزم أن لا يجوز الدخول لمن أذن له لاستفتاء أمر ديني واستماع حديث دنيوي ولا اللبس بعد الطعام لمهم شرعي، دفع هذا الإشكال بجعل الخطاب لطائفة مخصوصة كأنه قيل: يا أيها المتحينون لا تفعلوا ما أنتم عليه من تحين الطعام والدخول بغير إذن والقعود منتظرين لإدراكه وليس لكم إلا الدخول بالدعوة والإذن والانتشار بعد ما طعمتم من غير لبث. وكان قوم منهم إذا طعموا جلسوا يستأنس بعضهم ببعض للحديث أي لأجله أو لحديث أهل البيت يتسمعه فنهوا عن ذلك بقوله تعالى: ﴿ولا مستأنسين لحديث﴾ أي ولا طالبين أنس بعضكم ببعض لأجل حديث يحدثه على أن تكون اللام في قوله: «لحديث» لام العلة أو ولا طالبين أنس حديث لأهل البيت أو غيرهم على أن تكون اللام لتقوية العامل لأنه فرع. روي في سبب نزول الآية أيضًا أن رسول الله ﷺ أولم على زينب بتمر وسويق وشاة وأمر أنسًا رضي الله عنه أن يدعو الناس فترادفوا أفواجًا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج إلى أن قال: يا رسول الله دعوت حتى ما أجد أحدًا أدعوه، فقال: «ارفعوا طعامكم» وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام رسول الله ﷺ ليخرجوا فانطلق إلى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال: «السلام عليكم يا أهل البيت». فقالوا: وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت أهلك؟ فطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فإذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان

المنزل عليه وعلى أهله واشتغاله فيما لا يعنيه. ﴿فَيَسْتَحْيِ مِنكُمْ﴾ من إخراجكم لقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني أن إخراجكم حق فينبغي أن لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحي فأمركم بالخروج. وقرىء «لا يستحي» بحذف الياء الأولى وإلقاء حركتها على الحاء. ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا﴾ شيئًا ينتفع به ﴿فَسْئَلُوهُنَّ﴾ المتاع. ﴿مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ ستر. روي أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب. فنزلت. وقيل: إنه عليه الصلاة والسلام كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل يد عائشة فكره النبي عليه الصلاة والسلام ذلك. فنزلت. ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الخواطر الشيطانية. ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ وما صح لكم ﴿أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ أن تفعلوا ما يكرهه ﴿وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ من بعد وفاته أو فراقه. وخص التي لم يدخل بها لما روي أن أشعب بن قيس تزوج المستعيذة في أيام عمر رضي الله

رسول الله ﷺ شديد الحياء منعه حياؤه عن أمرهم بالخروج فتولى. فلما رأوه متوليًا خرجوا فرجع فلما دخل الحجرة أرخى الستر فنزل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾ إلى آخر آية الحجاب والذي سبق من الآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون عليه قبل الطعام فينتظرون إلى أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون، وكان عليه الصلاة والسلام يتأذى بهم لتضيق المنزل عليه وعلى أهله واشتغاله فيما لا يعنيه فذلك مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما. **قوله:** (من إخراجكم لقوله الخ) استدل بقوله تعالى: ﴿والله لا يستحي من الحق﴾ على أنه لا بد من تقدير المضاف في قوله: «منكم» ووجه الاستدلال أنه لو لم يقدر لكان الظاهر أن يقال: والله لا يستحي منكم ليكون متعلق النفي والإثبات شيئًا واحدًا، فلما قيل: ﴿والله لا يستحي من الحق﴾ ولم يكن حمل الثاني على الأول إذ لا معنى لأن يقال: والله لا يمتنع من أنفسكم لأن استحياء الله تعالى من شيء معناه الامتناع منه، فإن أمثال ذلك يراد منها الغاية في حقه تعالى وأمكن حمل الأول على الثاني بتقدير المضاف فيه فعل ذلك، فكان المعنى فيستحي من إخراجكم والله لا يستحي منه لكونه حقاً. روي أنه لما نزلت آية الحجاب قال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: لو توفي رسول الله لتزوجت عائشة رضي الله عنها فنزل قوله تعالى: ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله﴾ بوجه من الوجوه ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً﴾ أي من بعد موته أو فراقه أهله في حياته. **قوله:** (تزوج المستعيذة) وهي أسماء بنت النعمان الكندية وكانت من أحسن النساء إلا أنها لم تكن من أقربائه عليه الصلاة والسلام بل كانت من الغرائب، ولما تزوج عليه الصلاة والسلام إياها ودخل عليها قالت: أعوذ بالله منك. فقال

عنه فهمّ برجمها فأخبر بأنه عليه الصلاة والسلام فارقها قبل أن يمسها فترك من غير نكير. ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ يعني إيذاءه ونكاح نسائه ﴿كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ ذنبًا عظيمًا. وفيه تعظيم من الله لرسوله وإيجاب لحرمته حيًا وميتًا، ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال: ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا﴾ كنكاحهن على ألسنتكم ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ في صدوركم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ فيعلم ذلك فيجازيكم به. وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم. روي أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب: يا رسول الله أو نكلمهن أيضًا من وراء حجاب؟ فنزلت. وإنما لم يذكر العم والخال لأنهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم أبًا في قوله: ﴿وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق﴾ أو لأنه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة أن يصفا لأبنائهما. ﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ يعني النساء المؤمنات. ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾

عليه الصلاة والسلام: «لقد عذت بعظيم الحقي بأهلك» ولما كانت كل واحدة من أمهات المؤمنين خالصة له عليه الصلاة والسلام في الدنيا والآخرة نهى المؤمنين عن تزوجهن من بعده عليه الصلاة والسلام تعظيمًا من الله تعالى لرسوله وإيجابًا لحرمته حيًا وميتًا. روي عن حذيفة أنه قال لامرأته: إن أردت أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تتزوجي بعدي فإن المرأة لآخر أزواجها، فلذلك حرم الله تعالى على أزواج النبي عليه الصلاة والسلام أن يتزوجن بعده. **قوله**: (وفي هذا التعميم) أي تعميم متعلق الإبداء والإخفاء حيث قيل: ﴿إن تبدوا شيئًا أو تخفوه﴾ وتعميم متعلق علمه تعالى حيث قيل: ﴿فإن الله كان بكل شيء عليمًا﴾ مع أن الظاهر أن يقال: وإن تبدوا ما ذكر من إيذائه ونكاح نسائه أو تخفوه فإن الله تعالى يعلم ذلك، فوضعه موضعها شيئًا ليدخل تحت هذا العام ذلك دخولاً أوليًا لأن المقصود ذكر الوعيد على خصوص إيذائه عليه الصلاة والسلام ونكاح نسائه. والمراد بالمقصود بيان حرمة الإيذاء ونكاح النساء وببرهانه قوله تعالى: ﴿إن ذلكم كان عند الله عظيمًا﴾ وفي كل واحد من إقامة البرهان على المقصود المذكور والتعميم المعتبر في الوعيد زيادة تهويل لمن تصدى لما بين تحريمه.

قوله: (مخافة أن يصفا لأبنائهما) وأبناؤهما ليسوا بمحارم إلا أنهن لو لم يحتجبن من الأعمام والأخوال لربما يحكي العم محاسن بنت أخيه لابنه وكذا الخال ربما يحكي محاسن بنت أخته لابنه، فيكون سماع المحاسن والأوصاف منزلاً منزلة المشاهدة عيانًا في كونه مؤديًا إلى الفتنة. **قوله**: (يعني النساء المؤمنات) فيجوز للمسلمة النظر إلى المرأة المسلمة سوى ما

من العبيد والإماء. وقيل: من الإماء خاصة وقد مرّ في سورة النور. ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ فيما أمرتن به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدًا ۝٥٥﴾ لا يخفى عليه خافية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ يعتنون بإظهار شرفه وتعظيم شأنه. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾ اعتنوا أنتم أيضًا فإنكم أولى بذلك وقولوا: اللهم صل على محمد. ﴿وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ وقولوا: السلام عليك أيها النبي. وقيل: وانقادوا

بين السرة والركبة ولا يجوز للمسلمة أن تنكشف للكافرة لأنها ليست من النساء المؤمنات. روي أن عمر رضي الله عنه كتب إلى أبي عبيدة أن يمنع الكتابيات من دخول الحمامات مع المسلمات فلا يجوز للمسلمة كشف بدنها للمشركة إلا أن تكون أمة لها. فإن المسلمة يجوز لها كشف بدنها عند أمتها مسلمة كانت الأمة أو كافرة لما في كشف مواضع الزينة الباطنة عند أمتها الكافرة في أحوال استخدامها من الضرورة التي لا تخفى ففارقت الحرة المشركة. **قوله: (من العبيد والإماء)** يعني أن قوله تعالى: ﴿ما ملكت أيمانهن﴾ يدخل فيه العبيد أيضًا إذا كانوا أعفة، لما روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت لذكوان: إنك إذا وضعتني في القبر وخرجت فأنت حر. وهو قول ابن المسيب أولاً ثم رجع عنه وقال: ﴿لا تغرنكم﴾ آية النور فإنها نزلت في الإناث دون الذكور ومثله روي عن سمرة بن جندب وعليه عامة العلماء. ومن الأئمة من قال: المراد من كان دون البلوغ. قال الإمام: قوله تعالى: ﴿واتقين الله﴾ عند ذكر المماليك دليل على أن التكشف لهم مشروط بشرط السلامة والعلم بعدم المحذور. **قوله: (لا يخفى عليه خافية)** عن ابن عطاء: أن الشهيد من يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات الجوارح. **قوله: (يعتنون بإظهار شرفه)** يعني أن المراد بالصلاة القدر المشترك بين ما أسند إلى الله تعالى من الرحمة وإلى الملائكة من الاستغفار للمؤمنين والاهتمام بما يصلحهم، وإلى المؤمنين من التضرع والابتهال إلى الله تعالى في أن يعظم شأنه ويرفع درجته أبد الآباد وهو العناية بصلاح أمرهم وظهور شرفهم مستعار من صلاة العصا أي تصليتها بالنار وتليينها وتقويمها بها كما مر عن قريب. فصح أن يكون قوله تعالى: «وملائكته» منصوبًا بالعطف على اسم «أن» وأن يكون «يصلون» خبرًا عن الله وملائكته. وقيل: هو خبر عن الملائكة فقط وخبر الجلالة محذوف لتغاير الصلاتين. لما أمر الله تعالى المؤمنين بالاستئذان وعدم النظر إلى نسائه احترامًا له كمل بيان حرمته في جميع حالاته وذلك لأن حالاته منحصرة في اثنتين حالة كونه في بيته وحالة كونه في ملأ والملأ إما الملأ الأعلى وإما الملأ الأدنى، فبيّن الله تعالى احترامه وهو في بيته بقوله تعالى: ﴿لا تدخلوا بيوت النبي﴾ وبين احترامه في الملأ الأعلى بقوله: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ ثم ذكر كونه واجب الاحترام في الملأ الأسفل بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا

لأوامره. والآية تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه في الجملة. وقيل: تجب الصلاة كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلاة والسلام: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصلِّ عليّ». وقوله: «من ذكرت عنده فلم يصل عليّ فدخل النار فأبعده الله». وتجوز الصلاة

تسليمًا﴾ أي ادعوا الله تعالى بأن يترحم ويسلم. سئل عليه الصلاة والسلام: كيف نصلي عليك يا رسول الله؟ فقال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد» وكيفية السلام عليه أن يقال: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. وروي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «أخبرني جبريل عليه السلام عن الله تعالى قال: من صلى عليك صلاة صليت بها عشر صلوات ومحوت عنه عشر سيئات وكتب له عشر حسنات». وروي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إن الله عز وجل وكّل بي ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلي عليّ إلا قال ذانك الملكان: غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابًا لذينك الملكين: آمين. ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلي عليّ إلا قال ذانك الملكان: لا غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته لذينك الملكين: آمين». والصلاة على رسول الله ﷺ واجبة. وقد اختلفوا في حال وجوبها، فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره وإن ذكر في مجلس واحد ألف مرة وهو المختار عند الجمهور. ومنهم من قال: تجب في كل مجلس مرة وإن تكرر ذكره فيه كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في أوله وآخره. ومنهم من أوجبها في العمر مرة وكذا قيل في إظهار الشهادتين. والذي يقتضيه الاحتياط أن يصلي عليه كلما جرى ذكره عليه السلام عملاً بما ورد في الأخبار. ثم إنه تعالى لما أمر بالصلاة والسلام على النبي عليه الصلاة والسلام بيّن حال من يؤذيه ويؤذي رسوله ليتبين فضيلة من امتثل أمره تعالى وفضيلة من يصلي ويسلم على النبي عليه الصلاة والسلام، لأن فضيلة الأشياء تنبىء بانحطاط شأن أضدادها وإيذاء الرسول حقيقة ممكن بحسب العقل إلا أن إيذاءه تعالى حقيقة ممتنع غير متصور لأنه تعالى لا يتأذى بشيء بل هو منزه عن أن يلحقه أذى، فلو حمل إيذاء الله تعالى على المجاز وإيذاء الرسول على الحقيقة لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز فوجب أن يحمل الإيذاء على معنى مجازي يعمهما ويصح إسناده إليهما وهو ارتكاب ما يكرهانه ولا يرضيان به قولاً كان أو فعلاً أو اعتقادًا كأنه قيل: إن الذين يرتكبون ما لا يرضي الله ورسوله فإن مخالفة الأمر وفعل ما لا يرضي سبب الإيذاء في الجملة فإنا نأتذي به فأطلق السبب وأريد المسبب. ثم أشار إلى توجيه آخر وهو أن المراد إيذاء رسوله ﷺ وذكر الله تعالى تمهيد لذكره عليه الصلاة والسلام وإشارة إلى أنه عليه الصلاة والسلام عند الله تعالى بمكانة حتى أن إيذاءه إيذاؤه.

على غيره تبعًا له وتكره استقلالاً لأنه في العرف صار شعارًا لذكر الرسل، ولذلك كره أن يقال: محمد عز وجل وإن كان عزيزًا جليلاً. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي أو يؤذون رسول الله بكسر رباعيته، وقولهم: شاعر مجنون ونحو ذلك. وذكر الله للتعظيم له. ومن جوّز إطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين. ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم من رحمته ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا (٥٧)﴾ يهينهم مع الإيلام ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ بغير جناية استحقوا بها الإيذاء. ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٥٨)﴾ ظاهرًا. روي أنها نزلت في منافقين يؤذون عليًا رضي الله عنه. وقيل: في أهل الإفك. وقيل: في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفهن إذا برزن لحاجة. و«من» للتبعيض فإن المرأة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض. ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ﴾ يميزن من الإماء

قوله: (فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين) أي فسر الإيذاء باعتبار تعلقه بمفعوله أصالة بمعنى يتصور فيه وهو ارتكاب ما يكرهه ولا يرضاه وهو سبب للإيذاء في الجملة، فأطلق عليه اسم المسبب مجازًا وباعتبار تعلقه بما عطف على مفعوله أصالة فسر بالإيذاء حقيقة لكونه متصورًا في حقه عليه الصلاة والسلام فلا وجه لحمله على المعنى المجازي في حقه.

قوله: (بغير جناية استحقوا بها الإيذاء) أطلق أذى الله تعالى ورسوله ﷺ، وقيد إيذاء المؤمنين بكونه بغير جناية استحقوا بها ذلك لأن أذى الله تعالى ورسوله يكون بغير حق يوجبه البتة. وأما أذى المؤمنين والمؤمنات فمنه ما يكون بحق ومنه ما لا يكون كذلك والموجب للعقوبة هو الثاني. روي عن عبد الرحمن بن سمرة قال: خرج النبي ﷺ على أصحابه ذات يوم فقال: «رأيت الليلة عجبًا رأيت رجالاً يعلقون بألسنتهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا». **قوله:** (وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء) إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهنّ فيغمزون المرأة فإن سكتت اتبعوها وإن زجرتهم انتهوا عنها، ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الأمة لأن زي الكل كان واحدًا يخرجن في درع وخمار فتشكون ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات﴾ الآية. ثم نهى الحرائر عن أن يتشبهن بالإماء بقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ وهو جمع جلباب وهو الملحفة التي تشتمل بها المرأة فوق الذرع والخمار ليعلم أنهن حرائر.

قوله: (وتتلفع ببعض) أي تلتحف يقال: لفع رأسه تلفيعًا أي غطاه وتلفعت المرأة بمرطها أي

والقينات. ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ فلا يؤذيهن أهل الريبة بالتعرض لهن. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف ﴿رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها. ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ عن نفاقهم ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف إيمان وقلة ثبات عليه، أو فجور عن تزلزلهم في الدين أو فجورهم. ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ يرجفون إخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها عن إرجافهم. وأصله التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الإخبار الكاذب لكونه متزلزلاً غير ثابت. ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ لنأمرنك بقتالهم وإجلائهم أو ما يضطرهم إلى طلب الجلاء. ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ عطف على «لنغرينك» و«ثم» للدلالة على أن الجلاء ومفارقة جوار رسول الله ﷺ أعظم ما يصيبهم. ﴿فِيهَآ﴾ في المدينة ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾ زمانًا أو جوارًا قليلاً. ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ نصب على الشتم أو الحال والاستثناء شامل له أيضًا، أي لا يجاورونك إلا ملعونين ولا يجوز أن ينتصب عن قوله: ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾ لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها. ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ مصدر مؤكد أي سن الله

تلحفت به. **قوله:** (عن تزلزلهم في الدين) متعلق بقوله: ﴿لئن لم ينته﴾ ومبني على أن يكون المراد بمرض القلب ضعف الإيمان وقلة الثبات عليه وقوله: «أو فجورهم» مبني على أن يكون المراد بالذين في قلوبهم مرض الزناة الذين يتعرضون للنساء بالليل كما في قوله تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢] والإرجاف إيقاع الخبر على غير حقيقة من الرجفة وهي الزلزلة فالمرجف هو المخبر بخبر متزلزل غير ثابت. **قوله:** (عن إرجافهم) متعلق أيضًا بقوله: «لم ينته». **قوله تعالى:** (لنغرينك بهم) جواب قسم مضمر أي والله لئن لم ينته هؤلاء لنسلطنك عليهم بأن نأمرك بقتلهم حتى تقتلهم وتخلي منهم المدينة. والإغراء هو التحريش وتهييج شخص على آخر. **قوله:** (والاستثناء شامل له أيضًا أي لا يجاورونك) وقتًا من الأوقات أو شيئًا من الجوار أو على كل من الأحوال إلا وقتًا قليلاً أو جوارًا قليلاً إلا على حال كونهم ملعونين، ولا يجوز أن ينتصب على أنه حال من فاعل «أخذوا» الذي هو جواب الشرط لأن معمول الجواب لا يتقدم على أداة الشرط فلا يقال: خيرًا إن تأتني تصب كما لا يتقدم معمول فعل الشرط على أداته فلا يقال: زيدًا إن تضرب أهنك. وقول المصنف: «ما بعد كلمة الشرط» يتناول فعل الشرط وجواب الشرط. وأجاز الكسائي تقديم معمول كل واحد من فعل الشرط وجوابه على أداته وأجاز الفراء تقديم معمول الجواب عليها ولم يجوز تقديم معمول فعل الشرط. فظهر أن المسألة فيها ثلاثة مذاهب: المنع مطلقًا والتجويز مطلقًا والتفصيل. ثم إنه تعالى لما بيّن حالهم في الدنيا هو أنهم يلعنون ويهانون

ذلك في الأمم الماضية، وهو أن يقتل الذين نافقوا الأنبياء وسعوا في وهبهم بالإرجاف ونحوه أينما ثقفوا. ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢﴾ لأنه لا يبدلها أو لا يقدر أحد أن يبدلها. ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ﴾ عن وقت قيامها استهزاء أو تعنتًا أو امتحانًا. ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ لم يطلع عليه ملكًا ولا نبيًا. ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣﴾ شيئًا قريبًا أو تكون الساعة عن قريب، وانتصابه على الظرف. ويجوز أن يكون التذكير لأن الساعة في معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين وإسكات للمتعنتين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤﴾ نارًا شديدة الاتقاد، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا﴾ يحفظهم ﴿وَلَا نَصِيرٗا ٦٥﴾ يدفع العذاب عنهم ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ تصرف من جهة إلى جهة كاللحم يشوى بالنار أو من حال إلى حال. وقرىء «تقلب» بمعنى تتقلب ونقلب وتقلب ومتعلق الظرف. ﴿يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ

ويقتلون أراد أن يبين حالهم في الآخرة فذكرهم أولاً بالقيامة وما يكون لهم فيها وهو أنه لعنهم وأعد لهم سعيرًا خالدين فيها أبدًا وأخفى وقت قيامها لحكمة وهي امتناع المكلف عن الاجتراء وخوفهم منها في كل وقت. والآية نزلت حين سئل رسول الله عليه الصلاة والسلام عن الساعة وعن وقت قيامها لما نزل قوله تعالى في وعيد المؤذين لعنهم الله في الدنيا والآخرة قالوا: متى الآخرة؟ إنكارًا للبعث والجزاء واستهزاء. **قوله**: (شيئًا قريبًا) يعني أن فعيلاً بمعنى الفاعل حقه أن يميز فيه بين المذكر والمؤنث «وقريبًا» في الآية خبر تكون المسندة إلى ضمير «الساعة» فحقه أن يقال قريبة إلا أنه ذكر لكونه صفة لموصوف مذكر هو خبر «كان» أي لعلها تكون شيئًا قريباً. ثم أشار إلى وجه آخر لتذكيره وهو أن «قريبًا» هنا ليس خبر «كان» بل هو ظرف في موضع الخبر أي لعلها تكون في زمان قريب فإن قريبًا كثير استعماله استعمال الظروف، والمعنى: أي شيء يعلمك أمر الساعة ومتى يكون قيامها أي أنت لا تعلمه ثم خوفهم فقال: ﴿لعل الساعة تكون﴾ شيئًا ﴿قريبًا﴾ وقوله تعالى: ﴿لا يجدون﴾ حال ثانية أو حال من ضمير «خالدين» والمعنى: لا صديق يشفع لهم ولا ناصر يدفع عنهم. وقرأ العامة «تقلب» بضم التاء وفتح القاف على بناء المفعول ورفع «وجوههم» على النيابة و«تقلب» بفتح التاء والقاف واللام المشددة ورفع «وجوههم» على الفاعلية وأصله تتقلب. وقرىء «تقلب» بضم التاء وكسر اللام مشددة على بناء الفاعل ونصب «وجوههم» على المفعولية أي تقلب السعير أو الملائكة وجوههم.

قوله: (ومتعلق الظرف) أي عامله يعني أن يوم معمول ليقولون بعده. ويحتمل أن

أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴿٦٦﴾﴾ فلن نبتلي بهذا العذاب ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر. وقرأ ابن عامر ويعقوب «ساداتنا» على جمع الجمع للدلالة على الكثرة. ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ﴿٦٧﴾﴾ بما زينوا لنا ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ مثلي ما أوتينا منه لأنهم ضلوا وأضلوا. ﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ كثير العدد. وقرأ عاصم بالباء أي لعنًا هو أشد اللعن وأعظمه. ﴿يَٰٓأَيُّهَا

يكون معمولاً «لخالدين» أو لأذكر مقدرًا فقوله: «يقولون حينئذٍ» يكون حالاً من الوجوه لأن المراد بها أصحابها أو من الضمير المجرور بالإضافة، فإن الحال قد ينتصب عن المضاف إليه. ثم إنهم لما علموا أنه لا يتخلص مما هم فيه من العذاب إلا من أطاع الله ورسوله في الدنيا وندموا على عصيانهم فيها حيث لا تنفعهم الندامة ﴿قالوا يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾ **والرسولا أشبعت فتحة اللام لإطلاق الصوت ورعاية الفواصل. ثم إنهم لما رأوا أن إضلالهم عن الطريق كان بإضلال قادتهم إياهم سألوا الله تعالى أن يضاعف عذاب سادتهم. والسادة يجوز أن يكون جمع سيد على خلاف القياس لأن فعيلاً لا يجمع على فعلة وسادة فعلة لأن أصله سودة ويجوز أن يكون لسائد نحو: فاجر وفجرة وكافر وكفرة. وابن عامر جمع هذا الجمع بالألف والتاء للدلالة على الكثرة كجدات وطرقات وبيوتات وجمالات في جمع جدر وطرق وبيوت وجمالة. قوله: (مثلي ما أوتينا منه) إشارة إلى أن ضعف الشيء مثله وضعفاه مثلاه وأضعافه أمثاله، كما ذكره الجوهري في صحاح اللغة حيث قال: ذكر الخليل أن التضعيف أن يزاد على أصل الشيء فيجعل مثلين أو أكثر وكذلك الأضعاف والمضاعفة يقال: ضعفت الشيء وأضعفته وضاعفته بمعنى، وضعف الشيء مثله وضعفاه مثلاه وأضعافه أمثاله. هذا كلامه بعبارته. روي عن أبي عبيدة في قوله تعالى:** ﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ **أنه قال: معناه يجعل الواحد ثلاثة أي تعذب ثلاثة أعذبة. وأنكره الأزهري وقال: هذا الذي يستعمله الناس في مجاز كلامهم وتعارفهم وإنما الذي قال حذاق النحويين إنها تعذب مثلي عذاب غيرها لأن الضعف في كلام العرب المثل. قوله: (كثير العدد) يعني أن جمهور القراء قرؤوا «كثيرًا» بالثاء المثلثة. وقرأ عاصم بالباء الموحدة ليدل على أشد اللعن وأعظمه. والأول يدل على كثرة أعداد اللعن. ثم إنه تعالى لما بيّن أن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وعظ المؤمنين ونهاهم عن إيذاء رسول الله ﷺ بارتكاب شيء مما يكرهه كمقالة الناس في تزوجه عليه الصلاة والسلام زينب بنت جحش، وقول من قال حين قسم رسول الله ﷺ قسمة إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله تعالى. روي أنه عليه الصلاة والسلام لما أخبر بهذا القول غضب حتى ظهر الغضب في وجهه الكريم ثم قال: «يرحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر» كأنه قيل: يا أيها الذين آمنوا إذا أمركم**

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟﴾ فأظهر براءته من مقولهم يعني مؤداه ومضمونه. وذلك أن قارون حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر في القصص. أو اتهمه ناس بقتل هارون لما خرج معه إلى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا بهم حتى رأوه غير مقتول. وقيل: أحياه الله فأخبرهم ببراءته. أو قذفوه بعيب في بدنه من برص أو أدرة لفرط تستره حياء فأطلعهم الله على أنه بريء منه. ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ ذا قربة ووجاهة منه. وقرىء «وكان عبد الله وجيهًا». ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في ارتكاب ما يكرهه فضلاً عما يؤذي رسوله. ﴿وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ قاصدًا إلى الحق. من سد يسد سدادًا. والمراد النهي عن ضده

الرسول بشيء فأتوا منه ما استطعتم باطمئنان قلب وصدق رغبة فيما دعاكم إليه ولا تجدوا في أنفسكم حرجًا مما قضى به عليكم وسلموا تسليمًا. **قوله:** (فأظهر براءته من مقولهم) يعني أن بناء فعل للنسبة كما في قولك: فسقه وبدعه لا للتعدية وما يقال من أن كلمة «ما» في قوله تعالى: ﴿مما قالوا﴾ إما مصدرية أو موصولة فعلى الأول يكون المعنى: فأظهر براءته من تكلمهم وعلى الثاني من كلامهم. ولا معنى للبراءة من تكلمهم لأن البراءة إنما تكون من نحو الدين والعيب لا من التكلم والكلام فالجواب أن الكلام وإن كان مجردًا منهما بحسب الظاهر إلا أنه ينبغي أن تجعل كلمة «ما» موصولة ويكون معنى البراءة من كلامهم البراءة من مؤداه ومضمونه. **قوله:** (فأطلعهم الله تعالى على أنه بريء منه) روي أن موسى عليه الصلاة والسلام خلا يومًا في موضع ليغتسل فيه فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها ففر الحجر بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عريانًا أحسن الرجال خلقًا وأظهر الله براءته مما كانوا يقولون، فوقف الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربًا بالعصا. فوالله إن بالحجر لندبًا من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا. والأدرة نفخة تكون في الخصية. **قوله تعالى.** (عند الله وجيهًا) بيان لوجه تبرئة الله تعالى إياه كأنه قيل: ولوجاهته عنده أماط عنه ما نسب إليه من العيب والنقصان كما يفعل الملك بمن له عنده قربة وقدر. والوجيه فعيل من وجه الرجل وجاهة بضم العين وعطف قوله: «فبرأه الله مما قالوا: بالفاء على قوله: «آذوا» صريح في أن المشبه به من اتصف بأمرين ترتب ثانيهما على الأول: وهما إيذاء من له وجاهة عند الله وانتقام الله من المؤذي بإظهار براءة الوجيه وتفضيح المؤذي وتخجيله، فكان مدلول الآية أيها المؤمنون لا تؤذوا نبيكم فإنكم إن أذيتموه تكونوا كالذين أذوا موسى فبرأه الله تعالى مما قالوا فتفضحون بإظهار شرفه وتنكيس رؤوسكم. **قوله:** (قاصدًا إلى الحق) أي عدلاً مستويًا في تأدية الحق والوصول إليه من القصد بمعنى العدل

كحديث زينب من غير قصد. ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ يوفقكم للأعمال الصالحة أو يصلحها بالقبول والإثابة عليها. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل. ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في الأوامر والنواهي. ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ يعش في الدنيا حميدًا وفي الآخرة سعيدًا.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها أمانة من حيث إنها واجبة الأداء. والمعنى: إنها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت على هذه الأجرام العظام وكانت ذات شعور وإدراك لأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان مع ضعف

يقال: سد قوله يسد بالكسر أي صار سديدًا أي ذا سداد وهي الاستقامة والصواب. وسدد السهم نحو الرمية إذا لم يعدل به عن سمتها وأصاب، والأمر بالشيء نهي عن ضده. **قوله:** (باستقامتكم في القول والعمل) متعلق بمجموع قوله: «يصلح» و «يغفر» وإشارة إلى أن كل واحد منهما مسبب عما سبق وهو استقامة القول المدلول عليه بقوله: ﴿وقولوا قولاً سديدًا﴾ واستقامة العمل المدلول عليه بقوله ﴿اتقوا الله﴾. **قوله:** (يعش في الدنيا حميدًا) أي يعيش عيشًا محمودًا.

قوله: (تقرير للوعد السابق) أي وعد الفوز العظيم لمن أطاع الله ورسوله بتعظيم الطاعة وهي الطاعة الاختيارية التي كلف الإنسان بها وتعلق بأدائها الثواب وبتضييعها العقاب عظمها الله تعالى وسماها أمانة ببيان أنها في صعوبتها وعظم شأنها وثقل تحملها بحيث عرض على أعظم ما خلق الله تعالى من الأجرام وأشده وأقواه أن يتحملها ويرعاها حق رعايتها فأبى حملها وأشفق منها أي خاف منها أن لا يؤديها ويراعي حقها. فلما فخم الله تعالى شأنها وعظم أمرها بقوله: ﴿إنا عرضنا الأمانة﴾ الآية ظهر أن من تحملها وراعى حقها فقد استحق بفضل الله تعالى ورحمته لأن يفوز فوزًا عظيمًا فكان تعظيم شأنها تقريرًا للوعد السابق. **قوله:** (والمعنى أنها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت) يريد أن الآية من قبيل الاستعارة التمثيلية شبهت الحالة المحققة في الطاعة التي عبّر عنها بالأمانة من عظم أمرها وثقل رعاية حقها بالحالة المفروضة فيها وهي أنها لو عرضت على السمٰوات والأرض والجبال لأبين أن يحملنها، فكما يصح تشبيه الحال المحققة بالحال المحققة كما في قولك لمن لا يثبت على رأي واحد: أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فإنه شبهت حاله المحققة في تردده واضطرابه بين الرأيين وترك المضي على أحدهما بحال أخرى محققة أيضًا وهي حال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي على الذهاب. فكذا يصح تشبيه الحال المحققة بالحال المفروضة كما في الآية فإن المفروضات تتخيل في الذهن فيصح جعلها مشبهًا بها فإن عرض

بنيته ورخاوة قوته، لا جرم فاز الراعي لها والقائم بحقوقها بخير الدارين. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ حيث لم يف ولم يراع حقها. ﴿جَهُولًا ۝٧٢﴾ بكنه عاقبتها. وهذا وصف للجنس باعتبار الأغلب. وقيل: المراد بالأمانة الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وإرادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن إدائها. ومنه قولهم: حامل الأمانة ومحتملها لمن لا يؤديها فتبرأ ذمته، فيكون الإباء عنه إتيانًا بما يمكن أن يتأتى منه. والظلم والجهالة للخيانة والتقصير. قيل: إنه تعالى لما خلق هذه الأجرام خلق فيها فهما وقال لها: إني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن أطاعني فيها ونارًا لمن عصاني. فقلن: نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابًا ولا عقابًا. ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلومًا لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولاً بوخامة عاقبته. ولعل المراد بالأمانة العقل والتكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالإضافة إلى استعدادهن، وبإبائهن الإباء الطبيعي الذي هو عدم القابلية والاستعداد وبحمل الإنسان قابليته واستعداده لها، وكونه ظلومًا جهولاً

الأمانة على الجماد وإبائه وإشفاقه وإن كان أمرًا مستحيلاً في نفسه إلا أنه يصح فرضه وجعله مشبهًا به. والغرض من التشبيه تصوير عظم شأن الأمانة والعرض والإشفاق والإباء على حقائقها والحمل بمعنى الاحتمال والإلزام لرعاية حقها. **قوله: (وهذا وصف للجنس)** يعني أن التعريف في قوله تعالى: ﴿وحملها الإنسان﴾ تعريف الجنس وصح توصيف الجنس بوصف باعتبار وجوده في بعض أفراده فكيف إذا وجد في أكثر أفراده؟ واحتيج إلى هذا التوجيه لأن الصديقين والأبرار من بني آدم حاشاهم أن يكونوا ظلومًا جهولاً. **قوله: (وقيل الخ)** أي قيل: المراد بالأمانة الطاعة المجازية المتناولة لما يليق بالجمادات والمكلفين من الحيوانات، فينبغي أن يحمل العرض على معنى مجازي يصح تعلقه بالفاعل المختار وغيره وهو مجرد الاستدعاء وإرادة صدوره من غيره. ومعنى قوله: ﴿فأبين أن يحملنها﴾ ﴿وحملها الإنسان﴾ فأبين الخيانة فيها بأن لا يؤدينها أي ولم يؤدها إلى صاحبها ولم يخلص ذمته من عهدتها روي عن الحسن أنه قال: الكافر والمنافق حملها أي الأمانة أي خانا ولم يطيعا، ومن أطاع من النبيين والصديقين والمؤمنين فلا يقال فيه كان ظلومًا جهولاً، وتصديق ذلك ما بعده من قوله تعالى: ﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات﴾ الآية. **قوله: (وقيل إنه تعالى لما خلق هذه الأجرام الخ)** فعلى هذا القول يكون العرض تخييرًا لا إلزامًا والإباء لاختيار أحد الأمرين مخافة وخشية لا مخالفة ومعصية قالوا: إن كان هذا عرض تخيير فقد تركنا الثواب مخافة العقاب نطيعك ولا نعصيك طرفة عين طاعة طبيعية على حسب ما خلقنا عليه ولا نلتزم ما يشق علينا رعاية حقه. قال الحسن ومقاتل: قال الله تعالى لآدم أتحمل هذه الأمانة

لما غلب عليه من قوة الغضبية والشهوية. وعلى هذا يحسن أن يكون علة للحمل عليه فإن من فوائد العقل أن يكون ميهمنًا على القوتين حافظًا لها عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما. ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ تعليل للحمل من حيث إنه نتيجته كالتأديب للضرب في ضربته تأديبًا، وذكر التوبة في الوعد إشعار بأن كونهم ظلومًا جهولاً في جبلتهم لا يخليهم عن فرطات. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ حيث تاب على فرطاتهم وأثاب بالفوز على طاعاتهم. قال عليه الصلاة والسلام: «من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر».

وترعاها حق رعايتها؟ فقال آدم: وما لي عندك إن حملتها؟ قال: إن أحسنت وأطعت ورعيت الأمانة فلك الكرامة وحسن الثواب في الجنة وإن عصيت وأسأت فإني معذبك ومعاقبك. قال: قد رضيت وحملتها، فقال الله تعالى: قد حملتها. فلذلك قوله تعالى: ﴿وحملها الإنسان﴾ **وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: فما كان بين أن تحملها وبين أن أخرج من الجنة إلا قدر ما بين الظهر والعصر وكان ظلومًا لنفسه حين خالف أمر ربه جهولاً لا يدري ما العقاب عليه فيها. قوله:** (وعلى هذا يحسن أن يكون) **أي أن يكون ظلومًا جهولاً علة للحمل عليه، فإن الظاهر أن يكون قوله:** ﴿إنه كان ظلومًا جهولاً﴾ **استئنافًا لتعليل حمل الأمانة على الإنسان لا لبيان ما يتفرع على حمله. تم ما يتعلق بسورة الأحزاب والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده. والآن نشرع فيما يتعلق بسورة سبأ.**

سورة سبأ

مكية وقيل: ﴿إلا وقال الذين أوتوا العلم﴾ الآية
وآيها خمس وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ خلقًا ونعمة فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته. ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِى ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ لأن ما في الآخرة أيضًا كذلك وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فإن الوصف الذي يدل على أنه المنعم بالنعم الدنيوية قيد الحمد بها، وتقديم الصلة للاختصاص فإن النعم الدنيوية قد تكون

سورة سبأ
بسم الله الرحمـٰن الرحيم وبه ثقتي

قوله: (فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته) يعني أن الحمد يقع بإزاء الفضائل اللازمة لذات المحمود والفواضل المتعدية منه إلى الحامد، وأن اختصاص ما في السمٰوات وما في الأرض به تعالى خلقًا دليل على قدرته الباهرة، وأن اختصاص جميع ذلك به تعالى نعمة وصلة إلينا دليل على كثرة موائد إفضاله وإنعامه علينا، فظهر به أنه تعالى يستحق حمد جميع الحامدين استحقاقًا ذاتيًا ووصفيًا من جهة فضله الذاتي وإفضاله المتعدي. وتعريف الحمد سواء جعل للحقيقة أو للاستغراق ثم الحكم باختصاصه به تعالى يفيد اختصاص جميع أفراد الحمد به تعالى إذ لو ثبت شيء من أفراد الحمد لغيره تعالى للزم ثبوت جنس الحمد لذلك الغير في ضمن ذلك الفرد، وجميع أفراد الحمد مختص به تعالى في الحقيقة إذ ما من خير إلا وهو تعالى موليه بوسط أو بغير وسط كما قال تعالى: ﴿وَمَا

بواسطة من يستحق الحمد لأجلها. ولا كذلك نعم الآخرة. ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي أحكم أمور الدارين ﴿ٱلْخَبِيرُ ۝١﴾ ببواطن الأشياء. ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كالغيث ينفذ في موضع وينبع في آخر وكالكنوز والدفائن والأموات. ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ كالملائكة والكتب والمقادير والأرزاق والأنداء والصواعق. ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ كالملائكة وأعمال العباد والأبخرة والأدخنة ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها

بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] وحاصل قوله وليس هذا من عطف المقيد على المطلق أنه من عطف المقيد على المقيد وذلك لأنه تعالى لما عقب الحمد بما يدل على كمال قدرته وإفضاله علينا بالنعم الدنيوية عرف أنه المحمود على نعم الدنيا، ثم لما عطف عليه الحمد في الآخرة علم أنه أيضًا على النعمة ليتلاءم الكلام ولما قيد الحمد هناك بأن محله الآخرة علم أن الأول محله الدنيا كذلك أيضًا، فصار المعنى أنه المحمود على نعم الدنيا فيها وأنه المحمود على نعم الآخرة فيها. وقدم الحمد أولاً على الأصل فإن حق المبتدأ التقديم وأخره ثانيًا ليفيد الحصر، فإن الحمد في الآخرة ليس إلا له وأما في الدنيا فقد يحمد غيره تعالى لوصول نعمة الله تعالى إليه من يد ذلك الغير بخلاف الآخرة، فإن الملك والنعمة فيها ليس إلا له تعالى، فدل على هذا المعنى تقديم الخبر. والمعتزلة فرقوا بين الحمد الواقع في الدنيا والواقع في الآخرة بأن الحمد في الدنيا واجب لأنه على نعمة متفضل بها بخلاف الحمد في الآخرة فإنه ليس بواجب لكونه بمقابلة نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقها بناء على ما زعموا من أن ثواب المطيع واجب عليه تعالى، والجميل الذي يجب صدوره من الفاعل لا يجب الحمد عليه لأن الحمد لا يكون إلا على الجميل الاختياري. وعند أهل السنة: لا يجب عليه تعالى شيء لا في الدنيا ولا في الآخرة ويجب الحمد على المكلف في الدنيا لكون دار الدنيا دار التكليف ولا يجب في الآخرة لانقطاع التكليف فيها ومع ذلك فأهل الجنة يذكرون الله تعالى ويشكرونه ويعبدونه أكثر مما يعبدونه في الدنيا تلذذًا وابتهاجًا بذكره، وكيف لا وقد صار حالهم كحال الملائكة الذين قال تعالى في حقهم ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠] غاية ما في الباب أن العبادة ليست عليهم بتكليف بل هي حال سجية بمقتضى الطبع. **قوله**: (والفلزات) الفلز اسم جامع لجميع جواهر الأرض. **قوله تعالى**: (يعلم ما يلج) مستأنف لبيان كونه خبيرًا، فإن الخبير هو الذي يعلم عواقب الأمور وبواطنها والحكيم هو العالم الذي يفعل ما يناسب علمه ويكون فعله على وفق علمه وقدم ما يلج في الأرض على ما ينزل من السماء لأن الحبة تبذر أولاً ثم تسقى ولم يقل: وما يعرج إليها بدل قوله: «وما يعرج فيها» لأن كل واحد من الملائكة والأعمال ليس

أو في الآخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ إنكار لمجيئها أو استبطاء استهزاء بالوعد به. ﴿قُلْ بَلَىٰ﴾ رد لكلامهم وإثبات لما نفوه ﴿وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ تكرير لإيجابه مؤكدًا بالقسم مقررًا لوصف المقسم به بصفات تقرر إمكانه وتنفي استبعاده على ما مر غير مرة. وقرأ حمزة والكسائي «علام الغيب» للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس «عالم الغيب» بالرفع على أنه

منتهى عروجه نفس السماء بل ينفذ فيها ويصعد إلى أن يصل إلى منتهى صعوده فالملك يصعد إلى أن يصل إلى مقامه المعلوم، والعمل يصعد إلى محل الأعمال المقبولة، ولو قيل: ما يعرج إليها لفهم الوقوف عند السمٰوات فقال: «وما يعرج فيها» ليفهم نفوذه فيها وصعوده منها. ولهذا قيل في الكلم الطيب ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ **[فاطر: ١٠] لأنه تعالى هو المنتهى ولا مرتبة فوق الوصول إليه ثم قال:** ﴿وهو الرحيم الغفور﴾ **رحيم بعباده بإنزال ما ينزل من السماء من الملائكة والكتب والأرزاق وأنواع الخيرات والبركات مما يلج في الأرض وما يخرج منها، والغفور للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها حيث لا يعاجلهم بالعذاب بل يغفر لمن تاب منهم وأناب فهو المستحق للحمد بذلك أيضًا. فعلى هذا يكون المراد بالرحمة والمغفرة ما يكون في الدنيا منهما. ويحتمل أن يكون المراد بالرحمة سوابق النعمة أيضًا وبالمغفرة ما يكون في الآخرة. ثم إنه تعالى لما أثبت الدار الآخرة وحكم بأن الحمد فيها مختص به لاختصاص ما فيها من النعم به تعالى خلقًا ونعمة حكى مقالة من ينكر البعث والقيامة وهي ما روي عن مقاتل أنه قال: قال أبو سفيان لكفار مكة، واللات والعزى لا تأتينا الساعة أبدًا. فلما حلف قال الله تعالى لنبيه ﷺ:** ﴿قل بلى وربي لتأتينكم﴾ **أمره بأن يقسم بأغلظ الإيمان وهو الحلف بالله.**

قوله تعالى: (بلى) **جواب لقولهم «لا تأتينا» وما بعده قسم على ذلك الإيجاب وقوله: «لتأتينكم» تكرير لذلك الإيجاب حال كون ذلك الإيجاب مؤكدًا بالقسم وهو ظاهر ومقررًا باتباع المقسم به بذكر أوصافه الدالة على إمكان ما نفوه، فإن من كان عالمًا بجميع الأشياء يعلم أجزاء الأحياء ويقدر على جمعها فتلك الأوصاف تدل على كون الساعة ممكنة القيام وقد أخبر عنه الصادق فتكون واقعة لا لحالة فقوله تعالى:** ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة في السمٰوات ولا في الأرض﴾ **فيه لطيفة وهو أن الإنسان له جسم وروح والأجسام أجزاؤها في الأرض والأرواح في السماء فقوله:** ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة في السمٰوات﴾ **إشارة إلى إحاطة علمه بالأرواح وقوله:** ﴿ولا في الأرض﴾ **إشارة إلى إحاطة علمه بالأجزاء الجسيمة فإذا علم الأرواح والأشباح وقدر على جمعها انتفى استبعاد ما نفوه من البعث وإتيان الساعة أيضًا من جملة الوجوه الداعية لهم إلى استبعاد ذلك أنهم زعموا أن إحاطة العلم بتفاصيل**

خبر محذوف أو مبتدأ خبره. ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَٰوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ وقرأ الكسائي «لا يعزب» بالكسر ﴿وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾ جملة مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفي الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على «مثقال» والمفتوح على «ذرة» بأنه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف، لأن الاستثناء يمنعه اللهم إلا إذا جعل الضمير في «عنه» للغيب وجعل المثبت في اللوح خارجًا عنه لظهوره على المطالعين له، فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء إلا مسطورًا في اللوح.

أشخاص المكلفين عسير فكيف بتفاصيل أعمالهم من الخير والشر؟ وإذا كان العلم بتفاصيل الأعمال بعيدًا يكون إتيان الساعة أيضًا بعيدًا لأن إتيانها إنما يكون للمجازاة على حسب الأعمال، فأزيل هذا الاستبعاد أيضًا بوصف المقسم به بقوله تعالى: ﴿عالم الغيب﴾ إلى قوله: ﴿ليجزي الذين﴾ الآية، فإن المقسم به إنما يوصف بما يدل على حقيقة المقسم عليه ويزيل استبعاده. فإن قيل: كيف يصح التأكيد بقوله: ﴿وربي﴾ مع أنهم ينكرون وجود الرب، وإن كانوا يقولون به فإن المسألة الأصولية لا تثبت باليمين؟ أجيب بأنه لم يقتصر على اليمين بل ذكر الدليل وهو قوله: ﴿ليجزي الذين آمنوا﴾ الخ وبيان كونه دليلاً هو أن المسيء قد يبقى في الدنيا مدة مديدة في سعة العيش وسرور الليالي ويموت عليها والمحسن قد يعيش في الدنيا في الآلام الشديدة وضيق الحال إلى أن يموت فاقتضى ذلك أن تكون الدنيا دار التكليف وأن يكون بعدها دار أخرى للجزاء وإلا لجاز أن يكون المسيء أحسن حالاً من المحسن والتسوية بينهما خلاف مقتضى الحكمة فضلاً عن أن يكون العاصي أحسن حالاً.

قوله: (جملة مؤكدة لنفي العزوب) فإن ما هو أصغر من مثقال ذرة وما هو أكبر منه إذا كان معلومًا ومكتوبًا في اللوح يعلم منه أن ما هو مثقال ذرة معلوم أيضًا. وجمهور القراء على رفع «أصغر» و«أكبر» على أصل الابتداء فإن اسم «لا» مبتدأ في الأصل فيجوز إبقاؤه على أصل حاله بعد دخول لا عليه والخبر قوله: «إلا في كتاب». وقراءة الرفع وإن جاز كونها مبنية على كونهما معطوفين على فاعل «يعزب» بحسب الظاهر إلا أن قراءة الفتح تؤيد كونهما مرفوعين على الابتداء منقطعين عما قبلهما ليتحد مؤدى القراءتين. **قوله:** (ولا يجوز الخ) جواب عما يقال: لا نسلم أن القراءة بالفتح تؤيد ذلك لجواز كون المرفوع معطوفًا على مثقال والمفتوح على ذرة فيتحد مؤدى القراءتين أيضًا. **قوله:** (لأن الاستثناء يمنعه) وذلك لأن المعني يصير حينئذٍ عالم الغيب لا يعزب عنه أي عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، أو ولا مثقال أصغر من ذلك ولا مثقال أكبر منه على أن يعطف على «ذرة» «إلا في كتاب مبين» فإنه يعزب عنه فيه، وفساده ظاهر وهذا الفساد إنما

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ علة لقومه «لتأتينكم» وبيان لما يقتضي إتيانها. ﴿أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾ لا تعب فيه ولا من عليه. ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي آيَاتِنَا﴾ بالإبطال وتزهيد الناس فيها. ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ مسابقين كي يفوتونا. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين أي مثبطين عن الإيمان من أراده ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾ من سيىء العذاب ﴿أَلِيمٌ (٥)﴾ مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص. ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ ويعلم أولو العلم من الصحابة ومن شايعهم من الأمة أو من مسلمي أهل الكتاب. ﴿الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ القرآن

يلزم على تقدير أن يكون الضمير في عنه لعالم الغيب كما هو الظاهر وأما إذا جعل للغيب وجعل الغيب عبارة عما خفي على جميع الخلائق حتى على الملائكة وذلك إنما يكون قبل أن يكتب الأمر الخفي في اللوح لأنه إذا كتب فيه يكون له نوع بروز حيث يظهر لمن ينظر من الملائكة فحينئذٍ لا يلزم الفساد المذكور لأنه يصير المعنى لا يعزب عن الغيب أي لا ينفصل عنه شيء ولا يزول عنه إلا مسطورًا في اللوح ولا فساد فيه، لأن المثبت في اللوح عازب خارج عما خفي لأن ما أثبت فيه يظهر لمن نظر فيه. **قوله تعالى:** (**أولئك لهم مغفرة ورزق كريم**) استئناف لبيان الجزاء المدلول عليه بقوله: ﴿ليجزي الذين﴾ لما وصف من يستحق الجزاء بالإيمان والعمل الصالح بيّن أن جزاءهم أمران: المغفرة والرزق الكريم فالمغفرة جزاء الإيمان لأنه كفارة لما قبله والرزق الكريم جزاء العمل الصالح، فإن من عمل لسيد كريم عملاً فعند فراغه من العمل ينعم عليه السيد بمقتضى كرمه وصف الرزق بكونه كريمًا لأنه حسن خطير والكريم من كل شيء ما يكون جامعًا لمحاسن ذلك الشيء ولأنه يأتي من غير طلب وتعب في حصوله بخلاف الدنيا. **قوله:** (**بالإبطال وتزهيد الناس فيها**) المذكور مطلق السعي المتناول للسعي في إصلاح آيات الله تعالى وإفسادها بأن يقال في حقها إنها سحرًا وشعرًا وأساطير وصرف الناس عن التفكر فيها وقبول أحكامها إلا أن حمله على السعي بالإبطال والإفساد لأن سعيهم حال كونهم مسابقين معاجزين لا يكون إلا بأن يكون مقصودهم الإبطال والتزهيد، وأطلق المعاجزة على المسابقة لكون كل واحد من المسابقين في طلب إعجاز الآخر عن اللحوق به، والمسابقة مع الله تعالى وإن كانت مما لا يتصور إلا أن المكذبين بآيات الله تعالى لما قدروا في أنفسهم وطمعوا أن كيدهم في الإسلام يتم لهم وأن معاندتهم للحق تنفعهم شبهوا بمن يسابق الله تعالى بحسب زعمهم. والفرق بين قراءة «معاجزين» و«معجزين» أن المعاجزة والمسابقة متقدمة على التعجيز والسبق يقال: عاجزه أي سابقه فإذا سبقه قيل عجزه. **قوله:** (**من سيىء العذاب**) على أن الرجز سوء العذاب فتكون كلمة «من» لبيان جنس العذاب المذكور سابقًا كما في قولك: خاتم من فضة «واليم» في

﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ ومن رفع «الحق» جعل «هو» ضميرًا مبتدأ والحق خبره والجملة ثاني مفعولي «يرى» وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد بأولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات. وقيل: منصوب معطوف على «ليجزي» أي وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق عيانًا كما علموه الآن برهانًا ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال بعضهم لبعض: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ يعنون محمدًا عليه الصلاة والسلام ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ يحدثكم بأعجب الأعاجيب ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾﴾ إنكم تنشؤون خلقًا جديدًا بعد أن تمزق أجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابًا. وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه، وعامله محذوف دل عليه ما بعده فإن ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف إليه ومحجوب بينه وبينه من، وممزق يحتمل أن يكون مكانًا يعني إذا

قراءة الجمهور مجرور على أنه صفة رجز أكد به ما في الرجز من الشدة والفظاعة ومن رفعه جعله صفة لقوله: «عذاب» بيّن الله تعالى أولاً حال الذين آمنوا وعملوا الصالحات يوم تقوم الساعة، ثم بيّن حال من كذب بآيات الله تعالى وسعى في إبطالها، ثم بيّن جهالة المكذبين وفظاعتهم في الدنيا بقوله: ﴿ويرى الذين أوتوا العلم﴾ **الخ وقوله:** ﴿الذي أنزل والحق﴾ **هما مفعولان «ليرى» لأنها من رؤية القلب وقوله هو فصل ويسميه الكوفيون عمادًا، ومن رفع «الحق» جعل «هو» مبتدأ و«الحق» خبر والجملة في محل النصب على أنها مفعول ثانٍ «ليرى» و«من ربك» حال على القراءتين.**

قوله: (وهو مرفوع مستأنف) يعني أن قوله تعالى: «ويرى» مرفوع لكونه مجردًا من الناصب والجازم وهو كلام مستأنف غير معطوف على ما قبله، أخبر بذلك عنهم أنهم يعلمون أن القرآن حق وأنه يهدي إلى الصراط المستقيم فيقطعون بأن الساعة آتية لا ريب فيها ثم عطف عليه قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا﴾ **الآية فمحصول الآية أنه عليه الصلاة والسلام لما قال: «بلى وربي لتأتينكم» اعتقد المؤمنون بإتيانها وقالوا: القرآن هو الحق وهو يهدي وقال الكافر المنكر لإتيانها متعجبًا: هل ندلكم على رجل يخبركم بحشر الأموات بعدما تفرقت أجسادهم كل التفرق. قوله: (وعامله محذوف) يعني «إذًا» منصوب بمقدر أي تبعثون وتحشرون وقت تمزيقكم حذف لدلالة قوله:** ﴿إنكم لفي خلق جديد﴾ **عليه ولا يجوز أن يعمل فيه «ينبئكم» لأنه عليه الصلاة والسلام لم يخبرهم في ذلك الوقت ولا «مزقتم» لأنه مضاف إليه والمضاف إليه لا يعمل في المضاف ولا «خلق جديد» لأن ما بعد «إن» لا يعمل فيما قبلها والممزق كما يحتمل أن يكون مصدرًا ميميًا بمعنى التخريق والتقطيع يحتمل أيضًا أن يكون اسم مكان، فإن القياس فيما زاد على الثلاثي أن يجيء مصدره وزمانه ومكانه على**

مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتكم كل مطرح، وجديد بمعنى فاعل من جد فهو جديد كحد فهو حديد. وقيل: بمعنى مفعول من جد النساج الثوب إذا قطعه.

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم إياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه على أن بين الصدق والكذب واسطة. وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بيّن لأن الافتراء أخص من

وزن اسم المفعول. **قوله:** (وجديد بمعنى فاعل) وهو قول البصريين من جد الشيء يجد بالكسر جدة أي صار جديدًا وهو ضد الخلق، وقيل: بمعنى مفعول من جد الشيء يجده جدًا أي قطعه وثوب جديد أي مجدود. قال الكوفيون: أي قطعه الحائك أو الخياط الساعة وهذا القائل يقول: كان لفظ الجديد في الأصل لا يستعمل إلا في الثوب المقطوع عن قريب ثم عمّ في كل شيء ظهر عن قريب وإن لم يتأت فيه القطع كبناء جديد وفرس جديد واستدل على مذهبهم بقولهم: ملحفة جديد بغير تاء التأنيث قالوا: «ولولا» أنه بمعنى مفعول لوجب أن يقال «جديدة» لأن الفعيل بمعنى الفاعل يفرّق فيه بين المذكر والمؤنث بخلاف ما هو بمعنى المفعول. وأجابهم البصريون بأن ما هو بمعنى الفاعل قد يستوي فيه المذكر والمؤنث حملاً على ما هو بمعنى المفعول أو بتقدير موصوف مذكر كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]. **قوله:** (واستدل) يعني أن الجاحظ استدل على أن الخبر غير منحصر في الصادق والكاذب بل بينهما واسطة بأن منكري البعث حصروا قول النبي ﷺ: «أنكم إذا مزقتم» تبعثون في الافتراء والإخبار حال الجنة على سبيل منع الخلو، فظهر منه أن الإخبار حال الجنة ليس بكذب لأنهم جعلوه قسيمًا للافتراء الذي هو الكذب وليس بصدق أيضًا لأنهم غير معتقدين صدقه عليه الصلاة والسلام في هذا الإخبار فيكون واسطة بينهما. والمصنف أجاب عنه بأن كون الإخبار حال الجنة قسيمًا للافتراء لا يستلزم كونه قسيمًا مباينًا للكذب وإنما يلزم ذلك أن لو كان الافتراء بمعنى الكذب مطلقًا وليس كذلك بل الافتراء أخص من الكذب لأن الافتراء هو الكذب عن عمد وقسيم الخاص لا يلزم أن يكون قسيمًا للعام، فإن الخبر الكاذب وهو الذي لا يطابق الواقع قد يكون عن عمد وهو الافتراء وقد يكون عن غير عمد وهو خبر المجنون، فالذين أنكروا البعث بعد ما قطعوا بكذب خبر البعث حصروه في نوعي الخبر الكاذب وجعلوا أحد نوعيه قسيمًا للآخر، فدليل الجاحظ لا يثبت دعواه. وفسر الجاحظ الخبر الصادق بما يكون مطابقًا للواقع مع اعتقاد أنه مطابق وفسر الكاذب بما لا يكون مطابقًا مع اعتقاد أنه غير مطابق، وجعل الخبر المطابق مع اعتقاد عدم المطابقة أو بدون الاعتقاد أصلاً والخبر الغير المطابق مع اعتقاد المطابقة أو بدون الاعتقاد أصلاً واسطة بين الصادق والكاذب. وقوله: ﴿أفترى على الله كذبًا﴾ يحتمل أن

الكذب. ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ⁽٨⁾﴾ رد من الله تعالى عليهم ترديدهم وإثبات لهم ما هو أفظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه، وما هو مؤداه من العذاب وجعله رسيلاً له في الوقوع ومقدمًا عليه في اللفظ للمبالغة في استحقاقهم له. والبعيد في الأصل صفة الضال ووصف الضلال به على الإسناد المجازي ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله وما يحتمل فيه إزاحة

يكون من كلام السامع المجيب لمن قال: ﴿هل ندلكم﴾ وهمزة «أفترى» مفتوحة لكونها همزة الاستفهام وحذفت لأجلها همزة الوصل. **قوله:** (رد من الله تعالى عليهم ترديدهم) والمعنى ليس الأمر على ما زعموا من أن يكون مفتريًا أو يكون به جنون بل الذين لا يؤمنون بالآخرة أي بالبعث والثواب والعقاب في العذاب أي واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم إليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك غاية الجنون والحماقة. **قوله:** (وجعله رسيلاً له) أي جعل العذاب تابعًا مقارنًا للضلال حيث عطف أحدهما على الآخر بالواو المؤذنة بالاجتماع في الوقوع مع أن ضلالهم كائن في الدنيا والعذاب في الآخرة ومع ذلك قدمه على الضلال في اللفظ للمبالغة في استحقاقهم له. ورسيل الرجل الذي يراسله مراسلة في نضال أو غيره والمراد هنا مطلق الاتصال والمقارنة والبعد عن الحق في الأصل صفة الضال أسند إلى ضلاله للملابسة بينهما، ولما كان الضلال بعيدًا عن الحق كان الضال أبعد. ثم إنه تعالى لما ذكر ما يدل على إثبات الساعة من كونه عالم الغيب ومن اقتضاء حكمته أن يهيىء للمكلفين دار المجازاة ليجزي كل واحد من المحسن والمسيء على حسب عمله ذكر دليلاً آخر يتضمن التهديد والتوحيد فقال: ﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ أي إلى ما هو محيط بهم من جميع جوانبهم وهو السماء والأرض، فإن الإنسان أينما توجه وحيث ما نظر رأى السماء والأرض قدامه وخلفه وعن يمينه وشماله وهما يدلان على وحدانية الصانع وعلى كمال قدرته ومن قدر على خلقهما قدر على الحشر والإعادة لا محالة قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ﴾ [يٰس: ٨١] ثم هددهم بقوله: ﴿إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفًا من السماء﴾ كأنه قيل: إنهم حيث كانوا فإن أرضي وسمائي محيطة بهم وأني قادر عليهم إن شئت خسفت بهم أرضي وإن شئت أسقطت عليهم قطعة من سمائي ثم قال: ﴿إن في ذلك﴾ أي فيما ترون من السماء والأرض ﴿لآية﴾ تدل على قدرة الله تعالى على البعث وعلى ما يشاء من الخسف بهم ونحوه من وجوه القهر والإهلاك.

لاستحالتهم الإحياء حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديدًا عليها. والمعنى أعموا فلم ينظروا إلى ما أحاط بجوانبهم من السماء والأرض، ولم يتفكروا أهم أشد خلقًا أم هي وأنا إن نشأ نخسف بهم أو نسقط عليهم كسفًا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات، وقرأ حمزة والكسائي «يشأ» و«يخسف» و«يسقط» بالياء لقوله: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [سبأ: ٨] وحفص «كسفًا» بالتحريك. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ النظر والتفكر فيهما وما يدلان عليه ﴿لَآيَةً﴾ لدلالة ﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٩﴾ راجع إلى ربه فإنه يكون كثير التأمل في أمره.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ أي على سائر الأنبياء وهو ما ذكر بعد، أو على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن. ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ

قوله: (والمعنى أعموا فلم ينظروا) يريد أن الفاء في «أفلم يروا» للعطف على مقدر بعد الهمزة وأن قوله: «فلم يروا» معطوف على ذلك المقدر والتقدير كما ذكره فصح بذلك وجه الجمع بين الهمزة المقتضية لصدر الكلام والفاء المقتضية لتقدم المعطوف عليه. ثم إنه تعالى لما ذكر من ينيب من عباده ذكر منهم من أناب وأصاب ومن جملتهم داود عليه الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [صٓ: ٢٤] فبيّن ما آتاه على الإنابة فقال: ﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً﴾ وتنكير فضلاً للتعظيم كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ [النمل: ١٥] وأكد تعظيم الفضل بقوله: «منا» فإنه حال من قوله: «فضلاً» قدم عليه لكونه نكرة والفضل الذي آتاه الله إذا كان مما يخص به تعالى ويكون من عنده خاصة يكون فضلاً عظيمًا، وهو ما ذكر بعده من تسخير الجبال والطير وإلانة الحديد أو ما يعم النبوة والكتاب والملك وحسن الصوت ونحوه. وقوله: «يا جبال» محكي بقول مضمر، ثم إن شئت قدرت ذلك القول مصدرًا ويكون بدلاً من «فضلاً» على جهة تفسيره به كأنه قيل: آتيناه فضلاً قولنا يا جبال، وإن شئت قدرته فعلاً وحينئذٍ جاز لك أن تجعله بدلاً من «آتينا» أي آتينا قلنا يا جبال وأن تجعله مستأنفًا. وقوله تعالى: ﴿أوبي معه﴾ قرأه العامة بفتح الهمزة وتشديد الواو على أنه أمر من التأويب وهو الترجيع والترجيع ترديد الصوت والرجوع إلى الصوت الأول، ومنه الترجيع في الأذان. والتضعيف في أوبي ورجعي يحتمل أن يكون للتعدية وأن يكون للتكثير والمعنى: رجعي معه ما يأتي به من ذكر الله وتسبيحه. وكان داود عليه السلام إذا سبح سمع تسبيح الجبال وكان يعقل معناه معجزة له كما سمع الخطاب من الشجرة وعقل معناه أو كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وتسعده الجبال بأصدائها. وقرىء «أوبي» بضم الهمزة على أنه أمر من آب يؤوب إذا رجع أي ارجعي معه بالتسبيح كما رجع فيه ومآل القراءتين واحد لأن الجبال إذا رجعت معه ما يأتي به من التسبيح فقد رجع فيه، ومعنى تسبيح الجبال إما أن يخلق فيها صوت مثل صوته عليه الصلاة والسلام

﴿وَالطَّيْرَ﴾ رجعي معه التسبيح، أو النوحة على الذنب. وذلك إما بخلق صوت مثل صوته فيها أو بحملها إياه على التسبيح إذا تأمل ما فيها، أو سيري معه حيث سار. وقرىء «أوبي» من الأوب أي ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من «فضلاً» أو من «آتينا» بإضمار قولنا أو قلنا. ﴿وَأَلَنَّا﴾ عطف على محل الجبال. ويؤيده القراءة بالرفع عطفًا على لفظها تشبيهًا للحركة البنائية العارضة بحركة الإعراب أو على «فضلاً» أو مفعول معه «لأوبي». وعلى هذا يجوز أن يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان الأصل: ولقد آتينا داود منا فضلاً تأويب الجبال والطير، فبدل به هذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لأمره في نفاذ مشيئته فيها. ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ وجعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير إحماء وطرق بآلاته أو بقوته. ﴿أَنِ اعْمَلْ﴾ أمرناه أن اعمل.

أو يكون إسناد التسبيح إليها من قبيل إسناد الفعل إلى السبب الحامل. **قوله:** (أو سيري معه) عطف على قوله: «رجعي» قيل: قوله: «أوبي» من التأويب في السير وهو أن يسير النهار كله وينزل ليلاً فالمعنى: سيري معه حيث شاء. وفي التيسير: كانت الجبال تسير مع داود عليه الصلاة والسلام حيث شاء. **قوله:** (والطير عطف على محل الجبال) فإن عامة القراء نصبوا «والطير» عطفًا على محل «يا جبال» لأن كل منادى في موضع النصب أو على «فضلاً» بمعنى وسخرنا له الطير حكاه أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء وهو كقوله: علفتها تبنًا وماء باردًا بتقدير وسقيتها ماء باردًا. ويرد على جعله منصوبًا على أنه مفعول معه أنه كيف يجوز ذلك وقد ذكر قبله لفظة «معه» والعامل الواحد لا يقتضي أكثر من مفعول معه واحد إلا بالبدل أو بالعطف فلا يقال: جاء زيد مع بكر مع عمرو. **قوله:** (وعلى هذا) أي على جواز كونه مفعولاً معه يجوز أن يكون ارتفاع «والطير» بناء على عطفه على ضمير «أوبي» والتقدير: أوبي معه أنت والطير كقوله تعالى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ [المائدة: ٢٤] إلا أن المرفوع المتصل في «أوبي» لم يؤكد بمنفصل استغناء عنه بالفصل بينه وبين المعطوف بالظرف. **قوله:** (وكان الأصل) يعني لما كان قوله تعالى: ﴿يا جبال أوبي معه﴾ بدلاً من «فضلاً» أو من «آتينا» بإضمار القول كان ظاهر أن يقال: لا يؤتى بصورة النداء أو لا يحتاج إلى الإضمار، إلا أنه أوثر هذا النظم لما فيه من فخامة أمر التأويب فإن التصدير بالنداء يدل على أن ما يذكر بعده أمر مهم يعتني بشأنه. ومن الدلالة على عظمة شأنه تعالى قوله تعالى: ﴿وألنا﴾ عطف على «آتينا» وجوز أن يكون كلمة «أن» في قوله تعالى: ﴿أن اعمل﴾ مفسرة ومصدرية ولما كان من شرط المفسرة أن يتقدمها ما هو بمعنى القول ولم يتقدم هنا إلا قوله: «ألنا» قدر ما هو بمعنى القول أي وأمرناه أن اعمل، وإن كانت مصدرية كان الكلام مبنيًا على حذف حرف

و«أن» مفسرة أو مصدرية ﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾ دروعًا واسعات. وقرىء «صابغات» وهو أول من اتخذها. ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها أو قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقًا فتقلق ولا غلاظًا فتخرق. ورد بأن دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله: ﴿وألنا له الحديد﴾ ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ الضمير فيه لداود عليه السلام وأهله. ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ فأجازيكم عليه.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ أي وسخرنا له الريح. وقرأ أبو بكر «الريح» بالرفع أي ولسليمان الريح مسخرة. وقرىء «الرياح» ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك. وقرىء «غدوتها» و«روحتها». ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾

الجر المتعلق بألنا وكان المعنى: ألنا له ذلك لا يعمل دروعًا سابغات، وأسند الفعل إلى المخاطب نظرًا إلى جانب المعنى. **قوله:** (**وهو أول من اتخذها**) وكانت قبله الصفائح فحصل بصنعتها شيئان: لين الكسر وخفة الحمل. قيل: كان داود عليه الصلاة والسلام يفرغ من صنعة درع في نصف يوم أو نصف ليلة ويبيعها بألف درهم. وقيل: بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعلى عياله قدر ما يكفيهم ويتصدق بالفضل.

قوله: (**وقدر في نسجها**) يعني أن السرد نسج الدرع وهو في الأصل متابعة الشيء الشيء، ومنه سرد الحديث: إذا تابعه. ولما بيّن تعالى ما آتاه داود على إنابته بيّن ما آتاه سليمان عليه الصلاة السلام على إنابته فإنه أيضًا من جملة من أناب لقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [صٓ: ٣٤]. **قوله:** (**أي ولسليمان الريح مسخرة**) فإن قيل: فعلى هذا يلزم عطف الجملة الاسمية على الفعلية وهو لا يجوز أو لا يحسن، و«لسليمان الريح» عطف على قوله: «وألنا له الحديد»، وإلانة الريح عبارة عن تسخيرها. قلنا: لا يلزم كونها معطوفة على الفعلية المذكورة قبلها لجواز كونها معطوفة على اسمية مقدرة دلت عليها تلك الفعلية، فإنه لما بيّن حال داود فكأنه قيل: ما ذكرنا لداود ولسليمان الريح فإنها كانت له كالمملوك المختص بالمالك يأمرها بما يريد ويسير عليها إلى حيث يريد، ولما سجت الجبال وشرفت بذكر الله تعالى لم يضفها إلى داود بلام الملك بل جعلها معه كالصاحب فقال: يا جبال أوبي معه والريح لما لم يذكر فيها أنها سجت جعلها كالمملوك له فقال: ﴿ولسليمان الريح﴾ وأيضًا كان داود عليه السلام أصلاً في التأويب وكانت الجبال تابعة له في التأويب فقيل: ﴿أوبي معه﴾ والريح لما لم تكن حركتها تابعة لحركة سليمان بل كانت تتحرك بنفسها بل تحمل سليمان وجنوده على تحريكهم بحركة نفسها لم يكن وجه لأن يقال: والريح مع سليمان لأنه عليه الصلاة والسلام كان مع الريح. **قوله:** (**جريها بالغداة مسيرة شهر**) يعني أن الغدو مصدر قولك: غدا زيد يفعل كذا يغدو غدوًا إذا فعله وقت الغداة، وهي اسم الوقت من

النحاس المذاب أساله من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينًا وكان ذلك باليمن. ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ عطف على الريح و«من الجن» حال مقدمة أو جملة من مبتدأ وخبر. ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ بأمره ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ﴾ ومن يعدل منهم. ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ عما أمرناه من طاعة سليمان. وقرىء «يزغ» من أزاغه ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ عذاب الآخرة.

طلوع الصبح إلى زوال الشمس، وفعل الريح في هذا الوقت جريها بسليمان وجنوده على البساط فصار قوله تعالى: ﴿غدوها﴾ بمعنى جريها بالغداة وهو مبتدأ و«شهر» خبره ولما لم يصح حمل الوقت على الجري احتيج إلى تقدير المضاف في جانب الخبر فقيل: مسيرة شهر وهي مصدر ميمي بمعنى السير ليصح حملها على الجري لأنها لو جعلت مكانًا أو زمانًا لما صح الحمل، وكذا الرواح مصدر قولك: راح يروح رواحًا أي فعل وقت العشي وهو من زوال الشمس إلى الليل والمعنى: وجريها بسليمان وجنوده مسيرة شهر. والجملة الاسمية إما مستأنفة لبيان وجه التسخير أو حال من الريح كانت الريح تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين. عن الحسن أنه قال: كان سليمان عليه الصلاة والسلام يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع، ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل الهند وبينهما أيضًا مسيرة شهر. وقيل: كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند. ويحكى أنه وجد مكتوبًا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب سليمان عليه الصلاة والسلام: نحن نزلناه وما بيننا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام إن شاء الله.
قوله: (النحاس المذاب) يعني أن القطر النحاس المذاب من القطران، وأراد بعين القطر معدن النحاس ولو أريد به العين السائلة لما صح أن يتعلق به الإسالة لأنها لا تتعلق بالسائل فوجب أن يراد بعين القطر معدن النحاس، ولما كان مآل المعدن إلى السيلان وإن كان في نفسه جامدًا قبل الإسالة سماه عينًا باعتبار ما آل إليه أمره. وهذا معنى قوله: «ولذلك سماه» أي سمى المعدن «عينًا» وهو جامد لكون ينبوعه كينبوع الماء متفرعًا على إسالة الله تعالى إياه. وأسال الله تعالى له معدن النحاس من غير معالجة بالنار كما ألان الحديد لداود معجزة لهما قيل: أجريت له ثلاثة أيام ولياليهن كجري الماء ولذا لم يعمل الناس اليوم بما أعطى سليمان، وقيل: كانت تسيل من كل شهر ثلاثة أيام. **قوله**: (بأمره) أي بأن سخرها له وأمرها بطاعته فهذا الأمر مصدر مضاف إلى فاعله وفي قوله: ﴿عن أمرنا﴾ بمعنى المأمور به وهو طاعة سليمان. **قوله**: (وقرىء يزغ) أي بضم الياء وكسر الزاي على بناء الفاعل من أزاغه بمعنى أماله، فيكون مفعوله محذوفًا أي ومن يزغ نفسه. هذا هو المفهوم من تعبير المصنف. ووجدت في بعض التفاسير وقرىء «يزغ» على بناء المفعول من أزاغه والله أعلم. و«من» في

﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بها لأنها يذب عنها ويحارب عليها. ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ وصورًا وتماثيل للملائكة والأنبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم، وحرمة التصاوير شرع مجدد. روي أنهم عملوا أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما، وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما. ﴿وَجِفَانٖ﴾ وصحاف ﴿كَٱلۡجَوَابِ﴾ كالخياض الكبار. جمع جابية من الجباية وهي من الصفات الغالبة كالدابة. ﴿وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ﴾ ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لعظمها. ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ حكاية لما قيل لهم. و«شكرًا» نصب على العلة أي اعملوا له واعبدوه شكرًا، أو المصدر لأن

قوله تعالى: ﴿من عذاب السعير﴾ لابتداء الغاية أو للتبعيض وفسر عذاب السعير بعذاب الآخرة لأنه هو المتبادر من العبارة وأنهم مكلفون كبني آدم وقيل: هو عذاب الدنيا. وروي عن السدي أنه قال: إن الله تعالى وكل بهم ملكًا بيده سوط من نار فمن زاغ عن طاعة سليمان ضربه ضربة أحرقته. **قوله: (قصور حصينة)** وكان مما عملوا له بيت المقدس ابتداه داود ورفعه قامة رجل فأوحى الله تعالى إليه أني لم أقض إتمام ذلك على يديك ولكن ابن لك اسمه سليمان أقضي إتمامه على يده، فلما توفاه الله تعالى واستخلف سليمان أتمه بأيدي الجن والشياطين. **قوله: (على ما اعتادوا)** متعلق بمحذوف منصوب على أنه حال من الملائكة والأنبياء.

قوله: (وصحاف) جمع صحفة وهي الإناء من جنس القصعة. قال الكسائي: أعظم القصاع الجفنة، ثم القصعة تليها تشبع العشرة، ثم الصحفة تشبع الخمسة، ثم الميكلة تشبع الرجلين والثلاثة، ثم الصحيفة تشبع الرجل. والجوابي جمع جابية كضاربة وضوارب. والجابية الحوض العظيم من جبي الماء إذا جمعه سميت بذلك لأنها يجبى إليها الماء أي يجمع وإسناد الفعل إليها مجاز لأنه يجبى فيها فقوله: ﴿وجفان﴾ أي وقصاع في العظم كحياض الإبل يجتمع على القصعة الواحدة ألف رجل يأكلون منها. **قوله: (لا تنزل عنها لعظمها)** قيل: كان يضع في كل قدر ألف شاة وكان يصعد إليها بنصب السلالم وكان ذلك باليمن. **قوله: (حكاية لما قيل لهم)** أي محمول على إضمار القول أي قلنا لهم: اعملوا بطاعة الله تعالى شكرًا على نعمه وذلك لأن أمرهم به ليس في زمان نزول الوحي لرسول الله عليه الصلاة والسلام، وذكر لانتصاب شكرًا خمسة أوجه: الأول أنه مفعول له لا عملوا، والثاني أنه مصدر على غير لفظ الفعل من حيث إن العمل هو الشكر له، والثالث أنه صفة لمصدر اعملوا تقديره: اعملوا عملاً شكرًا أي ذا شكر، والرابع أنه مصدر واقع موقع الحال أي اعملوا شاكرين، والخامس أنه مفعول به لقوله اعملوا أي اعملوا الشكر الذي هو الطاعة

العمل له شكر أو الوصف له أو الحال أو المفعول به. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣﴾ المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه في أكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه، لأن توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكرًا آخر لا إلى نهاية، ولذلك قيل: الشكور من يرى عجزه عن الشكر. ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ أي على سليمان ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ﴾ ما دل الجن وقيل: آله. ﴿إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ أي الأرضة أضيفت إلى فعلها. وقرىء بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها. يقال: أرضت الأرضة الخشبة أرضًا فأرضت أرضًا مثل أكلت القوادح الأسنان أكلاً فأكلت أكلاً. ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ عصاه

لله تعالى فيما أمر به ونهى عنه، ويجوز أن يكون منصوبًا بفعل مقدر من لفظه أي واشكروا شكرًا. **قوله تعالى: (وقليل)** خبر مقدم «ومن عبادي» صفة له و«الشكر» مبتدأ والمعنى: إن العامل بطاعتي شكرًا لنعمتي قليل من عبادي، والشكور صيغة مبالغة وقوله المتوفر إلى قوله أكثر أوقاته صفة كاشفة له وأكثر أوقاته ظرف المتوفر وبعد ما كشف مفهومه وفضله قال: ومع ذلك لا يوفى حقه.

قوله: (وقيل آله) يعني ضمير «دلهم» قيل: إنه لآل سليمان. روي أن داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه الصلاة والسلام فمات قبل أن يتمه؛ فأمر سليمان بإتمامه فشرع فيه بعد ما مضى من ملكه أربع سنين وأمر الشياطين بذلك فلما بقي عمارة سنة دنا أجله فدعا الله تعالى أن يعمي عليهم موته حتى يفرغوا من بنائه، وكان عمره ثلاثًا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وعاش في ملكه أربعين سنة. وقيل: كانت الشياطين تدعي أنهم يعلمون الغيب وكانوا يسترقون السمع، وزعم بعض الناس من الجهلة أنهم يعلمون الغيب كما يدعون فأخفى الله تعالى بدعاء سليمان موته على الشياطين ليعلموا أنهم ليسوا في شيء من علم الغيب فجاء ملك الموت وكان قائمًا في محرابه متكئًا على عصي فقال: أمهلني حتى أوصي إلى أهلي فقال: لا زمان فقال: اتركني حتى أجلس قال: وكذلك أمرت. فقبض روحه على حاله فلما مات مكث قائمًا على عصاه حولاً ميتًا والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة التي كانوا يعملونها في حياته لا يشعرون بموته حتى أكلت الأرضة عصاه فخر ميتًا، فعلموا بموته فأرادوا أن يشعروا وقت موته فوضعوا أرضة على عصا فأكلت منها مقدارًا في يوم وليلة فحسبوا على ذلك النحو فعلموا بموته منذ سنة. فذلك قوله تعالى: ﴿ما دلهم على موته إلا دابة الأرض﴾ وهي السرفة التي تأكل الخشب والأرض فعلها أعني أكلها الخشبة فأضيفت إلى فعلها يقال: أرضت الأرضة أي السرفة الخشب أرضًا فهو مأروض أي مأكول. وقرىء «الأرض» بفتح الراء من أرضت الخشبة بالكسر إرضًا فهو من باب فعلته ففعل كقولك:

من نسأت البعير إذا طردته لأنها يطرد بها. وقرىء بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبًا وحذفًا على غير قياس، إذ القياس إخراجها بين بين. وقرىء نافع وأبو عمرو «منساءته» على مفعالة كميضاءة في ميضأة و«من سأته» أي طرف عصاه مشتقاً من سأة القوس وفيه لغتان كما في قحة وقحة. ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ علمت الجن بعد التباس الأمر عليهم. ﴿أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ أنهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حيثما وقع فلم يلبثوا بعده حولاً في تسخيره إلى أن خرّ أو ظهرت الجن. و«إن» بما في حيزه بدل منه أي ظهر أن الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب، وذلك أن داود أسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه الصلاة والسلام فمات قبل تمامه فوصى به إلى سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد إذ دنا أجله فأعلم به. فأراد أن يعمي عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه

أكلت القوادحَ الأسنان أكلاً فأكلت أكلاً. **قوله:** (**وقرىء بفتح الميم**) قرأ نافع وأبو عمرو «منساته» بألف ساكنة بدل من الهمزة والجمهور بهمزة مفتوحة كالمكبحة والمكنسة. وقرىء «منساته» بفتح الميم مع تخفيف الهمزة وإبدالها ألفًا وحذفها تخفيفًا. وقرىء «منساءته» على وزن مفعالته كما يقال في ميضأة ميضاءة وهي المطهرة التي يتوضأ بها، وكلها لغات. وأنشد على الإبدال والحذف:

إذا دببت على المنساة من كبر فقد تباعد عنك اللهو والغزل

قوله: (**ومن ساته**) بفصل كلمة «من» على أنها حرف جر و«إن سأته» مجرورة بها. والسأة والسئة هنا العصا وهما في الأصل ما عطف من طرفي القوس سميت العصا سأة على وجه الاستعارة. ووجه ذلك كما جاء في التفسير أنه عليه الصلاة والسلام اتكأ على عصا خضراء من خروب والعصا الخضراء متى اتكىء عليها تصير كالقوس في الاعوجاج غالبًا. وفي سئة القوس لغتان: كسر الفاء وفتحها نحو قحة وقحة يقال: وقح الرجل بضم القاف إذا صار قليل الحياء قحة بفتح القاف وكسرها، والهاء عوض عن الواو المحذوفة من سئة القوس وزنها فعة والهاء عوض عن اللام، واختلف فيها أهي واو أم ياء. وقيل: كان رؤبة يهمز سية القوس وسائر العرب لا تهمز.

قوله: (**أو ظهرت الجن**) عطف على قوله: «علمت الجن» يعني أن تبين يحتمل أن يكون متعديًا من تبينت الشيء إذا عرفته معرفة جلية بعد التباس الأمر وأن يكون لازمًا من تبين الشيء إذا ظهر، والمعنى: ظهرت حال الجن أنهم لو كانوا يعلمون الغيب لعلموا بموته عليه الصلاة والسلام حين وقع وما تكلفوا تلك المشاق، وأن «هذه» مع صلتها بدل اشتمال

صرحًا من قوارير ليس فيه باب فقام يصلي متكئًا على عصاه، فقبض روحه وهو متكىء عليها فبقي كذلك حتى أكلتها الأرضة فخر ثم فتحوا عنه. وأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت يومًا وليلة مقدارًا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة. وكان عمره ثلاثًا وخمسين سنة، وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وابتدأ عمارة بيت المقدس لأربع مضين من ملكه.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ لأولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومنع الصرف عنه ابن كثير وأبو عمرو لأنه صار اسم القبيلة. وعن ابن كثير قلب همزته ألفًا ولعله أخرجه بين بين فلم يؤده الراوي كما وجب. ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ في مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث. وقرأ حمزة وحفص بالإفراد والفتح والكسائي بالكسر حملاً على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع. ﴿ءَايَةٌ﴾ علامة دالة على وجود الصانع المختار، وأنه قادر على ما يشاء من الأمور العجيبة مجاز

من الجن كقولك: تبين زيد جهله. والظهور للجهل في المعنى. ثم إنه تعالى لما بيّن حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام بيّن حال الكافرين لها لحكاية قصة أهل سبأ فقال: ﴿لقد كان لسبأ﴾ صرفه الجمهور أي قرؤوه بالجر والتنوين على أنه اسم حي أو رجل وهو عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وقرأ البزي وأبو عمرو «لسبأ» بفتح الهمزة من غير تنوين على أنه اسم القبيلة سئل رسول الله ﷺ عن سبأ ما هو أكان رجلاً أم امرأة أم أرضًا؟ قال: «بل هو رجل من العرب ولد عشرة من الولد فسكن اليمن منهم ستة والشام منهم أربعة». فأما الذين تيامنوا فالأزد وكندة ومذحج على وزن مسجد والأشعرون وحمير وأنمار ومنهم خثعم وبجيلة، وأما الذين تشاءموا فعاملة وغسان ولخم وجذام ولما هلكت أموالهم وخربت بلادهم تفرقوا في غور البلاد ونجدها أيدي سبأ شذر مذر، ولذلك قيل: لكل متفرقين بعد الاجتماع: تفرقوا أيدي سبأ، فنزلت طوائف منهم الحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة ومنهم الأوس والخزرج نزلوا بيثرب فكانوا أول من سكنها، ثم نزل عندهم ثلاث قبائل من اليهود: بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير فحالفوا الأوس والخزرج وأقاموا عندهم ونزلت طوائف أخر منهم الشام وهم الذين تصرفوا فيها بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبأ مجمع هذه القبائل كلها. **قوله**: (ولعله أخرجه بين بين) فإنه هو الأصل في تليين الهمزة التي تحرك ما قبلها. **قوله**: (وقرأ حمزة وحفص) في مسكنهم بفتح الكاف مفردًا والكسائي كذلك إلا أنه كسر الكاف، والباقون مساكنهم على لفظ الجمع أما الإفراد فلعدم اللبس في أن المراد الجمع كقوله:

كلوا من بعض بطنكمو تعفوا

للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان. ﴿جَنَّتَانِ﴾ بدل من «آية» أو خبر محذوف وتقديره: الآية جنتان. وقرىء بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله

والقياس فتح الكاف لأن الفعل متى ضمت عين مضارعه أو فتحت يجيء الزمان والمكان والمصدر منه على مفعل بفتح العين والكسر مسموع على غير القياس والمسكن ههنا موضع السكون، وأما الجمع فهو الظاهر لأن كل واحد منهم له مسكن على حدة. ورسم مسكنهم في المصاحف بدون ألف بعد الكاف فلذلك احتمل القراءات المذكورة. **قوله**: (بدل من آية) وهي اسم كان قدم عليه خبره أبدل المثنى من المفرد بيانًا له وتفسيرًا بناء على أن البدل على تقدير المضاف أي لقد كان لهم آية قصة جنتين وإلا لكان الظاهر أن يقال: آيتان جنتان، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] فإن الظاهر أن يقال: آيتين إلا أنه أفرد آية لكون المعنى: وجعلنا أمرهما وحالهما آية وهي ولادتها إياه من غير أن يمسها بشر، على أن الجنتين المحيطتين بمسكنهم آية واحدة في نفسها دالة على وجود الصانع وعلى كونه قادراً على ما يشاء من الأمور العجيبة الخارجة عن وسع البشر، فلما كان المفرد المذكور صادقًا على هذا المثنى صح إبدالهما منه على سبيل البيان والتفسير. وقوله: «معاضدة» صفة ثانية لقوله: «علامة» أشار به إلى وجه مناسبة قصة سبأ لقصتي داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام، وهو أن في قصتهما دلالة على وجود الصانع وكمال قدرته وأنه مجاز للمحسن والمسيء حيث جازى كل واحد منهما بما يخصه من الفضل العظيم وقال فيمن يزيغ منهم عما أمر الله تعالى من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير، وكذا في قصة سبأ دلالة على وجود الصانع وكمال قدرته لأن ما أعطاهم من أنواع الشجر وألوان الثمر خارج عن وسع البشر. وفيها أيضًا دلالة على أنه تعالى مجاز للمحسن والمسيء حيث كلفهم شكر ما أنعم عليهم من جلائل النعم ليزيد عليهم من فضله، ثم قال: ﴿فأعرضوا﴾ وعما كلفوا به من الشكر ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ فالعلامة التي اشتملت عليها هذه القصة معاضدة للبرهان السابق لمدلول عليه بقصتهما ذكر الله تعالى هذه القصة لمشركي العرب تحذيرًا لهم من أن ينزل بهم بشؤم شركهم وسوء أفعالهم ما نزل بأولئك على كثرتهم وقوتهم. **قوله**: (والمراد جماعتان) جواب عما يقال: كيف عظم الله تعالى جنتي أهل سبأ وجعلهما آية دالة على ما ذكر مع أن المسكن المتوسط بين جنتين كثير في الدنيا؟ وتقرير الجواب أن ما ذكرت إنما يرد أن لو كان المراد بستانين اثنين فحسب وليس كذلك بل المراد جماعتان من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شماله سميت كل جماعة منها جنة لكونها في تقاربها وتضامها كأنها جنة

كل واحدة منهما في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة أو بستانًا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله. ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ﴾ حكاية لما قال لهم نبيهم أو لسان الحال أو دلالة بأنهم كانوا أحقاء بأن يقال لهم ذلك. ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ استئناف للدلالة على موجب الشكر أي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره. وقرىء «الكل» بالنصب على المدح قيل: كانت أخصب البلاد وأطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة.

﴿فَأَعْرَضُوا۟﴾ عن الشكر. ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ سيل الأمر العرم أي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم إذا شرس خلقه وصعب، أو المطر الشديد

واحدة. **قوله:** (أو بستانًا كل رجل) عطف على قوله: «جماعتان». ويجوز أن يكون المراد بستانين اثنين وتعظيمهما من حيث إن مسكن كل رجل متوسط بينهما وكون جميع المساكن هكذا حالة عظيمة. **قوله:** (أو دلالة بأنهم كانوا أحقاء بأن يقال لهم ذلك) عطف على قوله: «حكاية» لما لم يكن الأمر المذكور واقعًا في زمان نزول الوحي على نبينا عليه الصلاة والسلام وجب جعله محكيًا بقول مضمر ومقولاً بلسان من بعث إليهم من الأنبياء أو بلسان الحال، أو جعله منزلاً منزلة الوحي المحكي المقول لهم من حيث كونهم أحقاء بأن يقال لهم ذلك، فكأنه قيل لهم ذلك فجيء بالجملة كما يجاء بها بعد القول.

قوله: (استئناف) فكأنه قيل: واشكروا له فإن بلدتكم بلدة طيبة وربكم إن شكرتموه فيما رزقكم رب غفور، فارتفاع كل واحد من «بلدة» و «رب» على أنه خبر محذوف. كانت بلدتهم أخصب البلاد وأطيبها حيث كانت المرأة تخرج فتحمل مكتلها على رأسها وتمر بين تلك الأشجار فيمتلىء مكتلها من ألوان الفاكهة من غير أن تمس شيئًا بيدها، وطيبها أنه لم يكن فيها عاهة كالوباء والحمى وغيرهما من الأمراض المتفرعة على وخامة الهواء ولا هامة وهي واحدة الهوام المؤذية. قيل: لم ير ببلدتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب، وكان الرجل الغريب يمر ببلدتهم وفي ثيابه القمل فيموت القمل كله من طيب الهواء فذلك قوله تعالى: ﴿بلدة طيبة﴾ أي طيبة الهواء. **قوله تعالى:** (فأعرضوا) أي عن القيام بما وجب عليهم من شكر نعم الله تعالى وكذبوا رسلهم. قال وهب: أرسل الله تعالى إلى سبأ ثلاثة عشر نبيًا فدعوهم إلى الله تعالى وذكروهم نعم الله تعالى عليهم وأنذروهم عقابه، فقالوا: ما نعرف لله عز وجل علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعم عنا إن استطاع، فانتقم الله تعالى منهم بأن أرسل عليهم سيلاً غرق أموالهم وخرب ديارهم. **قوله:** (سيل الأمر العرم) على أن يكون العرم صفة مشبهة من العرام وهي الشدة والصعوبة يقال: عرم

أو الجرذ أضاف إليه السيل لأنه ثقب عليه سكرًا. ضربته لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه، على مقدار ما يحتاجون إليه، أو المسناة التي عقدت سكرًا على

فلان فهو عارم وعرم إذا ساء خلقه وصعب ولما كان إضافة السيل إلى العرم من قبيل إضافة الموصوف إلى صفته، إذ الأصل السيل العرم، احتيج إلى التأويل المعتبر في هذا الباب وهو أن يحمل الكلام على حذف الموصوف وإقامة صفته مقامه فقولهم: مسجد الجامع مثلاً تقديره: مسجد الوقت الجامع، فكذا سيل العرم أصله سيل المطر العرم أو الأمر العرم، وجعل قوله: «أو المطر الشديد» وجهًا آخر بناء على أنه لم يعتبر فيه كون السيل موصوفًا بكونه عرمًا وأن إضافته إليه من قبيل إضافة الموصوف إلى صفته ليحتاج إلى التأويل بل جعلها مثلاً مبتدأ من باب حذف الموصوف وإقامة صفته مقامه. **قوله:** (أو الجرذ) أي قيل: العرم اسم للجرذ وهو بضم الجيم وفتح الراء والذال ضرب من الفأر أعمى والجمع الجرذان ويقال له الخلد أيضًا، وإقامته عند حجره لعماه وإضافة السيل إليه من قبيل إضافة المسبب إلى سببه فإنه كان سببًا لخراب السكر وانقلاب الماء المحتبس وراء السكر عليهم، وذلك أن أهل سبأ كانوا يقتتلون على واديهم عند احتياجهم إلى سقي بساتينهم فسدت لهم بلقيس الملكة ما بين الجبلين بالصخور والقير فحبست بذلك السد ماء العيون والأمطار وجعلت لهم أبوابًا ثلاثة بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة عظيمة وجعلت فيها اثني عشر مخرجًا على عدد أنهارهم إلى أراضيهم وبساتينهم يفتحونها إذا احتاجوا إلى الماء وإذا استغنوا سدوها، فإذا جاء المطر اجتمع إليه ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فاجتمع فيه إلى أنصار كالبحر فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه في البركة فكانوا يسقون من الباب الأعلى إلى أن يتسفل الماء عنه ثم من الباب الثاني ثم من الثالث الأسفل، فلا ينفد الماء إلى أن ينقطع احتياجهم إلى سقي الأراضي ثم يجتمع فيه الماء أوان الشتاء فيصير كالبحر أيضًا فيسقون منه في السنة المقبلة كما سقوا في السنة الماضية، فكانت تقسم الماء بينهم على هذا الوجه في كل سنة فبقوا على ذلك بعدها مدة، فلما طغوا نقب الجرذ السكر بسببه وانقلب البحر عليهم فغرق بلادهم ودفن الرمل بيوتهم ومنازلهم وتفرقوا في البلدان أيدي سبأ. **قوله:** **(فحقنت به)** أي منعت من أن يسيل ماء الشجر وهو ساحل البحر بين عمان وعدن. **قوله:** **(أو المسناة)** أي ويحتمل أن يكون المراد بالعرم نفس البناء الذي يجعل سدًا قال البغوي: العرم جمع عرمة وهي السكر الذي يحبس الماء أضيف السيل إلى العرم للملابسة بينهما من حيث إن السيل إنما انبسط وغلب على أراضيهم وخرب ديارهم بخراب العرم. وفسر الجوهري كل واحد من المسناة والعرم بالآخر. ثم إنه تعالى بيّن دوام خراب بلادهم بعطف قوله: ﴿وبدلناهم بجنتيهم جنتين﴾ على قوله: ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ فإن الرمل إذا

أنه جمع عرمة وهي الحجارة المركومة. وقيل: اسم واد جاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ مر بشع فإن الخمط كل نبت أخذ طعمًا من مرارة. وقيل: الأراك أو كل شجر لا شوك له والتقدير أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه في كونه بدلاً أو عطف بيان. وقرأ أبو عمرو أكل خمط بالإضافة. ﴿وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾ معطوفان على أكل لا على خمط، فإن الأثل هو الطرفاء ولا ثمر له. وقرئا بالنصب عطفًا على «جنتين» ووصف السدر بالقلة فإن جناه وهو النبق مما يطيب أكله ولذلك يغرس في البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم.

دفن بيوت الناس وبساتينهم وآيس أصحابها من عمارتها وتركوها على حالها نبتت فيها الأشجار الخبيثة بدل ما كان فيها من الفواكه الطيبة الحاصلة بسبب العمارة وقد تقرر أن المجرور بالباء الواقعة بعد فعل التبديل هو الخارج من اليد والمنصوب هو الداخل، وسمي ما كان بدلاً من الخارج جنة على طريق المشاكلة تهكمًا بهم. قوله: (مر بشع) أي كريه الطعم يأخذ بالحلق فلا يمكن أكله. فسر الخمط بثلاثة أوجه: الأول ما ذكره الزجاج وهو أنه كل نبت أخذ طعمًا من مرارة حتى لا يمكن أكله، والثاني أنه شجر الأراك والأكل ثمره ويقال له البرير، والثالث كل شجر له شوك. وما وجد في نسخ القاضي كل شجر لا شوك له مخالف لرواية سائر الكتب. قال الإمام في الكبير: الخمط كل شجرة لها شوك أو كل شجرة ثمرتها مرة لا تؤكل. والأثل نوع من الطرفاء ولا يكون عليه ثمرة إلا في بعض الأوقات يكون عليه شيء كالعفص أمر منه في طعمه وطبعه. إلى هنا كلامه. قرأ أبو عمرو «ذواتي أكل خمط» بضم الكاف مضافًا إلى «خمط» من غير تنوين. وقرأ نافع وابن كثير «أكل خمط» بسكون كاف أكل وتنوينه، والباقون بضم كافه وتنوينه. وفي الصحاح: الأكلة بالضم اللقمة يقال: هذا الشيء أكلة لك أي طعمة لك، والأكل أيضًا ما أكل ويقال أيضًا: فلان ذو أكل إذا كان ذا حظ في الدنيا ورزق واسع. ثم قال: وكل ما يؤكل فهو أكل ومنه قوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥] فظهر منه أن المراد بالأكل في الآية هو الثمر. والجني وهو ما يجتني من الشجر والجناة واحدته، وأن وجه إضافته إلى الخمط ظاهر، فإن قولك: أكل خمط حينئذٍ مثل قولك: أعناب كرم وثوب خز، وأما وجه التنوين فهو أن يجعل تقدير الكلام ذواتي أكل أكل خمط على أن المضاف المقدر بدل أو عطف بيان للمذكور ولبيان أن الأكل من أي شجرة هو.

قوله: (النبق مما يطيب أكله) يعني أن السدر شجر النبق وجناه ينتفع به أكلاً وكذا ينتفع بورقه لغسل اليد. ولما كان التبديل مجازاة لهم على كفران النعمة ناسب أن يقلل من

﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ﴾ بكفرانهم النعمة أو بكفرهم بالرسل، إذ روي أنه بعث إليهم ثلاثة عشر نبيًا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص. ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧﴾ وهل يجازي بمثل ما فعلنا بهم إلا البليغ في الكفران أو الكفر. وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص و«نجازي» بالنون والكفور بالنصب. ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾ بالتوسعة على أهلها وهي قرى الشام ﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ متواصلة يظهر بعضها لبعض أو راكبة متن الطريق ظاهرة لأبناء السبيل ﴿وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ﴾ بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت الرائح في قرية إلى أن يبلغ الشام ﴿سِيرُواْ فِيهَا﴾ على إرادة القول بلسان المقال أو الحال ﴿لَيَالِيَ وَأَيَّامًا﴾ متى شئتم من ليل ونهار ﴿ءَامِنِينَ ١٨﴾ لا يختلف الأمن فيها باختلاف الأوقات، أو سيروا آمنين وإن طالت مدة سيركم فيها، أو سيروا فيها ليالي أعماركم وأيامها لا تلقون فيها إلا الأمن.

البدل ما هو أكرم ما بدلوا ومنه السدر، فلذلك فلله الله تعالى: وقيل: السدر سدران سدر له ثمرة عفصة لا تؤكل ولا ينتفع بورقه في الاغتسال وهو الضال، وسدر له ثمرة تؤكل وهو النبق ويغتسل بورقه. والمراد بما في الآية الأول. وحاصل الآية أنه كانت أشجارهم خير الأشجار فصيرها الله تعالى من شر الأشجار بسوء أعمالهم. **قوله**: (بكفرانهم) يعني أن «ما» في قوله: «بما كفروا» مصدرية ومحل ذلك النصب على أنه مفعول ثانٍ «لجزيناهم» أي جزيناهم ذلك التبديل بسبب كفرانهم النعمة أو بسبب كفرهم بالرسل، ولو كان تقديم المفعول للتخصيص للزم أن ينحصر عقابهم في التبديل المذكور، وليس كذلك لأن الكافر لا ينحصر عقابه في نوع من العقاب العاجل فلذلك جعله اللااهتمام به وتفخيم شأنه لأن الإصرار على ترك الوطن المألوف لا سيما إذا كان في أخصب البلاد وأطيبها في غاية الصعوبة. **قوله تعالى**: (وهل يجازى) قراءة الجمهور بضم الياء وفتح الزاي على بناء المفعول ورفع «إلا الكفور» لقيامه مقام الفاعل. ومن قرأه بنون العظمة وكسر الزاي اعتبر موافقته لقوله: «جزيناهم» فيكون قوله: «إلا الكفور» منصوبًا على أنه مفعول به. **قوله**: (وهل يجازى بمثل ما فعلنا بهم) يعني أن المراد بالجزاء وهو الجزاء المعهود في قوله: «جزيناهم بما كفروا» فإن المراد به العقاب العاجل فكذا في قوله: «وهل يجازى» فكأنه قيل: ذلك عاقبناهم بسبب كفرهم وهل يعاقب بمثله إلا البليغ في الكفر أو الكفران؟ وليس المراد به مطلق الجزاء وإلا لما صح قصره على الكافر، فإن مطلق الجزاء يعم المؤمن والكافر. **قوله**: (بالتوسعة على أهلها) أي بالمياه والأشجار والثمار والخصب لكونها مهاجر الأنبياء ومقرهم والمعنى: جعلنا بين أهل سبأ وهم باليمن وبين الشام قرى ظاهرة أي متواصلة يظهر بعضها لبعضها

....

ويرى سواد القرية من القرية الأخرى لقربها منها. كانوا يسافرون من اليمن إلى الشام فيبيتون بقرية ويقيلون بأخرى حتى يرجعوا ولا يحتاجون إلى حمل زاد ولا ماء من وادي سبأ إلى الشام، أو ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم بل يرونها من متن الطريق. وهذا بيان لما أنعم الله تعالى به على سبأ بعد ما أرسل الله تعالى عليهم سيل العرم، فإنه لما هلك مالهم قالوا: نحن نتوب ويرد علينا خيرنا فتابوا فرد الله عليهم خيرًا أكثر مما هم عليه قبل أن يرسل عليهم سيل العرم. روى الإمام أبو الليث عن الكلبي أنهم قالوا للرسل: إنّا عرفنا نعمة الله تعالى، فوالله لئن رد فئتنا وجماعتنا والذي كنا عليه لنعبدنه عبادة لم يعبدها إياه قوم قط. فدعت لهم الرسل ربهم فرد الله تعالى إليهم ما كانوا عليه فآتاهم نعمة وجعل لهم من أرضهم إلى أرض الشام قرى متصلة بعضها إلى بعض فذلك قوله تعالى: ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة﴾ ثم إنهم عادوا إلى كفرهم فأتاهم الرسل وذكروهم فكذبوهم فمزقهم الله كل ممزق. وقال غيره: قوله تعالى: ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها﴾ حكاية ما كانوا عليه قبل أن يرسل الله تعالى عليهم سيل العرم، بيّن الله تعالى حال بلدهم أنها بلدة طيبة وأن لهم فيها جنات غزيرة البركات مكنهم منها وأمرهم أن يأكلوا من رزقه وأن يشكروا له، ثم إنهم كفروا النعمة وأعرضوا عما وجب عليهم من الشكر فبدّل ما بهم من النعمة نقمة، ثم ذكر حال خارج بلدهم وذكر عمارتهم بكثرة القرى من اليمن إلى الشام فبطروا النعمة وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما ملت بنو إسرائيل المن والسلوى وسألوا الثوم والبصل، فتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز وبوادي ليحتاجوا إلى أن يحملوا معهم أزوادهم وقالوا: لو كان جني الجنات أبعد مما هو عليه اليوم لكان أجدر أن نشتهيه فقالوا: ربنا باعد بين أسفارنا واجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب فيها الرواحل ونتزود الأزواد، فجعل الله تعالى لهم الإجابة. ومعنى تقدير السير فيها جعل بعد ما بيّن كل واحدة منها في نصف يوم بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت الرائح في قرية إلى أن يبلغ الشام لا يخاف جوعًا ولا عطشًا ولا عدوًا، ولا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء. خص الليالي والأيام بالذكر مع أن السير لا يكون إلا فيهما للإشعار بأن الأمر لا يتفاوت باختلاف الأوقات أو للإشعار بأن الأمر يستمر وإن تطاولت مدة السفر على أن يراد بالأيام والليالي الكثرة والمواظبة على السير. وعلى الثالث يكون المقصود من ذكر الأيام والليالي الإشعار باستمرار الأمن وإن استغرق السفر ليالي المخاطبين وأيامهم مدة أعمارهم بأن يكون معنى قوله: ﴿ليالي وأيامًا﴾ لياليكم وأيامكم فتركت الإضافة اعتمادًا على دلالة المقام على كون الجمع المضاف مستغرقًا.

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ أشروا النعمة وملوا العافية كبني إسرائيل فسألوا الله أن يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الأزواد، فأجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام «بعد» ويعقوب ربنا بالرفع «باعد» بلفظ الخبر على أنه شكوى منهم لبعد سفرهم إفراطًا في الترفيه وعدم الاعتداد بما أنعم الله عليهم فيه. ومثله قراءة من قرأ ««ربنا بعد» وبعد على النداء وإسناد الفعل إلى «بين». ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ حيث بطروا النعمة ولم يتعدوا بها. ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ﴾ يتحدث الناس بهم تعجبًا وضرب مثل فيقولون تفرقوا أيدي سبأ ﴿وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ﴾ وفرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والأزد بعمان. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ فيما ذكر ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ﴾ عن

قوله: (أشروا النعمة) الأشر البطر يقال: أشر بالكسر يأشر أشرًا فهو أشر وأشران كما يقال: بطر يبطر بطرًا. والأشر والبطر الطغيان الحاصل بسبب كثرة النعمة. ويحتمل أن يكون قولهم هذا الفساد اعتقادهم وشدة اعتمادهم على أن ذلك لا يعدم كما يقول القائل لغيره: اضربني إشارة إلى أنه لا يقدر عليه. ويحتمل أن يكون قولهم: ﴿ربنا باعد﴾ مقولاً بلسان الحال فإنهم لما كفروا صاروا كأنهم طلبوا أن يبعد بين أسفارهم ويخرب المعمور من ديارهم. قرأ العامة بنصب «ربنا» على النداء و«باعد» على لفظ الأمر من باب المفاعلة. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بعد بتشديد العين على لفظ الأمر من باب التفعيل. وقرأ يعقوب «ربنا باعد» برفع «ربنا» على الابتداء و«باعد» على لفظ الفعل الماضي. وقرىء «ربنا» بالنصب على النداء و«بعد» على لفظ الماضي المبني للفاعل و«بعد» على لفظ الماضي المبني للمفعول، وإسناد الفعل فيهما إلى «بين» ورفعه كقراءة ﴿تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ﴾ [الأنعام: ٩٤] برفع بين. **قوله تعالى: (فجعلناهم أحاديث)** جمع حديث على غير القياس أي أهلكناهم كل إهلاك فصاروا عظة وعبرة لمن بعدهم فجعلناهم به مثلاً للناس يتحدثون بما فعلوا وما فعل بهم ويتعجبون من أحوالهم في المجالس. وقوله: ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ بيان لجعلهم أحاديث فإن الناس ضربوا المثل بتفرقهم فقالوا: ذهبوا أيدي سبأ وأيادي سبأ أي تفرقوا في طرق شتى. واليد في كلام العرب تطلق على الطريق يقال: أخذ يد البحر أي طريقه. وقيل: أيادي سبأ أولاده لأن الأولاد أعضاد الرجل لتقويه بهم والمعنى: تفرقوا مثل تفرق أولاد سبأ. وفي المفصل: الأيادي الأنفس كناية أو مجازًا وهو أحسن من تفسيره بالطرق وبالأولاد. وسبأ مهموز في الأصل غير أنه التزم التخفيف في هذا المثل، ولا بد من إضمار لفظ المثل في هذا المثل لأن أيدي سبأ وقع حالاً من فاعل «ذهبوا» وهو معرفة لأن إضافته حقيقية ومن حق الحال أن تكون نكرة والتقدير: ذهبوا متفرقين. **قوله: (صبار عن**

المعاصي ﴿شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ على النعم. ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ أي صدق في ظنه وصدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك. ويجوز أن يعدى بفعل إليه بنفسه كما في ﴿صدق وعده﴾ لأنه نوع من القول. وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه أو وجده صادقًا. وقرىء بنصب «إبليس» ورفع «الظن» مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقًا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين ميله إغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الإبدال، وذلك إما ظنه بسبأ حين رأى انهماكهم في الشهوات أو ببني آدم حين رأى أباهم النبي ﷺ ضعيف العزم، أو ما ركب فيهم من الشهوة والغضب، أو سمع من الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠] فقال: ﴿لأضلنهم ولأغوينهم﴾ ﴿فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا

المعاصي شكورٍ على النعم) وهما من صفة المؤمن كأنه قيل: إن في ذلك التمزيق أو فيما ذكر من حال الشاكرين المنيبين ووبال الكافرين المعاندين لعبر أو لآيات لكل مؤمن. **قوله: (أي صدق في ظنه)** يعني أن ما عدا الكوفيين. قرؤوا بتخفيف ذال «صدق» و«ظنه» نصب إما بنزع الخافض أي في ظنه أو بأنه مفعول مطلق لفعل مقدر من لفظه أي صدق إبليس يظن ظنًا. والجملة حالية من فاعل صدق كقولك: فعلته جهدك أي فعلته تجهد جهدك وتتعب تعبك. ويجوز أن ينصب على أنه مفعول به، فإن الصدق يعدى إلى ما هو في معنى القول بنفسه فيقال: صدق وعده أي جعل وعده صادقًا، والظن كالوعد في أنه نوع من القول. ومن قرأ «صدق» بتشديد الدال ونصب «ظنه» جعله مفعولاً به وقال: معناه حقق عليهم ظنه أي صار فيما ظنه على يقين لأنه ظن أولاً أن يغويهم حيث قال في حق بني آدم: لأغوينهم ولأضلنهم ولأحتنكن ذريته ولأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم إلى غير ذلك إلا أنه لم يكن على ثقة ويقين في أنه يتأتى له ذلك لأنه لم يخبر به ولا كان عالمًا بالغيب، وإنما قاله استدلالاً بنفاذ حيلته في أبيهم آدم وبعلمه بما ركب فيهم من الشهوة والغضب، وظن ذلك أيضًا في أولاد سبأ بما رأى من انهماكهم في الشهوات ثم إنهم لما اتبعوه وقبلوا وسوسته صار مظنونه معلومًا له وحقق عليهم ظنه فيهم حقًا. **قوله: (بمعنى وجده ظنه صادقًا)** فكان إبليس قال لظنه: إني أغويهم فيتبعون إغوائي. ثم إنه لما أغواهم فقبلوا منه وجده ظنه صادقًا. وإن قرىء بنصب «إبليس» ورفع «الظن» مع تخفيف الدال يكون المعنى قال له ظنه الصدق حين خيله إغواءهم أي حين خيل الظن لإبليس إغواءهم، يقال: صدق ظنك إذا ظهر المظنون كما خيل إليه. وإن قرىء بتخفيف الدال ورفع الاسمين يكون المعنى: صدق عليهم ظن إبليس ويكون الثاني بدلاً من الأول بدل الاشتمال. **قوله: (وذلك إما ظنه بسبأ أو ببني آدم)** الأول على أن يكون الضمير في «عليهم» و«اتبعوه» لأهل سبأ. والثاني على أن يكون لبني آدم جميعًا إلا المؤمنين منهم فإنهم لم يتبعوه في أصل الدين وإن

﴿فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠)﴾ إلا فريقًا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالإضافة إلى الكفار أو إلا فريقًا من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون.

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم﴾ على المتبعين ﴿مِّن سُلْطَانٍ﴾ تسلط واستيلاء وسوسة واستغواء ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ إلا ليتعلق علمنا بذلك تعلقًا يترتب عليه الجزاء أو ليتميز المؤمن من الشاك

استزلهم الشيطان عن بعض الفروع. **قوله:** (إلا فريقًا هم المؤمنون) إشارة إلى أن كلمة «من» للبيان لا للتبعيض لأنه يستلزم أن يكون بعض من آمن اتبع إبليس في أصل الدين. عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالى: ﴿إلا فريقًا من المؤمنين﴾: يعني المؤمنين كلهم لأنهم لم يتبعوه في أصل الدين وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢؛ الإسراء: ٦٥] يعني المؤمنين. وقيل: هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله تعالى ولا يعصونه وهم المخلصون كما قال تعالى حكاية عنه: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣؛ الحجر: ٣٩، ٤٠].

قوله تعالى: (وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم) استثناء مفرغ من العلل العامة تقديره: وما كان له عليهم استيلاء لشيء من الأشياء إلا لهذا، وهو أن يتعلق علمنا بالذي يؤمن بالآخرة مميزًا من الشاك فيها والمعنى: إلا لنعلم إيمان المؤمن بالآخرة ظاهرًا موجودًا ونعلم كفر الكافر الذي هو في شك منها أيضًا، كذلك لأن العلم بهما موجودين هو الذي يتعلق به الجزاء علق التسلط بالعلم. والمراد ما تعلق به العلم وهو الإيمان والكفر، فإنه تعالى لا يجازى بما لم يختره ولم يكتسبه في دار التكليف وإنما يثيب من أطاع الحق وخالف الهوى والشيطان باختياره وسعيه ويعاقب من أطاع نفسه واتبع هواه وآثره على طاعة الرحمن بحمقه وغوايته، فقوله: «إلا ليتعلق علمنا بذلك تعلقًا يترتب عليه الجزاء» معناه ليتعلق العلم بكل واحد من إيمان المكلف وكفره حال كونه موجودًا واقعًا وقد كان معلومًا له تعالى في الأزل بأنه سيقع ويترتب عليه الجزاء. قال الإمام: علم الله تعالى من الأزل إلى الأبد محيط بكل معلوم وعلمه لا يتغير ولكن يتغير تعلق علمه، فإن العلم صفة كاشفة يظهر فيها كل ما في نفس الأمر. فعلم الله تعالى في الأزل أن العالم سيوجد فإذا وجد علمه موجودًا بذلك العلم وإذا عدم علمه معدومًا، كذلك مثاله المرآة المصقولة الصافية يظهر فيها زيد إن قابلها ثم إذا قابلها عمرو تظهر فيها صورته، والمرآة لا تتغير في ذاتها ولا تبدلت في صفاتها وإنما التغير في الخارجات. فكذلك ههنا فالمراد من العلم ما يترتب عليه من التمييز والانكشاف في الوجود العيني فإنه مرتب على الثبوت العيني الكائن قبل الوجود فقوله: «لنعلم» أي لنعلمه موجودًا حال وجوده كما علمناه قبل وجوده أنه يوجد. **قوله:** (أو ليتميز المؤمن من الشاك

أو ليؤمن من قدر إيمانه ويشك من قدر ضلاله. والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة، وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى. ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ محافظ والزنتان متآخيتان ﴿قُلِ﴾ للمشركين ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا «زعم» حذف الأول لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته وهي «من دون الله» مقامه. ولا يجوز أن يكون «هو» مفعوله الثاني لأنه لا يلتئم مع الضمير كلامًا ولا لا يملكون لأنهم لا يزعمونه ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع أو دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم إن صح دعواكم. ثم أجاب عنهم إشعارًا بتعين

أي ليتميز في الخارج من هو مؤمن في علمه تعالى ممن هو شاك فيه، فإن المكلف إذا كان له داعيان يدعوه أحدهما إلى الحق والآخر إلى الباطل وتمكن من الانقياد والمتابعة لكل واحد منهما، فإن اتبع داعي الحق يكون مؤمنًا مطيعًا وإن اتبع داعي الباطل يكون ضالاً عاصيًا فيكون ما في علم الله تعالى من حاله ظاهرًا متميزًا بتحققه في الخارج. ويحتمل أن يكون المراد من التميز تميز ذلك بالنسبة إلينا لا تميزه باعتبار خروجه من العلم إلى العيان. **قوله**: (**أو ليؤمن من قدر إيمانه**) فيكون العلم مجازًا مرسلاً من قبيل ذكر المتعلق وإرادة المتعلق والنكتة في إيثار طريق التجوز المبالغة في تحقق المتعلق، فإن العلم به متفرع على تحققه فكان بمنزلة ذكر الشيء بدليله. **قوله**: (**وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى**) فإن كلمة «من» في الموضعين موصولة جعلت صلة إحداهما فعلية استقبالية وصلة الأخرى اسمية للدلالة على أن الإيمان يحدث بالنظر في الدليل والكفر حالة أصلية ثابتة. **قوله**: (**والزنتان**) أي زنتا فعيل ومفاعل كثيرًا ما تجيئان بمعنى واحد كشريك ومشارك وعشير ومعاشر، فسره بالمحافظ وهو المراقب المطلع على جميع الأحوال لأن الحفظ لا يتعدى بـ «على» فلا يقال: حفظ عليه بل حفظه، ولأن معنى الحفظ الحراسة والاستظهار وكل واحد منهما غير ملائم لهذا المقام بل الملائم هنا معنى المراقبة. وفي الصحاح: حفظت الشيء حفظًا أي حرسته وحفظته أيضًا استظهرته، والمحافظة المراقبة والحفيظ المحافظ ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ١٠٤] ثم إنه تعالى لما ذكر لمشركي العرب قصة سبأ وحذرهم بذكرها من أن ينزل بهم بكفرهم ما نزل بأولاد سبأ بيّن لهم أن ما اتخذوه آلهة من دون الله ليس له شيء من آثار القدرة فمن زعم ألوهيته واستحقاقه العبادة فقد ضل ضلالاً مبينًا فقال لرسول الله ﷺ ﴿قل﴾ للمشركين توبيخًا لهم وتجهيلاً ﴿ادعوا الذين﴾ زعمتموهم آلهة ﴿من دون الله﴾ لجلب نفع أو كشف ضر كما تدعون الله تعالى أو ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني المجاعة فانظروا هل يقدرون على قضاء شيء من حوائجكم؟ ثم أخبر عن عجزهم فقال: ﴿لا يملكون﴾ حذف أول مفعولي «زعم» وهو عائد الموصول طلبًا للتخفيف

الجواب وأنه لا تقبل المكابرة فقال: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ من خير أو شر ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ في أمر ما وذكرهما للعموم العرفي، أو لأن آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها أرضية كالأصنام، أو لأن الأسباب القريبة للشر والخير سماوية وأرضية. والجملة استئناف لبيان حالهم. ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾ من شركة لا خلقًا ولا ملكًا. ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢)﴾ يعينه على تدبير أمرهما.

﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ﴾ فلا تنفعهم شفاعة أيضًا كما يزعمون إذ لا تنفع الشفاعة عند الله. ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ أذن له أن يشفع أو أذن أن يشفع له لعلو شأنه، ولم يثبت ذلك. واللام على الأول كاللام في قولك: الكرم لزيد، وعلى الثاني كاللام

لطول الموصول بصلته ثم حذف ثانيهما وهو الآلهة اكتفاء عنه بالصفة وهي قوله: ﴿من دون الله﴾ **ولا يجوز أن يكون قوله من دون الله هو المفعول الثاني لأنه لا يلتئم مع الضمير كلامًا فلا يقال: هم من دون الله إلا مع تقدير الموصوف ولا يجوز أيضًا أن يكون لا يملكون هو الثاني لأن المعنى يكون حينئذٍ زعمتموهم لا يملكونه ولا يزعمونه. قوله:** (وذكرهما) **مع أن المقصود بيان أنهم لا يملكون مثقال ذرة في أمر ما إما لتناولهما بحسب العرف لجميع الأمور، أو لأن الآلهة السماوية إذا لم تملك شيئًا من ما في السمٰوات لزم أن لا تملك شيئًا ما أصلاً وكذا الآلهة الأرضية، أو لأن ما لا يملك شيئًا من الأسباب القريبة لزمه أن لا يملك شيئًا أصلاً.**

قوله: (وما له منهم) **أي ما لله تعالى من ظهير يعاونه على خلق شيء منها أو منهما حال كونه منهم أي مما زعموه آلهة. ثم إن المشركين لما قالوا: إنا لا نعبد الأصنام لاستقلالهم في خلق الكائنات وتدبير أمرها، ولا لأن لهم شركة في الخلق والملك، ولا لكونهم أعوانًا له تعالى في الخلق والتدبير وإنما نعبدهم ليشفعوا لنا، فإن الأصنام صور الملائكة المقربين فلا ترد شفاعتهم عند الله تعالى قال الله تعالى في إبطال قولهم:** ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده﴾. **قوله:** (أذن له أن يشفع) **على أن تكون اللام داخلة في الشافع والمعنى: لا تنفع شفاعة شافع في حال من الأحوال إلا في حال كونها كائنة لمن أذن الله له أن يشفع. فكلمة «من» عبارة عن الشافع ودخلت اللام عليه كما دخلت في قولك: الكرم لزيد. قوله:** (أو أذن أن يشفع له) **على أن تكون كلمة «من» عبارة عن المشفوع لأجله وتكون اللام لام الأجل كما في قولك: جئتك لزيد أي لأجله فكأنه قيل: إلا لمن وقع الإذن للشفيع لأجله. قوله:** (ولم يثبت ذلك) **فإنه تعالى لا يأذن للأصنام أن تشفع لعابديها. وقدم الوجه الأول لأن إبطال قول من قال:** ﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ **[يونس: ١٨] إنما يظهر على هذا الوجه.**

في: جئتك لزيد. وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بضم الهمزة وكسر الذال. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ غاية لمفهوم الكلام من أن ثمة توقفًا وانتظارًا للإذن أي يتربصون فزعين حتى إذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالإذن. وقيل: الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنًا. وقرأ ابن عامر ويعقوب «فزع» على البناء للفاعل وقرىء «فرغ» أي نفي الوجل من فرغ الزاد إذا فني. ﴿قَالُواْ﴾ قال بعضهم لبعض: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ في الشفاعة ﴿قَالُواْ ٱلْحَقَّ﴾ قالوا: قال القول الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون. وقرىء بالرفع أي مقوله الحق ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ ذو

قوله: (غاية لمفهوم الكلام) يحتمل أن يكون المراد من الكلام مجموع قوله: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ **فإنه يفهم منه أن ثمة انتظارًا للإذن وتوقفًا وفزعًا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أو لا يؤذن، وأنه لا يطلق الإذن إلا بعد بعد من الزمان وطول من التربص. ويحتمل أن يكون المراد منه قوله:** ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾ **الآية على أن الكلام بمعنى التكلم لأن التفزيع عن القلوب يدل على أن ثمة فزعًا وانتظارًا، وكذا كلمة «حتى» لكونها للغاية تؤذن أن ثمة توقفًا وانتظارًا كأنه قيل:** ﴿لا تنفع الشفاعة﴾ **يوم القيامة** ﴿إلا لمن أذِن له﴾ **فيتربصون ويتوقفون مليًا فزعين** ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾ **أي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في إطلاق إذن تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضًا** ﴿ماذا قال ربكم قالوا الحق﴾ **أي قالوا: قال الله تعالى القول الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى. والتفزيع إزالة الفزع كالتمريض إزالة المرض والتقريد إزالة القراد يقال: قرد بعيرك أي أزل عنه القردان. روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: فإذا أذن لمن أذِن له أن يشفع فزعته الشفاعة أي أزالت الشفاعة الفزع عنه». فعلى هذا يكون الضمير في قوله: «عن قلوبهم» للشافعين والمشفوع لهم. وقيل: الضمير فيه للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنًا لأن الآية نزلت رد القول من قال إنا نعبد الأصنام لكونها صور الملائكة الذين هم شفعاؤنا عند الله، فإن الملائكة يفزعون حين يرد عليهم كلام الله بالإذن لهم بالشفاعة من هيبة ما يؤمرون به من الأمر الهائل، أو لما يخافون من وقوع التقصير منهم في شفاعة الذين يشفعون لهم حتى إذا كشف عنهم الفزع قالوا للملائكة الذين فوقهم وهم الذين بلغوا ذلك إليهم** ﴿ماذا قال ربكم﴾ **أي ماذا أمر به وهو كلام الخاضع المتذلل والمعنى: أنهم مع منزلتهم هذه يفزعون ويشفعون في شفاعة من لهم يشفعون وهم بأمر الله يعلمون كيف يشفعون للكفار. وقيل: إنما يفزعون من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله تعالى لما روى أبو هريرة عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خفقانًا لقوله تعالى كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم**

العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه. ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يريد به تقرير قوله: «لا يملكون» ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ إذ لا جواب سواه وفيه إشعار بأنهم إن سكتوا أو تلعثموا في الجواب مخافة الإلزام فهم مقرون به

قالوا: ماذا قال ربكم قالوا الحق». وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا أراد الله أن يوحي بالأمر ويكلم بالوحي سمع أهل السمٰوات صلصلة أخذت السمٰوات منها رجفة، أو قال رعدة شديدة، خوفًا من الله تعالى، فإذا سمع بذلك أهل السمٰوات صعقوا وخروا لله سجدًا. فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه الصلاة والسلام فيكلمه من وحيه بما أراده ثم يمر جبريل عليه الصلاة والسلام على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير، فتقول الملائكة كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي حيث أمره الله تعالى». وقيل: إنما يفزعون حذرًا من قيام الساعة وذلك أنه كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة وخمسين سنة وقيل: ستمائة سنة لم تسمع الملائكة فيها وحيًا، فلما بعث الله تعالى محمدًا عليه الصلاة والسلام كلم جبريل بالرسالة إلى محمد عليه الصلاة والسلام فلما سمعت الملائكة ذلك ظنوا أنها الساعة لأن بعثته عليه الصلاة والسلام كانت من أشراط الساعة عند أهل السمٰوات فصعقوا مما سمعوا خوفًا من قيام الساعة، فلما انحدر جبريل جعل يمر بأهل كل سماء فيكشف عنهم الفزع فيرفعون رؤوسهم ويقول بعضهم لبعض: ﴿ماذا قال ربكم قالوا قال الحق﴾ يعني الوحي ﴿وهو العلي الكبير﴾ قرأ الجمهور «فزع» بضم الفاء وكسر الزاي. وقرأ ابن عامر بفتحهما معًا على بناء الفاعل وهو الله تعالى. وقرىء «فرغ» بالغين المعجمة من فرغ الماء بكسر الراء يفرغ بفتحتها فراغًا أي فني وانصب «والحق» منصوب بـ «قال» مضمرة أي قالوا: قال ربنا الحق أي القول الحق، ومن رفعه جعله خبر مبتدأ محذوف أي مقوله الحق.

قوله: (إذ لا جواب سواه) علة لأمره تعالى إياه عليه الصلاة والسلام بأن يتولى الجواب بنفسه بعد ما أمره عليه الصلاة والسلام بأن يحملهم على الإقرار بأن من يرزقهم المطر من السمٰوات ومن يرزقهم النبات من الأرض هو الله تعالى، فإن قوله: «من يرزقكم» استفهام تقرير وكون السؤال والجواب من واحد يشعر بتعين الجواب فإنهم لو أجابوا لا يمكنهم أن يجيبوا إلا به، فإنه إذا اتضح الأمر وتعين الجواب لا يحتاج إلى أن ينطقوا به بألسنتهم والتلعثم في الأمر التمكث فيه والتأني، والذي حملهم على السكوت عن الجواب أو التلعثم فيه مخافة الإلزام أنهم لو أجابوا وقالوا: رازقنا هو الله وحده توجه إليهم أن يقال لهم: فما لكم لا تعبدون الذي تفرد في ترزيقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على أن يرزقكم؟

بقلوبهم. ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤﴾ أي وإن أحد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل في أدنى المراتب الإمكانية لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال الواضح، وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو في الضلال أبلغ من التصريح لأنه في صورة الإنصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان:

أتهجوه ولست له بكفو فشرّكما لخيركما الفداء

وقيل: إنه على اللف، وفيه نظر. واختلاف الحرفين لأن الهادي كمن صعد منارًا ينظر الأشياء ويتطلع عليها أو ركب جوادًا يركضه حيث يشاء والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك من قبل أنه لا يرى شيئًا أو محبوس في مطمورة لا يستطيع أن يتفصى منها.

قوله تعالى: (وأنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال) داخل تحت الأمر بالقول. والمعنى: وقل إن أحد الفريقين منا ومنكم لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال المبين. **قوله:** (**وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ**) جملة اسمية فإنه تعالى أمر نبيه ﷺ أولاً بأن يكافحهم ويوبخهم بقوله: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله﴾ ثم بأن يسألهم سؤال تقرير عن تعيين رازقهم ثم بأن يتولى الجواب بنفسه إيذانًا بأنهم مع كونهم معتقدين للحق يمتنعون عن الإقرار به بألسنتهم عنادًا أو خوفًا من إلزام الحجة عليهم وتنزل من هذه الدرجة ثانيًا، وأمره بأن يرخي العنان معهم ويقول لهم: ﴿أنا وإياكم﴾ الآية لينادي على تماديهم في الضلال على وجه هو أدخل في إثبات الغرض والغلبة على الخصم وأوجب لسد طريق الشغب والجدال عليه وقوله تعالى: ﴿أو إياكم﴾ عطف على اسم «أن» وما ذكر بعده خبر الأول وحذف خبر الثاني للدلالة عليه أي وأنا لعلى هدى أو في ضلال أو أنكم لعلى هدى أو في ضلال. ويحتمل أن يكون ما ذكر بعده خبر الثاني ويكون خبر الأول محذوفًا كما في قوله: نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلف حذف خبر الأول أي نحن راضون. وهذان الوجهان لا ينبغي أن يحملا على ظاهرهما قطعًا لأنه عليه الصلاة والسلام لم يشك في أنه على هدى ويقين وفي أن الكافرين على ضلال مبين، وإنما هذا الكلام جار على ما يخاطب به العرب من استعمال الأنصاف في محاوراتهم على سبيل الفرض والتقدير. **قوله:** (**وقيل إنه على اللف**) أي والنشر، والتقدير: وإنا لعلى هدى وإنكم لفي ضلال مبين، وفيه نظر لأنه لو كان من قبيل اللف لوجب أن يكون كل واحد من المعطوفين معطوفًا بالواو وكون كلمة «أو» بمعنى الواو ليس بشائع. **قوله:** (واختلاف الحرفين) وهما كلمة «على» الداخلة على «الهدى» وكلمة «في» الداخلة على «الضلال» والمنار علم الطريق، وسمي ملك من ملوك اليمن ذا

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ هـذا أدخل في الإنصاف وأبلغ في الإخبات حيث أسند الإجرام إلى أنفسهم والعمل إلى المخاطبين.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يوم القيامة. ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ يحكم ويفصل بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار. ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾ الحاكم الفيصل في القضايا المنغلقة ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ بما ينبغي أن يقضي به ﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ لأرى بأي صفة ألحقتموهم بالله في استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبههم بعد إلزام الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم. ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن المشاركة بعد إبطال المقايسة. ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة، وهؤلاء الملحقون به متسمة بالذلة متأبية عن قبول العلم والقدرة رأسًا والضمير لله أو للشأن. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ إلا إرسالة عامة لهم من الكف

المنار لأنه أول من وضع المنار على طريقه في مفازته ليهتدي به إذا رجع. والارتباك الاختلاط والدخول في الأمر الصعب الذي لم يكد يتخلص منه. والمطمورة الحفرة التي يطمر فيها الطعام الذي يخبأ. **قوله تعالى:** (قل أروني) يحتمل أن يكون من الرؤية بمعنى العلم المتعدية قبل النقل إلى اثنين، فلما جيء بهمزة النقل عديت إلى ثلاثة أولها ياء المتكلم وثانيها الموصول وثالثها شركاء وعائد الموصول محذوف أي ألحقتموهم. ويحتمل أن يكون من الرؤية البصرية المتعدية قبل النقل إلى واحد وعديت بالنقل إلى اثنين أولهما ياء المتكلم وثانيهما الموصول «فشركاء» نصب على الحال من عائد الموصول أي أبصروني الملحقين به حال كونهم شركاء له. **قوله: (والضمير لله أو للشأن)** يعني أن «هو» في قوله تعالى: ﴿بل هو الله﴾ يحتمل أن يكون ضميرًا راجعًا إلى الله تعالى والمعنى: ليس الأمر على ما أنتم عليه من إلحاق الشركاء به في العبادة بل هو الله وحده، فقوله: «هو» مبتدأ و«الله» خبره و«العزيز الحكيم» صفتان فيكون هو من قبيل الضمير المبهم المفسر بما بعده تفخيمًا لشأن المرجع إليه وتمكينًا له في الذهن، فإنك إذا قصدت الإبهام للتفخيم تعقلت المرجع في ذهنك ثم تعبر عنه بضمير الغائب لتتشوق نفس السامع إلى المعبر عنه ثم تذكر المرجع. ويحتمل أن يكون ضمير الشأن فلفظ الجلالة حينئذٍ مبتدأ و«العزيز الحكيم» خبران والجملة خبر «هو». والفرق بين الاحتمالين أن الجملة التي بعد ضمير الشأن هي المبينة له بخلاف ما إذا كان ضمير الجلالة فإن خبره اسم مفرد مفسر له. **قوله: (إلا إرسالة عامة لهم)** على أن «كافة» صفة مصدر محذوف وأن تعليل تفسير الكافة بالعامة المحيطة فكأنه قيل: أريد بالكافة العامة لأن الشمول والعموم مستلزم الكف فيكون كناية أو مجازًا بمعنى عامة لهم محيطة بهم لأن الإرسالة إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم من الكف وهو المنع يقال: كف

فإنها إذا عمتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم، أو إلا جامعًا لهم في الإبلاغ فهي حال من الكاف، والتاء للمبالغة ولا يجوز جعلها حال من «الناس» على المختار. ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ فيحملهم جهلهم على مخالفتك. ﴿وَيَقُولُونَ﴾ من فرط جهلهم ﴿مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ يعنون المبشر به والمنذر عنه أو الموعود بقوله: ﴿يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ [سبأ: ٢٦] ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ يخاطبون به رسول الله ﷺ والمؤمنين.

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾ وعد يوم أو زمان وعد وإضافته إلى «يوم» للتبيين.

يكف أي منع. **قوله:** (أو إلا جامعًا) على أن يكون «كافة» بمعنى جامعًا ويكون حالاً من كاف «أرسلناك» وتكون الهاء فيه للمبالغة كما في علامة ورواية ونسابة. ومن استعمال «كف» بمعنى جمع قول الفقهاء: وكره للمصلي كف ثوبه أي جمع ما تفرق من أطرافه، ولا يجوز كونها حالاً من المجرور مقدمه عليه لأن تقدم حال المجرور عليه بمنزلة تقدم المجرور على الجار من حيث إن حال المجرور تكون معمولة بحرف الجر أيضاً وتقدم المجرور على الجار ممتنع فكذا ما هو بمنزلته عند الجمهور وإن جوّزه بعض النحاة استشهادًا بقول الشاعر:

إذا المرء أعيته المروءة ناشئًا فمطلبها كهلاً عليه شديد

ووجه ارتباط الآية بما قبلها أنه تعالى حقق مسائل التوحيد أولاً ثم شرع في تحقيق الرسالة فقال: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ أي إلا إرسالة تكف أن يخرج منها أحد منهم أو إلا جامعًا لهم في الإبلاغ. روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة عامة» ثم إنه تعالى لما ذكر الرسالة بيّن الحشر على وجه يتضمن تجهيل منكريه فقال: ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾.

قوله: (لكم ميعاد) جملة اسمية، والميعاد زمان الوعد أو مكانه لغة وهو ههنا الزمان الذي هو القيامة أو وقت موتهم، ويدل عليه قوله: ﴿لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون﴾ أي لا تتأخرون عنه ولا تتقدمون. وزاد المصنف احتمال أن يكون الميعاد مصدرًا مضافًا إلى زمانه حيث قال: وعد يوم والميعاد يطلق على الوعد والوعيد. قال أبو عبيدة: الوعد والوعيد والميعاد بمعنى، والإضافة إلى اليوم سواء جعل مصدرًا أو زمانًا بيانيه لأنها من إضافة العام إلى الخاص كما في سحق عمامة وثوب خز وبعير سانية، فإن السحق الشيء البالي أضيف إلى العمامة للبيان، وكذا الثوب والبعير. والسانية الناضحة وهي الناقة التي يستقي عليها يقال: سنت الناقة تسنو إذا سقت الأرض. وفي المثل: سير السواني سفر لا

ويؤيده أنه قرىء «يوم» على البدل وقرىء «يومًا» بإضمار أعني. ﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ إذا فاجأكم وهو جواب تهديد جاء مطابقًا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والإنكار. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على النعت. قيل: إن كفار مكة سألوا أهل الكتاب عن رسول الله ﷺ، فأخبروهم أنهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك. وقيل: الذي بين يديه يوم القيامة ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي في موضع المحاسبة ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾ يتحاورون ويتراجعون القول ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ يقول الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ للرؤساء ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ﴾ لولا إضلالكم وصدكم إيانا عن الإيمان ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ باتباع الرسول ﷺ. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ أنكروا أنهم كانوا صادين لهم عن الإيمان وأثبتوا أنهم هم الذين صدوا أنفسهم حيث أعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد عليه، ولذلك بنوا الإنكار على الاسم.

ينقطع. **قوله: (ويؤيده أنه قرىء يوم)** أي قرىء «ميعاد يوم» منونين على إبدال يوم من ميعاد أي ويؤيد كون الميعاد عبارة عن زمان الوعد إبدال اليوم منه. وقرىء «ميعاد يومًا» على تعظيم اليوم بتقدير أعني فيكون منصوبًا على المدح والتعظيم أي يومًا من صفته كيت وكيت. **قوله: (وهو جواب تهديد)** جواب عما يقال: كيف انطبق هذا جوابًا لسؤالهم مع أنهم سألوا عن تعيين وقت الوعد من حيث إن متى سؤال عن الوقت المعين ولا تعرض في الجواب لتعيين الوقت؟ وتقرير الجواب أن سؤالهم وإن كان على صورة استعلام الوقت إلا أن مرادهم الإنكار والتعنت والجواب المطابق لمثل هذا السؤال أن يجاب بطريق التهديد على تعنتهم فلذلك أجيبوا بأنكم ترصدون بيوم يفاجئكم فلا تستطيعون تأخرًا عنه ولا تقدمًا عليه. ثم إنه تعالى لما بيّن الأصول الثلاثة التي هي: التوحيد والرسالة والحشر، وكان المشركون كافرين بكل واحد منها بيّن كفرهم العام بقوله: ﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن﴾ فإن الكفر بالقرآن يتناول الكفر بجميع ما نطق به القرآن. ثم إنه تعالى لما حكى عنهم الكفر المذكور بيّن عاقبة أمرهم ومآل حالهم في الآخرة فقال: ولو ترى يا محمد أو يا من يتصور منه الرؤية إياهم على أذل حال محبوسين للسؤال يرد بعضهم إلى بعض القول في الجدال كما يكون عليه حال جماعة أخطؤوا في أمر، لرأيت أمرًا عجيبًا وحالاً فظيعًا ـ والعياذ بالله ـ فحذف جواب «لو» للتهويل. **قوله: (ولذلك)** أي ولكون المقصود إنكار كونهم صادين للأتباع عن الإيمان وإثبات أنهم هم الذين صدوا أنفسهم بنوا

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ إضراب عن إضرابهم أي لم يكن إجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائبًا ليلاً ونهارًا حتى أغرتم علينا رأينا. ﴿إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ﴾ والعاطف يعطفه على كلامهم الأول، وإضافة المكر إلى الظرف على الاتساع. وقرىء «مكر الليل» بالنصب على المصدر

الإنكار على الاسم فقالوا: «أنحن» فإن وقوع المسند إليه بعد حرف الإنكار بلا فصل يفيد نفي الفعل عن المسند إليه المذكور وثبوته لغيره، ومثل هذا الكلام إنما يقال إذا اتفق المتكلم والمخاطب على تحقق الفعل وصدوره من فاعله وزعم المخاطب أنه صدر من المتكلم فيقول المتكلم في رده: أأنا فعلت ذلك بتقديم المسند إليه، وإيلائه حرف الإنكار يريد بذلك إنكار كونه الفاعل له وإثبات كونه مفعولاً لغيره كما في هذه الآية أي ﴿أنحن﴾ منعناكم عن قبول الهدى وهو الإيمان ﴿بعد إذا جاءكم﴾ أسبابه من دعوة الرسول وقيام المعجزة ﴿بل كنتم مجرمين﴾ بترك الإيمان اختيارًا. والجرم الذنب تقول منه: جرم وأجرم واجترم بمعنى فقال لهم المستضعفون مجيبين لهم ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ أي بل الذي صدنا هو مكركم لنا دائبًا ليلاً ونهارًا، والعاطف في قوله تعالى: ﴿وقال الذين استضعفوا﴾ يعطفه على كلامهم الأول والمقصود بيان الفرق بين قوله تعالى: ﴿قال الذين استكبروا﴾ وبين قوله: ﴿وقال الذين استضعفوا﴾ حيث صدر الثاني بحرف العطف دون الأول. ووجه الفرق أن الأول كلام مستأنف ذكر جوابًا لمن قال: ماذا قال المستكبرون في جواب المستضعفين؟ فلا وجه لتحلل العاطف بخلاف كلام المستضعفين فإنه لم يقصد به جواب لسؤال مقدر بل سيق منهم لكلام المستكبرين فعطف كلامهم الثاني على كلامهم الأول.
قوله: (بل مكركم لنا دائبًا) **أي دائمًا أي بل صدنا مكركم لنا في هذين الوقتين على أن «مكر الليل» مرفوع على أنه فاعل فعل مقدر. ويحتمل أن يكون مرفوعًا على أنه مبتدأ حذف خبره على معنى بل مكركم لنا في الليل والنهار وحملكم إيانا على الشرك دائبًا هو الذي أوقعنا في الكفر والضلال، أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي سبب كفرنا مكركم.**
قوله: (حتى أغرتم) **من قولك: أغار على العدو يغير إغارة أي غلب عليه واستلب ما معه ونهبه.**

قوله: (وإضافة المكر إلى الظرف) **يعني أن قوله:** ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ **معناه مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة المكر إليه على طريق إضافة المصدر إلى مفعوله كما اتسع في قوله:**

يـا سـارق الـلـيـلـة أهـل الـدار

«ومكر الليل» بالتنوين ونصب الظرف. ومكر الليل من الكرور. ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ وأضمر الفريقان الندامة على الضلال والإضلال وأخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير أو أظهروها، فإنه من الأضداد إذ الهمزة تصلح للإثبات وللسلب كما في أشكيته. ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي في أعناقهم فجاء بالظاهر تنويهًا بذمهم وإشعارًا بموجب أغلالهم. ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أي لا يفعل بهم ما يفعل إلا جزاء على أعمالهم وتعدية يجزي إما لتضمين معنى يقضي أو لنزع الخافض. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ تسلية لرسول

أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الإسناد المجازي كما في قول جرير:

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ... ونمت وما ليل المطي بنائم

فيكون من إضافة المصدر إلى فاعله. وكل واحد من الوجهين أحسن من قول من قال: إن الإضافة فيه بمعنى «في» أي مكر في الليل لأن ذلك لم يثبت في غير محل النزاع.
قوله: (ومكر الليل من الكرور) أي قرىء «مكر» بفتح الكاف وتشديد الراء مرفوعًا ومنصوبًا، أما الرفع فعلى ما ذكر في القراءة بسكون الكاف أي بل صدنا كرورهما علينا واختلافهما من كر إذا جاء وذهب على معنى صدنا طول السلامة وطول الأمل فيهما كقوله تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦] وأظهر منه أن يكون ارتفاعه على أنه مبتدأ حذف خبره أو خبر مبتدأ محذوف أي بل مكركم أي كروركم بالإغواء في الليل والنهار دائبًا سبب كفرنا وصدودنا عن الهدى، أو سبب ذلك مكركم وخلاصة المعنى: أنا إنما أشركنا بسببكم. وأما النصب فعلى أنه مصدر فعل محذوف أي بل تكرون الإغواء مكر الليل والنهار أي وقت كرورهما مثل آتيك خفوق النجم والمعنى: بل تكرون الإغواء مكرًا دائمًا لا تفترون عنه.
قوله: (في أشكيته) فإنه يجيء بمعنى أثبت له الشكاية وأزلت عنه الشكاية وقد جمعهما من قال:

شكوت إلى الأيام سوء صنيعها ... ومن عجب باك تشكي إلى المبكى
فما زادني الأيام إلا شكاية ... وما زالت الأيام تشكي ولا تشكى

أي تزيد شكايتي ولا تزيلها. **قوله:** (تنويهًا بذمهم) أي تصريحًا به من ناه الشيء ينوه إذا ارتفع ونوهته تنويهًا إذا رفعته ونوهت باسمه إذا رفعت ذكره وقوله تعالى: ﴿هل يجزون إلا ما كانوا يعملون﴾ أي إلا جزاء أعمالهم من الكفر والمعاصي أشار به إلى أن ذلك حقهم عدلاً وهو استفهام تقرير وعدي «يجزون» إلى «أعمالهم» مع أن جزى لا يتعدى بنفسه إلى مفعولين بل يقال: جزيته بما صنع إما على طريق الحذف والإيصال وهو ظاهر أو لتضمين

الله ﷺ مما مني به من قومه، وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لأن الداعي المعظم إلى التكبر المفاخرة بزخارف الدنيا والانهماك في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها، ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة إلى التكذيب فقالوا: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤﴾ على مقابلة الجمع بالجمع. ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا﴾ فنحن أولى بما تدعونه إن أمكن. ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥﴾ إما لأن العذاب لا يكون أو لأنه أكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب. ﴿قُلۡ﴾ ردًا لحسبانهم ﴿إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾ ولذلك يختلف فيه الأشخاص المتماثلة في الخصائص والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهو أن يوجبانه لم يكن بمشيئته ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦﴾ فيظنون أن كثرة الأموال ووالأولاد للشرف والكرامة وكثيرًا ما يكون للاستدراج كما قال: ﴿وَمَآ

جزى معنى أقضى وهو يتعدى إلى اثنين يقال: أقضيته سرى. **قوله: (مما مني به)** أي ابتلي يقال: منوته ومنيته أي ابتليته كأنه تعالى قال له عليه الصلاة والسلام: يا أيها النبي لا تحزن على تكذيب الكفرة إياك فإن إيذاء الكفار للأنبياء ليس بدعًا بل ذلك عادة قديمة لهم. **قوله: (ولذلك)** أي ولكون المفاخرة بزخارف الدنيا والاستهانة بمن لم يحظ منها معظم الدواعي إلى التكذيب ضموا التهكم والمفاخرة إلى التكذيب حيث تهكموا بقولهم: ﴿بما أرسلتم به﴾ فإنهم إنما قالوا ذلك تهكمًا بالمرسلين ضرورة أنهم غير معتقدين بالإرسال وتفاخروا بقولهم: ﴿نحن أكثر أموالاً﴾. **قوله:** (بما أرسلتم به) متعلق بخبر «أن» وبه متعلق بقوله: «بما أرسلتم» والتقدير: «إنّا كافرون بالذي أرسلتم به من الإيمان والتوحيد. **قوله: (فنحن أولى بما تدعونه)** أي من الرسالة جعل المترفون قولهم: ﴿نحن أكثر أموالاً وأولادًا﴾ بالنسبة إلى الرسل وسيلة إلى تكذيبهم وزعموا أنهم أكرم على الله من الأنبياء ومن المؤمنين قائلين إنهم لو لم يكرموا عليه تعالى لما رزقهم ذلك وأن المؤمنين لو لم يهونوا عليه تعالى لما حرمهم، فأبطل الله تعالى ظنهم ذلك بهاتين الآيتين وهما قوله تعالى: ﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ وليس البسط والقبض للكرامة والهوان فكم من موسر شقي ومعسر تقي، وإنما يوسع ويضيق بمشيئته لما رأى من الحكمة والمصلحة يبسط لمن يشاء لا لفضل ومنزلة له عنده ويقدر على من يشاء لا لجناية كانت منه إليه بل له أن يبتلي عباده بما شاء. **قوله: (قربة)** يعني أن «زلفى» مصدر قوله: «تقربكم» من غير لفظه أو اسم لمصدره كقوله: أنبته الله نباتًا لما استدل المترفون بكثرة أموالهم وأولادهم على كونهم أحسن حالاً عند الله أبطل الله تعالى استدلالهم ذلك بأن البسط والقبض لا يدلان على الكرامة والهوان، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم﴾ الآية فكأنه قيل: استدلالكم بكثرة الأموال والأولاد على كونكم أحسن حالاً عند الله ليس استدلالاً صحيحًا فإنهما لم يدلا على قربة العهد من الله

﴿أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ قربة و«التي» إما لأن المراد وما جماعة أموالكم والأولاد أو لأنها صفة محذوف كالتقوى والخصلة. وقرىء «بالذي» أي بالشيء الذي يقربكم. ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ استثناء من مفعول «تقربكم» أي الأموال والأولاد لا تقرب أحدًا إلا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله، ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح، أو من أموالكم وأولادكم على حذف المضاف. ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾ أن يجازوا الضعف إلى عشر فما فوقه، والإضافة إضافة المصدر إلى المفعول. وقرىء «بالأعمال» على الأصل وعن يعقوب رفعهما على إبدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز أو المصدر لفعله الذي دل عليه لهم ﴿بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ من المكاره وقرىء بفتح الراء وسكونها. وقرأ حمزة «في الغرفة» على إرادة الجنس.

تعالى كيف وكل واحد من المال والولد يشغل عن الله، فكيف يقرب منه بل الذي يقرب إليه تعالى هو العمل الصالح لأنه إقبال على الله تعالى واشتغال بطاعته ومن توجه إلى الله تعالى وصل ومن التجأ إليه ظفر بالأمل.

قوله: (والتي) يعني أن الظاهر أن يقال: باللاتي لأن التي اسم مفرد فلا وجه لتوصيف الأموال والأولاد به وحمله عليها إلا أنه حمل عليها لتأويلها بالجماعة، كأنه قيل: وما جماعة أولادكم وأموالكم بالجماعة التي تقربكم أو لكون التي صفة لموصوف محدوف أي وما هي بالتقوى التي أو بالخصلة التي تقربكم. **قوله:** (**استثناء من مفعول تقربكم**) وهو ضمير الخطاب المتناول لجملة بني آدم فتكون الآية إشارة إلى أن العمل الصالح بالنظر إلى الأموال أن ينفقها أصحابها في سبيل الله وبالنظر إلى الأولاد أن يعلمهم آباؤهم الخير ويربوهم على الصلاح. ويجوز أن يكون استثناء من أموالكم وأولادكم على حذف المضاف أي إلا أموال من آمن وأولاده. **قوله:** (**وقرىء بالأعمال**) أي وقرىء «جزاء» مرفوعًا منونًا و«الضعف» منصوبًا فإن الأصل أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف بالإضافة، ومن نصب «جزاء» ونونه ورفع «الضعف» جعل جزاء تمييزًا أو حالاً أي فأولئك لهم الضعف جزاء، والعامل في الحال الاستقرار كما في قوله تعالى: ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الكهف: ٨٨] فيمن قرأ بنصب «جزاء» في الكهف. ويحتمل أن يكون انتصاب «جزاء» على أنه مصدر لفعله الذي دل عليه لهم جزاء وذلك لأن «فأولئك» مبتدأ و«الضعف» مبتدأ ثان و«لهم» خبر الثاني والجملة خبر «أولئك» فكأنه قيل: فأولئك الضعف لهم يجزون جزاء. **قوله:** (**على إرادة الجنس**) فإنهم جميعًا لا يشتركون في غرفة واحدة بل لكل واحد غرفة تخصه. وفي الصحاح: الغرفة العلية والجمع غرفات وغرفات وغرف. بيّن الله تعالى أولاً أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات تضاعف حسناتهم ثم زاد وقال ﴿وهم في الغرفات آمنون﴾ إشارة إلى دوام النعم وتأبيدها، ثم بيّن

﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ بالرد والطعن فيها ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ مسابقين لأنبيائنا أو ظانين أنهم يفوتون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾ يوسع عليه تارة ويضيق عليه أخرى فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين، وما سبق في شخصين فلا تكرير. ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ عوضًا إما عاجلاً أو آجلاً ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ فإن غيره وسط في إيصال رزقه لا حقيقة لرازقيته. ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ المستكبرين والمستضعفين ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ تقريعًا للمشركين وتبكيتًا لهم

حال المسيء فقال: ﴿والذين يسعون في آياتنا_معاجزين﴾ الآية أي مقدرين في أنفسهم أن يسبقوا الأنبياء الذين شأنهم إظهار الآيات وإثبات الحق المبين أو أن يفوتونا، فإن المعاجز الهارب يهرب لكي يعجز يقال: عاجز فلان إذا ذهب فلم يوصل إليه. **قوله: (فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين)** فإن ما سبق رد لحسبانهم أنه تعالى أكرمهم بكثرة الأموال والأولاد فلا يهينهم بالتعذيب وإنما يهين ويعذب من ضيق عليه في الدنيا فرد عليهم بأن اختلاف الأشخاص في السعة والضيق لا يبتني على كرامة الموسع عليه وهو أن المضيق عليه وإنما يبتني على مجرد مشيئته تعالى. وهٰهنا لما بيّن أن الإيمان والعمل الصالح هو الذي يقرب العبد إلى ربه ويكون مؤديًا إلى تضعيف حسناته بيّن أن نعيم الآخرة وتضاعف الحسنات فيها لا ينافي سعة الرزق في الدنيا بل الصالحون قد يبسط لهم الرزق في الدنيا مع ما لهم في الآخرة من الجزاء الأوفى والمثوبة الحسنى بمقتضى الوعد الإلٰهي، وإن كانوا في بعض الأوقات يضيق عليهم. وكلمة «ما» في قوله تعالى: ﴿وما أنفقتم﴾ شرطية في محل النصب على أنه مفعول مقدم لأنفقتم «ومن شيء» بيانه وقوله: «فهو يخلفه» جواب الشرط أو موصولة مرفوعة المحل على الابتداء «فهو يخلفه» خبره ودخلت الفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط أي ما تصدقتم وأنفقتم في الخير من نفقة فهو يعطي خلفه للمنفق إما بأن يعجل له في الدنيا وإما بأن يؤخر له في الآخرة. وعن مجاهد: من كان عنده من هذا المال ما يقيمه ويصلحه فليقتصد في الإنفاق فإن الرزق مقسوم، ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر، وقوله تعالى: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾ فإن هذا في الآخرة. وفي الحديث: «الرفق في المعيشة من بعض التجارة» وما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا» يؤيد ما ذكره المصنف. **قوله تعالى: (ويوم يحشرهم)** قرأ يعقوب وحفص بالياء، والباقون بالنون. **قوله: (إياكم)** منصوب بخبر «كان» قدم لأجل الفواصل والاهتمام.

وإقناطًا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم، وتخصيص الملائكة لأنهم أشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولأن عبادتهم مبدأ الشرك وأصله. وقرأ حفص ويعقوب «يحشرهم» ويقول بالياء فيهما ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ﴾ أنت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم، كأنهم بينوا بذلك براءتهم من الرضى بعبادتهم ثم أضربوا عن ذلك ونفوا أنهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم: ﴿بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّۖ﴾ أي الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون إليهم أنهم الملائكة فيعبدونهم. ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ الضمير الأول للإنس أو للمشركين والأكثر بمعنى الكل، والثاني للجن.

والكلام وإن كان في صورة الخطاب للملائكة إلا أن المقصود تقريع المشركين فإنهم لما أجابوا بتنزيه الله تعالى عن أن يعبد أحد معه وبأنه لا يستحق العبادة سواه اشتد خزي المشركين وخجالتهم. **قوله:** (ولأن عبادتهم مبدأ الشرك وأصله) لأن عابديهم يزعمون أنهم بنات الله تعالى من مصاهرة الجن قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًاۚ﴾ [الصافات: ١٥٨] والأولاد تكون من جنس الآباء والقول بتعدد الإله أصل الشرك بخلاف العبادة بناء على طمع الشفاعة، فتبرأ الملائكة منهم ومن الرضى بعبادتهم إياهم بقوله: «سبحانك» أي تنزيهًا لك من أن يكون لك شريك في الألوهية واستحقاق العبادة. والولي فعيل من الموالاة وهي ضد المعاداة ويقع على الموالي والموالي، وهو هٰهنا بمعنى الموالي يعنون إنما نواليك بالعبودية لك ولا نواليهم بعبادتهم لنا. والظاهر في جواب قوله تعالى: ﴿أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾ أن يقال: لا أو نعم إلا أنهم أجابوا بإثبات موالاة الله تعالى ومعاداة الكفار بيانًا لبراءتهم من الرضى بعبادتهم لهم بطريق ذكر الملزوم وإرادة اللازم، لأن اختصاصهم بموالاة الله تعالى ومعاداة الكفار يستلزم عدم الرضى بعبادة الأعداء إياهم. **قوله:** (حيث أطاعوهم) جواب عما يقال: إن المشركين كانوا يقصدون بعبادة الأصنام عبادة الملائكة ولا يخطر الشياطين ببالهم حين عبادتهم الأصنام فضلاً عن أن يعبدوا الشياطين، فما وجه قولهم: ﴿كانوا يعبدون الجن﴾؟ وأجاب عنه بوجهين: الأول أن الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فأطاعوا الشياطين في عبادة الملائكة فالمراد بقولهم: يعبدون الجن أنهم يطيعون الجن في عبادة غير الله تعالى وأن العبادة هي الطاعة وأنهم لما أطاعوهم فكأنهم عبدوهم، والثاني أنهم عبدوا الجن حقيقة بناء على أن الجن مثلوا لهم صورة قوم منهم وقالوا: هذه صور الملائكة فاعبدوها، فلما عبدها المشركون فقد عبدوا الجن حقيقة.

قوله: (الضمير الأول للإنس) جواب عما يقال: الظاهر أن ضمير «أكثرهم» عبارة عما يرجع إليه ضمير «كانوا يعبدون الجن» وهم المشركون والمعنى: أكثر المشركين مؤمنون

﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا﴾ إذ الأمر فيه كله له لأن الدار دار جزاء وهو المجازي وحده. ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ عطف على «لا يملك» مبين للمقصود من تمهيده ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ﴾ يعنون محمدًا عليه الصلاة والسلام ﴿إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ﴾ فيستتبعكم بما يستبدعه. ﴿وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ﴾ يعنون القرآن. ﴿إِلَّآ إِفۡكٞ﴾ لعدم مطابقة ما فيه الواقع ﴿مُّفۡتَرٗىۚ﴾ بإضافته إلى الله سبحانه ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾ لأمر النبوة أو للإسلام أو للقرآن، والأول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه وإعجازه. ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٤٣﴾﴾ ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة، وما في اللامين الإشارة إلى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة إلى البت بهذا القول إنكار عظيم له وتعجيب منه. ﴿وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ﴾ فيها دليل على صحة الإشراك ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ﴿٤٤﴾﴾ يدعوهم إليه وينذرهم على تركه فقد بان من قبل أن لا

بالشياطين أي مصدقون قولهم ومطيعون لهم وجميع المشركين كانوا عابدين للشياطين مطيعين، فما وجه قوله: ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾ فإنه يدل على أن بعضهم لم يؤمن بهم ولم يطعهم؟ وأجاب عنه بوجهين: الأول: أنّا لا نسلم أن ضمير «أكثرهم» يرجع إلى المشركين بل يرجع إلى «الإنس» المذكور حكمًا، وأكثر الإنس كفار مؤمنون بالجن، والثاني سلمنا أن ضمير «أكثرهم» للمشركين إلا أن الأكثر بمعنى الكل كما في قوله تعالى: ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٣] وهو من ترقيق الكلام. ثم إنه تعالى بيّن أن ما كانوا يعبدونه لا ينفعهم فقال: ﴿فاليوم لا يملك بعضكم لبعض﴾ والخطاب لمجموع العابدين والمعبودين والمراد بالبعض الأول الملائكة وبالثاني عابدوهم، والمعنى: ويوم القيامة لا يملك الملائكة لعابديهم نفعًا بالشفاعة ولا ضرًا بالتعذيب فالكلام تنكيل للكافرين حيث بيّن لهم أن معبودهم لا ينفع ولا يضر كقوله تعالى: ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ [مريم: ٨٧] ويحتمل أن يكون الخطاب متناولاً للجن أيضًا. **قوله: (وفي تكرير الفعل)** فإنه لما ذكر قوله: «قالوا» في جواب قوله: «وإذا تتلى عليهم آياتنا» كان الظاهر أن يذكر مقول الكفرة بأن يعطف بعضه على بعض بأن يقال: قالوا كذا وكذا من غير أن يعاد فعل القول مع كل مقول، وقد أعيد ذلك ههنا حيث قيل ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ قالوا كذا وقالوا كذا ثم قيل: ﴿وقال الذين كفروا﴾ بإعادة الفعل مرة ثالثة وتصريح فاعله والمقام مقام الإضمار كما في الأولين: **قوله: (وما في اللامين)** أراد بهما اسم الموصول المذكور في قوله: ﴿وقال الذين كفروا﴾ ولام التعريف في قوله «للحق» على سبيل التغليب وتعريف الموصول إشارة

وجه له، فمن أين وقع لهم هذه الشبهة، وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم. ثم هددهم فقال: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ كما كذبوا ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا أولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال، أو ما بلغ أولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى. ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٤٥﴾ فحين كذبوا رسلي جاءهم إنكاري بالتدمير فكيف كان نكيري لهم؟ فليحذر هؤلاء من مثله. ولا تكرير في كذب لأن الأول للتكثير والثاني للتكذيب. أو الأول مطلق والثاني مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء.

إلى القائلين بأنهم الكفرة المعاندون الذين حملهم كفرهم على الجراءة على الله تعالى وأن يقولوا في حق نبيه وكتابه ودينه ما لا يتفوه به من له أدنى تمييز. والتعريف اللامي إشارة إلى المقول فيه بأنه الحق المبين الذي لا يطعن فيه إلا المكابر المعاند، والبت بهذا القول من مثل ذلك القائل في مثل هذا المقول في غاية القباحة والفضاحة لا سيما إذا كان البت المذكور على سبيل المبادهة من غير تأمل يقال: بادهه أمر أي فاجأه وسلوك هذه الطريقة لا يكون إلا للإيذان بأن الأمر عظيم وأن ارتكابه عجيب غريب. ثم إنه تعالى بيّن أن جوابهم على هذه الأقوال الباطلة عندما يتلى عليهم الآيات البينات غاية الضلالة ونهاية الجهالة فإن الآيات البينات لا تعارض إلا بالبراهين العقلية أو الكتب السماوية أو ببيان الرسول المؤيد بالمعجزات الباهرة وليس عندهم شيء من ذلك في قولهم: هذا رجل كاذب وأن ما يقرؤه إفك مفترى وأن ما جاء به سحر مبين، وهذا معنى ما نقل عن الفراء أنه قال في تفسير هذه الآية: من أين كذبوك ولم يأت لهم كتاب ولا نبي بيّن لهم صحة طريقهم وكذبك فيما دعوتهم إليه. وقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا إليهم﴾ أي إلى أهل مكة ومن حولهم من العرب الذين بعثت إليهم، ولا يراد من تقدمه عليه الصلاة والسلام من العرب لأن إسماعيل عليه الصلاة والسلام كان مبعوثًا قبله إلى العرب. **قوله**: (**وما بلغ هؤلاء**) حال من الموصول أي هؤلاء المشركون عشر ما آتينا المتقدمين كعاد وثمود أو ما بلغ المتقدمون عشر ما آتينا مشركي مكة. والمعشار العشر كالمرباع الربع. والمعنى على الأول: كيف أمن مشركو مكة مع ضعفهم أن يلحقهم بسبب التكذيب ما لحق من قبلهم من الأقوياء؟ وعلى الثاني: كيف أمنوا أن يلحقهم بتكذيب البينات القاطعة المتكاثرة ما لحق من قبلهم بتكذيب ما هو أقل من عشر ما كذب به المشركون؟ **قوله**: (**ولا تكرير في كذب**) جواب عما يقال: ما وجه قوله: ﴿فكذبوا رسلي﴾ بعد قوله: ﴿وكذب الذين من قبلهم﴾ وما الفائدة في هذا التكرير؟ أجاب عنه أولاً بأن الأول لتكثير الفعل لا للتعدية والثانية للتعدية فلا تكرير، وثانيًا بأن الأول مطلق حيث لم يقدر له مفعول به أجرى مجرى اللازم فكأنه قيل: فعلوا التكذيب مطلقًا وأقدموا

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ أرشدكم وأنصح لكم بخصلة واحدة هي ما دل عليه ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ وهو القيام من مجلس رسول الله أو الانتصاب في الأمر خالصًا لوجه الله معرضًا عن المراء والتقليد. ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ متفرقين اثنين اثنين وواحد واحدًا، فإن الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ في أمر محمد ﷺ وما جاء به لتعلموا حقيقته. ومحله الجر على البدل أو البيان أو الرفع أو النصب بإضمار هو أو أعني. ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ فتعلموا ما به جنون يحمله على ذلك، أو استئناف منبه لهم على أن ما عرفوا من رجاحة كمال عقله كافٍ في ترجيح صدقه، فإنه لا يدعه أن يتصدى لادعاء أمر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤوس الأشهاد ويسلم ويلقي نفسه إلى الهلاك، فكيف وقد انضم إليه معجزات

عليه والثاني مقيد بتعلقه بالمفعول وجعل تكذيبهم الرسل مسببًا عن كونهم أهل التكذيب، فعطف عليه عطف المسبب على السبب والمعنى: فعلوا التكذيب فكذبوا الرسل بسببه.
قوله: (وهو القيام من مجلس الخ) يعني أن القيام يحتمل أن يراد به المثول على الرجلين من مجلسه عليه الصلاة والسلام لأجله تعالى وطلب وجهه ورضاه لا لحمية وعصبية، أو القيام لأمر والتشمير له لأجله تعالى بالجد والاهتمام من قولك: قمت لأمر كذا إذا هيأت نفسك لأجله وتشمرت له.

قوله: (فإن الازدحام) علة لتقييد القيام لله تعالى بكونهم متفرقين مثنى وفرادى يعني أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويقل معه الإنصاف ويكثر فيه الاعتساف، بخلاف الاثنين فإنهما إذا جرى بينهما أمر يتفكران فيه ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه سالكًا مسلك العدل والإنصاف متجانبًا عن التعصب والاعتساف فيؤدي فكرهما الصحيح إلى الحق الصريح، وكذلك الواحد فإنه يفكر في نفسه طالبًا لإصابة الحق باتباع عقله السليم مجانبًا عن معارضة المجادلين وإغواء المبطلين فيصيب الحق المؤيد بالبرهان. وقوله: «ثم تتفكروا» عطف على قوله: «أن تقوموا» ومحل «أن تقوموا» الجر على أنه بدل من «واحدة» على سبيل التفسير والبيان أو عطف بيان لها أو الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هي أن تقوموا أو النصب بإضمار أعني «ومثنى وفرادى» حال من فاعل «تقوموا». **قوله:** (فتعلموا ما به جنون الخ) يعني أن قوله تعالى: ﴿ما بصاحبكم من جنة﴾ يجوز أن يكون متعلقًا بفعل مقدر معطوف على «تتفكروا» معلق عنه بحرف النفي وهي كلمة «ما» وأن يكون مستأنفًا للتنبيه على طريقة النظر المؤدي إلى العلم بصدقه عليه الصلاة والسلام في دعوى الرسالة فإن أمر الرسالة أمر عظيم تحته ملك الدنيا والآخرة ومن ادّعاها لا بد له أن يدعو الفراعنة الذين كانوا يقتلون من خالفهم في أدنى شيء إلى قبول ما جاء به

كثيرة؟ وقيل: «ما» استفهامية والمعنى ثم تتفكروا أي شيء به من آثار الجنون. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ قدامه لأنه مبعوث في نسم الساعة ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ أي شيء سألتكم من أجر على الرسالة. ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ والمراد نفي السؤال فإنه جعل التنبؤ مستلزمًا لأحد الأمرين: إما الجنون وإما توقع نفع دنيوي عليه لأنه إما أن يكون لغرض أو لغيره. وأيًا ما كان يلزم أحدهما ثم نفي كلاً منهما. وقيل: «ما» موصولة مراد بها ما سألهم بقوله: ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى، واتخاذ السبيل نفعهم وقرباه قرباهم. ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾ مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بإسكان الياء. ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ

من الدين وترك ما ألفوه منه، ولا شك في أنه أمر عظيم لا يدعيه إلا مؤيد من عند الله فاضطلع بصحة أمره بما عنده من حجة وبرهان أو مجنون لا يبالي بافتضاحه على رؤوس الأشهاد وهلاكه في الدنيا ويوم التناد. ومن المعلوم عندهم أنه عليه الصلاة والسلام أرجح قريش عقلاً وأصدقهم قولاً وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال فكان علمهم هذا كافيًا لهم في ترجيح جانب صدقه عليه الصلاة والسلام. **قوله**: (وقيل ما استفهامية) لكن ليس المراد حقيقة الاستفهام بل هو بمعنى النفي والإنكار فلهذا لم يرض به، لأن الاستفهام لما كان بمعنى الإنكار الذي مآله النفي كان الأولى أن يحمل كلمة «ما» من أول الأمر على النفي قصرًا للمسافة وحملاً للكلام على المعنى المتعارف. **قوله**: (أي شيء سألتكم) يعني أن كلمة «ما» شرطية منصوبة المحل على أنها مفعول «سألتكم» قدم عليه وقوله: «فهو لكم» جوابها. قال عليه الصلاة والسلام: «بعثت في نسم الساعة». أي حين ابتدأت وأقبل أوانها، وأصله من نسم الريح وهو أول هبوبها حين يقبل بلين قبل أن يشتد.

قوله: (وأيًا ما كان يلزم أحدهما) يعني أن التنبيء وهو ادعاء النبوة كاذبًا سواء كان لغرض أو لغيره يستلزم أحد الأمرين: أي إما أن يكون لغرض أو لغير غرض وذلك يستلزم أن يكون مجنونًا أو متوقعًا لنفع دنيوي، ولما نفى كل واحد منهما لزمه أن لا يكون متنبئًا بل صادقًا في دعواه. **قوله**: (ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً) بأن يتقرب إليه بالإيمان والطاعة يريد أني أرضى بتقربه إليه واعتد به كما يرضى المثاب بالثواب، فالأجر المذكور في هذه السورة إن حمل على اتخاذ السبيل فمعنى كونه لهم أن يكون نفعه عائدًا إليهم وكذا مودة أقربائه عليه الصلاة والسلام يعود نفعها إليهم من حيث إن قرباه قرباهم. ثم ذكر أن أجره على الله تعالى وأنه على كل شيء شهيد فعلم أنه عليه الصلاة والسلام لا يطلب الأجر على نصحهم وتبليغ الرسالة إليهم إلا منه تعالى.

﴿بِالْحَقِّ﴾ يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده أو يرمي به الباطل فيدمغه أو يرمي به إلى أقطار الآفاق، فيكون وعدًا بإظهار الإسلام وإفشائه. ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾﴾ صفة محمولة على محل «إن» واسمها أو بدل من المستكن في «يقذف» أو خبر ثانٍ أو خبر محذوف. وقرىء بالنصب صفة «لربي» أو مقدرًا بأعني. وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وأبو بكر وحمزة والكسائي «الغيوب» بالكسر كالبيوت والباقي بالضم كالشعور. وقرىء بالفتح كالصيود على أنه مبالغة غائب.

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ أي الإسلام ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ وزهق الباطل أي الشرك بحيث لم يبق له أثر مأخوذ من هلاك الحي

قوله: (يلقيه وينزله) يعني أن القذف في الأصل هو الطرح والإلقاء مع الدفع والاعتماد، وأطلق ههنا على مجرد الإلقاء فهو مجاز مرسل بطريق استعمال المقيد في المطلق. والحق القرآن أو الوحي والباء فيه زائدة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٥]. **قوله:** (أو يرمي به الباطل) أي يدفع الباطل بالقذف أي بإلقاء الشيء ويزيله بإيراد الحق عليه كما يدفع القبيح بأن يقذف عليه ما يدفعه. شبّه إيراد الحق على الباطل لإذهاب الباطل بالقذف بإلقاء الشيء على الشيء بدفع واعتماد، ثم ذكر القذف وأريد إيراد الحق على الباطل لإذهابه به فيكون قوله: «يقذف» استعارة تصريحية تبعية وكذا على قوله: «أو يرمي به إلى أقطار الآفاق» حيث شبّه نشر الإسلام وإظهاره في الآفاق بإلقاء الشيء على وجه الدفع والاعتماد.

قوله: (صفة محمولة على محل إن واسمها) فإن محلها الرفع على الابتداء. قرأ الجمهور «علام الغيوب» بالرفع على أنه صفة تابعة لمحلها ومن نصبه جعله نعتًا لاسم «أن» أو منصوبًا على المدح. وقرىء «الغيوب» بالحركات الثلاث في الغين بالضم والكسر كما في البيوت وبالفتح على أنه صيغة مبالغة كالشكور والصبور وهو الأمر الذي غاب جدًا وخفي. والكلب الصيود هو الماهر في أمر الصيد. **قوله:** (أي الشرك بحيث لم يبق له أثر) يعني أن قولهم: لا يبدىء فلان ولا يعيد عبارة يعبّر بها عن هلاكه وموته كقولهم: لا يأكل فلان ولا يشرب ولا يقبل ولا يدبر، فإن انقطاع آثار الشيء وتوابع وجوده من لوازم هلاكه وانتفائه فصح جعله كناية عنه. روي أن المنذر بن ماء السماء كان ملكًا وكان له يوم في السنة يذبح فيه أول من يلقى، فبينا هو يسير في ذلك اليوم إذ أشرف له عبيد بن الأبرص فقال عبيد لرجل ممن كان معه: من هذا الشقي؟ فقال له: إنه المنذر بن ماء السماء وافيناه يوم بؤسه. فلما رآه المنذر أمر بقتله فقيل له: امدحه فقال: حال الجريض دون القريض فقال المنذر

فإنه إذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة. قال:

أقفر من أهل له عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد

وقيل: الباطل إبليس أو الصنم، والمعنى: لا ينشىء خلقًا ولا يعيده أو لا يبدىء خيرًا لأهله ولا يعيده. وقيل: «ما» استفهامية منتصبة بما بعدها. ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾ عن الحق. ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِىۖ﴾ أي وبال ضلالي عليها فإنه بسببها إذ هي الجاهلة بالذات، والأمّارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله: ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓۚ﴾ فإن الاهتداء بهدايته وتوفيقه ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾ يدرك قول كل ضال

أنشدنا قولك: فقال:

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب
(أقفر من أهل له عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد)

قوله: أقفر أي صار إلى القفر وهو مفازة لا نبات بها ولا ماء، وملحوب موضع وكذلك القطبيات والذنوب. والجريض الغصة من الجرض بالتحريك وهو الريق يغص به يقال: جرض بريقه يجرض على مثال كسر يكسر وهو أن يبتلع بريقه على هم وحزن بالجهد. والقريض الشعر. فكلمة «ما» في قوله تعالى: ﴿وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾ نافية ولا مفعول «ليبدىء» ولا ليعيد، إذ المراد لا يوقع الباطل هذين الفعلين. وقيل: مفعوله محذوف أي ما يبدىء الشيطان لأهله خيرًا ولا يعيده. كان كفار مكة يقولون لرسول الله عليه الصلاة والسلام: إنك ضللت حتى تركت دين آبائك فنزل قوله تعالى: ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي﴾ قرأ العامة بفتح اللام في الماضي وكسرها في المضارع، وقرىء بكسر اللام في الماضي وفتحها في الغابر، وقرىء «أضل» بكسر الهمزة وفتح الضاد على لغة من يقول اعلم. **قوله: (فإنه)** أي ضلال الشخص بسبب نفسه الجاهلة الأمارة بالسوء وهو علة لكون وبال الضلال راجعًا إلى نفسه. **قوله: (وبهذا الاعتبار)** أي باعتبار أن النفس كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها وقع التقابل بين قوله: ﴿فإنما أضل على نفسي﴾ وبين قوله: ﴿فبما يوحي إليّ ربي) وإلا فلا تقابل بينهما ظاهرًا لأنه إنما يظهر التقابل بينهما إن أورد فيهما كلمة «على» أو كلمة الباء بأن يقال: إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فإنما أهتدي لنفسي، أو بأن يقال: إن ضللت فإنما أضل بنفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي، فيكون مدلول الآية على الأول بيان مآل الضلالة والهداية وعلى الثاني بيان سببهما. فلما جيء بـ «على» في الأول دلت على أن الضلال وبال على النفس ولما جيء بالباء في الثاني دلت على أن سبب الاهتداء هو هداية الله تعالى وتوفيقه وما يوحى إلى القلب

ومهتد وفعله وإن أخفاه. ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟﴾ عند الموت أو البعث أو يوم بدر، وجواب «لو» محذوف مثل: لرأيت فظيعًا. ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ فلا يفوتون الله بهرب أو بحصن ﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾ من ظهر الأرض إلى بطنها أو من الموقف إلى النار أو من صحراء بدر إلى القليب. والعطف على «فزعوا» أو «لا فوت»، ويؤيده أنه قرىء و«أخذ» عطفًا على محله أي فلا فوت هناك وهناك أخذ. ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ بمحمد ﷺ وقد مر ذكره في قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾ [سبأ: ٤٦] ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ ومن أين لهم أن يتناولوا الإيمان تناولاً سهلاً؟ ﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ فإنه في حيز

من الحكمة والبيان ولا تقابل بينهما ظاهرًا إلا أنهما متقابلان من جهة المعنى، لأن قوله: ﴿فإنما أضل على نفسي﴾ في قوة أن يقال: فإنما أضل بنفسي فالموضعان مشتملان على بيان السبب وإن اشتمل الأول على بيان مآل الضلال أيضًا. **قوله تعالى:** (ولو ترى إذ فزعوا) تتمة لتهديدهم هددهم الله تعالى أولاً بقوله: ﴿وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم﴾ وساق الكلام إلى هنا ثم بيّن أن قدامهم أمرًا هائلاً يفزعهم وهو أنهم حيث ما كانوا فهم من الله تعالى قريب لا يفوتونه بل يأخذهم من ظهر الأرض إلى بطنها عند الموت، أو من الموقف إلى النار عند البعث، أو من صحراء بدر إلى القليب يوم بدر، أو من تحت أقدامهم إذا خسف بهم على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من أن الآية نزلت في خسف البيداء وذلك أن ثمانين ألفًا يأتون من قبل المشرق يقال لهم السفيانية يقصدون الكعبة ليخربوها فإذا دخلوا بيداء المدينة خسف بهم وقصتهم مذكورة في تفسير الإمام النسفي. وقرأ العامة «فلا فوت» مبنيًا على الفتح «وأخذوا» فعلاً ماضيًا مبنيًا للمفعول معطوفًا على «فزعوا»، وقيل: على معنى «فلا فوت» أي فلم يفوتوا وأخذوا. وقرىء «فلا فوت» وأخذ مرفوعين منونين. وقرىء بفتح «فوت» ورفع «أخذ» على الابتداء من حيث كونه معطوفًا على محل «فلا فوت» ومحله الرفع على الابتداء وخبره محذوف أي وأخذ هناك، أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي وحالهم أخذ فيكون من عطف الجملة المثبتة على المنفية ولما تعيّن في هذه القراءة كونه معطوفًا على قوله: «فلا فوت» أيد ذلك كونه معطوفًا عليه في قراءة «أخذوا» أيضًا.

قوله تعالى: (وقالوا آمنا به) أي قالوا ذلك وقت فزعهم وهو وقت نزول العذاب بهم عند الموت كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ [غافر: ٨٤] أو عند البعث فإن الكفار كلهم يؤمنون حينئذ. نفى الله تعالى نفع الإيمان عنهم بقوله: ﴿وأنى لهم التناوش﴾ «والتناوش» مبتدأ أو «أنى» خبره بمعنى من أن «ولهم» حال وهو تناول ما قرب منك بسهولة. ولما انقضى وقت تناول الإيمان وإن كان انقضاؤه عن قريب صار أبعد ما يكون لامتناع

التكليف وقد بعد عنهم، وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالإيمان بعدما فات منهم وبعد عنهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من علوة تناوله من ذراع في الاستحالة. وقرأ أبو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز على قلب الواو لضمها، أو لأنه من نأشت الشيء إذا طلبته قال رؤبة: شعر

أقحمني جار أبي الجاموش إليك نأش القدر النؤوش

أو من نأشت إذا تأخرت.

ومنه قوله: شعر

تمنى نئيشًا أن يكون أطاعني وقد حدثت بعد الأمور أمور

الوصول إليه أبدًا بخلاف يوم القيامة بالنسبة إلى أهل الدنيا، فإنه قريب لكونه في صدد القرب. والدنو شيئًا فشيئًا والغلوة مقدار رمية سهم وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالإيمان أي إرادة الاتصاف به خالصًا بعد فوات وقته ومضيه وبعده عنهم، أو أنه جعل تمثيلاً إذ ليس في قوله: ﴿آمنا به﴾ تناول الشيء من المكان بل ليس فيه إلا إرادة الاتصاف بالإيمان بعد فوات وقته وكونه أبعد ما يكون لامتناع الوصول إليه فتعيّن حمله على التمثيل. وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر «التناؤش» بهمزة مضمومة بعد الألف. وقرأ الباقون بواو مضمومة فاحتملا أن يكونا مادتين مستقلتين مع اتحاد معناهما. روي عن أبي عمرو أنه قال: التناؤش بالهمزة التناول من بعد من قولهم، نأشت أي أبطأت وتأخرت. وفي الصحاح: التناؤش بالهمزة التأخر والتباعد وقد نأشت الأمر أنأشه نأشًا أخرته فانتأش، ويقال: فعله نئيًا أي أخيرًا. قال الشاعر:

(تمنى نئيشًا أن يكون أطاعني وقد حدثت بعد الأمور أمور)

أي إنه تمنى أخيرًا. وأن يكونا مادة واحدة وتكون الهمزة مبدلة من الواو للزوم ضمة الواو كما في أدؤر وأجوه في أدور ووجوه. قال الزجاج: كل واو مضمومة ضمة لازمة فأنت فيها بالخيار يقال: ناشه ينوشه نوشًا أي تناوله قال الشاعر:

فهي تنوش الحوض نوشًا مرة نوشًا به تقطع أجواز الفلا

أي تناول ماء الحوض من فوق وتشرب شربًا كثيرًا وتقطع بذلك الشرب فلوات فلا تحتاج إلى ماء آخر. والأجواز جمع جُوز وجوز كل شيء وسطه. ويحتمل أن يكون التناؤش بالهمز من النأش بمعنى التطلب كما في قوله:

(أقحمني جار أبي الجاموش إليك نأش القدر النؤوش)

فيكون بمعنى التناول من بعد.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾ بمحمد عليه الصلاة والسلام أو بالعذاب. ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل ذلك أوان التكليف. ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾ ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول عليه الصلاة والسلام من المطاعن، أو في العذاب من البت على نفيه. ﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ من جانب بعيد من أمره وهو الشبه التي تمحلوا بها في أمر الرسول ﷺ وحال الآخرة كما حكاه من قبل. ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئًا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه. وقرىء «ويقذفون» على أن الشيطان يلقي إليهم ويلقنهم ذلك، والعطف على «وقد كفروا» على حكاية الحال الماضية أو على «قالوا» فيكون تمثيلاً لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الإيمان في الدنيا. ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من نفع الإيمان والنجاة به من النار. وقرأ ابن

أي كتطلب القدر الطالب أقحمه أي كلفه وأوقعه في الأمر الشديد من القحمة بالضم وهي المهلكة وقحم الطريق مصاعبه. والجاموش لغة في الجاموس. **قوله: (ويتكلمون بما لم يظهر لهم)** يعني أن القذف بمعنى رمي اللفظة باللسان والتكلم من غير روية. والغيب الشيء المغيب عنهم غير المعلوم لهم فإن قولهم في حقه عليه الصلاة والسلام: إنه شاعر ساحر مفتر كذاب ونحو ذلك تكلم بالغيب لأنهم لم يشاهدوا منه عليه الصلاة والسلام شيئًا من ذلك وأتوا به من جهة بعيدة من حاله عليه الصلاة والسلام، لأن أبعد شيء مما جاء به السحر والشعر وأبعد شيء من عادته التي عرفت بينهم الكذب والزور، وكذا إنكارهم أحوال الآخرة رأسًا. وقولهم: إن كان الأمر كما تصفون من قيام الساعة والحساب والميزان والثواب والعقاب فما نحن بمعذبين لأنه تعالى أكرمنا بالأموال والأولاد فلا يهيننا بالتعذيب في دار أخرى، فإنه أيضًا تكلم بالغيب يقذفون به من جهة بعيدة حيث قاسوا أمر الآخرة على أمر الدنيا ومعلوم أن دار الجزاء لا تنقاس بدار التكليف. **قوله: (ولعل تمثيل لحالهم)** وهي التكلم بما لم يظهر لهم من المطاعن في حقه عليه الصلاة والسلام ومن البت في نفي العذاب على وجه بعيد الأول من حاله عليه الصلاة والسلام والثاني من حكمة الله تعالى وعدله، شبّه حالهم هذه بحال من يرمي شيئًا يكرهه من مكان بعيد. **قوله: (والعطف علي وقد كفروا)** وهو جملة حالية فيكون ما عطف عليه أيضًا حالاً فكان الظاهر أن يقال: وقذفوا بالغيب إلا أنه جيء بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية بأن قدر أن ذلك الفعل الماضي واقع في حال التكلم كأنك تحضره للمخاطب ليتعجب منه. **قوله: (أو على قالوا)** كأنه قيل: ولو ترى إذ ﴿قالوا آمنا به﴾ ﴿ويقذفون بالغيب﴾ أي ما غاب وفات عنهم وهو الإيمان في الدنيا ومعنى قذفهم إياه طلب تحصيله والاتصاف به بعد فوات وقته، وعبّر عنه

عامر والكسائي بإشمام الضم للحاء. ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ بأشباههم من كفرة الأمم الدارجة. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾ موقع في الريبة أو ذي ريبة منقول من المشكك أو الشاك نعت به الشك للمبالغة. قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي إلا كان له يوم القيامة رفيقًا ومصافحًا».

برمي المطلب الغائب من مكان بعيد تشبيهًا له به في كون المطلب مستبعدًا بحيث لا يطمع في حصوله. **قوله:** (**موقع في الريبة أو ذي ريبة**) فالمريب على الأول اسم فاعل من أرابه المتعدي وعلى الثاني من أراب الرجل إذا صار ذا ريبة ووقع فيها، وعلى التقديرين إسناد الإرابة إلى الشك مجاز، أسند فعل صاحب التشكيك إلى الشك على الأول وفعل صاحب الشك إلى نفس الشك على الثاني حيث جعل الشك ذا شك كما جعل الشعر شاعرًا. فإن المريب بالمعنى الأول هو المشكك وبالمعنى الثاني هو الشاك، أطلق كل واحد منهما على نفس الشك للمبالغة. تمت سورة سبأ والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده في أواسط آخر الجماديين من شهور سنة خمس وثلاثين وتسعمائة.



الفهرس

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة المؤمنين

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة الروم

سورة لقمان

سورة السجدة

سورة الأحزاب

سورة سبأ